(فهرسة الجزء الثالث من تاريخ الكامل)

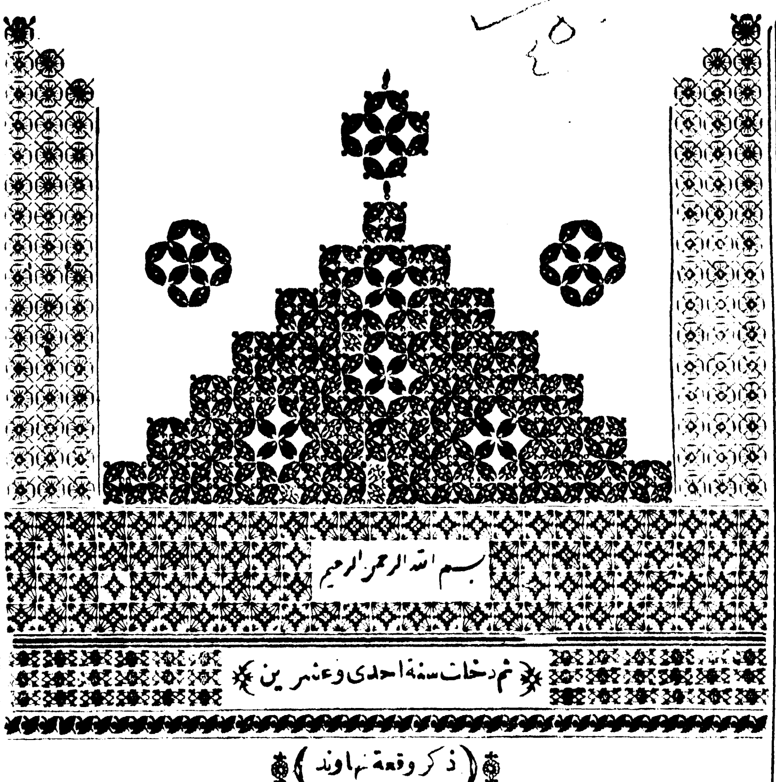
صحيفة

صحيفة

(تمت)

الجزء الثالث من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي
ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه
الله

{ وبهامشه التاريخ المسمى باخبار الدول وآثار الاول للعلامة الفاضل }
{ أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني وغيره }



بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة احدى وعشرين

ذكر وقعة نهاوند

قيل فيها كانت وقعة نهاوند وقيل كانت سنة ثمان عشرة وقيل سنة تسع عشرة وكان الذى هيج أمر نهاوند أن المسلمين لما خلصوا اجندا العلاء من بلاد فارس وفتحوا الاهواز كاتبت الفرس ملكهم وهو بعرو فحركوه وكاتب الملوك بين الباب والسند وخراسان وحلوان فتحركوا وتكاتبوا واجتمعوا الى نهاوند ولما وصلها أوائلهم بلغ سعدا الخبر فكتب الى عمر وثار بسعد قوم سعوا به وألبوا عليه ولم يشغلهم ما نزل بالناس وكان ممن تحرك فى أمره الجراح بن سنان الاسدى فى نفر فقال لهم عمر والله ما يمنعنى ما نزل بكم من النظر فيما لديكم فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس فى الاستعداد للفرس وكان محمد صاحب العمال يقتص آثار من شكى زمان عمر فطاف بسعد على أهل الكوفة يسأل عنه فما سأل عنه جماعة الا اثنوا عليه خيرا سوى من مالأ الجراح الاسدى فانهم سكتوا ولم يقولوا سوأ ولا يسوغ لهم حتى انتهوا الى بنى عبس فسألهم فقال أسامة بن قتادة اللهم انه لا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية ولا يغزو فى السرية فقال سعد اللهم إن كان قالها رياء وكذبا وسمعة فأعم بصره وأكثر عياله وعرضه لمضلات الفتن فعمى واجتمع عنده عشر بنات وكان يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يجسها فاذا عثر عليها قال دعوة سعد الرجل المبارك ثم دعا سعد على أولئك النفر فقال اللهم ان كانوا خرجوا أشرا وبطرا ورياء فأجهد بلادهم فجهدوا وقطع الجراح بالسيوف يوم بادر الحسن بن على عليه السلام ليغتاله بساباط وشدخ قبيصة بالحجارة وقتل اربد بالوجء ونعال السيوف وقال سعد انى أول رجل

(الباب الحادى عشر) فى ذكر دولة بنى طباطبا بالكوفة واليمن منبع الصفات الحميدة والمنن

ذكر السيوطى فى تاريخه ان أول من قام بالخلافة من بنى طباطبا العلوية الحسنية (ابو عبد الله) محمد بن ابراهيم طباطبا فى جمادى الاولى سنة تسع وتسعين ومائة وسبب تلقيب جد هذه الطائفة بطباطبا انه كان يلثغ بالقاف فيجعلها طاء فطلب يوما من الجارية ملبوسا فقالت له تريد فرجية ام قباء فقال لها بل طباطبا يريد قباقبا فلقب بذلك لذلك وقام باليمن فى هذا العصر (الهادى يحيى بن الحسين بن قاسم بن ابراهيم طباطبا) ودعى له بامرة المؤمنين ومات فى ذى الحجة سنة ثمان ومائتين وقام مكانه ابنه (المرتضى محمد) مدة فى سيرة حسنة وتوفى فى سنة عشرين وثلثمائة وقام مكانه أخوه (الناصر احمد) ومات فى صفر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وقام بالامر بعده ولده (المنتخب الحسين) وسار سيرة أبيه فى العدل وكانت مدة خلافته ست سنين

اهراق دما من المشركين ولقد جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه وما جمعهما لاحد قبلى ولقد رأيتنى خمس الاسلام وبنو أسد تزعم انى لا أحسن أصلى وان الصيد يلهينى وخرج محمد بن سعد وبهم معه الى المدينة فقدموا على عمر فاخبروه الخبر فقال كيف تصلى يا سعد قال اطيل الأوليين واحذف الاخريين فقال هكذا الظن بك يا ابا اسحق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بينا وقال من خليفتك يا سعد على الكوفة فقال عبد الله بن عبد الله بن عتبان فأقره فكان سبب نهاوند وبعثها زمن سعد واما الوقعة فهى زمن عبد الله فنفرت الاعاجم بكتاب يزدجرد فاجتمعوا بنهاوند على الفيرزان فى خمسين ألفا ومائة ألف مقاتل وكان سعد كتب الى عمر بالخبر ثم شافهه به لما قدم عليه وقال له ان أهل الكوفة يستأذنونك فى الانسياح وان يبدؤهم بالشدة ليكون أهيب لهم على عدوهم فجمع عمر الناس واستشارهم وقال لهم هذا يوم له ما بعده وقد هممت ان اسير فيمن قبلى ومن قدرت عليه فانزل منزلا وسطا بين هذين المصرين ثم استنفرهم واكون لهم ردأ حتى يفتح الله عليهم ويقضى ما أحب فان فتح الله عليهم صببتهم فى بلدانهم فقال طلحة بن عبيد الله يا أمير المؤمنين قد أحكمتك الامور وعجمتك البلابل واحتنكتك التجارب وأنت وشأنك ورأيك لا ينبو فى يديك ولا يكل عليك اليك هذا الامر فرنا نطع وادعنا نجب واحملنا نركب وقدنا ننقد فانك ولى هذا الامر وقد بلوت وجربت واختبرت فلم ينكشف شئ من عواقب قضاء الله لك الا عن خيار ثم جلس فعاد عمر فقام عثمان فقال أرى يا امير المؤمنين ان تكتب الى أهل الشام فيسيروا من شامهم والى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ثم تسير أنت بأهل الحرمين الى الكوفة والبصرة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين فانك اذا سرت قل عندك ما قد تكاثر من عدد القوم وكنت أعز عزا وأكثر يا أمير المؤمنين انك لا تستبقى بعد نفسك من العرب باقية ولا تمتع من الدنيا بعزيز ولا تلوذ منها بحريز ان هذا يوم له ما بعده من الايام فاشهده برأيك واعوانك ولا تغب عنه وجلس فعاد عمر فقام اليه على بن أبى طالب فقال اما بعد يا أمير المؤمنين فانك ان أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم وان أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ذراريهم وانك ان أشخصت من هذه الارض انتقضت عليك العرب من أطرافها واقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم اليك مما بين يديك من العورات والعيالات اقرر هؤلاء فى امصارهم واكتب الى أهل البصرة فليتفرقوا ثلاث فرق فرقة فى حرمهم وذراريهم وفرقة فى أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا ولتسر فرقة الى اخوانهم بالكوفة مددا لهم ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا قالوا هذا امير المؤمنين امير العرب واصلها فكان ذلك اشد لكلبهم عليك وأما ما ذكرت من مسير القوم فان الله هو اكره لمسيرهم منك وهو اقدر على تغيير ما يكره وأما عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر فقال عمر هذا هو الرأى كنت احب ان اتابع عليه فأشيروا على برجل اوليه وقيل ان طلحة وعثمان وغيرهما أشاروا عليه بالمقام والله اعلم فلما قال عمر اشيروا على برجل أوليه ذلك الثغر وليكن عراقيا فقالوا أنت أعلم بجندك وقد وفدوا عليك فقال والله لاولين أمرهم رجلا يكون أول الاسنة اذا لقيها غدا فقيل من هو فقال هو النعمان بن مقرن المزنى فقالوا هو لها وكان النعمان يومئذ معه جمع من أهل الكوفة قد اقتحموا جنديسابور والسوس فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى

فلما مات قام مكانه أخوه (المختار القاسم) وكان وقورا مهيبا أديبا لبيبا مؤيدا موفقا فكانت مدة خلافته الى ان مات خمس عشرة سنة ولما توفى تولى مكانه أخوه (الهادى محمد) مدة فلما مات تولى مكانه الرشيد العباس وبه انقرضت دولتهم وانطوت خلافتهم

❊ الباب الثانى عشر فى ذكر دولة الطبرستانية من الدوحة الحسنية والحسينية ❊

ذكر السيوطى فى تاريخه انه تداولها ستة رجال ثلاثة من بنى الحسن ثم ثلاثة من بنى الحسين فأول من قام منهم داعيا الى الحق والى الطريق القويم (الحسن ابن زيد) بن محمد بن اسمعيل ابن الحسن بن زيد الجواد ابن الحسن بن على بن أبى طالب سنة خمس وخمسين ومائتين بالرى والديلم ثم قام أخوه (القائم بالحق محمد) وقتل سنة ثمان وثمانين فقام حفيده (المهدى الحسن بن زيد بن القائم بالحق) وقام بعده (محمد بن الحسن)

❊ الباب الثالث عشر فى ذكر خروجهم بالحجاز وما سلك كل منهم من المحاسن وحاز ❊

ذكر المسعودى فى مروج

ماه تجتمع الجيوش عليه فاذا اجتمعوا اليه سار بهم الى الفيرزان ومن معه وقيل بل كان
النعمان بكسكر فكتب الى عمر يسأله ان يعزله و يبعثه الى جيش من المسلمين فكتب اليه عمر
يأمره بنهاوند فسار فكتب عمر الى عبد الله بن عبد الله بن عتبان ليستنفر الناس مع النعمان
كذا وكذا و يجتمعوا عليه بماه فندب الناس فكان اسرعهم الى ذلك الرواد ليبلوا فى الدين
وليدركوا حظا فخرج الناس منها وعليهم حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرن حتى قدموا على
النعمان وتقدم عمر الى الجند الذين كانوا بالاهواز ليشغلوا فارس عن المسلمين وعليهم المقترب
وحرملة وزر وأقاموا بتخوم أصبهان وفارس وقطعوا امداد فارس عن أهل نهاوند واجتمع
الناس على النعمان وفيهم حذيفة بن اليمان وابن عمر وجرير بن عبد الله البجلى والمغيرة بن
شعبة وغيرهم فأرسل النعمان طليحة بن خويلد وعمرو بن معديكرب وعمرو بن ثنى وهو ابن أبى
سلمى ليأتوه بخبرهم وخرجوا وساروا يوما الى الليل فرجع اليه عمرو بن ثنى فقالوا ما رجعك فقال لم
أكن فى أرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضا عالمها ومضى طليحة وعمرو بن معديكرب
فلما كان آخر الليل رجع عمرو فقالوا ما رجعك قال سرنا يوما وليلة ولم نر شيأ فرجعت
ومضى طليحة حتى انتهى الى نهاوند وبين موضع المسلمين الذى هم به ونهاوند بضعة وعشرون
فرسخا فقال الناس ارتد طليحة الثانية فعلم كلام القوم ورجع فلما رأوه كبروا فقال ما شأنكم
فأعلموه بالذى خافوا عليه فقال والله لو لم يكن دين الا العربى ما كنت لاجزر العجم الطماطم هذه
العرب العادية فاعلم النعمان انه ليس بينهم وبين نهاوند شئ يكرهه ولا أحد فرحل النعمان
وعبى أصحابه وهم ثلاثون ألفا فجعل على مقدمته نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان
وسويد بن مقرن وعلى المجردة القعقاع بن عمرو وعلى الساقة مجاشع بن مسعود وقد توافت اليه
أمداد المدينة فيهم المغيرة بن شعبة فانتهوا الى اسبيذهان والفرس وقوف على تعبيتهم وأميرهم
الفيرزان وعلى مجنبتيه الزردق وبهمن جاذويه الذى جعل مكان ذى الحاجب وقد توافى اليهم
الامداد بنهاوند كل من غاب عن القادسية ليسوا بدونهم فلما رآهم النعمان كبر وكبر معه الناس
فتزلزلت الاعاجم وحطت العرب الاثقال وضرب فسطاط النعمان فابتدر اشراف الكوفة
فضربوه منهم حذيفة بن اليمان وعقبة بن عامر والمغيرة بن شعبة وبشير بن الخصاصية وحنظلة
الكاتب وجرير بن عبد الله البجلى والاشعث بن قيس وسعيد بن قيس الهمدانى ووائل بن حجر
وغيرهم فلم ير بناء فسطاط بالعراق كهؤلاء وانشب النعمان القتال بعد حط الاثقال فاقتتلوا يوم
الاربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم سجال وانهم انجحروا فى خنادقهم يوم الجمعة وحصرهم
المسلمون وأقاموا عليهم ما شاء الله والفرس بالخيار لا يخرجون الا اذا أرادوا الخروج فخاف
المسلمون ان يطول أمرهم حتى اذا كان ذات يوم فى جمعة من الجمع تجمع أهل الرأى من
المسلمين وقالوا نراهم علينا بالخيار وأتوا النعمان فى ذلك فوافوه وهو يروى فى الذى رووا فيه
فاخبروه فبعث الى من بقى من أهل النجدات والرأى فاحضرهم فتكلم النعمان فقال قد ترون
المشركين واعتصامهم بخنادقهم ومدنهم وانهم لا يخرجون الينا الا اذا شاؤا ولا يقدر المسلمون
على اخراجهم وقد ترون الذى فيه المسلمون من التضايق فما الرأى الذى به نستخرجهم الى
المناجزة وترك التطويل فتكلم عمرو بن ثنى وكان أكبر الناس وكانوا يتكلمون على الاسنان

فقال

الذهب ان ابراهيم عليه
السلام لما أمكن ولده اسمعيل
مكة مع امه هاجر
واستودعهما خالقه أمر
ابراهيم عليه السلام هاجر ان
تتخذ عليه عريشا يكون
لهما سكنا وكان من ظما
اسمعيل وهاجر ما كان الى
ان انبع الله لهما زمزم
وانحط الشحر واليمن فتفرقت
العماليق نحو تهامة يطلبون
الماء والمرعى والديار الخصبة
وأميرهم السميدع فاشرف
روادهم اطلب الماء على
الوادى فنظروا الى العريش
وفيه هاجر واسمعيل فنزلوا
مستبشرين بما اصابوا من
نور النبوة وموضع البيت
واستمروا الى ان وقع
التنازع بين قحطان وبين
جرهم بسبب انهم كثروا
وضاقت عليهم أرض اليمن
فطردوا جرهم فاقبلوا حتى
نزلوا بقرب مكة فارسلوا
الى العماليق وقالوا نحن
أحق منكم بهذا المكان
لانا أقرب قرابة من اسمعيل
وامس به رحما لانا نلتقى
نحن واياه الى هود عليه
السلام وأنتم لا تلتقون
معه الا الى سام بن نوح
عليه السلام فاخرجوا عن
هذا المكان فقال العماليق
عند ذلك ان هذا المكان

فقال التحصن عليهم أشد من المطاولة عليكم فدعهم وقاتل من أتاك منهم فردوا عليه رأيه وتكلم عمرو بن معديكرب فقال ناهدهم وكابدهم ولا تخفهم فردوا جميعا عليه رأيه وقالوا انما يناطح بنا الجدران وهي أعوان علينا وقال طليحة أرى ان نبعث خيلا لينشبوا القتال فاذا اختلطوا بهم رجعوا الينا استطرادا فانا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم فاذا رأوا ذلك طمعوا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضي الله فيهم وفيما ما أحب فأمر القعقاع بن عمرو وكان على المجردة فانشب القتال فاخرجهم من خنادقهم كانهم جبال حديد قد تواثقوا ان لا يفروا وقد قرن بعضهم بعضا كل سبعة في قران والقوا حسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا فلما خرجوا نكص ثم نكص واغتنمها الاعاجم ففعلوا كما ظن طليحة وقالوا هي هي فلم يبق احد الا من يقوم على الابواب وركبوهم ولحق القعقاع بالناس وانقطع الفرس عن حصنهم بعض الانقطاع والمسلمون على تعبية في يوم جمعة صدر النهار وقد عهد النعمان الى الناس عهده وأمرهم ان يلزموا الارض ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم ففعلوا واستتروا بالحجف من الرمي وأقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى أفشوا فيهم الجراح وشكا الناس وقالوا للنعمان ألا ترى ما نحن فيه فما تنتظر بهم ائذن للناس في قتالهم فقال رويدا رويدا وانتظر النعمان بالقتال احب الساعات كانت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقى العدو فيها وذلك عند الزوال فلما كان قريبا من تلك الساعة ركب فرسه وسار في الناس ووقف على كل راية يذكرهم ويحرضهم ويمنيهم الظفر وقال لهم انى مكبر ثلاثا فاذا كبرت الثالثة فانى حامل فاحملوا وان قتلت فالامير بعدى حذيفة فان قتل ففلان حتى عد سبعة آخرهم المغيرة ثم قال اللهم اعزز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان أول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك وقيل بل قال اللهم انى أسألك ان تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الاسلام واقبضني شهيدا فبكى الناس ورجع الى موقفه فكبر ثلاثا والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال وحمل النعمان والناس معه وانقضت رايته انقضاض العقاب والنعمان معلم ببياض القباء والقلنسوة فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع السامعون بوقعة كانت اشد منها وما كان يسمع الا وقع الحديد وصبر لهم المسلمون صبرا عظيما وانهزم الاعاجم وقتل منهم ما بين الزوال والاعتام ما طبق ارض المعركة دما يزلق الناس والدواب فلما اقر الله عين النعمان بالفتح استجاب له فقتل شهيدا ازلق به فرسه فصرع وقيل بل رمي بسهم في خاصرته فقتله فسجاه أخوه نعيم بثوب وأخذ الراية وناولها حذيفة فأخذها وتقدم الى موضع النعمان وترك نعيما مكانه وقال لهم المغيرة اكتموا مصاب أميركم حتى ننتظر ما يصنع الله فينا وفيهم لئلا يهن الناس فاقتتلوا فلما أظلم الليل عليهم انهزم المشركون وذهبوا ولزمهم المسلمون وعمي عليهم قصدهم فتركوه وأخذوا نحو اللهب الذى كانوا دونه فوقعوا فيه فكان الواحد منهم يقع فيقع عليه ستة بعضهم على بعض في قياد واحد فيقتلون جميعا وجعل يعقرهم حسك الحديد فمات منهم في اللهب مائة الف او يزيدون سوى من قتل في المعركة وقيل قتل في اللهب ثمانون الفا وفي المعركة ثلاثون الفا سوى من قتل في الطلب ولم يفلت الا الشريد ونجا الفيرزان من الصرعى فهرب نحو همذان فاتبعه نعيم بن مقرن وقدم القعقاع قدامه فادركه بثنية همذان وهي اذ ذاك مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلا فحبسه الدواب على أجله فلما لم يجد

ارث لنا عن جدنا معاوية بن بكر وهو أول من سكن هذا المكان عند مهلك عاد بالريح العقيم فلم يسلموا وتأهبوا للحرب واقتتلوا قتالا شديدا فغلبتهم جرهم واحتووا عليه وقطنوه ونفوا العماليق عنه وكان رئيسهم مضاض بن عمرو فرأسوا عليهم اسمعيل عليه السلام وعرفوا فضله وزوجوه امرأة من أشرافهم ذكر صاحب المختصر في أخبار البشر ان المؤرخين قسمت العرب الى ثلاثة أقسام بائدة وعاربة ومستعربة (اما البائدة) فهم العرب الاول الذين ذهبت عنا تفاصيل أخبارهم لتقادم عهدهم وهم عاد وثمود وجرهم الاولى وكانت على عهد عاد فبادوا ودرست أخبارهم واما جرهم الثانية فهم من ولد قحطان وبهم اتصل اسمعيل عليه السلام ولم يبق من العرب البائدة الا القليل (واما العرب العاربة) فهم عرب اليمن من ولد قحطان (واما العرب المستعربة) فهم ولد اسمعيل عليه السلام لان أصل لسان اسمعيل كان عبرانيا فلذلك قيل له ولولده العرب المستعربة

طريقا نزل عن دابته وصعد فى الجبل فتبعه القعقاع راجلا فادركه فقتله المسلمون على الثنية وقالوا ان لله جنودا من عسل واستاقوا العسل وما معه من الاحمال وسميت الثنية ثنية العسل ودخل المشركون همذان والمسلمون فى آثارهم فنزلوا عليها واخذوا ما حولها فلما رأى ذلك خشرشنوم استأمنهم ولما تم الظفر للمسلمين جعلوا يسألون عن أميرهم النعمان بن مقرن فقال لهم أخوه معقل هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة فاتبعوا حذيفة ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة بعد الهزيمة واحتووا ما فيها من الامتعة وغيرها وما حولها من الاسلاب والاثاث وجمعوا الى صاحب الاقباض السائب بن الاقرع وانتظروا من بنهاوند ما يأتيهم من اخوانهم الذين على همذان مع القعقاع ونعيم فأتاهم الهربذ صاحب بيت النار على أمان فابلغ حذيفة فقال اتؤمنني ومن شئت على ان أخرج لك ذخيرة لكسرى تركت عندي لنوائب الزمان قال نعم فاحضر جوهرا نفيسا فى سفطين فارسلهما مع الاخماس الى عمر وكان حذيفة قد نفل منها وأرسل الباقى مع السائب بن الاقرع الثقفى وكان كاتبا حاسبا ارسله عمر اليهم وقال له ان فتح الله عليكم فاقسم على المسلمين فيئهم وخذ الخمس وان هلك هذا الجيش فاذهب فبطن الارض خير من ظهرها قال السائب فلما فتح الله على المسلمين واحضر الفارسى السفطين اللذين أودعهما عنده النخيرجان فاذا فيهما اللؤلؤ والزبرجد والياقوت فلما فرغت من القسمة احتملتهما معى وقدمت على عمر وكان قد قدر الوقعة فبات يتململ ويخرج ويتوقع الاخبار فبينما رجل من المسلمين قد خرج فى بعض حوائجه فرجع الى المدينة ليلا فمر به راكب فسأله من أين اقبل فقال من نهاوند واخبره بالفتح وقتل النعمان فلما اصبح الرجل تحدث بهذا بعد ثلاث من الوقعة فبلغ الخبر عمر فسأله فاخبره فقال ذلك بريد الجن ثم قدم البريد بعد ذلك فاخبره بما يسره ولم يخبره بقتل النعمان قال السائب فخرج عمر من الغد يتوقع الاخبار قال فأتيته فقال ما وراءك فقلت خيرا يا أمير المؤمنين فتح الله عليك واعظم الفتح واستشهد النعمان بن مقرن فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون ثم بكى فنشج حتى بانت فروع كتفيه فوق كتده قال فلما رأيت ذلك وما لقى قلت يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده رجل يعرف وجهه فقال أولئك المستضعفون من المسلمين ولكن الذى أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وانسابهم وما يصنع أولئك بمعرفة عمر ثم أخبرته بالسفطين فقال ادخلهما بيت المال حتى ننظر فى شأنهما والحق بجندك قال ففعلت وخرجت سريعا الى الكوفة وبات عمر فلما أصبح بعث فى أثرى رسولا فما أدركنى حتى دخلت الكوفة فانخت بعيرى وأناخ بعيره على عرقوب بعيرى فقال الحق بأمير المؤمنين فقد بعثنى فى طلبك فلم أقدر عليك الا الآن قال فركبت معه فقدمت على عمر فلما رآنى قال الى ومالى وللسائب قلت ولماذا قال ويحك والله ما هو الا ان نمت الليلة التى خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبنى الى السفطين يشتعلان نارا فيقولون لنكوينك بهما فاقول انى ساقسمهما بين المسلمين فخذهما عنى فبعهما فى اعطية المسلمين وارزاقهم قال فخرجت بهما فوضعتهما فى مسجد الكوفة فابتاعهما منى عمرو بن حريث المخزومى بالفى ألف درهم ثم خرج بهما الى ارض الأعاجم فباعهما بأربعة آلاف ألف فما زال أكثر أهل الكوفة مالا وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف وسهم الراجل ألفين ولما قدم سبى نهاوند المدينة جعل ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لا يلقى منهم صغيرا الا مسح

أجمع النسابون على ان اليمن كلها من ولد قحطان وكان لقحطان من الولد أحد وثلاثون ولدا ذكورا وأمهم امرأة واحدة وكانوا نزولا ببعض بلاد الهند فلما هلكت عاد وبادت وقد بقى من عقبهم بمكة طائفة وهم عاد الاخرى هلكوا وفى الحديث انهم مسخوا نسناسا لكل نسناس منهم يد ورجل من شق واحد ينقرون كما ينقر الطائر ويرعون كما ترعى البهائم وقيل اولئك انقرضوا والموجود من النسناس خلق على حدة وليس منهم واختلاف الناس فى قحطان فحكى هشام بن الكلبى عن أبيه ان قحطان بن الهميسع بن نابت بن اسمعيل الذبيح بن ابراهيم عليه السلام وكان جرهم الثانى اخا يعرب بن قحطان فملك (يعرب) اليمن وملك أخوه (جرهم) الحجاز ثم ملك بعده ابنه (عبد ياليل بن جرهم) ثم ابنه (جرشم) فلما هلك ملك ابنه (عبد المدان بن جرشم) ثم ابنه (نفيلة بن عبد المدان) ثم ابنه (عبد المسيح بن نفيلة) ثم ابنه (مضاض بن عبد المسيح) تولى الملك مائة سنة ثم ابنه

رأسه وبكى وقال له أكل عمر كبده وكان من نهاوند فأسرته الروم واسره المسلمون من الروم فنسب الى حيث سبى وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند فتح الفتوح لانه لم يكن للفرس بعده اجتماع وملك المسلمون البلاد

﴿ ذكر فتح الدينور والصيمرة وغيرهما ﴾

لما انصرف أبو موسى من نهاوند وكان قد جاء مددا على بعث أهل البصرة فمر بالدينور فأقام عليها خمسة أيام وصالحه أهلها على الجزية ومضى فصالحه أهل شيروان على مثل صلحهم وبعث السائب بن الاقرع الثقفي الى الصيمرة مدينة مهرجانقذف ففتحها صلحا وقيل انه وجه السائب من الاهواز ففتح ولاية مهرجانقذف

﴿ ذكر فتح همذان والماهين وغيرهما ﴾

لما انهزم المشركون دخل من سلم منهم همذان وحاصرهم نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو فلما رأى ذلك خشرشنوم استأمنهم وقبل منهم الجزية على ان يضمن منهم همذان ودستبى وأن لا يؤتى المسلمون منهم فاجابوه الى ذلك وامنوه ومن معه من الفرس واقبل كل من كان هرب وبلغ الخبر الماهين بفتح همذان وملكها ونزول نعيم والقعقاع بها فاقتدوا بخشرشنوم فراسلوا حذيفة فأجابهم الى ماطلبوا واجمعوا على القبول واجمعوا على اتيان حذيفة فخدعهم دينار وهو أحد أولئك الملوك وكان اشرفهم قارن وقال لا تلقوهم فى جمالكم ففعلوا وخالفهم فأتاهم فى الديباج والحلى فأعطاهم حاجتهم واحتمل المسلمون ما أرادوا وعاقدوه عليهم ولم يجد الآخرون بدا من متابعته والدخول فى أمره فقيل ماه دينار لذلك وكان النعمان بن مقرن قد عاقد بهزاذان على مثل ذلك فنسب الى بهزاذان وكان قد وكل النسير بن ثور بقلعة قد لجأ اليها قوم فجاهدهم فافتتحها فنسبت الى النسير وهو تصغير نسر قيل دخل دينار الكوفة أيام معاوية فقال يا أهل الكوفة انكم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس فبقيتم كذلك زمن عمر وعثمان ثم تغيرتم وفشت فيكم خصال أربع بخل وخب وغدر وضيق ولم يكن فيكم واحدة منهن وقد رمقتكم فرأيت ذلك فى مولدتكم فعلمت من اين أتيتم فاذا الخب من قبل النبط والبخل من قبل فارس والغدر من قبل خراسان والضيق من قبل الاهواز

﴿ ذكر دخول المسلمين بلاد الاعاجم ﴾

وفيها امر عمر المسلمين بالانسياح فى بلاد العجم وطلب الفرس اين كانوا وقيل كان ذلك سنة ثمان عشرة وقد تقدم ذكره وسبب ذلك ما كان من يزدجرد وبعثه الجنود مرة بعد أخرى فوجه الامراء من أهل البصرة وأهل الكوفة بعد فتح نهاوند وكان بين عمل سعد وعمل عمار اميران أحدهما عبد الله بن عبد الله بن عتبان وفى زمانه كانت وقعة نهاوند والآخر زياد بن حنظلة حليف بنى عبد بن قصى وفى زمانه امر بالانسياح وعزل عبد الله وبعث فى وجه آخر وولى زياد وكان من المهاجرين فعمل قليلا والح فى الاستعفاء فاعفاه عمر وولى عمار بن ياسر وكتب معه الى أهل الكوفة انى بعثت عمارا أميرا وجعلت معه ابن مسعود معلما وكان ابن مسعود بحمص فسيره عمر الى الكوفة وأمد أهل البصرة بعبد الله بن عبد الله وأمد أهل الكوفة بأبى موسى وكان أهل همذان قد كفروا بعد الصلح فبعث عمر لواء الى نعيم بن مقرن وأمره بقصد همذان

(عمرو بن مضاض) ثم تولى اخوه (الحرث بن مضاض) مائتى سنة ثم ابنه (عمرو بن الحرث) مائة وعشرين سنة ثم أخوه (بشر بن الحرث) تولى الملك مدة ثم (مضاض الاصغر) مدة أربعين سنة وجرهم المذكورون هم الذين اتصل بهم اسمعيل عليه السلام ونزلوا عنده بمكة وتزوج منهم اسمعيل عليه السلام ولما بغت جرهم فى الحرم وطغت بعث الله عليهم الرعاف والنمل وغير ذلك من الآفات فهلك كثير منهم وكثر ولد اسمعيل وصار واذا قوة ومنعة فغلبوا على اخوالهم جرهم فاخرجوهم من مكة فلحقوا ببلاد جهينة فأتاهم فى بعض الليالى السيل فذهب بأجمعهم وفى خروجهم من مكة يقول عمرو بن الحرث فى قصيدته التى منها

وكنا ولاة البيت من عهد نابت
نطوف بذاك البيت والامر ظاهر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
انيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فابادنا
صروف الليالى والجدود العواثر

وبانقراض جرهم انقرضت العرب العاربة ولم يبق من

فاذا افتتحها سار الى ما وراء ذلك الى خراسان وبعث عتبة بن فرقد وبكير بن عبد الله الى اذربيجان يدخل أحدهما من حلوان والآخر من الموصل وبعث عبد الله بن عبد الله الى أصبهان وامّر عمر سراقة على البصرة

﴿ ذكر فتح أصبهان ﴾

وفيها بعث عمر اليها عبد الله بن عبد الله بن عتبان وكان شجاعا من أشراف الصحابة ومن وجوه الانصار حليفا لبنى الحبلى وأمده بابى موسى وجعل على مجنبتيه عبد الله بن ورقاء الرياحى وعصمة بن عبد الله فساروا الى نهاوند ورجع حذيفة الى عمله على ماسقت دجلة وما وراءها وسار عبد الله فيمن كان معه ومن تبعه من جند النعمان بنهاوند نحو أصبهان وعلى جندها الاسبيذان وعلى مقدمته شهريار بن جاذويه شيخ كبير فى جمع عظيم ومقدمة المشركين برستاق لاصبهان فاقتتلوا قتالا شديدا ودعا الشيخ الى البراز فبرزله عبد الله بن ورقاء الرياحى فقتله وانهزم أهل أصبهان فسمى ذلك الرستاق رستاق الشيخ الى اليوم وصالحهم الاسبيذان على رستاق الشيخ وهو أول رستاق أخذ من أصبهان ثم سار عبد الله الى مدينة جى وهى مدينة أصبهان فانتهى اليها والملك بأصبهان الفاذوسفان فنزل بالناس على جى وحاصرها وقاتلها ثم صالحه الفاذوسفان على أصبهان وان على من أقام الجزية واقام على ماله وان يجرى من أخذت أرضه عنوة مجراهم ومن أبى وذهب كان لكم أرضه وقدم أبو موسى على عبد الله من ناحية الاهواز وقد صالح فخرج القوم من جى ودخلوا فى الذمة الا ثلاثين رجلا من أهل أصبهان لحقوا بكرمان ودخل عبد الله وأبو موسى جيا وكتب بذلك الى عمر فقدم كتاب عمر الى عبد الله أن سر حتى تقدم على سهيل بن عدى فتكون معه على قتال من بكرمان فسار واستخلف على اصبهان السائب بن الاقرع ولحق بسهيل قبل ان يصل الى كرمان قيل وقد روى عن معقل بن يسار ان الامير كان على الجند الذين فتحوا أصبهان النعمان بن مقرن وان عمر ارسله من المدينة الى اصبهان وكتب الى أهل الكوفة ان يمدوه فسار الى اصبهان وبها ملكها ذو الحاجبين فأرسل اليه المغيرة بن شعبة وعاد من عنده فقاتلهم وقتل النعمان ووقع ذو الحاجبين عن دابته فانشقت بطنه وانهزم أصحابه قال معقل فأتيت النعمان وهو صريع فجعلت عليه علما فلما انهزم المشركون أتيته ومعى اداوة فيها ماء فغسلت عن وجهه التراب فقال مافعل الناس فقلت فتح الله عليهم قال الحمد لله ومات هكذا فى هذه الرواية والصحيح ان النعمان قتل بنهاوند وافتتح أبو موسى قم وقاشان

﴿ ذكر ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة ﴾

وفيها ولى عمر عمار بن ياسر على الكوفة وابن مسعود على بيت المال فشكا أهل الكوفة عمارا فاستعفى عمار عمر بن الخطاب فولى عمر جبير بن مطعم الكوفة وقال له لاتذكره لاحد فسمع المغيرة بن شعبة ان عمر خلا بجبير فأرسل امرأته الى امرأة جبير بن مطعم لتعرض عليها طعام السفر ففعلت فقالت نعم ماحييتنى به فلما علم المغيرة جاء الى عمر فقال له بارك الله لك فيمن وليت واخبره الخبر فعزله وولى المغيرة بن شعبة الكوفة فلم يزل عليها حتى مات عمر وقيل ان عمارا عزل سنة اثنتين وعشرين وولى بعده ابو موسى وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

قبل

العرب الا من كان من عدنان وقحطان

﴿ الباب الرابع عشر فى ذكر دولة الحسنية والدوحة الزكية الهاشمية بمكة المشرفة والمدينة المنورة ﴾

ذكر القلقشندى فى نهاية الارب فى معرفة قبائل العرب ان المهدى بن محمد ابن عبد الله الكامل بويع له بالخلافة بمكة فى آخر الدولة الاموية ثم ظهر بالحجاز بنو الاخيضر فى سنة احدى وخمسين ومائتين فاستمرت بأيديهم الى ان غلب عليهم القرامطة سنة سبع عشرة وثلثمائة وفى عمدة الطالب ان يوسف الاخيضر بن ابراهيم بن موسى الجون اعقب ثلاثة أولاد منهم (اسمعيل بن يوسف) ظهر بالحجاز وتسمى بالسفاك سنة احدى وخمسين ومائتين ثم قصد مكة وغلب عليها أيام المستعين وغور العيون واعترض الحاج فقتل منهم جمعا كثيرا ونهبهم ثم مات على فراشه فجأة فى ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين ومائتين ولا عقب له ثم قام أخوه (محمد بن يوسف) بعد وفاته وسار فى سيرته فى السفك والنهب فارسل المعتز السفاح الاشترفى بعسكر ضخم فهرب منه محمد

قيل وفيها بعث عمرو بن العاص عقبة بن نافع الفهري فافتتح زويلة صلحا وما بين برقة وزويلة سلم للمسلمين وقيل سنة عشرين كان الامراء في هذه السنة عمير بن سعد على دمشق وحوران وحمص وقنسرين والجزيرة ومعاوية على البلقاء والاردن وفلسطين والسواحل وانطاكية وقلقية ومعرة مصرين وعند ذلك صالح ابو هاشم بن عتبة بن ربيعة على قلقية وانطاكية ومعرة مصرين وفيها ولد الحسن البصري والشعبي وحج بالناس عمر بن الخطاب واستخلف على المدينة زيد بن ثابت وكان عامله على مكة والطائف واليمن واليمامة ومصر والبصرة من كان قبل ذلك وكان على الكوفة عمار بن ياسر وشريح على القضاء وفيها بعث عثمان بن أبي العاص بعثا الى ساحل فارس فحاربوهم ومعهم الجارود العبدي فقتل الجارود بعقبة تعرف بعقبة الجارود وقيل بل قتل بنهاوند مع النعمان وفيها مات حممة وهو من الصحابة بأصبهان بعد فتحها وا العلاء ابن الحضرمي وهو على البحرين فاستعمل عمر مكانه أبا هريرة وفيها مات خالد بن الوليد بحمص وأوصى الى عمر بن الخطاب وقيل مات سنة ثلاث وعشرين وقيل مات بالمدينة والاول اصح

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين﴾

في هذه السنة افتتحت اذربيجان وقيل سنة ثمان عشرة بعد فتح همذان والري وجرجان فنبدأ بذكر فتح هذه البلاد ثم نذكر اذربيجان بعدها

(ذكر فتح همذان ثانيا)

قد تقدم مسير نعيم بن مقرن الى همذان وفتحها على يده ويد القعقاع بن عمرو فلما رجعا عنها كفر أهلها مع خسرشنوم فلما قدم عهد نعيم من عند عمر ودع حذيفة وسار يريد همذان وعاد حذيفة الى الكوفة فخرج نعيم بن مقرن على تعبية الى همذان فاستولى على بلادها جميعا وحاصرها فلما رأى أهلها ذلك سألوا الصلح ففعل وقبل منهم الجزية وقد قيل ان فتحها كان سنة أربع وعشرين بعد مقتل عمر بستة أشهر فبينا نعيم بهمذان في اثني عشر ألفا من الجند كاتب الديلم وأهل الري اذربيجان اذ خرج موتا في الديلم حتى نزل بواج روذ وأقبل الزينبي أبو الفرخان في أهل الري وأقبل اسفنديار أخو رستم في أهل اذربيجان فاجتمعوا وتحصن منهم أمراء المسالح وبعثوا الى نعيم بالخبر فاستخلف يزيد بن قيس الهمداني وخرج اليهم فاقتتلوا بواج روذ قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند فانهزم الفرس هزيمة قبيحة وقتل منهم مقتلة كبيرة لا يحصون فأرسلوا الى عمر مبشرا فأمر عمر نعيما بقصد الري وقتال من بها والمقام بها بعد فتحها وقيل ان المغيرة بن شعبة وهو عامل على الكوفة أرسل جرير بن عبد الله الى همذان فقاتله أهلها وأصيبت عينه بسهم فقال احتسبتها عند الله الذي زين بها وجهي ونور لي ما شاء ثم سلبنيها في سبيله ثم فتحها على مثل صلح نهاوند وغلب على أرضها قسرا وقيل كان فتحها على يد المغيرة بنفسه وكان جرير على مقدمته وقيل فتحها قرظة بن كعب الانصاري

(ذكر فتح قزوين وزنجان)

لما سير المغيرة جريرا الى همذان ففتحها سير البراء بن عازب في جيش الى قزوين وأمره أن يسير اليها فان فتحها غزا الديلم منها وانما كان مغزاهم قبل من دستبى فسار البراء حتى أتى أبهر وهو حصن فقاتلوه ثم طلبوا الامان فآمنهم وصالحهم ثم غزا قزوين فلما بلغ أهلها الخبر أرسلوا الى

وسار الى اليمامة فملكها وملك أولاده بعده فيقال لهم الاخيضريون وبنو يوسف أيضا وتولى الامرة بعده (محمد بن الحسن بن يوسف) ثم ولده (أبو جعفر أحمد بن الحسن) ثم تولى بعده ولده (أبو عبد الله محمد ابن أحمد) ولم تزل بيده الى أن غلب عليها القرامطة وتولى أيضا (صالح بن اسمعيل بن يوسف) ثم استقل بملك مكة بعد نواب بني العباس بنو سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط وملك بعض من هؤلاء معها المدينة وجمعوا الحرمين ثم انقرض الملك منهم لان آخرهم شكر لم يعقب وغلب عليها بنو هاشم وكانت وفاة شكر في سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وله شعر حسن منه

قوض خيامك عن أرض تضام بها
وجانب الذل ان الذل يجتنب

وارحل اذا كان في الاوطان منقصة
فالمندل الرطب في أوطانه حطب

ثم استقل بملك مكة الهواشم وأول من ملك منهم (أبو هاشم محمد) العلوي الحسني ثم توفي محمد المذكور سنة

الديلم يطلبون النصرة فوعدوهم ووصل المسلمون اليهم فخرجوا لقتالهم والديلم وقوف على الجبل لا يعدون يدا فلما رأى أهل قزوين ذلك طلبوا الصلح على صلح أبهر وقال بعض المسلمين

قد علم الديلم اذ تحارب * حين أتى في جيشه ابن عازب
بأن ظن المشركين كاذب * فكم قطعنا في دجى الغياهب
من جبل وعر ومن سباسب

وغزا البراء الديلم حتى أدوا اليه الاتاوة وغزا جيلان والطيلسان وفتح زنجان عنوة ولما ولي الوليد بن عقبة الكوفة غزا الديلم وجيلان وموقان والببر والطيلسان ثم انصرف

(ذكر فتح الري)

ثم انصرف نعيم من واج روذ حتى قدم الري وخرج الزينبي أبو الفرخان من الري فلقي نعيما طالبا الصلح ومسالما ومخالفا لملك الري وهو سياوخش بن مهران بن بهرام جوبين فاستمد سياوخش أهل دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان فامدوه خوفا من المسلمين فالتقوا مع المسلمين في سفح جبل الري الى جنب مدينتها فاقتتلوا به وكان الزينبي قال لنعيم ان القوم كثير وأنت في قلة فابعث معي خيلا ادخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به وناهدهم أنت فانهم اذا خرجنا عليهم لم يثبتوا لك فبعث معه نعيم خيلا من الليل عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو فأدخلهم الزينبي المدينة ولا يشعر القوم وبيتهم نعيم بياتا فشغلهم عن مدينتهم فاقتتلوا وصبروا له حتى سمعوا التكبير من ورائهم فانهزموا فقتلوا مقتلة عدوا بالقصب فيها وأفاء الله على المسلمين بالري نحوا مما في المدائن وصالحه الزينبي على الري ومرزبه عليهم نعيم فلم يزل شرف الري في أهل الزينبي وأخرب نعيم مدينتهم وهي التي تقال العتيقة وأمر الزينبي فبنى مدينة الري الحدثى وكتب نعيم الى عمر بالفتح وأنفذ الاخماس وكان البشير المضارب العجلي وراسله المصمغان في الصلح على شئ يفتدي به منه على دنباوند فأجابه الى ذلك وقد قيل ان فتح الري كان على يد قرظة بن كعب وقيل كان فتحها سنة احدى وعشرين وقيل غير ذلك والله أعلم

(ذكر فتح قومس وجرجان وطبرستان)

لما ارسل نعيم الى عمر بالبشارة وأخماس الري كتب اليه عمر يأمره بارسال أخيه سويد بن مقرن ومعه هند بن عمرو الجملي وغيره الى قومس فسار سويد نحو قومس فلم يقم له أحد فأخذها سلما وعسكر بها وكاتبه الذين لجأوا الى طبرستان منهم والذين أخذوا المفاوز فأجابهم الى الصلح والجزية وكتب لهم بذلك ثم سار سويد الى جرجان فعسكر بها ببسطام وكتب الى ملك جرجان وهو زرنان صول وكاتبه زرنان صول وصالحه على جرجان على الجزية وكفاية حرب جرجان وان يعينه سويد ان غلب فأجابه سويد الى ذلك وتلقاه زرنان صول قبل دخوله جرجان فدخل معه وعسكر بها حتى جبى الخراج وسمى فروجها فسدها بترك دهستان ورفع الجزية عمن قام بمنعها وأخذها من الباقين وقيل كان فتحها سنة ثمان عشرة وقيل سنة ثلاثين زمن عثمان قيل وراسل الاصبهبذ صاحب طبرستان سويدا في الصلح على أن يتوادعا ويجعل له شيأ على غير نصر ولا معونة على أحد فقبل ذلك منه وكتب له كتابا

(ذكر فتح طرابلس الغرب وبرقة)

سبع وثمانين وأربعمائة عن نيف وتسعين سنة وملك بعده ابنه (قاسم بن أبي هاشم محمد) وتوفي في سنة سبع عشرة وخمسمائة وولي بعده ابنه (فليتة بن قاسم) وتوفي في سنة سبع وعشرين وخمسمائة وولي مكانه ابنه (قاسم بن فليتة) فلما قرب الحاج من مكة أحس بالشر فصادر المجاورين وأعيان مكة وأخذ أموالهم وهرب الى البرية فلما وصل الحاج الى مكة رتب أمير الحاج مكانه عمه (عيسى بن قاسم ابن أبي هاشم) فبقي الى شهر رمضان ثم ان قاسما المذكور جمع العرب وقصد عمه عيسى فلما قارب مكة رحل عنها عيسى وعاد قاسم فملكها ولم يكن معه ما يرضي به العرب فكاتبوا عمه عيسى وصاروا معه فقدم عيسى اليهم فهرب قاسم وصعد الى جبل أبي قبيس فسقط عن فرسه فأخذه أصحاب عمه فقتلوه ودفن بالمعلاة عند أبيه واستقرت امرة مكة لعيسى ثم توفي عيسى وولي مكانه ابنه (داود بن عيسى) وفي سنة سبع وثمانين وخمسمائة أخذ داود المذكور أموال الكعبة حتى انتزع طوقا من فضة كان على دائرة

في هذه السنة سار عمرو بن العاص من مصر الى برقة فصالحه أهلها على الجزية وان يبيعوا من أبنائهم من أرادوا بيعه فلما فرغ من برقة سار الى طرابلس الغرب فحاصرها شهرا فلم يظفر بها وكان قد نزل شرقيها فخرج رجل من بني مدلج يتصيد في سبعة نفر وسلكوا غرب المدينة فلما رجعوا اشتد عليهم الحر فأخذوا على جانب البحر ولم يكن السور متصلا بالبحر وكانت سفن الروم في مرساها مقابل بيوتهم فرأى المدلجي وأصحابه مسلكا بين البحر والبلد فدخلوا منه وكبروا فلم يكن للروم ملجأ الاسفنهم لانهم ظنوا ان المسلمين قد دخلوا البلد ونظر عمرو ومن معه فرأى السيوف في المدينة وسمعوا الصياح فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد فلم يفلت الروم الا بما خف معهم في مراكبهم وكان أهل حصن سبرة قد تحصنوا لما نزل عمرو على طرابلس فلما امتنعوا عليه بطرابلس امنوا واطمأنوا فلما فتحت طرابلس جند عمرو عسكرا كثيفا وسيره الى سبرة فصبحوها وقد فتح أهلها الباب وأخرجوا مواشيهم لتسرح لانهم لم يكن بلغهم خبر طرابلس فوقع المسلمون عليهم ودخلوا البلد مكابرة وغنموا ما فيه وعادوا الى عمرو ثم سار عمرو بن العاص الى برقة وبها لواتة وهم من البربر وكان سبب مسير البربر اليها والى غيرها من الغرب انهم كانوا بنواحي فلسطين من الشام وكان ملكهم جالوت فلما قتل سارت البرابر وطلبوا الغرب حتى اذا انتهوا الى لوبية ومراقية وهما كورتان من كور مصر الغربية تفرقوا فسارت زناتة ومغيلة وهما قبيلتان من البربر الى الغرب فسكنوا الجبال وسكنت لواتة أرض برقة وتعرف قديما بانطابلس وانتشروا فيها حتى بلغوا السوس ونزلت هوارة مدينة لبدة ونزلت نفوسة الى مدينة سبرة وجلا من كان بها من الروم لذلك وقام الافارق وهم خدم الروم على صلح يؤدونه الى من غلب على بلادهم وسار عمرو بن العاص كما ذكرنا فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها جزية وشرطوا ان يبيعوا من أرادوا من أولادهم في جزيتهم

﴿ ذكر فتح اذربيجان ﴾

قال فلما افتتح نعيم الري بعث سماك بن خرشة الانصاري وليس بأبي دجانة مددا لبكير بن عبد الله باذربيجان أمره عمر بذلك فسار سماك نحو بكير وكان بكير حين بعث اليها سار حتى اذا طلع بجبال جرميذان طلع عليهم اسفنديار بن فرخزاد مهزوما من واج روذ فكان أول قتال لقيه باذربيجان فاقتتلوا فهزم الفرس وأخذ بكير اسفنديار أسيرا فقال له اسفنديار الصلح احب اليك أم الحرب قال بل الصلح قال امسكني عندك فان أهل اذربيجان ان لم أصالح عليهم أو أجيء اليهم لم يقوموا لك وجلوا الى الجبال التي حولها ومن كان على التحصن تحصن الى يوم ما فامسكه عنده وصارت البلاد اليه الا ما كان من حصن وقدم عليه سماك بن خرشة مددا واسفنديار في اساره وقد افتتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه وكتب بكير الى عمر يستأذنه في التقدم فأذن له أن يتقدم نحو الباب وان يستخلف على ما افتتحه فاستخلف عليه عتبة بن فرقد فأقر عتبة سماك بن خرشة على عمل بكير الذي كان افتتحه وجمع عمر اذربيجان كلها لعتبة بن فرقد وكان بهرام بن فرخزاد قصد طريق عتبة وأقام به في عسكره حتى قدم عليه عتبة فاقتتلوا فانهزم بهرام فلما بلغ خبره اسفنديار وهو في الاسر عند بكير قال الآن تم الصلح وطفئت الحرب فصالحه وأجاب الى ذلك أهل اذربيجان كلهم وعادت اذربيجان سلما وكتب بذلك بكير وعتبة الى عمر وبعثا بما خمسا ولما جمع

الحجر الاسود وكان ذلك قد لم شعثه حين ضرب به القرمطي بالدبوس وكان اخوه مكثر قد بنى على جبل ابي قبيس قلعة تحصن بها عند انهزامه من اخيه داود فلما بلغ صاحب مصر خبر داود عزله وولى مكانه اخاه (مكثرا) وامر بنقض القلعة التي على جبل ابي قبيس ومازالت امارة مكة له تارة ولاخيه مكثر تارة ثم غلب على الملك بنو قتادة الذين منهم امراء مكة والمدينة المنورة وينبع الآن وهؤلاء غير الثعالبة التي بالينبع فانهم بنو صرحة بن ادريس وكان من امر قتادة ان قتادة بن ادريس كان شيخا طويلا مهيبا جليلا شهما شجاعا وكانت له قلعة الينبع فلما رأى ضعف الهواشم غلب عليهم واقتلع مكة من يد مكثر المذكور وهو آخر امراء الهواشم بمكة في سنة تسع وتسعين وخمسمائة واستكثر جنده وخافته العرب في تلك البلاد خوفا عظيما وكانت ولايته قد اتسعت من حدود اليمن الى المدينة المنورة وكان قتادة لا يخاف من احد من الخلفاء والملوك ويرى انه احق بالامر منهم وكتب اليه الناصر لدين

عمر امتنبه عمل بكير كتب لاهل اذربيجان كتابا بالصلح وفيها قدم عتبة على عمر بالخبيص الذى كان أهدى له وكان عمر يأخذ عماله بموافاة الموسم كل سنة يمنعهم بذلك عن الظلم

﴿ذكر فتح الباب﴾

فى هذه السنة كان فتح الباب وكان عمر رد أبا موسى الى البصرة وبعث سراقة بن عمرو وكان يدعى ذا النور الى الباب وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة وكان أيضا يدعى ذا النور وجعل على احدى مجنبتيه حذيفة بن أسيد الغفارى وعلى الاخرى بكير بن عبد الله الليثى وكان بكير سبقه الى الباب وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة الباهلى فسار سراقة فلما خرج من اذربيجان قدم بكير الى الباب وكان عمر قد أمد سراقة بحبيب بن مسلمة من الجزيرة وجعل مكانه زياد بن حنظلة ولما أطل عبد الرحمن بن ربيعة على الباب والملك بها يومئذ شهريار وهو من ولد شهريار الذى أفسد بنى اسرائيل وأغزى الشأم بهم فكاتبه شهريار واستأمنه على أن يأتيه ففعل فأتاه فقال انى بازاء عدو كلب وأمم مختلفة ليست لهم احساب ولا ينبغى لذى الحسب والعقل ان يعينهم على ذى الحسب ولست من القبح ولا الارمن فى شئ وانكم قد غلبتم على بلادى وأمتى فأنا منكم ويدى مع أيديكم وجزيتى اليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون فلا تسومونا الجزية فتوهنونا بعدوكم قال فسيره عبد الرحمن الى سراقة فلقيه بمثل ذلك فقبل منه سراقة ذلك وقال لا بد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو فأجابه الى ذلك وكتب سراقة فى ذلك الى عمر فأجازه عمر واستحسنه

﴿ذكر فتح موقان﴾

لما فرغ سراقة من الباب أرسل بكير بن عبد الله وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن أسيد وسلمان بن ربيعة الى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية فوجه بكيرا الى موقان وحبيبا الى تفليس وحذيفة الى جبال اللان وسلمان الى الوجه الآخر وكتب سراقة بالفتح الى عمر وبارسال هؤلاء النفر الى الجهات المذكورة فأتى عمر أمر لم يظن أن يستتم له بغير مؤنة لانه فرج عظيم وجند عظيم فلما استوسقوا واستحلوا الاسلام وعدله مات سراقة واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة ولم يفتح أحد من أولئك القواد الا بكير فانه فض أهل موقان ثم تراجعوا على الجزية عن كل حالم دينار وكان فتحها سنة احدى وعشرين ولما بلغ عمر موت سراقة واستخلافه عبد الرحمن بن ربيعة أقر عبد الرحمن على فرج الباب وأمره بغزو الترك (أسيد فى هذه التراجم بفتح الهمزة وكسر السين والنور فى الموضعين بالراء)

﴿ذكر غزو الترك﴾

لما أمر عمر عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك خرج بالناس حتى قطع الباب فقال له شهريار ما تريد ان تصنع قال أريد غزو بلنجر والترك قال انا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب قال عبد الرحمن لكنا لا نرضى حتى نغزوهم فى ديارهم وبالله ان معنا أقواما لو يأذن لهم أميرنا فى الامعان لبلغت بهم الروم قال وما هم قال أقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا فى هذا الامر بنية ولا يزال هذا الامر لهم دائما ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم فغزا بلنجر غزاة فى زمن عمر فقالوا ما اجترأ علينا الا ومعه الملائكة تمنعهم من

الله صاحب مصر كتابا يستدعيه فكتب اليه هذه الابيات

ولى كف ضرغام اصول ببطشها
وأشرى بها ارق الورى وابيع
وكل ملوك الارض يلثم ظهرها
وفى وسطها للمجد بحر ربيع
أأجعلها تحت الرحا ثم ابتغى
خلاصا لها انى اذا لرقيع
وما انا الا المسك فى كل بقعة
يضوع واما عندكم فيضيع

وكان عادلا منصفا ذا نعمة ثم عكس هذا الامر فى آخر عمره واحدث المكوس ونهب الحاج غير مرة فقتله ابنه الحسن وكان له من العمر نحو تسعين سنة فلما استقر الملك (للحسن) المذكور ارسل الى اخيه الذى بقلعة ينبع على لسان ابيه يستدعيه فلما حضر اخوه عنده قتله ايضا وارتكب امرا عظيما بقتل ابيه وعمه واخيه فلا جرم ان الله تعالى سلب ملكه ولم يمهله وكان لقتادة ابن آخر يقال له راجح وكان مقيما عند العرب بظاهر مكة ينازع اخاه الحسن فى امرة مكة فلما قدم الملك مسعود بن قيس مكة فى رابع ربيع الاول سنة ست وعشرين وستمائة لقيه حسن بن قتادة فى

الموت فهربوا منه وتحصنوا فرجع بالغنيمة والظفر وقد بلغت خيله البيضاء على رأس مائتى فرسخ من بلنجر وعادوا ولم يقتل منهم أحد ثم غزاهم أيام عثمان بن عفان غزوات فظفر كما كان يظفر حتى تبدل أهل الكوفة لاستعمال عثمان من كان ارتد استصلاحا لهم فزادهم فسادا فغزا عبد الرحمن بن ربيعة بعد ذلك فتذامرت الترك واجتمعوا في الغياض فرمى رجل منهم رجلا من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه أصحابه فخرجوا عليه عند ذلك فاقتتلوا واشتد قتالهم ونادى مناد من الجو صبرا عبد الرحمن وموعدكم الجنة فقاتل عبد الرحمن حتى قتل وانكشف أصحابه وأخذ الراية سلمان بن ربيعة أخوه فقاتل بها ونادى مناد من الجو صبرا آل سلمان فقال سلمان أوترى جزعا وخرج سلمان بالناس معه أبو هريرة الدوسي على جيلان فقطعوها الى جرجان ولم يمنعهم ذلك من اجتماع جسد عبد الرحمن فهم يستسقون به الى الآن

﴿ذكر تعديل الفتوح بين أهل الكوفة والبصرة﴾

في هذه السنة عدل عمر فتوح أهل الكوفة والبصرة بينهم وسبب ذلك ان عمر بن سراقة كتب الى عمر بن الخطاب يذكر له كثرة أهل البصرة وعجز خراجهم عنهم وسأله ان يزيدهم أحد الماهين أو ماسبذان وبلغ أهل الكوفة ذلك وقالوا لعمار بن ياسر وكان على الكوفة أميرا سنة وبعض أخرى اكتب الى عمر ان رامهرمز وايذج لنا دونهم لم يعينونا عليهما ولم يلحقونا حتى افتتحناهما فلم يفعل عمار فقال له عطارد أيها العبد الأجدع فعلام ندع فيئنا فقال لقد سببت أحب أذني الى فأبغضوه لذلك واختصم أهل الكوفة وأهل البصرة وادعى أهل البصرة قرى افتتحها أبو موسى دون أصبهان أيام أمده به عمر بن الخطاب أهل الكوفة فقال لهم أهل الكوفة أتيتمونا مددا وقد افتتحنا البلاد فآسيناكم في المغانم والذمة ذمتنا والأرض أرضنا فقال عمر صدقوا فقال أهل الأيام والقادسية ممن سكن البصرة فليعطونا نصيبنا مما نحن شركاؤكم فيه من سوادهم وحواشيهم فأعطاهم عمر مائة دينار برضا أهل الكوفة أخذها من شهد الأيام والقادسية ولما ولي معاوية وكان هو الذي جند قنسرين ممن أتاه من أهل العراقين أيام علي وانما كان قنسرين رستاقا من رساتيق حمص فأخذ لهم معاوية حين ولي بنصيبهم من فتوح العراق وأذربيجان والموصل والباب لانه من فتوح أهل الكوفة وكان أهل الجزيرة والموصل يومئذ ناقلة انتقل اليها كل من نزل بهجرته من أهل البلدين أيام علي فأعطاهم معاوية من ذلك نصيبا وكفر أهل ارمينية أيام معاوية وقد أمر حبيب بن مسلمة على الباب وحبيب يومئذ بجرزان وكاتب أهل تفليس وتلك الجبال من جرزان فاستجابوا له

﴿ذكر عزل عمار بن ياسر عن الكوفة وولاية أبي موسى والمغيرة بن شعبة﴾

وفيها عزل عمر بن الخطاب عمار بن ياسر عن الكوفة واستعمل أبا موسى وسبب ذلك ان أهل الكوفة شكوه وقالوا له انه لا يحتمل ما هو فيه وانه ليس بأمين وبرأبه أهل الكوفة فدعاه عمر فخرج معه وفد فكانوا أشد عليه ممن تخلف عنه وقالوا انه غير كاف وعالم بالسياسة ولا يدري على ما استعملته وكان منهم سعد بن مسعود الثقفي عم المختار وجرير بن عبد الله فسعيا به فعزله عمر وقال عمر لعمار أساءك العزل قال ما سرني حين استعملت ولقد ساءني حين عزلت فقال له قد علمت ما أنت بصاحب عمل ولكني تأولت ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض

المسعى وقاتله ببطن مكة فانهزم الحسن وملك (المعواد) مكة واستولى عليها وذاق الحسن وبال امره بقتل ابيه وعمه واخيه وولى (اقسيس) بمكة والياه قبله وعاد الى اليمن ومضى الحسن الى دمشق فلم يربها وجها ثم مضى الى بغداد فلم ير بها ايضا قبولا بل أرادوا قتله ولم تزل مكة في ولاية اقسيس حتى مات سنة ست وعشرين وستمائة ولما تغلب على اليمن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول جهز العساكر الى مكة المكرمة ووليها (الشريف راجح بن قتادة) واستمر اميرا الى عام سبع وأربعين وستمائة فولى امرة مكة المشرفة (ابو سعد حسن بن علي بن قتادة) واستمر أبو سعد المذكور فى ذلك الى ان قتل فى شوال سنة احدى وخمسين وستمائة قتله جماعة واستقر فى الامرة (جماز بن حسن بن قتادة) ثم عاد اليه راجح بن قتادة ثم أخذها من راجح ولده (غانم ابن راجح) ولم تزل مكة مع غانم بن راجح حتى اخذها منه (ادريس بن حسن بن قتادة) وأبو نمي محمد بن حسن ابن علي بن قتادة) في الخامس والعشرين من شوال عام

وبجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ثم اقبل عمر على اهل الكوفة فقال من تريدون قالوا ابا موسى فأمره عليهم بعد عمار فأقام عليهم سنة فباع غلامه العلف فشكاه الوليد بن عبد شمس وجماعة معه وقالوا ان غلامه يتجر في جسرنا فعزله عنهم وصرفه الى البصرة وصرف عمر بن سراقة الى الجزيرة وخلا عمر في ناحية المسجد فنام فأتاه المغيرة بن شعبة فحرسه حتى استيقظ فقال ما فعلت هذا يا أمير المؤمنين الامن عظيم فقال وأي شيء اعظم من مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير وأحيطت الكوفة على مائة ألف مقاتل وأتاه اصحابه فقالوا ما شأنك فقال ان اهل الكوفة قد عضلوني واستشارهم فيمن يوليه وقال ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوي مسدد فقال المغيرة أما الضعيف المسلم فان اسلامه لنفسه وضعفه عليك وأما القوي المسدد فان سداده لنفسه وقوته للمسلمين فولى المغيرة الكوفة فبقي عليها حتى مات عمر وذلك نحو سنتين وزيادة وقال له حين بعثه يا مغيرة ليأمنك الابرار وليخفك الفجار ثم أراد عمر ان يبعث سعدا على عمل المغيرة فقتل عمر قبل ذلك فأوصى به

(ذكر فتح خراسان)

وفي هذه السنة غزا الاحنف بن قيس خراسان في قول بعضهم وقيل سنة ثمان عشرة وسبب ذلك ان يزدجرد لما سار الى الري بعد هزيمة اهل جلولاء وانتهى اليها وعليها ابان جاذويه وثب عليه فأخذه فقال يزدجرد يا ابان تغدرني قال لا ولكن قد تركت ملكك فصار في يد غيرك فاحببت ان أكتتب على ما كان لي من شيء وأخذ خاتم يزدجرد واكتتب الصكاك بكل ما اعجبه ثم ختم عليها ورد الخاتم ثم أتى بعد سعدا فرد عليه كل شيء في كتابه وسار يزدجرد من الري الى اصبهان ثم منها الى كرمان والنار معه ثم قصد خراسان فأتى مرو فنزلها وبنى للنار بيتا واطمأن وأمن من ان يؤتى ودان له من بقي من الاعاجم وكاتب الهرمزان وأثار اهل فارس فنكثوا وأثار اهل الجبال والفيرزان فنكثوا فأذن عمر للمسلمين فدخلوا بلاد الفرس فسار الاحنف الى خراسان فدخلها من الطبسين فافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان العبدي ثم سار نحو مرو الشاهجان فأرسل الى نيسابور مطرف بن عبد الله بن الشخير والى سرخس الحرث بن حسان فلما دنا الاحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد الى مرو الروذ حتى نزلها ونزل الاحنف مرو الشاهجان وكتب يزدجرد وهو بمرو الروذ الى خاقان والى ملك الصغد والى ملك الصين يستمدهم وخرج الاحنف من مرو الشاهجان واستخلف عليها حارثة بن النعمان الباهلي بعد ما لحقت به امداد اهل الكوفة وسار نحو مرو الروذ فلما سمع يزدجرد سار عنها الى بلخ ونزل الاحنف مرو الروذ وقدم اهل الكوفة الى يزدجرد واتبعهم الاحنف فالتقى اهل الكوفة ويزدجرد ببلخ فانهزم يزدجرد وعبر النهر ولحق الاحنف بأهل الكوفة وقد فتح الله عليهم فبلخ من فتوحهم وتتابع اهل خراسان من هرب وشذ على الصلح فيما بين نيسابور الى طخارستان وعاد الاحنف الى مرو الروذ فنزلها واستخلف على طخارستان ربعي بن عامر وكتب الاحنف الى عمر بالفتح فقال عمر وددت ان بيننا وبينها بحرا من نار فقال علي ولم يا امير المؤمنين قال لان اهلها سينقضون منها ثلاث مرات فيجتاحون (٣) في الثالثة فكان ذلك بأهلها احب الي من ان يكون بالمسلمين وكتب عمر الى الاحنف ان يقتصر على ما دون النهر ولا يجوزه ولما عبر يزدجرد النهر

اثنين وخمسين وستمائة ثم أخذها من المذكورين برطاش قاصد صاحب اليمن في ذي القعدة من السنة المذكورة ثم أخرجه منها الشريفان المذكوران ادريس وأبو نمي ثم أخرج ابو نمي ادريس من مكة واستقل بالامرة ثم حصلت المشاركة بينهما ثم قتل ابو نمي ادريس في حرب كان بينهما بخليص وانفرد أبو نمي بالامرة حتى أخرجه منها (جماز بن شيحة الحسيني) صاحب المدينة (وغانم بن ادريس بن حسن بن قتادة) صاحب ينبع في صفر سنة سبعين وستمائة ثم عاد (أبو نمي) الى مكة المكرمة بعد أربعين يوما واستقر فيها الى ان أخرجه ثانيا (جماز بن شيحة) بمعاونة امير المنصور قلاوون صاحب مصر والشام وخطب لجماز المذكور وضربت السكة باسمه وبطل ذلك بعد مدة يسيرة من السنة المذكورة وعاد الشريف ابو نمي الى مكة ولم يزل بها حتى تركها لولديه (حميضة ورميثة) قبل وفاته بيومين وكانت وفاته في رابع شهر صفر عام احدى وسبعمائة ومدة ملكه قريب من خمسين سنة واستقر حميضة ورميثة

مهز وما انجده خاقان فى الترك واهل فرغانة والصغد فرجع يزدجرد وخاقان الى خراسان فنزلا بلخ ورجع اهل الكوفة الى الاحنف بمرو الروذ ونزل المشركون عليه بمرو أيضا وكان الاحنف لما بلغه خبر عبور يزدجرد وخاقان النهر اليه خرج ليلا يتسمع هل يسمع برأى ينتفع به فمر برجلين ينقيان علفا واحدهما يقول لصاحبه لو أسندنا الامير الى هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقا وكان الجبل فى ظهورنا فلا يأتونا من خلفنا وكان قتالنا من وجه واحد رجوت ان ينصرنا الله فرجع فلما أصبح جمع الناس ورحل بهم الى سفح الجبل وكان معه من اهل البصرة عشرة آلاف ومن أهل الكوفة نحو منهم واقبلت الترك ومن معها فنزلت وجعلوا يغادونهم القتال ويراوحونهم وفى الليل يتنحون عنهم فخرج الاحنف ليلة طليعة لاصحابه حتى اذا كان قريبا من عسكر خاقان وقف فلما كان فى وجه الصبح خرج فارس الترك بطوقه فضرب بطبله ثم وقف من العسكر موقفا يقفه مثله فحمل عليه الاحنف فتقاتلا فطعنه الاحنف فقتله وأخذ طوق التركى ووقف فخرج آخر من الترك ففعل فعل صاحبه فحمل عليه الاحنف فتقاتلا فطعنه فقتله وأخذ طوقه ووقف ثم خرج الثالث من الترك ففعل فعل الرجلين فحمل عليه الاحنف فقتله ثم انصرف الاحنف الى عسكره وكانت عادة الترك انهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم اكفاء كلهم يضرب بطبله ثم يخرجون بعد خروج الثالث فلما خرجوا تلك الليلة بعد الثالث فأتوا على فرسانهم مقتلين تشاءم خاقان وتطير فقال قد طال مقامنا وقد أصيب فرساننا ما لنا فى قتال هؤلاء القوم خير فرجعوا وارتفع النهار للمسلمين ولم يروا منهم احدا وأتاهم الخبر بانصراف خاقان والترك الى بلخ وقد كان يزدجرد ترك خاقان مقابل المسلمين بمرو الروذ وانصرف الى مرو الشاهجان فتحصن حارثة بن النعمان ومن معه فحصرهم واستخرج خزائنه من موضعها وخاقان مقيم ببلخ فلما جمع يزدجرد خزائنه وكانت كبيرة عظيمة وأراد ان يلحق بخاقان قال له اهل فارس اى شئ تريد ان تصنع قال اريد اللحاق بخاقان فأكون معه او بالصين قالوا له ان هذا رأى سوء ارجع بنا الى هؤلاء القوم فنصالحهم فانهم أوفياء وهم اهل دين وان عدوا يلينا فى بلادنا أحب الينا مملكة من عدو يلينا فى بلاده ولا دين لهم ولا ندرى ما وفاؤهم فأبى عليهم فقالوا دع خزائننا نردها الى بلادنا ومن يلينا لا تخرجها من بلادنا فأبى فاعتزلوه وقاتلوه فهزموه واخذوا الخزائن واستولوا عليها وانهزم منهم ولحق بخاقان وعبر النهر من بلخ الى فرغانة واقام يزدجرد ببلد الترك فلم يزل مقيما زمن عمر كله الى ان كفر اهل خراسان زمن عثمان وكان يكاتبهم ويكاتبونه وسيرد ذكر ذلك فى موضعه ثم اقبل اهل فارس بعد رحيل يزدجرد على الاحنف فصالحوه ودفعوا اليه تلك الخزائن والاموال وتراجعوا الى بلدانهم وأموالهم على أفضل ما كانوا عليه زمن الاكاسرة واغتبطوا بملك المسلمين وأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهمه يوم قادسية وسار الاحنف الى بلخ فنزلها بعد عبور خاقان النهر منها ونزل أهل الكوفة فى كورها الاربع ثم رجع الى مرو الروذ فنزلها وكتب بفتح خاقان ويزدجرد الى عمر ولما عبر خاقان ويزدجرد النهر لقوا رسول يزدجرد الذى أرسله الى ملك الصين فاخبرهما ان ملك الصين قال له صف لى هؤلاء القوم الذين اخرجوكم من بلادكم فانى اراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل منكم مع كثرتكم الا بخير عندهم وشر فيكم فقلت سلنى عما

فى الامرة حتى صرفهما أخواهما (أبو الغيث وعطيفة) ثم عادا وأظهرا عدلا واسقطا المكوس ولم تزل المخاصمة والمنازعة فى الامرة بين الاخوين حميضة ورميثة وأبو الغيث وعطيفة فمنهم من قتل ومنهم من مات حتى انتقلت امرة مكة لعجلان (عجلان بن رميثة) فى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ثم شاركه أخوه ثقبة بن رميثة فمات عجلان وولى مكانه ولده (أحمد بن عجلان) ولم يزل أحمد اميرا بمكة المكرمة حتى مات فى العشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وولى بعده ابنه (محمد بن احمد بن عجلان) وكان قوى النفس عالى الهمة شجاعا ولما توفى تولى عمه (كبيش بن عجلان) فقتل وتولى مكانه (على بن عجلان) وشريكه (عنان بن مغامس بن عجلان) ثم انهما توجها الى مصر واعطى الملك الظاهر عليا مالا وخيلا ورجع الى مكة وسار سيرة حسنة واقام عنان بمصر معزولا مسجونا فى القلعة حتى مات بها وكانت مدته ثمان سنين وشهرين وقرر مكانه اخاه (حسن بن عجلان) وخطب له على منبر المدينة المنورة وفى سنة اثنتين وثمانمائة فى عاشر جمادى الاولى حصل بمكة فى الليلة العاشرة مطر عظيم حتى هجم السيل وبلغ الماء الى الباب ودخل البيت الشريف وخرب منازل كثيرة ومات فى السيل جماعة وفى هذه السنة فى شوال وقع بالحرم

الشريف المكي حريق عظيم احترق لحوثات ١٦ الحرم واحترق مائة وثلاثون عمودا فصارت كما او استمر الى سنة اثنتي عشرة

أحببت فقال أيوفون بالعهد قلت نعم قال وما يقولون لكم قبل القتال قال قلت يدعوننا الى واحدة من ثلاث اما دينهم فان أجبنا اجرونا مجراهم او الجزية والمنعة او المنابذة قال فكيف طاعتهم امراءهم قلت أطوع قوم وأرشدهم قال فما يحلون وما يحرمون فاخبرته قال هل يحلون ما حرم عليهم او يحرمون ما حلل لهم قلت لا قال فان هؤلاء القوم لا يزالون على ظفر حتى يحلوا حرامهم او يحرموا حلالهم ثم قال اخبرني عن لباسهم فاخبرته وعن مطاياهم فقلت الخيل العراب ووصفتها له فقال نعمت الحصون ووصفت له الابل وبروكها وقيامها بحملها فقال هذه صفة دواب طوال الاعناق وكتب معه الى يزدجرد انه لم يمنعني ان ابعث اليك بجند أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق علي ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلا لهم سربهم أزالوني ما داموا على وصف فسالمهم وارض منهم بالمسالمة ولا تهجهم ما لم يهجوك فاقام يزدجرد بفرغانة ومعه آل كسرى بعهد من خاقان ولما وصل خبر الفتح الى عمر بن الخطاب جمع الناس وخطبهم وقرأ عليهم كتاب الفتح وحمد الله في خطبته على انجاز وعده ثم قال الا ان ملك المجوسية قد هلك فليسوا يملكون من بلادهم شبرا يضر بمسلم الا وان الله قد أورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وابناءهم لينظر كيف تعملون فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم فاني لا أخاف على هذه الامة ان تؤتى الا من قبلكم وقيل ان فتح خراسان كان زمن عثمان وسيرد هناك

ذكر فتح شهرزور والصامغان

لما استعمل عمر عزرة بن قيس على حلوان حاول فتح شهرزور فلم يقدر عليها فغزاها عتبة بن فرقد ففتحها بعد قتال على مثل صلح حلوان فكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت وصالح اهل الصامغان ودارا باذ على الجزية والخراج وقتل خلقا كثيرا من الاكراد وكتب الى عمر ان فتوحي قد بلغ اذربيجان فولاه اياها وولى هرثمة بن عرفجة الموصل ولم يزل شهرزور واعمالها مضمومة الى الموصل حتى أفردت عنها آخر خلافة الرشيد

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا معاوية بلاد الروم ودخلها في عشرة آلاف فارس من المسلمين وفيها ولد يزيد ابن معاوية وعبد الملك بن مروان وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب وكان عماله على الامصار فيها عماله في السنة قبلها الا الكوفة فان عامله كان عليها المغيرة بن شعبة والا البصرة فان عامله عليها صار أبا موسى الاشعري

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

قال بعضهم كان فتح اصطخر سنة ثلاث وعشرين وقيل كان فتحها بعد توج الآخرة

ذكر الخبر عن فتح توج

لما خرج أهل البصرة الذين توجهوا الى فارس امراء عليها وكان معها سارية بن زنيم الكناني فساروا وأهل فارس مجتمعون بتوج فلم يقصدهم المسلمون بل توجه امير الى الجهة التي أمر بها وبلغ ذلك اهل فارس فافترقوا الى بلدانهم كما افترق المسلمون فكانت تلك هزيمتهم وتشتت

امورهم

وثمانمائة فعزله السلطان وعين مكانه (علي بن مبارك بن رميثة) ولم يتم أمره ومات وعاد الى الملك (حسن بن عجلان) المقدم ذكره وفي ربيع الاول سنة ثمان عشرة وثمانمائة عزل الشريف حسن وولى مكانه ابن أخيه (رميثة بن محمد بن عجلان) فلما بلغ حسنا خبر العزل أخذ من التجار المقيمين بمكة اموالا عظيمة وعاد الى الامرة وعزل رميثة فوقع الحرب بين حسن وبين رميثة وغلب حسن واستمر في الامرة شريكا مع ولده (بركات) وفي سنة سبع وعشرين صرف الحسن عن الامرة وولي عوضه (علي بن عنان بن مغامس) وفي أواخر سنة تسع وعشرين اعيد الحسن الى امرة مكة فاتفق انه مات يوم الخميس سادس عشر جمادى الآخرة من هذه السنة وقدم ولده الشريف بركات من مكة الى القاهرة والتزم كل سنة بأن يحمل عشرة آلاف دينار وان يكون مكس جدة له وما يحصل من مراكب الهند يكون لصاحب مصر فتقلد (بركات) والبا على مكة وكان حسن السيرة في الناس ولما مات الاشرف واستقر الظاهر جقمق بمصر

أمورهم فقصد مجاشع بن مسعود سابور واردشير خرة فالتقى هو والفرس بتوج فاقتتلوا ما شاء الله ثم انهزم الفرس وقتلهم المسلمون كيف شاؤا كل قتلة وغنموا ما فى عسكرهم وحصروا توج فافتتحوها وقتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا ما فيها وهذه توج الآخرة والاولى هى التى استنقذتها جنود العلاء بن الحضرمى أيام طاوس ثم دعوا الى الجزية فرجعوا وأقروا بها وارسل مجاشع ابن مسعود السلمى بالبشارة والاخماس الى عمر بن الخطاب

﴿ذكر فتح اصطخر وجور وغيرهما﴾

وقصد عثمان بن ابى العاص الثقفى لاصطخر فالتقى هو وأهل اصطخر بجور فاقتتلوا وانهزم الفرس وفتح المسلمون جور ثم اصطخر وقتلوا ما شاء الله ثم فر منهم من فر فدعاهم عثمان الى الجزية والذمة فأجابه الهربذ اليها فتراجعوا وكان عثمان قد جمع الغنائم لما هزمهم فبعث بخمسها الى عمر وقسم الباقى فى الناس وفتح عثمان كازرون والنوبندجان وغلب على أرضها وفتح هو وأبو موسى مدينة شيراز وأرجان وفتحا سينيز على الجزية والخراج وقصد عثمان أيضا جنابا فافتتحها ولقيه جمع الفرس بناحية جهرم فهزمهم وفتحها ثم ان شهرك خلع فى آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان فوجه اليه عثمان بن أبى العاص ابنه وأتته الامداد من البصرة وأميرهم عبيد الله بن معمر وشبل بن معبد فالتقوا بأرض فارس فقال شهرك لابنه وهما فى المعركة وبينهما وبين قرية لهما تدعى شهرك ثلاثة فراسخ يا بنى أين يكون غداؤنا ههنا أم بشهرك قال له يا أبت ان تركونا فلا يكون غداؤنا ههنا ولا بشهرك ولا نكون الا فى المنزل وما أراهم يتركوننا فما فرغا من كلامهما حتى نشب المسلمون الحرب فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل شهرك وابنه وخلق عظيم والذى قتل شهرك الحكم بن أبى العاص أخو عثمان وقيل قتله سوار بن همام العبدى حمل عليه فطعنه فقتله وحمل ابن شهرك على سوار فقتله وقيل ان اصطخر كانت سنة ثمان وعشرين وكانت فارس الآخرة سنة تسع وعشرين وقيل ان عثمان بن أبى العاص أرسل أخاه الحكم من البحرين فى ألفين الى فارس ففتح جزيرة بركاوان فى طريقه ثم سار الى توج وكان كسرى أرسل شهرك فالتقوا ومع شهرك وكان الجارود وأبو صفرة على مجنبتى المسلمين وأبو صفرة هذا هو والد المهلب فحمل الفرس على المسلمين فهزموهم فقال الجارود أيها الامير ذهب الجند فقال سترى أمرك قال فما لبثوا حتى رجعت خيل لهم ليس عليها فرسانها والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم فنثرت الرؤس فرأى المكعبر رأسا ضخما فقال أيها الامير هذا رأس الازدهاق يعنى شهرك وحوصر الفرس بمدينة سابور فصالح عليها ملكها ازرنبان فاستعان به الحكم على قتال أهل اصطخر ومات عمر وبعث عثمان ابن عفان عبيد الله بن معمر مكانه فبلغ عبيد الله ان ازرنبان يريد الغدر به فقال له أحب ان تتخذ لاصحابى طعاما وتذبح لهم بقرة وتجعل عظامها فى الجفنة التى تلينى فانى أحب أن أتمشش العظام ففعل وجعل يأخذ العظم الذى لا يكسر الا بالفؤس فيكسره بيده ويأخذ مخه وكان من أشد الناس فقام ازرنبان فأخذ برجله وقال هذا مقام العائذ بك وأعطاه عهدا وأصابت عبيد الله منجنيق فأوصاهم وقال انكم ستفتحون هذه المدينة ان شاء الله فاقتلوهم بى ساعة فيها ففعلوا فقتلوا منهم بشرا كثيرا ومات عبيد الله بن معمر وقيل ان قتله كان سنة تسع وعشرين

﴿ذكر فتح فسا ودارابجرد﴾

عزله وولى مكانه أخاه (عليا) أميرا على مكة عوضا عن أخيه بركات وفى سنة خمسين وثمانمائة توجه السيد محمد بن بركات الى القاهرة لاعادة الامرة لابيه الشريف (بركات) فأجيب لذلك وأعيد وكان ملكا شهما عارفا بالامور واستمر متوليا على مكة المكرمة الى عام تسعة وخمسين وثمانمائة فمات وتولى مكانه (محمد بن بركات) وحصل للناس فى أيامه الامن الزائد وكان عاقلا بشوشا عفيفا أديبا شجاعا وفوض اليه نيابة السلطنة بالاقطار الحجازية والاستنابة فى المدينة المنورة وينبع من يختاره وصرح باسمه على منابر الحرمين بعد السلطان وتوفى فى شهر محرم سنة ثلاث وتسعمائة وخلف ستة عشر ولدا ذكرا وتولى مكانه الشريف (بركات بن محمد بن بركات) وكان قائم الناموس وافر الحرمة والحشمة واستمر فى الامارة الى أن وقعت كائنة فى موسم عام ست وتسعمائة حصل بسببها استيلاء الشريف (هزاع بن محمد بن بركات) على مكة المشرفة ثم مكث بها مدة وتولى مكانه الشريف (جازان بن محمد) فى أوائل سنة ثمان وتسعمائة ولم يزل

وقصد سارية بن زنيم الدئلي فسا ودارابجرد حتى انتهى الى عسكرهم فنزل عليهم وحاصرهم ماشاء الله ثم انهم استمدوا وتجمعوا وتجمعت اليهم اكراد فارس فدهم المسلمين أمر عظيم وجمع كثير وأتاهم الفرس من كل جانب فرأى عمر فيما يرى النائم تلك الليلة معركتهم وعددهم في ساعة من النهار فنادى من الغد الصلاة جامعة حتى اذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى خرج اليهم وكان ابن زنيم والمسلمون بصحراء ان أقاموا فيها أحيط بهم وان استندوا الى جبل من خلفهم لم يؤتوا الا من وجه واحد فقام فقال يا أيها الناس اني رأيت هذين الجمعين واخبر بحالهما وصاح عمر وهو يخطب يا سارية بن زنيم الجبل الجبل ثم اقبل عليهم وقال ان لله جنودا ولعل بعضها ان تبلغهم فسمع سارية ومن معه الصوت فلجؤا الى الجبل ثم قاتلوهم فهزمهم الله واصاب المسلمون مغانمهم واصابوا في الغنائم سفطا فيه جوهر فاستوهبه منهم سارية وبعث به وبالفتح مع رجل الى عمر فقدم على عمر وهو يطعم الطعام فامره فجلس وأكل فلما انصرف عمر تبعه الرسول فظن عمر انه لم يشبع فأمره فدخل بيته فلما جلس أتى عمر بغدائه خبز وزيت وملح جريش فأكلا فلما فرغا قال الرجل أنا رسول سارية يا أمير المؤمنين قال مرحبا وأهلا ثم أدناه حتى مس ركبته وسأله عن المسلمين فأخبره بقصة الدرج فنظر اليه وصاح به لا ولا كرامة حتى يقدم على ذلك الجند ويقسمه بينهم فطرده فقال يا أمير المؤمنين اني قد انضيت جملي واستقرضت في جائزتي فأعطني ما أتبلغ به فما زال به حتى أبدله بعيرا من ابل الصدقة وجعل بعيره في ابل الصدقة ورجع الرسول مغضوبا عليه محروما وسأل أهل المدينة الرسول هل سمعوا شيأ يوم الوقعة قال نعم سمعنا يا سارية الجبل الجبل وقد كدنا نهلك فلجأنا اليه ففتح الله علينا

﴿ ذكر فتح كرمان ﴾

ثم قصد سهيل بن عدى كرمان ولحقه أيضا عبد الله بن عبد الله بن عتبان وحشد لهم أهل كرمان واستعانوا عليهم بالقفص فاقتتلوا في ادانى أرضهم ففضهم الله تعالى المشركين وأخذ المسلمون عليهم الطريق وقتل النسير بن عمرو العجلى مرزبانها فدخل النسير من قبل طريق القرى اليوم الى جيرفت وعبد الله بن عبد الله من مفازة شير فأصابوا ما أرادوا من بعير أو شاء فقوموا الابل والغنم فتحاصوها بالاثمان لعظم البخت على العرب وكرهوا ان يزيدوا وكتبوا الى عمر بذلك فأجابهم اذا رأيتم ان في البخت فضلا فزيدوا وقيل ان الذى فتح كرمان عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى في خلافة عمر ثم أتى الطبسين من كرمان ثم قدم على عمر فقال أقطعني الطبسين فأراد أن يفعل فقيل انهما رستاقان فامتنع عمر من ذلك

﴿ ذكر فتح سجستان ﴾

وقصد عاصم بن عمرو سجستان ولحقه عبد الله بن عمير فاستقبلهم أهلها فالتقوا هم وأهل سجستان في أدانى أرضهم فهزمهم المسلمون ثم اتبعوهم حتى حصروهم بزرنج ومخروا أرض سجستان ما شاؤا ثم انهم طلبوا الصلح على زرنج وما احتازوا من الارضين فأعطوا وكانوا قد اشترطوا في صلحهم ان فدافدها حمى فكان المسلمون يتجنبونها خشية ان يصيبوا منها شيأ فيخفروا واقيم أهل سجستان على الخراج وكانت سجستان أعظم من خراسان وأبعد فروجا يقاتلون القندهار والترك واما كثيرة فلم يزل كذلك حتى كان زمن معاوية فهرب الشاه من اخيه رتبيل الى بلد

بها الى أن قتل في شهر رجب وأقيم عوضه الشريف (حميضة) واستمر مقيما بها الى أن وصل الخبر بتفويض الامر الى الشريف بركات المشار اليه ولمن يختاره فاختار تقديم اخيه الشريف (قايتباى) في امرة مكة المشرفة واشرك معه ولده الشريف (على ابن بركات) نائبا عنه وكان يدبر جميع الامور بنفسه ولما توفى ولده الشريف على استقر عوضه في النيابة عن عمه اخوه الشريف (محمد) الشافعى واستمر الى أن توفى واستقر عوضه اخوه الشريف (ابونمى بن بركات) واستمرت الاحوال على أحسن نظام الى ان قدر الله وفاة الشريف قايتباى فعن للشريف بركات ان يقدم نجله السعيد الشريف ابانمى فجهزه الى القاهرة وافدا على السلطان الملك الاشرف قانصوه الغورى فأعاده مجبورا منصورا واستقر في النيابة عن والده واستمر والده في امرة مكة والمدينة وينبع وسائر الاقطار الحجازية يتصرف فيها كيف يشاء وهذا ماوجد في التواريخ المستفادة فيمن ولى مكة من آل قتادة وفي سنة احدى وثلاثين وتسعمائة توفى

فيهـا يدعى آمل ودان اسلم بن زياد وهو يومئذ على سجستان وعقد لهم وأنزلهم البلاد وكتب الى
معاوية بذلك يرى انه فتح عليـه فقال معاوية ان ابن أخي ليفرح بامارته ليحزنني قال ولم يا أمير
المؤمنين قال ان آمل بلدة بينها و بين زرنج صعوبة وتضايق وهؤلاء قوم غدر فاذا اضطرب
الحبل غدروا فأهون ما يجي منهم انهم يغلبون على بلاد آمل بأسرها وأقرهم على عهد سلم بن زياد
فلما وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه وغلب على آمل واعتصم منه رتبيل بمكانه ولم يرضه
ذلك حين تشاغل عنه الناس حتى طمع في زرنج فغزاها وحصر من بها حتى أتتهم الامداد من
البصرة وصار رتبيل والذين معه عصبة وكانت تلك البلاد مذللة الى ان مات معاوية وقيل في فتح
سجستان غير هذا وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر فتح مكران ﴾

وقصد الحكم بن عمرو التغلبي مكران حتى انتهى اليها ولحق به شهاب بن المخارق وسهيل بن عدي
وعبد الله بن عبد الله بن عتبان فانتهوا الى دوين النهر وأهل مكران على شاطئه فاستمدوا ملكهم
ملك السند فأمده بجيش كثيف فالتقوا مع المسلمين فانهزموا وقتل منهم في المعركة مقتلة عظيمة
واتبعهم المسلمون يقتلونهم أياما حتى انتهوا الى النهر ورجع المسلمون الى مكران فأقاموا بها
وكتب الحكم الى عمر بالفتح وبعث اليه بالاخماس مع صحار العبدي فلما قدم المدينة سأله عمر عن
مكران فقال يا أمير المؤمنين هي أرض سهلها جبل وماؤها وشل وتمرها دقل وعدوها بطل
وخيرها قليل وشرها طويل والكثير بها قليل والقليل فيها ضائع وما وراءها شر منها فقال
اسجاع أنت أم مخبر لا والله لا يغزوها جيش لي أبدا وكتب الى سهيل والحكم بن عمرو أن لا
يجوزن مكران أحد من جنودكما وأمرهما ببيع الفيلة التي غنمها المسلمون ببلاد الاسلام وقسم
أثمانها على الغانمين (مكران بضم الميم وسكون الكاف)

﴿ ذكر خبر بيروذ من الاهواز ﴾

ولما فصلت الخيول الى الكور اجتمع ببيروذ جمع عظيم من الاكراد وغيرهم وكان عمر قد عهد الى
أبي موسى ان يسير الى أقصى ذمة البصرة حتى لا يؤتى المسلمون من خلفهم وخشي أن يهلك
بعض جنوده أو يخلفوا في أعقابهم فاجتمع الاكراد ببيروذ وأبطأ أبو موسى حتى تجمعوا ثم سار
فنزل بهم ببيروذ فالتقوا في رمضان بين نهر تيرى ومناذر فقام المهاجر بن زياد وقد تحنط واستقبل
وعزم أبو موسى على الناس فأفطروا وتقدم المهاجر فقاتل قتالا شديدا حتى قتل ووهن الله
المشركين حتى تحصنوا في قلة وذلة واشتد جزع الربيع بن زياد على أخيه المهاجر وعظم عليه
فقده فرق له أبو موسى فاستخلفه عليهم في جند وخرج أبو موسى حتى بلغ أصبهان واجتمع بها
بالمسلمين الذين يحاصرون جيا فلما فتحت رجع أبو موسى الى البصرة وفتح الربيع بن زياد الحارثي
بيروذ من نهر تيرى وغنم ما معهم ووفد أبو موسى وفدا معهم الاخماس فطلب ضبة بن محصن
العنزي ان يكون في الوفد فلم يجبه أبو موسى وكان أبو موسى قد اختار من سبي بيروذ ستين غلاما
فانطلق ضبة الى عمر شاكيا وكتب أبو موسى الى عمر يخبره فلما قدم ضبة على عمر سلم عليه فقال من
انت فأخبره فقال لا مرحبا ولا اهلا فقال اما المرحب فمن الله واما الاهل فلا اهل ثم سأله عمر عن
حاله فقال ان ابا موسى انتقى ستين غلاما من ابناء الدهاقين لنفسه وله جارية تغدى بجفنة وتعشى

الشريف بركات والد ابي
نمي ودفن بالمعلاة واستقل
بالامر بعده ولده الشريف
(ابو نمي) وعاش مدة مديدة
حتى توفي في المحرم سنة
احدى وتسعين وتسعمائة
وعمره اثنان وثمانون سنة
وقد رايته بمنى سنة ثمان
وسبعين وهو محرم وهو في
غاية القوة والصلابة بهذا
العمر وتولى مكانه ولده
الشريف (حسن) وهو
الآن امير بمكة في الدولة
المؤيدة العثمانية واستناب
ولده الشريف (حسينا)
على الاقطار الحجازية على
قاعدة اسلافه الزكية وكان
في غاية اللطف والملاءمة
فمات وولي مكانه ولده
الشريف (مسعود) وكان
ظالما جائرا فلم تطل مدته
ومات فولي مكانه اخوه (ابو
طالب بن حسن بن ابي نمي)
وهو الآن امير يرجى منه
الخير توفي الحسن والد
المذكور في ثالث جمادى
الآخرة سنة عشر والف
ولابي طالب المشار اليه
سيرة حسنة لاسيما بقتله عبد
الرحمن بن عتيق عليه ما يستحق
توفي ابو طالب في تاسع عشر
جمادى الثانية سنة اثنتي عشرة
بعد الالف وتولى مكانه
اخوه (ادريس) بن الشريف
حسن بن ابي نمي والسيد

جفنة تدعى عقيلة وله قفيزان وله خاتمان وفوض الى زياد بن ابى سفيان امور البصرة واجاز الحطيئة بألف فاستدعى عمر أباموسى فلما قدم عليه حجبه أياما ثم استدعاه فسأل عمر ضبة عما قال فقال أخذ ستين غلاما لنفسه فقال أبو موسى دللت عليهم وكان لهم فداء ففديتهم وقسمته بين المسلمين فقال ضبة ما كذب ولا كذبت فقال له قفيزان فقال أبو موسى قفيز لاهلى أقوتهم به وقفيز للمسلمين فى أيديهم يأخذون به أرزاقهم فقال ضبة ما كذب ولا كذبت فلما ذكر عقيلة سكت أبو موسى ولم يعتذر فعلم ان ضبة قد صدقه قال وولى زيادا قال رايت له رايا ونبلا فأسندت اليه عملى قال واجاز الحطيئة بألف قال سددت فمه بمالى ان يشتمنى فرده عمر وامره ان يرسل اليه زيادا وعقيلة ففعل فلما قدم عليه زياد ساله عن حاله وعطائه والفرائض والسنن والقرآن فرآه فقيها فرده وامر امراء البصرة ان يسيروا برأيه وحبس عقيلة بالمدينة وقال عمر الا ان ضبة غضب على ابى موسى وفارقه مراغما أن فاته امر من امر الدنيا فصدق عليه وكذب فأفسد كذبه صدقه فاياكم والكذب فانه يهدى الى النار (بيروذ بفتح الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وضم الراء وسكون الواو وآخره ذال معجمة)

﴿ ذكر خبر سلمة بن قيس الاشجعى والاكراد ﴾

كان عمر اذا اجتمع اليه جيش من المسلمين امر عليهم اميرا من اهل العلم والفقه فاجتمع اليه جيش من المسلمين فبعث عليهم سلمة بن قيس الاشجعى فقال سر باسم الله قاتل فى سبيل الله من كفر بالله فاذا لقيتم عدوكم فادعوهم الى الاسلام فان اجابوا واقاموا بدارهم فعليهم الزكاة وليس لهم من الفىء نصيب وان ساروا معكم فلهم مثل الذى لكم وعليهم مثل الذى عليكم وان ابوا فادعوهم الى الجزية فان اجابوا فاقبلوا منهم وان ابوا فقاتلوهم وان تحصنوا منكم وسألوكم ان ينزلوا على حكم الله ورسوله او ذمة الله ورسوله فلا تجيبوهم فانكم لا تدرون اتصيبون حكم الله ورسوله وذمتهما ام لا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا ولا تمثلوا قال فسار واحتى لقوا عدوا من الاكراد المشركين فدعوهم الى الاسلام والجزية فلم يجيبوا فقاتلوهم فهزموهم وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية فقسمه بينهم ورأى سلمة جوهرا فى سفط فاسترضى عنه المسلمين وبعث به الى عمر فقدم الرسول بالبشارة وبالسفط على عمر فسأله عن امور الناس وهو يخبره حتى اخبره بالسفط فغضب غضبا شديدا وامر به فوجئ به فى عنقه ثم انه قال ان تفرق الناس قبل ان تقدم عليهم ويقسمه سلمة فيهم لأسوءنك فسار حتى قدم على سلمة فباعه وقسمه فى الناس وكان الفص يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون الفا وحج بالناس هذه السنة عمر بن الخطاب وحج معه ازواج النبى صلى الله عليه وسلم وهى آخر حجة حجها وفيها قتل عمر رضى الله عنه

﴿ ذكر الخبر عن مقتل عمر رضى الله عنه ﴾

قال المسور بن مخرمة خرج عمر بن الخطاب يطوف يوما فى السوق فلقيه ابو لؤلؤة غلام المغيرة ابن شعبة وكان نصرانيا فقال يا امير المؤمنين أعدنى على المغيرة بن شعبة فان على خراجا كثيرا قال وكم خراجك قال درهمان كل يوم قال وايش صناعتك قال نجار نقاش حداد قال فما ارى خراجك كثيرا على ما تصنع من الاعمال قد بلغنى انك تقول لو أردت ان اصنع رحى تطحن بالريح لفعلت قال نعم قال فاعمل لى رحى قال لئن سلمت لاعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب

﴿ الباب الخامس عشر فى ذكر اقيال اليمن ولمع من اخبار الاسكندروس وسيف بن ذى يزن ﴾

قال المسعودى تنازع الناس فى اليمن وتسميته يمنا فمنهم من زعم انه انما سمى يمنا لانه عن يمين الكعبة واول من تولى الملك والرياسة باليمن (يعرب بن قحطان) جمع اخوته واستولى على جميع اليمن سنين متطاولة وهو اول من نطق بالعربية واول من حياه ولده بتحية الملك ابيت اللعن وأنعم صباحا وذكر السيوطى ان اول من كتب بالعربية حرب ابن امية قيل له من أين تعلمته قال من عبد الله بن جدعان وهو اخذ من طريق كاتب الوحى لهود عليه السلام فلما هلك يعرب ملك بعده ابنه (يشجب بن يعرب) تولى الملك بعد والده سنين كثيرة ثم ملك بعده ابنه (عبد شمس) ولما ملك اكثر الغزو فى اقطار البلاد وسبى خلقا كثيرا وهو اول من فعل ذلك من ولد قحطان فسمى سبا وهو الذى بنى السد بأرض مأرب باليمن وفجر اليه سبعين نهرا وساق اليه السيول من آماد بعيدة على بعض الاقوال وكان

ثم انصرف عنه فقال عمر لقد اوعدني العبد الآن ثم انصرف عمر الى منزله فلما كان الغد جاءه
كعب الاحبار فقال له يا أمير المؤمنين اعهد فانك ميت في ثلاث ليال قال وما يدريك قال أجده
في كتاب التوراة قال عمر اتجد عمر بن الخطاب في التوراة قال اللهم لا ولكني اجد حليتك
وصفتك وانك قد فني أجلك قال وعمر لا يحس وجعا فلما كان الغد جاءه كعب فقال بقي يومان
فلما كان الغد جاءه كعب فقال مضى يومان وبقي يوم فلما اصبح خرج عمر الى الصلاة وكان يوكل
بالصفوف رجالا فاذا استوت كبر ودخل أبو لؤلؤة في الناس وبيده خنجر له رأسان نصابه في وسطه
فضرب عمر ست ضربات احداهن تحت سرته وهي التي قتلته وقتل معه كليب بن ابي البكير الليثي
وهو خلفه وقتل جماعة غيره فلما وجد عمر حر السلاح سقط وأمر عبد الرحمن بن عوف فصلى
بالناس وعمر طريح فاحتمل فادخل بيته ودعا عبد الرحمن فقال له اني أريد ان أعهد اليك
قال اتشير علي بذلك قال اللهم لا قال والله لا ادخل فيه ابدا قال فهبني صمتا حتى اعهد الى
النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ثم دعا عليا وعثمان والزبير وسعدا
فقال انتظروا أخاكم طلحة ثلاثا فان جاء والا فاقضوا امركم انشدك الله يا علي ان وليت من أمور
الناس شيأ أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس أنشدك الله يا عثمان ان وليت من امور الناس
شيأ أن تحمل بني ابي معيط على رقاب الناس أنشدك الله يا سعد ان وليت من أمور الناس شيأ
أن تحمل أقاربك على رقاب الناس قوموا فتشاوروا ثم اقضوا امركم وليصل بالناس صهيب ثم
دعا أبا طلحة الانصاري فقال قم على بابهم فلا تدع أحدا يدخل اليهم وأوصي الخليفة من بعدي
بالانصار الذين تبوّؤا الدار والايمان ان يحسن الى محسنهم ويعفو عن مسيئهم وأوصي الخليفة
بالعرب فانهم مادة الاسلام ان يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع في فقرائهم وأوصي الخليفة
بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوفي لهم بعهدهم اللهم هل بلغت لقد تركت الخليفة
من بعدي على أنقى من الراحة يا عبد الله بن عمر اخرج فانظر من قتلني قال يا امير المؤمنين قتلك أبو
لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة
يا عبد الله بن عمر اذهب الى عائشة فسلها ان تأذن لي ان أدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي
بكر يا عبد الله ان اختلف القوم فكن مع الاكثر فان تشاوروا فكن مع الحزب الذي فيه عبد
الرحمن بن عوف يا عبد الله ائذن للناس فجعل يدخل عليه المهاجرون والانصار فيسلمون عليه
ويقول لهم اهذا عن ملا منكم فيقولون معاذ الله قال ودخل كعب الاحبار مع الناس فلما
رآه عمر قال

توعدني كعب ثلاثا اعدها * ولا شك ان القول ما قال لي كعب
وما بي حذار الموت اني لميت * ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

ودخل عليه علي يعوده فقعد عند رأسه وجاء ابن عباس فاثنى عليه فقال له عمر انت لي بهذا يا ابن
عباس فاوما الى علي أن قل نعم فقال ابن عباس نعم فقال عمر لا تغرني أنت وأصحابك ثم قال يا عبد
الله خذ رأسي عن الوسادة فضعه في التراب لعل الله جل ذكره ينظر الي فيرحمني والله لو ان لي
ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع ودعى له طبيب من بني الحرث بن كعب فسقاه
نبيذا فخرج غير متغير فسقاه لبنا فخرج كذلك ايضا فقال له اعهد يا أمير المؤمنين قال قد فرغت

فرسخا في فرسخ وكانت مدة
ملكها أربعمائة سنة وهو
المذكور في قوله تعالى لقد
كان لسبأ في مسكنهم آية
جنتان عن يمين وشمال
كلوا من رزق ربكم
واشكروا له بلدة طيبة
ورب غفور الآية ومدينة
سبأ كانت على ثلاث فراسخ
من صنعاء ومن جملة طيبتها
اثنتا عشرة طيبة (الاولى) لا
عقرب فيها ولا حية ولا نملة ولا
جراد ولا براغيث ولا بعوضة
ولا بق ولا فار (والثانية) ان
الرجل اذا مر ببلادهم وفي
ثوبه القمل والبراغيث فتموت
من طيب الهواء (والثالثة)
لم يكن فيها مرض واذا أتى
المريض من مسيرة ألف
فرسخ يشفيه الله تعالى من
مرضه لانه كان يهب فيها
نسيم الجنة متى يصل الى
جسد المريض يبرأ من
مرضه (والرابعة) اذا أتوا
بذي العاهات الذي لم يوجد
لمرضه دواء فاذا دخلوا به في
تلك المدينة يشفيه الله تعالى
من ساعته بفضله
(والخامسة) لم يكن فيها
اعمى ولا أعور ولا احول
ولا اخرس ولا زمن ولا
أعرج ولا مجنون وما أشبه
ذلك (والسادسة) اذا اتى
بالمجنون من البلدان ودخل
في حدود البلد واغتسل
من مائها يبريه الله من

ولما احتضر ورأسه في حجر ولده عبد الله قال

ظلوم لنفسي غير اني مسلم * أصلي الصلاة كلها واصوم

ولم يزل يذكر الله تعالى ويديم الشهادة الى ان توفي ليلة الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وقيل طعن يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة ودفن يوم الاحد هلال محرم سنة أربع وعشرين وكانت ولايته عشر سنين وستة اشهر وثمانية أيام وبويع عثمان لثلاث مضين من المحرم وقيل كانت وفاته لاربع بقين من ذي الحجة وبويع عثمان لليلة بقيت من ذي الحجة واستقبل بخلافته هلال محرم سنة أربع وعشرين وكانت خلافة عمر على هذا القول عشر سنين وستة اشهر وأربعة أيام وصلى عليه صهيب وحمل الى بيت عائشة ودفن عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ونزل في قبره عثمان وعلي والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وعبد الله بن عمر

﴿ ذكر نسب عمر وصفته وعمره ﴾

فاما نسبه فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي وكنيته أبو حفص وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهي ابنة عم ابي جهل وقد زعم من لا معرفة له انها أخت أبي جهل وليس بشيء وسماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاروق وقيل بل سماه أهل الكتاب واما صفته فكان طويلا آدم اصلع اعسر يسر يعني يعمل بيديه وكان اطوله كأنه راكب وقيل كان أبيض أمهق يعني شديد البياض تعلوه حمرة طوالا اصلع أشيب وكان يصفر لحيته ويرجل رأسه وكان مولده قبل الفجار بأربع سنين وكان عمره خمسا وخمسين سنة وقيل ابن ستين سنة وقيل ابن ثلاث وستين سنة وأشهر وهو الصحيح وقيل ابن احدى وستين سنة (رياح بكسر الراء وبالياء تحتها نقطتان)

﴿ ذكر أسماء ولده ونسائه ﴾

تزوج عمر في الجاهلية زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الاكبر وحفصة وتزوج مليكة بنت جرول الخزاعي في الجاهلية فولدت له عبيد الله بن عمر ففارقها في الهدنة فخلف عليها أبو جهم بن حذيفة وقتل عبيد الله بصفين مع معاوية وقيل كانت أمه ام زيد الاصغر ام كلثوم بنت جرول الخزاعي وكان الاسلام فرق بينها وبين عمر وتزوج قريبة بنت أبي أمية المخزومي في الجاهلية ففارقها في الهدنة ايضا فتزوجها بعده عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فكانا سلفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لان قريبة أخت ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وتزوج ام حكيم بنت الحرث بن هشام المخزومي في الاسلام فولدت له فاطمة فطلقها وقيل لم يطلقها وتزوج جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبي الافلح الاوسي الانصاري في الاسلام فولدت له عاصما فطلقها ثم تزوج ام كلثوم بنت علي بن أبي طالب وامها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واصدقها أربعين ألفا فولدت له رقية وزيدا وتزوج فكيهة امرأة من اليمن فولدت له عبد الرحمن الاوسط وقيل الاصغر وقيل كانت عنده فكيهة ام ولد فولدت له زينب وهي أصغر ولد عمر وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قبله عند عبد الله بن ابي بكر الصديق فقتل عنها فلما مات عمر تزوجها الزبير

ابن

ساعته (والسابعة) اذا زرعوا وادرك الحصاد وحصدوه وجمعوه في البيدر ودقوه فعند ذلك يرسل الله تعالى ريحا فيخلص الحبة من التبن (والثامنة) الثياب التي يلبسونها في الصيف لا يزيدون عليها في الشتاء ولا ينقصون في الصيف (والتاسعة) لم يكن فيها حر للشمس مثل حر سائر البلدان حتى يحتاجوا الى البرودة (والعاشرة) اذا تزوج الرجل امرأة وجدها بكرا كلما يأتيها (والحادية عشرة) اذا ارادت المرأة ان تضع حملها لم تجد الالم والوجع مثل ما تجد في زماننا بان يرسل الله تبارك وتعالى النوم على المرأة ثم تستيقظ من نومها فتجد الولد قد انفصل عنها مقطوع السر وقد طهرت من نفاسها في الحال (والثانية عشرة) اذا البست المرأة ولدها قميصا او ثوبا وقت صغره فكلما كبر الولد كبر القميص معه وكان الله تعالى قد أعطى لهم النعمة على هذه الصورة فطلب منهم الطاعة على لسان نبيهم الذي بعث اليهم كان اسمه اثغيا على نبينا وعليه السلام ولم يطيعوه فأرسل الله عليهم سيل العرم فلما رأوا ذلك جمعوا الحدادين والصناعين وبنوا حول المدينة سورا

ابن العوام فقتل عنها ايضا فخطبها علي فقالت لا أفعل اني أضن بك عن القتل فانك بقية الناس فتركها وخطب ام كلثوم ابنة أبي بكر الصديق الى عائشة فقالت ام كلثوم لا حاجة لي فيه انه خشن العيش شديد على النساء فارسلت عائشة الى عمرو بن العاص فقال انا اكفيك فاتى عمر فقال بلغني خبرا عيذك بالله منه قال ماهو قال خطبت ام كلثوم بنت ابي بكر قال نعم أفرغبت بي عنها ام رغبت بها عني قال ولا واحدة ولكنها حدثة نشأت تحت كنف امير المؤمنين في لين ورفق وفيك غلظة ونحن نهابك وما نقدر ان نردك عن خلق من اخلاقك فكيف بها ان خالفتك في شيء فسطوت بها كنت قد خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحق عليك وقال فكيف بعائشة وقد كلمتها قال أنا لك بها وأدلك على خير منها ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب تعلق منها بسبب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب ام أبان بنت عتبة بن ربيعة فكرهته وقالت يغلق بابه ويمنع خيره ويدخل عابسا ويخرج عابسا

﴿ذكر بعض سيرته رضي الله عنه﴾

قال عمر انما مثل العرب مثل جمل انف اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده فاما انا فورب الكعبة لاحملنهم على الطريق قال نافع العبسي دخلت سير الصدقة مع عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب قال فجلس عثمان في الظل يكتب وقام علي على رأسه يملي عليه ما يقول عمر وعمر قائم في الشمس في يوم شديد الحر عليه بردان اسودان أتزر بأحدهما ولف الآخر على رأسه يعد ابل الصدقة يكتب ألوانها واسنانها فقال علي لعثمان في كتاب الله يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين ثم اشار علي بيده الى عمر وقال هذا القوي الامين وقال عبد الله بن عامر ابن ربيعة رأيت عمر أخذ تبنة من الارض فقال ياليتني هذه التبنة وياليتني لم أك شيأ ياليت أمي لم تلدني ياليتني كنت نسيا منسيا وقال الحسن قال عمر لئن عشت ان شاء الله لاسيرن في الرعية حولا فاني أعلم ان للناس حوائج تقطع دوني اما عمالهم فلا يرفعونها الي واما هم فلا يصلون الي فاسير الى الشام فأقيم شهرين وبالجزيرة شهرين وبمصر شهرين وبالبحرين شهرين وبالكوفة شهرين وبالبصرة شهرين والله لنعم الحول هذا وقيل لعمر ان ههنا رجلا من الانبار له بصر بالديوان لو اتخذته كاتبا فقال لقد اتخذت اذن بطانة من دون المؤمنين قيل خطب عمر الناس فقال والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لو ان جملا هلك ضياعا بشط الفرات لخشيت ان يسأل الله عنه وقال أبو فراس خطب عمر الناس فقال أيها الناس اني ما أرسل اليكم عمالا ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم وانما ارسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه الي فوالذي نفس عمر بيده لاقصنه منه فوثب عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين ارأيتك ان كان رجل من المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته انك لتقصه منه قال اي والذي نفس عمر بيده اذن لاقصنه منه وكيف لا أقصه منه وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه الا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تحمدوهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم قال بكر بن عبد الله جاء عمر بن الخطاب الى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلي في بيته ليلا فقال له عبد الرحمن ما جاء بك في هذه الساعة قال رفقة نزلت في ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة فانطلق فلنحرسهم فاتيا السوق فقعدا

من الحديد والنحاس والرصاص فامهلهم الله تعالى مائة سنة حتى يكملوا بنيانهم فلما كمل ما بنوه وباتوا تلك الليلة وهم مسرورون آمنون فأمر الله تعالى الجرذ والفار كل واحد مثل الكلب ولهم اسنان كامشاط الحديد فلما اصبحوا دخل الماء في المدينة من الانقاب التي نقبها الفار والجرذ وغرق جميع ما في المدينة من الخلائق وغيره وقد جعل الله بساتينهم شوكا بقدرته وقيل ان مارب لقب للملك الذي كان على اليمن وقيل ان مارب هو قصر الملك والمدينة سبا ولما هلك سبا خلف عدة أولاد منهم حمير وعمرو وكهلان ولما مات سبا تولى الملك بعده ابنه (حمير بن سبا) وكان أشجع الناس في وقته وافرسهم وأكثرهم جمالا وكان اول من وضع التاج المذهب على رأسه من ملوك اليمن وانما سمي بحمير لكثرة لباسه الثياب الحمر وكان ملكه خمسمائة سنة ولما توفي ملك أخوه (كهلان بن سبا) فطالت مدته حتى قربت من ثلثمائة سنة ثم عاد الملك بعده الى ولد حمير وهو (وائل ابن حمير) ثم ملك بعده ابنه (السكسك بن وائل) ثم ملك بعده ابنه (يعفر بن السكسك)

على نشز من الارض يتحدثان فرفع لهما مصباح فقال عمر الم انه عن المصابيح بعد النوم فانطلقا فاذا قوم على شراب لهم قال انطلق فقد عرفته فلما أصبح أرسل اليه قال يافلان كنت وأصحابك البارحة على شراب قال وما علمك يا امير المؤمنين قال شئ شهدته قال اولم ينهك الله عن التجسس فتجاوز عنه وانما نهى عمر عن المصابيح لان الفارة تأخذ الفتيلة فترمى بها فى سقف البيت فتحرقه وكانت السقوف من جريد وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك قبله وقال اسلم وخرج عمر الى حرة واقم وانا معه حتى اذا كنا بصرار اذا نار تسعر فقال انطلق بنا اليهم فهرولنا حتى دنونا منهم فاذا بامرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون فقال عمر السلام عليكم يا أصحاب الضوء وكره ان يقول يا أصحاب النار قالت وعليك السلام قال ادنو قالت ادن بخير أودع فدنا فقال ما بالكم قالت قصر بنا الليل والبرد قال فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون قالت من الجوع قال وأى شئ فى هذه القدر قالت مالى ما أسكتهم حتى يناموا فانا اعللهم واوهمهم انى أصلح لهم شيأ حتى يناموا الله بيننا وبين عمر قال اى رحمك الله مايدرى بكم عمر قالت يتولى امرنا ويغفل عنا فاقبل على وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فاخرج عدلا فيه كبة شحم فقال احمله على ظهرى قال اسلم فقلت أنا أحمله عنك مرتين او ثلاثا فقال آخر ذلك أنت تحمل عنى وزرى يوم القيامة لا ام لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه نهرول حتى انتهينا اليها فالقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيأ فجعل يقول لها ذرى على وانا أحر لك وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت انظر الى الدخان من خلال لحيته حتى انضج ثم انزل القدر فاتته بصحفة فافرغها ثم قال اطعميهم وأنا اسطح لك فلم يزل حتى شبعوا ثم خلى عندها فضل ذلك وقام وقمت معه فجعلت تقول جزاك الله خيرا انت أولى بهذا الامر من امير المؤمنين فيقول قولى خيرا فانك اذا جئت امير المؤمنين وجدتنى هناك ان شاء الله ثم تنحى ناحية ثم استقبلها وربض لا يكلمنى حتى رأى الصبية يضحكون ويصطرعون ثم ناموا وهدأوا فقام وهو يحمد الله فقال يا أسلم الجوع اسهرهم وابكاهم فاحببت ان لا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم (صرار بكسر الصاد المهملة وراءين) قال سالم بن عبد الله ابن عمر وكان عمر اذا نهى الناس عن شئ جمع اهله فقال انى نهيت الناس عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم واقسم بالله لا اجد أحدا فعله الا أضعفت عليه العقوبة قال سلام بن مسكين وكان عمر اذا احتاج أتى صاحب بيت المال فاستقرضه فربما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه فيحتال له عمر وربما خرج عطاؤه فقضاه قال وهو أول من دعى بأمير المؤمنين وذلك انه لما ولى قالوا له يا خليفة خليفة رسول الله فقال عمر هذا امر يطول كلما جاء خليفة قالوا يا خليفة خليفة خليفة رسول الله بل انتم المؤمنون وانا اميركم فسمى أمير المؤمنين وهو أول من كتب التاريخ وقد تقدم وهو أول من اتخذ بيت مال وأول من عس الليل وأول من عاقب على الهجاء وأول من نهى عن بيع امهات الاولاد وأول من جمع الناس فى صلاة الجنازة على أربع تكبيرات وكانوا قبل ذلك يصلون أربعا وخمسا وستا قال الواقدى وهو أول من جمع الناس على امام يصلى بهم التراويح فى شهر رمضان وكتب به الى البلدان وأمرهم به وهو أول من حمل الدرة وضرب بها وأول من دون فى الاسلام قال زاذان

ثم وثب على ملك اليمن (ذو رياش) وهو عامر بن مازان بن عوف بن حمير ثم نهض من بنى وائل (نعمان ابن يعفر) بن السكسك بن وائل بن حمير واجتمع عليه الناس ثم ملك بعده ابنه (اسعد بن نعمان) المذكور ثم ملك بعده على قول بعضهم (عاد بن عوص) ثم ولده الاكبر (شديد) ثم (شداد) ابن عاد وكان لعاد ابنان أحدهما شديد والآخر شداد وهو الذى بنى مدينة ارم فى بعض صحارى عدن فى خمسمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة ثم ملك بعده ابنه (مرثد بن شداد) وكان آمن بهود عليه السلام وكان يكتم ايمانه من قومه خوفا من ان يخلعوه ولما مات ملك بعده ابنه (عمرو بن مرثد وكان هو ايضا مؤمنا بالله تعالى يكتم ايمانه فكان مدة ملكه مائة سنة ولما هلك ملك بعده عم أبيه (لقمان ابن عاد) عاش دهرا طويلا ثم ملك بعده أخوه (ذو سدد ابن عاد) ثم ملك بعده ابنه (الحرث) ويقال له الحرث الرايش وهو تبع الاول وكان ملكه مائة وخمسا وعشرين سنة وكان يسمى الفيلسوف لعقله وادبه فتزوج بامرأة من غسان وكانت على دين الروم فولدت

قال عمر لسلمان أملك انا ام خليفة قال له سلمان ان أنت جبيت من ارض المسلمين درهما او اقل او أكثر ووضعته فى غير حقه فأنت ملك غير خليفة فبكى عمر وقال أبو هريرة يرحم الله ابن حنتمة لقد رأيته عام الرمادة وانه ليحمل على ظهره جرابين وعكة زيت فى يده وانه ليعتقب هو واسلم فلما رآنى قال من أين يا اباهريرة قلت قريبا فاخذت اعقبه فحملناه حتى انتهينا الى صرار فاذا نحو من عشرين بيتا من محارب فقال لهم ما اقدمكم قالوا الجهد واخرجوا لنا جلد الميتة مشويا كانوا يأكلونه ورمة العظام مسحوقة كانوا يستفونها فرأيت عمر طرح رداءه ثم اتزر فما زال يطبخ حتى اشبعهم ثم ارسل اسلم الى المدينة فجاءنا بأبعرة فحملهم عليها حتى انزلهم الجبانة ثم كساهم وكان يختلف اليهم والى غيرهم حتى رفع الله ذلك قال أبو خيثمة رأت الشفاء بنت عبد الله فتيانا يقصدون فى المشى ويتكلمون رويدا فقالت ماهذا قالوا نساك فقالت كان والله عمر اذا تكلم اسمع واذا مشى أسرع واذا ضرب اوجع وهو والله ناسك حقا قال الحسن خطب عمر الناس وعليه ازار فيه اثنتا عشرة رقعة منها أدم قال ابو عثمان النهدى رأيت عمر يرمى الجمرة وعليه ازار مرقع بقطعة جراب وقال على رأيت عمر يطوف بالكعبة وعليه ازار فيه احدى وعشرون رقعة فيها أدم وقال الحسن كان عمر يمر بالآية من ورده فيسقط حتى يعاد كما يعاد المريض وقيل انه سمع قارئا يقرأ والطور فلما انتهى الى قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع سقط ثم تحامل الى منزله فمرض شهرا من ذلك قال الشعبى كان عمر يطوف فى الاسواق ويقرأ القرآن ويقضى بين الناس حيث ادركه الخصوم قال موسى بن عقبة أتى رهط الى عمر فقالوا له كثر العيال واشتدت المؤنة فزدنا فى عطائنا قال فعلتموها جمعتم بين الضرائر واتخذتم الخدم من مال الله لوددت أنى واياكم فى سفينة فى لجة البحر تذهب بنا شرقا وغربا فلن يعجز الناس ان يولوا رجلا منهم فان استقام اتبعوه وان جنف قتلوه فقال طلحة وما عليك لو قلت وان تعوج عزلوه قال لا القتل انكل لمن بعده احذروا فتى من قريش وابن كريمها الذى لا ينام الا على الرضا ويضحك عند الغضب وهو يتناول من فوقه ومن تحته قال مجالد ذكر رجل عند عمر فقيل يا امير المؤمنين فاضل لا يعرف من الشر شيأ قال ذاك اوقع له فيه قال صالح بن كيسان قال المغيرة بن شعبة لما دفن عمر اتيت عليا وأنا احب ان اسمع منه فى عمر شيأ فخرج ينفض راسه ولحيته وقد اغتسل وهو ملتحف بثوب لا يشك ان الامر يصير اليه فقال يرحم الله ابن الخطاب لقد صدقت ابنة ابى حنتمة ذهب بخيرها ونجا من شرها او والله ما قالت ولكن قولت وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو فى عمر

فجعنى فيروز لادر دره ٭ بأبيض تال للكتاب منيب
رؤف على الادنى غليظ على العدا ٭ أخى ثقة فى النائبات منيب
متى ما يقل لا يكذب القول فعله ٭ سريع الى الخيرات غير قطوب

وقالت ايضا

عين جودى بعبرة ونحيب ٭ لا تملى على الامام النجيب
فجعتنى المنون بالفارس المعلم يوم الهياج والتلبيب
عصمة الناس والمعين على الدهر وغيث المنتاب والمحروب

ذا القرنين فسماه ابوه الاسكندر فلما هلك الحرث تولى مكانه ابنه (الاسكندر) فهو الاسكندر بن فيلسوف الحميرى وانما نسبته الروم الى امه لان اباه مات وهو صغير وكان رجلا طويل القامة رحب الجبين اختلف العلماء فى نبوته قال مقاتل نبى لان الله تبارك وتعالى اوحى اليه لقوله تعالى قلنا ياذا القرنين والوحى للانبياء وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه انه ليس بنبى لكنه رجل صالح مطيع لاوامر الله تعالى قال ابو الحسن فى قصيدته

وذو القرنين لم يعرف نبيا
كذا لقمان فاحذر عن جدال

واختلفوا فى نسبه قال اهل التفسير هو ابن فيلقوس اليونانى وقال الدميرى فى حياة الحيوان انهما اثنان (أحدهما) على عهد ابراهيم عليه السلام وهو أول القياصرة وهو الذى بنى الاسكندرية قيل انه عاش الفا وستمائة سنة كذا فى المحاضرة (والثانى) قبل مولد المسيح بثلثمائة وثلاث سنين والغالب انه كان فى الفترة بين عيسى عليه السلام وبين نبينا صلى الله عليه وسلم وسبب تسميته بذى القرنين قيل كان فى مقدم رأسه شبه القرنين من لحم

قل لاهل الثراء والبؤس موتوا * قد سقتها المنون كاس شعوب

قال ابن المسيب وحج عمر فلما كان بضجنان قال لا اله الا الله العظيم العلي المعطي ما شاء من شاء كنت ارعى ابل الخطاب في هذا الوادي في مدرعة صوف وكان فظا يتعبني اذا عملت ويضربني اذا قصرت وقد أمسيت وليس بيني وبين الله احد ثم تمثل

لا شيء فيما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجري الرياح به * والانس والجن فيما بينها برد
أين الملوك التي كانت نوافلها * من كل اوب اليها راكب يفد
حوضا هنالك مورودا بلا كذب * لا بد من ورده يوما كما وردوا

قال اسلم ان هند بنت عتبة استقرضت عمر من بيت المال اربعة آلاف تتجر فيها وتضمنها فأقرضها فخرجت فيها الى بلاد كلب فاشترت وباعت فبلغها ان ابا سفيان وابنه عمرا اتيا معاوية فعدلت اليه وكان ابو سفيان قد طلقها فقال لها معاوية ما أقدمك اي امه قالت النظر اليك اي بني انه عمر وانما يعمل لله وقد اتاك ابوك فخشيت ان تخرج اليه من كل شيء واهل ذلك هو ولا يعلم الناس من أين اعطيته فيؤنبوك ويؤنبك عمر فلا تستقبلهما ابدا فبعث الى ابيه والى اخيه بمائة دينار وكساهما وحملهما فتسخطها عمرو فقال ابو سفيان لا تسخطها فان هذا عطاء لم تغب عنه هند ورجعوا جميعا فقال ابو سفيان لهند أربحت قالت الله اعلم فلما أتت المدينة وباعت شكت الوضيعة فقال لها عمر لو كان مالي لتركته لك ولكنه مال المسلمين وقال لابي سفيان بكم اجازك معاوية قال بمائة دينار (٣) قال ابن عباس بينما عمر بن الخطاب وأصحابه يتذاكرون الشعر فقال بعضهم فلان اشعر وقال بعضهم بل فلان اشعر قال فأقبلت فقال عمر قد جاءكم أعلم الناس بها من اشعر الشعراء قال قلت زهير بن أبي سلمى فقال هلم من شعره ما يستدل به على ما ذكرت فقلت امتدح قوما من غطفان فقال

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
قوم ابوهم سنان حين تنسبهم * طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
انس اذا أمنوا جن اذا فزعوا * مرزؤون بهاليل اذا حشدوا
محسدون على ما كان من نعم * لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

فقال عمر أحسن والله وما اعلم احدا أولى بهذا الشعر من هذا الحي من بني هاشم لفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابتهم منه فقلت وفقت يا امير المؤمنين ولم تزل موفقا فقال يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد صلى الله عليه وسلم فكرهت ان أجيبه فقلت ان لم أكن ادري فان امير المؤمنين يدريني فقال عمر كرهوا ان يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتجحفوا على قومكم بجحا بجحا فاختارت قريش لانفسها فأصابت ووفقت فقلت يا امير المؤمنين ان تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت قال تكلم قلت اما قولك يا امير المؤمنين اختارت قريش لانفسها فأصابت ووفقت فلو أن قريشا اختارت لانفسها حين اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود وأما قولك انهم ابوا ان تكون لنا النبوة والخلافة فان الله عز وجل

وقيل كان له ذؤابتان حسنتان والذؤابة تسمى قرنا وقيل كان كريم الطرفين من أبيه وامه قال صاحب انشاء الاخبار كان أبو الاسكندر أعلم اهل الارض بالنجوم ولم يراقب احد الفلك ما راقبه وكان قد مد الله تعالى له الاجل فقال ذات ليلة لزوجته قد قتلني السهر فدعيني أرقد ساعة وانظري في السماء فاذا رأيت قد طلع في هذا المكان نجم وأشار الى موضع طلوعه فنبهيني حتى اطأك فتعلقين بولد يعيش الى آخر الدهر وكانت اختها تسمع كلامه ثم نام ابو الاسكندر فجعلت اخت زوجته تراقب النجم فلما طلع اعلمت زوجها بالقصة فوطئها فعلقت منه بالخضر عليه السلام فهو ابن خالة الاسكندر ووزيره فلما استيقظ ابو الاسكندر رأى النجم قد نزل في غير البرج الذي كان يرقبه فقال لزوجته هلا نبهتيني فقالت استحييت والله فقال لها اما تعلمين اني اراقب هذا النجم منذ اربعين سنة والله لقد ضيعت عمري في غير شيء ولكن الساعة يطلع في أثره نجم فاطأك فتعلقين بولد يملك قرني الشمس ولكن لا يعيش كثيرا فما لبث أن طلع النجم فواقعها فعلقت بالاسكندر

بهامش الاصل من قوله فقال يا ابن عباس الى ذكر قصة الشورى زائد دس قاتل الله واضعه اهـ

وصف قوما بالكراهة فقال ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم فقال عمر هيهات والله
يا ابن عباس قد كانت تبلغني عنك اشياء كنت اكره ان أقرك عليها فتزيل منزلتك مني فقلت
ماهي يا امير المؤمنين فان كانت حقا فما ينبغي ان تزيل منزلتي منك وان كانت باطلا فمثلي اماط
الباطل عن نفسه فقال عمر بلغني انك تقول انما صرفوها عنا حسدا وبغيا وظلما فقلت اما
قولك يا امير المؤمنين ظلما فقد تبين للجاهل والحليم وأما قولك حسدا فان آدم حسد ونحن ولده
المحسودون فقال عمر هيهات هيهات أبت والله قلوبكم يا بني هاشم الا حسدا لا يزول فقلت مهلا
يا امير المؤمنين لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا عن الحسد والغش
فان قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلوب بني هاشم فقال عمر اليك عني يا ابن عباس
فقلت افعل فلما ذهبت أقوم استحيا مني فقال يا ابن عباس مكانك فوالله اني لراع لحقك محب
لما سرك فقلت يا امير المؤمنين ان لي عليك حقا وعلى كل مسلم فمن حفظه فحظه اصاب ومن
اضاعه فحظه أخطأ ثم قام فمضى

﴿ ذكر قصة الشورى ﴾

قال عمرو بن ميمون الاودي ان عمر بن الخطاب لما طعن قيل له يا امير المؤمنين لو استخلفت فقال
لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته وقلت لربي ان سألني سمعت نبيك يقول انه امين هذه الامة ولو
كان سالم مولى أبي حذيفة حيا استخلفته وقلت لربي ان سألني سمعت نبيك يقول ان سالما شديد
الحب لله تعالى فقال له رجل ادلك على عبد الله بن عمر فقال قاتلك الله والله ما اردت الله بهذا
ويحك كيف استخلف رجلا عجز عن طلاق امرأته لا ارب لنا في أموركم فما حمدتها فارغب فيها
لاحد من أهل بيتي ان كان خيرا فقد أصبنا منه وان كان شرا فقد صرف عنا بحسب آل عمر أن
يحاسب منهم رجل واحد ويسئل عن امر أمة محمد أما لقد جهدت نفسي وحرمت اهلي وان
نجوت كفافا لا وزر ولا أجر اني لسعيد انظر فان أستخلف فقد استخلف من هو خير مني وان
اترك فقد ترك من هو خير مني ولن يضيع الله دينه فخرجوا ثم راحوا فقالوا يا امير المؤمنين لو
عهدت عهدا فقال قد كنت أجمعت بعد مقالتي ان انظر فاولي رجلا أمركم هو احرى ان
يحملكم على الحق وأشار الى علي فرهقتني غشية فرأيت رجلا دخل جنة فجعل يقطف كل
غضة ويانعة فيضمه اليه ويصيره تحته فعلمت ان الله غالب امره فما اردت ان اتحملها حيا وميتا
عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم من اهل الجنة وهم علي وعثمان
وعبد الرحمن وسعد والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فليختار وا منهم رجلا فاذا ولوا واليا
فأحسنوا موازرته وأعينوه فخرجوا فقال العباس لعلي لا تدخل معهم قال اني اكره الخلاف
قال اذن ترى ما تكره فلما اصبح عمر دعا عليا وعثمان وسعدا وعبد الرحمن والزبير فقال لهم
اني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الامر الا فيكم وقد قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راض واني لا اخاف الناس عليكم ان استقمتم ولكني
أخافكم فيما بينكم فيختلف الناس فانهضوا الى حجرة عائشة باذنها فتشاوروا فيها ووضع رأسه
وقد نزفه الدم فدخلوا فتناجوا حتى ارتفعت اصواتهم فقال عبد الله بن عمر سبحان الله ان أمير
المؤمنين لم يمت بعد فسمعه عمر فانتبه وقال اعرضوا عن هذا فاذا مت فتشاوروا ثلاثة ايام

وولد الاسكندر وابن خالته
الخضر في ليلة واحدة وفي
بلغة الغواص ان ذا القرنين
نشأ يتيما في بني حمير اسمه
صعب بن جبل وامه هيلانة
فحملته امه الى بيت الصنائع
في القسطنطينية فقالت
اختر يا بني ما تريده منها فرأى
صانعا يصلح تاج الملك فوضع
يده عليه فانتهرته مرارا فلم
ينته وكان يونان الحكيم
يبصرهما فاداهما وقال
لامه هيلانة انت هيلانة
وهذا ابنك صعب بن جبل
قالت نعم فأخذ منه العهد
له ولذريته بالامان وقال له
انت الملك الذي يسحب ذيله
في مشارق الارض ومغاربها
وامر امه بكتم امره فحملته
الى ارض بابل فلما بلغ الحلم
رأى ثلاث منامات في ثلاث
ليال رأى ليلة كان الارض
كلها خبزا فأكله ورأى ليلة
اخرى انه شرب البحار
وأكل طينها ورأى في الليلة
الثالثة انه ورقى السماء
فقلع نجومها ورماها الى
الارض وركب الشمس
وصحبه ناصيته القمر فلما
اصبح اجتمع بالخضر وقرها
عليه فبشره بالملك الاعظم
فعلت همته واشتدت
شوكته وعظم في قومه والقى
الله عليه الهيبة واجتمع مع
ابراهيم عليه السلام في
سفر بقرب مكة فاعطاه

وليصل بالناس صهيب ولا يأتين اليوم الرابع الا وعليكم امير منكم ويحضر عبد الله بن عمر
مشيرا ولا شئ له من الامر وطلحة شريككم في الامر فان قدم في الايام الثلاثة فاحضروه وامركم
وان مضت الايام الثلاثة قبل قدومه فامضوا أمركم ومن لي بطلحة فقال سعد بن ابي وقاص انا
لك به ولا يخالف ان شاء الله تعالى فقال عمر أرجو أن لا يخالف ان شاء الله وما أظن يلي الا أحد
هذين الرجلين علي أو عثمان فان ولي عثمان فرجل فيه لين وان ولي علي ففيه دعابة واحرى به
ان يحملهم على طريق الحق وان تولوا سعدا فأهله هو والا فليستعن به الوالي فاني لم اعزله عن
ضعف ولا خيانة ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف فاسمعوا منه وأطيعوا وقال لابي طلحة
الانصاري يا أبا طلحة ان الله طالما أعز بكم الاسلام فاختر خمسين رجلا من الانصار فاستحث
هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم وقال للمقداد بن الاسود اذا وضعتموني في حفرتي فاجمع
هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلا وقال لصهيب صل بالناس ثلاثة أيام وادخل هؤلاء الرهط
بيتا وقم على رؤسهم فان اجتمع خمسة وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف وان اتفق أربعة وأبى
اثنان فاضرب رؤسهما وان رضي ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر فان لم يرضوا
بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما
اجتمع فيه الناس فخرجوا فقال علي لقوم معه من بني هاشم ان أطيع فيكم قومكم لم تؤمروا ابدا
وتلقاه عمه العباس فقال عدلت عنا فقال وما علمك قال قرن بي عثمان وقال كونوا مع الاكثر
فان رضي رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن فسعد لا يخالف
ابن عمه وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون فيوليها احدهما الآخر فلو كان الآخران معي
لم ينفعاني فقال له العباس لم ارفعك في شئ الا رجعت الي مستأخرا بما اكره اشرت عليك عند وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسأله فيمن هذا الامر فأبيت فأشرت عليك بعد وفاته ان
تعاجل الامر فأبيت وأشرت عليك حين سماك عمر في الشورى أن لا تدخل معهم فابيت احفظ
عني واحدة كل ما عرض عليك القوم فقل لا الا ان يولوك واحذر هؤلاء الرهط فانهم لا يبرحون
يدفعوننا عن هذا الامر حتى يقوم به لنا غيرنا وايم الله لا يناله الا بشر لا ينفع معه خير فقال علي
اما لئن بقي عثمان لاذكرنه ما أتى ولئن مات ليتداولونها بينهم ولئن فعلوا ليجدني حيث
يكرهون ثم تمثل

حلفت برب الراقصات عشية * غدون خفافا فابتدرن المحصبا
ليحتلبن رهط ابن يعمر قارسا * نجيعا بنو الشداخ وردا مصلبا

والتفت فرأى ابا طلحة فكره مكانه فقال ابو طلحة لن تراع ابا الحسن فلما مات عمر وأخرجت
جنازته صلى عليه صهيب فلما دفن عمر جمع المقداد اهل الشورى في بيت المسور بن مخرمة
وقيل في بيت المال وقيل في حجرة عائشة باذنها وطلحة غائب وأمروا ابا طلحة ان يحجبهم وجاء
عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما وقال تريدان ان
تقولا حضرنا وكنا في اهل الشورى فتنافس القوم في الامر وكثر بينهم الكلام فقال أبو طلحة انا
كنت لان تدفعوها أخوف مني لان تنافسوها والذي ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الايام
الثلاثة التي أمرتم ثم أجلس في بيتي فانظر ما تصنعون فقال عبد الرحمن أيكم يخرج منها نفسه

ويتقلدها

الراية وعانقه وصافحه وقبله
بين عينيه وهو أول من لبس
العمامة وكانوا يلبسون
التيجان قبله وأول ما جمع
عليه رأيه انه أسلم وحسن
اسلامه واستولى الملك فهدم
بيوت النيران ببلاد الفرس
وبيوت الاوثان واحرق
كتبهم ودعا الناس الى
الاسلام وبنى اثنتي عشرة
مدينة ثلاث مدائن بأعمال
خراسان هراة ومرو واسكندر
ومدينة بارض بابل ومدينة
الاسكندرية بمصر والباقي
متفرقة وذكر القرطبي في
تفسيره قوله تعالى انا مكناه
في الارض وآتيناه من كل
شئ سببا أن الله تعالى سخر
له السحاب ومد له الاسباب
وسخر له الظلمة والنور فكانا
جندا من اجناده يهديه
النور من امامه وتحفظه الظلمة
من ورائه واحصى عسكره
فكانوا الف الف وستمائة
الف رجل فلما بلغ مغرب
الشمس وجد جموعا لا يحصيها
الا الله تعالى أصحاب قوة
وبأس فضرب حولهم جند
الظلمة مثل الدخان فأحاط
بهم من كل مكان حتى دخلت
في افواههم وانوفهم
واعينهم فتحيروا وايقنوا
بالهلاك فضجوا الى الله
تعالى فجمعهم في مكان
واحد ودخل عليهم بالنور
فدعاهم الى الله تعالى

ويتقلدها على ان يوليها أفضلكم فلم يجبه احد فقال فانا أنخلع منها فقال عثمان انا أول من رضى فقال القوم قد رضينا وعلى ساكت فقال ما تقول يا ابا الحسن قال أعطنى موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تألو الامة نصحا فقال أعطونى مواثيقكم على أن تكونوا معى على من بدل وغير وأن ترضوا من اخترت لكم وعلى ميثاق الله ان لا أخص ذا رحم لرحمه ولا آلو المسلمين فأخذ منهم ميثاقا واعطاهم مثله فقال لعلى تقول انى أحق من حضر بهذا الامر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك فى الدين ولم تبعد فى نفسك ولكن ارأيت لو صرف هذا الامر عنك فلم تحضر من كنت ترى من هؤلاء الرهط أحق به قال عثمان وخلا بعثمان فقال تقول شيخ من بنى عبد مناف وصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ولى سابقة وفضل فاين يصرف هذا الامر عنى ولكن لو لم تحضر أى هؤلاء الرهط تراه أحق به قال على والتقى على سعدا فقال له اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام اسألك برحم ابنى هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرحم عمى حمزة منك ان تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيرا ودار عبد الرحمن لياليه يلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وافى المدينة من امراء الاجناد واشراف الناس يشاورهم حتى اذا كان الليلة التى صبيحتها تستكمل الاجل أتى منزل المسور بن مخرمة فايقظه وقال له لم أذق فى هذه الليلة كبير غمض انطلق فادع الزبير وسعدا فدعاهما فبدأ بالزبير فقال له خل بنى عبد مناف وهذا الامر قال نصيبى لعلى وقال لسعد اجعل نصيبك لى فقال ان اخترت نفسك فنعم وان اخترت عثمان فعلى أحب الى أيها الرجل بايع لنفسك وأرحنا وارفع رؤسنا فقال له قد خلعت نفسى على ان اختار ولو لم أفعل لم أردها انى رأيت روضة خضراء كثيرة العشب فدخل فحل ما رأيت اكرم منه فمر كانه سهم لم يلتفت الى شئ منها حتى قطعها لم يعرج ودخل بعير يتلوه فاتبع أثره حتى خرج منها ثم دخل فحل عبقرى يجر خطامه ومضى قصد الاولين ثم دخل بعير رابع فوقع فى الروضة ولا والله لا اكون الرابع ولا يقوم مقام أبى بكر وعمر بعدهما احد فيرضى الناس عنه قال وارسل المسور فاستدعى عليا فناجاه طويلا وهو لا يشك انه صاحب الامر ثم نهض ثم أرسل الى عثمان فتناجيا حتى فرق بينهما الصبح قال عمرو بن ميمون قال لى عبد الله بن عمر من أخبرك انه يعلم ما كلم به عبد الرحمن بن عوف عليا وعثمان فقد قال بغير علم فوقع قضاء ربك على عثمان فلما صلوا الصبح جمع الرهط وبعث الى من حضره من المهاجرين واهل السابقة والفضل من الانصار والى امراء الاجناد فاجتمعوا حتى التحم المسجد بأهله فقال ايها الناس ان الناس قد أجمعوا ان يرجع اهل الامصار الى امصارهم فاشيروا على فقال عمار ان اردت ان لا يختلف المسلمون فبايع عليا فقال المقداد بن الاسود صدق عمار ان بايعت عليا قلنا سمعنا وأطعنا وقال ابن ابى سرح ان اردت ان لا تختلف قريش فبايع عثمان فقال عبد الله بن ابى ربيعة صدقت ان بايعت عثمان قلنا سمعنا واطعنا فتبسم ابن ابى سرح فقال عمار متى كنت تنصح المسلمين فتكلم بنو هاشم وبنو أمية فقال عمار ايها الناس ان الله اكرمنا بنبيه واعزنا بدينه فانى تصرفون هذا الامر عن اهل بيت نبيكم فقال رجل من بنى مخزوم لقد عدوت طورك يا ابن سمية وما أنت وتامير قريش لانفسها فقال سعد بن ابى وقاص يا عبد الرحمن افرغ قبل ان يفتتن الناس فقال عبد الرحمن انى قد نظرت وشاورت فلا تجعلن ايها الرهط على أنفسكم

فآمنوا ودخلوا فى طاعته وفعل مثل ذلك لما بلغ مطلع الشمس وكان اذا أتى بحرا اونهرا عظيما بنى سفنا من الواح تحمل معه فنظمها ثم حمل عليها جميع ما معه قال الطبرى من حيله فى حروبه انه لما تلقاه ملك الهند بالفيلة نفرت منها خيل أصحابه فعاد عنه وامر باتخاذ فيلة من نحاس والبسها السلاح وجعلها مع الخيل حتى ألفتها ثم عاد الى الهند فخرج اليه ملكهم بعساكره وفيله فامر الاسكندر فملئت بطون الفيلة من النفط والكبريت وركبت على العجل وجرت وسط العسكر ومعها جمع من أصحابه فلما نشب الحرب امر باشعال النار فى تلك الفيلة فلما حميت انكشف اصحابه عنها وغشيها فيلة الهند فضربتها بخراطيمها فاحترقت وولت هاربة راجعة على عسكر الهنود فانهزموا بين يديها فاهلكت غالب عسكرهم وقتل ملك الهند فور وانقاد اليه جميع ملوك الهند وروى انه لما توجه نحو المشرق رأى مدنا خرابا فسأل عن سبب ذلك فقيل له أخربها يأجوج ومأجوج وشكوا اليه من شرهم وسألوه أن يجعل بينهم سدا ومكان السد بين جبلين متقابلين

سبيلا ودعا عليا وقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين
من بعده قال أرجو ان أفعل فاعمل بمبلغ علمي وطاقتي ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي فقال
نعم نعمل فرفع رأسه الى سقف المسجد ويده في يد عثمان فقال اللهم اسمع واشهد اللهم اني قد
جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان فبايعه فقال علي ليس هذا اول يوم تظاهرتم فيه علينا
فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون والله ما وليت عثمان الا ليرد الامر اليك والله كل يوم
في شأن فقال عبد الرحمن يا علي لا تجعل على نفسك حجة وسبيلا فخرج علي وهو يقول سيبلغ
الكتاب أجله فقال المقداد يا عبد الرحمن أما والله لقد تركته وانه من الذين يقضون بالحق وبه
يعدلون فقال يا مقداد والله لقد اجتهدت للمسلمين قال ان كنت اردت الله فأثابك الله ثواب
المحسنين فقال المقداد ما رأيت مثل ما اتى الى اهل هذا البيت بعد نبيهم اني لاعجب من قريش
انهم تركوا رجلا ما أقول ولا اعلم أن رجلا اقضى بالعدل ولا أعلم منه اما والله لو اجد اعوانا
عليه فقال عبد الرحمن يا مقداد اتق الله فاني خائف عليك الفتنة فقال رجل للمقداد رحمك الله
من اهل هذا البيت ومن هذا الرجل قال اهل البيت بنو عبد المطلب والرجل علي بن ابي طالب
فقال علي ان الناس ينظرون الى قريش وقريش تنظر بيتها فتقول ان ولي عليكم بنو هاشم لم
تخرج منهم ابدا وما كانت في غيرهم تداولوها بينكم وقدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه
لعثمان فقيل له بايعوا لعثمان فقال كل قريش راض به قالوا نعم فأتى عثمان فقال له عثمان أنت
على رأس أمرك وان ابيت رددتها قال اتردها قال نعم قال اكل الناس بايعوك قال نعم قال قد
رضيت لا ارغب عما اجمعوا عليه وبايعه وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن يا ابا محمد قد أصبت
أن بايعت عثمان وقال لعثمان ولو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا فقال عبد الرحمن كذبت
يا أعور لو بايعت غيره لبايعته ولقلت هذه المقالة قال وكان المسور يقول ما رأيت أحدا بذ قوما
فيما دخلوا فيه بمثل ما بذهم عبد الرحمن قلت قوله ان عبد الرحمن صهر عثمان يعني ان عبد
الرحمن تزوج ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اخت عثمان لامه خلف عليها عقبة بعد
عثمان وقد ذكر أبو جعفر رواية اخرى في الشورى عن المسور بن مخرمة وهي تمام حديث
مقتل عمر وقد تقدم والذي ذكره ههنا قريب من الذي تقدم آنفا غير انه قال لما دفن عمر جمعهم
عبد الرحمن وخطبهم وأمرهم بالاجتماع وترك التفرق فتكلم عثمان فقال الحمد لله الذي اتخذ
محمدا نبيا وبعثه رسولا وصدقه وعده ووهب له نصرة على كل من بعد نسبا أو قرب رحما صلى الله
عليه جعلنا الله له تابعين وبأمره مهتدين فهو لنا نور ونحن بأمره نقوم عند تفرق الاهواء
ومجادلة الاعداء جعلنا الله بفضله أئمة وبطاعته امراء لا يخرج امرنا منا ولا يدخل علينا غيرنا
الا من سفه الحق ونكل عن القصد وأحر بها يا ابن عوف ان تترك (٣) وأجدر بها ان يكون ان
خولف أمرك وترك دعاؤك فانا أول مجيب وداع اليك وكفيل بما اقول زعيم وأستغفر الله لي
ولكم ثم تكلم الزبير بعده فقال اما بعد فان داعي الله لا يجهل ومجيبه لا يخذل عند تفرق الاهواء
ولي الاعناق ولن يقصر عما قلت الا غوي ولن يترك ما دعوت اليه الا شقي ولولا حدود الله
فرضت وفرائض الله حدت (٣) تراح على اهلها وتحيا ولا تموت لكان الموت من الامارة نجاة
والفرار من الولاية عصمة ولكن لله علينا اجابة الدعوة واظهار السنة لئلا نموت موتة عمية

املسين كالحائط يزلق عنهما
كل شيء يرتقي فيهما فوجد
هناك معدنين فاستخرج
منهما ما كنا من الحديد
والنحاس ثم أمر بحفر الاساس
حتى بلغ الماء ثم جمع الحديد
والحطب وجعله صفوفا
بعضها فوق بعض صف
حطب وصف قطع الحديد
حتى ساوى بالبناء الجبلين ثم
اشعل النار في الحطب فحمي
الحديد وافرغ عليه النحاس
المذاب فصار موضع الحطب
النحاس والحديد واستمر
مكانه فبقي السد كانه برج
مخطط بسواد الحديد وحمرة
النحاس وجعل ارتفاعه
مائتي ذراع وخمسين ذراعا
وطول السور ما بين الجبلين
مائة فرسخ وعرضه خمسون
فرسخا عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان
يأجوج ومأجوج يخرقون
السد كل يوم حتى اذا كادوا
يرون شعاع الشمس قال
الذي عليهم ارجعوا
فستخرقونه غدا فيعيده الله
تعالى كاشد ما يكون حتى
اذا اراد الله تعالى ان يبعثهم
على الناس حفروا حتى اذا
كادوا يرون شعاع الشمس
قال الذي عليهم ارجعوا
فستخرقونه غدا ان شاء الله
تعالى فيعودون اليه فيجدونه
كما تركوه فيخرقونه ويخرجون
على الناس مقدمتهم بالشام

ولا نعمى عمى الجاهلية فانا مجيبك الى مادعوت ومعينك على ما أمرت ولا حول ولا قوة الا بالله واستغفر الله لى ولكم ثم تكلم سعد فقال بعد حمد الله وحمد صلى الله عليه وسلم انارت الطريق واستقامت السبل وظهر كل حق ومات كل باطل اياكم ايها النفر وقول الزور وأمنية أهل الغرور وقد سلبت الامانى قوما قبلكم ورثوا ما ورثتم ونالوا ما نلتم فاتخذهم الله عدوا ولعنهم لعنا كبيرا قال الله تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل الى قوله لبئس ما كانوا يفعلون انى نكبت قربى واخذت سهمى الفالج واخذت لطلحة بن عبيد الله ما ارتضيت لنفسى فأنا به كفيل وبما اعطيت عنه زعيم والامر اليك يا ابن عوف بجهد النفس وقصد النصح وعلى الله قصد السبيل واليه الرجوع وأستغفر الله لى ولكم وأعوذ بالله من مخالفتكم ثم تكلم على بن ابى طالب فقال الحمد لله الذى بعث محمدا منا نبيا وبعثه الينا رسولا فنحن بيت النبوة ومعدن الحكمة وأمان اهل الارض ونجاة لمن طلب لنا حق ان نعطه نأخذه وان نمنعه نركب اعجاز الابل ولو طال السرى لو عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا لانفذنا عهده ولو قال لنا قولا لجادلنا عليه حتى نموت لن يسرع أحد قبلى الى دعوة حق وصلة رحم لا حول ولا قوة الا بالله اسمعوا كلامى وعوا منطقى عسى ان تروا هذا الامر بعد هذا الجمع تنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود حتى تكونوا جماعة ويكون بعضهم أئمة لاهل الضلالة وشيعة لاهل الجهالة ثم قال

فان تك جاشم هلكت فانى * بما فعلت بنو عبد بن ضخم

مطيع فى الهواجر كل عى * بصير بالنوى من كل نجم

فقال عبد الرحمن أيكم يطيب نفسا ان يخرج نفسه من هذا الامر وذكر قريبا مما تقدم ثم جلس عثمان فى جانب المسجد بعد بيعته ودعا عبيد الله بن عمر بن الخطاب وكان قتل قاتل ابيه ابا لؤلؤة وقتل جفينة رجلا نصرانيا من اهل الحيرة كان ظهيرا لسعد بن مالك وقتل الهرمزان فلما ضربه بالسيف قال لا اله الا الله فلما قتل هؤلاء اخذه سعد بن ابى وقاص وحبسه فى داره واخذ سيفه واحضره عند عثمان وكان عبيد الله يقول والله لاقتلن رجالا ممن شرك فى دم ابى يعرض بالمهاجرين والانصار وانما قتل هؤلاء النفر لان عبد الرحمن بن ابى بكر قال غداة قتل عمر رأيت عشية امس الهرمزان وأبا لؤلؤة وجفينة وهم يتناجون فلما رأونى ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه وهو الخنجر الذى ضرب به عمر فقتلهم عبيد الله فلما أحضره عثمان قال اشيروا على فى هذا الرجل الذى فتق فى الاسلام ما فتق فقال على أرى ان تقتله فقال بعض المهاجرين قتل عمر امس ويقتل ابنه اليوم فقال عمرو بن العاص ان الله قد أعفاك ان يكون هذا الحدث ولك على المسلمين سلطان فقال عثمان انا وليه وقد جعلتها دية وأحتملها فى مالى وكان زياد بن لبيد البياضى الانصارى اذا رأى عبيد الله يقول

ألا يا عبيد الله مالك مهرب * ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر

أصبت دما والله فى غير حله * حراما وقتل الهرمزان له خطر

على غير شئ غير ان قال قائل * اتتهمون الهرمزان على عمر

فقال سفيه والحوادث جمة * نعم اتهمه قد أشار وقد امر

وساقتهم بخراسان ثم يهلكهم الله تعالى بالنفخ فى رقابهم فلما فرغ الاسكندر من امر السد بلغه ان الله تعالى خلق فى الارض ظلمة لم يطأها انس ولا جان وفى تلك الظلمة عين الخلد تنبع من الفردوس من شرب من مائها لم يمت ابدا الى يوم القيامة فلما سمع ذلك تأهب لرؤيتها وكان مسيره مما يلى القطب الشمالى والشمس جنوبية فلهذا كان مظلما والاقليم فى الارض موضع لا تطلع الشمس عليه ابدا فلما بلغوا طرف الظلمة فاذا ظلمة تفور مثل الدخان ليست كظلمة الليل فعبر الخضر عليه السلام على مقدمته بالفى رجل ومعه اربعة آلاف رجل فصار الخضر يرتحل وذو القرنين ينزل مكانه فساروا فيها ثمانية عشر يوما فوصل الخضر واديا تحقق ان العين فيه فقال لاصحابه قفوا هنا ولا يبرح رجل من موضعه فمشى وحده حتى انتهى اليها فرأى ماء اشد بياضا من اللبن واحلى من الشهد فشرب منه واغتسل وتوضأ وصلى ركعتين ولبس ثيابه ثم رجع فاجتمع مع أصحابه واخطأ ذو القرنين الوادى فسلك فى الظلمة اربعين يوما ثم انصرفوا راجعين ورأوا فى طريقهم خلا كالبعاق فكانت النملة تخطف الفارس عن فرسه فوصلوا العراق ومات الاسكندر فى طريقه بشهرزور وقيل ببلاد نصيبين من بلاد ديار ربيعة بعلة الخوانيق

وكان سلاح العبد في جوف بيته * يقلبها والامر بالامر يعتبر

فشكا عبيد الله الى عثمان زياد بن لبيد فنهى عثمان زيادا فقال في عثمان

أبا عمرو عبيد الله رهن * فلا تشكك بقتل الهرمزان
فانك ان عفوت الجرم عنه * واسباب الخطا فرسا رهان
اتعفو اذ عفوت بغير حق * فمالك بالذي تحكي يدان

فدعا عثمان زيادا فنهاه وشذبه وقيل في فداء عبيد الله غير ذلك قال القماذيان بن الهرمزان كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها الى بعض فمر فيروز أبو لؤلؤة بالهرمزان ومعه خنجر له رأسان فتناوله منه وقال ما تصنع به قال أسن به فرآه رجل فلما أصيب عمر قال رأيت الهرمزان دفعه الى فيروز فاقبل عبيد الله فقتله فلما ولي عثمان امكنني منه فخرجت به وما في الارض أحد الا معي الا انهم يطلبون الي فيه فقلت لهم ألي قتله قالوا نعم وسبوا عبيد الله قلت لهم أفلكم منعه قالوا لا وسبوه فتركته لله ولهم فحملوني فوالله ما بلغت المنزل الا على رؤس الناس والاول أصح في اطلاق عبيد الله لان عليا لما ولي الخلافة اراد قتله فهرب منه الى معاوية بالشام ولو كان اطلاقه بامر ولي الدم لم يتعرض له علي

﴿ذكر عدة حوادث﴾

كان العمال فيها على مكة نافع بن عبد الحرث الخزاعي وعلى الطائف سفيان بن عبد الله الثقفي وعلى صنعاء يعلى بن أمية وعلى الجند عبد الله بن ابي ربيعة وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة وعلى البصرة ابو موسى الاشعري وعلى مصر عمرو بن العاص وعلى حمص عمير بن سعد وعلى دمشق معاوية وعلى البحرين وما والاها عثمان بن ابي العاص الثقفي وفيها اغزا معاوية الصائفة ومعه عبادة بن الصامت وابو ايوب الانصاري وابو ذر وشداد بن اوس وفيها فتح معاوية عسقلان على صلح وكان على قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة كعب بن سور وقيل ان ابا بكر وعمر لم يكن لهما قاض وفي هذه السنة توفي قتادة بن النعمان الانصاري وهو الذي رد رسول الله صلى الله عليه وسلم عينه وصلى عليه عمر بن الخطاب وهو بدري وقيل توفي سنة أربع وعشرين وفي خلافة عمر توفي الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري وهو بدري وربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وهو أسن من العباس وعمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو وهو بدري وعمير بن وهب ابن خلف الجمحي شهد أحدا وعتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود وهو من مهاجرة الحبشة شهد أحدا وعدي بن أبي الزغباء الجهني وهو عين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وشهد غيرها ايضا وفيها مات عويم بن ساعدة الانصاري وهو عقبي بدري وقيل انه من بلي وله حلف في الانصار وفيها مات سهيل بن رافع الانصاري شهد بدرا ومسعود بن أوس بن زيد الانصاري وقيل بل عاش بعد ذلك وشهد صفين مع علي وفيها توفي واقد بن عبد الله التميمي حليف الخطاب وهو اول من قاتل في سبيل الله في الاسلام وقتل عمرو بن الحضرمي وكان اسلامه قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم وفيها مات ابو جندل بن سهيل بن عمرو واخوه عبد الله وكان عبد الله بدريا ولم يشهدها ابو جندل لان أباه حبسه بمكة ومنعه من الهجرة الى يوم الحديبية وقد تقدم كيف خلص وفيها مات ابو خالد الحرث بن قيس بن خالد وكان اصابه جرح باليمامة

فاندمل

فلما اشتد مرضه قال له الحكماء انك لا تموت الا على ارض من حديد وسقف من ذهب فاخذه الرعاف وكان راكبا فسقط عن دابته فبسط درعه على الارض فنام فادركته الشمس فاظلوه بترس من ذهب فنظر وهو مضطجع على حديد وفوقه ذهب فايقن بالموت فلما توفي طلي جسمه بالاطلية الماسكة لاجزائه وحمل الى امه بالاسكندرية في تابوت من ذهب مرصع بالجوهر ودفن في أرض مصر وله قبر يعرف بقبر الاسكندر وللاسكندر في اسفاره وقطعه الاقاليم ومشاهدته الامم وملاقاته الحكماء مع تنائي ديارهم وبعد اوطانهم واختلاف لغاتهم وعجائب صورهم اخبار كثيرة من حروب ومكايد وفنون لا يسعها هذا المختصر وسنذكر شيأ من اخباره في ذكر ملوك اليونانيين وكان عمره ستا وثلاثين سنة ومدة ملكه اربع عشرة سنة ولما توفي الاسكندر ملك بعده ابنه (ذو المنار ابرهة) وانما سمي ذا المنار لانه أول من بنى المنار على طريقه في مغازيه ليهتدي بها اذا رجع وكان ملكه مائة وثلاثا وثمانين سنة ثم ملك بعده ولده (افريقس بن ابرهة) وهو الذي نقل البربر من ارض فلسطين ومصر والساحل الى مساكنهم اليوم وكانت البربر أهل بعثة يوشع عليه السلام وافريقس هو الذي بنى افريقية

فاندمل ثم انتقض عليه فمات منه وهو عقبى بدرى وفيها مات ابو خراش الهذلى الشاعر وخبر موته مشهور وفيها توفى غيلان بن سلمة الثقفى وهو الذى اسلم وتحته عشر نسوة وفيها فى آخرها مات الصعب بن جثامة بن قيس الليثى

ثم دخلت سنة أربع وعشرين

ذكر بيعة عثمان بن عفان بالخلافة

فى المحرم منها الثلاث مضين منه بويع عثمان بن عفان وقيل غير ذلك على ما تقدم وكان هذا العام يسمى عام الرعاف لكثرته فيه بالناس واجتمع أهل الشورى عليه وقد دخل وقت العصر فاذن مؤذن صهيب واجتمعوا بين الاذان والاقامة فخرج فصلى بالناس وزادهم مائة مائة ووفد أهل الامصار وهو أول من صنع ذلك وقصد المنبر وهو اشدهم كآبة فخطب الناس ووعظهم واقبلوا يبايعونه

ذكر عزل المغيرة عن الكوفة وولاية سعد بن أبى وقاص

وفيها عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة واستعمل سعد بن أبى وقاص عليها بوصية عمر فانه قال أوصى الخليفة بعدى ان يستعمل سعدا فانى لم أعزله عن سوء ولا خيانة فكان أول عامل بعثه عثمان فعمل عليها سعد سنة وبعض اخرى وقيل بل اقر عثمان عمال عمر جميعهم سنة لان عمر أوصى بذلك ثم عزل المغيرة بعد سنة واستعمل سعدا فعلى هذا القول تكون امارة سعد سنة خمس وعشرين وحج بالناس فى هذه السنة عثمان وقيل عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان وقد تقدم ذكر الفتوح التى ذكر بعض العلماء انها كانت زمن عثمان وذكرت الخلاف هنالك * وفى هذه السنة مات عبد الرحمن بن كعب الانصارى وهو بدرى وهو احد البكائين فى غزوة تبوك وسراقة بن مالك بن جعشم المدلجى وقيل مات بعد ذلك وهو الذى أدرك النبى صلى الله عليه وسلم فى هجرته

ثم دخلت سنة خمس وعشرين

ذكر خلاف اهل الاسكندرية

فى هذه السنة خالف اهل الاسكندرية ونقضوا صلحهم وكان سبب ذلك ان الروم عظم عليهم فتح المسلمين الاسكندرية وظنوا انهم لا يمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الاسكندرية عن ملكهم فكاتبوا من كان فيها من الروم ودعوهم الى نقض الصلح فأجابوهم الى ذلك فسار اليهم من القسطنطينية جيش كثير وعليهم منويل الخصى فارسوا بها واتفق معهم من بها من الروم ولم يوافقهم المقوقس بل ثبت على صلحه فلما بلغ الخبر الى عمرو بن العاص سار اليهم وسار الروم اليه فالتقوا واقتتلوا اقتتالا شديدا فانهزم الروم وتبعهم المسلمون الى ان ادخلوهم الاسكندرية وقتلوا منهم فى البلد مقتلة عظيمة منهم منويل الخصى وكان الروم لما خرجوا من الاسكندرية قد أخذوا أموال أهل تلك القرى من وافقهم ومن خالفهم فلما ظفر بهم المسلمون جاء اهل القرى الذين خالفوهم فقالوا لعمرو بن العاص ان الروم أخذوا دوابنا وأموالنا ولم نخالف نحن عليكم وكنا على الطاعة فرد عليهم ما عرفوا من اموالهم بعد اقامة البينة وهدم عمرو سور الاسكندرية وتركها بغير سور * وفيها بلغ سعد بن أبى وقاص عن اهل الرى عزم على نقض الهدنة والغدر

وبه سميت وكان مدة ملكه مائة وأربعا وستين سنة ثم ملك بعده أخوه (ذو الاذعار عمرو بن ذى المنار) وسمى بذى الاذعار لانه غزا بلاد النسناس فقتل منهم مقتلة عظيمة ورجع الى اليمن من سبيهم بقوم وجوههم فى صدورهم فذعر الناس منهم فسمى بذى الاذعار وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده (شرحبيل بن عمرو) ثم ملك بعده (الهدهاد ابن شرحبيل) وهو أبو بلقيس زوجة سليمان عليه السلام وكان أبوه ملكا عظيم الشان قد ولد له اربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك ارض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس أحد منكم كفؤا لى وابى ان يتزوج منهم فخطب من الجن فزوجوه امرأة منهم يقال لها ريحانة بنت السكن وذكر فى سبب وصوله الى الجن حتى خطب منهم انه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وهم على صور الظباء فيخلى عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها وقيل خرج متصيدا فرأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء

فارسل اليهم واصلحهم وغزا الديلم ثم انصرف

﴿ ذكر عزل سعد عن الكوفة وولاية الوليد بن عقبة ﴾

فى هذه السنة عزل عثمان بن عفان سعد بن أبى وقاص عن الكوفة فى قول بعضهم واستعمل الوليد بن عقبة بن أبى معيط واسم أبى معيط أبان بن أبى عمرو واسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس وهو اخو عثمان لامه أمهما أروى بنت كريز وامها البيضاء بنت عبد المطلب وسبب ذلك ان سعدا اقترض من عبد الله بن مسعود من بيت المال قرضا فلما تقاضاه ابن مسعود لم يتيسر له قضاؤه فارتفع بينهما الكلام فقال له سعد ما أراك الا ستلقى شرا هل أنت الا ابن مسعود عبد من هذيل فقال اجل والله انى لابن مسعود وانك لابن حمنة وكان هاشم بن عتبة بن أبى وقاص حاضرا فقال انكما لصاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليكما فرفع سعد يده ليدعو على ابن مسعود وكان فيه حدة فقال اللهم رب السموات والارض فقال ابن مسعود ويلك قل خيرا ولا تلعن فقال سعد عند ذلك أما والله لولا اتقاء الله لدعوت عليك دعوة لا تخطئك فولى عبد الله سريعا حتى خرج ثم استعان عبد الله باناس على استخراج المال واستعان سعد باناس على انظاره فافترقوا وبعضهم يلوم بعضا يلوم هؤلاء سعدا وهؤلاء عبد الله فكان ذلك أول ما نزغ به بين اهل الكوفة واول مصر نزغ الشيطان بين أهله الكوفة وبلغ الخبر عثمان فغضب عليهما فعزل سعدا واقر عبد الله واستعمل الوليد بن عقبة بن ابى معيط مكان سعد وكان على عرب الجزيرة عاملا لعمر ابن الخطاب رعثمان بن عفان بعده فقدم الكوفة واليا عليها واقام عليها خمس سنين وهو من أحب الناس الى اهلها فلما قدم قال له سعد أكست بعدنا ام حمقنا بعدك فقال لا تجزعن يا ابا اسحق كل ذلك لم يكن وانما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون فقال سعد أراكم جعلتموها ملكا وقال له ابن مسعود ما ادرى اصلحت بعدنا ام فسد الناس

﴿ ذكر صلح اهل ارمينية واذربيجان ﴾

لما استعمل عثمان الوليد على الكوفة عزل عتبة بن فرقد عن اذربيجان فنقضوا فغزاهم الوليد سنة خمس وعشرين وعلى مقدمته عبد الله بن شبيل الاحمسى فاغار على اهل موقان والببر والطيلسان ففتح وغنم وسبى فطلب اهل كور اذربيجان الصلح فصالحهم على صلح حذيفة وهو ثمان مائة الف درهم وقبض المال ثم بث سراياه وبعث سلمان بن ربيعة الباهلى الى اهل ارمينية فى اثنى عشر الفا فسار فى ارمينية يقتل ويسبى ويغنم ثم انصرف وقد ملأ يديه حتى اتى الوليد فعاد الوليد وقد ظفر وغنم وجعل طريقه على الموصل ثم اتى الحديثة فنزلها فأتاه بها كتاب عثمان فيه ان معاوية بن ابى سفيان كتب الى يخبرنى ان الروم قد اجلبت على المسلمين فى جموع كثيرة وقد رأيت ان يمدهم اخوانهم من أهل الكوفة فابعث اليهم رجلا له نجدة وبأس فى ثمانية آلاف أو تسعة آلاف من المكان الذى يأتيك كتابى فيه والسلام فقام الوليد فى الناس واعلمهم الحال وندبهم مع سلمان بن ربيعة الباهلى فانتدب معه ثمانية آلاف فمضوا حتى دخلوا مع اهل الشام الى ارض الروم فشنوا الغارات على ارض الروم فاصاب الناس ما شاؤا وافتتحوا حصونا كثيرة وقيل ان الذى امد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص وكان سبب ذلك ان عثمان كتب الى معاوية يأمره ان يغزى حبيب بن مسلمة فى أهل الشام ارمينية

لى البيضاء فقتل السوداء
طلق البيضاء فاذا هو ملك
لجن وكانت السوداء من
بيده قد عصت عليه ثم
هرت البيضاء فى صورة
اب جميل فعرض على
لك المال فاستعفى وقال
ن كان لك بنت فزوجنيها
روجه ابنته فولدت له
يس فلما توفى أبوها جلست
كان أبيها (بلقيس بنت
دهاد) فلما استولت على
رير الملك أطاعها الملوك
كانت تجلس من كل
وع يوما للحكومة وتحجب
ن الناس ترخى ستورا
يقة بحيث تراهم ولا يرونها
لناس وقوف فى حضرتها
ارقين رؤسهم من هيبتها
ذا كان لاحد عندها
جة يسجد لها ولا تم
ض حاجته وقد مر بعض
فها وصفة عرشها فى ذكر
مان عليه السلام وكانت
ة ملكها عشرين سنة
لك سليمان عليه السلام
ن ثلاثا وعشرين سنة ثم
من بعده الملك الى حمير
لى الملك بعده عم بلقيس
شمر النعم بن شرحبيل)
ن اسمه مالكا وسمى ناشر
لانعامه على الناس
ن شديد السلطان وكان
لكه خمسا وثلاثين سنة ثم

فوجهه اليها فاتى قاليقلا فحصرها وضيق على من بها فطلبوا الامان على الجلاء أو الجزية فجلا
كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم واقام حبيب بها فيمن معه اشهرا وانما سميت قاليقلا لان امرأة
بطريق ارميناقس كان اسمها قالى بنت هذه المدينة فسمتها قالى قله تعنى احسان قالى فعربتها
العرب فقالت قاليقلا ثم بلغه ان بطريق ارميناقس وهى البلاد التى هى الآن بيد اولاد
السلطان قلج ارسلان وهى ملطية وسيواس واقصرا وقونية وما والاها من البلاد الى خليج
القسطنطينية واسمه الموريان قد توجه نحوه فى ثمانين الفا من الروم فكتب حبيب الى معاوية
يخبره فكتب معاوية الى عثمان فأرسل عثمان الى سعيد بن العاص يامره بامداد حبيب فأمده
بسلمان فى ستة آلاف واجمع حبيب على تبييت الروم فسمعته امرأته ام عبد الله بنت يزيد
الكلبية فقالت اين موعدك فقال سرادق الموريان ثم بيتهم فقتل من وقف له ثم اتى السرادق
فوجد امرأته قد سبقته اليه فكانت اول امرأة من العرب ضرب عليها حجاب سرادق ومات
عنها حبيب فخلف عليها الضحاك بن قيس فهى ام ولده ولما انهزمت الروم عاد حبيب الى قاليقلا
ثم سار منها فنزل مربالا فأتاه بطريق خلاط بكتاب عياض بن غنم بامانه فاجراه عليه وحمل
اليه البطريق ما عليه من المال ونزل حبيب خلاط ثم سار منها فلقيه صاحب مكس وهو من
البسفرجان فقاطعه على بلاده ثم سار منها الى أزدشاط وهى القرية التى يكون بها القرمز
الذى يصبغ به فنزل على نهر دبيل وسرح الخيول اليها فحصرها فتحصن اهلها فنصب عليهم
منجنيقا فطلبوا الامان فاجابهم اليه وبث السرايا فبلغت خيله ذات اللجم وانما سميت ذات اللجم
لان المسلمين أخذوا اللجم خيولهم فكبسهم الروم قبل ان يلجموها ثم الجموها وقاتلوهم فظفروا بهم
ووجه سرية الى سراج طير وبغروند فصالحه بطريقها على اتاوة فقدم عليه بطريق البسفرجان
فصالحه على جميع بلاده وأتى السيسجان فحاربه اهلها فهزمهم وغلب على حصونهم وسار الى
جرزان فأتاه رسول بطريقها يطلب الصلح فصالحه وسار الى تفليس فصالحه اهلها وهى من
جرزان وفتح عدة حصون ومدن تجاورها صلحا وسار سلمان بن ربيعة الباهلى الى اران ففتح
البيلقان صلحا على ان آمنهم على دمائهم واموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم الجزية
والخراج ثم اتى سلمان مدينة برذعة فعسكر على الثرثور نهر بينه وبينها نحو فرسخ فقاتله اهلها
اياما وشن الغارات فى قراها فصالحوه على مثل صلح البيلقان ودخلها ووجه خيله ففتحت
رساتيق الولاية ودعا اكراد البلاسجان الى الاسلام فقاتلوه فظفر بهم فاقر بعضهم على الجزية
وادى بعضهم الصدقة وهم قليل ووجه سرية الى شمكور ففتحوها وهى مدينة قديمة ولم تزل
معمورة حتى اخربها السناوردية وهم قوم تجمعوا لما انصرف يزيد بن اسيد عن ارمينية
فعظم امرهم فعمرها بغا سنة أربعين ومائتين وسماها المتوكلية نسبة الى المتوكل وسار سلمان
الى مجمع ارس والكر ففتح قبلة وصالحه صاحب سكر وغيرها على الاتاوة وصالحه ملك شروان
وسائر ملوك الجبال وأهل مسقط والشابران ومدينة الباب ثم امتنعت بعده

ذكر غزوة معاوية الروم

وفيها غزا معاوية الروم فبلغ عمورية فوجد الحصون التى بين انطاكية وطرسوس خالية فجعل
عندها جماعة كثيرة من اهل الشام والجزيرة حتى انصرف من غزاته ثم اغزى بعد ذلك يزيد بن

ملك بعده (شمر يرعش بن
افريقس بن ابرهة ذى
المنار) وسمى شمر يرعش
لارتعاش كان به وخرج
نحو العراق ثم توجه يريد
الصين ودخل مدينة الصغد
وهدمها فسميت شمركند اى
شمر خربها وعمرت بعد فقيل
سمرقند وقيل الذى بناها
شمر يرعش فقيل شمركند
فعربت فقيل سمرقند ثم
ملك بعده ابنه (ابو مالك بن
شمر يرعش) ثم بعده ملك
(عمران بن عامر الازدى)
من نسل كهلان بن سبا ثم
ملك بعده اخوه (عمرو بن
عامر الازدى المزيقيا)
وانما سمى مزيقيا لانه كان
يلبس فى كل يوم حلة او حلتين
فاذا امسى مزقها لئلا
يلبسها احد غيره وهو الذى
أحس بسيل العرم المقدم
ذكره وخرج من اليمن الى
ارض عك وتوفى بها ثم تفرق
اولاده الى البلاد وقد ذكر
فى كتب السير والتفاسير
ان أرض مارب كانت
العمارة فيها أكثر من مسيرة
شهرين للمجد وكانوا يقتبسون
النار بعضهم من بعضهم
مسيرة ستة أشهر وكانت
المرأة اذا أرادت ان تجنى
من ثمرها شيأ وضعت مكتلها
على رأسها وخرجت تمشى

الحرّ العبسي الصائفة وأمره ففعل مثل ذلك ولما خرج هدم الحصون الى انطاكية

﴿ذكر غزوة افريقية﴾

في هذه السنة سير عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبي سرح الى اطراف افريقية غازيا بأمر عثمان وكان عبد الله من جند مصر فلما سار اليها امده عمرو بالجنود فغنم هو وجنده فلما عاد عبد الله كتب الى عثمان يستأذنه في غزو افريقية فأذن له في ذلك

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها ارسل عثمان عبد الله بن عامر الى كابل وهي عمالة سجستان فبلغها في قول فكانت أعظم من خراسان حتى مات معاوية وامتنع أهلها وفيها اولد يزيد بن معاوية وفيها كانت غزوة سابور الاولة وقيل سنة ست وعشرين وقد تقدم ذلك وحج بالناس عثمان

﴿ثم دخلت سنة ست وعشرين﴾

﴿ذكر الزيادة في الحرم﴾

في هذه السنة أمر عثمان بتجديد انصاب الحرم وفيها زاد عثمان في المسجد الحرام ووسعه وابتاع من قوم فأبى آخرون فهدم عليهم ووضع الاثمان في بيت المال فصاحوا بعثمان فأمر بهم فحبسوا وقال انهم قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به فكلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فاطلقهم (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين)

﴿ذكر ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر وفتح افريقية﴾

في هذه السنة عزل عمرو بن العاص عن خراج مصر واستعمل عليه عبد الله بن سعد بن ابي سرح وكان أخا عثمان من الرضاعة فبغيا فكتب عبد الله الى عثمان يقول ان عمرا كسر علىّ الخراج وكتب عمرو يقول ان عبد الله قد كسر علىّ مكيدة الحرب فعزل عثمان عمرا واستقدمه واستعمل بدله عبد الله على حرب مصر وخراجها فقدم عمرو مغضبا فدخل على عثمان وعليه جبة محشوة فقال له ما حشو جبتك قال عمرو قال قد علمت ولم أرد هذا وكان عبد الله من جند مصر وكان قد أمره عثمان بغزو افريقية سنة خمس وعشرين وقال له عثمان ان فتح الله عليك فلك من الفيء خمس الخمس نفلا وامّر عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الحرث على جند وسرحهما وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد على صاحب افريقية ثم يقيم عبد الله في عمله فخرجوا حتى قطعوا ارض مصر ووطئوا ارض افريقية وكانوا في جيش كثير عدتهم عشرة آلاف من شجعان المسلمين فصالحهم أهلها على مال يؤدونه ولم يقدموا على دخول افريقية والتوغل فيها لكثرة أهلها ثم ان عبد الله بن سعد لما ولي ارسل الى عثمان في غزو افريقية والاستكثار من الجموع عليها وفتحها فاستشار عثمان من عنده من الصحابة فاشار أكثرهم بذلك فجهز اليه العساكر من المدينة وفيهم جماعة من اعيان الصحابة منهم عبد الله بن عباس وغيره فسار بهم عبد الله بن سعد الى افريقية فلما وصلوا الى برقة لقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين وكانوا بها وسار والى طرابلس الغرب فنهبوا من عندها من الروم وسار نحو افريقية وبث السرايا في كل ناحية وكان ملكهم اسمه جرجير وملكه من طرابلس الى طنجة وكان هرقل

ملك

تحت الاشجار وهي تغزل او تعمل ما شاءت فلا ترجع حتى يمتلئ مكتلها مما شاءت من الثمار التي تتساقط فيها وكانوا لا يرون بها الهوام من حسن هوائها وكان متجرهم من اليمن الى الشام يبيتون بقرية ويقيلون باخرى ذات مياه واشجار لا يحتاجون الى حمل زاد اصلا قيل كانت قراهم اربعة آلاف وسبعمائة متصلة من سبا الى الشام ثم انهم بطروا النعمة وسئموا الراحة فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزود الازواد فعجل الله لهم الاجابة فاخرب بلادهم ثم ملك اليمن من بعده اخوه (الافرن) ثم ملك بعده ابنه (ذو حبشان) وهو الذي اوقع بطسم وجديس وذكر بعضهم ان الذي اوقع بجديس وطسم هو حسان بن تبع والله اعلم ثم ملك الامر بعد ذي حبشان اخوه (تبع الاكبر بن الافرن) وكان غزا بلاد الروم حتى بلغ وادي الياقوت فمات قبل ان يدخله وكان ملكه مائة وخمسين سنة ثم ملك بعده (كليكرب) وطال زمانه حتى قيل انه ملك أكثر

ملك الروم قد ولاه افريقية فهو يحمل اليه الخراج كل سنة فلما بلغه خبر المسلمين تجهز وجمع العساكر وأهل البلاد فبلغ عسكره مائة ألف وعشرين ألف فارس والتقى هو والمسلمون بمكان بينه وبين مدينة سبيطلة يوم وليلة وهذه المدينة كانت ذلك الوقت دار الملك فأقاموا هناك يقتتلون كل يوم وراسله عبد الله بن سعد يدعوه الى الاسلام او الجزية فامتنع منهما وتكبر عن قبول احدهما وانقطع خبر المسلمين عن عثمان فسير عبد الله بن الزبير فى جماعة اليهم ليأتيه باخبارهم فسار مجدا ووصل اليهم واقام معهم ولما وصل كثر الصياح والتكبير فى المسلمين فسأل جرجير عن الخبر فقيل قد اتاهم عسكر ففت ذلك فى عضده ورأى عبد الله بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من بكرة الى الظهر فاذا أذن بالظهر عاد كل فريق الى خيامه وشهد القتال من الغد فلم ير ابن ابى سرح معهم فسأل عنه فقيل انه سمع منادى جرجير يقول من قتل عبد الله بن سعد فله مائة الف دينار وأزوجه ابنتى وهو يخاف فحضر عنده وقال له تأمر مناديا ينادى من أتانى براس جرجير نفلته مائة ألف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده ففعل ذلك فصار جرجير يخاف اشد من عبد الله ثم ان عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن سعد ان أمرنا يطول مع هؤلاء وهم فى امداد متصلة وبلاد هى لهم ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم وقد رأيت ان نترك غدا جماعة صالحة من ابطال المسلمين فى خيامهم متأهبين ونقاتل نحن الروم فى باقى العسكر الى ان يضجروا ويملوا فاذا رجعوا الى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان فى الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ونقصدهم على غرة فلعل الله ينصرنا عليهم فاحضر جماعة من أعيان الصحابة واستشارهم فوافقوه على ذلك فلما كان الغد فعل عبد الله ما اتفقوا عليه واقام جميع شجعان المسلمين فى خيامهم وخيولهم عندهم مسرجة ومضى الباقون فقاتلوا الروم الى الظهر قتالا شديدا فلما أذن بالظهر هم الروم بالانصراف على العادة فلم يمكنهم ابن الزبير وألح عليهم بالقتال حتى اتعبهم ثم عاد عنهم هو والمسلمون فكل من الطائفتين ألقى سلاحه ووقع تعبا فعند ذلك أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحا من شجعان المسلمين وقصد الروم فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم وحملوا حملة رجل واحد وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيهم المسلمون وقتل جرجير قتله ابن الزبير وانهزم الروم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذت ابنة الملك جرجير سبية ونازل عبد الله بن سعد المدينة فحصرها حتى فتحها ورأى فيها من الاموال ما لم يكن فى غيرها فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل الف دينار ولما فتح عبد الله مدينة سبيطلة بث جيوشه فى البلاد فبلغت قفصة فسبوا وغنموا وسير عسكرا الى حصن الاجم وقد احتمى به اهل تلك البلاد فحصره وفتحه بالامان فصالحه اهل افريقية على ألفى الف وخمسمائة الف دينار ونفل عبد الله بن الزبير ابنة الملك وارسله الى عثمان بالبشارة بفتح افريقية وقيل ان ابنة الملك وقعت لرجل من الانصار فاركبها بعيرا وارتجز بها يقول

يا ابنة جرجير تمشى عقبتك * ان عليك بالحجاز ربتك
* لتحملن من قباء قربتك *

ثم ان عبد الله بن سعد عاد من افريقية الى مصر وكان مقامه بافريقية سنة وثلاثة أشهر ولم يفقد

من ثلثمائة سنة ثم ملك بعده (ابو كرب أسعد بن كليكرب) وهو تبع الاوسط الذى ذكره الله تعالى فى القرآن وكان آمن بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة عام وهو أول من كسا البيت الحرام وأوصى اهله بتطهيره وكان له بابا ومفتاحا وكان يدين بدين اليهودية فمن هناك كان أصل اليهودية باليمن ثم قتل ابو كرب وتولى مكانه ابنه (حسان بن تبع) فتتبع قتلة ابيه فقتلهم عن آخرهم وهو الملك السائر من اليمن الى يثرب حتى نزل بين بيوتها واراد هدم الكعبة فمنعه من كان معه من احبار اليهود فكساها القصب اليمانى وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ثم قتله أخوه وملك بعده وهو (عمرو بن تبع) فتوارثته الاسقام حتى كان لا يمضى الى الخلاء الا محمولا على نعش فسمى ذا الاعواد لذلك وكان ملكه اربعا وستين سنة وكان يتفحص كتب آبائه فوجد بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فى كتب جده افريقس ابن ابرهة فآمن به وقال فى ذلك

فياليتنى ذا الاعواد ادرك أحمدا
فيعقل عنه كل من جار واعتدى
وياليتنى ذا الاعواد اخر يومه

من المسلمين الاثلاثة نفر قتل منهم أبوذؤيب الهذلى الشاعر فدفن هنالك وحمل خمس افريقية الى المدينة فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار فوضعها عنه عثمان وكان هذا مما أخذ عليه وهذا أحسن ماقيل فى خمس افريقية فان بعض الناس يقول اعطى عثمان خمس افريقية عبدالله بن سعد وبعضهم يقول اعطاه مروان بن الحكم وظهر بهذا انه اعطى عبدالله خمس الغزوة الاولى واعطى مروان خمس الغزوة الثانية التى افتتحت فيها جميع افريقية والله اعلم

(ذكر انتقاض افريقية وفتحها ثانية)

كان هرقل ملك القسطنطينية يؤدى اليه كل ملك من ملوك النصارى الخراج من مصر وافريقية والاندلس وغير ذلك فلما صالح اهل افريقية عبدالله بن سعد ارسل هرقل الى اهلها بطريقا له وامره ان يأخذ منهم مثل ما اخذ المسلمون فنزل البطريق فى قرطاجنة وجمع اهل افريقية واخبرهم بما أمره الملك فابوا عليه وقالوا نحن نؤدى ما كان يؤخذ منا وقد كان ينبغى له ان يسامحنا لما ناله المسلمون منا وكان قد قام بأمر افريقية بعد قتل جرجير رجل آخر من الروم فطرده البطريق بعد فتن كثيرة فسار الى الشام وبه معاوية وقد استقر له الامر بعد قتل على فوصف له افريقية وطلب ان يرسل معه جيشا فسير معه معاوية بن أبى سفيان معاوية ابن حديج السكونى فلما وصلوا الى الاسكندرية هلك الرومى ومضى ابن حديج فوصل الى افريقية وهى نار تضطرم وكان معه عسكر عظيم فنزل عند قونية وارسل البطريق اليه ثلاثين ألف مقاتل فلما سمع بهم معاوية سير اليهم جيشا من المسلمين فقاتلوهم فانهزمت الروم وحصر حصن جلولاء فلم يقدر عليه فانهدم سور الحصن فملكه المسلمون وغنموا ما فيه وبث السرايا فسكن الناس واطاعوا وعاد الى مصر (حديج بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم) ثم لم يزل أهل افريقية من اطوع أهل البلدان واسمعهم الى زمان هشام بن عبدالملك حتى دب اليهم اهل العراق فاستثاروهم وشقوا العصا وفرقوا بينهم الى اليوم وكانوا يقولون لا نخالف الائمة بما تجنى العمال فقالوا لهم انما يعمل هؤلاء بأمر اولئك فقالوا حتى نخبرهم فخرج ميسرة فى بضعة وعشرين رجلا فقدموا على هشام فلم يؤذن لهم فدخلوا على الابرش فقالوا ابلغ امير المؤمنين ان أميرنا يغزو بنا وبجنده فاذا غنمنا نفلهم ويقول هذا اخلص لجهادكم واذا حاصرنا مدينة قدمنا واخرهم ويقول هذا ازدياد فى الاجر ومثلنا كفى اخوانه ثم انهم عمدوا الى ماشيتنا فجعلوا يبقرون بطونها عن سخالها يطلبون الفراء البيض لامير المؤمنين فيقتلون الف شاة فى جلد فاحتملنا ذلك ثم انهم سامونا ان يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا لم نجد هذا فى كتاب ولا سنة ونحن مسلمون فاحببنا ان نعلم أعن رأى أمير المؤمنين هذا ام لا فطال عليهم المقام ونفدت نفقاتهم فكتبوا أسماءهم ودفعوها الى وزرائه وقالوا ان سأل عنا امير المؤمنين فاخبروه ثم رجعوا الى افريقية فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على افريقية وبلغ الخبر هشاما فسأل عن النفر فعرف أسماءهم فاذا هم الذين صنعوا ذلك

(ذكر غزوة الاندلس)

لما افتتحت افريقية امر عثمان عبدالله بن نافع بن الحصين وعبدالله بن نافع بن عبد القيس ان

الى ان يرى ذا المكرمات محمدا
شهدت بأن الله لارب غيره
وانى له أضحيت عبدا موحدا
وان الذى يعطيه صفقة كفه
على نصره يوما فقد فاز واهتدى

ثم ملك بعده (عبد كلال بن ذى الاعواد) ثم ملك بعده (تبع بن حسان بن كليكرب) وهو تبع الاصغر ثم ملك بعده ابن أخيه (الحرث بن عمرو) ثم ملك بعده (مرثد بن كلال) وكان ملكه أربعين سنة ثم تفرقت بعده ملوك حمير والذى اشتهر بعده انه ملك (وليعة بن مرثد) مدة تسع وثلاثين سنة ثم ملك بعده (ابرهة بن الصباح) فكان ملكه ثلاثا وتسعين سنة ثم ملك بعده (عمرو بن دقيقان) الذى كان له سيف عمرو بن معديكرب المعروف بالصمصامة وفى ذلك يقول

وسيف لابن دقيقان عندى
تخبر نصله من عهد عاد

وذكر ان ملك الروم اهدى الى الرشيد جملة سيوف قلعية فامر الرشيد باحضار صمصامة عمرو ليحقر عندهم سيوفهم فجعل يقط بها السيوف سيفا فسيفا كما يقط الفجل فى حضور رسل ملك الروم ثم اراهم حد الصمصامة فاذا ليس به فل

بسيرا الى الاندلس فأتياها من قبل البحر وكتب عثمان الى من انتدب معهما أما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الاندلس فخرجوا ومعهم البربر ففتح الله على المسلمين وزاد فى سلطان المسلمين مثل افريقية ولما عزل عثمان عبد الله بن سعد عن افريقية ترك فى عمله عبد الله ابن نافع بن عبد القيس فكان عليها ورجع عبد الله الى مصر وبعث عبد الله الى عثمان مالا قد حشد فيه فدخل عمرو على عثمان فقال له يا عمرو هل تعلم ان تلك اللقاح درت بعدك قال عمرو ان فصالها قد هلكت

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

حج بالناس هذه السنة عثمان وفيها كان فتح اصطخر الثانى على يد عثمان بن ابى العاص وفيها غزا معاوية بن ابى سفيان قنسرين وفيها مات ابو ذؤيب الهذلى الشاعر بمصر منصرفا من افريقية وقيل بل مات بطريق مكة فى البادية وقيل مات ببلاد الروم وكلهم قالوا مات فى خلافة عثمان وفيها مات ابو رمثة البلوى بافريقية له صحبة وفيها ماتت حفصة بنت عمر بن الخطاب زوج النبى صلى الله عليه وسلم وقيل ماتت سنة احدى وأربعين وقيل سنة خمس واربعين

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

﴿ ذكر فتح قبرس ﴾

قيل فى سنة ثمان وعشرين كان فتح قبرس على يد معاوية وقيل سنة تسع وعشرين وقيل سنة ثلاث وثلاثين وقيل انما غزيت سنة ثلاث وثلاثين لان أهلها غدروا على ما نذكره فغزاها المسلمون ولما غزاها معاوية هذه السنة غزا معه جماعة من الصحابة فيهم ابوذر وعبادة بن الصامت ومعه زوجته ام حرام وأبو الدرداء وشداد بن أوس وكان معاوية قد لج على عمر فى غزو البحر وقرب الروم من حمص وقال ان قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم فكتب عمر الى عمرو بن العاص صف لى البحر وراكبه فكتب اليه عمرو بن العاص انى رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء ان ركد خرق القلوب وان تحرك ازاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود ان مال غرق وان نجا برق فلما قرأه كتب الى معاوية والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لا أحمل فيه مسلما ابدا وقد بلغنى ان بحر الشام يشرف على اطول شئ من الارض فيستأذن الله فى كل يوم وليلة فى ان يغرق الارض فكيف احمل الجنود على هذا الكافر وبالله لمسلم احب الى مما حوت الروم واياك ان تعرض الى فقد علمت ما لقى العلاء منى قال وترك ملك الروم الغزو وكاتب عمر وقاربه وبعثت ام كلثوم بنت على بن ابى طالب زوج عمر بن الخطاب الى امرأة ملك الروم بطيب وشئ يصلح للنساء مع البريد فابلغه اليها فاهدت امرأة الملك اليها هدية منها عقد فاخر فلما رجع البريد أخذ عمر ما معه ونادى الصلاة جامعة فاجتمعوا واعلمهم الخبر فقال القائلون هو لها بالذى كان لها وليست امرأة الملك بذمة فتصانعك وقال آخرون قد كنا نهدى لنستثيب فقال عمر لكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم والمسلمون عظموها فى صدرها فأمر بردها الى بيت المال واعطاها بقدر نفقتها فلما كان زمن عثمان كتب اليه معاوية يستأذنه فى غزو البحر مرارا فاجابه عثمان بآخرة الى ذلك وقال له لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم خيرهم فمن

ولاأثر وكان مدة ملكه تسع عشرة سنة ثم ملك بعده (لخنيعة ذو الشناتر) لقب به لاصبع زائدة له ولم يكن من أهل بيت الملك وكان ينكح الاحداث من ابناء الملوك لئلا يملكوا لانهم لم يكونوا يملكون من نكح ولم يزل يظهر الفسق واللواط وعدل مع ذلك فى الرعية وأنصف المظلوم وبعث الى يوسف ذى نواس وكان من ابناء الملوك فلما أتاه الرسول عرف ما يريده فأخذ سكينا لطيفا فأخفاه بين نعله وقدمه فلما خلا معه وثب اليه ذو نواس فقضى عليه ثم حز رأسه وكان فى قصره كوة يشرف منها على عبيده اذا قضى حاجته من الغلام الذى يباضعه فوضع الرأس فيها ثم خرج على العبيد فقالوا له يا ذا نواس ارطب ام يباس فقال لهم سلوا الشيطان الخناس وليترك ذو نواس اى سلوا الرأس التى فى الكوة فنظروا وتركوا ذا نواس فلما رأوا ما فعل ذو نواس بلخنيعة قالوا ما ينبغى ان لا يملك علينا غيره الذى أراحنا منه فملكوا (ذا

اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه ففعل واستعمل عبد الله بن قيس الجاسى حليف بنى فزارة وسار المسلمون من الشام الى قبرس وسار اليها عبد الله بن سعد من مصر فاجتمعوا عليها فصالحهم أهلها على جزية سبعة آلاف دينار كل سنة يؤدون الى الروم مثلها لا يمنعهم المسلمون عن ذلك وليس على المسلمين منعهم ممن ارادهم ممن وراءهم وعليهم ان يؤذنوا المسلمين بسير عدوهم من الروم اليهم ويكون طريق المسلمين الى العدو عليهم قال جبير بن نفير ولما فتحت قبرس ونهب منها السبي نظرت الى ابى الدرداء يبكى فقلت ما يبكيك فى يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله قال فضرب منكبى بيده وقال ما أهون الخلق على الله اذا تركوا امره بينما هى امة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك اذ تركوا امر الله فصاروا الى ما ترى فسلط عليهم السباء واذا سلط السباء على قوم فليس لله فيهم حاجة ❊ وفى هذه الغزاة ماتت ام حرام بنت ملحان الانصارية ألقتها بغلتها بجزيرة قبرس فاندقت عنقها فماتت تصديقا للنبى صلى الله عليه وسلم حيث اخبرها انها فى أول من يغزو فى البحر وبقى عبد الله بن قيس الجاسى على البحر فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة فى البر والبحر لم يغرق أحد ولم ينكب فكان يدعو الله ان يعافيه فى جنده فأجابه فلما أراد الله ان يصيبه فى جنده خرج فى قارب طليعة فانتهى الى المرفا من أرض الروم وعليه مساكين يسألون فتصدق عليهم فرجعت امرأة منهم الى قريتها فقالت للرجال هذا عبد الله بن قيس فى المرفا فثاروا اليه فهجموا عليه فقتلوه بعد ان قاتلهم فأصيب وحده ونجا الملاح حتى أتى أصحابه فاعلمهم فجاؤا حتى ارسوا بالمرفا والخليفة عليهم سفيان بن عوف الازدى فخرج اليهم فقاتلهم فضجر فجعل يشتم أصحابه فقالت جارية عبد الله ما هكذا كان يقول حين يقاتل فقال سفيان فكيف كان يقول قالت الغمرات ثم ينجلينا فلزمها يقولها وأصيب فى المسلمين يومئذ وقيل لتلك المرأة بعد بأى شئ عرفتيه قالت كان كالتاجر فلما سألته اعطانى كالملك فعرفته بهذا وفى هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من ارض الروم وفيها تزوج عثمان نائلة بنت الفرافصة وكانت نصرانية فاسلمت قبل ان يدخل بها وفيها بنى عثمان الزوراء وحج بالناس عثمان هذه السنة (حرام بالحاء المهملة والراء والجاسى بالجيم والسين المهملة والفرافصة بفتح الفاء الا الفرافصة بن الاحوص الكلبى الذى من ولده نائلة زوج عثمان)

❊ ثم دخلت سنة تسع وعشرين ❊

❊(ذكر عزل ابى موسى عن البصرة واستعمال ابن عامر عليها)❊

قيل فى هذه السنة عزل عثمان ابا موسى الاشعرى عن البصرة واستعمل عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهو ابن خال عثمان وقيل كان ذلك لثلاث سنين مضت من خلافة عثمان وكان سبب عزله ان اهل ايذج والاكراد كفروا فى السنة الثالثة من خلافة عثمان فنادى أبو موسى فى الناس وحضهم على الجهاد وذكر من فضل الجهاد ماشيا فحمل نفر على دوابهم واجمعوا على ان يخرجوا رجالة وقال آخرون لا نعجل بشئ حتى ننظر ما يصنع فان اشبه قوله فعله فعلنا كما يفعل فلما خرج أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلا فتعلقوا بعنانه وقالوا احملنا على بعض هذه الفضول وارغب فى المشى كما رغبتنا فضرب القوم بسوطه فتركوا دابته فمضى واتوا عثمان فاستعفوه منه وقالوا ما كل ما نعلم نحب ان نتكلم به فأبدلنا به فقال

نواس) واسمه يوسف وكان يهوديا جبارا وهو صاحب الاخدود الذى ذكره الله تعالى فى القرآن قال مقاتل كانت الاخاديد التى فى الدنيا ثلاثة واحد بنجران ليوسف المذكور وكان فى الفترة قبل البعثة بسبعين سنة والثانى بالشام لانطياقوس الرومى والثالث بفارس لبختنصر فأما الذى بالشام وفارس فلم يذكرا فى القرآن وانزل فى الذى كان بنجران كذا فى معالم التنزيل قيل أطيب البلاد نجران من الحجاز وصنعاء من اليمن ودمشق من الشام والرى من خراسان وبروسا من الروم ثم غلب ارياط على اليمن فخرج ذو نواس هاربا بعد حروب طويلة حتى قام من العار فاقتحم البحر بفرسه فغرق وهو آخر من ملك من أهل اليمن وكان مدة ملكه ستا وستين سنة فجملة زمان ولاية اليمن نحو ثلاثة آلاف سنة وسبب استيلاء الحبشة على اليمن أن النجاشى ملك الحبشة لما بلغه فعل ذى نواس باتباع المسيح وما يعذبهم به من أنواع العذاب

من تحبون فقالوا غيلان بن خرشة فى كل احد عوض من هذا العبد الذى قد أكل ارضنا اما منكم خسيس فترفعونه أما منكم فقير فتجبرونه يامعشر قريش حتى متى يأكل هذا الشيخ الاشعرى هذه البلاد فانتبه لها عثمان فعزل اباموسى وولى عبد الله بن عامر بن كريز فلما سمع ابو موسى قال يأتيكم غلام خراج ولاج كريم الجدات والخالات والعمات يجمع له الجندين وكان عمر ابن عامر خمسا وعشرين سنة وجمع له جند ابى موسى وجند عثمان بن ابى العاص الثقفى من عمان والبحرين واستعمل على خراسان عمير بن عثمان بن سعد وعلى سجستان عبد الله بن عمير الليثى وهو من ثعلبة فاثخن فيها الى كابل واثخن عمير فى خراسان حتى بلغ فرغانة لم يدع دونها كورة الا أصلحها وبعث الى مكران عبيد الله بن معمر فاثخن فيها حتى بلغ النهر وبعث على كرمان عبد الرحمن بن عبيس وبعث الى الاهواز وفارس نفرا ثم عزل عبد الله بن عمير واستعمل عبد الله بن عامر فأقره عليها سنة ثم عزله واستعمل عاصم بن عمرو وعزل عبد الرحمن بن عبيس واعاد عدى بن سهيل بن عدى وصرف عبيد الله بن معمر الى فارس واستعمل مكانه عمير بن عثمان واستعمل على خراسان امير بن أحمر اليشكرى واستعمل على سجستان سنة اربع عمران بن الفضيل البرجمى ومات عاصم بن عمرو بكرمان (عبيس بضم العين المهملة وفتح الباء الموحدة ثم الياء المثناة من تحتها وآخره سين مهملة وأمير بضم الهمزة وفتح الميم وآخره راء وكريز بن ربيعة بضم الكاف وفتح الراء)

(ذكر انتقاض أهل فارس)

ثم ان أهل فارس انتقضوا ونكثوا بعبيد الله بن معمر فسار اليهم فالتقوا على باب اصطخر فقتل عبيد الله وانهزم المسلمون وبلغ الخبر عبد الله بن عامر فاستنفر أهل البصرة وسار بالناس الى فارس فالتقوا باصطخر وكان على ميمنته ابو برزة الاسلمى وعلى ميسرته معقل بن يسار وعلى الخيل عمران بن الحصين وكلهم صحبة واشتد القتال فانهزم الفرس وقتل منهم مقتلة عظيمة وفتحت اصطخر عنوة وأتى دارابجرد وقد غدر اهلها ففتحها وسار الى مدينة جور وهى اردشيرخره فانتقضت اصطخر فلم يرجع وتمم السير الى جور وحاصرها وكان هرم بن حيان محاصرا لها وكان المسلمون يحاصرونها وينصرفون عنها فيأتون اصطخر ويغزون نواحى كانت تنتقض عليهم فلما نزل ابن عامر عليها افتتحها وكان سبب فتحها ان بعض المسلمين قام يصلى ذات ليلة والى جانبه جراب له فيه خبز ولحم فجاء كلب فجره وعدا به حتى دخل المدينة من مدخل لها خفى فلزم المسلمون ذلك المدخل حتى دخلوها منه وفتحوها عنوة فلما فرغ منها ابن عامر عاد الى اصطخر ففتحها عنوة بعد ان حاصروها واشتد القتال عليها ورميت بالمجانيق فقتل بها خلقا كثيرا من الاعاجم وافنى أكثر اهل البيوتات ووجوه الاساورة وكانوا قد لجؤا اليها وقيل ان أهل اصطخر لما نكثوا عاد اليها ابن عامر قبل وصوله الى جور فملكها عنوة وعاد الى جور فأتى دارابجرد فملكها وكانت منتقضة ايضا ووطئ اهل فارس وطأة لم يزالوا منها فى ذل وكتب الى عثمان بالخبر فكتب اليه ان يستعمل على بلاد فارس هرم بن حيان اليشكرى وهرم بن حيان العبدى والخريت بن راشد والمنجاب بن راشد والترجمان الهجيمى وأمره ان يفرق كور خراسان على جماعة فجعل الاحنف على المروين وحبيب بن قرة اليربوعى على بلخ وخالد بن عبد الله بن زهير على هراة وأمير

والتحريق بالنيران عبر بالحبشة اليهم وغلبهم (ارباط ابن اصحمة) فملك اليمن عشرين سنة ثم وثب عليه (ابرهة الاشرم) أبو يكسوم فقتله وملك اليمن فلما بلغ النجاشى ذلك غضب وحلف بالمسيح ان يجز ناصيته ويهريق دمه ويطأ تربته يعنى ارض اليمن فبلغ ذلك ابرهة فجز ناصيته وجعلها فى حق من عاج وجعل من دمه فى قارورة وجعل من تربة اليمن فى جراب وانفذ ذلك الى النجاشى ملك الحبشة وضم الى ذلك هدايا كثيرة والطافا وكتب اليه يعترف له بالعبودية ويحلف له بدين النصرانية انه فى طاعته وانه بلغه ان الملك حلف بالمسيح ان يجز ناصيتى ويريق دمى ويطأ ارضى وقد انفذت الى الملك بناصيتى فليجزها بيده وبدمى فى قارورة فليهرقه وبجراب من تربة بلادى فليطأها بقدمه وليطفئ الملك عن غضبه فلقد برت يمينه وهو على سرير الملك فلما وصل ذلك الى النجاشى استصوب رأيه واستحسن عقله وصفح عنه وكان ذلك فى ملك قباذ ملك فارس وابرهة أبو يكسوم هو الذى سار بأصحاب الفيل الى مكة لاخراب الكعبة

ابن أحمر على طوس وقيس بن هبيرة السلمى على نيسابور وبه تخرج عبد الله بن خازم وهو ابن عمه
ثم جمعها عثمان قبل موته لقيس واستعمل امير بن أحمر على سجستان ثم جعل عليها عبد الرحمن
ابن سمرة وهو من آل حبيب بن عبد شمس فمات عثمان وهو عليها ومات وعمران على مكران وعمير
ابن عثمان بن سعد على فارس وابن كندير القشيرى على كرمان ثم أوفد قيس بن هبيرة عبد الله بن
خازم الى ابن عامر فى زمن عثمان وكان ابن عامر يكرمه فقال لابن عامر اكتب لى على خراسان
عهدا ان خرج عنها قيس ففعل فرجع الى خراسان فلما قتل عثمان وجاش العدو قال ابن خازم
لقيس الرأى ان تخلفنى وتمضى حتى تنظر فيما ينظرون فيه ففعل فاخرج ابن خازم بعده عهدا
بخلافته وثبت على خراسان الى ان قام على بن أبى طالب وغضب قيس من صنيع ابن خازم
* (الخريت بكسر الخاء المعجمة والراء المشددة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره تاء
فوقها نقطتان)

(ذكر الزيادة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم)

فى هذه السنة زاد عثمان فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فى ربيع الاول وكان ينقل الجص
من بطن نخل وبناه بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة فيها رصاص وجعل طوله ستين ومائة
ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع وجعل أبوابه على ما كانت ايام عمر ستة ابواب

(ذكر اتمام عثمان الصلاة بجمع واول ما تكلم الناس فيه)

حج بالناس هذه السنة عثمان وضرب فسطاطه بمنى وكان اول فسطاط ضرب به عثمان بمنى واتم
الصلاة بها وبعرفة فكان أول ما تكلم به الناس فى عثمان ظاهرا حين اتم الصلاة بمنى فعاب ذلك
غير واحد من الصحابة وقال له على ما حدث امر ولا قدم عهد ولقد عهدت النبى صلى الله عليه
وسلم وابا بكر وعمر يصلون ركعتين وانت صدرا من خلافتك فما درى ما يرجع اليه وقال رأى
رأيته وبلغ الخبر عبد الرحمن بن عوف وكان معه فجاءه وقال له ألم تصل فى هذا المكان مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر ركعتين وصليتها أنت ركعتين قال بلى ولكنى أخبرت أن
بعض من حج من اليمن وجفاة الناس قالوا ان الصلاة للمقيم ركعتان واحتجوا بصلاتى وقد
اتخذت بمكة أهلا ولى بالطائف مال فقال عبد الرحمن ما فى هذا عذر اما قولك اتخذت بها أهلا
فان زوجك بالمدينة تخرج بها اذا شئت وانما تسكن بسكناك واما مالك بالطائف فبينك وبينه
مسيرة ثلاث ليال واما قولك عن حاج اليمن وغيرهم فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل
عليه الوحى والاسلام قليل ثم أبو بكر وعمر فصلوا ركعتين وقد ضرب الاسلام بجرانه فقال
عثمان هذا رأى رأيته فخرج عبد الرحمن فلقى ابن مسعود فقال أبا محمد غير ما تعلم قال فما اصنع
قال اعمل بما ترى وتعلم فقال ابن مسعود الخلاف شر وقد صليت بأصحابى أربعا فقال عبد الرحمن
قد صليت بأصحابى ركعتين واما الآن فسوف اصلى أربعا وقيل كان ذلك سنة ثلاثين

(ثم دخلت سنة ثلاثين)

(ذكر عزل الوليد عن الكوفة وولاية سعيد)

فى هذه السنة عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة وولاها سعيد بن العاص وقد تقدم سبب
ولاية الوليد على الكوفة فى السنة الثانية من خلافة عثمان وانه كان محببا الى الناس فبقى

كذلك

وذلك لاربعين سنة خلت
من ملك أنوشروان فعدل
الى الطائف فبعث معه
ثقيف بأبى رغال ليدله على
الطريق السهل الى مكة
فهلك ابو رغال بالطريق فى
موضع يقال له المغمس بين
الطائف ومكة فرجم قبره
فلما قرب ابرهة مكة امر عبد
المطلب قريشا ان تلحق
ببطون الاودية ورؤس
الجبال من معرة الحبشة
وقلد الابل النعال وخلاها
فى الحرم وهو يقول
يارب ان المرء يمـ
ـنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم
ومحالهم عدوا محالك
ذكر العلامة ابو السعود
فى تفسيره ان ابرهة بنى
بصنعاء كنيسة وسماها
القليس وأراد ان يصرف
اليها الحاج فخرج رجل من
كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه
ذلك وقيل أججت رفقة
من العرب نارا فحملتها
الريح فاحرقتها فحلف
ليهدمن الكعبة فخرج مع
الحبشة ومعه فيل اسمه محمود
وكان قويا عظيما واثنا عشر
فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل
الف فيل وكان ابرهة اخذ
لعبد المطلب مائتى بعير التى
كان خلاها فى الحرم فخرج
اليه فى شأنها فلما رآه ابرهة
عظم فى عينيه واجلسه معه

كذلك خمس سنين وليس لداره باب ثم ان شبابا من أهل الكوفة نقبوا على ابن الحيسمان الخزاعى وكابروه فنذر بهم وخرج عليهم بالسيف وصرخ فاشرف عليهم أبو شريح الخزاعى وكان قد انتقل من المدينة الى الكوفة للقرب من الجهاد فصاح بهم أبو شريح فلم يلتفتوا وقتلوا ابن الحيسمان وأخذهم الناس وفيهم زهير بن جندب الازدى ومورع بن أبى مورع الاسدى وشبيل بن أبى الازدى وغيرهم فشهد عليهم أبو شريح وابنه فكتب فيهم الوليد الى عثمان فكتب عثمان بقتلهم فقتلهم على باب القصر ولهذا السبب اخذ فى القسامة بقول ولى المقتول عن مبلا من الناس ليفطم الناس عن القتل وكان أبو زبيد الشاعر فى الجاهلية والاسلام فى بنى تغلب وكانوا اخواله فظلموه دينا له فأخذ له الوليد حقه اذ كان عاملا عليهم فشكر أبو زبيد ذلك له وانقطع اليه وغشيه بالمدينة والكوفة وكان نصرانيا فاسلم عند الوليد وحسن اسلامه فبينما هو عنده أتى آت أبا زينب وأبا مورع وجندبا وكانوا يحفرون للوليد منذ قتل أبناءهم ويضعون له العيون فقال لهم ان الوليد وأبا زبيد يشربان الخمر فثاروا وأخذوا معهم نفرا من اهل الكوفة فاقتحموا عليه فلم يروا فانقلبوا يتلاومون وسبهم الناس وكتم الوليد ذلك عن عثمان وجاء جندب ورهط معه الى ابن مسعود فقالوا له ان الوليد معتكف على الخمر واذاعوا ذلك فقال ابن مسعود من استتر عنا لم نتبع عورته فعاتبه الوليد على قوله حتى تغاضبا ثم أتى الوليد بساحر فأرسل الى ابن مسعود يسأله عن حده واعترف الساحر عند ابن مسعود وكان يخيل الى الناس انه يدخل فى دبر الحمار ويخرج من فيه فامره ابن مسعود بقتله فلما اراد الوليد قتله اقبل الناس ومعهم جندب فضرب الساحر فقتله فحبسه الوليد وكتب الى عثمان فيه وامره باطلاقه وتأديبه فغضب لجندب أصحابه وخرجوا الى عثمان يستعفون من الوليد فردهم خائبين فلما رجعوا اتاهم كل موتور فاجتمعوا معهم على رأيهم ودخل أبو زينب وابو مورع وغيرهما على الوليد فقعدوا عنده فنام فأخذا خاتمه وسارا الى المدينة واستيقظ الوليد فلم ير خاتمه فسأل نساءه عن ذلك فأخبرنه أن آخر من بقى عنده رجلان صفتهما كذا وكذا فاتهمهما وقال هما أبو زينب وابو مورع وارسل يطلبهما فلم يوجدا فقدما على عثمان ومعهما غيرهما واخبراه انه شرب الخمر فأرسل الى الوليد فقدم المدينة ودعاهما عثمان فقال اتشهدان انكما رأيتماه يشرب فقالا لا قال فكيف قالا اعتصرناها من لحيته وهو يقىء الخمر فأمر سعيد بن العاص بجلده فاورث ذلك عداوة بين أهليهما فكان على الوليد خميصة فأمر على بن ابى طالب بنزعها لما جلده هكذا فى هذه الرواية والصحيح ان الذى جلده عبد الله بن جعفر بن ابى طالب لان عليا أمر ابنه الحسن ان يجلده فقال الحسن ول حارها من تولى قارها فأمر عبد الله بن جعفر فجلده أربعين فقال على أمسك جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أربعين وجلد عمر ثمانين وكل سنة وهذا احب الى وقيل ان الوليد سكر وصلى الصبح بأهل الكوفة أربعا ثم التفت اليهم وقال أزيدكم فقال له ابن مسعود مازلنا معك فى زيادة منذ اليوم وشهدوا عليه عند عثمان فأمر عليا بجلده فأمر على عبد الله بن جعفر فجلده وقال الحطيئة

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * ان الوليد احق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم * أأزيدكم سكرا وما يدرى

على سريره وقال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر له المائتى بعير قال سقطت من عينى حيث جئت لاهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك ولا تكلمنى فيه الهالك عنه ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع عبد المطلب وأتى باب الكعبة وأخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فارسل الله عليهم الطير الابابيل امثال اليعاسيب ترميهم بحجارة من سجيل وهو طين مختلط بحجارة خرجت من البحر مع كل طير ثلاثة أحجار فاتلفهم الله تعالى وجعلت الحبشة يومئذ تسأل عن دليلها الى الرجوع وقد تاهوا وذكر فى حدائق الاذهان ان ابرهة بعد ان رجع من الحرم سقطت أنامله وتقطعت أوصاله حتى بعث الله عليه الطير الابابيل فأهلكه وكانت مدة ملكه الى ان هلك نحو خمسين سنة وتولى مكانه ابنه (يكسوم بن ابرهة) فعم اذاه سائر اليمن وكان ملكه الى ان هلك ستين ثم ملك بعده (مسروق بن ابرهة) فاشتدت وطأته على اليمن وعم اذاه سائر الناس وزاد على أبيه وأخيه فى الاذى فسيف بن ذى يزن وأباه وكان سيف يظن أنه ابن ابرهة

فأبوا اباوهب ولو أذنوا * لقرنت بين الشفع والوتر
كفوا اعنانك اذ جريت ولو * تركوا اعنانك لم تزل تجري

فلما علم عثمان من الوليد شرب الخمر عزله وولى سعيد بن العاص بن امية وكان سعيد قد ربي في حجر عمر فلما فتح الشام قدمه فأقام مع معاوية فذكره عمر يوما وقريشا فسأل عنه فأخبرانه بالشام فاستقدمه فقدم عليه فقال له قد بلغني عنك بلاء وصلاح فازدد يزدك الله خيرا وقال له هل لك من زوجة قال لا وجاء عمر بنات سفيان بن عويف ومعهن أمهن فقالت أمهن هلك رجالنا واذا هلك الرجال ضاع النساء فضعهن في أكفائهن فزوج سعيدا احداهن وزوج عبد الرحمن بن عوف اخرى وأتاه بنات مسعود بن نعيم النهشلي فقلن له قد هلك رجالنا وبقي الصبيان فضعنا في أكفائنا فزوج سعيدا احداهن وجبير بن مطعم الاخرى وكان عمومته ذوي بلاء في الاسلام وسابقة فلم يمت عمر حتى كان سعيد من رجال قريش فلما استعمله عثمان سار حتى أتى الكوفة أميرا ورجع معه الاشتر وأبو خشة الغفاري وجندب بن عبد الله * وابن صعب بن جثامة وكانوا ممن شخص مع الوليد يعينونه فصاروا عليه فقال بعض شعراء الكوفة

فررت من الوليد الى سعيد * كاهل الحجر اذ جزعوا فباروا
يلينا من قريش كل عام * امير محدث اومستشار
لنا نار نخوفها فنخشى * وليس لهم فلا يخشون نار

فلما وصل سعيد الكوفة صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال والله لقد بعثت اليكم واني لكاره ولكني لم أجد بدا اذا أمرت ان اتمر الا ان الفتنة قد أطلعت خطمها وعينيها والله لاضربن وجهها حتى أقمعها او تعييني واني لرائد نفسي اليوم ثم نزل وسأل عن اهل الكوفة فعرف حال أهلها فكتب الى عثمان ان أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والغالب على تلك البلاد روادف قدمت واعراب لحقت حتى لا ينظر الى ذي شرف وبلاء من نابتتها ولا نازلتها فكتب اليه عثمان أما بعد ففضل اهل السابقة والقدمة ومن فتح الله عليه تلك البلاد وليكن من نزلها من غيرهم تبعا لهم الا ان يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء واحفظ لكل منزلته واعطهم جميعا بقسطهم من الحق فان المعرفة بالناس بها يصاب العدل فأرسل سعيد الى أهل الايام والقادسية فقال أنتم وجوه الناس والوجه ينبئ عن الجسد فابلغونا حاجة ذي الحاجة وادخل معهم من يحتمل من اللواحق والروادف وجعل القراء في سمره ففشت القالة في اهل الكوفة فكتب سعيد الى عثمان بذلك فجمع الناس واخبرهم بما كتب اليه فقالوا له أصبت لا تطمعهم فيما ليسوا له بأهل فانه اذا نهض في الامور من ليس بأهل لها لم يحتملها وافسدها فقال عثمان يا اهل المدينة استعدوا واستمسكوا فقد دبت اليكم الفتن واني والله لا تخلصن لكم الذي لكم حتى انقله اليكم ان رأيتم حتى يأتي من شهد مع اهل العراق سهمه فيقيم معه في بلاده فقالوا كيف تنقل الينا سهامنا من الارضين فقال يبيعها ممن شاء بما كان له بالحجاز واليمن وغيرهما من البلاد ففرحوا وفتح الله لهم أمرا لم يكن في حسابهم ففعلوا ذلك واشتراه رجال من كل قبيلة وجازاهم عن تراض منهم ومن الناس والاقرار بالحقوق

ذكر

فاستعلم من امه أولادها ابرهة مسروق وكانت امه من آل ذي يزن وكان سيف بن ذي يزن الحميري يكنى بأبي مرة فركب البحار ومضى الى قيصر يستنجده فأقام ببابه سبع سنين فلم ينجده لبعد بلاده وقلة خيرها فمضى الى كسرى انوشروان يستنجده فوعده انوشروان بالنصرة واشتغل بحرب الروم وغيرها من الامم ومات سيف ابن ذي يزن فأتاه ابنه (معديكرب بن سيف) فصاح على باب الملك فلما سئل عن حاله قال لي قبل الملك ميراث فوقف بين يدي انوشروان فسأله عن ميراثه فقال له انا ابن الشيخ الذي وعده الملك النصر على الحبشة قال مالي حاجة في بلادك ثم قال الآن في سجوننا رجال حبستهم للقتل نبعثهم معك فان هلكوا اهلكوا وان ظفروا فلك ملكنا وازددت ملكا الى ملكي فبعثهم وهم ثمانمائة رجل واستعمل عليهم وهرز بن اصبهبد الديلمي وكان افضلهم حسبا ونسبا فحملوا في ثمان سفائن من دجلة ومعهم خيولهم وعلمانهم وعددهم حتى اتوا ابلة البصرة وهي فرج البحر ولم يكن يومئذ بصرة ولا كوفة وهذه مدن اسلامية فركبوا في سفن البحر وساروا حتى

﴿ ذكر غزو سعيد بن العاص طبرستان ﴾

فى هذه السنة غزا سعيد بن العاص طبرستان فانها لم يغزها أحد الى هذه السنة وقد تقدم فى أيام عمر الخلاف فى ذلك وان اصبهبذها صالح سويد بن مقرن أيام عمر على مال بذله وأما على هذا القول فان سعيدا غزاها من الكوفة سنة ثلاثين ومعه الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر ابن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وحذيفة بن اليمان وابن الزبير وناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وخرج ابن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق سعيدا ونزل نيسابور ونزل سعيد قومس وهى صلح صالحهم حذيفة بعد نهاوند فأتى جرجان فصالحوه على مائتى ألف ثم أتى طميسة وهى كلها من طبرستان متاخمة جرجان على البحر فقاتله اهلها فصلى صلاة الخوف اعلمه حذيفة كيفيتها وهم يقتتلون وضرب سعيد يومئذ رجلا بالسيف على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه وحاصرهم فسألوا الامان فأعطاهم على ان لا يقتل منهم رجلا واحدا ففتحوا الحصن فقتلوا اجمعين الا رجلا واحدا وحوى ما فى الحصن فأصاب رجل من بنى نهد سفطا عليه قفل فظن ان فيه جوهرا وبلغ سعيدا فبعث الى النهدى فأتاه بالسفط فكسروا قفله فوجدوا فيه سفطا ففتحوه فوجدوا خرقة حمراء فنشروها فاذا خرقة صفراء وفيها أيران كميت وورد فقال شاعر يهجو بنى نهد

آب الكرام بالسبايا وغنمه * وآب بنو نهد بأيرين فى سفط

كميت وورد وافرين كلاهما * فظنوهما غنما فناهيك من غلط

وفتح سعيد نامية وليست بمدينة هى صحارى ومات مع سعيد محمد بن الحكم بن ابى عقيل جد يوسف بن عمر ثم رجع سعيد فمدحه كعب بن جعيل

فنعم الفتى اذ جال جيلان دونه * واذ هبطوا من دستبى وابهرا

فى أبيات ولما صالح سعيد اهل جرجان كانوا يجبون احيانا مائة ألف واحيانا مائتى الف واحيانا ثلثمائة الف ويقولون هذا صلح صلحنا وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فانقطع طريق خراسان من ناحية قومس الا على خوف شديد منهم كان الطريق الى خراسان من فارس الى كرمان الى خراسان واول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولى خراسان وقدمها يزيد بن المهلب فصالح صولا وفتح البحيرة ودهستان وصالح أهل جرجان على صلح سعيد

﴿ ذكر غزو حذيفة الباب وامر المصاحف ﴾

وفيها انصرف حذيفة عن غزو الرى الى غزو الباب مددا لعبد الرحمن بن ربيعة وخرج معه سعيد ابن العاص فبلغ معه اذربيجان وكانوا يجعلون الناس ردأ فأقام حتى عاد حذيفة ثم رجعا فلما عاد حذيفة قال لسعيد بن العاص لقد رأيت فى سفرتى هذه امرا لئن ترك الناس ليختلفن فى القرآن ثم لا يقومون عليه ابدا قال وما ذاك قال رأيت اناسا من اهل حمص يزعمون ان قراءتهم خير من قراءة غيرهم وانهم أخذوا القرآن عن المقداد ورأيت اهل دمشق يقولون ان قراءتهم خير من قراءة غيرهم ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك وانهم قرؤا على ابن مسعود واهل البصرة يقولون مثل ذلك وانهم قرؤا على ابى موسى ويسمون مصحفه لباب القلوب فلما وصلوا الى الكوفة اخبر حذيفة الناس بذلك وحذرهم ما يخاف فوافقه أصحاب رسول الله صلى الله

اتوا ساحل حضرموت موضعا يقال له موت فخرجوا من السفن وقد كان اصيب بعضهم فى البحر فأمرهم وهرزان يحرقوا السفن ويعلموا انه الموت ولا مفر منه فيجهدون انفسهم فنما خبرهم الى ملك اليمن مسروق ابن ابرهة فأتاهم فى مائة الف من الحبشة وغيرهم فتصاف القوم وكان مسروق على فيل عظيم فقال وهرزان كان معه من الفرس اصدقوهم الحملة واستشعروا الصبر ثم تأمل ملكهم وقد نزل عن الفيل فركب جملا ثم نزل عن الجمل فركب فرسا ثم انف من محاربة الفرس على فرس استصغارا لاصحاب السفن فدعا بحمار فركبه فقال وهرز ذهب ملكه وتنقل عن كبير الى صغير وكان بين عينى مسروق ياقوتة حمراء معلقة فى تاجه بعلاق من الذهب تضىء كالنار فرماه وهرز بسهم فى جبهته فقتله وكان مجيد الرمى لا يوتر قوسه غيره لشدتها ثم حملت الفرس عليهم فانهزموا واقتلوا منهم نحو ثلاثين الفا وقد كان انوشروان شرط على معديكرب شروطا منها ان الفرس تتزوج من اليمن ولا تتزوج اليمن منها وخراجها يحمل اليه

عليه وسلم وكثير من التابعين وقال له أصحاب ابن مسعود ما تنكر انا نقرأ على قراءة ابن
مسعود فغضب حذيفة ومن وافقه وقالوا انما أنتم اعراب فاسكتوا فانكم على خطا وقال
حذيفة والله لئن عشت لآتين امير المؤمنين ولاشيرن عليه ان يحول بين الناس و بين ذلك فاغلظ
له ابن مسعود فغضب سعيد وقام وتفرق الناس وغضب حذيفة وسار الى عثمان فاخبره بالذى
رأى وقال أنا النذير العريان فادركوا الامة فجمع عثمان الصحابة واخبرهم الخبر فأعظموه
ورأوا جميعا ما رأى حذيفة فارسل عثمان الى حفصة بنت عمر أن أرسلى الينا بالصحف ننسخها
وكانت هذه الصحف هى التى كتبت فى ايام ابى بكر فان القتل لما كثر فى الصحابة يوم اليمامة قال
عمر لابى بكر ان القتل قد كثر واستحر بقراء القرآن يوم اليمامة وانى أخشى ان يستحر القتل
بالقراء فيذهب من القرآن كثير وانى أرى ان تأمر بجمع القرآن فأمر أبو بكر زيد بن ثابت
فجمعه من الرقاع والعسب وصدور الرجال فكانت الصحف عند أبى بكر ثم عند عمر فلما توفى عمر
أخذتها حفصة فكانت عندها فأرسل عثمان اليها أخذها منها وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن
الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان
اذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا فلما نسخوا الصحف ردها عثمان
الى حفصة وارسل الى كل أفق بمصحف وحرق ماسوى ذلك وأمر ان يعتقدوا عليها ويدعوا ما
سوى ذلك فكل الناس عرف فضل هذا الفعل الا ما كان من اهل الكوفة فان المصحف لما قدم
عليهم فرح به اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وان اصحاب عبد الله ومن وافقهم امتنعوا من
ذلك وعابوا الناس فقام فيهم ابن مسعود وقال ولا كل ذلك فانكم والله قد سبقتم سبقا بينا
فاربعوا على ظلعكم ولما قدم على الكوفة قام اليه رجل فعاب عثمان بجمع الناس على المصحف
فصاح وقال اسكت فعن ملا منا فعل ذلك فلو وليت منه ما ولى عثمان لسلكت سبيله

(ذكر سقوط خاتم النبى صلى الله عليه وسلم فى بئر أريس)

وفيها وقع خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من يد عثمان فى بئر أريس وهى على ميلين من المدينة
وكانت قليلة الماء فما أدرك قعرها بعد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذه لما أراد ان
يكاتب الاعاجم يدعوهم الى الله تعالى فقيل له انهم لا يقبلون كتابا الا مختوما فأمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يعمل له خاتم من حديد فلما عمل جعله فى اصبعه فأتاه جبريل فنهاه عنه فنبذه
وامر فعمل له خاتم من نحاس وجعله فى اصبعه فقال جبريل انبذه فنبذه وأمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بخاتم من فضة فصنع له فجعله فى اصبعه فأمره جبريل ان يقره فأقره وكان نقشه
ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر فتختم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفى ثم
تختم به ابو بكر حتى توفى ثم عمر حتى توفى ثم تختم به عثمان ست سنين فحفروا بئرا بالمدينة شربا
للمسلمين فقعد على رأس البئر فجعل يعبث بالخاتم فسقط من يده فى البئر فطلبوه فيها ونزحوا
ما فيها من الماء فلم يقدروا عليه فجعل فيه مالا عظيما لمن جاء به واغتم لذلك غما شديدا فلما يئس
منه صنع خاتما آخر على مثاله ونقشه فبقى فى اصبعه حتى هلك فلما قتل ذهب الخاتم فلم يدر
من أخذه

(ذكر تسيير ابى ذر الى الربذة)

وفى

فتوج وهرز معد يكرب بتاج
كان معه وبدلة من الفضة البسه
اياها وكتب الى انوشروان
بالفتح واخرجت الحبشة
من اليمن وكانت معهم فهو
اثنتين وسبعين سنة ثم عاد ملك
اليمن الى حمير وكان مدة
مسروق الى ان قتل ثلاث
سنين وكان معد يكرب بعد
ان جلس على سرير الملك
واتته الوفود من العرب
تهنئه بعود الملك اليهم قد
اصطفى جماعة من الحبشان
وجعلهم من خاصته فاغتالوه
وقتلوه وبه انقطع الملك
باليمن عن أولاد سبا وكان
وهرز والى معد يكرب فاعلم
ملك الفرس بذلك فسير له
من البرار بعة آلاف من
الاساورة وأمره باصلاح
اليمن وان لا يبقى أحدا من
الحبشة فأتى (وهرز) اليمن
ونزل صنعاء فلم يترك أحدا
من السودان ولا من انسابهم
وملك انوشروان وهرز على
اليمن الى ان هلك بصنعاء ثم
ملك بعده ولده (مرزبان
ابن وهرز) الى ان هلك فولى
كسرى مكانه رجلا من
فارس يقال له (سيحان) ثم
مات سيحان فأمر كسرى
ابنه (خرخسره) ثم عزله وامّر
(باذان بن ساسان) فلم يزل
عليها حتى بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم واسلم باذان

وفي هذه السنة كان ما ذكر في أمر أبي ذر واشخاص معاوية اياه من الشام الى المدينة وقد ذكر في سبب ذلك امور كثيرة من سب معاوية اياه وتهديده بالقتل وحمله الى المدينة من الشام بغير وطاء ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصح النقل به ولو صح لكان ينبغي ان يعتذر عن عثمان فان للامام ان يؤدب رعيته وغير ذلك من الاعذار لا ان يجعل ذلك سببا للطعن عليه كرهت ذكرها واما العاذرون فانهم قالوا لما ورد ابن السوداء الى الشام اتى ابا ذر فقال يا اباذر الا تعجب من معاوية يقول المال مال الله الا ان كل شئ لله كانه يريد ان يحتجنه دون الناس ويمحو اسم المسلمين فأتاه ابو ذر فقال ما يدعوك الى ان تسمي مال المسلمين مال الله الساعة قال يرحمك الله يا اباذر السنا عباد الله والمال ماله قال فلا تقله قال ساقول مال المسلمين وأتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له مثل ذلك فقال أظنك يهوديا فأتى عبادة بن الصامت فتعلق به عبادة وأتى به معاوية فقال هذا والله الذي بعث عليك أباذر وكان أبو ذر يذهب الى ان المسلم لا ينبغي له ان يكون في ملكه أكثر من قوت يومه وليلته أو شئ ينفقه في سبيل الله أو يعده لكريم ويأخذ بظاهر القرآن الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم فكان يقوم بالشام ويقول يا معشر الاغنياء واسوا الفقراء بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك واوجبوه على الاغنياء وشكا الاغنياء ما يلقون منهم فأرسل معاوية اليه بالف دينار في جنح الليل فانفقها فلما صلى معاوية الصبح دعا رسوله الذي أرسله اليه فقال اذهب الى ابي ذر فقل له انقذ جسدي من عذاب معاوية فانه ارسلني الى غيرك واني أخطأت بك ففعل ذلك فقال له ابو ذر يا بني قل له والله ما اصبح عندنا من دنانيرك دينار ولكن أخرنا ثلاثة أيام حتى نجمعها فلما رأى معاوية ان فعله يصدق قوله كتب الى عثمان ان اباذر قد ضيق علي وقد كان كذا وكذا للذي يقوله الفقراء فكتب اليه عثمان ان الفتنة قد اخرجت خطمها وعينيها ولم يبق الا ان تثب فلا تنكا القرح وجهز اباذر الي وابعث معه دليلا وكفكف الناس ونفسك ما استطعت وبعث اليه بأبي ذر فلما قدم المدينة ورأى المجالس في اصل جبل سلع قال بشر اهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار ودخل على عثمان فقال له ما لاهل الشام يشكون ذرب لسانك فاخبره فقال يا اباذر علي ان اقضي ما علي وان ادعو الرعية الى الاجتهاد والاقتصاد وما علي ان اجبرهم على الزهد فقال ابو ذر لا ترضوا من الاغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا الى الجيران والاخوان ويصلوا القرابات فقال كعب الاحبار وكان حاضرا من ادى الفريضة فقد قضى ما عليه فضربه ابو ذر فشجه وقال له يا ابن اليهودية ما أنت وما ههنا فاستوهب عثمان كعبا شجته فوهبه فقال ابو ذر لعثمان تأذن لي في الخروج من المدينة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني بالخروج منها اذا بلغ البناء سلعا فأذن له فنزل الربذة وبنى بها مسجدا وأقطعه عثمان صرمة من الابل واعطاه مملوكين واجرى عليه كل يوم عطاء وكذلك على رافع بن خديج وكان قد خرج ايضا عن المدينة لشئ سمعه وكان ابو ذر يتعاهد المدينة مخافة ان يعود اعرابيا واخرج معاوية اليه اهله فخرجوا ومعهم جراب مثقل يد الرجل فقال انظروا الى هذا الذي يزهد في الدنيا ما عنده فقالت امرأته والله ما هو دينار ولا درهم ولكنها فلوس

المذكور وكان سبب اسلامه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ارسل كتابا لكسرى يدعوه الى الاسلام مزقه وأمر باذان المذكور وهو ملك اليمن ان أرسل الى رأس هذا الذي يدعي انه نبي فارسل باذان قاصده الى المدينة لينظر حيلة في قتل النبي صلى الله عليه وسلم فاوحى الله تعالى الى نبيه ما اضمر باذان وقاصده فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم القاصد ان كسرى قتل في يوم كذا في شهر كذا فرجع القاصد خائبا خاسرا فما لبث ان جاء الخبر بقتله فاسلم باذان ومن معه وحسن اسلامه وتوفي باذان في السنة العاشرة من الهجرة وعين رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضا من اليمن الى ابنه شهر بن باذان وهو أول أمير ولي باليمن في الاسلام وقد ذكرنا جوامع من أخبار اليمن وملوكها فلنذكر الآن ملوك الحيرة من بني نصر وغيرهم لتعلقهم باليمن ثم نعقب ذلك بملوك الشام من اليمن وغيرهم ان شاء الله تعالى وتعاظم

(الباب السادس عشر في ذكر ملوك الحيرة وما سلكوه من السيرة)

وكانت دولتهم من أعظم دول

كان اذا خرج عطاؤه ابتاع منه فلوسا لحوائجنا ولما نزل الربذة أقيمت الصلاة وعليها رجل يلي الصدقة فقال تقدم يا أبا ذر فقال لا تقدم أنت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي اسمع واطع وان كان عليك عبد مجدع فأنت عبد ولست بأجدع وكان من رقيق الصدقة اسمه مجاشع

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء وفيها مات حاطب بن أبي بلتعة اللخمي وهو من أهل بدر (حاطب بالحاء المهملة وبلتعة بالباء الموحدة ثم التاء المثناة من فوق بوزن مفرعة) وفيها مات عمرو بن أبي سرح الفهري وكان بدريا * وفيها مات مسعود بن الربيع وقيل ابن ربيعة بن عمرو القاري من القارة أسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وشهد بدرا وكان عمره قد جاوز الستين * وفيها مات عبد الله بن كعب بن عمرو الانصاري شهد بدرا وكان على غنائم النبي صلى الله عليه وسلم فيها وفي غيرها * وفيها مات عبد الله بن مظعون أخو عثمان وكان بدريا وجبار بن صخر وهو بدري أيضا (جبار بالجيم وآخره راء)

(ثم دخلت سنة احدى وثلاثين)

(ذكر غزوة الصواري)

قيل وفي هذه السنة كانت غزوة الصواري وقيل كانت سنة اربع وثلاثين وقيل في سنة احدى وثلاثين كانت غزوة الاساورة وقيل كانتا معا سنة احدى وثلاثين وكان على المسلمين معاوية وكان قد جمع الشام له أيام عثمان وسبب جمعه له ان أبا عبيدة بن الجراح لما حضر استخلف على عمله عياض بن غنم وكان خاله وابن عمه وكان جوادا مشهورا وقيل استخلف معاذ بن جبل على ما تقدم فمات عياض واستخلف عمر بعده سعيد بن حذيم الجمحي ومات سعيد وأمر عمر مكانه عمير ابن سعد الانصاري ومات عمر وعمير على حمص وقنسرين ومات يزيد بن أبي سفيان فجعل عمر مكانه أخاه معاوية فاجتمعت لمعاوية الاردن ودمشق ومرض عمير بن سعد فاستعفى عثمان واستأذنه في الرجوع الى أهله فأذن له وضم عثمان حمص وقنسرين الى معاوية ومات عبد الرحمن بن علقمة وكان على فلسطين فضم عثمان عمله الى معاوية فاجتمع الشام لمعاوية لسنتين من امارة عثمان فهذا كان سبب اجتماع الشام له واما سبب هذه الغزوة فان المسلمين لما اصابوا من أهل افريقية وقتلوهم وسبوهم خرج قسطنطين بن هرقل في جمع له لم تجمع الروم مثله مذ كان الاسلام فخرجوا في خمسمائة مركب أو ستمائة وخرج المسلمون وعلى أهل الشام معاوية بن أبي سفيان وعلى البحر عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم فارسى المسلمون والروم وسكنت الريح فقال المسلمون الامان بيننا وبينكم فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرؤن القرآن ويصلون ويدعون والروم يضربون بالنواقيس وقربوا من الغد سفنهم وقرب المسلمون سفنهم فربطوا بعضها مع بعض واقتتلوا بالسيوف والخناجر وقتل من المسلمين بشر كثير وقتل من الروم ما لا يحصى وصبروا يومئذ صبرا لم يصبروا في موطن قط مثله ثم أنزل الله نصره على المسلمين فانهزم قسطنطين جريحا ولم ينج من الروم الا الشريد وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري بعد الهزيمة أياما ورجع فكان أول ما تكلم به محمد بن أبي

ملوك العرب اولهم (مالك ابن فهم الازدي) وكان خرج مع عمرو لما أحس بسيل العرم باليمن نزل بالحيرة وكان ملكا على مشارف الشام الى الفرات من قبل الروم وكانت دياره بالموضع المعروف بالمضيق من بلاد الخانوقة وقرقيسيا وكان ملكه في أيام ملوك الطوائف وكانت مدة ملكه على الحيرة عشرين سنة ثم ملك بعده أخوه (عمرو بن فهم الازدي) ثم ملك بعده ابن أخيه (جذيمة الوضاح) وكان يقال له الابرش لبرص كان به وهو أول من عمل له المنجنيق من ملوك العرب واول من حذيت له النعال واول من رفع بين يديه الشمع وكان من تجبره لا ينادم أحدا من الناس وكان ينادم الفرقدين واذا شرب قدحا صب لهذا قدحا ولهذا قدحا وكان جذيمة جمع غلمانا من ابناء الملوك يخدمونه منهم عدي بن نصر بن ربيعة من ولد لخم بن عمرو بن سبا وكان جميلا فعشقته رقاش اخت جذيمة فقالت له اذا سقيت الملك فسكر اخطبني اليه فانه يزوجك وأشهد القوم عليه فلما سقى عدي جذيمة وسكر قال له سلني ما أحببت قال زوجني اختك رقاش

حذيفة ومحمد بن أبي بكر في أمر عثمان في هذه الغزوة وأظهرا عيبه وما غير وما خالف به أبا بكر وعمر ويقولان استعمل عبد الله بن سعد رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أباح دمه ونزل القرآن بكفره وأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما وأدخلهم ونزع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعمل سعيد بن العاص وابن عامر فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال لا تركبا معنا فركبا في مركب ما معهما الا القبط فلقوا العدو فكانا أقل المسلمين نكاية وقتالا فقيل لهما في ذلك فقالا كيف نقاتل مع عبد الله بن سعد استعمله عثمان وعثمان فعل كذا وكذا فأرسل اليهما عبد الله ينهاهما ويتهددهما ففسد الناس بقولهما وتكلموا ما لم يكونوا ينطقون به وأما قسطنطين فانه سار في مركبه الى صقلية فسأله أهلها عن حاله فأخبرهم فقالوا أهلكت النصرانية وأفنيت رجالها لو أتانا العرب لم يكن عندنا من يمنعهم ثم أدخلوه الحمام وقتلوه وتركوا من كان معه في المركب وأذنوا لهم في المسير الى القسطنطينية * وقيل في هذه السنة فتحت ارمينية على يد حبيب بن مسلمة وقد تقدم ذكر ذلك

(ذكر مقتل يزدجرد بن شهريار)

في هذه السنة هرب يزدجرد من فارس الى خراسان في قول بعضهم وقد تقدم الخلاف فيه وكان ابن عامر قد خرج من البصرة حين وليها الى فارس فافتتحها وهرب يزدجرد من جور وهي اردشير خره في سنة ثلاثين فوجه ابن عامر في اثره مجاشع بن مسعود وقيل هرم بن حيان العبدي وقيل هرم بن حيان اليشكري فاتبعه الى كرمان فهرب يزدجرد الى خراسان وأصاب مجاشع بن مسعود ومن معه الثلج والدمق واشتد البرد وكان الثلج قيد رمح فهلك الجند وسلم مجاشع ورجل معه جارية فشق بطن بعير وأدخلها فيه وهرب فلما كان الغد جاء فوجدها حية فحملها فسمي ذلك القصر قصر مجاشع لان جيشه هلكوا فيه وهو على خمسة فراسخ أو ستة من السيرجان من أعمال كرمان هذا على قول من يقول ان هرب يزدجرد من فارس كان هذه السنة وأما سبب قتله على ما تقدم ذكره من فتح فارس وخراسان فقد اختلف الناس في سبب قتله فقيل انه هرب من كرمان في جماعة الى مرو ومعه خرزاد أخو رستم فرجع عنه الى العراق ووصى به ماهويه مرزبان مرو فسأله يزدجرد مالا فمنعه فخافه أهل مرو على أنفسهم فأرسلوا الى الترك يستنصرونهم عليه فأتوه فبيتوه فقتلوا أصحابه فهرب يزدجرد ماشيا الى شط المرغاب فأوى الى بيت رجل ينقر الارحاء فلما نام قتله وقيل بل بيته اهل مرو ولم يستنصروا بالترك فقتلوا أصحابه وهرب منهم فقتله النقار وتبعوا أثره الى بيت الذي ينقر الارحاء فأخذوه وضربوه فأقر بقتله فقتلوه وأهله وكان يزدجرد قد وطئ امرأة بمرو فولدت له غلاما ذاهب الشق ولدته بعد قتله فسمي المخدج فولد له اولاد بخراسان فوجد قتيبة بن مسلم حين افتتح الصغد وغيرها جاريتين من ولد المخدج فبعث بهما او باحداهما الى الحجاج فبعث بها الى الوليد بن عبد الملك فولدت للوليد يزيد بن الوليد الناقص وأخرج يزدجرد من النهر وجعل في تابوت وحمل الى اصطخر فوضع في ناووس هناك وقيل ان يزدجرد هرب بعد وقعة نهاوند الى أرض اصبهان وبها رجل يقال له مطيار كان قد أصاب من العرب شيأ يسيرا فصار له بها محل كبير فأتى مطيار يزدجرد ذات يوم فحجبه بوابه ليستأذن له فضرب به وشجه فدخل البواب على يزدجرد مدمى فرحل عن أصبهان من

قال قد فعلت فخطبها وأشهد القوم عليه فعلمت رقاش انه سينكر اذا أفاق فقالت ادخل على فقعل فلما أصبح جذيمة وعلم بذلك عظم عليه فهرب عدى المذكور ولحق بقومه وقيل انه ظفر به وقتله وحبلت رقاش فقال لها جذيمة

حدثيني وأنت غير كذوب
أبحر زنيت ام بهجين
ام بعبد وأنت اهل لعبد
ام بدون وأنت اهل لدون

(فاجابته رقاش تقول)

أنت زوجتني وما كنت أدرى
وأتاني النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفا
وتماديك في الصبا والجون

فنقلها جذيمة اليه وحصنها في قصره وجاءت بولد وسمته عمرا وتبناه جذيمة وأحبه حبا شديدا وكان لا يولد له ولد ثم عدم الغلام وتزعم العرب ان الجن اختطفته ثم وجده رجلان يقال لاحدهما مالك وللآخر عقيل بوادى سماوة فحملاه الى جذيمة وذلك بعد ان بالغ جذيمة في السؤال عنه في الآفاق فعرفه وضمه اليه وقال لهما اطلبا ما شئتما فقالا له نطلب منادمتك ما بقيت وبقينا وهما اللذان يضرب بهما المثل فيقال كندماني جذيمة ويقال انهما نادماه أربعين

ساعته فاتى الرى فخرج اليه صاحب طبرستان وعرض عليه بلاده واخبره بحصانتها فلم يجبه
وقيل مضى من فوره ذلك الى سجستان ثم سار الى مرو فى ألف فارس وقيل بل قصد فارس فأقام
بها أربع سنين ثم أتى كرمان فأقام بها سنتين أو ثلاثا فطلب اليه دهقانها شيأ فلم يجبه فجره برجله
وطرده عن بلاده فسار الى سجستان فأقام بها نحوا من خمس سنين ثم عزم على قصد خراسان
ليجمع الجموع ويسير بهم الى العرب فسار الى مرو ومعه الرهن من أولاد الدهاقين ومعه
فرخزاد فلما قدم مرو كاتب ملوك الصين وملك فرغانة وملك كابل وملك الخزر يستمدهم وكان
الدهقان يومئذ بمرو ماهويه أبو براز فوكل ماهويه بمرو ابنه براز ليحفظها ويمنع عنها يزدجرد
خوفا من مكره فركب يزدجرد يوما وطاف بالمدينة وأراد دخولها من بعض أبوابها فمنعه براز
فصاح به أبوه ليفتح الباب فلم يفعل وأومأ اليه ابوه ان لا يفعل ففطن له رجل من أصحاب يزدجرد
فاعلمه بذلك واستأذنه فى قتله فلم يأذن له وقيل أراد يزدجرد صرف الدهقنة عن ماهويه الى
ابن أخيه فبلغ ذلك ماهويه فعمل فى هلاك يزدجرد فكتب الى نيزك طرخان يدعوه الى
القدوم عليه ليتفقا على قتله ومصالحة العرب عليه وضمن له ان فعل ان يعطيه كل يوم ألف درهم
فكتب نيزك الى يزدجرد يعده المساعدة على العرب وانه يقدم عليه بنفسه ان أبعد عسكره
وفرخزاد عنه فاستشار يزدجرد أصحابه فقال له سنجان لست أرى ان تبعد عنك أصحابك
وفرخزاد وقال أبو براز أرى ان تتألف نيزك وتجيبه الى ما سال فقبل رأيه وفرق عنه جنده
فصاح فرخزاد وشق جيبه وقال اظنكم قاتليه هذا ولم يبرح فرخزاد حتى كتب له يزدجرد بخط
يده انه آمن وانه قد أسلم يزدجرد وأهله وما معه الى ماهويه وأشهد بذلك واقبل نيزك فاقيه
يزدجرد بالمزامير والملاهى أشار عليه بذلك ابو براز فلما لقيه تأخر عنه ابو براز فاستقبله نيزك
ماشيا فأمر له يزدجرد بجنيبة من جنائبه فركبها فلما توسط عسكره تواقفا فقال له نيزك فيما يقول
زوجنى احدى بناتك حتى أناصحك فى قتال عدوك فسبه يزدجرد فضرب نيزك بمقرعته وصاح
يزدجرد وركض منهزما وقتل أصحاب نيزك أصحاب يزدجرد وانتهى يزدجرد الى بيت طحان
فمكث فيه ثلاثة ايام لم يأكل طعاما فقال له الطحان اخرج أيها الشقى فكل طعاما فقد جعت
فقال لست أصل الى ذلك الا بزمزمة وكان عند الطحان رجل يزمزم فكلمه الطحان فى ذلك
ففعل وزمزم له فأكل فلما رجع المزمزم سمع بذكر يزدجرد فسأل عن حليته فوصفوه له فاخبرهم
به وبحليته فأرسل اليه أبو براز رجلا من الاساورة وأمره بخنقه والقائه فى النهر وأتى الطحان
فضربه ليدله عليه فلم يفعل وجحده فلما أراد الانصراف عنه قال له بعض أصحابه انى لاجد
ريح مسك ونظرا الى طرف ثوبه من ديباج فى الماء فجذبه فاذا هو يزدجرد فسأله ان لا يقتله ولا
يدل عليه وجعل له خاتمه ومنطقته وسواره فقال له اعطنى أربعة دراهم وأخلى عنك فلم يكن
معه وقال ان خاتمى لا يحصى ثمنه فخذه فأبى عليه فقال له يزدجرد قد كنت أخبر انى سأحتاج الى
أربعة دراهم فقد رأيت ذلك ثم نزع أحد قرطيه فاعطاه الطحان ليستر عليه واراد واقتله
فقال ويحكم انا نجد فى كتبنا انه من قتل الملوك عاقبه الله بالحريق فى الدنيا فلا تقتلونى واحملونى
الى الدهقان اوالى العرب فانهم يستحيون مثلى فأخذوا ما عليه وخنقوه بوتر القوس والقوه فى
الماء فأخذه اسقف مرو وجعله فى تابوت ودفنه وسأل ابو براز عن أحد القرطين وأخذ الذى

سنة ولم يعد اعليه حديثا
(وفى أيامه) كان قد ملك
الجزيرة واعمال الفرات
ومشارف الشام رجل من
العمالقة يقال له عمرو بن
الظارب بن حسان العمليقى
فجرى بينه وبين جذيمة
حروب فانتصر جذيمة عليه
وقتل عمرو وكان لعمرو بنت
تدعى الزباء واسمها نائلة
فملكت بعده وبنت مدينتين
متقابلتين على شاطئ الفرات
من الجانب الشرقى والغربى
وهما اليوم خراب وكان
فيما ذكر قد أسقفت الفرات
وجعلته طريقا بين مدينتيها
وأخذت فى الحيلة على جذيمة
وأطمعته بنفسها حتى اغتر
جذيمة وكانت بكرا فجمع
جذيمة أصحابه فاستشارهم
فأشار واعليه بالمضى اليها
وخالفهم قصير بن سعد تابع
كان له من لخم وقال له لا تفعل
فخالفه وقدم اليها فظفرت
به وقتلته وأخذت بثأر أبيها
فلما قتل جذيمة ملك بعده
ابن أخته (عمرو بن عدى)
وأخذ فى الحيلة فاتفق عمرو
مع قصير وجدع أنف قصير
فضربه بالسياط وهرب
قصير على تلك الحالة الى الزباء
على انه مغاضب لعمرو فلما
رأته على تلك الحالة أنعمت
عليه وقربته وصار من
أخصائها وكان قصير يتجر
للزباء ويأخذ المال من مولاه

دل عليه فظفر به حتى اتى على نفسه وقيل بل سار يزدجرد من كرمان قبل ورود العرب اليها فهو
مرو على الطبسين وقهستان فى أربعة آلاف فلما قارب مرو لقيه قائدان يقال لاحدهما براز
وللآخر سنجان وكانا متباغضين فسعى براز بسنجان حتى هم يزدجرد بقتله وافشى ذلك الى
امرأة من نسائه ففشا الحديث فجمع سنجان أصحابه وقصد قصر يزدجرد فهرب براز وخاف
يزدجرد فهرب ايضا الى رحا على فرسخين من مرو فدخل بيت نقار الرحا فاطعمه الطحان فطلب
منه شيأ فاعطاه منطقته فقال انما يكفينى أربعة دراهم فلم يكن معه ثم نام يزدجرد فقتله الطحان
بفاس كان معه وأخذ ما عليه والقى جثته فى الماء وشق بطنه وثقله وسمع بقتله مطران كان
بمرو فجمع النصارى وقال قتل ابن شهريار وانما شهريار ابن شيرين المؤمنة التى قد عرفتم حقها
واحسانها الى اهل ملتها مع ما نال النصارى فى ملك جده انوشروان من الشرف فينبغى ان
نحزن لقتله ونبنى له ناووسا فأجابوه الى ذلك وبنوا له ناووسا واخرجوا جثته وكفنوها ودفنوها فى
الناووس وكان ملكه عشرين سنة منها أربع سنين فى دعة وست عشرة سنة فى تعب من محاربة
العرب اياه وغلظتهم عليه وكان آخر من ملك من آل اردشير بن بابك وصفا الملك بعده للعرب

(ذكر مسير ابن عامر الى خراسان وفتحها)

لما قتل عمر بن الخطاب نقض أهل خراسان وغدروا فلما افتتح ابن عامر فارس قام اليه حبيب بن
أوس التميمى فقال له ايها الامير ان الارض بين يديك ولم يفتح منها الا القليل فسر فان الله
ناصرك قال أولم نؤمر بالمسير وكره ان يظهر انه قبل رأيه وقيل ان ابن عامر لما فتح فارس عاد الى
البصرة واستخلف على اصطخر شريك بن الاعور الحارثى فبنى شريك مسجد اصطخر فلما دخل
البصرة أتاه الاحنف بن قيس وقيل غيره فقال له ان عدوك منك هارب ولك هائب والبلاد
واسعة فسر فان الله ناصرك ومعز دينه فتجهز وسار واستخلف على البصرة زيادا وسار الى كرمان
فاستعمل عليها مجاشع بن مسعود السلمى وله صحبة وأمره بحارب أهلها وكانوا قد نكثوا ايضا
واستعمل على سجستان الربيع بن زياد الحرثى وكانوا ايضا قد غدروا ونقضوا الصلح وسار ابن
عامر الى نيسابور وجعل على مقدمته الاحنف بن قيس فأتى الطبسين وهما حصنان وهما بابا
خراسان فصالحه أهلهما وسار الى قهستان فلقيه اهلها وقاتلهم حتى الجأهم الى حصنهم وقدم
عليها ابن عامر فصالحه اهلها على ستمائة ألف درهم وقيل كان المتوجه الى قهستان أمير بن
أحمر اليشكرى وهى بلاد بكر بن وائل وبعث ابن عامر سرية الى رستاق زام من أعمال
نيسابور ففتحه عنوة وفتح باخرز من أعمال نيسابور ايضا وفتح جوين من أعمال نيسابور ايضا
ووجه ابن عامر الاسود بن كلثوم العدوى من عدى الرباب وكان ناسكا الى بيهق من أعمالها
أيضا فقصد قصبته ودخل حيطان البلد من ثلمة كانت فيه ودخلت معه طائفة من المسلمين فأخذ
العدو عليهم تلك الثلمة فقاتل الاسود حتى قتل هو وطائفة ممن معه وقام بأمر الناس بعده أخوه
أدهم بن كلثوم فظفر وفتح بيهق وكان الاسود يدعو الله ان يحشره من بطون السباع والطير فلم
يواره أخوه ودفن من استشهد من اصحابه وفتح ابن عامر بشت من نيسابور (وهذه بشت بالشين
المعجمة وليست بست التى بالسين المهملة تلك من بلاد الداون وهذه من خراسان من نيسابور)
وافتتح خواف واسفراين وارغيان ثم قصد نيسابور بعد ما استولى على أعمالها وافتتحها فحصر

ويعطيه الى الزباء على انه
كسب متجرها مرة بعد اخرى
حتى أتى بقفل نحو ألف جمل
من الصناديق واقفالها من
داخل وفيها رجال مستعدون
للحرب فلما شاهدت الزباء
ثقل تلك الاحمال ارتابت
منها وقالت

ما للجمال مشيها وئيدا
اجندلا يحملن ام حديدا
ام صرفانا باردا شديدا
ام الرجال جثما قعودا

فلما دخلت الابل الى حصن
الزباء خرجت الرجال من
الصناديق وأخذوا المدينة
عنوة فخرجت الزباء هاربة
من قصرها الى السرب
الذى اتخذته تحت الفرات
الى حصن أختها فى الجانب
الآخر وكان قصير قد وقف
على طريق السرب فابصرت
قصيرا ومعه عمرو وبيده
السيف فمصت خاتما كان
فى يدها فيه سم ساعة وقالت
بيدى لا بيد عمرو فذهبت
مثلا وخربت المدينة
وسبيت الذرارى وأخذ عمرو
بثار خاله جذيمة وطال ملكه
الى أن بلغ ثمانية سنة ثم ملك
بعده ابنه (امرؤ القيس
بن عمرو) مدة ستين سنة ثم
ملك بعده (عمرو بن امرئ
القيس) خمسا وعشرين
سنة وكان ملكه فى أيام
سابور ذى الاكتاف وكانت
امه مارية التى يضرب المثل

أهلها أشهرا وكان على كل ربع منها مرزبان للفرس يحفظه فطلب صاحب ربع من تلك
الارباع الامان على ان يدخل المسلمين المدينة فاجيب الى ذلك فادخلهم ليلا ففتحوا الباب
وتحصن مرزبانها الاكبر في حصنها ومعه جماعة وطلب الامان والصلح على جميع نيسابور
فصالحه على ألف الف درهم وولى نيسابور قيس بن الهيثم السلمي وسير جيشا الى نسا وأبيورد
فافتتحوها صلحا وسير سرية أخرى الى سرخس مع عبد الله بن خازم السلمي فقاتلوا أهلها ثم
طلبوا الامان والصلح على امان مائة رجل فأجيبوا الى ذلك فصالحهم مرزبانها على ذلك وسمى
مائة رجل ولم يذكر نفسه فقتله ودخل سرخس عنوة وأتى مرزبان طوس الى ابن عامر فصالحه
عن طوس على ستمائة درهم وسير جيشا الى هراة عليهم عبد الله بن خازم وقيل غيره فبلغ مرزبان
هراة ذلك فسار الى ابن عامر فصالحه عن هراة وباذغيس وبوشنج وقيل بل سار ابن عامر في
الجيش الى هراة فقاتله أهلها ثم صالحه مرزبانها على الف الف درهم ولما غلب ابن عامر على هذه
البلاد أرسل اليه مرزبان مرو فصالحه على ألفي ألف ومائتي الف درهم وقيل غير ذلك وأرسل
ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي الى مرزبانها وكانت مرو كلها صلحا الا قرية منها يقال لها
سنج فانها أخذت عنوة (وهي بكسر السين المهملة والنون الساكنة وآخرها جيم) ووجه ابن
عامر الاحنف بن قيس الى طخارستان فمر برستاق يعرف برستاق الاحنف ويدعى سوانجرد
فحصرها اهلها فصالحوه على ثلثمائة ألف درهم فقال الاحنف أصالحكم على ان يدخل رجل منا
القصر فيؤذن فيه ويقيم فيكم حتى ينصرف فرضوا بذلك ومضى الاحنف الى مرو الروذ فقاتله
أهلها فقتلهم وهزمهم وحصرهم وكان مرزبانها من أقارب باذان صاحب اليمن فكتب الى
الاحنف انه دعاني الى الصلح اسلام باذان فصالحه على ستمائة الف وسير الاحنف سرية فاستولت
على رستاق بغ واستاقت منه مواشي ثم صالحوا أهله وجمع له أهل طخارستان فاجتمع اهل
الجوزجان والطالقان والفارياب ومن حولهم في خلق كثير فالتقوا واقتتلوا وحمل ملك
الصغانيان على الاحنف فانتزع الاحنف الرمح من يده وقاتل قتالا شديدا فانهزم المشركون
وقتلهم المسلمون قتلا ذريعا كيف شاؤا وعاد الى مرو الروذ ولحق بعض العدو بالجوزجان
فوجه اليهم الاحنف الاقرع بن حابس التميمي في خيل وقال يا بني تميم تحابوا وتباذلوا تعدل
اموركم وابدؤا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم فسار
الاقرع فلقي العدو بالجوزجان فكانت بالمسلمين جولة ثم عادوا فهزموا المشركين وفتحوا
الجوزجان عنوة فقال ابن الغريزة النهشلي

سقى صوب السحاب اذا استهلت * مصارع فتية بالجوزجان
الى القصرين من رستاق خوت * اقادهم هناك الاقرعان

وفتح الاحنف الطالقان صلحا وفتح الفارياب وقيل بل فتحها أمير بن أحمر ثم سار الاحنف الى
بلخ وهي مدينة طخارستان فصالحه أهلها على أربعمائة الف وقيل سبعمائة ألف واستعمل
على بلخ أسيد بن المتشمس ثم سار الى خوارزم وهي على نهر جيحون فلم يقدر عليها فاستشار أصحابه
فقال له حضين بن المنذر قال عمرو بن معديكرب

اذا لم تستطع امرا فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

بقرطها فيقال قرط مارية ثم
ملك بعده من العمالقة
(أوس بن قلام العمليقي)
ثم ملك آخر من العماليق ثم
رجع الملك الى بني عمرو بن
عدي بن نصر بن ربيعة
اللخميين المذكورين وملك
منهم (امرؤ القيس الثاني)
المعروف بالمحرق لانه أول
من عاقب بالنار ثم ملك بعده
(النعمان الاعور بن امرئ
القيس) وهو الذي بنى
الخورنق وكردس الكراديس
وبقي في الملك ثلاثين سنة
ويقال انه أشرف يوما على
جانب الخورنق فقال أكل
ما أراه الى نفاد فقيل له نعم
فتزهد وخرج عن الملك فقال
اي خير في ملك آخره الى
نفاد وكان ذلك في زمن بهرام
جور ولما تزهد ملك بعده
ابنه (المنذر بن النعمان)
ثم ملك بعده ابنه (الاسود
ابن المنذر) قتلته غسان
وانتصرت عليه ثم ملك بعده
اخوه (المنذر بن المنذر بن
النعمان) ثم ملك بعده
(علقمة الذميلي) وذميل
بطن من لخم ثم ملك بعده
(امرؤ القيس بن النعمان)
وهو الذي قتل سنمار الذي
بنى لامرئ القيس قصرا لئلا
يبني لغيره مثله فالقاه من
اعلاه . قيل انه كان واقفا
يوما بين يدي الملك وذكر
القصر وحسن بنائه فاغتر

فعاد الى بلخ وقد قبض أسيد صلحها ووافق وهو يجبيهم المهرجان فأهدوا له هدايا كثيرة من دراهم ودنانير ودواب وأوانى وثياب وغير ذلك فقال لهم ما صالحناكم على هذا فقالوا لا ولكن هذا شئ نفعله فى هذا اليوم بأمر اثنا فقال ما أدرى ما هذا ولعله من حقى ولكن أقبضه حتى أنظر فقبضه حتى قدم الاحنف فأخبره فسألهم عنه فقالوا ما قالوا الاسيد فحمله الى ابن عامر وأخبره عنه فقال خذه يا أبا بحر قال لا حاجة لى فيه فأخذه ابن عامر قال الحسن البصرى فضمه القرشى وكان مضما ولما تم لابن عامر هذا الفتح قال له الناس ما فتح لاحد ما فتح عليك فارس وكرمان وسجستان وخراسان فقال لا جرم لاجعلن شكرى لله على ذلك ان أخرج محرما من موقفى هذا فأحرم بعمرة من نيسابور وقدم على عثمان واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم فسار قيس بعد شخوصه فى أرض طخارستان فلم يأت بلدا منها الا صالحه اهله وأذعنوا له حتى أتى سمنجان فامتنعوا عليه فحصرهم حتى فتحها عنوة (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين حضين بن المنذر بالضاد المعجمة)

﴿ ذكر فتح كرمان ﴾

لما سار ابن عامر عن كرمان الى خراسان واستعمل مجاشع بن مسعود السلمى على كرمان على ما ذكرناه قبل أمره ان يفتحها وكان أهلها قد نكثوا وغدروا ففتح هميد عنوة واستبقى أهلها واعطاهم أمانا وبنى بها قصرا يعرف بقصر مجاشع وأتى السيرجان وهى مدينة كرمان فأقام عليها أياما يسيرة وأهلها متحصنون فقاتلهم وفتحها عنوة فجلا كثير من اهلها عنها وفتح جيرفت عنوة وسار فى كرمان فدوخ أهلها وأتى القفص وقد تجمع له خلق كثير من الاعاجم الذين جلوا فقاتلهم فظفر بهم وظهر عليهم وهرب كثير من أهل كرمان فركبوا البحر ولحق بعضهم بمكران وبعضهم بسجستان فأقطعت العرب منازلهم وأراضيهم فعمروها واحتفروا لها القنى فى مواضع منها وادوا العشر منها

﴿ ذكر فتح سجستان وكابل وغيرهما ﴾

قد تقدم ذكر فتح سجستان أيام عمر بن الخطاب ثم ان أهلها انقضوا بعده فلما توجه ابن عامر الى خراسان سير اليها من كرمان الربيع بن زياد الحارثى فقطع المفازة حتى أتى حصن زالق فأغار على أهله يوم مهرجان وأخذ الدهقان فافتدى نفسه بأن غرز عنزة وغمرها ذهبا وفضة وصالحه على صلح فارس ثم أتى بلدة يقال لها كركويه فصالحه أهلها وسار الى زرنج فنزل على مدينة روشت بقرب زرنج فقاتله اهلها وأصيب رجال من المسلمين ثم انهزم المشركون وقتل منهم مقتلة عظيمة وأتى الربيع ناشر وذفتها ثم أتى شروإذ فغلب عليها وسار منها الى زرنج فنازلها وقاتله اهلها فهزمهم وحصرهم فأرسل اليه مرزبانها ليصالحه واستأمنه على نفسه ليحضر عنده فأمنه وجلس له الربيع على جسد من اجساد القتلى واتكأ على آخر وأمر اصحابه ففعلوا مثله فلما رآهم المرزبان هاله ذلك فصالحه على ألف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب ودخل المسلمون المدينة ثم سار منها الى سناروذ وهى واد فعبره وأتى القريتان التى بها امر بط فرس رستم الشديد فقاتله أهلها فظفر بهم ثم عاد الى زرنج واقام بها نحو سنة وعاد الى ابن عامر واستخلف عليها عاملا فأخرج اهلها العامل وامتنعوا فكانت ولاية الربيع سنة ونصفا وسبى فيها اربعين ألف رأس

وقال والله لقد رأن أبى قصرا يديما كلما مضت ساعة من النهار تلون بلون الشمس فغضب امرؤ القيس وقال قصرت فى حقى فأمر به فألقى من أعلى القصر فمات قال الشاعر

ومن يفعل المعروف مع غير أهله
يجازى الذى جوزى قديما سنمار

ثم ملك بعده ابنه (المنذر ابن امرئ القيس) ويقال لامه ماء السماء لحسنها وجمالها واسمها مارية وقيل لولدها بنو ماء السماء وطرد كسرى قباذ المنذر المذكور عن ملك الحيرة وولى مكانه (الحرث بن عمرو بن حجر الكندى) ثم لما تمكن كسرى انوشروان فى الملك طرد الحرث واعاد (المنذر) المذكور ثم ملك بعده (عمرو ابن المنذر) أربعا وعشرين سنة ولثمان سنين مضت من ملكه كان مولد النبى صلى الله عليه وسلم ثم ملك بعده أخوه (قابوس بن المنذر) ثم ملك بعده أخوهما (المنذر بن المنذر ابن امرئ القيس) ثم ملك بعده (النعمان بن المنذر ابن المنذر بن ماء السماء) ملك اثنتين وعشرين سنة وقتله كسرى ابرويز وهذا هو الذى ينسب اليه الزهر المعروف بشقائق النعمان ولقد أحسن من قال فى

وكان كاتبه الحسن البصري فاستعمل ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس على سجستان فسار اليها فحصر زرنج فصالحه مرزبانها على ألفي ألف درهم وألفي وصيف وغلب عبد الرحمن على ما بين زرنج والكش من ناحية الهند وغلب من ناحية الرخج على ما بينه وبين الداون فلما انتهى الى بلد الداون حصرهم في جبل الزور ثم صالحهم ودخل على الزور وهو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان فقطع يده وأخذ الياقوتتين ثم قال للمرزبان دونك الذهب والجوهر وانما اردت ان أعلمك انه لا يضر ولا ينفع وفتح كابل وزابلستان وهي ولاية غزنة ثم عاد الى زرنج فأقام بها حتى اضطرب أمر عثمان فاستخلف عليها امير بن أحمر اليشكري وانصرف فأخرج اهلها امير بن احمر وامتنعوا ولامير يقول زياد بن الاعجم

لولا أمير هلكت يشكر * ويشكر هلكى على كل حال

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج بالناس هذه السنة عثمان وفيها مات ابو الدرداء الانصاري وهو بدري وقيل سنة اثنتين وثلاثين وفيها مات ابو طلحة الانصاري وهو بدري وقيل سنة اثنتين وثلاثين وقيل سنة احدى وخمسين وفيها مات ابو أسيد الساعدي وقيل مات سنة ستين وهو على هذا القول آخر من مات من البدريين (أسيد بضم الهمزة) وفيها مات ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم * وأخوه الطفيل وابو سفيان بن حرب بن امية وهو ابن ثمان وثمانين سنة

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ﴾

قيل في هذه السنة غزا معاوية بن أبي سفيان مضيق القسطنطينية ومعه زوجته عاتكة بنت قرظة وقيل فاختة

﴿ ذكر ظفر الترك وقتل عبد الرحمن بن ربيعة ﴾

في هذه السنة انتصرت الخزر والترك على المسلمين وسببه ان الغزوات لما تتابعت عليهم تذامروا وقالوا كنا لا يقرن بنا احد حتى جاءت هذه الامة القليلة فصرنا لا نقوم لها فقال بعضهم ان هؤلاء لا يموتون وما أصيب منهم احد في غزوهم وقد كان المسلمون غزوهم قبل ذلك فلم يقتل منهم احد فلهذا ظنوا انهم لا يموتون فقال بعضهم افلا تجربون فكمنوا لهم في الغياض فمر بالكمين نفر من الجند فرموهم منها فقتلوهم فتواعدوا رؤساءهم الى حربهم ثم تعدوا يوما وكان عثمان قد كتب الى عبد الرحمن بن ربيعة وهو على الباب ان الرعية قد ابطرها البطنة فلا تقتحم بالمسلمين فاني اخشى ان يقتلوا فلم يرجع عبد الرحمن عن مقصده فغزا نحو بلنجر وكان الترك قد اجتمعت مع الخزر فقاتلوا المسلمين قتالا شديدا وقتل عبد الرحمن وكان يقال له ذو النون وهو اسم سيفه فأخذ أهل بلنجر جسده وجعلوه في تابوت فهم يستسقون به فلما قتل انهزم الناس وافترقوا فرقتين فرقة نحو الباب فلقوا سلمان بن ربيعة اخا عبد الرحمن كان قد سيره سعيد بن العاص مددا للمسلمين بأمر عثمان فلما لقوه نجوا معه وفرقة نحو جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة وكان في ذلك العسكر يزيد بن معاوية النخعي وعلقمة بن قيس ومعضد الشيباني وأبو مفزر التميمي في خباء واحد وعمرو بن عتبة وخالد بن ربيعة والحجال بن درى والقرثع في خباء فكانوا متجاورين في ذلك العسكر وكان القرثع يقول ما أحسن لمع الدماء على

حتى أبي حنيفة رحمه الله تعالى

اباجبلي نعمان ان حصا كما ابصى وما تحصى مناقب نعمان

جلائل كتب الفقه طالع تجدلها حقائق نعمان شقائق نعمان

(حكى) انه كان له نديمان يقال لاحدهما عمرو بن سعد وللآخر عمرو بن الملك فسكر النعمان ذات ليلة فأمر بدفنهما حيين فلما أصبح سأل عنهما فأخبر بخبرهما فبنى عليهما بناء وجعل لنفسه يوم بؤس ويوم نعيم فاذا لقيه أحد يوم بؤسه قتله وطلى بدمه ذلك البناء وهو موضع معروف بالكوفة وكان اذا لقيه أحد يوم نعيمه اغناه فاستقبله في يوم بؤسه أعرابي من طيء فأراد قتله فقال حيا الله الملك ان لي صبية صغارا ولم اوص بهم احدا فان رأى الملك ان يأذن لي في اتيانهم واعطيه عهد الله ان أرجع اليه اذا أوصيت بهم فرق له النعمان وقال له لا الا ان يضمنك رجل ممن معنا فان لم تأت قتلناه وكان مع النعمان وزيره شريك ابن عمرو فنظر اليه الطائي فقال

ياشريكا يا ابن عمرو
هل من الموت محاله
يا أخا كل مصاب

الشباب وكان عمرو بن عتبة يقول اقباه عليه ما أحسن حمرة الدماء على بياضك ورأى يزيد بن معاوية أن غزا الاجىء به لم ير احسن منه فلف فى ملحفة ثم دفن فى قبر لم ير احسن منه عليه ثلاثة نفر قعود فلما استيقظوا واقتتل الناس رمى بحجر فهشم رأسه فمات فكانما زين ثوبه بالدماء وليس بتلطيخ فدفن فى قبر على الصورة التى رأى وقال معضد لعلقمة أعرنى بردك اعصب به رأسى ففعل فأتى برج بالصر الذى أصيب فيه يزيد فرماهم فقتل منهم وأتاه حجر عرادة ففضخ هامته فأخذه أصحابه فدفنوه الى جنب يزيد وأخذ علقمة البرد فكان يغسله فلا يخرج أثر الدم منه وكان يشهد فيه الجمعة ويقول يحملنى على هذا أن دم معضد فيه وأصاب عمرو بن عتبة جراحة فرأى قباءه كما اشتهى ثم قتل وأما القرثع فانه قاتل حتى خرق بالحراب فبلغ الخبر بذلك عثمان فقال انا لله أتنكث أهل الكوفة اللهم تب عليهم واقبل بهم وكان عثمان قد كتب الى سعيد بن العاص ان ينفذ سلمان الى الباب للغزو فسيره فالتى المهزومين على ما تقدم فنجاهم الله به فلما أصيب عبد الرحمن استعمل سعيد سلمان بن ربيعة على الباب واستعمل على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان وأمدهم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة فتأمر عليهم سلمان وأبى حبيب حتى قال اهل الشام لقد همنا بضرب سلمان فقال الكوفيون اذن والله نضرب حبيبا ونحبسه وان ابيتم كثرت القتلى فينا وفيكم وقال أوس بن مغراء فى ذلك

ان تضربوا سلمان نضرب حبيبكم * وان ترحلوا نحو ابن عفان نرحل
وان تقسطوا فالثغر ثغر أميرنا * وهذا أمير فى الكتائب مقبل
ونحن ولاة الامر كنا حماته * ليالى نرمى كل ثغر ونعكل

واراد حبيب ان يتأمر على صاحب الباب كما يتأمر أمير الجيش اذا جاء من الكوفة فكان ذلك اول اختلاف وقع بين أهل الكوفة والشام وغزا حذيفة ثلاث غزوات فقتل عثمان فى الثالثة ولقيهم مقتل عثمان فقال حذيفة بن اليمان اللهم العن قتلته وشتامه اللهم انا كنا نعاتبه ويعاتبنا فاتخذوا ذلك سلما الى الفتنة اللهم لا تمتهم الا بالسيوف

(ذكر وفاة ابى ذر)

وفيها مات أبو ذر وكان قد قال لابنته استشرفى يا بنية هل ترين احدا قالت لا قال فما جاءت ساعتى بعد ثم أمرها فذبحت شاة ثم طبختها ثم قال اذا جاءك الذين يدفنونى فانه سيشهدنى قوم صالحون فقولى لهم يقسم عليكم أبو ذر أن لا تركبوا حتى تأكلوا فلما نضجت قدرها قال لها انظرى هل ترين أحدا قالت نعم هؤلاء ركب قال استقبلى بى الكعبة ففعلت فقال بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مات فخرجت ابنته فتلقتهم وقالت رحمكم الله اشهدوا اباذر قالوا وأين هو فاشارت اليه قالوا نعم ونعمة عين لقد اكرمنا الله بذلك وكان فيهم ابن مسعود فبكى وقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت وحده ويبعث وحده فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه وقالت لهم ابنته ان اباذر يقرأ عليكم السلام وأقسم عليكم أن لا تركبوا حتى تأكلوا ففعلوا وحملوا اهله معهم حتى اقدموهم مكة ونعوه الى عثمان فضم ابنته الى عياله وقال يرحم الله أباذر ويغفر له نزوله الربذة ولما حضر واشموا من الخباء ريح مسك فسألوها عنه فقالت انه لما حضر قال ان الميت يحضره شهود يجدون الريح لا يأكلون فدوفى لهم مسكا بماء ورشى به

يا أخا من لا أخا له
يا أخا النعمان فيك اليوم عن شيخ علاله
ابن شيبان قتيل
أحسن الله فعاله

فقال شريك هو على اصلح الله الملك فمضى الطائى وأجل أجلا يأتى فيه فلما كان ذلك اليوم أحضر النعمان شريكا وجعل يقول له ان صدر هذا اليوم قد ولى وشريك يقول ليس لك على سبيل حتى يمسى فلما أمسى اقبل شخص من بعيد والنعمان ينظر اليه والى شريك فقال له ليس لك على سبيل حتى يدنو الشخص فلعله صاحبى فبينما هم كذلك اذ اقبل الطائى فقال النعمان والله مارأيت اكرم منكما وما أدرى أيكما اكرم أهذا الذى ضمنك فى الموت ام انت اذ رجعت الى القتل ثم قال لشريك الوزير ما حملك على ضمانه مع علمك انه الموت قال لئلا يقال ذهب الكرم من الوزراء وقال الطائى ما حملك على الرجوع وفيه تلافك قال لئلا يقال ذهب الوفاء من الناس ويكون عارا فى عقبى وفى قبيلتى قال النعمان فوالله لاكون الاتم الثلاثة فيقال ذهب العفو من الملوك فعفا عنه وأمر برفع يوم بؤسه

انشياء وكان النفر الذين شهدوه ابن مسعود وأبا ذر وبكر بن عبد الله التميمي والاسود بن يزيد وعلقمة بن قيس ومالك الاشتر النخعيين والحلال الضبي والحرث بن سويد التميمي وعمرو بن عتبة السلمي وابن ربيعة السلمي وأبا رافع المزني وسويد بن شعبة التميمي ويزيد بن معاوية النخعي واخا القرثع الضبي وأخا معضد الشيباني وقيل كان موته سنة احدى وثلاثين وقيل ان ابن مسعود لم يحمل أهل أبي ذر معه اتماركهم حتى قدم على عثمان بمكة فاعلمه بموته فجعل عثمان طريقه عليهم فحملهم معه

﴿ذكر خروج قارن﴾

ثم جمع قارن جمعا كثيرا من ناحية الطبسين وأهل باذغيس وهراة وقهستان واقبل فى أربعين الفا فقال قيس لابن خازم ماترى قال ارى ان تخلى البلاد فانى اميرها ومعى عهد من ابن عامر اذا كانت حرب بخراسان فأنا أميرها وأخرج كتابا كان قد افتعله عمدا فكره قيس منازعته وخلاه والبلاد واقبل الى ابن عامر فلامه ابن عامر وقال قد تركت البلاد حربا واقبلت قال جاءنى بعهد منك قال فسار ابن خازم الى قارن فى أربعة آلاف وأمر الناس فحملوا الودك فلما قرب من قارن أمر الناس ان يدرج كل رجل منهم على زج رمحه خرقة أو قطنا ثم يكثر دهنه ثم سار حتى امسى فقدم مقدمته ستمائة ثم اتبعهم وأمر الناس فأشعلوا النيران فى اطراف الرماح فانتهت مقدمته الى معسكر قارن نصف الليل فناوشوهم وهاج الناس على دهش وكانوا آمنين من البيات ودنا ابن خازم منهم فرأوا النيران يمنة ويسرة تتقدم وتتأخر وتنخفض وترتفع فهالهم ذلك ومقدمة ابن خازم يقاتلونهم ثم غشيهم ابن خازم بالمسلمين فقتل قارن فانهزم المشركون واتبعوهم يقتلونهم كيف شاؤا وأصابوا سبيا كثيرا وكتب ابن خازم بالفتح الى ابن عامر فرضى واقره على خراسان فلبث عليها حتى انقضى امر الجمل وأقبل الى البصرة فشهد وقعة ابن الحضرمى وكان معه فى دار سنبيل وقيل لما جمع قارن استشار قيس بن الهيثم عبد الله ابن خازم فيما يصنع فقال ارى انك لا تطيق كثرة من قد أتانا فاخرج بنفسك الى ابن عامر فتخبره بكثرة العدو ونقيم نحن فى الحصون ونطاولهم ويأتينا مددكم فخرج قيس فلما امعن أظهر ابن خازم عهدا وقال قد ولانى ابن عامر خراسان وسار الى قارن فظفر به وكتب بالفتح الى ابن عامر فأقره على خراسان ولم يزل أهل البصرة يغزون من لم يكن صالح من اهل خراسان فاذا عادوا تركوا اربعة آلاف نجدة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفى هذه السنة مات العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم وكان عمره يوم مات ثمانيا وثمانين سنة كان اسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وفيها مات عبد الرحمن بن عوف وعمره خمس وسبعون سنة وعبد الله بن مسعود وصلى عليه عمار بن ياسر وقيل عثمان وتوفى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الذى أرى الاذان

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين﴾

فى هذه السنة كانت غزوة معاوية حصن المرأة من أرض الروم بناحية ملطية وفيها كانت غزوة عبد الله بن سعد افريقية الثانية حين نقض أهلها العهد وفيها كان مسير الاحنف الى خراسان

ولقد دعتنى للخلاف جماعة فأبيت عند قبحهم الاقوال انى امرؤ منى الوفاء خليقة وفعال كل مهذب بذال فقال له النعمان ماحملك على الوفاء مع ماذكرت قال أيها الملك دينى قال وما دينك قال النصرانية قال اعرضها على فعرضها عليه فتنصر النعمان ويقال انه قتله كسرى بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بست سنين وثمانية أشهر ثم انتقل الملك فى الحيرة الى (اياس بن قبيصة الطائى) وكان ملكه تسع سنين ثم ملك بعده (زادويه ابن ماهان) الهمدانى ثم عاد الملك الى اللخميين فملك بعد زادويه المذكور (المنذر بن النعمان) وسمته العرب المغرور واستمر ملكا بالحيرة الى ان قدم اليها (خالد ابن الوليد) واستولى على الحيرة وكانت مدة ملكهم ستمائة سنة واثنين وعشرين سنة وثمانية أشهر ولم يزل عمرانها يتناقص من الوقت الذى ذكرنا الى أيام المعتضد وانه استولى عليها الخراب وقد كان جماعة من الخلفاء العباسية ينزلونها لطيب هوائها وصحة تربتها وقرب الخورنق والنجف منها وكانت آل نصر بن ربيعة عمالا للاكاسرة على عرب

وفتح المروين ومسير ابن عامر الى نيسابور وفتحها فى قول بعضهم وقد تقدم ذكر ذلك وفيها
كانت غزوة قبرص فى قول بعضهم وقد تقدم ذكرها مستوفى وقيل ان فتحها كان سنة ثمان
وعشرين فلما كان سنة اثنتين وثلاثين أعان اهلها الروم على الغزاة فى البحر بمراكب اعطوهم
اياها فغزاهم معاوية سنة ثلاث وثلاثين ففتحها عنوة فقتل وسبى ثم اقرهم على صلحهم وبعث
اليهم اثنى عشر ألفا فبنوا المساجد وبنى مدينة وقيل كانت غزوته الثانية سنة خمس وثلاثين

﴿ذكر تسيير من سير من اهل الكوفة الى الشام﴾

وفى هذه السنة سير عثمان نفرا من اهل الكوفة الى الشام وكان السبب فى ذلك ان سعيد بن
العاص لما ولاه عثمان الكوفة حين شهد على الوليد بشرب الخمر أمره ان يسير الوليد اليه فقدم
سعيد الكوفة وسير الوليد وغسل المنبر فنهاه رجال من بنى أمية كانوا قد خرجوا معه عن ذلك
فلم يجبهم واختار سعيد وجوه الناس وأهل القادسية وقراء أهل الكوفة فكان هؤلاء دخلته
داخلا وأما اذا خرج فكل الناس يدخل عليه فدخلوا عليه يوما فبيناهم يتحدثون قال حبيش
ابن فلان الاسدى ما اجود طلحة بن عبيد الله فقال سعيد ان من له مثل النشاستج لحقيق ان
يكون جوادا والله لو ان لى مثله لاعاشكم الله به عيشا رغدا فقال عبد الرحمن بن حبيش وهو
حدث والله لوددت أن هذا الملطاط لك يعنى لسعيد وهو ما كان لآل كسرى على جانب الفرات
الذى يلى الكوفة فقالوا فض الله فاك والله لقد هممنا بك فقال ابوه غلام فلا تجازوه فقالوا يتمنى
له سوادنا قال ويتمنى لكم أضعافه فثار به الاشتر وجندب وابن ذى الحبكة وصعصعة وابن
الكواء وكميل وعمير بن ضابئ فأخذوه فثار ابوه ليمنع عنه فضربوهما حتى غشى عليهما وجعل
سعيد يناشدهم ويأبون حتى قضوا منهما وطرا فسمعت بذلك بنو اسد فجاؤا وفيهم طلحة فأحاطوا
بالقصر وركبت القبائل فعاذوا بسعيد فخرج سعيد الى الناس فقال ايها الناس قوم تنازعوا
وقد رزق الله العافية فردهم فتراجعوا وافاق الرجلان فقال اقتلنا غاشيتك فقال لا يغشونى
ابدا فكفا ألسنتكما ولا تجرئا الناس ففعلا وقعد أولئك النفر فى بيوتهم واقبلوا يقعون فى
عثمان وقيل بل كان السبب فى ذلك انه كان يسمر عند سعيد بن العاص وجوه أهل الكوفة
منهم مالك بن كعب الارحبى والاسود بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيان ومالك الاشتر وغيرهم
فقال سعيد انما هذا السواد بستان قريش فقال الاشتر أتزعم ان السواد الذى افاءه الله علينا
بأسيافنا بستان لك ولقومك وتكلم القوم معه فقال عبد الرحمن الاسدى وكان على شرطة
سعيد اتردون على الامير مقالته واغلظ لهم فقال الاشتر من ههنا لا يفوتنكم الرجل فوثبوا
عليه فوطؤه وطأ شديدا حتى غشى عليه ثم جر برجله فنضح بماء فافاق فقال قتلنى من
انتخبت فقال والله لا يسمر عندى أحد ابدا فجعلوا يجلسون فى مجالسهم يشتمون عثمان وسعيدا
واجتمع اليهم الناس حتى كثروا فكتب سعيد واشراف اهل الكوفة الى عثمان فى اخراجهم
فكتب اليهم ان يلحقوهم بمعاوية وكتب الى معاوية ان نفرا قد خلقوا للفتنة فاقم عليهم وانههم
فان آنست منهم رشدا فاقبل وان اعيوك فارددهم على فلما قدموا على معاوية أنزلهم كنيسة
مريم واجرى عليهم ما كان لهم بالعراق بأمر عثمان وكان يتغدى ويتعشى معهم فقال لهم يوما
انكم قوم من العرب لكم اسنان والسنة وقد أدركتم بالاسلام شرفا وغلبتم الامم وحويتم

العراق مثل ما كان ملوك غسان عمالا للقياصرة على عرب الشام

(الباب السابع عشر فى ذكر ملوك الشام من آل غسان ولمع من سيرهم فيما ملكوه من الزمان)

ذكر صاحب البحر الزخار والعلم التيار ان أصل غسان من اليمن من بنى الازد من أولاد سبأ تفرقوا من اليمن بسيل العرم ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان فنسبوا اليه وكان قبلهم بالشام عرب يقال لهم الضجاعمة فأخرجهم غسان عن ديارهم وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم وأول من ملك من غسان (جفنة ابن عمرو) وكان ابتداء ملكهم قبل الاسلام بما يزيد على أربعمائة سنة وقيل أكثر من ذلك وبنى بالشام عدة مصانع ثم هلك وملك بعده ابنه (عمرو بن جفنة) وبنى بالشام عدة ديور منها دير حالى ودير أيوب ودير هند ثم هلك وملك ابنه (ثعلبة بن عمرو) وهو الذى صرح الغدير فى اطراف حوران مما يلى البلقاء ثم ملك بعده ابنه (الحرث بن ثعلبة) ثم ملك بعده ابنه (جبلة بن الحرث) وهو الذى بنى القناطر وادرج الاسايطل ثم ملك

مواريثهم وقد بلغني انكم نقمتم قريشا ولولم تكن قريش كنتم اذلة ان أئمتكم لكم جنة فلا تفترقوا عن جنتكم وان أئمتكم يصبرون لكم على الجور ويحملون منكم المؤنة والله لتنتهن أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم السوء ولا يحمدكم على الصبر ثم تكونون شركاءهم فيما جررتم على الرعية في حياتكم وبعد وفاتكم فقال رجل منهم وهو صعصعة اما ما ذكرت من قريش فانها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا واما ما ذكرت من الجنة فان الجنة اذا اخترقت خاص الينا فقال معاوية عرفتكم الآن وعلمت ان الذي اغراكم على هذا قلة العقول وانت خطيبهم ولا ارى لك عقلا اعظم عليك امر الاسلام وتذكرني بالجاهلية اخزى الله قوما عظموا أمركم افقهوا عني ولا اظنكم تفقهون ان قريشا لم تعز في جاهلية ولا اسلام الا بالله تعالى لم تكن باكثر العرب ولا أشدها ولكنهم كانوا اكرمهم احسابا وامحضهم انسابا واكملهم مروأة ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضا الا بالله فبوأهم حرما آمنا يتخطف الناس من حولهم هل تعرفون عربا أو عجما أو سودا أو حمرا الا وقد أصابه الدهر في بلده وحرمته الا ما كان من قريش فانهم لم يردهم احد من الناس بكيد الا جعل الله خده الاسفل حتى أراد الله ان يستنقذ من أكرم واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة فارتضى لذلك خير خلقه ثم ارتضى له أصحابا فكان خيارهم قريشا ثم بنى هذا الملك عليهم وجعل هذه الخلافة فيهم فلا يصلح ذلك الا عليهم فكان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه اف لك ولاصحابك اما أنت يا صعصعة فان قريتك شر القرى أنتنها نبتا واعمقها واديا واعرفها بالشر وألأمها جيرانا لم يسكنها شريف قط ولا وضيع الا سب بها ثم كانوا ألأم العرب القابا واصهارا نزاع الامم وأنتم جيران الخط وفعلة فارس حتى أصابتكم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن البحرين فتشركهم في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فأنت شر قومك حتى اذا ابرزك الاسلام وخلطك بالناس اقبلت تبغي دين الله عوجا وتنزع الى الذلة ولا يضر ذلك قريشا ولا يضعهم وان يمنعهم من تادية ما عليهم ان الشيطان عنكم غير غافل قد عرفكم بالشر فاغرى بكم الناس وهو صارعكم ولا تدركون بالشر امرا ابدا الا فتح الله عليكم شرا منه واخزى ثم قام وتركهم فتقاصرت اليهم انفسهم فلما كان بعد ذلك أتاهم فقال اني قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم لا ينفع الله بكم احدا ابدا ولا يضره ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرة فان اردتم النجاة فالزموا جماعتكم ولا يبطرنكم الانعام فان البطر لا يعتري الخيار اذهبوا حيث شئتم فسأكتب الى أمير المؤمنين فيكم فلما خرجوا دعاهم وقال لهم اني معيد عليكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معصوما فولاني وادخلني في أمره ثم استخلف أبو بكر فولاني ثم استخلف عمر فولاني ثم استخلف عثمان فولاني ولم يولني أحد الا وهو عني راض وانما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم للاعمال اهل الجزاء من المسلمين والغنى وان الله ذو سطوات ونقمات يمكر بمن مكر به فلا تعرضوا الامر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون فان الله غير تارككم حتى يختبركم ويبدي للناس سرائركم وكتب معاوية الى عثمان انه قدم علي اقوام ليست لهم عقول ولا اديان أضجرهم العدل لا يريدون الله بشيء ولا يتكلمون بحجة انما همهم الفتنة وأموال اهل الذمة والله مبتليهم ومختبرهم ثم فاضحهم ومخزيهم وليسوا بالذين ينكون احدا الا مع غيرهم فانه

أخوه (النعمان بن الحرث) وهو الذي بنى دير ضخم ودير النبوة ثم ملك (عمرو بن الحرث) ثم ملك (جفنة الاصغر بن المنذر الاكبر) وهو الذي أحرق الحيرة وبذلك سموا آل محرق ثم ملك اخوه (النعمان الاصغر ابن المنذر الاكبر) ثم ملك (النعمان بن عمرو ابن المنذر) وبنى قصر السويدا ثم انخلع وملك ابنه (جبلة) وهو الذي قاتل المنذر بن ماء السماء وكان جبلة ينزل بصفين ثم ملك بعده (النعمان بن الايهم ابن الحرث ثم ملك بعده اخوه (الحرث بن الايهم) ثم ملك بعده (النعمان بن الحرث) وهو الذي اصلح صهاريج الرصافة وكان قد خربها بعض ملوك الحيرة من اللخميين ثم ملك بعده ابنه (المنذر بن النعمان) ثم ملك بعده اخوه (عمرو بن النعمان) ثم ملك اخوهما (حجر بن النعمان) ثم ملك بعده ابنه (الحرث بن حجر) وكنيته ابو كرب ولقبه قطام ثم ملك بعده (الايهم بن جبلة بن الحرث) وهو صاحب تدمر وبنى له بالبرية قصرا عظيما ومصانع ثم ملك بعده اخوه (عمرو بن جبلة) ثم ملك بعده (جبلة ابن الحرث بن جبلة) ثم ملك

سعيدا ومن عنده عنهم فانهم ابوا الا كثيرا من شغب ونكير فخرجوا من دمشق فقالوا لا ترجعوا
بنا الى الكوفة فانهم يشمتون بنا ولكن ميلوا الى الجزيرة فسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن
الوليد وكان على حمص فدعاهم فقال يا آلة الشيطان لا مرحبا بكم ولا أهلا قد رجع الشيطان
محسورا وأنتم بعد نشاط خسر الله عبد الرحمن ان لم يؤدبكم يا معشر من لا ادرى أعرب هم أم
عجم لا تقولوا لى ما بلغنى انكم قلتم لمعاوية أنا ابن خالد بن الوليد انا ابن من قد عجمته العاجمات
انا ابن فاقئ الردة والله لئن بلغنى يا صعصعة ان احدا ممن معى دق انفك ثم غصك لاطيرن بك طيرة
بعيدة المهوى فأقامهم شهرا كلما ركب امشاهم فاذا مر به صعصعة قال يا ابن الحطيئة اعلمت ان
من لم يصلحه الخير أصلحه الشر مالك لا تقول كما بلغنى انك قلت لسعيد ومعاوية فيقولون نتوب
الى الله أقلنا اقالك الله فما زالوا به حتى قال تاب الله عليكم وسرح الاشتر الى عثمان فقدم اليه
تائبا فقال له عثمان احلل حيث شئت فقال مع عبد الرحمن بن خالد فقال ذلك اليك فرجع اليه
قيل وقد روى أيضا نحو ما تقدم وزادوا فيه ان معاوية لما عاد اليهم من القابلة وذكرهم كان مما
قال لهم وانى والله لا آمركم بشئ الا وقد بدأت فيه بنفسى وأهل بيتى وقد عرفت قريش ان ابا
سفيان كان اكرمها وابن اكرمها الا ما جعل الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فانه انتخبه واكرمه
وانى لاظن ان ابا سفيان لو ولد الناس لم يلد الا حازما فقال صعصعة قد كذبت قد ولدهم خير من ابى
سفيان من خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وامر الملائكة فسجدوا له وكان فيهم البر
والفاجر والاحمق والكيس فخرج تلك الليلة من عندهم ثم أتاهم القابلة فتحدث عندهم طويلا
ثم قال ايها القوم ردوا خيرا واسكتوا وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم وينفع اهاليكم
والمسلمين فاطلبوه فقال صعصعة لست بأهل ذلك ولا كرامة لك ان تطاع فى معصية الله فقال
اليس أول ما ابتدأتكم به ان امرتكم بتقوى الله وطاعة نبيه وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا
تفرقوا قالوا بل امرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى آمركم الآن
ان كنت فعلت فاتوب الى الله وآمركم بتقواه وطاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ولزوم
الجماعة وان توقروا أئمتكم وتدلوهم على احسن ما قدرتم عليه فقال صعصعة فانا نأمرك ان
تعتزل عملك فان فى المسلمين من هو أحق به منك من كان ابوه احسن قدما فى الاسلام من ابيك
وهو احسن فى الاسلام قدما منك فقال والله ان لى فى الاسلام قدما ولغيرى كان احسن قدما
منى ولكنه ليس فى زمانى احد اقوى على ما انا فيه منى ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب فلو كان
غيرى اقوى منى لم تكن عند عمر هوادة لى ولا لغيرى ولم أحدث من الحدث ما ينبغى لى ان اعتزل
عملى ولو رأى ذلك امير المؤمنين لكتب الى فاعتزلت عمله فمهلا فان فى ذلك واشباهه ما يتمنى
الشيطان ويأمر ولعمرى لو كانت الامور تقضى على رأيكم وامانيكم ما استقامت لاهل
الاسلام يوما ولا ليلة فعاودوا الخير وقولوه وان لله سطوات وانى لخائف عليكم ان تتابعوا الى
مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن فيحلكم ذلك دار الهوان فى العاجل والآجل فوثبوا عليه
واخذوا رأسه ولحيته فقال مه ان هذه ليست بأرض الكوفة والله لو رأى اهل الشام ما صنعتم
بى ما ملكت ان انهاهم عنكم حتى يقتلوكم فلعمرى ان صنيعكم ليشبه بعضه بعضا ثم قام من
عندهم وكتب الى عثمان نحو الكتاب المتقدم فكتب اليه عثمان يأمره ان يردهم الى سعيد بن

بعده (جبلة بن الايهم بن
جبلة) وهو آخر ملوك غسان
وهو الذى اسلم فى خلافة
عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنه ثم عاد الى الروم
فتنصر وسبب ذلك انه خرج
الى الحج مع عمر فبينما هو
يطوف بالبيت اذ وطئ رجل
من فزارة على ازاره فلطمه
جبلة فهشم انفه فاقبل
الفزارى الى عمر رضى الله
عنه فشكا فاحضره عمر
وقال افتد نفسك والا امرت
الفزارى ان يلطمك فانف
من ذلك جبلة وقال امهلنى
هذه الليلة حتى انظر فى
أمرى فلما جاء الليل سار
جبلة بخيله ورجله الى الشام
ثم سار الى القسطنطينية
وتبعه خمسمائة رجل من
قومه فتنصروا عن آخرهم
وفرح هرقل بهم واكرمه
واقطعه الاموال وغيرها
فلما بعث عمر بن الخطاب
رضى الله عنه رسولا الى
هرقل يدعوه الى الاسلام
او الى الجزية فأجاب الى
الجزية اجتمع الرسول بجبلة
فوجده فى نعيم لا يوصف
وقال له ويحك يا جبلة
ألا تسلم وقد عرفت الاسلام
وفضله قال ان كنت تضمن
لى ان يزوجنى عمر ابنته
ويولينى الامر من بعده
رجعت الى الاسلام قال
فضمنت له التزويج ولم

العاص بالكوفة فردهم فاطلقوا ألسنتهم فضج سعيد منهم الى عثمان فكتب اليه عثمان ان سيرهم الى عبد الرحمن بن خالد بحمص فسيرهم اليها فانزلهم عبد الرحمن واجرى عليهم رزقا وكانوا الاشتر وثابت بن قيس الهمداني وكميل بن زياد وزيد بن صوحان وأخاه صعصعة وجندب ابن زهير الغامدي وجندب بن كعب الازدي وعروة بن الجعد وعمرو بن الحمق الخزاعي وابن الكواء قيل سأل معاوية ابن الكواء عن نفسه فقال انت بعيد الثرى كثير المرعى طيب البديهة بعيد الغور الغالب عليك الحلم ركن من أركان الاسلام سدت بك فرجة مخوفة قال فاخبرني عن اهل الاحداث من الامصار فانك اعقل اصحابك قال اما اهل المدينة فهم احرص الامة على الشر واعجزهم عنه وأما اهل الكوفة فانهم يردون جميعا ويصدرون شتى واما اهل مصر فهم أوفى الناس بشر واسرعهم ندامة واما أهل الشام فهم اطوع الناس لمرشدهم واعصاهم لغويهم

(ذكر تسيير من سير من اهل البصرة الى الشام)

ولما مضت ثلاث سنين من امارة عبد الله بن عامر بلغه ان رجلا نزل على حكيم بن جبلة العبدي وكان عبد الله بن سبا المعروف بابن السوداء هو الرجل النازل عليه واجتمع اليه نفر فطرح اليهم ابن السوداء ولم يصرح فقبلوا منه فارسل اليه ابن عامر فسأله من انت فقال رجل من اهل الكتاب رغبت في الاسلام وفي جوارك فقال ما يبلغني ذلك اخرج عني فخرج حتى اتى الكوفة فاخرج منها فقصد مصر فاستقر بها وجعل يكاتبهم ويكاتبونه ويختلف الرجال بينهم وكان حمران بن ابان قد تزوج امرأة في عدتها ففرق عثمان بينهما وضربه وسيره الى البصرة فلزم ابن عامر فتذاكروا يوما المرور بعامر بن عبد القيس فقال حمران الا اسبقكم فاخبره فخرج فدخل عليه وهو يقرأ في المصحف فقال الامير يريد المرور بك فاحببت ان اخبرك فلم يقطع قراءته فقام من عنده فلما انتهى الى الباب لقيه ابن عامر فقال انه لا يرى لآل ابراهيم عليه فضلا ودخل عليه ابن عامر فاطبق المصحف وحدثه فقال له ابن عامر ألا تغشانا فقال سعد بن ابي العرجاء يحب الشرف فقال ألا نستعملك فقال حصين بن الحر يحب العمل فقال الا نزوجك فقال ربيعة بن عسل يعجبه النساء فقال ان هذا يزعم انك لا ترى لآل ابراهيم عليك فضلا ففتح المصحف فكان أول ما وقع عليه ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين فسعى به حمران وتكلم حمران بالبصرة ما شاء الله واذن له عثمان فقدم المدينة ومعه قوم فسعوا بعامر بن عبد القيس انه لا يرى التزويج ولا يأكل اللحم ولا يشهد الجمعة فالحقه بمعاوية فلما قدم عليه رأى عنده ثريدا فاكل أكلا عربيا فعرف ان الرجل مكذوب عليه فعرفه معاوية سبب اخراجه فقال اما الجمعة فاني اشهدها في مؤخر المسجد ثم ارجع في اوائل الناس وأما التزويج فاني خرجت وانا يخطب علي وأما اللحم فقد رأيتم ولكني لا آكل ذبائح القصابين منذ رأيت قصابا يجر شاة الى مذبحها ثم وضع السكين على حلقها فما زال يقول النفاق النفاق حتى ذبحها قال فارجع قال لا ارجع الى بلد استحل اهله مني ما استحلوا فكان يكون في السواحل فكان يلقى معاوية فيكثر معاوية ان يقول ما حاجتك فيقول لا حاجة لي فلما أكثر عليه قال ترد علي من حر البصرة شيئا لعل الصوم ان يشتد علي فانه يخف علي في بلادكم

أضمن له الامر فلما أخبرت عمر بخبره وما اشترط علي وما ضمنت له قال فهلا ضمنت له الامر فاذا اتى اقضيه مضى علينا بحكمه ثم جهزني عمر الى هرقل ثانية وأمرني ان أضمن له ما اشترط فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت ان الشقاء غلب عليه في ام الكتاب وكان ندم على تنصره وقال

تنصرت الاشراف من عار لطمة
وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني منها لجاج ونخوة
فبعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت امي لم تلدني وليتني
رجعت الى الامر الذي قاله عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة
وكنت أسيرا في ربيعة او مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة
اجالس قومي ذاهب السمع والبصر

وقد اختلف في مدة ملك الغساسنة فقيل أربعمائة سنة وقيل ستمائة سنة وكانت ديار ملوك غسان اليرموك والجولان وغيرها من غوطة دمشق وأعمالها ومنهم من نزل الاردن من أرض الشام وجميع من ملك الشام من آل غسان أحد وعشرون

ذكر عدة حوادث

وحج بالناس عثمان وفيها مات المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الاسود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى ان يصلي عليه الزبير وفيها توفي الطفيل والحصين ابنا الحرث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف شهدا بدرا وأحدا وقيل ماتا سنة احدى وثلاثين وقيل اثنتين وثلاثين

ثم دخلت سنة اربع وثلاثين

قيل فيها كانت غزوة الصواري في قول بعضهم وقد تقدم ذكرها وفيها تكاتب المنحرفون عن عثمان للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون انهم نقموا عليه

ذكر الخبر عن ذلك وعن يوم الجرعة

قد ذكرنا خبر المسيرين من الكوفة ومقامهم عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ووفد سعيد بن العاص الى عثمان سنة احدى عشرة من خلافة عثمان وكان سعيد قد ولى قبل مخرجه الى عثمان بسنة وبعض أخرى الاشعث بن قيس اذربيجان وسعيد بن قيس الري والنسير العجلي همذان والسائب بن الاقرع أصبهان ومالك بن حبيب ماه وحكيم بن سلام الحزامي الموصل وجرير بن عبد الله قرقيسيا وسلمان بن ربيعة الباب وجعل القعقاع بن عمرو على الحرب وعلى حلوان عتيبة بن النهاس وخلت الكوفة من الرؤساء فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان ومعه الذين كان ابن السوداء يكاتبهم فأخذه القعقاع بن عمرو فقال انما نستعفي من سعيد فقال اما هذا فنعم فتركه وكاتب يزيد المسيرين في القدوم عليه فسار الاشتر والذين عند عبد الرحمن بن خالد فسبقهم الاشتر فلم يفجأ الناس يوم الجمعة الا والاشتر على باب المسجد يقول جئتكم من عند امير المؤمنين عثمان وتركت سعيدا يريده على نقصان نسائكم على مائة درهم ورد اولي البلاء منكم الى الفين ويزعم ان فيئكم بستان قريش فاستخف الناس وجعل اهل الرأي ينهونهم فلا يسمع منهم فخرج يزيد وأمر مناديا ينادي من شاء ان يلحق بيزيد لرد سعيد فليفعل فبقي اشراف الناس وحلماؤهم في المسجد وعمرو بن حريث يومئذ خليفة سعيد فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وامرهم بالاجتماع والطاعة فقال له القعقاع اترد السيل عن ادراجه هيهات لا والله لا يسكن الغوغاء الا المشرفية ويوشك ان تنتضى ويعجون عجيج العبدان ويتمنون ما هم فيه اليوم فلا يرده الله عليهم ابدا فاصبر فقال أصبر وتحول الى منزله وخرج يزيد بن قيس فنزل الجرعة وهي قريب من القادسية ومعه الاشتر فوصل اليهم سعيد بن العاص فقالوا لا حاجة لنا بك قال انما كان يكفيكم ان تبعثوا الى امير المؤمنين رجلا والي رجلا وهل يخرج الالف لهم عقول الى رجل واحد ثم انصرف عنهم واحسوا بمولى له على بعير قد حسر فقال والله ما كان ينبغي لسعيد ان يرجع فقتله الاشتر ومضى سعيد حتى قدم على عثمان فاخبره بما فعلوا وانهم يريدون البدل وانهم يختارون ابا موسى فجعل ابا موسى الاشعري اميرا وكتب اليهم اما بعد فقد أمرت عليكم من اخترتم واعفيتكم من سعيد والله لافرضنكم عرضي ولابذلن لكم صبري ولاستصلحنكم بجهدي فلا تدعوا شيأ احببتموه لا يعصى الله فيه الا سألتموه ولا شيأ كرهتموه لا يعصى الله فيه الا استعفيتم منه انزل فيه عند ما احببتم حتى لا يكون لكم على الله حجة ولنصبرن كما أمرنا

ملكا وقد كان بالشام ملوك ببلاد مآرب من أرض البلقاء من بلاد دمشق وكذلك بمدائن قوم لوط من ارض الاردن وبلاد فلسطين وقد كان لكندة وغيرها من العرب من قحطان ملوك لم نذكر الا من اشتهر ملكه وعرفت مملكته وسائر الامم الخالية والممالك الباقية لم نذكرها ميلا الى الاختصار

(الباب الثامن عشر في ذكر ملوك كندة ذي سطوة ونجدة في أرض بكر بن وائل أحسن العشائر والقبائل)

ذكر صاحب البحر الزخار ان أول ملوكهم (حجر) بضم الحاء المهملة وهو من أولاد سبا وكانت كندة قبل ان يملك حجر عليهم بغير ملك فأكل القوي الضعيف فلما ملك حجر سدد امورهم وساسهم وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل ثم ملك بعده ابنه (عمرو بن حجر) ويقال لعمرو المقصور لانه اقتصر على ملك ابيه ثم ملك بعده ابنه (الحرث بن عمرو) فلما عاد المنذر الى ملك ابيه زمن انوشروان هرب الحرث الى ديار كلب وبقي بها حتى عدم وملك بعده ابنه (حجر بن الحرث) على بني أسد بن خزيمة بمعدركة وملك باقي

حتى تبلغوا ما تريدون ورجع من الامراء من قرب من الكوفة فرجع جرير من قرقيسيا وعتيبة بن النهاس من حلوان وخطبهم ابو موسى وامرهم بلزوم الجماعة وطاعة عثمان فأجابوا الى ذلك وقالوا صل بنا فقال لا الا على السمع والطاعة لعثمان قالوا نعم فصلى بهم وأتاه ولاته فولاهم وقيل سبب يوم الجرعة انه كان قد اجتمع ناس من المسلمين فتذاكروا اعمال عثمان فاجمع رأيهم فارسلوا اليه عامر بن عبد الله التميمي ثم العنبري وهو الذي يدعى عامر بن عبد القيس فأتاه فدخل عليه فقال له ان ناسا من المسلمين اجتمعوا ونظروا فى أعمالك فوجدوك قد ركبت امورا عظاما فاتق الله وتب اليه فقال عثمان انظروا الى هذا فان الناس يزعمون انه قارئ ثم هو يجيء يكلمنى فى المحقرات و والله مايدرى اين الله فقال عامر بلى والله انى لادرى ان الله لبالمرصاد فأرسل عثمان الى معاوية وعبد الله بن سعد والى سعيد بن العاص وعمرو بن العاص وعبد الله بن عامر فجمعهم فشاورهم وقال لهم ان لكل امرئ وزراء ونصحاء وانكم وزرائى ونصحائى وأهل ثقتى وقد صنع الناس ما قد رأيتم وطلبوا الى ان أعزل عمالى وان ارجع عن جميع ما يكرهون الى ما يحبون فاجتهدوا رأيكم فقال له ابن عامر أرى لك يا امير المؤمنين ان تشغلهم بالجهاد عنك حتى يذلوا لك ولا يكون همة احدهم الا فى نفسه وما هو فيه من دبر دابته وقمل فروته وقال سعيد احسم عنك الداء فاقطع عنك الذى تخاف ان لكل قوم قادة متى تهلك يتفرقوا ولا يجتمع لهم امر فقال عثمان ان هذا هو الرأى لولا ما فيه وقال معاوية اشير عليك ان تأمر امراء الاجناد فيكفيك كل رجل منهم ما قبله وا كفيك انا اهل الشام وقال عبد الله بن سعد ان الناس اهل طمع فاعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم ثم قام عمرو بن العاص فقال يا امير المؤمنين انك قد ركبت الناس بمثل بنى أمية فقلت وقالوا وزغت وزاغوا فاعتدل أو اعتزل فان ابيت فاعتزم عزما واقدم قدما فقال له عثمان مالك قمل فروك اهذا الجد منك فسكت عمرو حتى تفرقوا فقال والله يا امير المؤمنين لانت اكرم على من ذلك ولكنى علمت ان بالباب من يبلغ الناس قول كل رجل منا فأردت ان يبلغهم قولى فيثقوا بى فاقود اليك خيرا وادفع عنك شرا فرد عثمان عماله الى اعمالهم وامرهم بتجهيز الناس فى البعوث وعزم على تحريم اعطياتهم ليطيعوه ورد سعيدا الى الكوفة فلقيه الناس من الجرعة وردوه كما سبق ذكره قال أبو ثور الحدانى جلست الى حذيفة وأبى مسعود الانصارى بمسجد الكوفة يوم الجرعة فقال أبو مسعود ما أرى ان ترد على عقبيها حتى يكون فيها دماء فقال حذيفة والله لتردن على عقبيها ولا يكون فيها محجمة دم وما ارى اليوم شيأ الا قد علمته والنبى صلى الله عليه وسلم حى فرجع سعيد الى عثمان ولم يسفك دم وجاء أبو موسى أميرا وامر عثمان حذيفة بن اليمان ان يغزو الباب فسار نحوه

﴿ذكر ابتداء قتل عثمان﴾

فى هذه السنة تكاتب نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم بعضهم الى بعض ان اقدموا فان الجهاد عندنا وعظم الناس على عثمان ونالوا منه وليس احد من الصحابة ينهى ولا يذب الا نفر منهم زيد بن ثابت وابو اسيد الساعدى وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فاجتمع الناس فكلموا على بن ابى طالب فدخل على عثمان فقال له الناس ورائى وقد كلمونى فيك والله

بنيه على قبائل العرب فملك ابنه شراحيل بن الحرث على بكر بن وائل وملك ابنه معد يكرب على قيس ابن عيلان وملك ابنه سلمة على تغلب أما حجر المذكور وهو أبو امرئ القيس الشاعر فبقى أبوه مقاما كافى بنى اسد مدة ثم تنكروا عليه فقاتلهم وقهرهم وبالغ فى نكايتهم ودخلوا تحت طاعته ثم هجموا عليه بغتة وقتلوه غيلة ولما بلغ امرأ القيس قتل ابيه وكان فى شرب مع أصحابه فقال ضيعنى أبى صغيرا وحملنى ثقل الثار كبيرا اليوم خمر وغدا امر اليوم ثقاف وغدا ثقاف فارسل ذلك مثلا وكان أبوه طرده حين قال الشعر وشم ربه وقال الملوك لا تمدح وانما هى تمدح ثم استنجد امرؤ القيس لاخذ ثار أبيه ببكر وتغلب على بنى اسد فانجدوه وهربت بنو أسد منهم وتبعهم فلم يظفر بهم فأوقع ببنى كنانة ظنا منه انهم بنو أسد فقتلهم قتلا ذريعا فقالت عجوز واللات أيها الملك ما نحن بثارك وانما ثارك بنو اسد وقد ارتحلوا من قبل الليل حين استشعروا بك ثم صار يدخل قبائل العرب وينتقل من اناس الى اناس حتى دخل على قيصر فاستنصره فاجابه

ما أدرى ما اقول لك ولا أعرف شيأ تجهله ولا ادلك على امر لا تعرفه انك لتعلم ما اعلم ما سبقناك الى شئ فنخبرك عنه ولا خلونا بشئ فنبلغكه وما خصصنا بأمر دونك وقد رأيت وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت منه ونلت صهره وما ابن ابى قحافة باولى بالعمل منك بالحق ولا ابن الخطاب باولى بشئ من الخير منك وأنت اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رحما ولقد نلت من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم ينالاه وما سبقاك الى شئ فالله الله فى نفسك فانك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهالة وان الطريق لواضح بين وان اعلام الدين لقائمة اعلم يا عثمان ان أفضل عباد الله امام عادل هدى وهدى فأقام سنة معلومة وامات بدعة متروكة فوالله ان كلا لبين وان السنن لقائمة لها اعلام وان البدع لقائمة لها اعلام وان شر الناس عند الله امام جائر ضل وأضل فامات سنة معلومة واحيا بدعة متروكة وانى احذرك الله وسطواته ونقماته فان عذابه شديد اليم واحذرك أن تكون امام هذه الامة الذى يقتل فيفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة ويلبس امورها عليها ويتركها شيعا لا يبصرون الحق لعلو الباطل يموجون فيها موجا ويمرجون فيها مرجا فقال عثمان قد علمت والله ليقولن الذى قلت اما والله لو كنت مكانى ما عنفتك ولا أسلمتك ولا عبت عليك ولا جئت منكرا أن وصلت رحما وسددت خلة وآويت ضائعا ووليت شبيها بمن كان عمر يولى انشدك الله يا على هل تعلم ان المغيرة بن شعبة ليس هنالك قال نعم قال فتعلم ان عمر ولاه قال نعم قال فلم تلومنى ان وليت ابن عامر فى رحمه وقرابته قال على ان عمر كان يطأ على صماخ من ولى ان بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ به اقصى العقوبة وأنت لا تفعل ضعفت ورققت على اقربائك قال عثمان وهم اقرباؤك ايضا قال اجل ان رحمهم منى لقريبة ولكن الفضل فى غيرهم قال عثمان هل تعلم ان عمر ولى معاوية فقد وليته فقال على انشدك الله هل تعلم ان معاوية كان اخوف لعمر من يرفأ غلام عمر له قال نعم قال على فان معاوية يقتطع الامور دونك ويقول للناس هذا امر عثمان وانت تعلم ذلك فلا تغير عليه ثم خرج على من عنده وخرج عثمان على أثره فجلس على المنبر ثم قال اما بعد فان لكل شئ آفة ولكل أمر عاهة وان آفة هذه الامة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ويسترون عنكم ما تكرهون يقولون لكم ويقولون امثال النعام يتبعون اول ناعق احب مواردهم اليهم البعيد لا يشربون الا نغصا ولا يردون الا عكرا يقوم لهم رائد وقد اعيتهم الامور ألا فقد والله عبتم على ما اقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم ولنت لكم وأوطأتكم كتفى وكففت يدى ولسانى عنكم فاجترأتم على اما والله لانا أعز نفرا واقرب ناصرا واكثر عددا واحرى ان قلت هلم أتى الى ولقد عددت لكم اقرانا وأفضلت عليكم فضولا وكشرت لكم عن نابى واخرجتم منى خلقا لم اكن أحسنه ومنطقا لم أنطق به فكفوا عنى السنتكم وعيبكم وطعنكم على ولاتكم فانى كففت عنكم من لو كان هو الذى يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقى هذا الا فما تفقدون من حقكم والله ما قصرت عن بلوغ ما بلغ من كان قبلى ولم تكونوا تختلفون عليه فقام مروان بن الحكم فقال ان شئتم حكمنا والله ما بيننا وبينكم السيف نحن وانتم والله كما قال الشاعر

فرشنا لكم اعراضنا فنبت بكم * مغارسكم تبنون فى دمن الثرى

وكان بنو اسد بعثوا من عندهم رجلا الى الروم ليفسد الامر على امرئ القيس يقال له الطماح فوشى به الى قيصر ان يقتله فوجه معه جيشا ثم اتبعه رجلا ومعه حلة مسمومة فقال له أقرئه السلام وقل له ان الملك قد بعث اليك هذه ليكرمك بها وأدخله الحمام فاذا خرج فالبسه اياها ففعل ذلك الرجل فلما لبسها تفطر بدنه فكان يحمل فى محفة وذلك قوله

لقد طمح الطماح من بعد أرضه
ليلبسنى من دائه ما تلبسا

فبدلت قرحا داميا بعد صحة
فيا لك من نعمى تحولن أبؤسا

ثم نزل الى جنب جبل يقال له عسيب بقرب مدينة انكورية الروم وفى سفحه قبره فقال

اجارتنا ان الخطوب تنوب
وانى مقيم ما اقام عسيب

اجارتنا انا مقيمان ههنا
وكل غريب للغريب نسيب

فان تصلينا فالقرابة بيننا
وان تصرمينا فالغريب غريب

* ولنذكر بعد هذا خبر عمرو بن عامر وخبر سيل العرم وتفرقهم فى البلاد وبعض اخبار العرب وكان أول من خرج من اليمن فى أيام تمزيقهم عمرو بن عامر ويقال له مزيقيا لانه كان

فقال عثمان اسكت لاسكت دعنى وأصحابى ما منطقك فى هذا ألم أتقدم اليك أن لا تنطق فسكت مروان ونزل عثمان عن المنبر فاشتد قوله على الناس وعظم وزادتا ألبهم عليه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج هذه السنة بالناس عثمان وفى هذه السنة توفى كعب الاحبار وهو كعب بن ماتع واسلم أيام عمر وفيها مات أبو عبس عبد الرحمن بن جبر الانصارى شهد بدرا وفيها مات مسطح بن أثاثة المطلبى وهو ابن ست وخمسين سنة وقيل بل عاش وشهد صفين مع على وهو الاكثر وكان بدريا وفيها توفى عبادة بن الصامت الانصارى وهو ممن شهد العقبة وكان نقيبا بدريا وعاقل بن البكير وهو بدرى أيضا

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ﴾

﴿ ذكر مسير من سار الى حصر عثمان ﴾

قيل فى هذه السنة كان مسير من سار من اهل مصر الى ذى خشب ومسير من سار من اهل العراق الى ذى المروة وكان سبب ذلك ان عبد الله بن سبا كان يهوديا واسلم ايام عثمان ثم تنقل فى الحجاز ثم بالبصرة ثم بالكوفة ثم بالشام يريد اضلال الناس فلم يقدر منهم على ذلك فاخرجه اهل الشام فأتى مصر فأقام فيهم وقال لهم العجب ممن يصدق ان عيسى يرجع ويكذب ان محمدا يرجع فوضع لهم الرجعة فقبلت منه ثم قال لهم بعد ذلك انه كان لكل نبى وصى وعلى وصى محمد فمن اظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصيه وان عثمان أخذها بغير حق فانهضوا فى هذا الامر وابدؤا بالطعن على امرائكم واظهروا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا به الناس وبث دعاته وكاتب من استفسد فى الامصار وكاتبوه ودعوا فى السر الى ما عليه رأيهم وصاروا يكتبون الى الامصار بكتب يضعونها فى عيب ولاتهم ويكتب اهل كل مصر منهم الى مصر آخر بما يصنعون حتى تناولوا بذلك المدينة واوسعوا بذلك الارض اذاعة فيقول اهل كل مصر انا لفى عافية مما ابتلى به هؤلاء الا اهل المدينة فانهم جاءهم ذلك عن جميع الامصار فقالوا انا لفى عافية مما فيه الناس فأتوا عثمان فقالوا يا امير المؤمنين ايأتيك عن الناس الذى يأتينا فقال ما جاءنى الا السلامة وانتم شركائى وشهود المؤمنين فأشيروا على قالوا نشير عليك ان تبعث رجالا ممن تثق بهم الى الامصار حتى يرجعوا اليك باخبارهم فدعا محمد بن مسلمة فارسله الى الكوفة وأرسل أسامة بن زيد الى البصرة وارسل عمار ابن ياسر الى مصر وارسل عبد الله بن عمر الى الشام وفرق رجالا سواهم فرجعوا جميعا قبل عمار فقالوا ما انكرنا شيأ أيها الناس ولا انكره اعلام المسلمين ولا عوامهم وتأخر عمار حتى ظنوا انه قد اغتيل فوصل كتاب من عبد الله بن أبى سرح يذكر ان عمارا قد استماله قوم وانقطعوا اليه منهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر فكتب عثمان الى أهل الامصار انى آخذ عمالى بموافاتى كل موسم وقد رفع الى أهل المدينة ان اقواما يشتمون ويضربون فمن ادعى شيأ من ذلك فليواف الموسم يأخذ حقه حيث كان منى او من عمالى او تصدقوا فان الله يجزى المتصدقين فلما قرئ فى الامصار بكى الناس ودعوا لعثمان وبعث الى عمال الامصار فقدموا عليه فى الموسم عبد الله بن عامر وعبد الله بن سعد ومعاوية وادخل

يعزق فى كل يوم سلتين لئلا يلبسهما أحد بعده كما مر وسبب خروجه من اليمن انه كانت له زوجة كاهنة يقال طريفة وكانت رأت فى منامها ان سحابة غشيت ارضهم فارعدت وابرقت ثم أصعقت فاحرقت كل ما وقعت عليه ففزعت طريفة فزعا شديدا فأتت زوجها وهى تقول ارأيت ما ازال عنى النوم رأيت غيما أرعد وأبرق طويلا ثم اصعق فما وقع على شئ الا احترق فلما رأى ما داخلها من الفزع سكنها ثم انهما دخلا حديقة كانت لهما فرأيا الشجر تتحرك من غير ريح قال عمرو وما ترين فى ذلك قالت أجل ان فيه الويل وما لك فيه من قيل وان الويل فيما يجىء به السيل قال وما علامات ما تذكرين قالت اذهب الى السد فاذا رأيت جرذا يكثر فى السد بيديه الحفر ويقلب برجليه جلامد الصخر فاعلم ان الغفر عفر وانه قد وقع الامر قال وما هذا الذى تذكرين قالت وعد من الله نزل وباطل طل ونكال نكل فانطلق عمرو الى السد يحرسه فاذ الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلا فرجع الى زوجته فاخبرها بذلك وقال لها متى يكون

معهم سعيد بن العاص وعمرا فقال ويحكم ماهذه الشكاية والاذاعة انى والله لخائف أن تكونوا مصدوقا عليكم وما يعصب هذا الابى فقالوا له ألم تبعث ألم يرجع اليك الخبر عن العوام ألم يرجع رسلك ولم يشافههم أحد بشئ والله ماصدقوا ولا برّوا ولا نعلم لهذا الامر أصلا ولا يحل الاخذ بهذه الاذاعة فقال أشيروا على فقال سعيد هذا أمر مصنوع يلقى فى السر فيتحدث به الناس ودواء ذلك طلب هؤلاء وقتل الذين يخرج هذا من عندهم وقال عبد الله بن سعد خذ من الناس الذى عليهم اذا أعطيتهم الذى لهم فانه خير من ان تدعهم وقال معاوية قد وليتنى فوليت قوما ولا يأتيك عنهم الا الخير والرجلان أعلم بناحيتهما والرأى حسن الادب وقال عمرو أرى أنك قد لنت لهم ورخيت عليهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر فأرى ان تلزم طريقة صاحبيك فتشد فى موضع الشدة وتلين فى موضع اللين فقال عثمان قد سمعت كل ما أشرتم به على ولكل أمر باب يؤتى منه ان هذا الامر الذى يخاف على هذه الامة كائن وان بابه الذى يغلق عليه ليفتحن فنكفكفه باللين والمواتاة الا فى حدود الله فان فتح فلا يكون لاحد على حجة وقد علم الله انى لم آل الناس خيرا وان رحى الفتنة لدائرة فطوبى لعثمان ان مات ولم يحركها سكنوا الناس وهبوا لهم حقوقهم فاذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها فلما نفر عثمان وشخص معاوية والامراء معه واستقل على الطريق رجز به الحادى فقال

قد علمت ضوامر المطى * وضمرات عوج القسى

ان الامير بعده على * وفى الزبير خلف رضى

فقال كعب كذبت بل يلى بعده صاحب البغلة الشهباء يعنى معاوية فطمع فيها من يومئذ فلما قدم عثمان المدينة دعا عليا وطلحة والزبير وعنده معاوية فحمد الله معاوية ثم قال أنتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرته من خلقه وولاة أمر هذه الامة لا يطمع فيه احد غيركم اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع وقد كبر وولى عمره ولو انتظرتم به الهرم لكان قريبا مع انى ارجو ان يكون اكرم على الله ان يبلغه ذلك وقد فشت مقالة خفتها عليكم فما عتبتم فيه من شئ فهذه يدى لكم به ولا تطمعوا الناس فى امركم فوالله ان طمعوا فيه لا رأيتم منها ابدا الا ادبارا قال على مالك ولذلك لا ام لك قال دع أمى فانها ليست بشر امهاتكم قد اسلمت وبايعت النبى صلى الله عليه وسلم واجبنى عما اقول لك فقال عثمان صدق ابن اخى انا أخبركم عنى وعما وليت ان صاحبى اللذين كانا قبلى ظلما انفسهما ومن كان منهما بسبيل احتسابا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى قرابته وانا فى رهط اهل عيلة وقلة معاش فبسطت يدى فى شئ من ذلك لما اقوم به فيه فان رأيتم ذلك خطأ فردوه فأمرى لامركم تبع فقالوا له قد اصبت واحسنت قد اعطيت عبد الله بن خالد بن اسيد خمسين الفا واعطيت مروان خمسة عشر الفا فأخذ منهما ذلك فرضوا وخرجوا راضين وقال معاوية لعثمان اخرج معى الى الشأم فانهم على الطاعة قبل ان يهجم عليك ما لا قبل لك به فقال لا ابيع جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ وان كان فيه خيط عنقى قال فان بعثت اليك جندا منهم يقيم معك لنائبة ان نابت قال لا اضيق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لتغتالن ولتغزين فقال حسبى الله ونعم الوكيل ثم خرج معاوية فمر على نفر من المهاجرين فيهم على وطلحة والزبير وعليه ثياب السفر فقام عليهم وقال

هلاك السد فالت لا يعلم ذلك الا الله عز وجل فعلم ان ذلك واقع وان بلادهم ستخرب فكتم ذلك واخفاه واجمع على بيع كل شئ له بارض مأرب ولما خرج عمرو من اليمن خرج لخروجه منها خلق كثير فنزلوا أرض عك ابن عدنان وبقوا بها حتى مات عمرو فكان عمره ثمانمائة سنة وكان معه أربعمائة ملك وتفرقوا الى البلاد فنهم من سار الى الشأم وهم أولاد جفنة ومنهم من سار الى يثرب وهم أبناء قيلة الاوس والخزرج وسارت ازد الى الشراة وعمان وسار مالك بن فهم الى العراق ونزلت ربيعة تهامة وسموا خزاعة لانخزاعهم وتمزقوا فى البلاد كل ممزق ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه وهو سيل العرم الذى ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز وكان لربيعة المذكور ولد اسمه كليب الذى يقال فيه أعز من كليب وائل وبلغ من عزه فى قومه أنه كان لا توقد نار مع ناره ولا يرد ابل مع ابله ويقول وحش الفلاة فى جوارى فلا تهاج فاجتمعت عليه معد كلها حتى بلغ من بغيه وعزه ما قد ذكرناه وقتله جساس بن مرة وهو صهره وابن عمه وكان سبب قتله

انكم قد علمتم ان هذا الامر كان الناس يتغالبون عليه حتى بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وكانوا يتناضلون بالسابقة والقدمة والاجتهاد فان اخذوا بذلك فالامر امرهم والناس لهم تبع وان طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك ورده الله الى غيرهم وان الله على البدل لقادر وانى قد خلفت فيكم شيخا فاستوصوا به خيرا وكانفوه تكونوا اسعد منه بذلك ثم ودعهم ومضى فقال على كنت ارى فى هذا خيرا فقال الزبير والله ما كان قط اعظم فى صدرك وصدورنا منه اليوم واتعد المنحرفون عن عثمان يوما يخرجون فيه بالامصار جميعها اذا سار عنها الامراء فلم يتهيأ لهم ذلك ولما رجع الامراء ولم يتم لهم الوثوب صاروا يكاتبون فى القدوم الى المدينة لينظروا فيما يريدون ويسألوا عثمان عن اشياء لتطير فى الناس وكان بمصر محمد بن ابى بكر ومحمد بن ابى حذيفة يحرضان على عثمان فلما خرج المصريون خرج فيهم عبد الرحمن بن عديس البلوى فى خمسمائة وقيل فى الف وفيهم كنانة بن بشر الليثى وسودان بن حمران السكونى وقتيرة بن فلان السكونى وعليهم جميعا الغافقى بن حرب العكى وخرج اهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان العبدى والاشتر النخعى وزياد بن النضر الحارثى وعبد الله بن الاصم العامرى وهم فى عداد اهل مصر وخرج اهل البصرة فيهم حكيم بن جبلة العبدى وذريح بن عباد وبشر بن شريح القيسى وابن المحترش وهم بعداد اهل مصر واميرهم حرقوص بن زهير السعدى فخرجوا جميعا فى شوال واظهروا انهم يريدون الحج فلما كانوا من المدينة على ثلاث تقدم ناس من اهل البصرة فنزلوا ذا خشب وكان هواهم فى طلحة وتقدم ناس من اهل الكوفة وكان هواهم فى الزبير ونزلوا الاعوص وجاءهم ناس من اهل مصر وكان هواهم فى على ونزلوا عامتهم بذى المروة ومشى فيما بين اهل مصر واهل البصرة زياد بن النضر وعبد الله بن الاصم وقالا لهم لا تعجلوا حتى ندخل المدينة ونرتاد لكم فقد بلغنا انهم عسكروا لنا فوالله ان كان هذا حقا لا ستحلوا قتالنا بعد علم حالنا ان امرنا الباطل وان كان الذى بلغنا باطلا رجعنا اليكم بالخبر قالوا اذهبا فذهبا فدخلا المدينة فلقيا ازواج النبى صلى الله عليه وسلم وعليا وطلحة والزبير فقالا انما نريد هذا البيت ونستعفى من بعض عمالنا واستأذناهم فى الدخول فكلهم ابى ونهاهما فرجعا الى اصحابهما فاجتمع نفر من اهل مصر فأتوا عليا ونفر من اهل البصرة فأتوا طلحة ونفر من اهل الكوفة فأتوا الزبير وقال كل فريق منهم ان بايعنا صاحبنا والا كذبناهم وفرقنا جماعتهم ثم رجعنا عليهم حتى نبغتهم فأتى المصريون عليا وهو فى عسكر عند احجار الزيت متقلدا سيفه وقد ارسل ابنه الحسن الى عثمان فيمن اجتمع اليه فسلموا عليه وعرضوا عليه فصاح بهم وطردهم وقال لقد علم الصالحون ان جيش ذى المروة وجيش ذى خشب والاعوص ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فانصرفوا عنه واتى البصريون طلحة فقال لهم مثل ذلك وكان قد ارسل ابنيه الى عثمان واتى الكوفيون الزبير فقال لهم مثل ذلك وكان قد ارسل ابنه عبد الله الى عثمان فرجعوا وتفرقوا عن ذى خشب وذى المروة والاعوص الى عسكرهم ليتفرق اهل المدينة ثم يرجعوا اليهم فلما بلغوا عسكرهم تفرق اهل المدينة فرجعوا بهم فلم يشعر اهل المدينة الا والتكبير فى نواحيها ونزلوها واحاطوا بعثمان وقالوا من كف يده فهو آمن وصلى عثمان بالناس اياما ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا الناس من كلامه واتاهم اهل المدينة وفيهم على فقال لهم ما ردكم بعد ذهابكم فقالوا اخذنا مع بريد كتابا بقتلنا

انه كانت لجساس جارة يقال لها البسوس وكانت لها ناقة يقال لها السراب وبها تضرب العرب المثل فى الشؤم فيقال اشأم من البسوس واشأم من السراب وذلك لاجل ما جرى بين ابنى وائل بسببها فانه يقال ان الحرب دامت بينهما أربعين سنة وكانت هذه الناقة معقولة بفناء بيت البسوس يوما من الايام فمرت ابل كليب فقطعت السراب عقالها وتبعت ابل كليب فلما انتهت الى كليب أنكرها فرمى السراب بسهم فأصاب ضرعها فنفرت الناقة وقيل ان سبب رميه لها وهى ناقة البسوس انه كان كليب فى بعض الايام يمشى فى حماه فوجد قنبرة قد باضت فى ذلك الحمى فقال كليب هذه القنبرة فى جوارى وكان يسمى تلك الارض بحماه المعمر وكان يخاطبها فقال

يالك من قنبرة بمعمر
خلا لك الجو فبيضى واصفرى
قد رفع الفخ فماذا تحذرى
ونقرى ما شئت ان تنقرى
قد ذهب الصياد عنك فابشرى
لابد من أخذك يوما فاحذرى

فدخلت ناقة البسوس ذلك الحمى فوطئت على بيض القنبرة فكسرت بيضها فلما

واتى طلحة الكوفيين فسألهم عن عودهم فقالوا مثل ذلك واتى الزبير البصريين فقالوا مثل ذلك وكل منهم يقول نحن نمنع اخوانا وننصرهم كأنما كانوا على ميعاد فقال لهم علي كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر وقد سرتم مراحل حتى رجعتم علينا هذا والله أمر أبرم بليل فقالوا ضعوه كيف شئتم لا حاجة لنا في هذا الرجل ليعتزل عنا وعثمان يصلي بهم وهم يصلون خلفه وهم أدق في عينه من التراب وكانوا يمنعون الناس من الاجتماع وكتب عثمان الى أهل الامصار يستنجدهم ويأمرهم بالحث للمنع عنه ويعرفهم ما الناس فيه فخرج أهل الامصار على الصعب والذلول فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن حديج وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو وقام بالكوفة نفر يحضون على اعانة أهل المدينة منهم عقبة بن عامر وعبد الله بن أبي أوفى وحنظلة الكاتب وغيرهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن التابعين مسروق والاسود وشريح وعبد الله بن حكيم وغيرهم وقام بالبصرة عمران بن حصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر وغيرهم من الصحابة ومن التابعين كعب بن سور وهرم بن حيان وغيرهما وقام بالشام جماعة من الصحابة والتابعين وكذلك بمصر ولما جاءت الجمعة التي على أثر دخولهم المدينة خرج عثمان فصلى بالناس ثم قام على المنبر فقال يا هؤلاء الله الله فوالله ان أهل المدينة ليعلمون انكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فامحوا الخطأ بالصواب فقام محمد بن مسلمة فقال أنا أشهد بذلك فاقعده حكيم بن جبلة وقام زيد ابن ثابت فاقعده محمد بن أبي قتيرة وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشيا عليه فادخل داره واستقتل نفر من أهل المدينة مع عثمان منهم سعد بن أبي وقاص والحسين بن علي وزيد بن ثابت وأبو هريرة فأرسل اليهم عثمان يعزم عليهم بالانصراف فانصرفوا وأقبل علي وطلحة والزبير فدخلوا على عثمان يعودونه من صرعته ويشكون اليه ما يجدون وكان عند عثمان نفر من بني أمية فيهم مروان بن الحكم فقالوا كلهم لعلي أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع والله لئن بلغت الذي تريد لتمرن عليك الدنيا فقام مغضبا وعاد هو والجماعة الى منازلهم وصلى عثمان بالناس بعد ما نزلوا به في المسجد ثلاثين يوما ثم منعوه الصلاة وصلى بالناس أميرهم الغافقي وتفرق أهل المدينة في حيطانهم ولزموا بيوتهم لا يجلس أحد ولا يخرج الا بسيفه ليمتنع به وكان الحصار أربعين يوما ومن تعرض لهم وضعوا فيه السلاح وقد قيل ان محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة كانا بمصر يحرضان على عثمان وسار محمد بن أبي بكر مع من سار الى عثمان وأقام ابن أبي حذيفة بمصر وغلب عليها لما سار عنها عبد الله بن سعد على ما يأتي فلما خرج المصريون الى قصد عثمان أظهروا انهم يريدون العمرة وخرجوا في رجب وعليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي وبعث عبد الله بن سعد رسولا الى عثمان يخبره بحالهم وانهم قد اظهروا العمرة وقصدهم خلعه أو قتله فخطب عثمان الناس واعلمهم حالهم وقال لهم انهم قد اسرعوا الى الفتنة واستطالوا عمري والله لئن فارقتهم ليتمنون ان عمري كان عليهم مكان كل يوم سنة مما يرون من الدماء المسفوكة والاحن والاثرة الظاهرة والاحكام المغيرة وكان عبد الله بن سعد خرج الى عثمان في آثار المصريين باذنه فلما كان بأيلة بلغه ان المصريين رجعوا الى عثمان فحصروه وان محمد بن أبي حذيفة غلب على مصر

علم كليب ان السراب صنعت ذلك رماها بسهم خرم ضرعها فلما رأتها البسوس ألقت خمارها وصاحت واذلاه واجاراه فلما سمعها جساس وعلم بذلك ركب فرساله وأخذ رمحه بيده وركب معه عمرو بن الحرث على فرس له حتى دخلا على كليب في حماه فطعنه جساس فقصم صلبه وطعنه عمرو فوقع كليب يفحص برجله حتى مات ولما قتل جساس كليبا وقعت الحرب بين بكر وتغلب وشمر مهلهل أخو كليب لحرب بكر وسمي مهلهلا لانه أول من هلهل الشعر أي رققه وهو خال امرئ القيس الشاعر فاستعد مهلهل لحرب بني تغلب وترك النساء والغزل وحرم القمار والخمر وأرسل رجالا من تغلب الى بكر وعرض عليهم أربع خصال فأتت رسله الى مرة أبي جساس وهو في نادي قومه فقالوا لهم انكم أتيتم عظيما في قتلكم كليبا لاجل ناقة وقطعتم بيننا وبينكم الرحم ونريد أن نعرض عليكم خصالا أربعا فقال مرة وما هي قال تحيي لنا كليبا أو تدفع لنا جساسا فنقتله أو همام أخاه وتمكنا من نفسك فان فيك وفاء من دمه فقال اما احياء كليب

واستجابوا له فعاد عبد الله الى مصر فمنع عنها فأتى فلسطين فأقام بها حتى قتل عثمان فلما نزل القوم
ذا خشب يريدون قتل عثمان ان لم ينزع عما يكرهون ولما رأى عثمان ذلك جاء الى علي فدخل
عليه بيته فقال له يا ابن عم ان قرابتي قريبة ولي عليك حق عظيم وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم
وهم مصبحي ولك عند الناس قدر وهم يسمعون منك وأحب ان تركب اليهم فتردهم عني فان في
دخولهم علي توهينا لامري وجراءة علي فقال علي على أي شئ أردهم عنك قال على ان أصير الى
ما أشرت اليه ورأيته لي فقال علي اني قد كلمتك مرة بعد أخرى فكل ذلك نخرج ونقول ثم ترجع
عنه وهذا من فعل مروان وابن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد فانك أطعتهم وعصيتني قال
عثمان فانا أعصيهم واطيعك فأمر الناس فركب معه من المهاجرين والانصار ثلاثون رجلا فيهم
سعيد بن زيد وأبو جهم العدوي وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان وسعيد بن العاص
وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ومن الانصار أبو أسيد الساعدي وأبو حميد وزيد بن ثابت
وحسان بن ثابت وكعب بن مالك ومن العرب نيار بن مكرز فأتوا المصريين فكلموهم وكان
الذي يكلمهم علي ومحمد بن مسلمة فسمعوا مقالتهما ورجعوا الى مصر فقال ابن عديس لمحمد بن
مسلمة أتوصينا بحاجة قال نعم تتقي الله وترد من قبلك عن امامهم فانه قد وعدنا ان يرجع وينزع
قال ابن عديس افعل ان شاء الله ورجع علي ومن معه الى المدينة فدخل على عثمان فأخبره
برجوعهم وكلمه بما في نفسه ثم خرج من عنده فمكث عثمان ذلك اليوم وجاءه مروان بكرة الغد
فقال له تكلم واعلم الناس ان اهل مصر قد رجعوا وان ما بلغهم عن امامهم كان باطلا قبل ان
يجيء الناس اليك من أمصارهم ويأتيك ما لا تستطيع دفعه ففعل عثمان فلما خطب الناس
قال له عمرو بن العاص اتق الله يا عثمان فانك قد ركبت أمورا وركبناها معك فتب الى الله نتب
فناداه عثمان وانك هنالك يا ابن النابغة قملت والله جبتك منذ عزلتك عن العمل فنودي من
ناحية أخرى تب الى الله فرفع يديه وقال اللهم اني اول تائب وخرج عمرو بن العاص الى منزله
بفلسطين وكان يقول والله اني كنت لالقى الراعي فأحرضه على عثمان والقى عليا وطلحة والزبير
فأحرضهم على عثمان فبينما هو بقصره بفلسطين ومعه ابناه ومحمد بن عبد الله وسلامة بن روح
الجذامي اذ مر به راكب من المدينة فسأله عمرو عن عثمان فقال هو محصور فقال عمرو أنا ابو عبد
الله قد يضرط العير والمكواة في النار ثم مر به راكب آخر فسأله فقال قتل عثمان فقال عمرو أنا
ابو عبد الله اذا حككت قرحة نكأتها فقال له سلامة بن روح يا معشر قريش كان بينكم وبين
العرب باب فكسرتموه فقال اردنا ان نخرج الحق من حاصرة الباطل ليكون الناس في الحق
شرعا سواء وقيل ان عليا لما رجع من عند المصريين بعد رجوعهم الى عثمان فقال له تكلم كلاما
يسمعه الناس منك ويشهدون عليك ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والامانة فان البلاد
قد تمخضت عليك فلا آمن ان يجيء ركب آخر من الكوفة والبصرة فتقول يا علي اركب اليهم
فان لم افعل رأيتني قد قطعت رحمك واستخففت بحقك فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها
واعطى الناس من نفسه التوبة وقال انا اول من اتعظ أستغفر الله عما فعلت واتوب اليه فمثلي
نزع وتاب فاذا نزلت فليأتني اشرافكم فليروا في رأيهم فوالله لئن ردني الحق عبدا لاستنن بسنة
العبد ولاذلن ذل العبد وما عن الله مذهب الا اليه فوالله لاعطينكم الرضا ولانحين مروان

فلا سبيل اليه وأما جساس
فانه غلام طعن طعنة على
عجل ثم ركب فرسه فلا أدري
أي البلاد احتوت عليه
وأما أخوه همام فانه أبو
عشرة وأخو عشرة وعم
عشرة كلهم فرسان قومهم
وان يسلموه الى فادفعه اليكم
ايقتل بجريرة غيره وأما أنا
فما هو الا ان تجول الخيل
غدا جولة فأكون أول
قتيل بينهما فما اتعجل من
الموت ولكن عندي
خصلتان اما احداهما
فهؤلاء بني الباقون وهم
تسعة ضعوا في عنق من
شئتم منهم فانطلقوا به الى
رحالكم فاذبحوه ذبح
الخروف والا فألف ناقة
سوداء المقل أقيم لكم
فغضب القوم وقالوا لقد
أسأت تبذل لنا صغار ولدك
وتسومنا اللبن من دم كليب
ووقعت الحرب بينهما فقال
المهلهل يرثي كليبا

كليب لا خير في الدنيا ومن فيها
اذ أنت خليتها فيمن يخليها
نعى النعاة كليبا لي فقلت لهم
مالت بنا الارض أو زالت
رواسيها
الحزم والعزم كانا من صنائعه
ما كل آلائه يا قوم أحصيها
ليت السماء على من تحتها
وقعت
وانشقت الارض فانجابت
بمن فيها

وذو به ولا احتجب عنكم فرق الناس وبكوا حتى اخضلوا لحاهم وبكى هو ايضا فلما نزل عثمان
وجد مروان وسعيدا ونفرا من بنى امية فى منزله لم يكونوا شهدوا خطبته فلما جلس قال مروان
يا امير المؤمنين أتكلم ام اسكت فقالت نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان لا بل اصمت فانهم
والله قاتلوه ومؤثموه انه قد قال مقالة لا ينبغى له أن ينزع عنها فقال لها مروان ما أنت وذاك
فوالله قد مات ابوك وما يحسن يتوضأ فقالت مهلا يا مروان عن ذكر الآباء تخبر عن ابى وهو
غائب تكذب عليه وان اباك لا يستطيع ان يدفع عن نفسه اما والله لولا انه عمه وانه يناله غمه
لاخبرتك عنه ما لن اكذب عليه قالت فأعرض عنها مروان فقال يا أمير المؤمنين أتكلم أم
أسكت قال تكلم فقال مروان بأبى أنت وأمى والله لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع
فكنت أول من رضى بها وأعان عليها ولكنك قلت ما قلت وقد بلغ الحزام الطبيين وبلغ
السيل الزبى وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل والله لاقامة على خطيئة يستغفر منها أجمل من
توبة يخوف عليها وأنت ان شئت تقربت بالتوبة ولم تقربت بالخطيئة وقد اجتمع بالباب أمثال
الجبال من الناس فقال عثمان فاخرج اليهم فكلمهم فانى أستحى أن أكلمهم فخرج مروان الى
الباب والناس يركب بعضهم بعضا فقال ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب شاهت
الوجوه الى من أريد جئتم تريدون ان تنزعوا ملكنا من ايدينا اخرجوا عنا والله لئن رمتمونا ليمرن
عليكم منا امر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا الى منازلكم فانا والله ما نحن بمغلوبين
على ما فى ايدينا فرجع الناس واتى بعضهم عليا فأخبره الخبر فأقبل على على عبد الرحمن بن
الاسود بن عبد يغوث فقال احضرت خطبة عثمان قال نعم قال احضرت مقالة مروان للناس
قال نعم فقال على أى عباد الله يا للمسلمين انى ان قعدت فى بيتى قال لى تركتنى وقرابتى وحقى وانى
ان تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان فصار سيقة له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام مغضبا حتى دخل على عثمان فقال له اما رضيت من مروان
ولا رضى منك الا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينة يقاد حيث يشاء به والله
ما مروان بذى رأى فى دينه ولا نفسه وايم الله انى لاراه يوردك ولا يصدرك وما أنا عائد بعد
مقامى هذا لمعاتبتك أذهبت شرفك وغلبت على رأيك فلما خرج على دخلت عليه امرأته نائلة
ابنة الفرافصة فقالت قد سمعت قول على لك وليس يعاودك وقد اطعت مروان يقودك حيث
شاء قال فما اصنع قالت تتقى الله وتتبع سنة صاحبيك فانك متى اطعت مروان قتلك ومروان
ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة وانما تركك الناس لمكانه فأرسل الى على فاستصلحه
فان له قرابة وهو لا يعصى فأرسل عثمان الى على فلم يأته وقال قد أعلمته انى غير عائد فبلغ مروان
مقالة نائلة فيه فجلس بين يدى عثمان فقال يا ابنة الفرافصة فقال عثمان لا تذكرنها بحرف فأسود
وجهك فهى والله أنصح لى فكف مروان وأتى عثمان الى على بمنزله ليلا وقال له انى غير عائد
وانى فاعل فقال له على بعدما تكلمت على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطيت من نفسك
ثم دخلت بيتك فخرج مروان الى الناس يشتمهم على بابك ويؤذيهم فخرج عثمان من عنده وهو
يقول خذلتنى وجرأت الناس على فقال على والله انى لاكثر الناس ذبا عنك ولكنى كلما جئت
بشئ اظنه لك رضا جاء مروان بأخرى فسمعت قوله وتركت قولى ولم يعد على يعمل ما كان

ولم يزل المهلهل يطلب بثأر
كليب ولا يبالى بمن يقتل
من بكر واستمرت الحرب بين
بكر وتغلب زمانا الى أن
قتل همام بن مرة اخو
جساس واصطلحت بكر
وتغلب ففر المهلهل بنفسه
فنزل بمذحج فى قوم يقال لهم
جنب فأجاره معاوية الخير
وتزوج ابنة المهلهل واستمر
عندهم الى أن قتل وكان
سبب قتل المهلهل انه لما
نزل من مذحج اشترى عبدين
يغزوان معه فغزا بهما حتى
طال عليهما فأحبا الراحة
منه فأجمعا على قتله بموضع
قفر فلما شعر بهما ولم ير لنفسه
ملجأ قال لهما اذا قتلتمانى
وعدتما فأبلغا عنى هذه
الرسالة لاهلى فقالا له هات
رسالتك فأنشدهما

من مبلغ عنى بأن مهلهلا
لله دركما ودر أبيكما

فلما قتلاه وانصرفا نحو بنيه
قالوا لهما ما فعل سيدكما
قالا مات بأرض كذا فدفناه
بها سالما فقيل له ما اما
أوصى بشئ حين مات قالا
اوصانا بكذا وكذا فلم يدر
احد ما أراد وقالوا ما هذا
بشعر مهلهل فقالت ابنته
والله ما كان ابى ردئ الشعر
ولا سفساف الكلام وانما
اراد ان يخبركم ان العبدين
قتلاه وانما معنى هذا البيت
من مبلغ عنى بأن مهلهلا

بعمل الى ان منع عثمان الماء فقال علي لطلحة أريد أن تدخل عليه الروايا وغضب غضبا شديدا
حتى دخلت الروايا على عثمان قال وقد قيل ان عليا كان عند حصر عثمان بخيبر فقدم المدينة
والناس مجتمعون عند طلحة وكان ممن له فيه أثر فلما قدم على أتاه عثمان وقال له اما بعد فان لى حق
الاسلام وحق الاخاء والقرابة والصهر ولو لم يكن من ذلك شئ وكنا فى الجاهلية لكان عارا على بنى
عبد مناف ان ينتزع أخو بنى تيم يعنى طلحة أمرهم فقال له علي سيأتيك الخبر ثم خرج الى المسجد
فرأى أسامة فتوكأ على يده حتى دخل دار طلحة وهو فى خلوة من الناس فقال له يا طلحة ما هذا
الامر الذى وقعت فيه فقال يا أبا الحسن بعد ما مس الحزام الطبيين فانصرف على حتى أتى بيت
المال فقال افتحوه فلم يجدوا المفاتيح فكسر الباب وأعطى الناس فانصرفوا من عند طلحة حتى
بقى وحده وسر بذلك عثمان وجاء طلحة فدخل على عثمان وقال له يا أمير المؤمنين أردت أمرا فحال
الله بينى وبينه فقال عثمان والله ما جئت تائبا ولكن جئت مغلوبا الله حسيبك يا طلحة

(ذكر مقتل عثمان)

قد ذكرنا سبب مسير الناس الى قتل عثمان وقد تركنا كثيرا من الاسباب التى جعلها الناس
ذريعة الى قتله لعلل دعت الى ذلك ونذكر الآن كيف قتل وما كان بدء ذلك وابتداء الجرأة عليه
قبل قتله فكان من ذلك ان ابلا من ابل الصدقة قدم بها على عثمان فوهبها لبعض بنى الحكم فبلغ
ذلك عبد الرحمن بن عوف فأخذها وقسمها بين الناس وعثمان فى الدار وقيل وكان أول من اجترأ
على عثمان بالمنطق جبلة بن عمرو الساعدى مر به عثمان وهو فى نادى قومه وبيده جامعة فسلم فرد
القوم فقال جبلة لم تردون على رجل فعل كذا وكذا ثم قال لعثمان والله لاطرحن هذه الجامعة
فى عنقك أو لتتركن بطانتك هذه الخبيثة مروان وابن عامر وابن سعد منهم من نزل القرآن بذمه
وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه فاجترأ الناس عليه وقد تقدم قول عمرو بن العاص له
فى خطبته قيل وخطب يوما وبيده عصا كان النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر يخطبون
عليها فأخذها جهجاه الغفارى من يده وكسرها على ركبته فرمى فى ذلك المكان بأكلة وقيل
كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم الى من بالآفاق منهم ان أردتم الجهاد فهلموا
اليه فان دين محمد صلى الله عليه وسلم قد أفسده خليفتكم فأقيموه فاختلفت قلوب الناس على
ما تقدم ذكره وجاء المصريون كما ذكرنا الى المدينة فخرج اليهم على ومحمد بن مسلمة كما تقدم فكلماهم
فعادوا ثم رجعوا فلما رجعوا انطلق اليهم محمد بن مسلمة يسألهم عن سبب عودهم فأخرجوا
صحيفة فى أنبوبة رصاص وقالوا وجدنا غلام عثمان بالبويب على بعير من ابل الصدقة ففتشنا
متاعه فوجدنا فيه هذه الصحيفة يأمر فيها بجلد عبد الرحمن بن عديس وعمرو بن الحمق وعروة بن
البياع وحبسهم وحلق رؤسهم ولحاهم وصلب بعضهم وقيل ان الذى أخذت منه الصحيفة أبو
الاعور السلمى فلما رأوه وسألوه عن مسيره وهل معه كتاب فقال لا فسألوه فى أى شئ هو فتغير كلامه
فأنكروه وفتشوه وأخذوا الكتاب منه وعادوا وعاد الكوفيون والبصريون فلما عاد أهل مصر
أخبروا بذلك محمد بن مسلمة وقالوا له قد كلمنا عليا ووعدنا أن يكلمه وكلمنا سعد بن ابى وقاص
وسعيد بن زيد فقالا لا ندخل فى امركم وقالوا لمحمد بن مسلمة لتحضر مع على عند عثمان بعد الظهر
فوعدهم بذلك فدخل على ومحمد بن مسلمة على عثمان فاستأذنا للمصريين عليه وعنده مروان

فقال

اضحى قتيلا بالفلاة مجندلا
لله دركما ودر ابيكما
لا يبرح العبدان حتى يقتلا
فقتل العبدان بعد أن اقرا
بذلك وانما احيا الراحة
منه اطول ما أنعمهما من الغزو
والسفر

* (الباب التاسع عشر فى ذكر ملوك اليمن من بنى زياد القامعين حزب الاشراك والالحاد) *

وكان ابتداء ملكهم فى سنة ثلاث ومائتين اولهم (محمد بن زياد) وقيل ابراهيم بن عبد الله بن زياد وكان المأمون سيره وجماعة من بنى امية الى الفضل بن سهل ذى الرياستين وبلغ المأمون اختلاف امر اليمن فأثنى ابن سهل على محمد بن زياد المذكور فأمر المأمون بارساله الى اليمن فسار ابن زياد المذكور ومعه جماعة وفتح تهامة بعد حروب جرت بينه وبين العرب واستقرت قدم ابن زياد باليمن وبنى مدينة زبيد فى سنة اربع ومائتين وملك اقاليم اليمن بأسرها وبه كملت دولة بنى زياد حتى قتل ابن زياد وبقى محمد بن زياد كذلك حتى توفى ثم ملك بعده ابنه (ابراهيم بن زياد بن محمد) ثم ملك بعده ابنه (زياد بن ابراهيم) ولم تطل مدته ثم ملك بعده

فقال دعنى اكلمهم فقال عثمان اسكت فض الله فاك فما انت وهذا الامر اخرج عنى فخرج مروان وقال على ومحمد لعثمان ما قال المصريون فأقسم بالله ما كتبته ولا علم لى به فقال محمد صدق هذا من عمل مروان ودخل عليه المصريون فلم يسلموا عليه بالخلافة فعرفوا الشر فيهم وتكلموا فذكر ابن عديس ما فعل عبد الله بن سعد بالمسلمين واهل الذمة والاستئثار فى الغنائم فاذا قيل له فى ذلك قال هذا كتاب أمير المؤمنين وذكروا شيأ مما أحدث بالمدينة وقال له وخرجنا من مصر ونحن نريد قتلك فردنا على ومحمد بن مسلمة وضمنا لنا النزوع عن كل ما تكلمنا فيه فرجعنا الى بلادنا فرأينا غلامك وكتابك وعليه خاتمك تأمر عبد الله بجلدنا والمثلة بنا وطول الحبس فحلف عثمان انه ما كتب ولا أمر ولا علم فقال على ومحمد صدق عثمان قال المصريون فمن كتبه قال لا أدرى قالوا فيجترأ عليك ويبعث غلامك وجمل من الصدقة وينقش على خاتمك ويبعث الى عاملك بهذه الامور العظيمة وأنت لا تعلم قال نعم قال ما انت الا صادق أو كاذب فان كنت كاذبا فقد استحققت الخلع لما أمرت به من قتلنا بغير حق وان كنت صادقا فقد استحققت أن تخلع نفسك لضعفك عن هذا الامر وغفلتك وخبث بطانتك ولا ينبغى لنا أن نترك هذا الامر بيد من تقطع الامور دونه لضعفه وغفلته فاخلع نفسك منه كما خلعك الله فقال لا أنزع قميصا ألبسنيه الله ولكنى أتوب وأنزع قالوا لو كان هذا أول ذنب تبت منه قبلنا ولكنا رأيناك تتوب ثم تعود ولسنا منصرفين حتى نخلعك أو نقتلك أو تلحق أرواحنا بالله تعالى وان منعك اصحابك وأهلك قاتلناهم حتى نخلص اليك فقال أما أن أتبرأ من خلافة الله فالقتل احب الى من ذلك وأما قولكم تقاتلون من منعنى فانى لا امر احدا بقتالكم فمن قاتلكم فبغير امرى قاتل ولو أردت قتالكم لكتبت الى الاجناد فقدموا على اولحقت ببعض أطرافى وكثرت الاصوات واللغط فقام على فخرج وأخرج المصريين ومضى على الى منزله وحصر المصريون عثمان وكتب الى معاوية وابن عامر وامراء الاجناد يستنجدهم ويأمرهم بالعجل وارسال الجنود اليه فتربص به معاوية فقام فى اهل الشأم يزيد بن اسد القسرى جد خالد بن عبد الله القسرى فتبعه خلق كثير فسار بهم الى عثمان فلما كانوا بوادى القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا وقيل بل سار من الشأم حبيب بن مسلمة الفهرى وسار من البصرة مجاشع بن مسعود السلمى فلما وصلوا الربذة ونزلت مقدمتهم صرارا بناحية المدينة اتاهم قتل عثمان فرجعوا وكان عثمان قد استشار اصحابه فى امره فأشاروا عليه ان يرسل الى على يطلب اليه ان يردهم ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه امداده فقال انهم لا يقبلون التعلل وقد كان منى فى المرة الاولى ما كان فقال مروان اعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك فانهم قوم بغوا عليك ولا عهد لهم فدعا عليا فقال له قد ترى ما كان من الناس ولست آمنهم على دمى فارددهم عنى فانى اعطيهم ما يريدون من الحق من نفسى وغيرى فقال على الناس الى عدلك احوج منهم الى قتلك ولا يرضون الا بالرضا وقد كنت أعطيتهم أولا عهدا فلم تف به فلا تغرنى هذه المرة فانى معطيهم عليك الحق فقال اعطهم فوالله لافين لهم فخرج على الى الناس فقال لهم انما طلبتم الحق وقد أعطيتموه وقد زعم انه منصفكم من نفسه فقال الناس قبلنا فاستوثق منه لنا فانا لا نرضى بقول دون فعل فدخل عليه على فأعلمه فقال اضرب بينى وبينهم أجلا فانى لا أقدر على أن ارد ما كرهوا فى يوم واحد فقال على اما ما كان

اخوه (ابو الجيش اسحق بن ابراهيم) وطالت مدته وتوفى فى سنة احدى وسبعين وثلثمائة وخلف فى الملك طفلا اسمه (زياد) وبقى فى الملك مدة ثم توفى وانتقل ملك اليمن الى طفل آخر من آل زياد اسمه (ابراهيم) فقتل وهو آخر ملوك اليمن من بنى زياد فتكون مدة ملك بنى زياد باليمن مائتى سنة واربع سنين والله اعلم

(الباب العشرون فى ذكر ملوك اليمن من آل نجاح ذوى الاخلاق العظام السماح)

ولما قتل ابراهيم المذكور ملك اليمن عبد من عبيده يقال له (نجاح) فضرب السكة باسمه وكان له عدة اولاد واستقل بملك اليمن فى سنة اثنتى عشرة واربعمائة حتى توفى فى سنة اثنتين وخمسين واربعمائة ثم ملك بعده ابنه (سعيد) الاحول وبقى فى الملك سنتين وغلب عليهم الصليحى فى سنة خمس وخمسين واربعمائة فهرب بنو نجاح الى دهلك وكان الصليحى ابو الحسن على بن محمد عالما بارعا وكان ابوه قاضيا باليمن وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة ثم ان سعيد الاحول واخاه جيشا سارا ومعهما سبعون رجلا من زبيد حتى ادركا الصليحى وهو نازل عند بئر ام معبد وقد

بالمدينة فلا اجل فيه وما غاب فأجله وصول امرك قال نعم فأجلنى فيما فى المدينة ثلاثة ايام فأجابه
الى ذلك وكتب بينهم كتابا على رد كل مظلمة وعزل كل عامل كرهوه فكف الناس عنه فجعل يتأهب
للقتال ويستعد بالسلاح واتخذ جندا فلما مضت الايام الثلاثة ولم يغير شيأ ثار به الناس وخرج
عمرو بن حزم الانصارى الى المصريين فأعلمهم الحال وهم بذى خشب فقدموا المدينة وطلبوا منه
عزل عماله ورد مظالمهم فقال ان كنت مستعملا من أردتم وعازلا من كرهتم فلست فى شئ والامر
أمركم فقالوا والله لتفعلن أو لتخلعن أو لتقتلن فأبى عليهم وقال لا أنزع سربالا سربلنيه الله
فحصروه واشتد الحصار عليه فأرسل الى على وطلحة والزبير فحضروا فأشرف عليهم فقال يا أيها
الناس اجلسوا فجلسوا المحارب والمسالم فقال لهم يا أهل المدينة استودعكم الله وأسأله ان
يحسن عليكم الخلافة من بعدى ثم قال أنشدكم بالله هل تعلمون انكم دعوتم الله عند مصاب
عمر أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم أتقولون ان الله لم يستجب لكم وهنتم عليه وأنتم أهل
حقه أم تقولون هان على الله دينه فلم يبال من ولى والدين لم يتفرق أهله يومئذ أم تقولون لم يكن
أخذ عن مشورة انما كان مكابرة فوكل الله الامة اذ عصته ولم يشاوروا فى الامامة أم تقولون
ان الله لم يعلم عاقبة أمرى وأنشدكم بالله أتعلمون لى من سابقة خير وقدم خير قدمه الله لى يحق
على كل من جاء بعدى ان يعرفوا لى فضلها فمهلا لا تقتلونى فانه لا يحل الا قتل ثلاثة رجل زنى بعد
احصانه وكفر بعد ايمانه أو قتل نفسا بغير حق فانكم اذا قتلتمونى وضعتم السيف على رقابكم
ثم لم يرفع الله عنكم الاختلاف أبدا قالوا أما ما ذكرت من استخارة الناس بعد عمر ثم ولوك فان
كل ما صنع الله خيرة ولكن الله جعلك بلية ابتلى بها عباده وأما ما ذكرت من قدمك وسلفك مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كنت كذلك وكنت أهلا للولاية ولكن أحدثت ما علمته ولا
نترك اقامة الحق عليك مخافة الفتنة عاما قابلا وأما قولك انه لا يحل الا قتل ثلاثة فانا نجد فى
كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سميت قتل من سعى فى الارض فسادا وقتل من بغى ثم قاتل على
بغيه وقتل من حال دون شئ من الحق ومنعه وقاتل دونه وقد بغيت ومنعت وحلت دونه
وكابرت عليه ولم تقد من نفسك من ظلمت وقد تمسكت بالامارة علينا فان زعمت انك لم تكابرنا
عليها فان الذين قاموا دونك ومنعوك منا انما يقاتلون لتمسكك بالامارة فلو خلعت نفسك
لانصرفوا عن القتال معك فسكت عثمان ولزم الدار وامر اهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم
فرجعوا الا الحسن بن على وابن عباس ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وأشباها لهم واجتمع
اليه ناس كثير فكانت مدة الحصار أربعين يوما فلما مضت ثمان عشرة ليلة قدم ركبان من الامصار
فأخبروا بخبر من تهيأ اليهم من الجنود وشجعوا الناس فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان
ومنعوه كل شئ حتى الماء فأرسل عثمان الى على سرا والى طلحة والزبير وازواج النبى صلى الله
عليه وسلم انهم قد منعونى الماء فان قدرتم ان ترسلوا الينا ماء فافعلوا فكان اولهم اجابة على وام
حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فجاء على فى الغلس فقال يا أيها الناس ان الذى تفعلون
لا يشبه أمر المؤمنين ولا امر الكافرين فلا تقطعوا عن هذا الرجل الماء ولا المادة فان الروم
وفارس لتأسر فتطعم وتسقى فقالوا لا والله ولا نعمة عين فرمى بعمامته فى الدار بأنى قد نهضت
ورجعت وجاءت أم حبيبة على بغلة لها مشتملة على اداوة فضربوا وجه بغلتها فقالت ان وصايا

لسار الى الحج فبغتناه فقتلاه وقتلا اخاه عبد الله ٧٢ وحز سعيد رأسهما واحتاط على امرأة الصليحى اسماء بنت شهاب وسارا عائدين الى
زبيد والرأسان قدامهما
أمام هودج اسماء واستوثق
الامر بتهامة لسعيد بن نجاح
واستمرت اسماء مأسورة
فأرسلت كتابا الى ابنها الملك
المكرم احمد بن الصليحى
وكان ملكا فى بعض حصون
اليمن تخبره وتستحثه على
الوثوب على ملك نجاح فجمع
جموعا وهرب سعيد ومن سلم
معه الى دهلك واستولى
(الملك المكرم احمد) على
زبيد وانزل الرأسين ودفنهما
وولى على زبيد خاله (اسعد
ابن شهاب) وماتت اسماء
المذكورة بعد ذلك ثم عاد
بنو نجاح وملكوا زبيد
واخرجوا اسعد منها فى سنة
تسع وسبعين ثم غلب عليهم
الملك المكرم وملك زبيد
وملكها فى بقايا سنة احدى
وثمانين واربعمائة ومات
فى سنة خمسمائة وترك عدة
اولاد فملك ولده (فايك) ثم
مات فملك ابنه (منصور) دون
البلوغ ثم ملك بعده ولده
(فايك بن منصور) ثم ملك
بعده ابن عمه واسمه أيضا
(فايك بن محمد بن فايك)
وهو آخر ملوك اليمن من بنى
نجاح وكانوا قائمين بدعوة
الفاطمية وكانت مدة دولة
آل نجاح باليمن مائة وبضع
عشرة سنة ثم انتقل الملك الى
بنى المهدى الحميرى

بني أمية عند هذا الرجل فأحببت ان أسأله عنها فقال لا تهلك أموال الايتام والارامل فقالوا كاذبة وقطعوا حبل البغلة بالسيف فنفرت وكادت تسقط عنها فتلقاها الناس فأخذوها وذهبوا بها الى بيتها فاشرف عثمان يوما فسلم عليهم ثم قال انشدكم الله هل تعلمون انى اشتريت بئر رومة بمالي ليستعذب بها فجعلت رشائي فيها كرجل من المسلمين قالوا نعم قال فلم تمنعوني ان اشرب منها حتى أفطر على ماء البحر ثم قال انشدكم بالله هل تعلمون انى اشتريت ارض كذا فزدتها في المسجد قيل نعم قال فهل علمتم ان أحدا منع ان يصلي فيه قبلي ثم قال انشدكم بالله اتعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عني كذا وكذا أشياء في شأنه ففشى النهي في الناس يقولون مهلا عن أمير المؤمنين فقام الاشتر فقال لعله مكر به وبكم وخرجت عائشة الى الحج واستتبعت أخاها محمدا فأبى فقال والله لئن استطعت ان يحرمهم الله ما يحاولون لافعلن فقال له حنظلة الكاتب تستتبعك ام المؤمنين فلا تتبعها وتتبع ذؤبان العرب الى ما لا يحل وان هذا الامر ان صار الى التغالب غلبك عليه بنو عبد مناف ثم رجع حنظلة الى الكوفة وهو يقول

عجبت لما يخوض الناس فيه * يرومون الخلافة ان تزولا
ولو زالت لزال الخير عنهم * ولاقوا بعدها ذلا ذليلا
وكانوا كاليهود وكالنصارى * سواء كلهم ضلوا السبيلا

وبلغ طلحة والزبير ما لقي علي وأم حبيبة فلزموا بيوتهم وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات فاشرف عثمان على الناس فاستدعى ابن عباس فأمره ان يحج بالناس وكان ممن لزم الباب فقال جهاد هؤلاء احب الي من الحج فاقسم عليه فانطلق قال عبد الله بن عباس بن ابي ربيعة دخلت على عثمان فأخذ بيدي فاسمعني كلام من على بابه فمنهم من يقول ما تنتظرون به ومنهم من يقول انظروا عسى ان يراجع قال فبينما نحن واقفون اذ مر طلحة فقال أين ابن عديس فقام اليه فناجاه ثم رجع ابن عديس فقال لاصحابه لا تتركوا أحدا يدخل على عثمان ولا يخرج من عنده فقال لي عثمان هذا ما أمر به طلحة اللهم اكفني طلحة فانه حمل على هؤلاء وألبهم علي والله اني لارجو ان يكون منها صفرا وان يسفك دمه قال فأردت ان أخرج فمنعوني حتى امرهم محمد بن ابي بكر فتركوني اخرج وقيل ان الزبير خرج من المدينة قبل ان يقتل عثمان وقيل ادرك قتله ولما رأى المصريون ان اهل الموسم يريدون قصدهم وان يجمعوا ذلك الى حجهم مع ما بلغهم من مسير اهل الامصار قالوا لا يخرجنا من هذا الامر الذي وقعنا فيه الا قتل هذا الرجل فيشتغل الناس عنا بذلك فراموا الباب فمنعهم الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء الصحابة واجتلدوا فزجرهم عثمان وقال انتم في حل من نصرتي فأبوا ففتح الباب لمنعهم فلما خرج ورآه المصريون رجعوا فركبهم هؤلاء واقسم عثمان على أصحابه ليدخلن فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين فقام رجل من أسلم يقال له نيار بن عياض وكان من الصحابة فنادى عثمان فبينما هو يناشده أن يعتزلهم اذ رماه كثير بن الصلت الكندي بسهم فقتله فقالوا لعثمان عند ذلك ادفع الينا قاتله لنقتله به قال لم أكن لاقتل رجلا نصرني وانتم تريدون قتلي فلما رأوا ذلك ثاروا الى الباب فلم يمنعهم احد منه والباب مغلق لا يقدرون على الدخول منه فجاؤا بنار فاحرقوه والسقيفة التي على الباب وثار أهل الدار وعثمان يصلي قد

* (الباب الحادي والعشرون في ذكر ملوك اليمن من بني المهدي الناصرين الدين القويم المحمدي) *

وكان المهدي من حمير من أهل قرية يقال لها العنبرة من نواحي زبيد وكان رجلا صالحا وأنشأ ابنه (علي ابن المهدي) على طريقة أبيه ثم حج واجتمع بالعراقيين وتضلع من معارفهم واجتمع عليه الناس واستفحل أمره حتى قصد يغازي الغارات وقطع الحروث والقوافل وحاصر زبيد وقتل فاتك بن محمد آخر ملوك بني نجاح بعد حروب كثيرة واستقر في دار الملك يوم الجمعة رابع شهر رجب سنة اربع وخمسين وخمسمائة وبقي ابن المهدي في الملك شهرين واحدا وعشرين يوما ومات ثم ملك بعده ولده (مهدي بن علي بن مهدي) ثم ملك بعده ولده (عبد النبي) ثم خرجت المملكة عن عبد النبي الى أخيه (عبد الله) ثم عادت الى عبد النبي المذكور واستقر في ملك اليمن الى ان سار توران شاه بن أيوب من مصر في سنة تسع وستين وخمسمائة ففتح اليمن واسر عبد النبي واستولى على مدائن عظيمة لعبد النبي وعبد النبي آخر من ملك اليمن

افتتح طه فما شغله ما سمع ما يخطئ وما يتتعتع حتى أتى عليها فلما فرغ جلس الى المصحف يقرأ فيه وقرأ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فقال لمن عنده بالدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى عهدا فانا صابر عليه ولم يحرقوا الباب الا وهم يطلبون ما هو أعظم منه فأخرج على رجل ان يستقتل او يقاتل وقال للحسن ان أباك الآن لفي امر عظيم من امرك فاقسمت عليك لما خرجت اليه فتقدموا فقاتلوا ولم يسمعوا قوله فبرز المغيرة بن الاخنس بن شريق وكان قد تعجل من الحج في عصابة لينصروا عثمان وهو معه في الدار وارتجز يقول

قد علمت ذات القرون الميل * والحلي والانامل الطفول
لتصدقن بيعتي خليلي * بصارم ذي رونق مصقول
* لا أستقيل اذ أقلت قيلي *

وخرج الحسن بن علي وهو يقول

لادينهم ديني ولا أنا منهم * حتى اسير الى طمار شمام

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول

انا ابن من حامى عليه بأحد * ورد احزابا على رغم معد

وخرج سعيد بن العاص وهو يقول

صبرنا غداة الدار والموت واقف * بأسيافنا دون ابن أروى نضارب
وكنا غداة الروع في الدار نصرة * نشافههم بالضرب والموت ثائب

وكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير فكان يحدث عن عثمان باخر ما كان عليه وأقبل أبو هريرة والناس محجمون فقال هذا يوم طاب فيه الضرب ونادى ياقوم مالي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار وبرز مروان وهو يقول

قد علمت ذات القرون الميل * والكف والانامل الطفول
اني أروع أول الرعيل * بغارة مثل القطا الشليل

فبرز اليه رجل من بني ليث يدعى البباع فضرب به مروان وضربه مروان على رقبته فاثبته وقطع احد علباويه فعاش مروان بعد ذلك اوقص وقام اليه عبيد بن رفاعة الزرقي ليذفف عليه فقامت فاطمة ام ابراهيم بن عدي وكانت ارضعت مروان وارضعت له فقالت ان كنت تريد قتله فقد قتل وان كنت تريد ان تلعب بلحمه فهذا قبيح فتركه وادخلته بيتها فعرف لها بنوه ذلك واستعملوا ابنها ابراهيم بعد ونزل الى المغيرة بن الاخنس بن شريق رجل فقتل المغيرة قال فلما سمع الناس يذكرونه قال انا لله وانا اليه راجعون فقال له عبد الرحمن بن عديس مالك فقال رأيت فيما يرى النائم هاتفا يهتف فقال بشر قاتل المغيرة بن الاخنس بالنار فابتليت به واقتحم الناس الدار من الدور التي حولها ودخلوها من دار عمرو بن حزم الى دار عثمان حتى ملؤها ولا يشعر من بالباب وغلب الناس على عثمان وندبوا رجلا يقتله فانتدب له رجل فدخل عليه البيت فقال اخلعها وندعك فقال ويحك والله ما كشفت امرأة في جاهلية ولا اسلام ولا تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يميني على عورتي منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولست

خالعا

من بني حمير وكان مذهبهم التكفير بالمعاصي وكان من دأبهم قتل من خالف اعتقادهم من اهل القبلة واستباحة وطء سباياهم واسترقاق ذراريهم

● (الباب الثاني والعشرون في ذكر ملوك اليمن من أولاد الرسول وأبناء فاطمة الزهراء البتول) ●

اولهم الامام المهدي لدين الله الشريف (احمد بن يحيى بن رسول) ثم ولده النجيب السيد الجليل المدعو بالخليفة والامام أمير المؤمنين (شرف الدين يحيى) بن شمس الدين المهدي لدين الله وكان جد شرف الدين من علماء الزيدية وهو مصنف كتاب الاحكام في اصول الزيدية وكان شرف الدين هذا يدعي الاجتهاد و يقول تقليد الحي خير من تقليد الميت وكانت عامة بلاد اليمن في يده الى ان ذهب من بلاد الروم او يس باشا في شهر شعبان سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وانتزع زبيد وظفار وغيرهما من يده بعد مقاتلة عديدة ثم استولى على مدينة تعز واستمر في أمورها وبذلك تزلزل أمر الشريف وعصى كل عامل له في ناحيته ثم وقع الوحشة بينه و بين ولده الكبير الشريف (مطهر)

خالعا قميصا كسانيه الله تعالى حتى يكرم الله أهل السعادة ويهين أهل الشقاوة فخرج عنه فقالوا ما صنعت فقال والله لا ينجيهم من الناس الا قتله ولا يحل لهم قتله فادخلوا عليه رجلا من بني ليث فقال له لست بصاحبي لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لك ان تحفظ يوم كذا وكذا ولن تضيع فرجع عنه وفارق القوم ودخل عليه رجل من قريش فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لك يوم كذا وكذا فلن تقارف دما حراما فرجع وفارق أصحابه وجاء عبد الله بن سلام ينهاهم عن قتله فقال يا قوم لا تسلوا سيف الله فيكم فوالله ان سللتموه لا تغمدوه ويلكم ان سلطانكم اليوم يقوم بالدرة فان قتلتموه لا يقوم الا بالسيف ويلكم ان مدينتكم محفوفة بالملائكة فان قتلتموه لتتركنها فقالوا يا ابن اليهودية ما أنت وهذا فرجع عنهم وكان آخر من دخل عليه ممن رجع محمد بن ابي بكر فقال له عثمان ويلك اعلى الله تغضب هل لي اليك جرم الا حقه اخذته منك فأخذ محمد لحيته وقال قد أخزاك الله يا نعثل فقال لست بنعثل ولكني عثمان وأمير المؤمنين وكانوا يلقبون به عثمان فقال محمد ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان فقال عثمان يا ابن اخي فما كان ابوك ليقبض عليها فقال محمد لو رآك ابي تعمل هذه الاعمال انكرها عليك والذي اريد بك اشد من قبضي عليها فقال عثمان استنصر الله عليك واستعين به فتركه وخرج وقيل بل طعن جبينه بمشقص كان في يده والاول اصح قال فلما خرج محمد وعرفوا انكساره ثار قتيرة وسودان بن حمران والغافقي فضربه الغافقي بحديدة معه وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف واستقر بين يديه وسالت عليه الدماء وجاء سودان ليضربه فاكبت عليه امرأته واتقت السيف بيدها فنفح أصابعها فاطن أصابع يدها وولت فغمز أوراكها وقال انها لكبيرة العجز وضرب عثمان فقتله وقيل الذي قتله كنانة بن بشر التجيبي وكان عثمان رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يقول له انك تفطر الليلة عندنا فلما قتل سقط من دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله ودخل غلمة لعثمان مع القوم لينصروه وكان عثمان قد اعتق من كف يده منهم فلما ضرب سودان ضرب بعض الغلمان رقبة سودان فقتله ووثب قتيرة على الغلام فقتله وانتهبوا ما في البيت وخرجوا ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى فلما خرجوا وثب غلام لعثمان على قتيرة فقتله وثار القوم فأخذوا ما وجدوا حتى اخذوا ما على النساء واخذ كلثوم التجيبي ملاءة من على نائلة فضربه غلام لعثمان فقتله وتنادوا ادركوا بيت المال ولا تسبقوا اليه فسمع اصحاب بيت المال كلامهم وليس فيه الا غرارتان فقالوا النجاة فان القوم انما يحاولون الدنيا فهربوا وأتوا بيت المال فانتهبوه وماج الناس وقيل انهم ندموا على قتله واما عمرو بن الحمق فوثب على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات قال فاما ثلاث منها فاني طعنتهن اياه لله تعالى واما ست فلما كان في صدري عليه وأرادوا قطع رأسه فوقعت نائلة عليه وأم البنين فصحن وضربن الوجوه فقال ابن عديس اتركوه وأقبل عمير بن ضابئ فوثب عليه فكسر ضلعا من اضلاعه وقال سجنت ابي حتى مات في السجن وكان قتله لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة الا اثني عشر يوما وقيل الا ثمانية ايام وقيل بل كان قتله سنة ست وثلاثين لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين وقيل بل قتل أيام التشريق وكان عمره اثنتين وثمانين سنة وقيل ثمانيا وثمانين سنة وقيل تسعين سنة وقيل

واستبد بالامر وتوفي والده الامام في جمادى الآخرة سنة أربع وستين وتسعمائة ودفن بالجلة وفي أيام الشريف مطهر عظم امر الاروام بالديار اليمنية وفي هذه السنة سار ازدمر باشا الى صنعاء اليمن وبها الشريف صلاح الدين ابن الامام من قبل مطهر فغلب عليه واستولى على صنعاء فأباحها ثلاثة أيام قتلا ونهبا ثم اقتتل هو والشريف مطهر في قاع صنعاء قتالا شديدا انتصر فيه ازدمر باشا واستولى على خزائن الشريف ثم امتدت الحروب والفتن الى سنة ثمان وستين وتسعمائة وفيها وصل من الروم مصطفى باشا المشهور بالنشاري ومعه كتاب من السلطان سليمان مضمونه هذا مثالنا الشريف السامي السلطاني وخطابنا المنيف العالي الخاقاني لا زال نافذا بالعون الصمداني واليمن الرباني الى الامير الكبير الحسيني النسيب فرع الشجرة الزكية الطاهرة وطراز العصابة العلوية الفاخرة الشريف مطهر بن شرف الدين نخصه بسلام أتم وثناء أعم نبدي بعلمه الكريم أنه لا يزال يتصل بمسامعنا الشريفة

خمسا وسبعين سنة وقيل ستا وثمانين سنة

ذكر الموضع الذى دفن فيه ومن صلى عليه

قيل بقى عثمان ثلاثة أيام لا يدفن ثم ان حكيم بن حزام القرشى وجبير بن مطعم كلما عليا فى ان يأذن فى دفنه ففعل فلما سمع من قصده بذلك قعدوا له فى الطريق بالحجارة وخرج به ناس يسير من أهله وغيرهم وفيهم الزبير والحسن وابو جهم بن حذيفة ومروان بين المغرب والعشاء فاتوا به حائطا من حيطان المدينة يسمى حش كوكب وهو خارج البقيع فصلى عليه جبير بن مطعم وقيل حكيم ابن حزام وقيل مروان وجاء ناس من الانصار ليمنعوا من الصلاة عليه ثم تركوهم خوفا من الفتنة وأرسل على الى من اراد ان يرجم سريره ممن جلس على الطريق لما سمع بهم فمنعهم عنه ودفن فى حش كوكب فلما ظهر معاوية بن ابى سفيان على الناس أمر بذلك الحائط فهدم وأدخل فى البقيع وامر الناس فدفنوا أمواتهم حول قبره حتى اتصل الدفن بمقابر المسلمين وقيل انما دفن بالبقيع مما يلى حش كوكب وقيل شهد جنازته على وطلحة وزيد بن ثابت وكعب بن مالك وعامة من ثم من أصحابه قال وقيل لم يغسل وكفن فى ثيابه

ذكر بعض سيرة عثمان

قال الحسن البصرى دخلت المسجد فاذا أنا بعثمان متكئا على ردائه فأتاه سقاآن يختصمان اليه فقضى بينهما وقال الشعبى لم يمت عمر بن الخطاب حتى ملته قريش وقد كان حصرهم بالمدينة وقال أخوف ما أخاف على هذه الامة انتشاركم فى البلاد فان جاء الرجل منهم ليستأذنه فى الغزو فيقول قد كان لك فى غزوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبلغك وخير لك من غزوك اليوم ان لا ترى الدنيا ولا تراك وكان يفعل هذا بالمهاجرين من قريش ولم يكن يفعله بغيرهم من اهل مكة فلما ولى عثمان خلى عنهم فانتشروا فى البلاد وانقطع اليهم الناس وكان أحب اليهم من عمر قيل وحج عثمان بالناس سنوات خلافته كلها وحج بأزواج النبى صلى الله عليه وسلم كما كان يصنع عمر وكتب الى الامصار ان يوافيه العمال فى الموسم ومن يشكوهم وان يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وانه مع الضعيف على القوى مادام مظلوما وقيل كان اول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا طيران الحمام والرمى على الجلاهقات وهى قوس البندق واستعمل عليها عثمان رجلا من بنى ليث سنة ثمان من خلافته فقص الطيور وكسر الجلاهقات قيل وسأل رجل سعيد ابن المسيب عن محمد بن أبى حذيفة مادعاه الى الخروج على عثمان فقال كان يتيما فى حجر عثمان وكان والى ايتام أهل بيته ومحتملا كلهم فسأل عثمان العمل فقال يابنى لو كنت رضا لاستعملتك قال فاذن لى فاخرج فاطلب الرزق قال اذهب حيث شئت وجهزه من عنده وحمله واعطاه فلما وقع الى مصر كان فيمن اعان عليه حيث منعه الامارة قيل وعمار بن ياسر كان بينه وبين عباس ابن عتبة بن ابى لهب كلام فضربهما عثمان فأورث ذلك تعاديا بين اهل عمار وأهل عباس وكانا تقاذفا قيل وسئل سالم بن عبد الله عن محمد بن أبى بكر مادعاه الى ركوب عثمان قال الغضب والطمع كان من الاسلام بمكان فغره اقوام فطمع وكانت له دالة فلزمه حق فأخذه عثمان من ظهره فاجتمع هذا الى ذلك فصار مذمما بعد ان كان محمدا قيل واستخف رجل بالعباس بن عبد المطلب فضربه عثمان فاستحسن منه ذلك وقال أيفخم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه وأرخص

اخلاصه لدينا وانقياده الى جنابنا وبلغنا الآن عنه خلاف ذلك وتغيير ما كان بنابه فى السابق وانه وقع بينه وبين امرائنا وعساكرنا تلك البلاد خلاف كثير ووقائع متناقضة عم ضررها المأمور والامير وهذا عين الخطا المحض المرتب عليه ذهاب الارواح لمن عقل وفهم ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم امانة لان عساكرنا المنصورة لا يعجزهم صغير ولا كبير ولا جليل ولا حقير ولما أخبرنا القمنا شرذمة من عساكرنا المنصورة قليلين نحو مائة ألف أو يزيدون وأردنا ان نلحق الجيش بالجيش حتى تصل عساكرنا المنصورة أولهم فى البلاد اليمنية وآخرهم فى مملكتنا المحمية ولكن غلب حلمنا عليه لكونه سلالة سيد المرسلين ومن آل بيت النبوة الطاهرين ولازم على ناموس سلطنتنا الشريفة قبل اتساع الخرق عليه ان نعرفه بمقتضى الامور وقد اقتضت أوامرنا الشريفة تعيين افتخار الامراء الكرام المختص بمزيد عناية الملك العلام مصطفى باشا بكلربكى زبيد سابقا دامت معدلته باشا على العساكر

فى الاستخفاف به لقد خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك ورضى به قيل وكان كعب بن ذى الحبكة النهدى يلعب بالنارنجيات فبلغ عثمان فكتب الى الوليد ان يوجعه ضربا فعزره واخبر الناس خبره وقرأ عليهم كتاب عثمان وفيه انه قد جد بكم فجدوا واياكم والهزل فغضب كعب وكان فى الذين خرجوا عليه وكان سيره الى دنباوند فقال فى ذلك للوليد

لعمرى لئن طردتنى ما الى التى * طمعت بها من سقطتى سبيل

رجوت رجوعى يا ابن أروى ورجعتى * الى الحق دهرا غال ذلك غول

فان اغترابى فى البلاد وجفوتى * وشتمى فى ذات الاله قليل

وان دعائى كل يوم وليلة * عليك بدنباوندكم لطويل

قال وأما ضابئ بن الحرث البرجمى فانه استعار فى زمن الوليد بن عقبة من قوم من الانصار كلبا يدعى قرحان يصيد الظباء فحبسه عنهم فانتزعه الانصاريون منهم قهرا فهجاهم وقال

تجشم دونى وفد قرحان خطة * تضل لها الوجناء وهى حسير

فباتوا شباعا ناعمين كانما * حباهم ببيت المرزبان امير

فكلبكم لا تتركوا فهو أمكم * فان عقوق الامهات كبير

فاستعدوا عليه عثمان فعزره وحبسه فما زال فى السجن حتى مات فيه وقال فى الفتك معتذرا الى أصحابه

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

وقائلة قد مات فى السجن ضابئ * الا من لخصم لم يجد من يحاوله

فلذلك صار ابنه عمير سبئيا قال وأما كميل بن زياد وعمير بن ضابئ فانهما سارا الى المدينة لقتل عثمان فاما عمير فانه نكل عنه واما كميل فانه جسر وثاوره فوجأ عثمان وجهه فوقع على استه فقال أوجعتنى يا أمير المؤمنين قال أولست بفاتك قال لا والله فقال عثمان فاستقدمنى وقال دونك فعفا عنه وبقيا الى أيام الحجاج فقتلهما وسيرد ذكر ذلك ان شاء الله تعالى قيل وكان لعثمان على طلحة بن عبيد الله خمسون ألفا فقال له يوما قد تهيأ مالك فاقبضه قال هو لك معونة على مروءتك قيل فلما حصر عثمان قال على لطلحة أنشدك الله الا رددت الناس عن عثمان قال لا والله حتى تعطيني بنو أمية الحق من أنفسها وكان عثمان يلقب ذا النورين لانه جمع بين ابنتى النبى صلى الله عليه وسلم قال الاصمعى استعمل عبد الله بن عامر قطن بن عبد عوف على كرمان فاقبل جيش للمسلمين فمنعهم سيل فى واد من العبور وخشى قطن الفوت فقال من عبر له ألف درهم فحملوا انفسهم وعبروا وكانوا أربعة آلاف فاعطاهم أربعة آلاف ألف درهم فأبى ابن عامر ان يجرى ذلك له وكتب الى عثمان فكتب عثمان أن احسبها له فانه انما اعان بها فى سبيل الله فلذلك سميت الجوائز لاجازة الوادى وقال حسان بن زيد سمعت عليا وهو يخطب الناس ويقول بأعلى صوته يا أيها الناس انكم تكثرون فى وفى عثمان فان مثلى ومثله كما قال الله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وقال ابو حميد الساعدى وهو بدرى وكان مجانبا لعثمان فلما قتل عثمان قال والله ما أردنا قتله اللهم لك على أن لا أفعل كذا وكذا ولا أضحك حتى القاك

(ذكر نسبه وصفته وكنيته)

المنصورة وصحبته ثلاثة آلاف من جنودنا المنصورة معونة لامير الامراء الكرام المختص بمزيد عناية الملك العلام ازدمر باشا دامت معدلته فحال وصول ركاب مصطفى باشا المشار اليه الى تلك الديار تقابله بقلب منشرح وصدر منفسح وتمشى تحت صناجقنا الشريفة وتكون مع عساكرنا المنصورة على قلب رجل واحد فان فعلت فأنت من الفائزين ولا تخف ولا تحزن انك من الآمنين وان حصل والعياذ بالله خلاف ذلك واستمر على الضلال والعناد فيصير دنبه فى رقبته ويهلك نفسه ويدخل فى قول اصدق القائلين يخربون بيوتهم بأيديهم وايدى المؤمنين ويصير بعد الوجود الى العدم ويندم حيث لا ينفعه الندم وقد حذرناه رأفة به وتحننا عليه فان خالف أتيناه بجنود لا قبل له بها وأخرجناه منها ذليلا لا ملجأ له من سلطاننا الا اليه ومثله لا يدل الا على صواب (صورة كتاب المطهر) نور الله شموس الاسلام واطلعها ونجرعين معين الشريعة النبوية وأنبعها وفتح أكمام السعادة الابدية واينعها ولا لا

أما نسبه فهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وامه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف وامها ام حكيم بنت عبد المطلب واما صفته فانه كان رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير حسن الوجه رقيق البشرة بوجهه أثر جدري كبير اللحية عظيمها أسمر اللون أصلع عظيم الكراديس عظيم ما بين المنكبين يصفر لحيته وقيل كان كثير شعر الرأس أروح الرجلين واما كنيته فانه كان يكنى ابا عبد الله بولد جاءه من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه عبد الله توفي وعمره ست سنين نقره ديك في عينه فمرض فمات في جمادى الاولى سنة أربع من الهجرة وقيل كان يكنى أبا عمرو

(ذكر وقت اسلامه وهجرته)

قيل كان اسلامه قديما قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم وكان ممن هاجر الى الحبشة الهجرة الاولى والثانية ومعه فيهما امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ذكر أزواجه وأولاده)

تزوج رقية وام كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له رقية عبد الله وتزوج فاختة بنت غزوان فولدت له عبد الله الاصغر هلك وتزوج ام عمرو بنت جندب بن عمرو بن حممة الدوسية ولدت له عمرا وخالدا وابانا وعمر ومريم وتزوج فاطمة بنت الوليد بن المغيرة المخزومية ولدت له الوليد وسعيدا وأم سعيد وتزوج ام البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية ولدت له عبد الملك هلك وتزوج رملة بنت شيبة بن ربيعة ولدت له عائشة وام أبان وأم عمرو وتزوج نائلة بنت الفرافصة الكلبية ولدت له مريم بنت عثمان وقيل ولدت له ام البنين بنت عيينة عبد الملك وعتبة وولدت له نائلة عنبسة وكان له منها ايضا ابنة تدعى ام البنين وكانت عند عبد الله بن يزيد ابن أبي سفيان وقتل عثمان وعنده رملة ابنة شيبة ونائلة وام البنين ابنة عيينة وفاختة بنت غزوان غير أنه طلق أم البنين وهو محصور فهؤلاء أزواجه في الجاهلية والاسلام وأولاده

(ذكر أسماء عماله في هذه السنة)

كان عماله في هذه السنة على مكة عبد الله بن الحضرمي وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي وعلى صنعاء يعلى بن منية وعلى الجند عبد الله بن ربيعة وعلى البصرة عبد الله بن عامر خرج منها ولم يول عثمان عليها أحدا وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان وعامل معاوية على حمص عبد الرحمن بن خالد وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة الفهري وعلى الاردن ابو الاعور السلمي وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكناني وعلى البحر عبد الله بن قيس الفزاري وعلى القضاء أبو الدرداء في قول بعضهم والصحيح انه كان قد توفي قبل أن قتل عثمان وكان عامل عثمان على الكوفة أبو موسى على الصلاة وعلى خراج السواد جابر بن فلان المزني وهو صاحب المسناة الى جانب الكوفة وسماك الانصاري وعلى حربها القعقاع بن عمرو وعلى قرقيسيا جرير بن عبد الله وعلى اذربيجان الاشعث بن قيس الكندي وعلى حلوان عتيبة بن النهاس وعلى ماه مالك بن حبيب وعلى همذان النسير وعلى الري سعيد بن قيس وعلى اصبهان السائب بن الاقرع وعلى ماسبذان حبيش وعلى بيت المال عقبة بن عامر وكان على قضاء عثمان زيد بن ثابت (عتيبة بن النهاس بالتاء فوقها نقطتان وبعدها ياء تحتها نقطتان وآخره باء موحدة وعيينة بن حصن بالياء تحتها نقطتان

كواكب الدين الحنيفي واسطعها واعلى منارات الملة البيضاء ورفعها وكسر نواجم قرون الشرك والبغي وقمعها بدوام ايام مولانا السلطان العظيم ذي الملك الباهر القاهر المستقيم القاطع بسيوف عزمه عنق كل جبار اثيم الهادي بأوامره ونواهيه الى سواء الصراط المستقيم المتسم بحماية آل الرسول وابناء فاطمة البتول الملك المظفر المنصور والهمام المؤيد المشهور السلطان سليمان ابن سليم اهدى الى مقامه الشريف نجائب ركائب التحيات والتسليم ورحمته الطيبة وبركاته الصيبة الموصلة بنعيم دار النعيم وحرس جنابه العالي من صروف الايام والليالي وبعد فانه ورد الينا من تلقائه اطال الله تعالى للمسلمين والاسلام في بقائه مرسوم سطعت أنواره وطلعت بالمسرات شموسه واقماره وعرفنا ما ذكره سلطاننا سلطان الامم ومالك رقاب العرب والعجم فالحمد لله الذي وفقنا لطاعته وأزال عنا الشكوك في مسالك مخالفته كيف وطاعتكم من طاعة الملك الخالق ومعصيتكم يظلم منها المغارب والمشارق

نقطتان وياء ثانية وآخره نون تصغير عين والنسير بالنون والسين المهملة تصغير نسر)

(ذكر الخبر عمن كان يصلي في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حين حصر عثمان)

قيل وجاء ذلك اليوم الذي منع فيه عثمان الصلاة سعد القرظ وهو المؤذن الى علي بن ابي طالب فقال من يصلي بالناس فقال ادع خالد بن زيد فدعاه فصلى بالناس فهو أول يوم عرف ان اسم أبي أيوب الانصاري خالد بن زيد فصلى أياما ثم صلى بعد ذلك بالناس وقيل بل أمر علي سهل بن حنيف فصلى بالناس من اول ذي الحجة الى يوم العيد ثم صلى علي بالناس العيد ثم صلى بهم حتى قتل عثمان وقد تقدم غير ذلك في ذكر قتله

(ذكر ما قيل فيه من الشعر)

قال حسان بن ثابت الانصاري

أتركتم غزو الدروب وراءكم * وغزوتمونا عند قبر محمد
فلبئس هدي المسلمين هديتم * ولبئس أمر الفاجر المتعمد
ان تقدموا نجعل قرى سرواتكم * حول المدينة كل لين مذود
أو تدبروا فلبئس ما سافرتم * ولمثل امر اميركم لم يرشد
وكأن أصحاب النبي عشية * بدن تذبح عند باب المسجد
ابكي أبا عمرو لحسن بلائه * امسى ضجيعا في بقيع الغرقد

وقال ايضا

ان تمس دار ابن أروى اليوم خاوية * باب صريع وباب محرق خرب
فقد يصادف باغي الخير حاجته * فيها ويهوي اليها الذكر والحسب
يا ايها الناس أبدوا ذات أنفسكم * لا يستوي الصدق عند الله والكذب
قوموا بحق مليك الناس تعترفوا * بغارة عصب من خلفها عصب
فيهم حبيب شهاب الموت يقدمهم * مستلئما قد بدا في وجهه الغضب

وقال ايضا

من سره الموت صرفا لا مزاج له * فليأت مأسدة في دار عثمانا
مستشعري حلق الماذي قد شفعت * قبل المخاطم بيض زان أبدانا
صبرا فدى لكم أمي وما ولدت * قد ينفع الصبر في المكروه احيانا
لقد رضينا بأهل الشام نافرة * وبالامير وبالاخوان اخوانا
اني لمنهم وان غابوا وان شهدوا * مادمت حيا وما سميت حسانا
لتسمعن وشيكا في ديارهم * الله أكبر يا ثارات عثمانا
ضحوا بأشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وقال أبو عمر بن عبد البر وقد ذكر بعض هذه الابيات وقد زاد فيها اهل الشام ولم ار لذكره وجها بما فيها من ذكر علي وهو

يا ليت شعري وليت الطير تخبرني * ما كان بين علي وابن عفانا

وقال الوليد بن عقبة بن ابي معيط يحرض اخاه عمارة

ونحن من مودتكم على يقين ونرجو أنكم لا تصغوا اذنا لكلام الفاسقين ولا تقطعوا حق الذرية النبي الامين وابناء علي الانزع البطين كرم الله وجهه في عليين قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى وذلك هدى الكتاب المبين وأنتم أولى برعاية ما أمر الله به ان يرعى ويقر من عين النبي الكريم عينا وسعدا والذي أشرتم اليه من لوع مخالفتنا لعساكركم المنصورة وجيوشكم القاهرة الموفورة ليس له صحة ولا ثبات ولا كان لنا الى حربهم قصد ولا التفات بل ضيقوا علينا مسالك المعيشة خلفا وأماما ورمونا بمدافع لا يرمى بها الا الذين يعبدون اصناما ولم يعلموا انا ممن أوجب الله لهم رعاية واحتراما ومن الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما فدفعنا عن أنفسنا وأولادنا ما أمكن من الدفاع ودرأنا عن محارمنا وترك الدرء عنها لا يستطاع وحين وصل وكيلكم الباشا مصطفى الى هذه الجهات اليمنية والديار التي هي بسيوف قهركم محمية بسط عدله في أهل اليمن واخمد نيران الفتن ما ظهر منها وما بطن واطلع على الحقائق وهو يعرفكم عن حالنا السابق وما نحن

الآن خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبي الذي جاء من مصر
فإن يك ظني بابن امي صادقا * عمارة لا يطلب بذحل ولا وتر
يبيت وأوتار ابن عفان عنده * مخيمة بين الخورنق والقصر

فأجابه الفضل بن العباس

أتطلب ثأرا لست منه ولا له * وأين ابن ذكوان الصفوري من عمرو
كما اتصلت بنت الحمار بأمها * وتنسى أباها اذ تسامي اولي الفخر
الا ان خير الناس بعد ثلاثة * وصي النبي المصطفى عند ذي الذكر
وأول من صلى وصنو نبيه * وأول من اردى الغواة لدى بدر
فلو رأت الانصار ظلم ابن أمكم * بزعمكم كانوا له حاضري النصر
كفى ذاك عيبا أن يشيروا بقتله * وأن يسلموه للاحابيش من مصر

قوله وأين ابن ذكوان فان الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو واسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس ويذكر جماعة من النسابين ان ذكوان مولى لأمية فتبناه وكناه ابا عمرو ويعني انك مولى لست من بني امية حتى تكون ممن يطلب بثار عثمان وقال غيرهم من الشعراء ايضا بعد مقتله فمن بين مادح وهاج ومن ناع وباك ومن سار فرح فمن مدحه حسان كما تقدم وكعب بن مالك في آخرين غيرهم كذلك

﴿ ذكر بيعة امير المؤمنين علي بن ابي طالب ﴾

وفي هذه السنة بويع امير المؤمنين علي بن ابي طالب وقد اختلفوا في كيفية بيعته فقيل انه لما قتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار وفيهم طلحة والزبير فأتوا عليا فقالوا له انه لا بد للناس من امام قال لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به فقالوا ما نختار غيرك وترددوا اليه مرارا وقالوا له في آخر ذلك انا لا نعلم أحدا أحق به منك لا أقدم سابقة ولا اقرب قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعلوا فاني اكون وزيرا خير من ان أكون أميرا فقالوا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك قال ففي المسجد فان بيعتي لا تكون خفية ولا تكون الا في المسجد وكان في بيته وقيل في حائط لبني عمرو بن مبذول فخرج الى المسجد وعليه ازار وطاق وعمامة خز ونعلاه في يده متوكئا على قوس فبايعه الناس وكان اول من بايعه من الناس طلحة بن عبيد الله فنظر اليه حبيب بن ذؤيب فقال انا لله أول من بدأ بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الامر وبايعه الزبير وقال لهما علي ان احببتما أن تبايعاني وان أحببتما بايعتكما فقالا بل نبايعك وقالا بعد ذلك انما فعلنا ذلك خشية على نفوسنا وعرفنا انه لا يبايعنا وهربا الى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر وبايعه الناس وجاؤا بسعد بن ابي وقاص فقال علي بايع فقال لا حتى يبايع الناس والله ما عليك مني بأس فقال خلوا سبيله وجاؤا بابن عمر فقالوا بايع قال لا حتى يبايع الناس قال ائتني بكفيل قال لا ارى كفيلا قال الاشتر دعني اضرب عنقه قال علي دعوه انا كفيله انك ما علمت لسيئ الخلق صغيرا وكبيرا وبايعت الانصار الا نفرا يسيرا منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وابو سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة وكانوا

عليه من حسن المساعي والطرائق ولعمري انه اجل عظيم وذو شأن فخيم فالله تعالى يجعل سعيه مشكورا ويدفع بعنايته عن الانام والاسلام شرورا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ان الباشا مصطفى والباشا ازدمر صعدا الى صنعاء وحشدا عسكرا كثيرا فحاصرا الشريف في حصن ثلا مدة طويلة فلم يغنيا شيأ وقيل دخلا بعد ان استأمنا على أنفسهما فوقع بينهما المهادنة والمسالمة ثم نزلا وفي سنة اثنتين وستين وتسعمائة وقع القحط العظيم باليمن حتى اكل الناس الشجر والعشب ومات أكثرهم جوعا ومات من اهل الجبال بمدينة اب نحو خمسة آلاف نفر ومن أهل المدينة نحو أربعة آلاف نفر وكان سبب ذلك حدوث الجراد بها وطول مكثه حتى أكل الاشجار والنبات ثم دخل على الناس في بيوتهم فخاف الناس منه خوفا عظيما وفي سنة خمس وستين وتسعمائة وقع باليمن طاعون عظيم أهلك من أهلها خلقا كثيرا وكانت الامطار والخصب كثيرا وفي عام أربعة وسبعين وتسعمائة عزل نائب صنعاء الباشا رضوان وعين مكانه مراد باشا فقبل ان يصل

عثمانية فاما حسان فكان شاعرا لا يبالى ما يصنع وأما زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان وبيت المال فلما حصر عثمان قال يا معشر الانصار كونوا انصار الله مرتين فقال له ابو ايوب ما تنصره الا لانه أكثر لك من العبدان وأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مزينة وترك له ما أخذ منهم ولم يبايعه عبد الله بن سلام وصهيب بن سنان وسلمة بن سلامة بن وقش وأسامة بن زيد وقدامة بن مظعون والمغيرة بن شعبة فاما النعمان بن بشير فانه أخذ أصابع نائلة امرأة عثمان التى قطعت وقميص عثمان الذى قتل فيه وهرب به فلحق بالشام فكان معاوية يعلق قميص عثمان وفيه الاصابع فاذا رأى ذلك أهل الشام ازداد واغيظا وجدا فى أمرهم ثم رفعه فاذا احس منهم بفتور يقول له عمرو بن العاص حرك لها حوارها تحن فيعلقها وقد قيل ان طلحة والزبير انما بايعا عليا كرها وقيل لم يبايعه الزبير ولا صهيب ولا سلمة بن سلامة بن وقش وأسامة بن زيد فأما على قول من قال ان طلحة والزبير بايعا كرها فقال ان عثمان لما قتل بقيت المدينة خمسة ايام وأميرها الغافقى بن حرب يلتمسون من يجيبهم الى القيام بالامر فلا يجدونه ووجدوا طلحة فى حائط له ووجدوا سعدا والزبير قد خرجا من المدينة ووجدوا بنى امية قد هربوا الا من لم يطق الهرب وهرب سعيد والوليد ومروان الى مكة وتبعهم غيرهم فأتى المصريون عليا فباعدهم وأتى الكوفيون الزبير فباعدهم وأتى البصريون طلحة فباعدهم وكانوا مجتمعين على قتل عثمان مختلفين فيمن يلى الخلافة فارسلوا الى سعد يطلبونه فقال انى وابن عمر لا حاجة لنا فيها فأتوا ابن عمر فلم يجبهم فبقوا حيارى قال بعضهم لبعض ائن رجع الناس الى امصارهم بغير امام لم نأمن الاختلاف وفساد الامة فجمعوا أهل المدينة فقالوا لهم يا أهل المدينة انتم اهل الشورى وأنتم تعقدون الامامة وحكمكم جائز على الامة فانظروا رجلا تنصبونه ونحن لكم تبع وقد أجلنا كم يومكم فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غدا عليا وطلحة والزبير وناسا كثيرا فغشى الناس عليا فقالوا نبايعك فقد ترى ما نزل بالاسلام وما ابتلينا به من بين القرى فقال على دعونى والتمسوا غيرى فانا مستقبلون أمرا له وجوه وله ألوان لا تقوم به القلوب ولا تثبت عليه العقول فقالوا ننشدك الله الا ترى ما نحن فيه الا ترى الاسلام الا ترى الفتنة الا تخاف الله فقال قد اجبتكم واعلموا انى ان أجبتكم ركبت بكم ما أعلم وان تركتمونى فانما أنا كاحدكم الا انى من أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا ان دخل طلحة والزبير فقد استقامت فبعث البصريون الى الزبير حكيم بن جبلة وقالوا احذر لا تحابه ومعه نفر فجاؤا به يحدونه بالسيف فبايع وبعثوا الى طلحة الاشتر ومعه نفر فأتى طلحة فقال دعنى انظر ما يصنع الناس فلم يدعه فجاء به يتله تلا عنيفا وصعد المنبر فبايع وكان الزبير يقول جاءنى لص من لصوص عبد القيس فبايعت والسيف على عنقى وأهل مصر فرحون فلما اجتمع عليه أهل المدينة وقد خشع أهل الكوفة والبصرة ان كانوا اتباعا لاهل مصر وازدادوا بذلك على طلحة والزبير غيظا ولما أصبحوا يوم البيعة وهو يوم الجمعة حضر الناس المسجد وجاء على فصعد المنبر وقال ايها الناس عن ملا واذن ان هذا أمركم ليس لاحد فيه حق الا من أمرتم وقد افترقنا بالامس على أمر وكنت كارها لامركم فأبيتم الا ان أكون عليكم الا وانه ليس لى دونكم الا مفاتيح مالكم معى وليس لى ان آخذ درهما دونكم فان شئتم قعدت لكم والا فلا آخذ على

مراد باشا اقام رضوان باشا مكانه نائبا باليمن أميرا يقال له فزل باش محمد بيك وارتحل هو الى الباب العالى فاغتنم الفرصة الشريف فقام واستولى على صنعاء ونواحيها وقاتل الاروام قتالا شديدا حتى أفناهم وكان الباشا مراد قد وصل اذ ذاك الى زبيد فرأى ان يسير الى تعز خوفا عليها وعلى ما فيها من الخزائن السلطانية فلما كان بوادى حنان استقبلهم العرب وهم فى عدد لا يعلمهم الا الله تعالى وكان عدد الاروام ثلاثة آلاف نفر فوقع القتال بين الفريقين حتى انتصر العرب وهزموا الاروام وأفنوهم قتلا وأسرا ثم ساروا وغلبوا على عامة بلاد اليمن حتى لم يبق بيد الاروام الا زبيد ثم حاصروا زبيد مدة أربعين يوما الى ان وصل من باب السلطان عثمان باشا ابن ازدمر فى جمادى الاولى سنة ست وسبعين وتسعمائة فدخل زبيد وأصلح شأنها ثم سار منها بعد أن مكث بها مدة اشهر بالعسكر فحاصر تعز وبها على بن سوغان نائب الشريف الى ان انتصر عليه وانتزع البلدة من يده ثم قدم محمد بن شمس الدين قائد الشريف بعسكر كثير فحاصر عثمان باشا بتعز فى

أحد فقالوا نحن على ما فارقنا عليه بالامس فقال اللهم اشهد ولما جاؤا بطلحة ليبايع فقال
انما ابايع كرها فبايع وكان به شلل فقال رجل يعتاف انا لله وانا اليه راجعون أول يد بايعت يد
شلاء لا يتم هذا الامر ثم جيء بالزبير فقال مثل ذلك وبايع وفي الزبير اختلاف ثم جيء بعده
بقوم كانوا قد تخلفوا فقالوا نبايع على اقامة كتاب الله في القريب والبعيد والعزيز والذليل
فبايعهم ثم قام العامة فبايعوا وصار الامر امر أهل المدينة وكانهم كما كانوا فيه وتفرقوا الى
منازلهم وبويع يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة والناس يحسبون بيعته من قبل عثمان وأول
خطبة خطبها علي حين استخلف حمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله أنزل كتابا هاديا يبين فيه الخير
والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر الفرائض الفرائض ادوها الى الله تعالى يؤدكم الى الجنة ان الله
حرم حرمات غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق
المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق لا يحل دم امرئ مسلم الا بما يجب بادروا
امر العامة وخاصة احدكم الموت فان الناس امامكم وان ما خلفكم الساعة تحدوكم تخففوا
تلحقوا فانما ينتظر بالناس أخراهم اتقوا الله عباد الله في بلاده وعباده انكم مسؤلون حتى
عن البقاع والبهائم أطيعوا الله فلا تعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشر فدعوه
واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض ولما فرغ من الخطبة وهو على المنبر قالت
السبئية

خذها اليك واحذرن اباحسن * انا نمر الامر امرار الرسن
صولة أقوام كاشداد السفن * بمشرفيات كغدران اللبن
ونطعن الملك بلين كالشطن * حتى يمرون على غير عنن

فقال علي

اني عجزت عجزة لا اعتذر * سوف أكيس بعدها واستمر
ارفع من ذيلي ما كنت أجر * واجمع الامر الشتيت المنتشر
ان لم يشاغبني العجول المنتصر * ان تتركوني والسلاح يبتدر

ورجع علي الى بيته فدخل عليه طلحة والزبير في عدد من الصحابة فقالوا يا علي انا قد اشترطنا
اقامة الحدود وان هؤلاء القوم قد اشتركوا في قتل هذا الرجل واحلوا بانفسهم فقال يا اخوتاه
اني لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكونا ولا نملكهم ها هم هؤلاء قد ثارت
معهم عبدانكم وثابت اليهم اعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤا فهل ترون موضعا
لقدرة على شيء مما تريدون قالوا لا قال فلا والله لا أرى الا رأيا ترونه ابدا الا ان يشاء الله ان
هذا الامر امر جاهلية وان لهؤلاء القوم مادة وذلك ان الشيطان لم يشرع شرعا قط فيبرح
الارض آخذيه ابدا ان الناس من هذا الامر ان حرك على امور فرقة ترى ما ترون وفرقة ترى
مالا ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق
فاهدؤا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا واشتد على قريش وحال بينهم وبين الخروج وتركها
على حالها وانما هيجه على ذلك هرب بني أمية وتفرق القوم فبعضهم يقول ما قال علي وبعضهم
يقول نقضي الذي علينا ولا نؤخره والله ان عليا لمستغن برأيه وليكونن اشد على قريش من غيره

منتصف هذا العام ثم انضم
الى عثمان باشا سنان باشا
الوزير لمعونة عثمان باشا
فقاتلوا القائد المذكور من
الضحى الى الليل حتى أجلوه
عن البلد وغنموا أسبابه ثم لم
يزل يسير الباشا سنان
بالعساكر والجنود يقاتل
العرب حتى وصل الى
القاعدة ثم الى الشوال ثم
الى حبيش ثم الى التعكر
وتعزان ثم الى زياد ثم الى
صنعاء ثم الى قيعان ثم الى
كوكبان فحاصرها مدة
سبعة أشهر ثم افتتحها ثم
وصل من السلطان بهرام
باشا وولي على البلاد اليمنية
فوصل الى تعز ثم الى القاعدة
وفيها اقدم على ابن الامام
صاحب حب في ثلاثين ألف
مقاتل وقاتل بهرام باشا
من الضحوة الى الظهر
فانتصر بهرام باشا وقتل
من العرب مائة وعشرين
نفرا ثم حاصر بهرام باشا
الامير المذكور في حصن
حب فلم يزل يعمل الحيلة في
احراق بيت البارود حتى
تم له ذلك ثم لم يلبث أن مات
الامير المذكور فاذعن أهله
بالطاعة وذلك في رجب ثم
كان لبهرام باشا المذكور
في فتح البلاد اليمنية قدم
راسخة وفي غرة رجب سنة
ثمانين وتسعمائة توفي صاحب
البلاد اليمنية الشريف

فسمع ذلك خطيبهم وذكر فضلهم وحاجته اليهم ونظره لهم وقيامه دونهم وانه ليس له من سلطانهم الا ذلك والاجر من الله عليه ونادى برئت الذمة من عبد لا يرجع الى مولاه فتذامرت السبئية والاعراب وقالوا لنا غدا مثلها ولا نستطيع نحتج فيهم بشيء وقال ايها الناس أخرجوا عنكم الاعراب فليلحقوا بمياههم فأبت السبئية واطاعهم الاعراب فدخل علي بيته ودخل عليه طلحة والزبير وعدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال دونكم ثاركم فاقتلوه فقالوا عشوا عن ذلك فقال هم والله بعد اليوم اعشى وقال

ولو ان قومي طاوعتني سراتهم * امرتهم امرا يذيخ الاعاديا

وقال طلحة دعني آتي البصرة فلا يفجؤك الا وانا في خيل وقال الزبير دعني آتي الكوفة فلا يفجؤك الا وانا في خيل فقال حتى انظر في ذلك قيل وقال ابن عباس اتيت عليا بعد قتل عثمان عند عودي من مكة فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليا به فخرج من عنده فقلت له ما قال لك هذا فقال قال لي قبل مرته هذه ان لك حق الطاعة والنصيحة وأنت بقية الناس وان الرأي اليوم تحرز به ما في غد وان الضياع اليوم يضيع به ما في غد اقرر معاوية وابن عامر وعمال عثمان على اعمالهم حتى تاتيك بيعتهم ويسكن الناس ثم اعزل من شئت فأبيت عليه ذلك وقلت لا اداهن في ديني ولا أعطي الدنية في أمري قال فان كنت أبيت علي فانزع من شئت واترك معاوية فان في معاوية جرأة وهو في أهل الشام يستمع منه ولك حجة في اثباته كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام فقلت لا والله لا استعمل معاوية يومين ثم انصرف من عندي وانا اعرف فيه انه يود اني مخطئ ثم عاد الي الآن فقال اني اشرت عليك اول مرة بالذي اشرت وخالفتني فيه ثم رأيت بعد ذلك ان تصنع الذي رأيت فتعزلهم وتستعين بمن تثق به فقد كفى الله وهم أهون شوكة مما كان قال ابن عباس فقلت لعلي اما المرة الاولى فقد نصحك وأما المرة الثانية فقد غشك قال ولم نصحني قلت لان معاوية وأصحابه أهل دنيا فمتى تثبتهم لا يبالون من ولي هذا الامر ومتى تعزلهم يقولون أخذ هذا الامر بغير شورى وهو قتل صاحبنا ويؤلبون عليك فتنتقض عليك الشام وأهل العراق مع اني لا آمن طلحة والزبير ان يكرا عليك وانا أشير عليك ان تثبت معاوية فان بايع لك فعلي ان أقلعه من منزله وقال علي والله لا أعطيه الا السيف ثم تمثل

وما ميتة ان متها غير عاجز * بعار اذا ما غالت النفس غولها

فقلت يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع لست صاحب رأي في الحرب اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة فقال بلى فقلت أما والله لئن اطعتني لاصدرنهم بعد ورد ولاتركنهم ينظرون في دبر الامور لا يعرفون ما كان وجهها في غير نقصان عليك ولا اثم لك فقال يا ابن عباس لست من هناتك ولا من هنات معاوية في شيء قال ابن عباس فقلت له اطعني والحق بمالك بينبع وأغلق بابك عليك فان العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك فانك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدا فأبى علي فقال تشير علي وارى فاذا عصيتك فأطعني قال فقلت افعل ان ايسر مالك عندي الطاعة فقال له علي تسير الى الشام فقد وليتكها فقال ابن عباس ما هذا برأي معاوية رجل من بني أمية وهو ابن عم عثمان وعامله ولست آمن ان يضرب عنقي بعثمان وان أدنى ما هو صانع ان يحبسني فيتحكم علي لقرابتي منك وان كل ما حمل

مطهر ودفن في ثلا وولي مكانه ولده (يحيى بن علي بن مطهر) والآن آل الامر الى قريبه وصهره (علي بن سريع) استمال القلوب وقاد الجيوش واستولى على صعدة فصار يحيى مغلوبا بالجور

(الباب الثالث والعشرون في ذكر ملوك الغرب من الطوائف ذوي المفاخر والمعارف)

فلما انقرضت الدولة الاموية من الغرب اقتسمها أصحاب الاطراف وصاروا امثال ملوك الطوائف فاما قرطبة فاستولى عليها (أبو الحسن علي) بن جهور الى أن مات سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وقام بأمر قرطبة بعده ابنه (الوليد محمد بن علي) ثم سار الى الامير (المعتمد بن عباد) ثم أخذها منه (ابن تاشفين) وقتل المذكور ووزيره أبا بكر بن زيدون وكانا من خيار الناس والوليد هذا هو الذي أنشأ القصيدة الفراقية المشهورة التي يقول فيها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لبعدكم أيامنا فغدت سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
بالامس كنا ولا يخشى تفرقنا

عليك حمل على ولكني اكتب الى معاوية فنهه وعده فقال لا والله لا كان هذا ابدا وكان المغيرة يقول نصحته فلما لم يقبل غششته وخرج فلحق بمكة

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة أعني سنة خمس وثلاثين سار قسطنطين بن هرقل في ألف مركب يريد أرض المسلمين قبل قتل عثمان فسلط الله عليهم ريحا عاصفا فغرقتهم ونجا قسطنطين فأتى صقلية فصنعوا له حماما فدخله فقتلوه فيه وقالوا قتلت رجالنا هكذا قال ابو جعفر وهذا قسطنطين هو الذي هزمه المسلمون في غزوة الصواري سنة احدى وثلاثين وقتله أهل صقلية في الحمام وان كانوا قد اختلفوا في السنة التي كانت الوقعة فيها فلولا قوله ان المراكب غرقت لكانت هذه الحادثة هي تلك فانها في قول بعضهم كانت سنة خمس وثلاثين * وفي خلافة عثمان مات أوس بن خولي الانصاري وفي خلافة عثمان أيضا مات الجلاس بن سويد الانصاري وكان من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسنت توبته وفيها مات الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وهو الملقب ببة وفي آخرها مات الحكم بن أبي العاص وهو والد مروان وعم عثمان * وفيها مات حبان بن منقذ الانصاري وهو والد يحيى بن حبان (بفتح الحاء المهملة وبالباء الموحدة) وفيها مات عبد الله بن قيس بن خالد الانصاري وقيل بل قتل بأحد شهيدا وفي خلافته مات قطبة بن عامر الانصاري وهو عقبي بدري وفي خلافته مات زيد بن خارجة بن زيد الانصاري وهو الذي تكلم بعد موته وفيها قتل معبد بن العباس بن عبد المطلب بافريقية في آخر خلافة عثمان * وفيها مات معيقيب بن أبي فاطمة وكان من مهاجرة الحبشة وكان على خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بل مات سنة أربعين في خلافة علي وفيها مات مطيع بن الاسود العدوي وكان اسلامه يوم الفتح * وفي خلافته مات نعيم بن مسعود الاشجعي وقيل بل قتل في وقعة الجمل مع مجاشع بن مسعود وفي خلافته مات عبد الله بن حذافة السهمي وهو بدري وكان فيه دعابة * وفيها مات عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي والد عمر الشاعر وكان قد جاء من اليمن لينصر عثمان لما حصر فسقط عن راحلته فمات وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل مات في خلافة علي وهو أصح * وفي خلافته توفي أبو سبرة ابن أبي رهم العامري من عامر بن لؤي وهو بدري * وفيها مات هاشم بن عتبة بن ربيعة خال معاوية أسلم يوم الفتح وكان صالحا * وفيها مات ابو الدرداء وقيل عاش بعده والاول أصح

ثم دخلت سنة ست وثلاثين

ذكر تفريق علي عماله وخلاف معاوية

وفي هذه السنة فرق علي عماله على الامصار فبعث عثمان بن حنيف على البصرة وعمارة بن شهاب على الكوفة وكان له هجرة وعبيد الله بن عباس على اليمن وقيس بن سعد على مصر وسهل بن حنيف على الشام فاما سهل فانه خرج حتى اذا كان بتبوك لقيته خيل فقالوا من أنت قال أمير قالوا على اي شيء قال على الشام قالوا ان كان بعثك عثمان فحي هلا بك وان كان بعثك غيره فارجع قال اوما سمعتم بالذي كان قالوا بلى فرجع الى علي وأما قيس بن سعد فانه لما انتهى الى ايلة لقيته خيل فقالوا له من أنت قال من فالة عثمان فأنا اطلب من آوي اليه فانتصر به لله قالوا من أنت قال قيس بن سعد قالوا امض فمضى حتى دخل مصر فافترق اهل مصر فرقا فرقة دخلت في الجماعة

فكانوا

والبوم بنا ولا يرجى تلاقينا

وهي قصيدة طويلة بديعة

وأما (بطليوس) فاستولى عليها بعد المنصور سابور الفتى العامري ينسب الى بني الافطس البربري وأول من ملك منهم (أبو بكر محمد) ابن عبد الله بن مسلم المعروف بابن الافطس ويلقب بالمظفر فلما توفي تولى بعده ولده (عمر ابن محمد) ويلقب بالمتوكل واتسع ملكه وقتل صبرا مع ولديه الفضل والعباس عند أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على الاندلس وهو الذي رثاه الشاعر في قصيدته المشهورة الموسومة بالعبدونية

بني المظفر والايام ما برحت
مراحلا والورى منها على سفر
سحقا ليومكم يوما ولا حملت
بمثله ليلة في مقبل العمر
من للاسرة او من للاعنة أو
من للسماحة او للنفع والضرر
من للهدى وعوالي الخط قد عقدت
اطراف السنها بالعي والحصر
وطوقت بالمنايا السود بيضهم
أعجب بذاك وما منها سوى ذكر
بماقع كارثة اودفع آزفة
اورفع حادثة تغني عن القدر
ويح السماح وويح الجود لو سلما
واحسرة الدين والدنيا على عمر

صارت بلاده الى يوسف ابن تاشفين وأما اشبيلية

فكانوا معه وفرقة اعتزلت بخرنبا وقالوا ان قتل قتلة عثمان فنحن معكم والا فنحن على جديلتنا حتى نحرك أو نصيب حاجتنا وفرقة قالوا نحن مع على ما لم يقد من اخواننا وهم فى ذلك مع الجماعة وكتب قيس الى على بذلك وأما عثمان بن حنيف فسار ولم يرده أحد عن دخول البصرة ولم يجد لابن عامر فى ذلك رأيا ولا استقلالا بحرب وافترق الناس بها فاتبعت فرقة القوم ودخلت فرقة فى الجماعة وقالت فرقة ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا وأما عمارة بن شهاب فلما بلغ زبالة لقيه طليحة بن خويلد وكان خرج يطلب بثار عثمان وهو يقول لهفى على امر لم يسبقنى ولم أدركه وكان خروجه عند عود القعقاع من اغاثة عثمان فلما لقى عمارة قال له ارجع فان القوم لا يريدون بأميرهم بدلا فان ابيت ضربت عنقك فرجع عمارة الى على بالخبر وانطلق عبيد الله ابن عباس الى اليمن فجمع يعلى بن منية كل شئ من الجباية وخرج به الى مكة فقدمها بالمال ودخل عبيد الله اليمن ولما رجع سهل بن حنيف من الشام وأتت عليا الاخبار دعا طلحة والزبير فقال ان الامر الذى كنت أحذركم قد وقع وان الذى قد وقع لا يدرك الا باماتته وانما فتنة كالنار كلما سعرت ازدادت واستنارت فقالا له ائذن لنا نخرج من المدينة فاما ان نكاثر وأما ان تدعنا فقال سأمسك الامر ما استمسك فاذا لم أجد بدا فآخر الداء الكى وكتب الى معاوية والى أبى موسى فكتب اليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم وبين الكاره منهم للذى كان والراضى ومن بين ذلك حتى كان على كأنه يشاهدهم وكان رسول على الى أبى موسى معبدا الاسلمى وكان رسوله الى معاوية سبرة الجهنى فقدم عليه فلم يجبه معاوية بشئ كلما تنجز جوابه لم يزد على قوله

أدم ادامة حصن أو خذا بيدى ❊ حربا ضروسا تشب الجزل والضرما
فى جاركم وابنكم اذ كان مقتله ❊ شنعاء شيبت الاصداغ واللمما
اعيا المسود بها والسيدون فلم ❊ يوجد لنا غيرنا مولى ولا حكما

حتى اذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان فى صفر دعا معاوية رجلا من بنى عبس يدعى قبيصة فدفع اليه طومارا مختوما عنوانه من معاوية الى على وقال له اذا دخلت المدينة فاقبض على اسفل الطومار ثم أوصاه بما يقول واعاد رسول على معه فخرجا فقدما المدينة فى ربيع الاول فدخلها العبسى كما أمره قد رفع الطومار فتبعه الناس ينظرون اليه وعلموا ان معاوية معترض ودخل الرسول على على فدفع اليه الطومار ففض ختمه فلم يجد فيه كتابا فقال للرسول ما وراءك قال آمن انا قال نعم ان الرسول لا يقتل قال ورائى انى تركت قوما لا يرضون الا بالقود قال ممن قال من خيط رقبتك وتركت ستين الف شيخ تبكى تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد البسوه منبر دمشق قال أمنى يطلبون دم عثمان ألست موتورا كترة عثمان اللهم انى ابرأ اليك من دم عثمان نجا والله قتلة عثمان الا أن يشاء الله فانه اذا أراد امرا أصابه اخرج قال وانى آمن قال وانت آمن فخرج العبسى وصاحت السبئية وقالت هذا الكلب رسول الكلاب اقتلوه فنادى يا آل مضر يا آل قيس الخيل والنبل اقسم بالله ليردنها عليكم اربعة آلاف خصى فانظروا كم الفحول والركاب وتعاونوا عليه فمنعته مضر فجعلوا يقولون له اسكت فيقول لا والله لا يفلح هؤلاء أبدا أتاهم ما يوعدون لقد حل بهم ما يحذرون انتهت والله اعمالهم وذهبت ريحهم فوالله

فاستولى عليها قاضيها (ابو القاسم محمد) بن اسمعيل بن عباد اللخمى المنذرى ثم صارت للامير (المعتمد بن عباد) ثم أخذها منه (ابن تاشفين) واما سرقسطة والثغر الاعلى فصارت بعد المنذر بن يحيى لولده وبعد ولده الى (سليمان بن أحمد) بن محمد بن هود الجذامى وتلقب بالمستعين بالله وكان به من البسالة والشجاعة ما لا يوصف وهو الذى وجد فى زمانه فى المعركة بعد ارتفاع الحرب مع الكفار قطعة من بيضة الخوذة الحديد قدر ثلثيها بما حوته من الرأس فيقال انه لم ير قط ضربة أقوى منها ثم صارت بعده لولده (احمد بن سليمان) الملقب بالمقتدر بالله وهو الذى كسر الطاغية وزدمير عظيم الروم بعد ان اشرفوا على الانهزام وكانت وقعة هائلة ثم صارت بعده لولده (عبد الملك) بن أحمد بن سليمان ثم صارت بعده لابنه (أحمد ابن عبد الملك) وتلقب بالمنتصر بالله وعليه انقرضت دولتهم على رأس الخمسمائة فصارت بلادها جميعا للموحدين وأما طليطلة وطرطوشة وبلنسية فصارت الى (اسمعيل بن عبد الرحمن) وتلقب بالظافر بحول الله ثم ملك بعده ولده (المأمون

ما امسوا حتى عرف الذل فيهم واحب اهل المدينة ان يعلموا رأى على فى معاوية وقتاله اهل
القبلة أيجسر عليه ام ينكل عنه وقد بلغهم ان ابنه الحسن دعاه الى القعود وترك الناس فدسوا
زياد بن حنظلة التميمى وكان منقطعا الى على فجلس اليه ساعة فقال له على يا زياد تيسر فقال لاى
شئ فقال لغزو الشام فقال زياد الاناة والرفق أمثل وقال

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة * يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

فتمثل على وكأنه لا يريده

متى تجمع القلب الذكى وصارما * وأنفا حميا تجتنبك المظالم

فخرج زياد والناس ينتظرونه وقالوا ماوراءك فقال السيف ياقوم فعرفوا ماهو فاعل واستأذنه
طلحة والزبير فى العمرة فأذن لهما فلحقا بمكة ودعا على محمد بن الحنفية فدفع اليه اللواء وولى
عبد الله بن عباس ميمنته وعمر بن ابى سلمة او عمرو بن سفيان بن عبد الاسد ولاه ميسرته ودعا ابا ليلى
ابن عمر بن الجراح ابن اخى ابى عبيدة بن الجراح فجعله على مقدمته واستخلف على المدينة قثم بن
العباس ولم يول ممن خرج على عثمان احدا وكتب الى قيس بن سعد والى عثمان بن حنيف والى
ابى موسى ان يندبوا الناس الى أهل الشام ودعا أهل المدينة الى قتالهم وقال لهم ان فى سلطان
الله عصمة امركم فأعطوه طاعتكم غير ملوية ولا مستكره بها والله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم
سلطان الاسلام ثم لا ينقله اليكم ابدا حتى يأرز الامر اليها انهضوا الى هؤلاء القوم الذين يريدون
تفريق جماعتكم لعل الله يصلح بكم ما افسد أهل الآفاق وتقضون الذى عليكم * (خربتا بفتح
الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح النون والباء الموحدة وآخره ألف)

(ذكر ابتداء امر وقعة الجمل)

فبينما هم كذلك على التجهز لاهل الشام اتاهم الخبر عن طلحة والزبير وعائشة وأهل مكة بنحو
آخر وانهم على الخلاف فأعلم على الناس ذلك وان عائشة وطلحة والزبير قد سخطوا امارته
ودعوا الناس الى الاصلاح وقال لهم ساصبر مالم أخف على جماعتكم وأكف ان كفوا واقتصر
على ما بلغنى ثم اتاه انهم يريدون البصرة فسره ذلك وقال ان الكوفة فيها رجال العرب وبيوتاتهم
فقال له ابن عباس ان الذى سرك من ذلك ليسوءنى ان الكوفة فسطاط فيه من اعلام العرب
ولا يحملهم عدة القوم ولا يزال فيها من يسمو الى امر لا يناله فاذا كان كذلك شغب على الذى قد
نال ما يريد حتى تكسر حدته فقال على ان الامر ليشبه ماتقول وتهيأ للخروج اليهم فندب أهل
المدينة للمسير معهم فتثاقلوا فبعث الى عبد الله بن عمر كميلا النخعى فجاء به فدعاه الى الخروج
معه فقال انما أنا من أهل المدينة وقد دخلوا فى هذا الامر فدخلت معهم فان يخرجوا اخرج
معهم وان يقعدوا اقعد قال فأعطنى كفيلا قال لا افعل فقال له على لولا ما اعرف من سوء خلقك
صغيرا وكبيرا لانكرتنى دعه فانا كفيله فرجع ابن عمر الى المدينة وهم يقولون والله ماندرى
كيف نصنع ان الامر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضئ لنا فخرج من تحت ليلته وأخبر ام
كلثوم ابنة على وهى زوجة عمر بالذى سمع وانه يخرج معتمرا مقيما على طاعة على ماخلا النهوض
فاصبح على فقيل له حدث الليلة حدث هو اشد من طلحة والزبير وعائشة ومعاوية قال وماذاك
قالوا خرج ابن عمر الى الشام فاتى السوق واعد الظهر والرجال وأخذ لكل طريق طلابا وماج

الناس

يحيى بن اسمعيل) وهو الذى
بنى القصر بطليطلة واحكمه
فبينما هو نائم اذ سمع منشدا
ينشد

اتبنى بناء الخالدين وانما
بقاؤك فيها لو عقلت قليل
لقد كان فى ظل الاراك كفاية
لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فلم يمض كثير حتى أخذت
الفرنج من ولده القادر
بالله طليطلة فى سنة ثمان
وسبعين وأربعمائة وصار
هو ببلنسية ثم قتله بها
القاضى ابن جحاف الاحنف
وأما دانية والجزائر والمرية
فصارت الى ايدى العامريين
الى ان انتقلت وصارت
للملثمين وأما مرسية فوليها
(بنو طاهر) ثم صارت الى
(المعتمد بن عباد) ثم صارت
للملثمين واما غرناطة فملكها
(حبوس بن ماكسن)
الصنهاجى ثم صارت بعد ولده
للملثمين وأما مالقة فملكها
(بنو على بن حمود العلوى)
الى ان اخذها باديس ابن
حبوس صاحب غرناطة

(الباب الرابع والعشرون فى
ذكر ملوك الغرب من الملثمين
أهل الفضل والهدى واليقين)

وكان أول مسيرهم من اليمن
فى أيام ابى بكر الصديق
سيرهم الى جهة الشام ثم
انتقلوا الى مصر ثم الى
الغرب مع موسى بن نصير

الناس فسمعت ام كلثوم فأتت عليا فاخبرته الخبر فطابت نفسه وقال انصرفوا والله ما كذبت ولا كذب والله انه عندى ثقة فانصرفوا وكان سبب اجتماعهم بمكة ان عائشة كانت خرجت اليها وعثمان محصور ثم خرجت من مكة تريد المدينة فلما كانت بسرف لقيها رجل من اخوالها من بنى ليث يقال له عبيد بن أبى سلمة وهو ابن ام كلاب فقالت له مهيم قال قتل عثمان وبقوا ثمانيا قالت ثم صنعوا ماذا قال اجتمعوا على بيعة على فقالت ليت هذه انطبقت على هذه ان تم الامر لصاحبك ردونى ردونى فانصرفت الى مكة وهى تقول قتل والله عثمان مظلوما والله لاطلبن بدمه فقال لها ولم والله ان أول من امال حرفه لانت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر قالت انهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولى الاخير خير من قولى الاول فقال لها ابن ام كلاب

فمنك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت امرت بقتل الامام * وقلت لنا انه قد كفر
فهبنا اطعناك فى قتله * وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا * ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرا * يزيل الشبا ويقيم الصغر
ويلبس للحرب اثوابها * وما من وفى مثل من قد غدر

فانصرفت الى مكة فقصدت الحجر فسترت فيه فاجتمع الناس حولها فقالت ايها الناس ان الغوغاء من أهل الامصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلما بالامس ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه وقد استعمل امثالهم قبله ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام واخذوا المال الحرام والله لاصبع من عثمان خير من طباق الارض امثالهم ووالله لو ان الذى اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه اذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء اى يغسل فقال عبد الله بن عامر الحضرمى وكان عامل عثمان على مكة ها أنا أول طالب فكان اول مجيب وتبعه بنو أمية على ذلك وكانوا هربوا من المدينة بعد قتل عثمان الى مكة ورفعوا رؤسهم وكان اول ما تكلموا بالحجاز وتبعهم سعيد بن العاص والوليد بن عقبة وسائر بنى أمية وقدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة بمال كثير ويعلى بن أمية وهو ابن منية من اليمن ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف درهم فأناخ بالابطح وقدم طلحة والزبير من المدينة فلقيا عائشة فقالت ما وراءكما فقالا انا تحملنا هرابا من المدينة من غوغاء واعراب وفارقنا قوما حيارى لا يعرفون حقا ولا ينكرون باطلا ولا يمنعون انفسهم فقالت انهضوا الى هذه الغوغاء فقالوا نأتى الشام فقال ابن عامر قد كفاكم الشام معاوية فأتوا البصرة فان لى بها صنائع ولهم فى طلحة هوى قالوا اقبحك الله فوالله ما كنت بالمسالم ولا بالمحارب فهلا أقمت كما اقام معاوية فنكتفى بك ثم نأتى الكوفة فنسد على هؤلاء القوم المذاهب فلم يجدوا عنده جوابا مقبولا فاستقام الرأى على البصرة وقالوا لها نترك المدينة فانا خرجنا فكان معنا من لا يطيق من بها من الغوغاء ونأتى بلدا مضيعا سيحتجون علينا ببيعة على

وأحبوا الانفراد فدخلوا فى الصحراء واستوطنوها الى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وكان من أمرهم انهم ينتسبون الى حمير فلما كانت هذه السنة توجه رجل منهم اسمه جوهر من قبيلة جدالة الى افريقية طالبا الحج فلما عاد استصحب معه فقيها من القيروان يقال له عبد الله بن ياسين ليعلم أهل تلك البلاد دين الاسلام فانه لم يبق فيهم غير الشهادتين والصلوة فى بعضهم فتوجه عبد الله مع جوهر حتى أتيا قبيلة لمتونة وهى القبيلة التى منها يوسف ابن تاشفين أمير المسلمين ودعاهم الى العمل بشرائع الاسلام فاجاب أكثرهم وامتنع أقلهم فقال الفقيه للمجيبين يجب عليكم قتال المخالفين فأقيموا لكم اميرا فقالوا انت اميرنا فامتنع الفقيه وقال لجوهر انت الامير فامتنع ايضا ثم اتفقا على (ابى بكر بن عمر) رأس قبيلة لمتونة فعرضا عليه فقبل وعقدت له البيعة وسماه الفقيه امير المسلمين واجتمع اليه خلق كثير وحرضهم الفقيه على الجهاد وسماهم المرابطين فقاتلوا المخالفين ثم جرى بين المرابطين وبين أهل سوس قتال شديد قتل فى تلك الحروب الفقيه ثم سار

فتنهضيهم كما انهضت أهل مكة فان أصلح الله الامر كان الذى اردنا والادفعنا بجهدنا حتى يقضى الله ما اراد فاجابتهم الى ذلك ودعوا عبد الله بن عمر ليسير معهم فأبى وقال انا من أهل المدينة افعل ما يفعلون فتركوه وكان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم معها على قصد المدينة فلما تغير رأيها الى البصرة تركن ذلك واجابتهم حفصة الى المسير معهم فمنعها أخوها عبد الله بن عمر وجهزهم يعلى بن منية بستمائة بعير وستمائة ألف درهم وجهزهم ابن عامر بمال كثير ونادى مناديها ان ام المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون الى البصرة فمن اراد اعزاز الاسلام وقتال المحلين والطلب بثار عثمان وليس له مركب وجهاز فليأت فحملوا ستمائة على ستمائة بعير وساروا فى ألف وقيل فى تسعمائة من أهل المدينة ومكة ولحقهم الناس فكانوا فى ثلاثة آلاف رجل وبعثت ام الفضل بنت الحرث ام عبد الله بن عباس رجلا من جهينة يدعى ظفر فاستأجرته على ان يأتى عليا بالخبر فقدم على على بكتابها وخرجت عائشة ومن معها من مكة فلما خرجوا منها اذن مروان بن الحكم ثم جاء حتى وقف على طلحة والزبير فقال على أيكما أسلم بالامرة وأؤذن بالصلاة فقال عبد الله بن الزبير على أبى عبد الله يعنى اباه الزبير وقال محمد بن طلحة على ابى محمد يعنى اباه طلحة فأرسلت عائشة الى مروان وقالت له اتريد ان تفرق امرنا ليصل بالناس ابن اختى تعنى عبد الله بن الزبير وقيل بل صلى بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد حتى قتل فكان معاذ بن عبيد يقول والله لو ظفرنا لاقتتلنا ما كان الزبير يترك طلحة والامر ولا كان طلحة يترك الزبير والامر وتبعها امهات المؤمنين الى ذات عرق فبكوا على الاسلام فلم ير يوم كان أكثر باكيا وباكية من ذلك اليوم فكان يسمى يوم النحيب فلما بلغوا ذات عرق لقى سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بها فقال أين تذهبون وتتركون ثاركم على أعجاز الابل وراءكم يعنى عائشة وطلحة والزبير اقتلوهم ثم ارجعوا الى منازلكم فقالوا نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعا فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال ان ظفرتما لمن تجعلان الامر اصدقانى قالا نجعله لاحدنا أينا اختاره الناس قال بل تجعلونه لولد عثمان فانكم خرجتم تطلبون بدمه فقالا ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لايتام قال فلا أرانى أسعى الا لاخراجها من بنى عبد مناف فرجع ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد وقال المغيرة بن شعبة الرأى ما قال سعيد من كان ههنا من ثقيف فليرجع فرجع ومضى القوم ومعهم أبان والوليد ابنا عثمان واعطى يعلى بن منية عائشة جملا اسمه عسكر اشتراه بثمانين دينارا فركبته وقيل بل كان جملها لرجل من عرينة قال العرنى بينما انا أسير على جمل اذ عرض لى راكب فقال اتبيع جملك قلت نعم قال بكم قلت بألف درهم قال امجنون أنت قلت ولم والله ما طلبت عليه أحدا الا ادركته ولا طلبنى وأنا عليه احد الا فته قال لو تعلم لمن نريده انما نريده لام المؤمنين عائشة فقلت خذه بغير ثمن قال بل ترجع معنا الى الرحل فنعطيك ناقة ودراهم قال فرجعت معه فأعطونى ناقة مهرية وأربعمائة درهم أو ستمائة وقالوا لى يا أخا عرينة هل لك دلالة بالطريق قلت أنا من ادل الناس قالوا فسر معنا فسرت معهم فلا امر على واد الا سألونى عنه حتى طرقنا الحوأب وهو ماء فنبحتنا كلابه فقالوا اى ماء هذا فقلت هذا ماء الحوأب فصرخت عائشة بأعلى صوتها وقالت انا لله وانا اليه راجعون انى لهية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه ليت شعرى أيتكن تنبحها كلاب الحوأب ثم ضربت عضد

بعيرها

المرابطون الى سجلماسة واستولوا عليها وقتلوا صاحبها وفوض حكومتها الى يوسف بن تاشفين اللمتونى وكان رجلا دينا حازما ثم اجتمع طوائف المرابطين وملكوا عليهم (أبا النصر يوسف ابن تاشفين) وتلقب بأمير المؤمنين وقوى امره وعلا قدره ببلاد الغرب ولم يزل يحارب ويقاتل من يعاديه حتى توفى سنة خمسمائة وقام مكانه ابنه (على بن يوسف) بن تاشفين وفى زمانه ظهر الموحدون وابتدات دولتهم وفى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة توفى على المذكور وقام فى الملك بعده ولده (تاشفين بن على) ولم يزل الحرب قائما بينه وبين الملك الكبير أبى محمد حتى سقط من جرف عال قال فهلك وقتل كل من كان معه ثم ولى أخوه (اسحق بن على) وكان صغير السن فسار اليه عبد المؤمن الموحدى فملك بلاده وقتل اسحق وهو آخر ملوك المرابطين الملثمين وكانت مدة ملكهم سبعين سنة والله سبحانه أعلم

(الباب الخامس والعشرون فى ذكر دولة بنى حفص ملوك تونس وافريقية وما لهم من وقائعهم مع نصارى اسبانية)

بعيرها فاناخته وقالت ردونى انا والله صاحبة ماء الحوأب فأناخوا حولها يوما وليلة فقال لها عبد الله بن الزبير انه كذب ولم يزل بها وهى تمتنع فقال لها النجاء النجاء قد أدرككم على بن أبى طالب فارتحلوا نحو البصرة فلما كانوا بفنائها لقيهم عمير بن عبد الله التميمى وقال يا أم المؤمنين انشدك الله ان تقدمى اليوم على قوم لم تراسلى منهم أحدا فيجلى ابن عامر فان له بها صنائع فليذهب اليهم ليلقوا الناس الى ان تقدمى ويسمعوا ما جئتم به فارسلته فاندس الى البصرة فأتى القوم وكتبت عائشة الى رجال من أهل البصرة والى الاحنف بن قيس وصبرة بن شيمان وأمثالهم واقامت بالحفير تنتظر الجواب ولما بلغ ذلك اهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران ابن حصين وكان رجل عامة والزمه بأبى الاسود الدئلى وكان رجل خاصة وقال لهما انطلقا الى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها فخرجا فانتهيا اليها بالحفير فأذنت لهما فدخلا وسلما وقالا ان أميرنا بعثنا اليك لنسألك عن مسيرك فهل أنت مخبرتنا فقالت والله ما مثلى يغطى لبنيه الخبر ان الغوغاء ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدثوا فيه وآووا المحدثين فاستوجبوا لعنة الله ولعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما نالوا من قتل امام المسلمين بلا ترة ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه وانتهبوا المال الحرام واحلوا البلد الحرام والشهر الحرام فخرجت فى المسلمين اعلمهم ما أتى هؤلاء وما الناس فيه وراءنا وما ينبغى لهم من اصلاح هذه القصة وقرأت لا خير فى كثير من نجواهم الآية فهذا شأننا الى معروف نأمركم به ومنكر ننهاكم عنه فخرج عمران وأبو الاسود من عندها فاتيا طلحة وقالا ما اقدمك فقال الطلب بدم عثمان فقالا ألم تبايع عليا فقال بلى والسيف على عنقى وما استقبل عليا البيعة ان هو لم يحل بيننا و بين قتلة عثمان ثم أتيا الزبير فقالا له مثل قولهما لطلحة وقال لهما مثل قول طلحة فرجعا الى عثمان بن حنيف ونادى مناديها بالرحيل فدخلا على عثمان فبادر ابو الاسود عمران فقال

يا ابن حنيف قد أتيت فانفر ٭ وطاعن القوم وجالد واصبر

وابرز لهم مستلئما وشمر

فقال عثمان انا لله وانا اليه راجعون دارت رحى الاسلام ورب الكعبة فانظروا بأى زيفان نزيف فقال عمران اى والله لتعركنكم عركا طويلا فقال فاشر على يا عمران فقال اعتزل فانى قاعد قال عثمان بل أمنعهم حتى يأتى أمير المؤمنين فانصرف عمران الى بيته وقام عثمان فى أمره فأتاه هشام بن عامر فقال ان هذا الامر الذى تريده يسلم الى شر مما تكره ان هذا فتق لا يرتق وصدع لا يجبر فارفق بهم وسامحهم حتى يأتى أمر على فأبى ونادى عثمان فى الناس وأمرهم بلبس السلاح فاجتمعوا الى المسجد وأمرهم بالتجهز وأمر رجلا دسه الى الناس خدعا كوفيا قيسيا فقام فقال ايها الناس انا قيس بن العقدية الحمسى ان هؤلاء القوم ان كانوا جاؤا خائفين فقد أتوا من بلد يأمن فيه الطير وان كانوا جاؤا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلة عثمان فاطيعونى وردوهم من حيث جاؤا فقام الاسود بن سريع السعدى فقال اوزعموا انا قتلة عثمان انما أتوا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا فحصبه الناس فعرف عثمان ان لهم بالبصرة ناصرا فكسره ذلك فاقبلت عائشة فيمن معها حتى انتهوا الى المربد فدخلوا من اعلاه

وتزعم هذه الطائفة انهم من ولد عمر بن الخطاب وجدهم المنسوبون اليه هو أبو حفص عمر صاحب ابن تومرت فلما كان سنة احدى وخمسين وخمسمائة بايع عبد المؤمن لولده محمد بولاية العهد وطلب من ابى حفص ان ينزل عن العهد لولده المذكور فأجاب ابو حفص الى خلع نفسه والبيعة لابن عبد المؤمن فصار بعده ولده (عبد الواحد بن أبى حفص (ثم صار من بعده ابنه ابو زكريا يحيى) وتلقب بأمير المؤمنين وعظم شأنه الى ان توفى ومات بعده ابنه (محمد ابن ابى زكريا) وتلقب بالمنتصر ثم ملك بعده اخوه (يحيى بن يحيى) سبعة عشر يوما ثم بعده اخوهما (ابو اسحق ابراهيم) بن يحيى بن عبد الواحد بن ابى حفص ثم انتقل الملك الى رجل من أهل بجاية يقال له (محمد بن ابى عمارة) وملك أربع سنين ثم عاد الملك للحفصيين وملك منهم بعد ابن أبى عمارة ابو حفص (عمر بن يحيى) ثم ملك بعده ولده (عبد الرحمن) بن عمر المذكور وملك خمسة وعشرين يوما ثم خلع وملك بعده رجل من الحفصيين يقال له (أبو عبد الله) وكان يلقب بابى عصيدة ثم ملك بعده (ابو بكر بن عبد

و وقفوا حتى خرج عثمان فيمن معه وخرج اليها من أهل البصرة من اراد أن يكون معها
فاجتمع القوم بالمربد فتكلم طلحة وهو فى ميمنة المربد وعثمان فى ميسرته فانصتوا له فحمد الله
واثنى عليه وذكر عثمان وفضله وما استحل منه ودعا الى الطلب بدمه وحثهم عليه وكذلك الزبير
فقال من فى ميمنة المربد صدقا وبرا وقال من فى ميسرته فجرا وغدرا وأمرا بالباطل فقد بايعا
عليا ثم جاءا يقولان وتحاثى الناس وتحاصبوا وارهجوا فتكلمت عائشة وكانت جهورية الصوت
فحمدت الله وقالت كان الناس يتجنون على عثمان ويزرون على عماله ويأتوننا بالمدينة
فيستشيروننا فيما يخبرونا عنهم فننظر فى ذلك فنجده بريا تقيا وفيا ونجدهم فجرة غدرة كذبة
وهم يحاولون غير ما يظهرون فلما قووا كاثروه واقتحموا عليه داره واستحلوا الدم الحرام والشهر
الحرام والبلد الحرام بلا ترة ولا عذر الا ان مما ينبغى لا ينبغى لكم غيره أخذ قتلة عثمان واقامة كتاب
الله وقرأت ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله الآية فافترق أصحاب
عثمان فرقتين فرقة قالت صدقت وبرت وقال الآخرون كذبتم والله ما نعرف ما جئتم به فتحاثوا
وتحاصبوا فلما رأت عائشة ذلك انحدرت وانحدر اهل الميمنة مفارقين لعثمان بن حنيف حتى
وقفوا فى المربد فى موضع الدباغين وبقى أصحاب عثمان على حالهم ومال بعضهم الى عائشة وبقى
بعضهم مع عثمان وأقبل جارية بن قدامة السعدى وقال يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون
من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح انه قد كان لك من الله ستر وحرمة
فهتكت سترك وابحت حرمتك انه من رأى قتالك يرى قتلك ان كنت أتيتنا طائعة فارجعى
الى منزلك وان كنت أتيتنا مكرهة فاستعينى بالناس وخرج غلام شاب من بنى سعد الى طلحة
والزبير فقال اما أنت يا زبير فحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما أنت يا طلحة فوقيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدك وأرى امكما معكما فهل جئتما بنسائكما قالا لا قال فأنا منكم
فى شئ واعتزل وقال فى ذلك

صنتم حلائلكم وقدتم امكم * هذا لعمرك قلة الانصاف
أمرت بجر ذيولها فى بيتها * فهوت تشق البيد بالايجاف
غرضا يقاتل دونها أبناؤها * بالنبل والخطى والاسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها * هذا المخبر عنهم والكافى

واقبل حكيم بن جبلة العبدى وهو على الخيل فانشب القتال واشرع أصحاب عائشة رماحهم
وأمسكوا ليمسك حكيم وأصحابه فلم ينته وقاتلهم وأصحاب عائشة كافون يدفعون عن أنفسهم
وحكيم يذمر خيله ويركبهم بها فاقتتلوا على فم السكة وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا الى مقبرة
بنى مازن وحجز الليل بينهم ورجع عثمان الى القصر وأتى أصحاب عائشة الى ناحية دار الرزق
وباتوا يتأهبون وبات الناس يأتونهم واجتمعوا بساحة دار الرزق فغاداهم حكيم بن جبلة وهو
يسب وبيده الرمح فقال له رجل من عبد القيس من هذا الذى تسبه قال عائشة قال يا ابن الخبيثة
ألأم المؤمنين تقول هذا فطعنه حكيم فقتله ثم مر بامرأة وهو يسبها ايضا فقالت له ألأم المؤمنين
تقول هذا يا ابن الخبيثة فطعنها فقتلها ثم سار فاقتتلوا بدار الرزق قتالا شديدا الى ان زال النهار
وكثر القتل فى أصحاب عثمان بن حنيف وكثر الجراح فى الفريقين فلما عضتهم الحرب تنادوا الى

الرحمن) الخلوع ثم قتله (ابو
البقاء) وتولى مكانه ثم ملك
بعده (ابو يحيى زكريا)
اللحيانى من أولاد ابى حفص
ثم ملك بلاد الغرب (ابو
بكر بن يحيى) ويقال له
السباع فمات واستقر الملك
بعده لولده (ابو فارس محمد
عبد العزيز) بن ابى العباس
أحمد وكان يمشى فى الاسواق
ويتجر ثم قتل فقام مكانه
ابنه (ثابت بن محمد) فقتل
واستولى الافرنج على
طرابلس الغرب فجمع ابو
بكر بن محمد بن ثابت جيشا
وأخذ البلد عنوة فلما توفى
ولى مكانه (على بن عمارة)
ابن محمد بن ثابت وفى سنة
ثمانمائة قبض ابو فارس على
على بن عمارة واقام مكانه
(يحيى بن ابى بكر) واخاه عبد
الواحد الى ان استولى ابو
فارس فقبض عليهما ايضا
فانتهت دولة آل عمارة وفى
سنة سبع وثلاثين وثمانمائة
توفى السلطان ابو فارس
وكان حسن السيرة عدلا فى
الرعية واستقر فى الملك
(المنتصر ابو عبد الله محمد)
ابن الامير محمد المنصور لكل
عمه المعتمد ابن أبي فارس
وقتل أخاه ابا الفضل وولده
الفضل ومات لطول مرضه
واستقر بعده شقيقه (عثمان
ابن محمد) واستمر عثمان فى
الملك وحسن حاله وطالت

الصلح وتوادعوا فكتبوا بينهم كتابا على ان يبعثوا رسولا الى المدينة يسأل أهلها فان كان طلحة
والزبير أكرها خرج عثمان بن حنيف عن البصرة وأخلاها لهما وان لم يكونا أكرها خرج
طلحة والزبير وكتبوا بينهم كتابا بذلك وسار كعب بن سور الى أهل المدينة يسألهم فلما قدمها اجتمع
الناس اليه وكان يوم جمعة فقام وقال يا أهل المدينة انا رسول أهل البصرة نسألكم هل أكره
طلحة والزبير على بيعة علي أم أتياها طائعين فلم يجبهم أحد الا أسامة بن زيد فانه قام وقال
انهما بايعا وهما كارهان فأمر به تمام بن العباس فواثبه سهل بن حنيف والناس وثار
صهيب وأبو أيوب في عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم محمد بن مسلمة حين خافوا ان
يقتل أسامة فقالوا اللهم نعم فتركوه وأخذ صهيب أسامة بيده الى منزله وقال له اما وسعك ما وسعنا
من السكوت قال ما كنت أظن ان الامر كما أرى فرجع كعب وبلغ عليا الخبر فكتب الى
عثمان يعجزه وقال والله ما أكرها على فرقة ولقد أكرها على جماعة وفضل فان كانا يريدان الخلع
فلا عذر لهما وان كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظروا فقدم الكتاب على عثمان وقدم كعب بن سور
فارسلوا الى عثمان ليخرج فاحتج بالكتاب وقال هذا امر آخر غير ما كنا فيه فجمع طلحة والزبير
الرجال في ليلة مظلمة ذات رياح ومطر ثم قصدا المسجد فوافقا صلاة العشاء وكانوا يؤخرونها
فابطأ عثمان فقدما عبد الرحمن بن عتاب فشهر الزط والسيابجة السلاح ثم وضعوه فيهم فاقبلوا
عليهم فاقتتلوا في المسجد فقتلوا وهم أربعون رجلا فأدخلا الرجال على عثمان فاخرجوه اليهما
فلما وصل اليهما وقد بقي في وجهه شعرة فاستعظما ذلك وأرسلا الى عائشة يعلمانها الخبر فارسلت
اليهما أن خلوا سبيله وقيل لما أخذ عثمان ارسلوا الى عائشة يستشيرونها في امره فقالت اقتلوه
فقالت لها امرأة أنشدك الله في عثمان وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لهم
احبسوه فقال لهم مجاشع بن مسعود اضربوه وانتفوا لحيته وحاجبيه واشفار عينيه فضربوه
أربعين سوطا ونتفوا لحيته وحاجبيه واشفار عينيه وحبسوه ثم اطلقوه وجعلوا على بيت المال
عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وقد قيل في اخراج عثمان غير ما تقدم وذلك ان عائشة وطلحة
والزبير لما قدموا البصرة كتبت عائشة الى زيد بن صوحان من عائشة ام المؤمنين حبيبة رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى ابنها الخالص زيد بن صوحان اما بعد فاذا أتاك كتابي هذا فاقدم
فانصرنا فان لم تفعل فخذل الناس عن علي فكتب اليها أما بعد فأنا ابنك الخالص ان اعتزلت
ورجعت الى بيتك والا فأنا أول من نابذك وقال زيد رحم الله ام المؤمنين أمرت ان تلزم بيتها
وأمرنا ان نقاتل فتركت ما أمرت به وأمرتنا به وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه وكان على
البصرة عند قدومها عثمان بن حنيف فقال لهم ما نقمتم على صاحبكم فقالوا لم نره اولى بها منا
وقد صنع ما صنع قال فان الرجل أمرني فاكتب اليه فاعلمه ما جئتم به على ان اصلي أنا بالناس
حتى يأتينا كتابه فوقفوا عنه فكتب فلم يلبث الا يومين او ثلاثة حتى وثبوا على عثمان عند مدينة
الرزق فظفروا به وارادوا قتله ثم خشوا غضب الانصار فنتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه
وضربوه وحبسوه وقام طلحة والزبير خطيبين فقالا يا اهل البصرة توبة بحوبة انما أردنا ان
نستعتب امير المؤمنين عثمان فغلب السفهاء الحلماء فقتلوه فقال الناس لطلحة يا ابا محمد قد كانت
كتبك تأتينا بغير هذا فقال الزبير هل جاءكم مني كتاب في شأنه ثم ذكر قتل عثمان واظهر عيب علي

مدته وتوفي وتولى مكانه
حفيده (يحيى بن مسعود)
واستقام امره وأظهر
العدل ومشى على سيرة
جده أبي فارس وكان شحيحا
بالاموال فانفض عنه العسكر
بسبب ذلك فلما خرج عليه
عبد المؤمن واشتد الحرب
بينهما انعزل الجند من عند
يحيى فبقي هو وجماعة وكان
يقاتل بنفسه ويقول انا
يحيى الغريب فقتل وقتل
معه عدة من جماعته وملك
تونس بعده (عبد المؤمن)
ابن ابراهيم بن عثمان واستقر
بكرسيها واحسن السيرة
بأهلها ثم تولى أخوه (زكريا)
وفي سنة تسع وتسعين
وثمانمائة وقع فناء عظيم
ومات زكريا مع جملة من
مات وتولى السلطنة (محمد
ابن الحسن) وكان مشتغلا
عن أمور الملك باللهو وشرب
الخمر (وفي ايامه) في سنة
ست عشرة وتسعمائة
استولى الافرنج على وهرانه
ثم على بجاية ثم على طرابلس
وبقيت في أيديهم مدة
اثنتين وأربعين سنة حتى
أخذها منهم سنان باشا
اخو الوزير الاعظم رستم
باشا وزير المرحوم السلطان
سليمان من بني عثمان عام
ثمانية وخمسين وتسعمائة
فلما مات محمد بن الحسن بعد
ان ملك أكثر من ثلاثين

فقام اليه رجل من عبد القيس فقال أيها الرجل انصت حتى نتكلم فانصت فقال العبدى يامعشر المهاجرين انتم اول من اجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان لكم بذلك فضل ثم دخل الناس فى الاسلام كما دخلتم فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعتم رجلا منكم فرضينا وسلمنا ولم تستأمر ونا فى شئ من ذلك فجعل الله للمسلمين فى امارته بركة ثم مات واستخلف عليكم رجلا فلم تشاور ونا فى ذلك فرضينا وسلمنا فلما توفى جعل أمركم الى ستة نفر فاخترتم عثمان وبايعتموه عن غير مشورتنا ثم انكرتم منه شيأ فقتلتموه عن غير مشورة منا ثم بايعتم عليا عن غير مشورة منا فما الذى نقمتم عليه فنقاتله هل استأثر بفئ او عمل بغير الحق او أتى شيأ تنكرونه فنكون معكم عليه والا فما هذا فهموا بقتل ذلك الرجل فمنعته عشيرته فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من معه فقتلوا منهم سبعين وبقى طلحة والزبير بعد اخذ عثمان بالبصرة ومعهم بيت المال والحرس والناس معهما ومن لم يكن معهما استتر وبلغ حكيم بن جبلة ما صنع بعثمان بن حنيف فقال لست اخاف الله ان لم أنصره فجاء فى جماعة من عبد القيس ومن تبعه من ربيعة وتوجه نحو دار الرزق وبها طعام اراد عبد الله بن الزبير ان يرزقه اصحابه فقال له عبد الله مالك يا حكيم قال نريد أن نرتزق من هذا الطعام وان تخلوا عثمان فيقيم فى دار الامارة على ما كتبتم بينكم حتى يقدم على وايم الله لو اجد اعوانا عليكم ما رضيت بهذه منكم حتى اقتلكم بمن قتلتم ولقد أصبحتم وان دماءكم لنا الحلال بمن قتلتم اما تخافون الله بم تستحلون الدم الحرام قال بدم عثمان قال فالذين قتلتم هم قتلوا عثمان اما تخافون مقت الله فقال له عبد الله لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلى سبيل عثمان حتى تخلع عليا فقال حكيم اللهم انك حكم عدل فاشهد وقال لاصحابه لست فى شك من قتال هؤلاء القوم فمن كان فى شك فلينصرف وتقدم فقاتلهم فقال طلحة والزبير الحمد لله الذى جمع لنا ثارنا من أهل البصرة اللهم لا تبق منهم أحدا فاقتتلوا قتالا شديدا ومع حكيم أربعة قواد فكان حكيم بحيال طلحة وذريح بحيال الزبير وابن المحترش بحيال عبد الرحمن بن عتاب وحرقوص بن زهير بحيال عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فزحف طلحة لحكيم وهو فى ثلثمائة وجعل حكيم يضرب بالسيف ويقول

اضربهم باليابس * ضرب غلام عابس

من الحياة آيس * فى الغرفات نافس

فضرب رجل رجله فقطعها فحبا حتى اخذها فرمى بها صاحبه فصرعه وأتاه فقتله ثم اتكأ عليه وقال

ياساق ان تراعى * ان معى ذراعى * احمى بها كراعى

وقال ايضا

ليس على أن اموت عار * والعار فى الناس هو الفرار

* والمجد لا يفضحه الدمار *

فأتى عليه رجل وهو رثيث رأسه على آخر فقال مالك يا حكيم قال قتلت قال من قتلك قال وسادتى فاحتمله وضمه فى سبعين من اصحابه وتكلم يومئذ حكيم وانه لقائم على رجل واحدة وان السيوف لتأخذهم وما يتتعتع ويقول انا خلفنا هذان وقد بايعا عليا واعطياه الطاعة ثم اقبلا

سنة تولى مكانه ولده (السلطان حسن) وكان خلف ابوه خمسا وأربعين ذكرا فلما تسلطن الحسن وضع فيهم السيف وقتلهم عن آخرهم ولم يفلت منهم الا أخواه الرشيد وعبد المؤمن وكانا غائبين ثم ان الحسن رام قتل الرشيد فاستشعر ولحق ببعض احياء العرب واشتغل الحسن باللهو وجمع من الملاهى ما يزيد على أربعمائة شاب أمرد يفسق بهم فشق ذلك على أهل البلد وطلبوا منه ترك ذلك حتى رجموا داره بالحجارة فأبى ان يترك فنفرت عنه القلوب فارسلوا الى الرشيد ليملكوه فلم يمكن فقدم الرشيد الى خير الدين باشا صاحب الجزائر والتجأ اليه فلما علم ذلك السلطان حسن شق عليه وأرسل الى السلطان سليمان يشكو من خير الدين باشا انه آوى أخاه وارسل صحبة الرسول اموالا وتحفا فأجاب اليه السلطان بالوعد وقال طب نفسا فانا نأمر خير الدين باشا باستصحاب أخيك معه فاذا حصل اخوك عندنا أودعناه عندنا وما خليناه يعود الى بلادك ابدا فلما قدم خير الدين باشا الى السلطان ومعه الرشيد عين له السلطان كل يوم خمسمائة درهم جامكية ومن المأكل

مخالفين مجار بين يطلبان بدم عثمان ففرقا بيننا ونحن أهل دار وجوار اللهم انهم لم يريدا عثمان فناداه منادياخبيث جزعت من نصبك وأصحابك حين عضك نكال الله بما ركبتم من الامام المظلوم وفرقتم الجماعة وأصبتم من الدماء فذق وبال الله وانتقامه الى كلام وقتلوا وقتل معهم قتله يزيد بن الاسحم الحداني فوجد حكيم قتيلا بين يزيد وأخيه كعب وقيل قتله رجل يقال له ضخيم وقتل معه ابنه الاشرف وأخوه الرعل بن جبلة ولما قتل حكيم ارادوا قتل عثمان بن حنيف فقال لهم اما ان سهلا بالمدينة فان قتلتموني انتصر فخلوا سبيله فقصد عليا وقتل ذريح ومن معه وافلت حرقوص بن زهير في نفر من أصحابه فلجؤا الى قومهم فنادى منادى طلحة والزبير من كان فيهم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم فجيء بهم فقتلوا ولم ينج منهم الا حرقوص بن زهير فان عشيرته بني سعد منعوه وكان منهم فنالهم من ذلك أمر شديد وضربوا فيه اجلا وخشنوا صدور بني سعد وكانوا عثمانية فاعتزلوا وغضبت عبد القيس حين غضبت سعد لمن قتل منهم بعد الوقعة ومن كان هرب اليهم الى ماهم عليه من لزوم الطاعة لعلي فأمر طلحة والزبير للناس باعطياتهم وأرزاقهم وفضلا اهل السمع والطاعة فخرجت عبد القيس وكثير من بكر بن وائل حين منعوهم الفضول فبادروهم الى بيت المال وأكب عليهم الناس فأصابوا منهم وخرجوا حتى نزلوا على طريق على واقام طلحة والزبير وليس معهما ثأر الا حرقوص بن زهير وكتبوا الى أهل الشام بما صنعوا وصاروا اليه وكتبت عائشة الى اهل الكوفة بما كان منهم وتأمرهم ان يثبطوا الناس عن علي وتحثهم على طلب قتلة عثمان وكتبت الى اهل اليمامة والى أهل المدينة بما كان منهم ايضا وسيرت الكتب وكانت هذه الوقعة لخمس ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وبايع أهل البصرة طلحة والزبير فلما بايعوهما قال الزبير الا ألف فارس اسير بهم الى علي اقتله بياتا او صباحا قبل ان يصل الينا فلم يجبه أحد فقال ان هذه للفتنة التي كنا نحدث عنها فقال له مولاه أتسميها فتنة وتقاتل فيها قال ويلك انا نبصر ولا نبصر ما كان امر قط الا وأنا اعلم موضع قدمي فيه غير هذا الامر فاني لا ادري أمقبل انا فيه ام مدبر وقال علقمة بن وقاص الليثي لما خرج طلحة والزبير وعائشة رأيت طلحة واحب المجالس اليه أخلاها وهو ضارب بلحيته على صدره فقلت يا ابا محمد أرى احب المجالس اليك اخلاها وأنت ضارب بلحيتك على صدرك ان كرهت شيأ فاجلس قال فقال لي يا علقمة بينا نحن يد واحدة على من سوانا اذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضا انه كان مني في عثمان شيء ليس توبتي الا ان يسفك دمي في طلب دمه قال فقلت فرد ابنك محمدا فان لك ضيعة وعيالا فان يك شيء يخلفك قال فامنعه قال فأتيت محمدا ابنه فقلت له لو أقمت فان حدث به حدث كنت تخلفه في عياله وضيعته قال ما احب ان اسأل عنه الركبان

* (يعلى ابن منية بضم الميم وسكون النون والياء المعجمة باثنتين من تحتها وهي امه واسم أبيه أمية عبد الله بن خالد بن اسيد بفتح همزة اسيد جارية بن قدامة بالجيم حكيم بن جبلة بضم الحاء وفتح الكاف وقيل بفتح الحاء وكسر الكاف وصوحان بضم الصاد وآخره نون) *

(ذكر مسير علي الى البصرة والوقعة)

قد ذكرنا فيما تقدم تجهز علي الى الشام فبينما هو على ذلك اتاه الخبر عن طلحة والزبير وعائشة من مكة بما عزموا عليه فلما بلغه ذلك دعا وجوه أهل المدينة وخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان

ما يكفيه ثم ان خير الدين باشا عرض على السلطان بأن العمارة لا نطيق ان تخرج من هنا وتسير مسافة أشهر ثم تجتمع بالكفار ولابد ان تنشؤا عمارتكم قريب بلاد الكفار ثم تسير منها الى حيث تشاء فما ثم موضع تسع فيه عمارتكم غير مينا حلق الوادي امام تونس فقال السلطان كيف يمكن ذلك مع الحسن وهو امير بلاد تونس فقال ان اهل تونس متضجرون من سلطانهم وهذا أخوه الرشيد عندنا والناس يحبونه ويطيعونه فان امر السلطان سرت بالعمارة وذكرت لاهل تونس ان الرشيد معنا فتملك تونس مع اتفاق من أهله ا وتكون البلاد كلها للسلطان فقال السلطان نعم الرأي فسار خير الدين باشا بعمارة عظيمة ودخل حلق الوادي وارسى بمينا ها وارسل الى أهل تونس يخبرهم بقدوم الرشيد وانهم جاؤا مددا له ليملكوه البلاد فلما بلغ ذلك أهل تونس قاموا قومة واحدة وقالوا الله ينصر السلطان رشيد وساروا نحو العمارة فلما تيقن الحسن بالقصة أخذ اهل بيته واقاربه وامواله فهرب الى احد اخواله مشايخ العرب فقام خير الدين باشا وهو يظهر ان الرشيد معه

آخر هذا الامر لا يصلح الا ما صلح أوله فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم امركم فتثاقلوا فلما رأى زياد بن حنظلة تثاقل الناس انتدب الى علي وقال له من تثاقل عنك فانا نخف معك فنقاتل دونك وقام رجلان صالحان من أعظم الانصار أحدهما ابو الهيثم بن التيهان وهو بدري والثاني خزيمة بن ثابت قيل هو ذو الشهادتين وقال الحكم ليس بذي الشهادتين مات ذو الشهادتين أيام عثمان فأجابه الى نصرته قال الشعبي ما نهض في تلك الفتنة الا ستة نفر بدريون ما لهم سابع وقال سعيد بن زيد ما اجتمع اربعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لخير يعملونه الا وعلي احدهم قيل وقال ابو قتادة الانصاري لعلي يا امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلدني هذا السيف وقد أغمدته زمانا وقد حان تجريده على هؤلاء القوم الظالمين الذين يألون الامة غشا وقد أحببت ان تقدمني فقدمني وقالت أم سلمة يا امير المؤمنين لولا ان اعصي الله وانك لا تقبله مني لخرجت معك وهذا ابن عمي وهو والله أعز علي من نفسي يخرج معك ويشهد مشاهدك فخرج معه وهو لم يزل معه واستعمله علي على البحرين ثم عزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي فلما أراد علي المسير الى البصرة وكان يرجو ان يدرك طلحة والزبير فيردهما قبل وصولهما الى البصرة او يوقع بهما فلما سار استخلف على المدينة تمام بن العباس وعلى مكة قثم بن العباس وقيل امر على المدينة سهل بن حنيف وسار علي من المدينة في تعبيته التي تعبأها لاهل الشام آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين فقالت اخت علي بن عدي من بني عبد شمس

لاهم فاعقر بعلي جمله * ولا تبارك في بعير حمله

* الا علي بن عدي ليس له *

وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في تسعمائة وهو يرجو أن يدركهم فيحول بينهم وبين الخروج او يأخذهم فلقيه عبد الله بن سلام فأخذ بعنانه وقال يا أمير المؤمنين لا تخرج منها فوالله ان خرجت منها لا يعود اليها سلطان المسلمين ابدا فسبوه فقال دعوا الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وسار حتى انتهى الى الربذة فلما انتهى اليها اتاه خبر سبقهم فاقام بها يأتمر ما يفعل وأتاه ابنه الحسن في الطريق فقال له لقد أمرتك فعصيتني فتقتل غدا بمضيعة لا ناصر لك فقال له علي انك لا تزال تحن حنين الجارية وما الذي أمرتني فعصيتك قال أمرتك يوم أحيط بعثمان ان تخرج من المدينة فيقتل ولست بها ثم امرتك يوم قتل ان لا تبايع حتى تأتيك وفود العرب وبيعة اهل كل مصر فانهم لن يقطعوا أمرا دونك فأبيت علي وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان ان تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فان كان الفساد كان على يد غيرك فعصيتني في ذلك كله فقال أي بني اما قولك لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به واما قولك لا تبايع حتى يبايع اهل الامصار فان الامر امر اهل المدينة * وكرهنا ان يضيع هذا الامر ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أرى احدا أحق بهذا الامر مني فبايع الناس ابو بكر الصديق فبايعته ثم ان ابا بكر انتقل الى رحمة الله وما أرى احدا احق بهذا الامر مني فبايع الناس عمر فبايعته ثم ان عمر انتقل الى رحمة الله وما ارى احدا احق بهذا الامر مني فجعلني سهما من ستة اسهم فبايع الناس عثمان فبايعته ثم سار الناس الى عثمان فقتلوه وبايعوني طائعين غير مكرهين فأنا مقاتل من خالفني بمن

فدخل البلد واستولى على التخت وقتل بعض مشايخ الحفصيين خفية ثم تحقق أهل البلد بأن الرشيد ما جاء وانما هي حيلة عملها خير الدين باشا فقاموا على خير الدين باشا وقاتلوه وقتل من أهل تونس ما يزيد على ثلاثين الف نفس ما بين رجل وامرأة ثم كف عنهم خير الدين باشا وصالحهم ولما بلغ الحسن ذلك اغار في بعض الليالي على البلد فقتل من العثمانية المقيمين بها نحو ألف وثلثمائة نفس ثم ركب البحر وسار الى اسبانية واستمد من ملكهم على خير الدين باشا وقال أنت تعلم اننا من بيت ملك قديم وان خير الدين حرامي جاءنا وأخرجنا عن ملكنا بالحيلة وانه ان تمكن هنالك مدة قطع عليكم مراكب الميرة والتجارة فيحصل لكم بذلك منه مضرة عظيمة فأجابه ملك اسبانية الى مسؤله ووعده النصر وعين له كل يوم أربعة آلاف دينار افرنجي لما كله وكان مكثه عنده سبعة أيام ثم سار بعمارة كبيرة نحو أربعمائة غراب فنازل تونس فلما رأى اهل تونس ما حل بهم من البلاء العظيم استأنسوا مع خير الدين باشا واطاعوه واتفقوا معه على ان لا يخرج هو ومن

أطاعني حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين واما قولك ان أجلس في بيتي حين خرج طلحة والزبير فكيف لي بما قد لزمني أو من تريدني اتريدني ان أكون كالضبع التي يحاط بها ويقال ليست ههنا حتى يحل عرقوباها (٣) حتى يخرج واذا لم انظر فيما يلزمني من هذا الامر ويعنيني فمن ينظر فيه فكف عنك يا بني ولما قدم على الربذة وسمع بها خبر القوم أرسل منها الى الكوفة محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن جعفر وكتب اليهم اني اخترتكم على الامصار وفزعت اليكم لما حدث فكونوا لدين الله اعوانا وانصارا وانهضوا الينا فالاصلاح نريد لتعود هذه الامة اخوانا فمضيا وبقي على بالربذة وأرسل الى المدينة فأتاه ما يريده من دابة وسلاح وأمر أمره وقام في الناس فخطبهم وقال ان الله تبارك وتعالى أعزنا بالاسلام ورفعنا به وجعلنا به اخوانا بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد فجرى الناس على ذلك ما شاء الله الاسلام دينهم والحق فيهم والكتاب امامهم حتى اصيب هذا الرجل بايدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الامة الا ان هذه الامة لا بد مفترقة كما افترقت الامم قبلها فنعوذ بالله من شر ما هو كائن * ثم عاد ثانية وقال انه لا بد مما هو كائن ان يكون الا وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة شرها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعملي وقد أدركتم ورأيتم فالزموا دينكم واهدوا بهديي فانه هدى نبيكم واتبعوا سنته وأعرضوا عما أشكل عليكم حتى تعرضوه على القرآن فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردوه وارضوا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن حكما واماما فلما أراد المسير من الربذة الى البصرة قام اليه ابن لرفاعة بن رافع فقال يا أمير المؤمنين اى شئ تريد وأين تذهب بنا فقال أما الذى نريد وننوى فالاصلاح ان قبلوا منا وأجابونا اليه قال فان لم يجيبونا اليه قال ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر قال فان لم يرضوا قال ندعهم ما تركونا قال فان لم يتركونا قال امتنعنا منهم قال فنعم اذن وقام الحجاج بن غزية الانصارى فقال لارضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول وقال

دراكها دراكها قبل الفوت * فانفر بنا واسم بنا نحو الصوت

* لازلت نفسى ان تكرهت الموت *

والله لننصرن الله كما سمانا انصارا ثم أتاه جماعة من طيئ وهو بالربذة فقيل لعلى هذه جماعة قد أتتك منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد التسليم عليك قال جزى الله كليهما خيرا وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما فلما دخلوا عليه قال لهم ما شهدتمونا به قالوا شهدنا لك بكل ما تحب فقال جزاكم الله خيرا فقد أسلمتم طائعين وقاتلتم المرتدين ووافيتم بصدقاتكم المسلمين فنهض سعيد بن عبيد الطائى فقال يا امير المؤمنين ان من الناس من يعبر لسانه عما في قلبه وانى والله ما أجد لسانى يعبر عما في قلبي وسأجهد وبالله التوفيق اما انا فسأنصح لك فى السر والعلانية واقاتل عدوك في كل موطن وأرى من الحق لك ما لا أراه لاحد غيرك من اهل زمانك لفضلك وقرابتك فقال رحمك الله قد أدى لسانك عما يجن ضميرك فقتل معه بصفين وسار على من الربذة وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجراح والراية مع محمد ابن الحنفية وعلى على ناقة حمراء يقود فرسا كميتا فلما نزل بفيد أتته أسد وطيئ فعرضوا عليه انفسهم فقال الزموا قراركم فى المهاجرين كفاية وأتاه رجل بفيد من الكوفة فقال له من الرجل قال عامر بن مطر الشيباني قال اخبرني عما وراءك فاخبره فسأله عن ابي موسى فقال ان اردت الصلح فأبو موسى

البلاد وهم يخرجون ويقاتلون عن دينهم وعن أنفسهم فاستمر القتال بين الفريقين نحو أحد وثلاثين يوما ثم اتفق ان اشتاقت نفس خير الدين باشا الى الخروج من البلاد والقتال مع الكفار فنزل من القلعة وفوض أمرها الى قائده الكبير جعفر اغا وكان افرنجيا بطن الكفر وكان في البلاد محبوس خير الدين باشا من الاسارى نحو أربعين الف نفر فقام جعفر اغا المذكور فاطلقهم من الحبس ومكنهم من القلعة واسوارها ومدافعها فصار المسلمون بين عدوين المدافع من البلاد والسيف من امامهم فانهزموا أقبح هزيمة فصاروا اما عرضة السيف واما هلكة تحت سنابك الخيل والهاربون هلك غالبهم من العطش ودخل ملك اسبانية البلاد واجلس الحسن على التخت واعطاه الحسن نفائس الاموال واعطاه من اسارى المسلمين ما يزيد على سبعين الف نفس ممن يتهم بموالاة الرشيد ثم التمس الحسن ان يؤخر عنده نحو اربعة آلاف افرنجي يقيمون عند حلق الوادى ويبنوا هناك معقلا وذلك في حدود سنة أربعين وتسعمائة تقريبا ثم كثروا وبنوا مدينة

صاحبه وان أردت القتال فليس بصاحبه فقال علي والله ما أريد الا الصلح حتى يرد علينا ولما
نزل علي الثعلبية أتاه الذي لقي عثمان بن حنيف وحرسه فأخبر أصحابه الخبر فقال اللهم عافني مما
ابتليت به طلحة والزبير فلما انتهى الى الاساد أتاه ما لقي حكيم بن جبلة وقتلة عثمان فقال الله أكبر
ما ينجيني من طلحة والزبير ان أصابا ثأرهما وقال

دعا حكيم دعوة الزماع * حل بها منزلة النزاع

فلما انتهى الى ذي قار أتاه فيها عثمان بن حنيف وليس في وجهه شعرة وقيل أتاه بالربذة وكانوا
قد نتفوا شعر رأسه ولحيته على ما ذكرناه فقال يا امير المومنين بعثتني ذا لحية وقد جئتك امرد
فقال أصبت اجرا وخيرا ان الناس وليهم قبلي رجلان فعملا بالكتاب والسنة ثم وليهم ثالث
فقالوا وفعلوا ثم بايعوني وبايعني طلحة والزبير ثم نكثا بيعتي وألبا الناس علي ومن العجب
انقيادهما لابي بكر وعمر وعثمان وخلافهما علي والله انهما ليعلمان اني لست بدون رجل ممن
تقدم اللهم فاحلل ما عقدا ولا تبرم ما أحكما في انفسهما واورهما المساءة فيما قد عملا وأقام بذي
قار ينتظر محمدا ومحمدا فأتاه الخبر بما لقيت ربيعة وخروج عبد القيس فقال عبد القيس خير
ربيعة وفي كل ربيعة خير وقال

يا لهف ما نفسي على ربيعه * ربيعة السامعة المطيعه
قد سبقتني فيهم الوقيعه * دعا علي دعوة سميعه
* حلوا بها المنزلة الرفيعه *

وعرضت عليه بكر بن وائل فقال لها ما قال لطيء وأسد واما محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر فأتيا
ابا موسى بكتاب علي وقاما في الناس بأمره فلم يجابا الى شيء فلما امسوا دخل ناس من اهل الحجى
على أبي موسى فقالوا ما ترى في الخروج فقال كان الرأي بالامس ليس اليوم ان الذي تهاونتم فيما
مضى هو الذي جر عليكم ما ترون انما هما امران القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا
فاختاروا فلم ينفر اليه أحد فغضب محمد ومحمد واغلظا لابي موسى فقال لهما والله ان بيعة
عثمان لفي عنقي وعنق صاحبكما فان لم يكن بد من قتال لا نقاتل احدا حتى نفرغ من قتلة عثمان
حيث كانوا فانطلقا الى علي فأخبراه الخبر وهو بذي قار فقال للاشتر وكان معه أنت صاحبنا في
أبي موسى والمعترض في كل شيء اذهب أنت وابن عباس فاصلح ما افسدت فخرجا فقدما الكوفة
فكلما أبا موسى واستعانا عليه بنفر من أهل الكوفة فقام لهم ابو موسى وخطبهم وقال ايها
الناس ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه اعلم بالله وبرسوله ممن لم يصحبه وان لكم
علينا حقا وانا مؤد اليكم نصيحة كان الرأي ان لا تستخفوا بسلطان الله وان لا تجترؤا على
الله وان تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم اليها حتى يجتمعوا فهم أعلم بمن تصلح له
الامامة وهذه فتنة صماء النائم فيها خير من اليقظان واليقظان خير من القاعد والقاعد خير
من القائم والقائم خير من الراكب والراكب خير من الساعي فكونوا جرثومة من جراثيم
العرب فاغمدوا السيوف وانصلوا الاسنة واقطعوا الاوتار وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم
هذا الامر وتنجلي هذه الفتنة فرجع ابن عباس والاشتر الى علي فأخبراه الخبر فأرسل ابنه
الحسن وعمار بن ياسر وقال لهما انطلقا فاصلحا ما افسدت فأقبلا حتى دخلا المسجد وكان أول

من

سورة حتى تضربهم
الخلق كافة. كان الحسن
هو الذي صار سببا لقرار
الكفار هنا. ثم ان الحسن
لما اطمأنت به الدار وحصل
له القرار خرج من البلد الى
قتال صاحب قيروان رجل
يقال له ابن الخطيب وكان
يعاديه وخلف في تونس ولده
حميدة فلما ابعد الحسن قام
أهل البلد وجاؤا الى حميدة
وقالوا لا يخفى عليك ما حل
بنا من جهة ابيك المشؤم فان
كان لك حاجة بالملك فقم
نبايعك والا دعونا عملك عبد
الملك فبايعناه فلما رأى
حميدة منهم الجد رضي بذلك
فبايعوه وقلدوه الامر ولما
بلغ الحسن ذلك ترك ابن
الخطيب وركب البحر وعاد الى
اسبانية ثانيا فقام من اسبانية
بعمارة عظيمة وارسى في حلق
الوادي ونازل تونس فخرج
حميدة ومعه وجوه العرب
فقاتلوا اسبانية قتالا عظيما
حتى افنوا اغالبهم بالقتل
وهرب الحسن فظفر به بعض
أهل تونس فأتوا به الى حميدة
فحبسه ثم هجم عليه اهل البلد
فقالوا لا بد من سمل عينيه
فسملها واستمر في الحبس حتى
مات وكان حميدة حميد الفعال
في أول امره ثم تغير وظلم
ومد النظر الى حريم الناس
على عكس ما كان ابوه
يفعله حتى اجتمع عندها كثر

من أتاهما المسروق بن الاجدع فسلم عليهما وأقبل على عمار فقال يا أبا اليقظان علام قتلتم
عثمان قال على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا قال فوالله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم
لكان خيرا للصابرين فخرج أبو موسى فلقي الحسن فضمه اليه وأقبل على عمار فقال يا أبا يقظان
اعدوت على أمير المؤمنين فيمن عدا فأحللت نفسك مع الفجار فقال لم أفعل ولم يسؤني فقطع
الحسن عليهما الكلام وأقبل على أبي موسى فقال له لم تثبط الناس عنا فوالله ما اردنا
الا الاصلاح ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شئ فقال صدقت بأبي أنت وأمي ولكن
المستشار مؤتمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستكون فتنة القاعد فيها خير
من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الراكب وقد جعلنا الله اخوانا وقد حرم
علينا دماءنا وأموالنا فغضب عمار وسبه وقام وقال يا أيها الناس انما قال له وحده أنت فيها
قاعدا خير منك قائما فقام رجل من بني تميم فسب عمارا وقال أنت أمس مع الغوغاء واليوم
تسافه أميرنا وثار زيد بن صوحان وطبقته وثار الناس وجعل أبو موسى يكفكف الناس ووقف
زيد على باب المسجد ومعه كتاب اليه من عائشة تأمره فيه بملازمة بيته أو نصرتها وكتاب الى أهل
الكوفة بمعناه فأخرجهما فقرأهما على الناس فلما فرغ منهما قال أمرت ان تقر في بيتها وأمرنا
ان نقاتل حتى لا تكون فتنة فأمرتنا بما أمرت به وركبت ما أمرنا به فقال له شبث بن ربعي
يا عماني لانه من عبد القيس وهم يسكنون عمان سرقت بجلولاء فقطعت يدك وعصيت أم المؤمنين
وتهاوى الناس وقام أبو موسى وقال أيها الناس أطيعوني وكونوا جرثومة من جراثيم العرب
يأوي اليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف ان الفتنة اذا أقبلت فقد شبهت فاذا أدبرت بينت
وان هذه الفتنة فاقرة كداء البطن تجري بها الشمال والجنوب والصبا والدبور تذر الحليم وهو
حيران كابن امس شيموا سيوفكم وقصدوا رماحكم وقطعوا أوتاركم والزموا بيوتكم خلوا
قريشا اذا أبوا الا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل علم بالامراء استنصحوني ولا تستغشوني
أطيعوني يسلم لكم دينكم ودنياكم ويشقى بحر هذه الفتنة من جناها فقام زيد فشال يده
المقطوعة فقال يا عبد الله بن قيس رد الفرات على ادراجه ارده من حيث يجيء حتى يعود كما
بدأ فان قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد فدع عنك ما لست مدركه سيروا الى أمير المؤمنين
وسيد المسلمين انفروا اليه أجمعين تصيبوا الحق فقام القعقاع بن عمرو فقال اني لكم ناصح وعليكم
شفيق أحب لكم ان ترشدوا ولاقولن لكم قولا هو الحق أما ما قال الامير فهو الحق لو أن اليه
سبيلا وأما ما قال زيد فزيد عدو هذا الامر فلا تستنصحوه والقول الذي هو الحق انه لا بد من
امارة تنظم الناس وتنزع الظالم وتعز المظلوم وهذا أمير المؤمنين ولي ما ولي وقد أنصف في الدعاء
وانما يدعو الى الاصلاح فانفروا وكونوا من هذا الامر بمرأى ومسمع وقال عبد الخير الخيواني
يا أبا موسى هل بايع طلحة والزبير قال نعم قال هل أحدث علي ما يحل به نقض بيعته قال لا أدري
قال لا دريت نحن نتركك حتى تدري هل تعلم أحدا خارجا من هذه الفتنة انما الناس أربع فرق
علي بظهر الكوفة وطلحة والزبير بالبصرة ومعاوية بالشام وفرقة بالحجاز لا غناء بها ولا يقاتل بها
عدو فقال أبو موسى اولئك خير الناس وهي فتنة فقال عبد الخير غلب عليك غشك يا أبا موسى
فقال سيحان بن صوحان أيها الناس لا بد لهذا الامر وهؤلاء الناس من وال يدفع الظالم ويعز

من الثمانة امرأة من بنات
الناس وامتدت أيامه
حتى بلغ خمسا وعشرين
سنة وثلاثة أشهر ونصفا
فلما آن أفول شمس حمدة
خرج من تونس الى قتال
بعض أحياء العرب فلما
أبعد عن البلد أرسل أهلها
الى نائب الجزائر قلج علي
باشا بتسليم البلد اليه فقام
قلج علي باشا فدخل تونس
واستولى على أموال حمدة
وكانت عظيمة على ما يحكى
وخطب بها وبجميع بلاد
افريقية باسم السلطان سليم
خان ابن السلطان سليمان
خان من آل عثمان وكان
ذلك في أواخر شوال سنة
ثمان وسبعين وتسعمائة ثم
ان حمدة جاء بقدار عشرة
آلاف وثمانمائة رجل يريد
قتال علي باشا فخرج اليه
علي باشا فقاتله وهزمه
واستقر قدم علي باشا في
المملكة ثم انه أقام رجلا
مكانه وسار حتى لحق بعمارة
السلطان في البحر وكانوا
عازمين على ملاقاة عمارة
الكفار ثم ان حمدة استمد
من اسبانية كما هو دأب
اسلافه فأمدوه بعمارة
كثيرة نحو مائة وخمسين
غرابا فنازلوا تونس فلما أحس
نائب تونس حيدر باشا بغلبة
الكفار خرج هو وأهل
البلد جميعا الى جهة قيروان

المظلوم ويجمع الناس وهذا واليكم يدعوكم لتنظروا فيما بينه وبين صاحبيه وهو المأمون على
الامة الفقيه في الدين فمن نهض اليه فانا سائرون معه فلما فرغ سحبان قال عمار هذا ابن عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم يستنفركم الى زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى طلحة والزبير واني
اشهد انها زوجته في الدنيا والآخرة فانظروا ثم انظروا في الحق فقاتلوا معه فقال له رجل انا مع
من شهدت له بالجنة على من لم تشهد له فقال له الحسن اكفف عنا فان للاصلاح اهلا وقام
الحسن بن علي فقال أيها الناس أجيبوا دعوة أميركم وسيروا الى اخوانكم فانه سيوجد الى
هذا الامر من ينفر اليه والله لأن يليه اولو النهى امثل في العاجل والآجل وخير في العاقبة
فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم وان أمير المؤمنين يقول قد خرجت مخرجي
هذا ظالما أو مظلوما واني اذكر الله رجلا رعى حق الله الا نفر فان كنت مظلوما اعانني وان كنت
ظالما اخذ مني والله ان طلحة والزبير لاول من بايعني واول من غدر فهل استأثرت بمال او بدلت
حكما فانفروا فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فسامح الناس وأجابوا ورضوا وأتى قوم من طيئ
عدي بن حاتم فقالوا ماذا ترى وما تأمر فقال قد بايعنا هذا الرجل وقد دعانا الى جلل والى هذا
الحدث العظيم لننظر فيه ونحن سائرون وناظرون فقام هند بن عمرو فقال ان أمير المؤمنين قد
دعانا وأرسل الينا رسله حتى جاءنا ابنه فاسمعوا الى قوله وانتهوا الى أمره وانفروا الى أميركم
فانظروا معه في هذا الامر وأعينوه برأيكم وقام حجر بن عدي فقال أيها الناس أجيبوا أمير
المؤمنين وانفروا خفافا وثقالا مروا وانا أولكم فاذعن الناس للمسير فقال الحسن أيها
الناس اني غاد فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر ومن شاء في الماء فنفر معه قريب من تسعة
آلاف أخذ في البر ستة آلاف ومائتان وأخذ في الماء الفان واربعمائة وقيل ان عليا ارسل
الاشتر بعد ابنه الحسن وعمار الى الكوفة فدخلها والناس في المسجد وابو موسى يخطبهم
ويثبطهم والحسن وعمار معه في منازعة وكذلك سائر الناس كما تقدم فجعل الاشتر لا يمر بقبيلة
فيها جماعة الا دعاهم ويقول اتبعوني الى القصر فانتهى الى القصر في جماعة الناس فدخله وابو
موسى في المسجد يخطبهم ويثبطهم والحسن يقول له اعتزل عملنا لا أم لك وتنح عن منبرنا وعمار
ينازعه فأخرج الاشتر غلمان ابي موسى من القصر فخرجوا يعدون وينادون يا ابا موسى هذا
الاشتر قد دخل القصر فضربنا وأخرجنا فنزل ابو موسى فدخل القصر فصاح به الاشتر اخرج
لا ام لك اخرج الله نفسك فقال أجلني هذه العشية فقال هي لك ولا تبيتن في القصر الليلة ودخل
الناس ينهبون متاع أبي موسى فمنعهم الاشتر وقال أنا له جار فكفوا عنه فنفر الناس في العدد
المذكور وقيل ان عدد من سار من الكوفة اثنا عشر الف رجل ورجل قال ابو الطفيل سمعت
عليا يقول ذلك قبل وصولهم فقعدت فأحصيتهم فما زادوا رجلا ولا نقصوا رجلا وكان على كنانة
واسد وتميم والرباب ومزينة معقل بن يسار الرياحي وكان على سبع قيس سعد بن مسعود الثقفي
عم المختار وعلى بكر وتغلب وعلة بن محدوج الذهلي وكان على مذحج والاشعريين حجر بن عدي
وعلى بجيلة وانمار وخثعم والازد مخنف بن سليم الازدي فقدموا على امير المؤمنين بذي قار فلقيهم
في ناس معه فيهم ابن عباس فرحب بهم وقال يا اهل الكوفة انتم قاتلتم ملوك العجم وفضضتم
جموعهم حتى صارت اليكم مواريثهم فمنعتم حوزتكم واعنتم الناس على عدوهم وقد دعوتكم

وأستولوا على تونس ثم قبضوا
على حميدة فأرسلوه الى بلاد
اسبانية وكان له أخ يقال له
مولى محمد بن الحسن وكان
هرب من أخيه حميدة الى
بلاد الافرنج فجاؤا به
وأجلسوه على سرير الملك
وليس معه مال ولا عسكر
ولا قدرة وهو كالمأسور والحكم
للافرنج وتركوا في تونس
ثمانية آلاف مقاتل وبنوا
معاقل في عدة أماكن فلله
الامر ولم يزل مولاي محمد
المذكور مالكا بتونس مع
ضعف الحال حتى تغلب
السلطان الاعظم سليم خان
العثماني وأرسل عمارة عظيمة
من البحر صحبة الوزير الاعظم
سنان باشا ومعه علي باشا
كاشف وجه البحر بفتح قلعة
حلق الوادي واسترداد
تونس فوصلوا في اليوم الرابع
والعشرين من ربيع
الاول سنة اثنتين وثمانين
وتسعمائة الى بر تونس
فحاصروا حلق الوادي وهو
من أمنع الحصون في الدنيا
فافتتحوها بعد قتال وقع من
الطرفين اناس كثيرة فقتلوا من
بها من الكفار وقصدوا تونس
واستولوا عليها وأسروا
صاحبها الافرنجي وصادفوا
فيها صاحب تونس مولاي
محمد قد تحصن فيها خوفا من
العثمانية فأسروه ثم جاؤا به

لتشهدوا معنا اخواننا من اهل البصرة فان يرجعوا فذاك الذى نريد وان يلجوا داويناهم بالرفق حتى يبدؤنا بظلم ولم ندع امرا فيه صلاح الا آثرناه على ما فيه الفساد ان شاء الله واجتمعوا عنده بذى قار وعبد القيس بأسرها فى الطريق بين علىّ والبصرة ينتظرونه وهم الوف وكان رؤساء الجماعة من الكوفيين القعقاع بن عمرو وسعد بن مالك وهند بن عمرو والهيثم بن شهاب وكان رؤساء النفار زيد بن صوحان والاشتر وعدى بن حاتم والمسيب بن نجبة ويزيد بن قيس وامثال لهم ليسوا دونهم الا انهم لم يؤمروا ومنهم حجر بن عدى فلما نزلوا بذى قار دعا علىّ القعقاع فأرسله الى اهل البصرة وقال الق هذين الرجلين وكان القعقاع من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فادعهما الى الالفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة وقال له كيف تصنع فيما جاءك منهما وليس عندك فيه وصاة قال نلقاهم بالذى امرت به فاذا جاءنا منهم ما ليس عندنا منك فيه رأى اجتهدنا رأينا وكلمناهم كما نسمع ونرى انه ينبغى قال انت لها فخرج القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة فسلم عليها وقال اى امه ما اشخصك وما اقدمك هذه البلدة قالت اى بنى الاصلاح بين الناس قال فابعثى الى طلحة والزبير حتى تسمعى كلامى وكلامهما فبعثت اليهما فجاآ فقال لهما انى سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الاصلاح بين الناس فما تقولان انتما أمتابعان ام مخالفان قالا متابعان قال فأخبرانى ما وجه هذا الاصلاح فوالله لئن عرفناه لنصلحن ولئن أنكرناه لا يصلح قالا قتلة عثمان فان هذا ان ترك كان تركا للقرآن قال قد قتلتما قتلة عثمان من اهل البصرة وأنتم قبل قتلهم اقرب الى الاستقامة منكم اليوم قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف فان تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون وان قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم فالذى حذرتم وقويتم به هذا الامر أعظم مما أراكم تكرهون وان أنتم منعتم مضر وربيعة من هذه البلاد اجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لاهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير قالت عائشة فماذا تقول أنت قال أقول ان هذا الامر دواؤه التسكين فاذا سكن اختلجوا فان أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بثار وان أنتم أبيتم الا مكابرة هذا الامر واعتسافه كانت علامة شر وذهاب هذا المال فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم ولا تعرضونا للبلاء فتعرضوا له فيصرعنا واياكم وايم الله انى لاقول هذا القول وأدعوكم اليه وانى لخائف ان لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الامة التى قل متاعها ونزل بها ما نزل فان هذا الامر الذى حدث أمر ليس يقدر وليس كقتل الرجل الرجل ولا النفر الرجل ولا القبيلة الرجل قالوا قد أصبت وأحسنت فارجع فان قدم علىّ وهو على مثل رأيك صلح هذا الامر فرجع الى علىّ فأخبره فأعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه وأقبلت وفود العرب من أهل البصرة نحو علىّ بذى قار قبل رجوع القعقاع لينظروا ما رأى اخوانهم من أهل الكوفة وعلى أى حال نهضوا اليهم وليعلموهم ان الذى عليه رأيهم الاصلاح ولا يخطر لهم قتالهم على بال فلما لقوا عشائرهم من أهل الكوفة قال لهم الكوفيون مثل مقالتهم وادخلوهم على علىّ فأخبروه بخبرهم وسأل علىّ جرير بن شرس عن طلحة والزبير فأخبره بدقيق أمرهما وجليله وقال له اما الزبير فيقول بايعنا كرها وأما طلحة فيتمثل الاشعار ويقول

الى القسطنطينية وحبس فى القلال السبع وهو آخر من تولى الملك من اهل هذا البيت والله تعالى أعلم

•(الباب السادس والعشرون فى ذكر دولة بنى الليث الصفار سلاطين سجستان ذوى القشاعم والفرسان والايادى والاحسان)•

وهم ثلاثة أنفار ومدة ملكهم خمسون سنة وكان الليث من أهل سجستان يبيع لحما وبعده صار من قطاع الطريق واتفق انه نقب ليلة خزانة درهم بن نصر أمير سجستان وأخذ الاموال فوقع نظره فى شئ أبيض يبرق فأخذ منه وذاقه فوجده ملحا فرد المال الذى أخذه الى مكانه وخرج هو وأصحابه ولم يأخذوا منه شيأ فلما أصبح الامير درهم واطلع على الحال نادى بالامان لمن دخل خزانته ولم يأخذ منها شيأ ليطلع على سر ذلك فحضر الليث فسأله لم أخذ المال ورده فقال وجدت فى خزانتك شيأ أبيض فذقت منه فوجدته ملحا فما رأيت ان آخذ من مالك واخونك بشئ بعد ان ذقت ملحك فحصل عند الامير منه موقع وأثبته فى ديوانه واستخدمه وفيما بعد اتخذه رأس العساكر فلما توفى الليث ولى الامير درهم

ألا أبلغ بني بكر رسولا * فليس الى بني كعب سبيل

سيرجع ظلمكم منكم عليكم * طويل الساعدين له فضول

فتمثل علي عندها

ألم تعلم أبا سمعان أنا * نرد الشيخ مثلك ذا الصداع

ويذهل عقله بالحرب حتى * يقوم فيستجيب لغير داع

فدافع عن خزاعة جمع بكر * وما بك يا سراقة من دفاع

ورجعت وفود أهل البصرة برأي أهل الكوفة ورجع القعقاع من البصرة فقام علي خطيبا فحمد الله وذكر الجاهلية وشقاها والاسلام والسعادة وانعام الله على الامة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذي يليه ثم الذي يليه ثم حدث هذا الحدث الذي جره على هذه الامة أقوام طلبوا هذه الدنيا حسدوا من أفاءها الله عليه وعلى الفضيلة وأرادوا رد الاسلام والاشياء على أدبارها والله بالغ أمره الا واني راحل غدا فارتحلوا ولا يرتحلن أحد أعان على عثمان بشيء من أمور الناس وليغن السفهاء عني أنفسهم فاجتمع نفر منهم علباء بن الهيثم وعدي بن حاتم وسالم بن ثعلبة القيسي وشريح بن أوفى والاشتر في عدة ممن سار الى عثمان ورضي بسير من سار وجاء معهم المصريون وابن السوداء وخالد بن ملجم فتشاوروا فقالوا ما الرأي وهذا علي وهو والله أبصر بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان وأقرب الى العمل بذلك وهو يقول ما يقول ولم ينفر اليه سواهم والقليل من غيرهم فكيف به اذا شام القوم وشاموه ورأوا قلتنا في كثرتهم وأنتم والله ترادون وما أنتم بأنجى من شيء فقال الاشتر قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا واما علي فلم نعرف رأيه الى اليوم ورأي الناس فينا واحد فان يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا فهلموا بنا نتثب على علي وطلحة فنلحقهما بعثمان فتعود فتنة يرضى منافيها بالسكون فقال عبد الله بن السوداء بئس الرأي رأيت أنتم يا قتلة عثمان بذي قار ألفان وخمسمائة أو نحو من ستمائة وهذا ابن الحنظلية يعني طلحة وأصحابه في نحو من خمسة آلاف بالاشواق الى أن يجدوا الى قتالكم سبيلا فقال علباء بن الهيثم انصرفوا بنا عنهم ودعوهم فان قلوا كان أقوى لعدوهم عليهم وان كثروا كان أحرى ان يصطلحوا عليكم دعوهم وارجعوا فتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتيكم فيه من تتقوون به وامتنعوا من الناس فقال ابن السوداء بئس ما رأيت ود والله الناس انكم انفردتم ولم تكونوا مع أقوام برآء ولو انفردتم لتخطفكم الناس كل شيء فقال عدي بن حاتم والله ما رضيت ولا كرهت ولقد عجبت من تردد من تردد عن قتله (٣) في خوض الحديث فأما اذا وقع ما وقع ونزل من الناس بهذه المنزلة فان لنا عتادا من خيول وسلاح فان أقدمتم أقدمنا وان أمسكتم أمسكنا فقال ابن السوداء أحسنت وقال سالم بن ثعلبة من كان أراد بما أتى الدنيا فاني لم أرد ذلك والله لئن لقيتهم غدا لا أرجع الى شيء وأحلف بالله انكم لتفرقن السيف فرق قوم لا تصير أمورهم الا الى السيف فقال ابن السوداء قد قال قولا وقال شريح بن أوفى أبرموا أموركم قبل ان تخرجوا ولا تؤخروا أمرا ينبغي لكم تعجيله ولا تعجلوا أمرا ينبغي لكم تأخيره فانا عند الناس بشر المنازل وما أدري ما الناس صانعون اذا ما هم التقوا وقال ابن السوداء يا قوم ان عزكم في خلطة الناس فاذا التقى الناس غدا فأنشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر فمن أنتم معه لا يجد بدا

من

مكانه ولده السلطان (يعقوب)

ولما توفي الامير درهم تولى مكانه في أواسط شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين فانقادت له جميع العساكر لحسن سيرته فملك سجستان وبلاد خراسان وكرمان وكان ذلك في خلافة المهتدي بالله العباسي فما لبث حتى عظم حجم جريدته واتسعت رقعة ولايته فملك بلاد فارس وخوزستان واتخذ نيسابور دار ملكه وكانت له سياسة لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من ملوك الامم الغابرة من الفرس وغيرهم وحسن انقيادهم لامره واستقامتهم اطاعته لما كان شملهم من احسانه وغمرهم من بره وملأ قلوبهم من هيبته ورغبته فمما ذكر من ظهور طاعتهم له انه كان بأرض فارس وقد أباح للناس ان يرعوا دوابهم ثم حدث أمر أوجب الرحيل عن تلك الكورة فنادى مناديه بقطع الدواب عن الربيع وانه رأى رجلا من أصحابه قد أسرع الى دابته وهي ترعى والحشيش في فيها فأخرجه من فم الدابة ومنعها ان تلوكه بعد سماعه النداء وأقبل على الدابة كالمخاطب لها فقال بالفارسية أمير كفت اسبان بسبز ببرند ونفسير ذلك أمر الامير بقطع

من أن يمنع و يشغل الله عليا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون فابصروا الرأى وتفرقوا عليه والناس لايشعرون وأصبح علىّ على ظهر ومضى ومضى معه الناس حتى نزل على عبد القيس فانضموا اليه وسار من هنالك فنزل الزاوية وسار من الزاوية يريد البصرة وسار طلحة والزبير وعائشة من الفرضة فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد فلما نزل الناس أرسل شقيق بن ثور الى عمرو بن مرحوم العبدى أن اخرج فاذا خرجت فمل بنا الى عسكر علىّ فخرجا فى عبد القيس و بكر بن وائل فعدلوا الى عسكر علىّ فقال الناس من كان هؤلاء معه غلب وأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال فكان يرسل علىّ اليهم يكلمهم و يدعوهم وكان نزولهم فى النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ونزل بهم على وقد سبق أصحابه وهم يتلاحقون به فلما نزل قال أبو الجرباء للزبير ان الرأى ان تبعث ألف فارس الى علىّ قبل ان يوافى اليه أصحابه فقال انا لنعرف أمور الحرب ولكنهم أهل دعوتنا وهذا أمر حدث لم يكن قبل اليوم من لم يلق الله فيه بعذر انقطع عذره يوم القيامة وقد فارقنا وفدهم على امر وأنا أرجو أن يتم لنا الصلح فأبشروا واصبروا واقبل صبرة بن شيمان فقال لطلحة والزبير انتهزا بنا هذا الرجل فان الرأى فى الحرب خير من الشدة فقالا ان هذا امر لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن و يكون فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد زعم قوم انه لايجوز تحريكه وهم علىّ ومن معه وقلنا نحن انه لا ينبغى لنا ان نتركه ولا نؤخره وقد قال علىّ ترك هؤلاء القوم شر وهو خير من شر منه وقد كاد يتبين لنا وقد جاءت الاحكام بين المسلمين بأعمها منفعة وقال كعب بن سور يا قوم اقطعوا هذا العنق من هؤلاء القوم فأجابوه بنحو ما تقدم وقام علىّ فخطب الناس فقام اليه الاعور بن بنان المنقرى فسأله عن اقدامهم على اهل البصرة فقال له علىّ على الاصلاح واطفاء النائرة لعل الله يجمع شمل هذه الامة بنا ويضع حربهم قال فان لم يجيبونا قال تركناهم ما تركونا قال فان لم يتركونا قال دفعناهم عن انفسنا قال فهل لهم من هذا مثل الذى عليهم قال نعم وقام اليه ابو سلامة الدالانى فقال أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم ان كانوا ارادوا الله بذلك قال نعم قال افترى لك حجة بتأخير ذلك قال نعم ان الشئ اذا كان لايدرك ان الحكم فيه احوطه واعمه نفعا قال فما حالنا وحالهم ان ابتلينا غدا قال انى لارجو ان لا يقتل منا ومنهم احد نقى قلبه لله الا ادخله الله الجنة وقال فى خطبته أيها الناس املكوا عن هؤلاء القوم ايديكم والسنتكم واياكم ان تسبقونا فان المخصوم غدا من خصم اليوم وبعث اليهم حكيم بن سلامة ومالك بن حبيب ان كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع فكفوا حتى ننزل وننظر فى هذا الامر وخرج اليه الاحنف بن قيس وبنو سعد مشمرين قد منعوا حرقوص بن زهير وهم معتزلون وكان الاحنف قد بايع عليا بالمدينة بعد قتل عثمان لانه كان قد حج وعاد من الحج فبايعه قال الاحنف ولم ابايع عليا حتى لقيت طلحة والزبير وعائشة بالمدينة وانا اريد الحج وعثمان محصور فقلت لكل منهم ان الرجل مقتول فمن تأمرونى ابايع فكلهم قال بايع عليا فقلت اترضونه لى فقالوا نعم فلما قضيت حجى ورجعت الى المدينة رأيت عثمان قد قتل فبايعت عليا ورجعت الى اهلى ورأيت الامر قد استقام فبينما انا كذلك اذ اتانى آت فقال هذه عائشة وطلحة والزبير بالخريبة يدعونك فقلت ما جاء بهم قال يستنصرونك على قتال على فى دم عثمان فأتانى افظع امر فقلت ان خذلانى ام المؤمنين وحوارى

الدواب عن الرطبة وانه رأى فى عسكره فى غير هذا الوقت رجلا من قواده والدرع الحديد على بدنه لا ثوب تحته فقيل له فى ذلك فقال نادى منادى الامير البس السلاح وكنت عريانا اغتسل من جنابة فلم يسعنى التشاغل بلبس الثياب فلبست الدرع امتثالا لامره وقد كان انتخب من اصحابه الف رجل فجعلهم اصحاب الاعمدة الذهب كل عمود منها الف مثقال ومثلهم اصحاب اعمدة الفضة فاذا كان فى الاعياد وفى اليوم الذى يحتاج فى مثله الى مباهاة الاعداء دفع اليهم تلك الاعمدة ومشوا فى خدمته اجلالا له وكان لا يطلع على سره احد ولا يعرف تدابيره غيره واكثر نهاره هو خال بنفسه يفكر فيما يدبره وكانت وفاته لسبع بقين من شوال عام خمسة وستين ومائتين بجنديسابور وكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة وتولى مكانه اخوه (عمرو بن الليث) وسار سيرة حسنة وزاد فى رفعته حتى خطب له بمدينة بغداد وكان لايذكر غير اسم الخليفة وفى سنة سبع وثمانين ومائتين كانت الحرب بين اسمعيل بن احمد الساماني وبين عمرو المذكور بناحية بلخ وكانت امرأة اسمعيل المذكور معه على عادة الفرس فى السفر فخرجت يوما الى حافة نهر تغتسل وأخرجت عقدها الثمين ووضعته على حافة النهر فجاء طير فاختطف ذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم لشديد وان قتال ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد امرونى
ببيعته اشد فلما اتيتهم قالوا جئنا لكذا وكذا قال فقلت يا ام المؤمنين ويا زبير ويا طلحة نشدتكم
الله أقلت لكم من تأمرونى ابايع فقلتم بايع عليا فقالوا نعم ولكنه بدل وغير فقلت والله
لا اقاتلكم ومعكم ام المؤمنين ولا أقاتل ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمرتمونى
ببيعته ولكنى اعتزل فأذنوا لى فى ذلك فاعتزل بالجلحاء ومعه زهاء ستة آلاف وهى من البصرة على
فرسخين فلما قدم على أتاه الاحنف فقال له ان قومنا بالبصرة يزعمون انك ان ظهرت عليهم غدا
قتلت رجالهم وسبيت نساءهم قال ما مثلى يخاف هذا منه وهل يحل هذا الا ممن تولى وكفر وهم
قوم مسلمون قال اختر منى واحدة من اثنتين اما ان أقاتل معك واما ان أكف عنك عشرة آلاف
سيف قال فكيف بما أعطيت أصحابك من الاعتزال قال ان من الوفاء قتالهم قال فاكفف عنا
عشرة آلاف سيف فرجع الى الناس فدعاهم الى القعود ونادى يا آل خندف فأجابه ناس ونادى
يا آل تميم فأجابه ناس ثم نادى يا آل سعد فلم يبق سعدى الا أجابه فاعتزل بهم ونظر ما يصنع الناس فلما
كان القتال وظفر على دخلوا فيما دخل فيه الناس وافرين فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على
فرس عليه سلاح فقيل لعلى هذا الزبير فقال اما انه أحرى الرجلين ان ذكر بالله تعالى ان يذكر
وخرج طلحة فخرج اليهما على حتى اختلفت أعناق دوابهم فقال على لعمرى قد أعددتما سلاحا
وخيلا ورجالا ان كنتما أعددتما عند الله عذرا فاتقيا الله ولا تكونا كالتى نقضت غزلها من
بعد قوة أنكاثا ألم أكن اخاكما فى دينكما تحرمان دمى وأحرم دمكما فهل من حدث أحل
لكما دمى قال طلحة ألبت على عثمان قال على يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق يا طلحة تطالب بدم عثمان
فلعن الله قتلة عثمان يا طلحة أجئت بعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتل بها وخبأت عرسك
فى البيت اما بايعتنى قال بايعتك والسيف على عنقى فقال على للزبير يا زبير ما أخرجك قال أنت
ولا أراك لهذا الامر أهلا ولا أولى به منا فقال له على ألست له أهلا بعد عثمان قد كنا نعدك من
بنى عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرق بيننا وذكره أشياء وقال له تذكر يوم مررت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى غنم فنظر الى فضحك وضحكت اليه فقلت له لا يدع ابن أبى
طالب زهوه فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمزه لتقاتلنه وأنت ظالم له قال اللهم نعم
ولو ذكرت ما سرت مسيرى هذا والله لا أقاتلك أبدا فانصرف على الى أصحابه فقال اما الزبير فقد
أعطى الله عهدا ان لا يقاتلكم ورجع الزبير الى عائشة فقال لها ما كنت فى موطن منذ عقلت
الا وأنا اعرف فيه امرى غير موطنى هذا قالت فما تريد ان تصنع قال اريد ان ادعهم واذهب
قال له ابنه عبد الله جمعت بين هذين الغارين حتى اذا حدد بعضهم لبعض اردت ان تتركهم
وتذهب لكنك خشيت رايات ابن ابى طالب وعلمت انها تحملها فتية انجاد وان تحتها الموت
الاحمر فجبنت فأحفظه ذلك وقال انى حلفت ان لا اقاتله قال كفر عن يمينك وقاتله فاعتق غلامه
مكحولا وقيل سرجس فقال عبد الرحمن بن سليمان التميمى

لم ار كاليوم اخا اخوان * اعجب من يكفر الايمان

الابيات وقيل انما عاد الزبير عن القتال لما سمع ان عمار بن ياسر مع على فخاف ان يقتل عمارا
وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم يا عمار تقتلك الفئة الباغية فرده ابنه عبد الله كما ذكرناه

البئر ثلثمائة وسبعين صندوقا
مملوأة من الذهب والجواهر
وهى خزينة خصمه الذى
خرج لقتاله وهو عمرو بن
الليث واستبشر بذلك انه
يغلب عمرا وكان كذلك
وفى تواريخ الفرس ان عمرو
ابن الليث هذا أمسكه الملك
اسمعيل منفردا وأسره ولم
يحصل لاحد من عسكره
بأس وذلك ان فرس عمرو
عشق فرسا انثى فى جانب
خصمه اسمعيل المذكور
فحمله فرسه كرها عليه ولم
يستطع ردها الى ان دخل
بين عسكر عدوه فأمسكوه فلما
انتصر اسمعيل وأسر عمرو
ارسله الى الخليفة المعتضد
بالله فلما ادخل الى مدينة
بغداد وكان رافعا يديه يدعو
وهو على جمل فالج وهو ذو
السنامين وكان انفذه الى
الخليفة فى هدايا تقدمت
له فقال فى ذلك الحسن بن
محمد

الم تر هذا الدهر كيف يكون
يكون يسيرا امره وعسيرا
وحسبك بالصفار نبلا وعزة
يروح ويغدو فى الجيوش اميرا
حباهم باجمال ولم يدر انه
على جمل منها يقاد اسيرا

فلما مثل بين يدى الخليفة
امر بحبسه ومنع الطعام
عنه فهلك فى السجن من
الجوع وقيل انه اشتهى طعاما فوضعوا له قطعة لحم فى سطل فجاء كلب ووضع عنقه فى السطل وتعلق برقبته

وافترق

وافترق اهل البصرة ثلاث فرق فرقة مع طلحة والزبير وفرقة مع علىّ وفرقة لاترى القتال منهم
الاحنف وعمران بن حصين وغيرهما وجاءت عائشة فنزلت فى مسجد الحدان فى الازد ورأس
الازد يومئذ صبرة بن شيمان فقال له كعب بن سور ان الجموع اذا تراءت لم تستطع انما هى بحور
تدفق فأطعنى ولا تشهدهم واعتزل بقومك فانى أخاف ان لا يكون صلح ودع مضر وربيعة فهما
اخوان فان اصطلحا فالصلح أردنا وان اقتتلا كنا حكاما عليهم غدا وكان كعب فى الجاهلية
نصرانيا فقال له صبرة أخشى ان يكون فيك شئ من النصرانية أتأمرنى ان أغيب عن اصلاح
بين الناس وان أخذل أم المومنين وطلحة والزبير ان ردوا عليهم الصلح وأدع الطلب بدم عثمان
والله لا أفعل هذا أبدا فاطبق أهل اليمن على الحضور وحضر مع عائشة المنجاب بن راشد فى
الرباب وهم تيم وعدى وثور وعكل بنو عبد مناف بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وضبة بن أد
ابن طابخة وحضر أيضا أبو الجرباء فى بنى عمرو بن تميم وهلال بن وكيع فى بنى حنظلة وصبرة بن
شيمان على الازد ومجاشع بن مسعود السلمى على سليم وزفر بن الحرث فى بنى عامر وغطفان
ومالك بن مسمع على بكر والخريت بن راشد على بنى ناجية وعلى اليمن ذو الاجرة الحميرى ولما
خرج طلحة والزبير نزلت مضر جميعا وهم لا يشكون فى الصلح ونزلت ربيعة فوقهم وهم
لا يشكون فى الصلح ونزلت اليمن أسفل منهم ولا يشكون فى الصلح وعائشة فى الحدان والناس
بالزابوقة على رؤسائهم هؤلاء وهم ثلاثون ألفا وردوا حكيما ومالكا الى علىّ انا على ما فارقنا
عليه القعقاع ونزل علىّ بحيالهم فنزلت مضر الى مضر وربيعة الى ربيعة واليمن الى اليمن فكان
بعضهم يخرج الى بعض لا يذكرون الا الصلح وكان أصحاب علىّ عشرين ألفا وخرج علىّ وطلحة
والزبير فتوافقوا فلم يروا أمرا أمثل من الصلح ووضع الحرب فافترقوا على ذلك وبعث علىّ من
العشى عبد الله بن عباس الى طلحة والزبير وبعثا هما محمد بن ابى طلحة الى علىّ وارسل علىّ الى
رؤساء اصحابه وطلحة والزبير الى رؤساء أصحابهما بذلك فباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية التى
أشرفوا عليها والصلح وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة وقد أشرفوا على الهلكة وباتوا
يتشاورون فاجتمعوا على انشاب الحرب فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم فخرجوا متسللين
وعليهم ظلمة فقصد مضرهم الى مضرهم وربيعتهم الى ربيعتهم ويمنهم الى يمنهم فوضعوا فيهم السلاح
فثار أهل البصرة وثار كل قوم فى وجوه أصحابهم الذين أتوهم وبعث طلحة والزبير الى الميمنة وهم
ربيعة اميرا عليها عبد الرحمن بن الحرث والى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب وثبتا فى القلب وقالا
ما هذا قالوا طرقنا اهل الكوفة ليلا فقالا قد علمنا ان عليا غير منته حتى يسفك الدماء وانه لن
يطاوعنا فرد اهل البصرة أولئك الكوفيين الى عسكرهم فسمع علىّ وأهل الكوفة الصوت
وقد وضع السبئية رجلا قريبا منه يخبره بما يريد فلما قال على ما هذا قال ذلك الرجل ما شعرنا
الا وقوم منهم قد بيتونا فرددناهم فوجدنا القوم على رجل فركبونا وثار الناس فارسل على
صاحب الميمنة الى الميمنة وصاحب الميسرة الى الميسرة وقال لقد علمت ان طلحة والزبير غير
منتهيين حتى يسفكا الدماء وانهما لن يطاوعانا والسبئية لا تفتر ونادى على فى الناس كفوا فلا
شئ وكان من رأيهم جميعا فى تلك الفتنة ان لا يقتتلوا حتى يبدؤا يطلبون بذلك الحجة وان
لا يقتلوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يستحلوا سلبا ولا يرزؤا بالبصرة سلاحا ولا ثيابا ولا متاعا

فضحك فسئل عن سبب ضحكه فقال بالامس كان يحمل ما يحتاج اليه مطبخى فى اسفارى على ثلثمائة جمل واليوم يحملها كلب فى عنقه وكانت مدة ملكه ثلاثا وثلاثين سنة فتولى الملك بعده ولده (طاهر بن عمرو ابن الليث) خمس سنين وهذا آخر من ملك من بنى الصفار وقد انقرضت دولتهم فى سنة خمس وثلثمائة والله اعلم

(الباب السابع والعشرون فى ذكر دولة آل سامان بما وراء النهر وخراسان)

ذكر العتبى فى تاريخه ان ملك آل سامان كان بما وراء النهر الى حدود اصفهان وهم عشرة انفار ومدة ملكهم مائة سنة وسبعين سنة وستة اشهر اولهم (ابو ابراهيم اسمعيل) بن احمد وهو الذى قبض على عمرو ابن الليث المذكور وكان منعوتا بالعدل والرأفة موسوما بطاعة الخلافة توفى ببخارا ليلة الثلاثاء لاربع عشرة خلت من صفر سنة خمس وتسعين ومائتين وقام بالامر بعده (ابو نصر احمد بن اسمعيل) فملك ست سنين وثلاثة اشهر وقتله به نفر من غلمانه ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى الآخرة وكان مقتديا بسيرة أبيه فى اتباع العدل الى ان طوت الدنيا صحائف ايامه وملك بعده ولده (ابو الحسن نصر بن أحمد) فملك ثلاثين سنة وكان رفيع النجاد قوى العماد فلما توفى تلاه فى ارث الملك (نوح بن

نصر) وهو الحميد في آرائه السديد في آلائه فملك اثنتي عشرة سنة وثلاثة اشهر وسبعة ايام و توفي ببخارا يوم الثلاثاء

وأقبل كعب بن سور حتى اتى عائشة فقال ادركي فقد ابى القوم الا القتال لعل الله ان يصلح بك
فركبت وألبسوا هودجها الادراع فلما برزت من البيوت وهي على الجمل بحيث يسمع الغوغاء
وقفت واقتتل الناس وقاتل الزبير فحمل عليه عمار بن ياسر فجعل يحوزه بالرمح والزبير كاف عنه
ويقول أتقتلني يا ابا اليقظان فيقول لا يا ابا عبد الله وانما كف الزبير عنه لقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية ولولا ذلك لقتله وبينما عائشة واقفة اذ سمعت ضجة شديدة
فقالت ما هذا قالوا ضجة العسكر قالت بخير أو بشر قالوا بشر فما فجأها الا الهزيمة فمضى الزبير من
وجهه الى وادي السباع وانما فارق المعركة لانه قاتل تعذيرا لما ذكر له علي واما طلحة فاتاه سهم
غرب فأصابه فشك رجله بصفحة الفرس وهو ينادي الي الي عباد الله الصبر الصبر فقال له القعقاع
ابن عمرو يا ابا محمد انك لجريح وانك عما تريد لعليل فادخل البيوت فدخل ودمه يسيل وهو
يقول اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى فلما امتلأ خفه دما وثقل قال لغلامه اردفني وأمسكني
وأبلغني مكانا انزل فيه فدخل البصرة فأنزله في دار خربة فمات فيها وقيل انه اجتاز به رجل من
اصحاب علي فقال له انت من اصحاب امير المؤمنين قال نعم قال امدد يدك ابايعك له فبايعه لخاف
ان يموت وليس في عنقه بيعة ولما قضى دفن في بني سعد وقال لم ار شيخا اضيع دما مني وقتل عند
دخول البصرة مثله ومثل الزبير

فان تكن الحوادث اقصدتني * واخطأهن سهمي حين ارمي
فقد ضيعت حين تبعت سهما * سفاهة ما سفهت وضل حلمي
ندمت ندامة الكسعي لما * شربت رضا بني سهم برغمي
اطعتهم بفرقة آل لأي * فألقوا للسباع دمي ولحمي

وكان الذي رمى طلحة مروان بن الحكم وقيل غيره واما الزبير فانه مر بعسكر الاحنف بن قيس
فقال والله ما هذا بخيار جمع بين المسلمين حتى ضرب بعضهم بعضا الحق ببيته وقال الاحنف للناس
من يأتيني بخبره فقال عمرو بن جرموز لاصحابه انا فاتبعه فلما لحقه نظر اليه الزبير قال ما وراءك
قال انما اريد ان أسألك فقال غلام للزبير اسمه عطية انه معد قال ما يهولك من رجل وحضرت
الصلاة فقال ابن جرموز الصلاة فقال الزبير الصلاة فلما نزلا استدبره ابن جرموز فطعنه في جربان
درعه فقتله واخذ فرسه وسلاحه وخاتمه وخلى عن الغلام فدفنه بوادي السباع ورجع الى
الناس بالخبر وقال الاحنف لابن جرموز والله ما ادري احسنت ام اسأت فأتى ابن جرموز
عليا فقال لحاجبه استأذن لقاتل الزبير فقال علي ائذن له وبشره بالنار واحضر سيف الزبير
عند علي فأخذه فنظر اليه وقال طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبعث به الى عائشة لما انجلت الوقعة وانهزم الناس يريدون البصرة فلما رأوا الخيل اطافت
بالجمل عادوا قلبا كما كانوا حيث التقوا وعادوا في امر جديد ووقفت ربيعة بالبصرة
ميمنة وبعضهم ميسرة وقالت عائشة لما انجلت الوقعة وانهزم الناس لكعب بن سور خل عن
الجمل وتقدم بالمصحف فادعهم اليه وناولته مصحفا فاستقبل القوم والسبئية امامهم فرموه
رشقا واحدا فقتلوه ورموا ام المؤمنين في هودجها فجعلت تنادي البقية البقية يا بني ويعلو

لاحدى عشرة ليلة بقيت
من شهر ربيع الآخر سنة
ثلاث واربعين وثلثمائة
وانتصب منصبه (عبد الملك
ابن نوح) فملك سبع سنين
وستة اشهر واحد عشر يوما
وعثرت به دابته فسقط الى
الارض سقطة حمل منها ميتا
وخلفه في الولاية اخوه
(منصور بن نوح) خمس
عشرة سنة وتسعة اشهر
وتوفي ببخارا يوم الثلاثاء
لاحدى عشرة خلت من شوال
سنة خمس وستين وثلثمائة
وولي امره ولده (نوح بن
منصور) احدى وعشرين
سنة وتسعة اشهر فتوفي
وولي بعده ولده (منصور بن
نوح) ثم بعد عامين وثب عليه
اخوه عبد الملك بن نوح فقبض
عليه فاعتقله بكتوزون
بسرخس يوم الاربعاء لاثنتي
عشرة ليلة بقيت من صفر
سنة تسع وثمانين وثلثمائة
وبويع اخوه (عبد الملك
ابن نوح) فما استقرت قدمه
في الولاية حتى خربت على
يد السلطان يمين الدولة وامين
الملة دعائمه وشالت نعامته
فطار الى بخارا وقبض ايلك
خان عليه وانتزع ولايته من يديه
وكانت مدة ملكه ثمانية اشهر
وسبعة عشر يوما وتولى بعده
(اسمعيل بن نوح) وهو آخر من
تولى الملك من هذه الطائفة

فسبحان من لا يزول ملكه ولا يحول (الباب الثامن والعشرون في ذكر دولة بني سبكتكين ذوي الرأي الصحيح والعقل الرصين صورتها

صوتها كثرة الله الله اذكروا الله والحساب فيأبون الا اقداما فكان أول شئ أحدثته حين ابوا أن قالت أيها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم واقبلت تدعو وضج الناس بالدعاء فسمع على فقال ما هذه الضجة قالوا عائشة تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم فقال على اللهم العن قتلة عثمان فأرسلت الى عبد الرحمن بن عتاب وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام أن اثبتا مكانكما وحرضت الناس حين رأت القوم يريدونها ولا يكفون فحملت مضر البصرة حتى قصفت مضر الكوفة حتى زحم على فنخس قفا ابنه محمد وكانت الراية معه وقال له احمل فتقدم حتى لم يجد متقدما الا على سنان رمح فأخذ على الراية من يده وقال يا بنى بين يدى وحملت مضر الكوفة فاجتلدوا قدام الجمل حتى ضرسوا والمجنبتان على حالهما لا تصنع شيأ ومع على قوم من غير مضر منهم زيد بن صوحان طلبوا ذلك منه فقال له رجل تنح الى قومك مالك ولهذا الموقف الست تعلم ان مضر بحيالك والجمل بين يديك وان الموت دونه فقال الموت خير من الحياة الموت اريد فأصيب هو واخوه سيحان وارتث صعصعة أخوهما واشتدت الحرب فلما رأى على ذلك بعث الى ربيعة والى اليمن أن اجمعوا من يليكم فقام رجل من عبد القيس من اصحاب على فقال ندعوكم الى كتاب الله فقالوا وكيف يدعونا اليه من لا يستقيم ولا يقيم حدود الله وقد قتل كعب بن سور داعى الله ورمته ربيعة رشقا واحدا فقتلوه فقام مسلم بن عبد الله العجلى مكانه فرشقوه رشقا واحدا فقتلوه ودعت يمن الكوفة يمن البصرة فرشقوهم وأبى اهل الكوفة الا القتال ولم يريدوا الا عائشة فذكرت اصحابها فاقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا ثم رجعوا فاقتتلوا وتزاحف الناس وظهرت يمن البصرة على يمن الكوفة فهزمتهم وربيعة البصرة على ربيعة الكوفة فهزمتهم ثم عاد يمن الكوفة فقتل على رايتهم عشرة خمسة من همدان وخمسة من سائر اليمن فلما رأى ذلك يزيد بن قيس اخذها فثبتت فى يده وهو يقول

قد عشت يا نفسى وقد عشيت * دهرا فقدك اليوم ما بقيت
* اطلب طول العمر ما حييت *

وانما تمثلها وقال ابن ابى نمران الهمدانى

جردت سيفى فى رجال الازد * اضرب فى كهولهم والمرد
* كل طويل الساعدين نهد *

ورجعت ربيعة الكوفة فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل على رايتهم وهم فى الميسرة زيد وعبد الله بن رقبة وأبو عبيدة بن راشد بن سلمى وهو يقول اللهم انت هديتنا من الضلالة واستنقذتنا من الجهالة وابتليتنا بالفتنة فكنا فى شبهة وعلى ريبة وقتل واشتد الامر حتى لزقت ميمنة أهل الكوفة بقلبهم وميسرة اهل البصرة بقلبهم ومنعوا ميمنة اهل الكوفة ان يختلطوا بقلبهم وان كانوا الى جنبهم وفعل مثل ذلك ميسرة اهل الكوفة بميمنة اهل البصرة فلما رأى الشجعان من مضر الكوفة والبصرة الصبر تنادوا طرفوا اذا فرغ الصبر فجعلوا يقصدون الاطراف الايدى والارجل فما رؤى وقعة كانت أعظم منها قبلها ولا بعدها ولا أكثر ذراعا مقطوعة ولا رجلا مقطوعة وأصيبت يد عبد الرحمن بن عتاب قبل قتله فنظرت عائشة من يسارها فقالت من القوم عن يسارى قال صبرة بن شيمان بنوك الازد فقالت يا آل غسان حافظوا اليوم جلادكم الذى كنا

وهم عشرة أنفار ومدة ملكهم مائة سنة واثنتان وسبعون سنة وأول من تولى الملك منهم (سبكتكين) وسببه انه ورد بخارا فى أيام نوح بن منصور أحد ملوك السامانية المقدم ذكرهم وكان وروده فى صحبة ابى اسحق بن ألبتكين وهو حاجبه ولما خرج ابو اسحق المذكور واليا الى غزنه انصرف الامير سبكتكين وعليه مدار اموره فلم يلبث أبو اسحق بعد موافاتها ان قضى نحبه ولم يبق من ذوى قرابته من يصلح لمكانه ثم وقع اتفاقهم على تولية الامير سبكتكين فبايعوه على ذلك وانقادوا لحكمه فلما تمكن واستحكم شرع فى الغزو والاغارة على اطراف الهند فافتتح قلاعا كثيرة وجرت بينه وبين الهنود حروب يقصر الشرح عن وصفها ولم يلبث ان اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جريدته وآخر الامر انه وصل الى مدينة بلخ من طوس فمرض بها فاشتاق الى غزنه فخرج اليها فمات فى الطريق قبل وصوله وذلك فى شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة ونقل تابوته الى غزنه وكانت مدة ملكه ثلاثا وثلاثين سنة فتولى الملك بعده ولده (اسمعيل) بعهد منه وكان

نسمع به وقتلت

وجالد من غسان اهل حفاظها * وكعب وأوس جالدت وشبيب

فكان الازد يأخذون بعر الجمل يشمونه و يقولون بعر جمل أمنا ريحه ريح المسك وقالت لمن عن يمينها من القوم عن يمين قال بكر بن وائل قالت لكم يقول القائل

وجاؤا الينا في الحديد كأنهم * من العزة القعساء بكر بن وائل

انما بازائكم عبد القيس فاقتتلوا أشد من قتالهم قبل ذلك واقبلت على كتيبة بين يديها فقالت من القوم قالوا بنو ناجية قالت بخ بخ سيوف ابطحية قرشية فجالدوا جلادا يتقادى منه ثم اطافت بها بنو ضبة فقالت ويها جمرة الجمرات فلما رقوا خالطهم بنو عدي بن عبد مناة وكثروا حولها فقالت من أنتم قالوا بنو عدي خالطنا اخوتنا فأقاموا رأس الجمل وضربوا ضربا شديدا ليس بالتعذير ولا يعدلون بالتطريف حتى اذا كثر ذلك وظهر في العسكرين جميعا راموا الجمل وقالوا لا يزال القوم او يصرع الجمل وصار مجنبتا علي الى القلب وفعل ذلك أهل البصرة وكره القوم بعضهم بعضا وأخذ عميرة بن يثربي برأس الجمل وكان قاضي البصرة قبل كعب بن سور فشهد الجمل هو وأخوه عبد الله فقال علي من يحمل على الجمل فانتدب له هند بن عمرو الجملي المرادي فاعترضه ابن يثربي فاختلفا ضربتين فقتله ابن يثربي ثم حمل علباء بن الهيثم فاعترضه ابن يثربي فقتله وقتل سيحان بن صوحان وارتث صعصعة وقال ابن يثربي

أنا لمن ينكرني ابن يثربي * قاتل علباء وهند الجملي

* وابن لصوحان على دين علي *

وقال ابن يثربي ايضا

اضربهم ولا أرى اباحسن * كفى بهذا حزنا من الحزن

* انا نمر الامر إمرار الرسن *

فناداه عمار لقد عذت بحريز وما اليك من سبيل فان كنت صادقا فاخرج من هذه الكتيبة الي فترك الزمام في يد رجل من بني عدي حتى اذا كان بين الصفين تقدم عمار وهو ابن تسعين سنة وقيل أكثر من ذلك عليه فرو قد شد وسطه بحبل ليف وهو أضعف من بارزه واسترجع الناس وقالوا هذا لاحق بأصحابه وضربه ابن يثربي فاتقاه عمار بدرقته فنشب سيفه فيها فعالجه فلم يخرج وأسف عمار لرجليه فضربه فقطعهما فوقع على استه وأخذ اسيرا فأتي به الى علي فقال استبقني فقال ابعد ثلاثة تقتلهم وأمر به فقتل وقيل ان المقتول عمرو بن يثربي وان عميرة بقي حتى ولي قضاء البصرة مع معاوية ولما قتل ابن يثربي تولى ذلك العدوي الزمام فتركه بيد رجل من بني عدي وبرز فخرج اليه ربيعة العقيلي يرتجز ويقول

يا امتا أعق ام نعلم * والام تغذو ولدا وترحم

الا ترين كم شجاع يكلم * وتختلى منه يد ومعصم

كذب فهي من ابر أم نعلم ثم اقتتلا فأثخن كل واحد منهما صاحبه فماتا جميعا وقام مقام العدوي الحرث الضبي فما رؤي اشد منه وجعل يقول

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل * نبارز القرن اذا القرن نزل

ننعى

اخوه (السلطان محمود) بخراسان مقيما بمدينة بلخ واسمعيل بغزنه فلما بلغه نعي أبيه وتولية أخيه اسمعيل قصده في جيش فظفر به وحبسه واستولى على الملك ولما انتظم له الامر سير له الامام القادر بالله العباسي خلعة السلطنة ولقبه بسيف الدولة ثم يمين الدولة وفرض على نفسه غزو الهند في كل عام ولم يزل يفتح من بلاد الهند حتى انتهى الى حيث لم تبلغه في الاسلام راية ولم تتل به قط سورة ولا آية فوصل الى بلد فيه الصنم المعروف بسومنات وان هذا الصنم عند الهنود يحيي ويميت ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويزعمون ان الارواح اذا فارقت الاجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ فينشئها فيمن يشاء وان مد البحر وجزره عبادة له على قدر طاقته ولم يبق في بلاد السند والهند احد الا وقد تقرب لهذا الصنم بما عز عليه حتى بلغت اوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة وامتلأت خزائنه من اصناف الاموال وفي خدمته ألف رجل يخدمونه وثلثمائة رجل يحلقون رؤس حجيجه ولحاهم عند الورود عليه وثلثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون عند بابه ولكل طائفة

نبغي ابن عفان بأطراف الاسل * الموت احلى عندنا من العسل
ردوا علينا شيخنا ثم بجل

وقيل ان هذه الابيات لوسيم بن عمرو الضبي وكان عمرو يحرض أصحابه يوم الجمل وقد أخذ الخطام ويقول

نحن بنو ضبة لانفر * حتى نرى جماجما تخر
يخر منها العلق المحمر

ويقول يا أمنا يا عيش لن تراعي * كل بنيك بطل شجاع

ويقول يا أمنا يا زوجة النبي * يا زوجة المبارك المهدي

ولم يزل الامر كذلك حتى قتل على الخطام أربعون رجلا قالت عائشة مازال جملي معتدلا حتى فقدت أصوات بني ضبة قال واخذ الخطام سبعون رجلا من قريش كلهم يقتل وهو آخذ بخطام الجمل وكان ممن اخذ بزمام الجمل محمد بن طلحة وقال يا أمتاه مريني بأمرك قالت آمرك ان تكون خير بني آدم ان تركت فجعل لايحمل عليه احد الاحمل وقال حاميم لاينصرون واجتمع عليه نفر كلهم ادعى قتله المكعبر الاسدي والمكعبر الضبي ومعاوية بن شداد العبسي وعفار السعدي النصري فانفذه بعضهم بالرمح ففي ذلك يقول

واشعث قوام بآيات ربه * قليل الاذى فيما ترى العين مسلم
هتكت له بالرمح جيب قميصه * فخر صريعا لليدين وللفم
يذكرني حاميم والرمح شاجر * فهلا تلا حاميم قبل التقدم
على غير شيء غير ان ليس تابعا * عليا ومن لا يتبع الحق يندم

وأخذ الخطام عمرو بن الاشرف فجعل لايدنو منه احد الاخبطه بالسيف فاقبل اليه الحرث بن زهير الازدي وهو يقول

يا أمنا يا خير أم نعلم * اما ترين كم شجاع يكلم
وتختلى هامته والمعصم

فاختلفا ضربتين فقتل كل واحد منهما صاحبه واحدق اهل النجدات والشجاعة بعائشة فكان لا يأخذ الخطام احد الاقتل وكان لا يأخذه والراية الا معروف عند المطيفين بالجمل فينتسب انا فلان بن فلان فوالله ان كانوا ليقاتلون عليه وانه للموت لايوصل اليه الا بطلبة وعنت وما رامه احد من اصحاب علي الاقتل او افلت ثم لم يعد وحمل عدي بن حاتم الطائي عليهم ففقئت عينه وجاء عبد الله بن الزبير ولم يتكلم فقالت من أنت فقال ابنك ابن اختك قالت واثكل اسماء وانتهى اليه الاشتر فاقتتلا فضربه الاشتر على رأسه فجرحه جرحا شديدا وضربه عبد الله ضربة خفيفة واعتنق كل رجل منهما صاحبه وسقطا الى الارض يعتركان فقال ابن الزبير

اقتلوني ومالكا * واقتلوا مالكا معي

ولو يعلمون من مالك لقتلوه انما كان يعرف بالاشتر فحمل أصحاب علي وعائشة فخلصوهما قال الاشتر لقيت عبد الرحمن بن عتاب فلقيت اشد الناس واخرقه مالبثته ان قتلته ولقيت الاسود بن عوف فلقيت أشد الناس واشجعه فما كدت انجو منه فتمنيت اني لم أكن لقيته ولحقني

من هؤلاء رزق معلوم وكان بين المسلمين وبين هذه القلعة التي فيها الصنم المذكور مسيرة شهر في مفازة موصوفة بقلة الماء وصعوبة المسالك واستيلاء الرمل على طرقها فسار اليها السلطان محمود في ثلاثين ألف فارس فلما وصلوا الى القلعة وجدوها حصينا مضاعفة وحاصروها في ثلاثة أيام ودخلوا بيت الصنم ووجدوا حوله من اصنام الذهب المرصع بأنواع الجوهر عدة كثيرة محيطة بعرشه يزعمون أنها الملائكة واحرق المسلمون الصنم المذكور فوجدوا في اذنه نيفا وثلاثين حلقة فسألهم السلطان محمود عن ذلك فقالوا كل حلقة عبادة الف سنة وكانوا يقولون بقدم العالم ويزعمون أن هذا الصنم يعبد منذ أكثر من ثلاثين ألف سنة فأدحض عنها ادناس الشرك ومناقب هذا السلطان كثيرة وسيرته من احسن السير وكان مولده ليلة عاشوراء سنة احدى وستين وثلثمائة توفي في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وكانت مدة ملكه قريبا من خمس وثلاثين سنة وقام بالامر بعده ولده (محمد) بعهد منه واجتمعت عليه الكلمة وكان اخوه ابو سعيد مسعود

جندب بن زهير الغامدى فضربه فقتلته قال ورأيت عبد الله بن حكيم بن حزام وعنده راية قريش وهو يقاتل عدى بن حاتم وهما يتصاولان تصاول الفحلين فتعاورناه فقتلناه قال واخذ الخطام الاسود بن ابى البخترى فقتل وهو قرشى ايضا واخذه عمرو بن الاشرف فقتل وقتل معه ثلاثة عشر رجلا من اهل بيته وهو ازدى وجرح مروان بن الحكم وجرح عبد الله بن الزبير سبعا وثلاثين جراحة من طعنة ورمية قال ومارأيت مثل يوم الجمل ماينهزم منا احد ومانحن الا كالجبل الاسود وما يأخذ بخطام الجمل احد الاقتل حتى ضاع الخطام ونادى على اعقروا الجمل فانه ان عقر تفرقوا فضرب به رجل فسقط فما سمعت صوتا قط اشد من عجيج الجمل وكانت راية الازد من اهل الكوفة مع مخنف بن سليم فقتل واخذها الصقعب واخوه عبد الله بن سليم فقتل واخذها العلاء بن عروة فكان الفتح وهى بيده وكانت راية عبد القيس من اهل الكوفة مع القاسم بن سليم فقتل وقتل معه زيد وسيحان ابنا صوحان وأخذها عدة نفر فقتلوا منهم عبد الله بن رقية ثم اخذها منقذ بن النعمان فدفعها الى ابنه مرة بن منقذ فانقضى الحرب وهى فى يده وكانت راية بكر بن وائل فى بنى ذهل مع الحرث بن حسان الذهلى فاقدم وقال يامعشر بكر لم يكن احد له من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل منزلة صاحبكم فتقدم وقاتلهم فقتل ابنه وخمسة من بنى أهله وقتل الحرث فقيل فيه

انعى الرئيس الحرث بن حسان * لآل ذهل ولآل شيبان

وقال رجل من بنى ذهل

تنعى لنا خير امرئ من عدنان * عند النزال والطعان الاقران

وقال أخوه بشر بن حسان

انا ابن حسان بن خوط وأبى * رسول بكر كلها الى النبى

وقتل رجال من بنى محدوج وقتل من بنى ذهل خمسة وثلاثون رجلا وقال رجل لاخيه وهو يقاتل يا اخى ما احسن قتالنا ان كنا على الحق قال فانا على الحق ان الناس أخذوا يمينا وشمالا وانا تمسكنا بأهل بيت نبينا فقاتلا حتى قتلا وجرح يومئذ عمير بن الاهلب الضبى فمر به رجل من اصحاب على وهو فى الجرحى يفحص برجليه ويقول

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا * فلم تنصرف الا ونحن رواه

لقد كان فى نصر ابن ضبة امه * وشيعتها مندوحة وغناه

اطعنا قريشا ضلة من حلومنا * ونصرتنا اهل الحجاز عناه

اطعنا بنى تيم بن مرة شقوة * وهل تيم الا اعبد واماه

فقال له الرجل قل لا اله الا الله قال ادن منى فلقنى فى صمم فدنا منه الرجل فوثب عليه فعض اذنه فقطعها وقيل فى عقر الجمل ان القعقاع لقى الاشتر وقد عاد من القتال عند الجمل فقال هل لك فى العود فلم يجبه فقال يا اشتر بعضنا اعلم بقتال بعض منك وحمل القعقاع والزمام مع زفر بن الحرث وكان آخر من أخذ الخطام فلم يبق شيخ من بنى عامر الا أصيب قدام الجمل وزفر بن الحرث يرتجز ويقول

يا أمنا مثلك لا يراع * كل بنيك بطل شجاع

غائبا فقدم نيسابور فمال الناس اليه لان محمدا كان سيئ الخلق والتدبير منهمكا فى لذاته فأجمع الجند على عزل محمد وتفويض الملك الى (مسعود) ففعلوا ذلك وقبضوا على محمد وحملوه الى قلعة ووكلوا به فكانت مدة ملكه سنتين واستقر الملك للامير مسعود فجرى له مع بنى سلجوق خطوب يطول شرحها حتى قتل فى سنة ثلاثين وأربعمائة ومدة ملكه ثلاث عشرة سنة وتولى بعده ولده (شهاب الدولة مودود) ثم ابنه (أبو المظفر ابراهيم) وكان صالحا عابدا وكان أكثر مجالسه فى الجوامع والمساجد يدبر الملك ويفيد الطالبين بالدرس فكانت مدة ملكه اثنتين وأربعين سنة ثم تولى الملك بعده ولده (ابو الفتح ارسلان شاه) مدة فلما مات بعده اخوه (المظفر بهرام شاه) ولم تزل تتلاشى امورهم ويختل نظامهم حتى ملك ولده (ابو شجاع خسروشاه) وهو آخر من ملك من هذه الطائفة واستولى على الملك السلجوقية فسبحان من لا يزول ملكه

* (الباب التاسع والعشرون فى ذكر دولة بنى طولون بالديار المصرية ولمع من أوصافهم السنية وخصائلهم البهية) *

• ليس بوهواه ولا براع •

وقال القعقاع

اذا وردنا آجنا جهرناه • ولا يطاق ورد ما منعناه

وزحف الى زفر بن الحرث الكلاعي وتسرعت عامر الى حربه فأصيبوا فقال القعقاع لبجير بن دلجة وهو من أصحاب علي يا بجير بن دلجة صح بقومك فليعقروا الجمل قبل ان تصابوا وتصاب ام المؤمنين فقال بجير يا آل ضبة يا عمرو بن دلجة ادع بي اليك فدعاه فقال انا آمن حتى أرجع عنكم قال نعم فاجتث ساق البعير فرمى نفسه على شقه وجرجر البعير فقال القعقاع لمن يليه أنتم آمنون واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير وحملا الهودج فوضعاه وانه كالقنفذ لما فيه من السهام ثم أطاقا به وفر من وراء ذلك من الناس فلما انهزموا أمر علي مناديا فنادى الا لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور وأمر علي نفرا ان يحملوا الهودج من بين القتلى وأمر اخاها محمد بن ابي بكر ان يضرب عليها قبة وقال انظر هل وصل اليها شئ من جراحة فادخل رأسه في هودجها فقالت من أنت فقال ابغض أهلك اليك قالت ابن الخثعمية قال نعم قالت يا بابي الحمد لله الذي عافاك وقيل لما سقط الجمل أقبل محمد بن أبي بكر اليه ومعه عمار فاحتملا الهودج فنحياه فادخل محمد يده فيه فقالت من هذا فقال اخوك البر قالت عق قال يا أخية هل اصابك شئ قالت ما أنت وذاك قال فمن اذا الضلال قالت بل الهداة وقال لها عمار كيف رأيت ضرب بنيك اليوم يا أماه قالت لست لك بأم قال بلى وان كرهت قالت فخرتم أن ظفرتم واتيتم مثل الذي نقمتم هيهات والله لن يظفر من كان هذا دأبه فابرزوا هودجها فوضعوها ليس قربها احد وأتاها علي فقال كيف انت يا امه قالت بخير قال يغفر الله لك قالت ولك وجاء أعين بن ضبيعة بن اعين المجاشعي حتى اطلع في الهودج فقالت اليك لعنك الله فقال والله ما أرى الا حميراء فقالت له هتك الله سترك وقطع يدك وابدى عورتك فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده ورمى عريانا في خربة من خرابات الازد ثم اتى وجوه الناس عائشة وفيهم القعقاع ابن عمرو فسلم عليها فقالت انى رأيت بالامس رجلين اجتلدا وارتجزا بكذا فهل تعرف كوفيك قال نعم ذاك الذي قال اعق ام نعلم وكذب انك لابر أم نعلم ولكن لم تطاعي قالت والله لوددت انى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة • وخرج من عندها فأتى عليا فقال له علي والله لوددت انى مت من قبل اليوم بعشرين سنة وكان علي يقول ذلك اليوم بعد الفراغ من القتال

اليك اشكو عجري وبجري • ومعشرا اغشوا علي بصري
قتلت منهم مضري بمضري • شفيت نفسي وقتلت معشري

فلما كان الليل ادخلها اخوها محمد بن ابي بكر البصرة فانزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي على صفية بنت الحرث بن ابي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وهي ام طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف وتسلل الجرحى من بين القتلى ليلا فدخلوا البصرة فأقام علي بظاهر البصرة ثلاثا واذن للناس في دفن موتاهم فخرجوا اليهم فدفنوهم وطاف علي في القتلى فلما اتى على كعب بن سور قال ازعمتم انه خرج معهم السفهاء وهذا الحبر قد ترون واتى على عبد الرحمن بن عتاب فقال هذا يعسوب القوم يعني انهم كانوا يطيفون به واجتمعوا على الرصافة

ذكر ابن عساكر في تاريخه ان طولون كان من الاتراك الذين اهداهم نوح بن أسد الساماني عامل بخارا الى المأمون في سنة مائتين وان احمد بن طولون ولي على مصر في زمن المعتز بالله العباسي في سنة خمسين ومائتين ثم أضيفت اليه نيابة الشام والثغور وأفريقية فأقام مدة طويلة وفتح مدينة انطاكية وبنى قلعة يافا ولم يكن لها قبل ذلك قلعة وبنى بين مصر والقاهرة الجامع المعروف به واستقل بالامر وخطب باسمه وكان كثير الصدقات فقال له يوما المتولي على صدقاته ربما امتدت الي اليد المطوقة بالجوهر والمعصم ذو السوار والكم الناعم أفأمنع هذه الطبقة فقال هؤلاء المستورون الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف احذر ان ترديدا امتدت اليك وأعط من استعطاك فعلى الله تعالى أجره وكان يتصدق في كل اسبوع بثلاثة آلاف دينار سوى الراتب ويجري على أهل المساجد في كل شهر ألف دينار وفرق على العلماء والصلحاء ببغداد في أيامه ألفي ألف دينار ومائتي ألف دينار وكان خراج مصر في أيامه أربعة آلاف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار وكان لابن طولون ما بين رحبة مالك بن طوق الى اقصى بلاد الغرب وفي النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة أن احمد بن طولون قدم الى دمشق في

اصلاتهم ومر على طلحة بن عبيد الله وهو صريع فقال لهفي عليك يا ابا محمد انا لله وانا اليه راجعون والله لقد كنت اكره ان ارى قريشا صرعى انت والله كما قال الشاعر

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه ✽ اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وجعل كلما مر برجل فيه خير قال زعم من زعم انه لم يخرج الينا الا الغوغاء وهذا العابد المجتهد فيهم وصلى علي على القتلى من أهل البصرة والكوفة وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء وأمر فدفنت الاطراف في قبر عظيم وجمع ما كان في العسكر من شئ وبعث به الى مسجد البصرة وقال من عرف شيأ فليأخذه الا سلاحا كان في الخزائن عليه سمة السلطان وكان جميع القتلى عشرة آلاف نصفهم من اصحاب علي ونصفهم من أصحاب عائشة وقيل غير ذلك وقتل من ضبة ألف رجل وقتل من بني عدي حول الجمل سبعون رجلا كلهم قد قرأ القرآن سوى الشباب ومن لم يقرأ ولما فرغ علي من الوقعة أتاه الاحنف بن قيس في بني سعد وكانوا قد اعتزلوا القتال فقال له علي تربصت فقال ما كنت أراني الا وقد احسنت وبأمرك كان ما كان يا امير المؤمنين فارفق فان طريقك الذي سلكت بعيد وأنت الي غدا أحوج منك امس فاعرف احساني واستصف مودتي لغد ولا تقل مثل هذا فاني لم أزل لك ناصحا ثم دخل علي البصرة يوم الاثنين فبايعه اهلها على راياتهم حتى الجرحى والمستأمنة واتاه عبد الرحمن بن ابي بكرة في المستأمنين ايضا فبايعه فقال له علي وما عمك المتربص المتقاعد بي ايضا يعني أباه ابا بكرة فقال والله انه لمريض وانه على مسرتك لحريص فقال علي امش أمامي فمشى معه الى ابيه فلما دخل عليه علي قال له تقاعدت بي وتربصت ووضع يده على صدره وقال هذا وجع بين واعتذر اليه فقبل عذره واراده على البصرة فامتنع وقال رجل من أهلك يسكن اليه الناس وسأشير عليه فافترقا على ابن عباس وولى زيادا على الخراج وبيت المال وأمر ابن عباس ان يسمع منه ويطيع وكان زياد معتزلا ثم راح الى عائشة وهي في دار عبد الله بن خلف وهي اعظم دار بالبصرة فوجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان ابني خلف وكان عبد الله قتل مع عائشة وعثمان قتل مع علي وكانت صفية زوجة عبد الله مختمرة تبكي فلما رأته قالت له يا علي يا قاتل الاحبة يا مفرق الجمع ايتم الله منك بنيك كما أيتمت ولد عبد الله منه فلم يرد عليها شيأ ودخل على عائشة فسلم عليها وقعد عندها ثم قال جبهتنا صفية اما اني لم ارها منذ كانت جارية فلما خرج علي اعادت عليه القول فكف بغلته وقال لقد هممت ان افتح هذا الباب وأشار الى باب في الدار واقتل من فيه وكان فيه ناس من الجرحى فأخبر علي بمكانهم فتغافل عنهم فسكت وكان مذهبه ان لا يقتل مدبرا ولا يذفف على جريح ولا يكشف سترا ولا يأخذ مالا ولما خرج علي من عند عائشة قال له رجل من ازد والله لا تغلبنا هذه المرأة فغضب وقال مه لا تهتكن سترا ولا تدخلن دارا ولا تهيجن امرأة بأذى وان شتمن اعراضكم وسفهن امراءكم وصلحاءكم فان النساء ضعيفات ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات فكيف اذا هن مسلمات ومضى علي فلحقه رجل فقال له يا امير المؤمنين قام رجلان على الباب فتناولا من هو امض شتيمة لك من صفية قال ويحك لعلها عائشة قال نعم قال احدهما جزيت عنا امنا عقوقا وقال الآخر يا امي توبي فقد اخطأت فبعث القعقاع بن عمرو الى الباب فاقبل بمن كان له فأحالوا على رجلين من ازد الكوفة وهما عجلان وسعد ابنا عبد الله فضربهما

سنة سبعين ومائتين وعمر على قبر معاوية بباب الصغير قبة عالية وعلق فيها قناديل وجعل فيها القراء واستمر ابن طولون مدة يجور ويعسف في الرعية الى ان اجتمعوا عند السيدة نفيسة وشكوا من ظلمه فقالت لهم متى يركب قالوا في غد فكتبت رقعة ووقفت في طريقه وقالت يا أحمد بن طولون فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم ان سهام الاسحار نافذة لا سيما من قلوب أوجعتموها واجساد أعريتموها اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فعدل لوقته توفي في عشر ذي القعدة سنة سبعين ومائتين وخلف سبعة عشر ولدا وكانت مدة ولايته ست وعشرين سنة وتولى بعده ابنه (أبو الجيش) خمارويه واقام مدة طويلة وكان كثير السهر فاصطنع لنفسه بستانا بقرب جامع ابيه وابتنى فيه قصورا وساق اليه ماءها جارية وعمل في وسطه بركة عظيمة مملوءة بالزئبق ووضع عليها تختا كان ينام عليه لاجل سهره وفي شهر ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين ومائتين ذبحه بعض خدمه على فراشه بدمشق وحمل الى

مائة

مائة سوط وأخرجهما من ثيابهما وسألت عائشة يومئذ عمن قتل من الناس منهم معها ومنهم عليها والناس عندها فكلما نعي واحد من الجميع قالت يرحمه الله فقيل لها كيف ذلك قالت كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان في الجنة وفلان في الجنة وقال علي اني لارجو ان لا يكون احد نقي قلبه لله من هؤلاء الا ادخله الله الجنة ثم جهز علي عائشة بكل ما ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك وبعث معها كل من نجا ممن خرج معها الا من احب المقام واختار لها أربعين امرأة من نساء البصرة والمعروفات وسير معها اخاها محمد بن أبي بكر فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه اتاها علي فوقف لها وحضر الناس فخرجت وودعتهم وقالت يا بني لا يعتب بعضنا على بعض انه والله ما كان بيني وبين علي في القديم الا ما يكون بين المرأة وبين احمائها وانه على معتبتي لمن الاخيار وقال علي صدقت والله ما كان بيني وبينها الا ذلك وانها الزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة وخرجت يوم السبت غرة رجب وشيعها اميالا وسرح بنيه معها يوما فكان وجهها الى مكة فأقامت الى الحج ثم رجعت الى المدينة وقال لها عمار حين ودعها ما ابعد هذا المسير من العهد الذي عهد اليك قالت والله انك ما علمت لقوال بالحق قال الحمد لله الذي قضى على لسانك لي واما المنهزمون فقد ذكرنا حالهم وكان منهم عتبة بن أبي سفيان فخرج هو وعبد الرحمن ويحيى ابنا الحكم فساروا في البلاد فلقيهم عصمة بن أبير التيمي فقال لهم هل لكم في الجوار فقال نعم فأجارهم وأنزلهم حتى برأت جراحهم وسيرهم نحو الشام في أربعمائة راكب فلما وصلوا الى دومة الجندل قالوا قد وفيت ذمتك وقضيت ما عليك فرجع واما ابن عامر فانه خرج ايضا فلقيه رجل من بني حرقوص يدعى مري فأجاره وسيره الى الشام واما مروان بن الحكم فاستجار بمالك بن مسمع فأجاره ووفى له وحفظ له بنو مروان ذلك في خلافتهم وانتفع بهم وشرفوه بذلك وقيل ان مروان نزل مع عائشة بدار عبد الله بن خلف وصحبها الى الحجاز فلما سارت الى مكة سار الى المدينة وأما عبد الله بن الزبير فانه نزل بدار رجل من الازد يدعى وزيرا فقال له ائت ام المؤمنين فاعلمها بمكاني ولا يعلم محمد بن ابي بكر فأتى عائشة فاخبرها فقالت علي بمحمد فقال لها انه قد نهاني ان يعلم محمد فلم تسمع قوله وأرسلت الى محمد وقالت اذهب مع هذا الرجل حتى تأتيني بابن أختك فانطلق معه وخرج عبد الله ومحمد حتى انتهيا الى دار عائشة في دار عبد الله بن خلف ولما فرغ علي من بيعة اهل البصرة نظر في بيت المال فرأى فيه ستمائة ألف وزيادة فقسمها على من شهد معه فأصاب كل رجل منهم خمسمائة فقال لهم ان أظفركم الله بالشام فلكم مثلها الى اعطياتكم فخاض في ذلك السبئية وطعنوا على علي من وراء وراء وطعنوا فيه ايضا حين نهاهم عن اخذ اموالهم فقالوا ما يحل لنا دماءهم ويحرم علينا اموالهم فقال لهم علي اقوام امثالكم من صفح عنا فهو منا ومن لج حتى يصاب فقتاله مني على الصدر والنحر وقال القعقاع ما رأيت شيئا اشبه بشيء من قتال القلب يوم الجمل بقتال صفين لقد رأيتنا ندافعهم باسنتنا ونتكئ على ازجتنا وهم مثل ذلك حتى لو ان الرجال مشت عليها لاستقلت بهم وقال عبد الله بن سنان الكاهلي لما كان يوم الجمل ترامينا بالنبل حتى فنيت وتطاعنا بالرماح حتى تكسرت وتشبكت في صدورنا وصدورهم حتى لو سيرت عليها الخيل لسارت ثم قال علي السيوف يا بني المهاجرين فما شبهت اصواتها الا بضرب القصارين وعلم أهل المدينة بالوقعة يوم الحرب قبل ان تغرب

مصر ودفن بها وكان سببه انه نقل اليه ان جواريه قد اتخذت كل واحدة خطيا وجعلته لها كالزوج وقصد خمارويه تقرير بعض الجواري على ذلك فاجتمع جماعة من الخدم واتفقوا على قتله ولما قتل تولى مكانه ولده (جيش بن خمارويه) وكان صبيا فأقام تسعة أشهر ثم خلعه طغج بن جف أمير دمشق لصباه وتقريبه الاراذل وتهديده لقواديه فقتلوه ونهبوا داره ونهبوا مصر وأحرقوها وأجلسوا اخاه (هرون بن خمارويه) في الولاية وكانت مدة ولاية اخيه جيش المذكور تسعة أشهر ولم يزل هرون والياً مع ضعف من الامر بسبب اختلاف القواد عليه واختل نظام مملكته حتى استقل (طغج بن جف) بدمشق وخرج من طاعته وفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين بعث المكتفي جيشا أمر عليهم محمد بن سليمان الواثق فاستولى على دمشق وسار حتى دنا من مصر وجرى بينه وبين عسكر هرون وقعات حتى قتل هرون وتولى بالامر مكانه عمه (أبو المغانم شيبان) بن أحمد بن طولون ثم هرب من الجيش تحت الليل واستولى (محمد ابن سليمان) على مصر وقبض على أولاد طولون وكانوا بضعة عشر رجلا واستصفى اموالهم وقدرها أربعمائة حمل جمل من التحف وألف ألف دينار وحملهم الى المكتفي ببغداد وانقرضت دولة الطولونية عن الديار المصرية وكانت مدة ولايتهم

الشمس من نسر مر بماء حول المدينة ومعه شيء معلق فسقط منه فاذا كف فيه خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب وعلم من بين مكة والمدينة والبصرة بالوقعة بما ينقل اليهم النسور من الايدي والاقدام وأراد على المقام بالبصرة لاصلاح حالها فاعجلته السبئية عن المقام فانهم ارتحلوا بغير اذنه فارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمرا ان أرادوه وقد قيل في سبب القتال يوم الجمل غير ما تقدم مع الاتفاق على مسير أصحاب عائشة ونزولهم البصرة والوقعة الاولى مع عثمان بن حنيف وحكيم (واما مسير على وعزل ابي موسى) فقال فيه ان عليا لما أرسل محمد بن ابي بكر الى ابي موسى وجرى له ما تقدم سار هاشم بن عتبة بن ابي وقاص الى على بالربذة فاعلمه الحال فاعاده على الى ابي موسى يقول له ارسل الناس فاني لم اولك الا لتكون من اعواني على الحق فامتنع ابو موسى فكتب هاشم الى على اني قدمت على رجل غال مشاقق ظاهر الشنآن وأرسل الكتاب مع المحل ابن خليفة الطائي فبعث على الحسن ابنه وعمار بن ياسر يستنفران الناس وبعث قرظة بن كعب الانصاري أميرا وكتب معه الى أبي موسى اني قد بعثت الحسن وعمارا يستنفران الناس وبعثت قرظة بن كعب واليا على الكوفة فاعتزل عملنا مذموما مدحورا وان لم تفعل فاني قد أمرته ان ينابذك فان نابذته فظفر بك يقطعك اربا اربا فلما قدم الكتاب على ابي موسى اعتزل واستنفر الحسن الناس فنفروا نحو ما تقدم وسار على عن نحو البصرة فقال جون بن قتادة كنت مع الزبير فجاء فارس يسير فقال السلام عليك أيها الامير فرد عليه فقال ان هؤلاء القوم قد أتوا مكان كذا وكذا فلم ار أرث سلاحا ولا اقل عددا ولا ارعب قلوبا منهم ثم انصرف عنه وجاء فارس آخر فقال له ان القوم قد بلغوا مكان كذا وكذا فسمعوا بما جمع الله لكم من العدد والعدة فخافوا فولوا مدبرين فقال الزبير ايها اعنك فوالله لو لم يجد على بن ابي طالب الا العرفج لدب الينا فيه فانصرف وجاء فارس وقد كادت الخيل تخرج من الرهج فقال هؤلاء القوم قد اتوك فلقيت عمارا فقلت له وقال لي فقال الزبير انه ليس فيهم فقال الرجل بلى والله انه فيهم فقال الزبير والله ما جعله الله فيهم فقال الرجل بلى والله فلما كرر عليه أرسل الزبير رجلين ينظران فانطلقا ثم رجعا فقالا صدق الرجل فقال الزبير يا جدع انفاه يا قطع ظهراه ثم أخذته رعدة فجعل السلاح ينتفض قال جون فقلت ثكلتني امي هذا الذي كنت أريد ان اموت معه او اعيش ما أخذه هذا الامر الا لشيء سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف جون فاعتزل وجاء على فلما تواقف الناس دعا الزبير وطلحة فتواقفوا وذكر من أمر الزبير وعوده وتكفيره عن يمينه مثل ما تقدم فلما أبوا الا القتال قال على أيكم يأخذ هذا المصحف يدعوهم الى ما فيه فان قطعت يده اخذه بيده الاخرى فان قطعت اخذه باسنانه وهو مقتول فقال شاب انا فطاف به على أصحابه فلم يجبه الا ذلك الشاب ثلاث مرات فسلمه اليه فدعاهم فقطعت يده اليمنى فأخذه باليسرى فقطعت فأخذه بصدره والدماء تسيل على قبائه فقتل فقال على الآن حل قتالهم فقالت ام الفتى

لاهم ان مسلما دعاهم * يتلو كتاب الله لا يخشاهم

وامهم قائمة تراهم * تأمرهم بالقتل لا تنهاهم

* قد خضبت من علق لحاهم *

وحملت ميمنة على على ميسرتهم فاقتتلوا فلاذ الناس بعائشة وكان أكثرهم من ضبة والازد

المصرية والشامية ذوي المفاخر الحسنة والشمائل المرضية ونبذة من أخبار آل حمدان لانهم كانوا ابتهاجا في وجه الزمان) *

ذكر الصوري في تاريخه ان هذه الطائفة منسوبون الى عبد الله بن طغج بن جف ابن يلتكين بن فور بن خاقان صاحب سرير الذهب والقصر الجوهر في فرغانة وكان المعتصم جلب من فرغانة رجالا اصطنعهم فكان جف من جملتهم ومات جف ليلة قتل المتوكل وكان طغج اصغر اولاده فولد له محمد وهو اول من استولى على مصر والشام وعبده كافور والاصل في اخشيد آق شيد ومعناه الشمس البيضاء وكل من ملك بفرغانة يسمى الاخشيد كما يدعو الروم ملكها بقيصر والفرس بكسرى والمسلمون بالخليفة والترك بخاقان وملك جرجان صول وملك اذربيجان اصبهبد وملك طبرستان سالار وملك الديلم كاسان وملك الانباط نمروذ وملك القبط فرعون وملك اليمن تبع وملك الحبشة النجاشي كذا في البيان الجامع لتاريخ الزمان ولقب محمد بن طغج

وكان

وكان قتالهم من ارتفاع النهار الى قريب من العصر ثم انهزموا ونادى رجل من الازد كروا فضربه محمد بن علي فقطع يده فقال يا معشر الازد فروا واستحر القتل في الازد فنادوا نحن على دين علي فقال رجل من بني ليث

سائل بنا حين لقينا الازدا * والخيل تعدو أشقرا و وردا

لما قطعوا كبدهم والزندا * سحقا لهم في رأيهم وبعدا

وحمل عمار بن ياسر على الزبير فجعل يحوزه بالرمح فقال أتريد ان تقتلني يا أبا اليقظان فقال لا يا ابا عبد الله انصرف فانصرف وجرح عبد الله بن الزبير فألقى نفسه في الجرحى ثم برأ وعقر الجمل واحتمل محمد بن ابي بكر عائشة فأنزلها وضرب عليها قبة فوقف علي عليها وقال لها استنفرت الناس وقد فروا وألبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضا في كلام كثير فقالت عائشة ملكت فاسجح نعم ما ابتليت قومك اليوم فسرحها وأرسل معها جماعة من رجال ونساء وجهزها بما تحتاج لم أذكر في وقعة الجمل الا ما ذكره ابو جعفر اذ كان اوثق من نقل التاريخ فان الناس قد حشوا تواريخهم بمقتضى أهوائهم وممن قتل يوم الجمل عبد الرحمن بن عبيد الله أخو طلحة له صحبة وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس بن عامر بن لؤي له صحبة وفيها قتل المحرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس له صحبة واستعمله عمر على مكة ثم عزله وفيها قتل معرض بن علاط السلمي اخو الحجاج بن علاط قتل مع علي وفيها قتل مجاشع ومجالد ابنا مسعود السلميان مع عائشة لهما صحبة فاما مجاشع فلا شك انه قتل في الجمل وقتل عبد الله بن حكيم بن حزام الاسدي القرشي مع عائشة وكان اسلامه يوم الفتح وفيها قتل هند بن أبي هالة الاسدي امه خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم مع علي وقيل مات بالبصرة والاول أصح (الاسدي بضم الهمزة منسوب الى أسيد بتشديد الياء وهم بطن من تميم) وقتل هلال بن وكيع بن بشر التميمي مع عائشة له صحبة وفيها قتل معاذ بن عفراء اخو معوذ وهما ابنا الحرث بن رفاعة الانصاريان وشهدا بدرا وقتل مع علي وقيل عاش وقتل في وقعة الحرة (النبهان بفتح التاء فوقها نقطتان وتشديد الياء تحتها نقطتان وآخره نون وشبث بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة وآخره ثاء مثلثة وسيحان بفتح السين المهملة وسكون الياء تحتها نقطتان وفتح الحاء المهملة وآخره نون ونجبة بفتح النون والجيم والباء الموحدة وعميرة بفتح العين وكسر الميم وأبير بضم الهمزة وفتح الباء الموحدة والخريت بكسر الخاء المعجمة والراء المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها نقطتان وفي آخره تاء فوقها نقطتان)

(ذكر قصد الخوارج سجستان)

في هذه السنة بعد الفراغ من وقعة الجمل خرج حسكة بن عتاب الحبطي وعمران بن الفضيل البرجمي في صعاليك من العرب حتى نزلوا زالق من سجستان وقد نكث أهلها فأصابوا منها مالا ثم أتوا زرنج وقد خافهم مرزبانها فصالحهم ودخلوها فقال الراجز

بشر سجستان بجوع وحرب * بابن الفضيل وصعاليك العرب

لا فضة تغنيهم ولا ذهب

فبعث علي عبد الرحمن بن جرو الطائي فقتله حسكة فكتب علي الى عبد الله بن العباس يأمره

بالاخشيد وتولى مصر والديار الشامية من قبل الراضي بالله العباسي ولما ضعفت أمر الخلافة وتغلب عمال الاطراف عليها استقر ملك مصر والشام في يد الاخشيد الى ان مات في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وكان شيخا من شيوخ المعتزلة وكان شديد التيقظ في حروبه وله ثمانية آلاف مملوك يحرسونه بالنوبة كل يوم ألف مملوك وهو لا يثق حتى يمضي الى خيم الفراشين فينام بها خوفا على نفسه وكان جيشه يحتوي على أربعمائة ألف رجل ولم يزل الى ان توفي في الوقت المعلوم وحمل تابوته الى بيت المقدس ودفن هنالك وكانت مدة ولايته احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وفي السنة التي توفي فيها وجد بداره رقعة مكتوب فيها هذه الكلمات اشتغلتم بالشهوات واغتنام اللذات أوما علمتم ان الدنيا لو بقيت للعاقل ما وصل اليها الجاهل ولو دامت لمن مضى ما نالها من بقي فكفى بصحبة ملك يكون في زوال ملكه فرح للعالم اتقوا بقدرتكم وسلطانكم فانا بالله واثقون وهو حسبنا ونعم الوكيل

ان يولى سجستان رجلا و يسيره اليها فى أربعة آلاف فوجه ربعى بن كاس العنبرى ومعه
الحصين بن أبى الحر العنبرى فلما ورد سجستان قاتلهم حسكة وقتلوه وضبط ربعى البلاد وكان
فيروز حصين ينسب الى الحصين بن أبى الحر هذا وهو من سجستان

﴿ ذكر قتل محمد بن أبى حذيفة ﴾

فى هذه السنة قتل محمد بن أبى حذيفة وكان أبوه أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس قد
قتل يوم اليمامة وترك ابنه محمدا فكفله عثمان بن عفان وأحسن تربيته وكان فيما قيل أصاب
شرابا فحده عثمان ثم تنسك محمد واقبل على العبادة وطلب من عثمان ان يوليه عملا فقال لو كنت
اهلا لذلك لوليتك فقال له انى قد رغبت فى غزو البحر فأذن لى فى اتيان مصر فاذن له وجهزه فلما
قدمها رأى الناس عبادته فلزموه وعظموه وغزا مع عبد الله بن سعد غزوة الصوارى وكان محمد
يعيبه و يعيب عثمان بتوليته و يقول استعمل رجلا اباح رسول الله دمه فكتب عبد الله الى
عثمان ان محمدا قد أفسد على البلاد هو ومحمد بن أبى بكر فكتب اليه أما ابن ابى بكر فانه يوهب
لابيه ولعائشة وأما ابن أبى حذيفة فانه ابنى وابن أخى وتربيتى وهو فرخ قريش فكتب اليه ان
هذا الفرخ قد استوى ريشه ولم يبق الا ان يطير فبعث عثمان الى ابن أبى حذيفة بثلاثين ألف
درهم وبجمل عليه كسوة فوضعها محمد فى المسجد ثم قال يامعشر المسلمين ألا ترون الى عثمان
يخادعنى عن دينى و يرشونى عليه فازداد أهل مصر تعظيما له وطعنا على عثمان وبايعوه على
رياستهم فكتب اليه عثمان يذكره برّه به وتربيته اياه وقيامه لشأنه و يقول انك كفرت احسانى
أحوج ما كنت الى شكرك فلم يرده ذلك عن ذمه وتأليب الناس عليه وحثهم على المسير الى
حصره ومساعدة من يريد ذلك فلما سار المصريون الى عثمان اقام هو بمصر وخرج عنها عبد
الله بن سعد بن ابى سرح فاستولى عليها وضبطها فلم يزل بها مقيما حتى قتل عثمان و بويع على
واتفق معاوية وعمرو بن العاص على خلاف على فسارا الى مصر قبل قدوم قيس بن سعد اليها
اميرا فأرادا دخولها فلم يقدرا على ذلك فخدعا محمدا حتى خرج منها الى العريش فى ألف رجل
فتحصن بها فنصب عليه المنجنيق حتى نزل فى ثلاثين من أصحابه فقتل وهذا القول ليس بشئ لان
عليا استعمل قيسا على مصر اول ما بويع له ولو أن ابن ابى حذيفة قتله معاوية وعمرو قبل وصول
قيس الى مصر لاستوليا عليها لانه لم يكن بها أمير يمنعهما عنها ولا خلاف ان استيلاء معاوية
وعمرو عليها كان بعد صفين والله أعلم وقيل غير ذلك وهو ان محمد بن ابى حذيفة سير المصريين الى
عثمان فلما حصروه اخرج محمد عبد الله بن سعد عن مصر وهو عامل عثمان واستولى عليها فنزل
عبد الله على تخوم مصر وانتظر أمر عثمان فطلع عليه راكب فسأله فأخبره بقتل عثمان
فاسترجع وسأله عما صنع الناس بعده فاخبره ببيعة على فاسترجع فقال له كأن امرة على
تعدل عندك قتل عثمان قال نعم قال أظنك عبد الله بن سعد فقال نعم فقال له ان كانت لك فى
نفسك حاجة فالنجاء النجاء فان رأى امير المؤمنين على فيك وفى أصحابك ان ظفر بكم أن يقتلكم
أو ينفيكم وهذا بعدى أمير يقدم عليك فقال من هو قال قيس بن سعد بن عبادة قال عبد الله
ابن سعد ابعد الله محمد بن ابى حذيفة فانه بغى على ابن عمه وسعى عليه وقد كفله ورباه واحسن
اليه فاساء جواره وجهز اليه الرجال حتى قتل ثم ولى عليه من هو أبعد منه ومن عثمان ولم يمتعه

فبقى الاخشيد بعد سماع
هذه الرقعة فى فكر الى ان
مات وولى الامر بعده ابنه
(ابو القاسم انوجور)
وكان صغيرا فأقيم كافور
الاخشيدى الخادم الاسود
اتابكا فكان يدبر المملكة
وفى زمانه سار سيف الدولة بن
حمدان الى دمشق وملكها
وأقام بها واتفق أنه ركب يوما
والشريف العقيقى معه
فرأى الغوطة فقال ما تصلح
هذه الا لرجل واحد فقال له
العقيقى هى لاقوام كثيرة
وغالبها اوقاف فقال سيف
الدولة لو أخذتها لتبرأ منها
أهلها فاعلم العقيقى أهل
دمشق بذلك فكاتبوا
كافورا يستدعونه فجاءهم
فاخرجه وولى على دمشق
بدرا الاخشيدى (ولنذكر
نبذة من اخبار آل حمدان
لانهم كانوا ابتهاجا فى وجه
الزمان) فنقول هم من بنى
ربيعة وسيف الدولة على هو
كبيرهم وأميرهم وواسطة
عقدهم ونصيرهم وأخوه
ناصر الدولة الحسن
ووالدهما عبد الله أبو الهيجاء
ابن حمدان كان تولى امارة
الحاج من جانب الخلفاء
العباسيين وقتل بعد ذلك ثم
ان الراضى بالله العباسى
جعل للاخوين المذكورين

بسلطان بلاده شهرا ولم يره لذلك أهلا وخرج عبد الله هاربا حتى قدم على معاوية وهذا القول
يدل على ان قيسا ولى مصر ومحمد بن أبى حذيفة حى وهو الصحيح وقيل ان عمرا سار الى مصر بعد
صفين فلقيه محمد بن أبى حذيفة فى جيش فلما رأى عمرو كثرة من معه أرسل اليه فالتقيا واجتمعا
فقال له عمرو انه قد كان ماترى وقد بايعت هذا الرجل يعنى معاوية وما انا براض بكثير من أمره
وانى لاعلم ان صاحبك عليا أفضل من معاوية نفسا وقديما وأولى بهذا الامر فواعدنى موعدا
التقى معك فيه فى غير جيش تأتى فى مائة وآتى فى مثلها وليس معنا الا السيوف فى القرب فتعاهدا
وتعاقدا على ذلك واتعدا العريش ورجع عمرو الى معاوية فاخبره الخبر فلما جاء الاجل سار كل
واحد منهما الى صاحبه فى مائة وجعل عمرو له جيشا خلفه لينطوى خبره فلما التقيا بالعريش
قدم جيش عمرو على اثره فعلم محمد انه قد غدر به فدخل قصرا بالعريش فتحصن به فحصره عمرو
ورماه بالمنجنيق حتى أخذ أسيرا وبعث به عمرو الى معاوية فسجنه وكانت ابنة قرظة امرأة معاوية
ابنة عمة محمد بن أبى حذيفة أمها فاطمة بنت عتبة فكانت تصنع له طعاما ترسله اليه فأرسلت اليه
يوما فى الطعام مبارد فبرد بها قيوده وهرب فاختفى فى غار فأخذ فقتل والله أعلم وقيل انه بقى
محبوسا الى ان قتل حجر بن عدى ثم انه هرب فطلبه مالك بن هبيرة السكونى فظفر به فقتله غضبا
لحجر وكان مالك قد شفع الى معاوية فى حجر فلم يشفعه وقيل ان محمد بن أبى حذيفة لما قتل محمد بن
أبى بكر خرج فى جمع كثير الى عمرو فامنه عمرو ثم غدر به وحمله الى معاوية بفلسطين فحبسه
ثم انه هرب فأظهر معاوية للناس انه كره هربه وأمر بطلبه فسار فى أثره عبيد الله بن عمرو بن
ظلام الخثعمى فأدركه بحوران فى غار وجاءت حمر تدخل الغار فلما رأت محمدا نفرت منه وكان
هناك ناس يحصدون فقالوا والله ان لنفرة هذه الحمر لشأنا فذهبوا الى الغار فرأوه فخرجوا
من عنده فوافقهم عبيد الله فسألهم عنه ووصفه لهم فقالوا هو فى الغار فأخرجه وكره ان يأتى به
معاوية فيخلى سبيله فضرب عنقه وكان ابن خال معاوية

(ذكر ولاية قيس بن سعد مصر)

وفى هذه السنة فى صفر بعث على قيس بن سعد اميرا على مصر وكان صاحب راية الانصار مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من ذوى الرأى والبأس فقال له سر الى مصر فقد وليتكها
واخرج الى رحلك واجمع اليك ثقاتك ومن أحببت ان يصحبك حتى تأتيها ومعك جند فان ذلك
ارعب لعدوك وأعز لوليك واحسن الى المحسن واشدد على المريب وارفق بالعامة والخاصة
فان الرفق يمن فقال له قيس اما قولك اخرج اليها بجند فوالله لئن لم أدخلها الا بجند آتيها به من
المدينة لا أدخلها أبدا فأنا أدع ذلك الجند لك فان كنت احتجت اليهم كانوا منك قريبا وان أردت
أن تبعثهم الى وجه من وجوهك كانوا عدة لك فخرج قيس حتى دخل مصر فى سبعة من أصحابه
على الوجه الذى تقدم ذكره فصعد المنبر فجلس عليه وأمر بكتاب أمير المؤمنين فقرئ على اهل
مصر بامارته ويأمرهم بمبايعته ومساعدته واعانته على الحق ثم قام قيس خطيبا وقال الحمد لله
الذى جاء بالحق وأمات الباطل وكبت الظالمين أيها الناس انا قد بايعنا خير من نعلم بعد نبينا
فقوموا أيها الناس فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله فان نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا
عليكم فقام الناس فبايعوا واستقامت مصر وبعث عليها عماله الا قرية منها يقال لها خربتا فيها

القابا سلطانية فجعل لعلى
سيف الدولة وللحسن ناصر
الدولة واعطى سيف الدولة
حلبا وما يتبعها الى آخر
بلاد حمص والى حدود
الموصل والى جوانب
جيحان واعطى ناصر الدولة
الحسن الموصل وما يتبعها
وكان ناصر الدولة أكبر سنا
ولكن كان سيف الدولة
أعظم شانا واثقب ذهنا
وكان قد صدر بين الاخوين
المذكورين نوع منافسة
ادت الى مناقشة فكتب
سيف الدولة الى أخيه ناصر
الدولة هذه الابيات يخاطبه
واجاد

رضيت لك العليا وقد كنت أهلها
وقلت لها بينى وبين أخى فرق
وما كان بى عنها نكول وانما
تجاوزت عن حقى فتم لك الحق
اما كنت ترضى ان أكون مصليا
اذا كنت أرضى ان يكون لك السبق

(ومن غريب ما اتفق) ان
ناصر الدولة تضايق مرة من
معز الدولة بن بويه حين قصده
بعساكر بغداد فهرب منه
الى أخيه سيف الدولة
المذكور ووصل الى حلب
فى أيام قليلة فتلقاه سيف
الدولة وذكر ابن الاثير انه

ناس قد اعظموا قتل عثمان عليهم رجل من بني كنانة ثم من بني مدلج اسمه يزيد بن الحرث فبعث
الى قيس يدعو الى الطلب بدم عثمان وكان مسلمة بن مخلد قد أظهر الطلب أيضا بدم عثمان فأرسل
اليه قيس ويحك اعلي تثب فوالله ما أحب ان لي ملك الشام الى مصر واني قتلتك فبعث اليه
مسلمة اني كاف عنك مادمت وأنت والي مصر وبعث قيس وكان حازما الى اهل خربتا اني
لا أكرهكم على البيعة واني كاف عنكم فهادنهم وجبي الخراج ليس أحد ينازعه وخرج امير
المؤمنين الى الجمل ورجع وهو بمكانه فكان اثقل خلق الله على معاوية مخافة ان
يقبل علي في أهل العراق وقيس في أهل مصر فيقع بينهما معاوية فكتب معاوية الى قيس
سلام عليك اما بعد فانكم نقمتم على عثمان ضربة بسوط أو شتيمة رجل أو تسييرا آخر واستعمال
فتى وقد علمتم ان دمه لا يحل لكم فقد ركبتم عظيما وجئتم أمرا ادا فتب الى الله ياقيس فانك من
المجلبين على عثمان فاما صاحبك فانا استيقنا انه الذي أغرى الناس وحملهم حتى قتلوه وانه لم
يسلم من دمه عظم قومك فان استطعت ياقيس ان تكون ممن يطالب بدم عثمان فافعل وتابعنا
على أمرنا ولك سلطان العراقين اذا ظهرت ما بقيت ولمن أحببت من أهلك سلطان الحجاز مادام
لي سلطان وسلني ماشئت فاني أعطيك واكتب الي برأيك فلما جاءه الكتاب احب ان يدافعه ولا
يبدي له امره ولا يتعجل الى حربه فكتب اليه اما بعد فقد فهمت ماذكرته من قتلة عثمان فذلك
شيء لم أقارب به وذكرت ان صاحبي هو الذي اغرى به حتى قتلوه وهذا مما لم اطلع عليه وذكرت أن
عظم عشيرتي لم تسلم فأول الناس كان فيه قياما عشيرتي وأما ما عرضته من متابعتك فهذا أمر لي
فيه نظر وفكرة وليس هذا مما يسرع اليه وانا كاف عنك وليس يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى
ترى ونرى ان شاء الله تعالى فلما قرأ معاوية كتابه رآه مقاربا مباعدا فكتب اليه اما بعد فقد قرأت
كتابك فلم أرك تدنو فاعدك سلما ولا متباعدا فاعدك حربا وليس مثلي يصانع المخادع وينخدع
للمكايد ومعه عدد الرجال واعنة الخيل والسلام فلما قرأ قيس كتابه ورأى انه لا يفيد معه
المدافعة والمماطلة اظهر له ما في نفسه فكتب اليه اما بعد فالعجب من اغترارك بي وطمعك في
واستسقاطك اياي أتسومني الخروج عن طاعة أولى الناس بالامارة وأقولهم بالحق واهداهم
سبيلا واقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة وتأمرني بالدخول في طاعتك طاعة ابعد
الناس من هذا الامر وأقولهم بالزور واضلهم سبيلا وابعدهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسيلة ولد ضالين مضلين طاغوت من طواغيت ابليس واما قولك اني مالئ عليك مصر خيلا
ورجالا فوالله ان لم أشغلك بنفسك حتى تكون اهم اليك انك لذو جد والسلام فلما رأى معاوية
كتابه ايس منه وثقل عليه مكانه ولم تنجع حيله فيه فكاده من قبل علي فقال لاهل الشام
لا تسبوا قيس بن سعد ولا تدعوا الى غزوه فانه لنا شيعة قد تأتينا كتبه ونصيحته سرا الا ترون
ما يفعل باخوانكم الذين عنده من أهل خربتا يجري عليهم اعطياتهم وأرزاقهم ويحسن اليهم
وافتعل كتابا عن قيس اليه بالطلب بدم عثمان والدخول معه في ذلك وقرأه على أهل الشام فبلغ
ذلك عليا ابلغه ذلك محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بن أبي طالب واعلمته عيونه بالشام فاعظمه
واكبره فدعا ابنيه وعبد الله بن جعفر فاعلمهم ذلك فقال ابن جعفر يا أمير المؤمنين دع ما يريبك
الى ما لا يريبك اعزل قيسا عن مصر فقال علي اني والله ما اصدق بهذا عنه فقال عبد الله اعزله

نزع خف أخيه عند قدومه
بيده ولقد اتسع ملك سيف
الدولة حتى انه ملك دمشق
في زمن كافور الاخشيدي
حين كان متوليا أمور
المملكة بمصر وكان سبب
خروجه ماذكرناه من
محادثته مع الشريف العقيقي
في أمر غوطة دمشق وكان
كثيرا ما يغزو بلاد الكفر
وله مع الدمستق الطاغي أمير
النصارى وقائع وحروب
وكانت حضرته محط الرحال
ومنهل أرباب الكمال بحيث
ان الافاضل كانوا يقصدونه
من جميع الاطراف لما يجدون
عنده من المكارم والالطاف
وكان شاعره المتنبي الشاعر
الذي لم تسمح بمثله الادوار ما
دار الفلك الدوار وكان كاتبه
الامير كشاجم الفاضل
المشهور وكان خطيبه خطيب
الخطباء ابن نباته صاحب
الديوان المشهور وكان مؤدبه
ابن خالويه وكان مسرداره ابن
عمه ابو فراس الحرث صاحب
النظم العجيب والشعر
الغريب والمكارم الشائعة
والصفات الساطعة التي
تزينت بها الدفاتر ورواها
البادي والحاضر وسار
صيته في الآفاق وتناقلت
أحاديث فضله الرفاق وأي
كتاب ماهو مزين بصفاته

فان كان هذا حقا الابمتزل لك فبيناهم كذلك اذ جاءهم كتاب من قيس يخبر امير المؤمنين بحال المعتزلين وكفه عن قتالهم فقال ابن جعفر ما اخوفني ان يكون ذلك ممالأة منه فمره بقتالهم فكتب اليه يأمره بقتالهم فلما قرأ الكتاب كتب جوابه اما بعد فقد عجبت لامرك تأمرني بقتال قوم كافين عنك مفرغيك لعدوك ومتى حاددناهم ساعدوا عليك عدوك فأطعني يا أمير المؤمنين واكفف عنهم فان الرأي تركهم والسلام فلما قرأ علي الكتاب قال ابن جعفر يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبي بكر على مصر واعزل قيسا فقد بلغني ان قيسا يقول ان سلطانا لا يستقيم الا بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء وكان ابن جعفر اخا محمد بن أبي بكر لامه فبعث علي محمد بن أبي بكر الى مصر وقيل بعث الاشتر النخعي فمات بالطريق فبعث محمدا فقدم محمد على قيس بمصر فقال له قيس ما بال أمير المؤمنين ما غيره أدخل أحد بيني وبينه قال لا وهذا السلطان سلطانك قال لا والله لا أقيم وخرج منها مقبلا الى المدينة وهو غضبان لعزله فجاءه حسان بن ثابت وكان عثمانيا يشمت به فقال له قتلت عثمان ونزعك علي فبقي عليك الاثم ولم يحسن لك الشكر فقال له قيس يا أعمى القلب والبصر والله لولا أن ألقي بين رهطي ورهطك حربا لضربت عنقك اخرج عني ثم اخاف مروان بن الحكم قيسا بالمدينة فخرج منها هو وسهل بن حنيف الى علي فشهدا معه صفين فكتب معاوية الى مروان يتغيظ عليه ويقول له لو امددت عليا بمائة ألف مقاتل لكان أيسر عندي من قيس بن سعد في رأيه ومكانه فلما قدم قيس على علي وأخبره الخبر علم انه كان يقاسي امورا عظاما من المكايدة وجاءهم خبر قتل محمد بن أبي بكر فعظم محل قيس عنده واطاعه في الامر كله ولما قدم محمد مصر قرأ كتاب علي على أهل مصر ثم قام فخطب فقال الحمد لله الذي هدانا واياكم لما اختلف فيه من الحق وبصرنا واياكم كثيرا مما كان عمي عنه الجاهلون الا انّ أمير المؤمنين ولاني أمركم وعهد الي ما سمعتم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب فان يكن ما ترون من امارتي واعمالي طاعة لله فاحمدوا الله على ما كان من ذلك فانه هو الهادي له وان رأيتم عاملا لي عمل بغير الحق فارفعوه الي وعاتبوني فيه فاني بذلك اسعد وأنتم جديرون وفقنا الله واياكم لصالح الاعمال برحمته ثم نزل ولبث شهرا كاملا حتى بعث الى أولئك القوم المعتزلين الذين كانوا قد وادعهم قيس فقال لهم اما ان تدخلوا في طاعتنا وأما ان تخرجوا عن بلادنا فأجابوه انا لا نفعل فدعنا حتى ننظر الى ما يصير اليه أمرنا فلا تعجل لحربنا فأبى عليهم فامتنعوا وأخذوا حذرهم فكانت وقعة صفين وهم هائبون لمحمد فلما رجع علي عن معاوية وصار الامر الى التحكيم طمعوا في محمد وأظهروا له المبارزة فبعث محمد الحرث بن جمهان الجعفي الى أهل خربتا وفيها يزيد بن الحرث مع بني كنانة ومن معه فقاتلهم فقاتلوه وقتلوه فبعث محمد اليهم ايضا ابن مضاهم الكلبي فقتلوه وقد قيل انه جرى بين محمد ومعاوية مكاتبات كرهت ذكرها فانها مما لا يحتمل سماعها العامة * وفيها قدم ابراز بن مرزبان مرو الى علي بعد الجمل مقرا بالصلح فكتب له كتابا الى دهاقين مرو والاساورة ومن بمرو ثم انهم كفروا واغلقوا نيسابور فبعث علي خليد بن قرة وقيل ابن طريف اليربوعي الى خراسان

(ذكر قدوم عمرو بن العاص على معاوية ومتابعته له)

قيل كان عمرو بن العاص قد سار عن المدينة قبل أن يقتل عثمان نحو فلسطين وسبب ذلك انه

وأي دفتر ماهو مطيب بمحاسن سماته وغالب شعر المتنبي في مدائحه العالية وفي ذكر محاسنه الغالية وهو القائل فيه

لا تطلبن كريما بعد رؤيته ... ان الكرام بأسخاهم يدا ختموا

ولا تبال بشعر بعد شاعره ... قد أفسد القول حتى أحمد الصمم

واستمر سيف الدولة يجاهد في الله حق جهاده ويسعى في دين الاسلام بما يقربه في معاده ولقد اسر ابن عمه الامير الكبير صاحب القدر الرفيع الخطير الفاضل الشجاع الواصل الى مرتبة الاختراع والابداع الامير أبو فراس وكان حبسه في حصن خرشنة وهو من الحصون المنيعة والقلاع الرفيعة فضايقه من حبسه اشد المضايقة فأرسل الى امه وكانت مقيمة بمدينة منبج أن تذهب الى الملك سيف الدولة الى حلب وتطلب منه ان يرسل الى ملك النصارى ليفديه فذهبت اليه فردها وقال لها ولدك ابن عمي وخال أولادي ولكن انا عجزت وأنا أنصحه انه لا ينزل بنفسه الى الميدان عند وقوع الحرب لانه أمير سردار وليس للسردار شجاعة الا بثباته تحت علمه

لما احيط بعثمان قال يا أهل المدينة لا يقيم أحد فيدركه قتل هذا الرجل الاضر به الله بذل من لم
يستطع نصره فليهرب فسار وقيل غير ذلك وقد تقدم وسار معه ابناه عبد الله ومحمد فسكن فلسطين
فمر به راكب من المدينة فقال له عمرو ما اسمك قال حصيرة قال عمرو حصر الرجل فما الخبر قال
تركت عثمان محصورا ثم مر به راكب آخر بعد ايام فقال له عمرو ما اسمك قال قتال قال قتل
الرجل فما الخبر قال قتل عثمان ولم يكن شئ الى ان سرت ثم مر به راكب من المدينة فقال له عمرو
ما اسمك قال حرب قال عمرو ليكون حرب وقال له ما الخبر فقال بايع الناس عليا فقال سلم بن
زنباع يا معشر العرب كان بينكم وبين العرب باب فكسر فاتخذوا بابا غيره فقال عمرو ذلك الذي
نريده ثم ارتحل عمرو راجلا معه ابناه يبكي كما تبكي المرأة وهو يقول واعثماناه انعى الحياء
والدين حتى قدم دمشق وكان قد علم الذي يكون فعمل عليه لان النبي صلى الله عليه وسلم كان
قد بعثه الى عمان فسمع من حبر هناك شيأ عرف صداقه فسأله عن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
ومن يكون بعده فاخبره بأبي بكر وان مدته قصيرة ثم يلي بعده رجل من قومه مثله تطول مدته
ويقتل غيلة ثم يلي بعده رجل من قومه تطول مدته ويقتل عن ملا قال ذلك أشر ثم يلي بعده
رجل من قومه ينتشر الناس عليه ويكون على رأسه حرب شديدة ثم يقتل قبل ان يجتمع الناس
عليه ثم يلي بعده امير الارض المقدسة فيطول ملكه وتجتمع عليه أهل تلك الفرقة ثم يموت وقيل
ان عمرا لما بلغه قتل عثمان قال أنا ابو عبد الله أنا قتلته وأنا بوادي السباع ان يل هذا الامر
طلحة فهو فتى العرب سيبا وان يله ابن أبي طالب فهو أكره من يليه الي فبلغه بيعة على فاشتد
عليه واقام ينتظر ما يصنع الناس فأتاه مسير عائشة وطلحة والزبير فأقام ينتظر ما يصنعون فأتاه
الخبر بوقعة الجمل فارتج عليه أمره فسمع أن معاوية بالشام لا يبايع عليا وانه يعظم شأن عثمان
وكان معاوية أحب اليه من على فدعا ابنيه عبد الله ومحمدا فاستشارهما وقال ما تريان اما على
فلا خير عنده وهو يدل بسابقته وهو غير مشركي في شئ من أمره فقال له ابنه عبد الله توفي النبي
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وهم عنك راضون فأرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى
يجتمع الناس وقال له ابنه محمد أنت ناب من أنياب العرب ولا أرى ان يجتمع هذا الامر وليس لك
فيه صوت فقال عمرو أما أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في ديني وأما انت يا محمد فأمرتني
بما هو خير لي في دنياي وشر لي في آخرتي ثم خرج ومعه ابناه حتى قدم على معاوية فوجد اهل
الشام يحضون معاوية على الطلب بدم عثمان وقال عمرو أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم
ومعاوية لا يلتفت اليه فقال لعمرو ابناه الا ترى معاوية لا يلتفت اليك فانصرف الى غيره
فدخل عمرو على معاوية فقال له والله لعجب لك اني أرفدك بما أرفدك وأنت معرض عني ان
قاتلنا معك نطالب بدم الخليفة ان في النفس ما فيها حيث تقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته
ولكنا انما أردنا هذه الدنيا فصالحه معاوية وعطف عليه

(ذكر ابتداء وقعة صفين)

لما عاد على من البصرة بعد فراغه من الجمل قصد الكوفة وأرسل الى جرير بن عبد الله البجلي
وكان عاملا على همذان استعمله عثمان والى الاشعث بن قيس وكان على اذربيجان استعمله
عثمان أيضا يأمرهما بأخذ البيعة والحضور عنده فلما حضرا عنده أراد على ان يرسل رسولا

وقد فديته قبل هذه مرتين فلما رجعت الى منبج أرسلت الى ولدها مكتوبا تذكر له فيه ان المال ردها فكتبت اليه ما قال لها من النصيحة فكتب الامير ابو فراس من حصن خرشنة وهو في الاسر قصيدة لا نظير لها يخاطب سيف الدولة ويعاتبه على ردّ امه بغير اجابة الى الفداء ويذكر القاءه نفسه في رضاه الى الردى فقال

يا حسرة ما أكاد أحملها
آخرها مزعج وأولها
حزينة بالشآم مفردة
بات بأيدي العدا معللها
تسأل عنه الركبان جاهدة
بأدمع ما تكاد تمهلها
يا من رأى لي بحصن خرشنة
اسد شرى في القيود أرجلها
يا من رأى للدروب شامخة
دون لقاء الحبيب اطولها
بأي عذر رددت والهة
عليك دون الورى معولها
جاءتك تمتاح رد واحدها
ينتظر الناس كيف تقفلها
سمحت مني بمهجة كرمت
أنت على يأسها مؤملها
ان كنت لا تبذل الفداء لها
فلم أزل في هواك ابذلها

وهي قصيدة طويلة محاسنها جمة شاملة جليلة وأرسل الى امه مكتوبا يقول فيه

الى معاوية قال جرير أرسلني اليه فانه لي ود فقال الاشتر لا تفعل فان هواه مع معاوية فقال على دعه حتى ننظر ما الذي يرجع الينا به فبعثه وكتب معه كتابا الى معاوية يعلمه فيه باجتماع المهاجرين والانصار على بيعته ونكث طلحة والزبير وحربه اياهما ويدعوه الى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والانصار من طاعته فسار جرير الى معاوية فلما قدم عليه ماطله واستنظره واستشار عمرا فاشار عليه ان يجمع أهل الشام ويلزم عليا دم عثمان ويقاتله بهم ففعل معاوية ذلك وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الذي قتل فيه مخضوبا بالدم بأصابع زوجته نائلة اصبعان منها وشيء من الكف واصبعان مقطوعتان من أصولهما ونصف الابهام وضع معاوية القميص على المنبر وجمع الاجناد اليه فبكوا على القميص مدة وهو على المنبر والاصابع معلقة فيه واقسم رجال من اهل الشام ان لا يمسهم الماء الا للغسل من الجنابة وان لا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن قام دونهم قتلوه فلما عاد جرير الى امير المؤمنين علي واخبره خبر معاوية واجتمع أهل الشام معه على قتاله وانهم يبكون على عثمان ويقولون ان عليا قتله وآوى قتلته وانهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه قال الاشتر لعلي قد كنت نهيتك ان ترسل جريرا واخبرتك بعداوته وغشه ولو كنت أرسلتني لكان خيرا من هذا الذي أقام عنده حتى لم يدع بابا نرجو فتحه الا فتحه ولا بابا نخاف منه الا أغلقه فقال جرير لو كنت ثم لقتلوك لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان فقال الاشتر والله لو أتيتهم لم يعيني جوابهم ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر ولو أطاعني أمير المؤمنين لحبسك واشباهك حتى يستقيم هذا الامر فخرج جرير الى قرقيسيا وكتب الى معاوية فكتب اليه معاوية يأمره بالقدوم عليه وقيل كان الذي حمل معاوية على رد جرير البجلي غير مقضي الحاجة شرحبيل بن السمط الكندي وكان سبب ذلك ان شرحبيل كان قد سيره عمر بن الخطاب الى العراق الى سعد ابن أبي وقاص وكان معه فقدمه سعد وقربه فحسده الاشعث بن قيس الكندي لمنافسة بينهما فوفد جرير البجلي على عمر فقال له الاشعث ان قدرت ان تنال من شرحبيل عند عمر فافعل فلما قدم على عمر سأله عمر عن الناس فاحسن الثناء على سعد قال وقد قال شعرا

الا ليتني والمرء سعد بن مالك * وزبرا وابن السمط في لجة البحر

فيغرق أصحابي وأخرج سالما * على ظهر قرقور أنادي أبا بكر

فكتب عمر الى سعد يأمره بارساله زبرا وشرحبيلا اليه فأرسلهما فأمسك زبرا بالمدينة وسير شرحبيلا الى الشام فشرف وتقدم وكان أبوه السمط من غزاة الشام فلما قدم جرير بكتاب علي الى معاوية في البيعة انتظر معاوية قدوم شرحبيل فلما قدم عليه اخبره معاوية بما قدم فيه جرير فقال كان امير المؤمنين عثمان خليفتنا فان قويت على الطلب بدمه والا فاعتزلنا فانصرف جرير فقال النجاشي

شرحبيل ما للدين فارقت امرنا * ولكن لبغض المالكي جرير

وقولك ما قد قلت عن أمر اشعث * فاصبحت كالحادي بغير بعير

جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك فنسب الى جده مالك وخرج علي فعسكر بالنخيلة وتخلف عنه نفر من أهل الكوفة منهم مرة الهمداني ومسروق أخذا عطاياهما وقصدا قزوين فاما

لولا العجوز بمنبج
ماخفت اسباب المنيه
ولكان لي عما اسأل
ت من الفدا نفس أبيه
لكن أردت مرادها
ولو انجذبت الى الدنيه
يا أمنا لا تحزني
لله ألطاف خفيه

ثم بعد ذلك أرسل اليه وفداه واستقبله وتلقاه وولد سيف الدولة في سنة ثلاث وثلثمائة ومات في سنة سبع وخمسين وثلثمائة ودفن عند امه بميافارقين وتولى الملك بعده ولده (سعد الدولة ابو المعالي) وسعد الدولة هذا هو ابن اخت أبي فراس المذكور واتفق ان ابا فراس المذكور كان عند سيف الدولة واليا على حمص فرام بعد موت الملك ان يستقل بملك حمص فأرسل اليه ابن اخته سعد الدولة يقول له ياخال أعط حمص لنا تبنا فرغويه فامتنع من تسليمها فقاتله عند صدد وحرين فانكسر عسكر أبي فراس وقتل في ذلك المكان واستقرت جثته ثلاثة أيام ملقاة في البرية حتى جاء بعض الاعراب وراها واستمر سعد الدولة واليا مكان أبيه نحو عشرة اعوام ولما مات ناصر الدولة الحسين أخو سيف الدولة

مسروق فانه كان يستغفر الله من تخلفه عن على بصفين وقدم عليه عبد الله بن عباس فيمن معه من أهل البصرة وبلغ ذلك معاوية فاستشار عمرا فقال اما اذ سار على فسر اليه بنفسك ولا تغب عنه برأيك ومكيدتك فتجهز معاوية وتجهز الناس وحضهم عمرو وضعف عليا وأصحابه وقال ان أهل العراق قد فرقوا جمعهم ووهنوا شوكتهم وفلوا حدهم وأهل البصرة مخالفون لعلى بمن قتل منهم وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل وانما سار على فى شرذمة قليلة وقد قتل خليفتكم والله الله فى حقكم أن تضيعوه وفى دمكم ان تطلوه وكتب معاوية الى أهل الشام وعقد لواء لعمرو ولواء لابنيه عبد الله ومحمد ولواء لغلامه وردان وعقد على لواء لغلامه قنبر فقال عمرو

هل يغنين وردان عنى قنبرا * أوتغنى السكون عنى حميرا
* اذا الكماة لبسوا السنورا *

فبلغ ذلك عليا فقال

لاصبحن العاصى بن العاصى * سبعين ألفا عاقدى النواصى
مجنبين الخيل بالقلاص * مستحقبين حلق الدلاص

فلما سمع معاوية ذلك قال ما أرى عليا الا وقد وفى لك وسار معاوية وتأنى فى مسيره فلما رأى ذلك الوليد بن عقبة بعث اليه يقول

ألا ابلغ معاوية بن حرب * فانك من أخى ثقة مليم
قطعت الدهر كالسدم المعنى * تهدر فى دمشق فما تريم
وانك والكتاب الى على * كدابغة وقد حلم الاديم
يمنيك الامارة كل ركب * لانقاض العراق بها رسيم
وليس أخو التراث بمن توانى * ولكن طالب الترة الغشوم
ولو كنت القتيل وكان حيا * لجرد لا ألف ولا غشوم
ولا نكل عن الاوتار حتى * يبيء بها ولا برم جثوم
وقومك بالمدينة قد أبيروا * فهم صرعى كأنهم الهشيم

فكتب اليه معاوية

ومستعجب مما يرى من أناتنا * ولو زبنته الحرب لم يترمرم

وبعث على زياد بن النضر الحارثى طليعة فى ثمانية آلاف وبعث مع شريح بن هانى أربعة آلاف وسار على من النخيلة وأخذ معه من بالمدائن من المقاتلة وولى على المدائن سعد بن مسعود عم المختار بن أبى عبيد الثقفى ولما سار على كان معه نابغة بن جعدة فحدا به يوما فقال

قد علم المصران والعراق * ان عليا فحلها العتاق
ابيض جحجاح له رواق * ان الاولى جاروك لا افاقوا
لكم سباق ولهم سباق * قد علمت ذلكم الرفاق

ووجه على من المدائن معقل بن قيس فى ثلاثة آلاف وأمره أن يأخذ على الموصل حتى يوافيه على الرقة فلما وصل الى الرقة قال لاهلها اعملوا له جسرا يعبر عليه الى الشام فأبوا وكانوا قد

بديار الموصل تولى بعده ولده (أبو تغلب) فقتل وتولى مكانه أخوه (الغضنفر) ابن ناصر الدولة وصدر لابى تغلب المذكور مع الملك عضد الدولة بن بويه قصة عجيبة ومضافات غريبة اوجبت انكسار عسكر ابى تغلب وانتصار عضد الدولة فأرسل أبو تغلب الى عضد الدولة مكتوبا يلتمس منه العفو والصفح عنه فقال فى ذلك عضد الدولة

أأفاق حين وطئت ضيق خناقه
يبغى الامان وكان يبغى صارما
فلاركبن عزيمة عضدية
تدع الانوف مدى الزمان رواغما

وذكر ابن خلكان أن سيف الدولة جمع لنفسه من غبار الجهاد مع الكفار كثيرا وصيره لبنة وأوصى ان توضع فى قبره تحت خده ففعلوا به ذلك واستمر ملك بنى حمدان فى بلاد حلب والجزيرة وبلاد الموصل ما يقرب من سبعين سنة ولسيف الدولة شعر لطيف جدا فمن ذلك انه قال يوما هذا البيت مفردا

لك قلبى تحله * فدمى لم تحله

ضموا سفنهم اليهم فنهض من عندهم ليعبر على جسر منبج وخلف عليهم الاشتر فناداهم الاشتر وقال اقسم بالله لئن لم تعملوا جسرا يعبر عليه أمير المؤمنين لاجردن فيكم السيف ولاقتلن الرجال ولآخذن الاموال فلقي بعضهم بعضا وقالوا انه الاشتر وانه قمن ان يفي لكم بما حلف عليه أو يأتي بأكثر منه فنصبوا الجسر وعبر عليه علي وأصحابه وازدحموا عليه فسقطت قلنسوة عبد الله بن ابي الحصين الازدي فنزل فأخذها ثم ركب وسقطت قلنسوة عبد الله بن الحجاج الازدي فنزل فأخذها ثم قال لصاحبه

فان يك ظن الزاجري الطير صادقا * كما زعموا أقتل وشيكا وتقتل

فقال ابن ابي الحصين ما شيء أحب الي مما ذكرت فقتلا جميعا بصفين ولما بلغ علي الفرات دعا زياد ابن النضر الحارثي وشريح بن هاني فسرحهما امامه في اثني عشر ألفا نحو معاوية على حالهما التي خرجا عليها من الكوفة وكان سبب عودهما اليه انهما حيث سيرهما علي من الكوفة أخذا على شاطئ الفرات مما يلي البر فلما بلغا عانات بلغهما ان معاوية قد أقبل في جنود الشام فقالا لا والله ما هذا لنا برأي نسير وبيننا وبين المسلمين وامير المؤمنين هذا البحر وما لنا خير في ان نلقى جنود الشام بقلة من معنا فذهبوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهلها فرجعوا فعبروا من هيت فلحقوا عليا دون قرقيسيا فلما لحقوا عليا قال مقدمتي تأتيني من ورائي فاخبره شريح وزياد بما كان فقال سددتما فلما عبر الفرات سيرهما امامه فلما انتهيا الى سور الروم لقيهما ابو الاعور السلمي في جند من اهل الشام فأرسلا الى علي فأعلماه فأرسل علي الى الاشتر وأمره بالسرعة وقال له اذا قدمت فأنت عليهم واياك أن تبدأ القوم بقتال الا ان يبدؤك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع منهم ولا يحملك بغضهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار اليهم مرة بعد مرة واجعل على ميمنتك زيادا وعلى ميسرتك شريحا ولا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب ولا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى أقدم عليك فاني حثيث المسير في اثرك ان شاء الله تعالى وكتب علي الى شريح وزياد بذلك وامرهما بطاعة الاشتر فسار الاشتر حتى قدم عليهم واتبع ما امره وكف عن القتال ولم يزالوا متواقفين حتى كان عند المساء حمل عليهم أبو الاعور السلمي فثبتوا له واضطربوا ساعة ثم انصرف أهل الشام وخرج اليهم من الغد هاشم بن عتبة المرقال وخرج اليه ابو الاعور فاقتتلوا يومهم وصبر بعضهم لبعض ثم انصرفوا وحمل عليهم الاشتر وقال اروني ابا الاعور وتراجعوا ووقف ابو الاعور وراء المكان الذي كان فيه اول مرة وجاء الاشتر فصف اصحابه بمكان ابي الاعور بالامس فقال الاشتر لسنان بن مالك النخعي انطلق الى ابي الاعور فادعه الى البراز فقال الى مبارزتي أو مبارزتك فقال الاشتر لو أمرتك بمبارزته لفعلت قال نعم والله لو أمرتني ان اعترض صفهم بسيفي لفعلت فدعا له وقال انما تدعوه لمبارزتي فخرج اليهم فقال أمنوني فاني رسول فأمنوه فانتهى الى أبي الاعور وقال له ان الاشتر يدعوك الى أن تبارزه فسكت طويلا ثم قال ان خفة الاشتر وسوء رأيه حملاه على اجلاء عمال عثمان عن العراق وتقبيح محاسنه وعلى ان سار اليه في داره حتى قتله فأصبح متبعا بدمه لا حاجة لي في مبارزته قال له الرسول قد قلت فاسمع مني اجبك قال لا حاجة لي في جوابك اذهب عني فصاح به اصحابه فانصرف عنه ورجع الى الاشتر فأخبره فقال لنفسه نظر فوقفوا حتى حجز الليل بينهم وعاد الشاميون من الليل

وطلب من الامير ابي فراس ان يجيزه فقال ارتجالا

أنت للرق مالك فلك الامر كله

فاعطاه لذلك منبج اقطاعا وله في تشبيه قوس قزح وأجاد الى الغاية

كأذيال خود أقبلت في غلائل مصبغة والبعض اقصر من بعض

وكان بنو حمدان شيعة لكن كان تشيعهم خفيفا ولم يكونوا كبني بويه فان بني بويه كانوا في غاية القباحة سبابين ومن أراد استقصاء اخبار ملوك بني حمدان فلينظر الى يتيمة الدهر للثعالبي والله تعالى اعلم وفي سنة تسع واربعين وثلثمائة مات انوجور فأقام كافور أخاه (عليا) مكانه فتوفي وهو صغير واستقل (كافور الاخشيدي) بالمملكة يدعى له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية والحجازية فأقام سنتين واربعة اشهر ومات بمصر في سنة سبع وخمسين وثلثمائة قال الذهبي كان كافور عبدا حبشيا خصيا اشتراه الاخشيد بثمانية عشر دينارا ثم تقدم عنده لعقله ورأيه ولم يبلغ احد من الخصيان ما بلغ كافور قال ابو جعفر مسلم بن عبد الله بن طاهر العلوي كنت اساير كافورا يوما وهو في موكب

واصبح على غدوة عند الاشتر وتقدم الاشتر ومن معه فانتهى الى معاوية فواقفه ولحق بهم على فتواقفوا طويلا ثم ان عليا طالب لعسكره موضعا ينزل فيه وكان معاوية قد سبق فنزل منزلا اختاره بسيطا واسعا أفيح وأخذ شريعة الفرات وليس فى ذلك الصقع شريعة غيرها وجعلها فى حيزه وبعث عليها ابا الاعور السلمى يحميها ويمنعها فطلب اصحاب على شريعة غيرها فلم يجدوا فأتوا عليا فأخبروه بفعلهم وبعطش الناس فدعا صعصعة بن صوحان فارسله الى معاوية يقول له انا سرنا مسيرنا هذا ونحن نكره قتالكم قبل الاعذار اليكم فقدمت الينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل ان نقاتلك ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك وهذه اخرى قد فعلتموها منعتم الناس عن الماء والناس غير منتهين فابعث الى اصحابك فليخلوا بين الناس وبين الماء ويكفوا لننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له فان اردت أن نترك ما جئنا له ونقتتل على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا فقال معاوية لاصحابه ما ترون فقال الوليد بن عقبة وعبد الله بن سعد امنعهم الماء كما منعوه ابن عفان اقتلهم عطشا قتلهم الله فقال عمرو بن العاص خل بين القوم وبين الماء فانهم لن يعطشوا وأنت ريان ولكن بغير الماء فانظر فيما بينك وبين الله فاعاد الوليد وعبد الله بن سعد مقالتهما وقالا امنعهم الماء الى الليل فانهم ان لم يقدروا عليه رجعوا وكان رجوعهم هزيمة امنعهم الماء منعهم الله اياه يوم القيامة قال صعصعة انما يمنعه الله الفجرة وشربة الخمر لعنك الله ولعن هذا الفاسق يعنى الوليد بن عقبة فشتموه وتهددوه وقد قيل ان الوليد وابن ابى سرح لم يشهدا صفين فرجع صعصعة فاخبر بما كان وان معاوية قال سيأتيكم رأيى فسرب الخيل الى ابى الاعور ليمنعهم الماء فلما سمع على ذلك قال قاتلوهم على الماء فقال الاشعث ابن قيس الكندى انا اسير اليهم فسار اليهم فلما دنوا منهم ثاروا فى وجوههم فرموهم بالنبل فتراموا ساعة ثم تطاعنوا بالرماح ثم صاروا الى السيوف فاقتتلوا ساعة وأرسل معاوية يزيد بن اسد البجلى القسرى جد خالد بن عبد الله القسرى فى الخيل الى أبى الاعور فاقبلوا فأرسل على شبث ابن ربعى الرياحى فازداد القتال فأرسل معاوية عمرو بن العاص فى جند كثير فأخذ يمد أبا الاعور ويزيد بن اسد وأرسل على الاشتر فى جمع عظيم وجعل يمد الاشعث وشبثا فاشتد القتال فقال عبد الله بن عوف الازدى الاحمرى

خلوا لنا ماء الفرات الجارى * أو اثبتوا لجحفل جرار
لكل قرم مستميت شارى * مطاعن برمحه كرار
ضراب هامات العدى مغوار * لم يخش غير الواحد القهار

وقاتلوهم حتى خلوا بينهم وبين الماء وصار فى ايدى أصحاب على فقالوا والله لا نسقيه أهل الشأم فأرسل على الى أصحابه ان خذوا من الماء حاجتكم وخلوا عنهم فان الله نصركم ببغيهم وظلمهم ومكث على يومين لا يرسل اليهم أحدا ولا يأتيه احد ثم ان عليا دعا ابا عمرو بشير بن عمرو بن محصن الانصارى وسعيد بن قيس الهمذانى وشبث بن ربعى التميمى فقال لهم ائتوا هذا الرجل وادعوه الى الله والى الطاعة والجماعة فقال له شبث يا أمير المؤمنين ألا تطمعه فى سلطان توليه اياه او منزلة تكون له بها اثرة عندك ان هو بايعك قال انطلقوا اليه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه وهذا فى أول ذى الحجة فأتوه فدخلوا عليه فابتدأ بشير بن عمرو الانصارى فحمد الله وأثنى عليه وقال

يامعاويه

فسقطت مقرعته من يده فبادرت بالنزول وأخذتها من الارض وناولته اياها فقال ايها الشريف اعوذ بالله ومن بلوغ الغاية ما ظننت ان الزمان يبلغنى حتى يفعل بى هذا وكاد يبكى فلما بلغ باب داره ودعته وسرت فاذا بالبغال والنجائب بمراكبها وقال أصحابه أمر كافور بحمل هذا اليك وكان ثمنها يزيد على خمسة عشر ألف دينار (وذكر ابن الاثير) فى تاريخه ان كافورا كان يوما سائرا بمصر فى موكب عظيم ومعه الشريف بن طباطبا العلوى فنزل كافور عن فرسه ووقف الموكب من خلفه وقدامه وحمد الله تعالى على الارض فى السوق ثم ركب على فرسه وسار فسأله الشريف عن ذلك فقال قد علمت انه لا يسألنى عن هذه المسألة غيرك كنت فى مبدأ أمرى أمر من هذا السوق وارى فى هذا المكان دكان هريسة وكنت اشتهيها ولا اقدر على ذلك فكنت اقنع بالشم واكتفى به ولما من الله على بهذه السلطنة العظيمة عزمت على شكر الله تعالى وكلما كثرت النعم وجب الشكر بمقدارها اردت ان يشبع عنى الشكر بمقدار شبعها ونازعتنى نفسى فى ذلك مدة مراكب

يامعاوية ان الدنيا عنك زائلة وانك راجع الى الآخرة وان الله محاسبك بعملك ومجازيك عليه وانى انشدك الله أن تفرق جماعة هذه الامة وان تسفك دماءها بينها فقطع عليه معاوية الكلام وقال هلا أوصيت بذلك صاحبك فقال أبو عمرو ان صاحبى ليس مثلك ان صاحبى أحق البرية كلها بهذا الامر فى الفضل والدين والسابقة فى الاسلام والقرابة بالرسول صلى الله عليه وسلم قال فماذا يقول قال يأمرك بتقوى الله وأن تجيب ابن عمك الى مايدعوك اليه من الحق فانه أسلم لك فى دنياك وخير لك فى عاقبة أمرك قال معاوية ونترك دم ابن عفان لا والله لا أفعل ذلك ابدا قال فذهب سعيد بن قيس يتكلم فبادره شبث بن ربعى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يامعاوية قد فهمت مارددت على ابن محصن انه والله لا يخفى علينا ماتطلب انك لم تجد شيئا تستغوى به الناس وتستميل به اهواءهم وتستخلص به طاعتهم الا قولك قتل امامكم مظلوما فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام وقد علمنا أنك ابطأت عنه بالنصر واحببت له القتل لهذه المنزلة التى اصبحت تطلب ورب متمنى أمر وطالبه يحول الله دونه وربما أوتى المتمنى امنيته وفوق امنيته ووالله مالك فى واحدة منهما خير والله ان أخطأك ماترجو انك لشر العرب حالا ولئن اصبت ماتمناه لا تصيبه حتى تستحق من ربك صلى النار فاتق الله يامعاوية ودع ماأنت عليه ولا تنازع الامر أهله قال فحمد الله معاوية ثم قال أما بعد فان أول ماعرفت به سفهك وخفة حلمك ان قطعت على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقه ثم اعترضت بعد فيما لا علم لك به فقد كذبت ولؤمت أيها الاعرابى الجلف الجافى فى كل ماذكرت ووصفت انصرفوا من عندى فليس بينى وبينكم الا السيف وغضب وخرج القوم فقال له شبث بن ربعى اتهول بالسيف اقسم بالله لنعجلنها اليك فأتوا عليا فأخبروه بذلك فأخذ على يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج ومعه جماعة من أصحابه ويخرج اليه آخر من أصحاب معاوية ومعه جماعة فيقتتلان فى خيلهما ثم ينصرفان وكرهوا ان يلقوا جمع أهل العراق بجمع أهل الشام لما خافوا ان يكون فيه من الاستئصال والهلاك فكان على يخرج مرة الاشتر ومرة حجر بن عدى الكندى ومرة شبث بن ربعى ومرة خالد بن المعمر ومرة زياد بن النضر الحارثى ومرة زياد بن خصفة التيمى ومرة سعيد بن قيس الهمدانى ومرة معقل بن قيس الرياحى ومرة قيس بن سعد الانصارى وكان الاشتر أكثرهم خروجا وكان معاوية يخرج اليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد واباالاعور السلمى وحبيب بن مسلمة الفهرى وابن ذى الكلاع الحميرى وعبيد الله بن عمر بن الخطاب وشرحبيل بن السمط الكندى وحمزة بن مالك الهمدانى فاقتتلوا ايام ذى الحجة كلها وربما اقتتلوا فى اليوم الواحد مرتين

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة مات حذيفة بن اليمان بعد قتل عثمان بيسير ولم يدرك الجمل وقتل ابناه صفوان وسعيد مع على بصفين بوصية أبيهما وقيل مات سنة خمس وثلاثين والاول أصح وفيها مات سلمان الفارسى فى قول بعضهم وكان عمره مائتين وخمسين سنة هذا اقل ماقيل فيه وقيل ثلثمائة وخمسون سنة وكان قد أدرك بعض أصحاب المسيح عليه السلام وعبد الله بن سعد بن ابى سرح مات بعسقلان حيث خرج مع معاوية الى صفين وكره الخروج معه ومات فيها عبد الرحمن بن عديس

وكانت تغلبنى وتمنعنى من ذلك واليوم غابت انا نفسى واديت الشكر لله تعالى ولما مات كافور وقع الخلف فيمن ينصب بعده واتفقوا على نصب (أبى الفوارس أحمد بن على بن الاخشيد) وخطب له وهو ابن اثنتين وعشرين سنة فأقام شهورا حتى اتى جوهر القائد من الغرب فانتزعها منه فكان جملة الدولة الاخشيدية نحو خمس وثلاثين سنة

(الباب الحادى والثلاثون فى ذكر بنى مرداويج الديلى ملوك جرجان الممارسين معركة الابطال والشجعان)

ذكر صاحب السلوك فى دول الملوك فى أصل الديلم ان باسل بن ضبة بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان خرج مغاضبا لابيه فوقع فى أرض الديلم فتزوج امرأة من العجم فولدت له ديلم بن باسل فهو ابو الديلم كلهم وهم افخاذ وعشائر وكانوا مجوسا لم ينقادوا الى ملة فأسلم بعضهم وأول من ظهر منهم (ابو الحجاج مرداويج ابن زياد الديلى) فقوى امره وعظمت جيوشه واستولى على بلاد الجبل والرى وأتته الديلم من كل ناحية واتخذ له سريرا من الذهب وتاجا مرصعا

البلوى امير القادمين من مصر اقتتل عثمان وكان ممن بايع النبى صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وقيل بل قتل بالشام وفيها مات قدامة بن مظعون الجمحى وهو من مهاجرة الحبشة وشهد بدرا وفيها توفى عمرو بن أبى عمرو بن ضبة الفهرى ابو شداد شهد بدرا وفيها استعمل على على الرى يزيد بن حجية التيمى تيم اللات فكسر من خراجها ثلاثين الفا فكتب اليه على يستدعيه فحضر فسأله عن المال قال أين ما غللته من المال قال ما اخذت شيأ فخفقه بالدرة خفقات وحبسه ووكل به سعدا مولاه فهرب منه يزيد الى الشام فسوغه معاوية المال فكان ينال من على وبقى بالشام الى ان اجتمع الامر لمعاوية فسار معه الى العراق فولاه الرى فقيل انه شهد مع على الجمل وصفين والنهروان ثم ولاه الرى وهو الصحيح فكان ما تقدم ذكره

﴿ثم دخلت سنة سبع وثلاثين﴾

﴿ذكر تتمة امر صفين﴾

فى هذه السنة فى المحرم منها جرت موادعة بين على ومعاوية توادعا على ترك الحرب بينهم ما حتى ينقضى المحرم طمعا فى الصلح واختلفت بينهما الرسل فبعث على عدى بن حاتم ويزيد بن قيس الارحبى وشبث بن ربعى وزياد بن خصفة فتكلم عدى بن حاتم فحمد الله وقال اما بعد فانا أتيناك ندعوك الى أمر يجمع الله به كلمتنا وامتنا ونحقن به الدماء ونصلح ذات البين ان ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقة وأحسنها فى الاسلام أثرا وقد استجمع له الناس ولم يبق احد غيرك وغير من معك فاحذر يا معاوية لا يصيبك وأصحابك مثل يوم الجمل فقال له معاوية كأنك انما جئت متهددا لم تأت مصلحا هيهات يا عدى كلا والله انى لابن حرب لا يقعقع له بالشنان وانك والله من المجلبين على عثمان وانك من قتلته وانى لارجو أن تكون ممن يقتله الله به فقال له شبث وزياد بن خصفة جوابا واحدا أتيناك فيما يصلحنا واياك فاقبلت تضرب لنا الامثال دع ما لا ينفع وأجبنا فيما يعم نفعه وقال يزيد بن قيس انا لم نأت الا لنبلغك ما أرسلنا به اليك ونؤدى عنك ما سمعنا منك ولن ندع ان ننصح لك وأن نذكر ما يكون به الحجة عليك ويرجع الى الالفة والجماعة ان صاحبنا من قد عرف المسلمون فضله ولا يخفى عليك فاتق الله يا معاوية ولا تخالفه فانا والله ما رأينا فى الناس رجلا قط اعمل بالتقوى ولا أزهد فى الدنيا ولا اجمع لخصال الخير كلها منه فحمد الله معاوية ثم قال اما بعد فانكم دعوتم الى الطاعة والجماعة فاما الجماعة التى دعوتم اليها فمعنا هى وأما الطاعة لصاحبكم فانا لا نراها لان صاحبكم قتل خليفتنا وفرق جماعتنا وآوى ثارنا وصاحبكم يزعم انه لم يقتله فنحن لا نرد عليه ذلك فليدفع الينا قتلة عثمان لنقتلهم ونحن نجيبكم الى الطاعة والجماعة فقال شبث بن ربعى أيسرك يا معاوية ان تقتل عمارا فقال وما يمنعنى من ذلك لو تمكنت من ابن سمية لقتلته بمولى عثمان فقال شبث والذى لا اله غيره لا تصل الى ذلك حتى تندر الهام عن الكواهل وتضيق الارض والفضاء عليك فقال معاوية لو كان ذلك لكانت عليك أضيق وتفرق القوم عن معاوية وبعث معاوية الى زياد بن خصفة فخلا به وقال له يا اخا ربيعة ان عليا قطع أرحامنا وقتل امامنا وآوى قتلة صاحبنا وانى اسألك النصر عليه بعشيرتك ثم لك عهد الله وميثاقه انى اوليك اذا ظهرت أى المصرين احببت فقال زياد اما بعد فانى على بينة من ربى وما أنعم الله على فلن أكون ظهيرا للمجرمين وقام فقال معاوية لعمرو بن العاص ليس نكلم

رجلا

بالجوهر واصطنع كراسى فضة لخواصه ولم يزل تزداد شوكته وفى سنة خمس عشرة وثلثمائة استولى على جرجان وكتب ابو مسلم الكاتب الاصفهانى بذلك يعلم الخليفة

اری نارا تأجج من بعيد
لها فى كل ناحية شعاع

واستولى على قزوين وهمدان ودينور وقم وكاشان واصفهان وطبرستان واستولى على بقية بلاد الجبل ونهب البلاد الى ان وصل الى حلوان * وفى سنة تسع عشرة وثلثمائة ارسل المقتدر بالله العباسى العساكر فغلبهم مرداويج وكان جبارا متكبرا * وفى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة دخل الحمام فهجم عليه جماعته فقتلوه وتولى مكانه أخوه (وشمكير بن زياد) مدة فوقع بينه وبين ملوك الاطراف حروب كثيرة توفى سنة ست وخمسين وثلثمائة وسببه انه كان يخرج للصيد فصادفه خنزير مجروح فهجم عليه فقام فرسه ورماه فقتله وتولى مكانه ولده (بيتون بن وشمكير) مدة وتوفى فى سنة ست وستين وثلثمائة وتولى مكانه اخوه (قابوس) بن وشمكير وكان عالما فاضلا شاعرا وكان قابوس هذا يحسن الخط الى الغاية حتى

رجلا منهم فيجيب الى خير ما قلوبهم الا كقلب واحد وبعث معاوية الى علي حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الاخنس فدخلوا عليه فحمد الله حبيب واثنى عليه ثم قال اما بعد فان عثمان كان خليفة مهديا يعمل بكتاب الله وينيب الى امره فاستثقلتم حياته واستبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع الينا قتلة عثمان ان زعمت انك لم تقتله ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم يولونه من أجمعوا عليه فقال له علي ما أنت لا ام لك والعزل وهذا الامر اسكت است هناك ولا باهل له فقال والله اترينى بحيث تكره فقال له علي وما أنت لا ابقى الله عليك ان ابقيت علينا اذهب فصوب وصعد ما بدا لك وقال شرحبيل ما كلامي الا مثل كلام صاحبي فهل عندك جواب غير هذا فقال علي ليس عندي جواب غيره ثم حمد الله وأثنى عليه وقال اما بعد فان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق فانقذ به من الضلالة والهلكة وجمع به من الفرقة ثم قبضه الله اليه فاستخلف الناس أبا بكر واستخلف ابو بكر عمر فاحسنا السيرة وعدلا وقد وجدنا عليهما ان توليا الامور ونحن آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فغفرنا ذلك لهما وولى الناس عثمان فعمل بأشياء عابها الناس فساروا اليه فقتلوه ثم اتانى الناس فقالوا لى بايع فأبيت فقالوا بايع فان الامة لا ترضى الا بك وانا نخاف ان لم تفعل أن يتفرق الناس فبايعتهم فلم يرعنى الا شقاق رجلين قد بايعانى وخلاف معاوية الذى لم يجعل له سابقة فى الدين ولا سلف صدق فى الاسلام طليق بن طليق حزب من الاحزاب لم يزل حربا لله ورسوله هو وأبوه حتى دخلا فى الاسلام كارهين ولا عجب الا من اختلافكم معه وانقيادكم له وتتركون آل بيت نبيكم الذين لا ينبغى لكم شقاقهم ولا خلافهم الا انى أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه واماتة الباطل واحياء الحق ومعالم الدين أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين فقالا اتشهد ان عثمان قتل مظلوما فقال لهما الا أقول انه قتل مظلوما ولا ظالما قالا فمن لم يزعم انه قتل مظلوما فنحن منه برآء وانصرفا فقال عليه السلام انك لا تسمع الموتى الى قوله فهم مسلمون ثم قال لاصحابه لا يكن هؤلاء فى الجد فى ضلالهم اجد منكم فى الجد فى حقكم وطاعة ربكم فتنازع عامر بن قيس الحضرمى ثم الطائى وعدى بن حاتم الطائى فى الراية بصفين وكانت حضرموت أكثر من بنى عدى رهط حاتم فقال عبد الله بن خليفة البولانى عند علي يا بنى حضرموت أعلى عدى تتوثبون وهل فيكم وفى ابائكم مثل عدى وابيه أليس بحامى القرية ومانع الماء يوم رؤية أليس ابن ذى المرباع وابن جواد العرب وابن المنهب ماله ومانع جاره ومن لم يغدر ولم يفجر ولم يبخل ولم يمنن ولم يجبن هاتوا فى آبائكم مثل أبيه أو فيكم مثله أليس أفضلكم فى الاسلام ووافدكم الى النبى صلى الله عليه وسلم أليس برأسكم يوم النخيلة ويوم القادسية ويوم المدائن ويوم جلولاء ويوم نهاوند ويوم تستر فقال علي حسبك يا ابن خليفة وقال علي احضر جماعة طيء فأتوه فقال من كان رأسكم فى هذه المواطن قالوا عدى فقال ابن خليفة سلهم يا امير المؤمنين أليسوا راضين برياسة عدى ففعل فقالوا بلى فقال علي فعدى احقكم بالراية وأخذها فلما كان ايام حجر بن عدى طلب زياد عبد الله بن خليفة ليبعثه مع حجر فسار الى الجبلين ووعده عدى ان يرده وان يسأل فيه فطال عليه ذلك فقال شعرا منه

اتنسى بلائى سادرا يا ابن حاتم • عشية ما أغنت عديك حضرما

ان الصاحب بن عباد كان يقول عند رؤيته هذا خط قابوس ام جناح الطاوس وينشد قول المتنبى

من خطه فى كل قلب شهوة
حتى كأن مداده الاهواء

فاستمر الى ان غضب عليه عضد الدولة واخرجه من الملك فتوجه الى خراسان وبقى معزولا عند بنى سامان ثمانى عشرة سنة ثم تولى بعده جرجان وطبرستان ومازندران وكيلان خمس عشرة سنة ومن نظمه

قل للذى بصروف الدهر عيرنا
هل عاند الدهر الا من له خطر
اما ترى البحر يعلو فوقه جيف
ويستقر بأقصى قعره الدرر
وفى السماء نجوم ما لها عدد
وليس يكسف الا الشمس والقمر

ومما انشدنيه بلفظه لنفسه فى أواخر رجب الفرد سنة تسع بعد الالف الاستاذ البارع الكامل المولى العالم الفاضل فريد دهره ووحيد عصره العلامة البدرى مولانا الشيخ حسن البورينى لا زالت شموس علومه ساطعة وبدور فهومه طالعة متصدرة حيث قال

صبرا على نوب الزمان فانها
مخلوقة لنكاية الاحرار
لا يكسف النجم الحقير وانما
يسرى الكسوف لرفعة الاقمار

وكان قابوس صاحب نف

فدافعت عنك القوم حتى تخاذلوا * وكنت انا الخصم الالد العذورا

فولوا وما قاموا مقامي كانما * رأوني ليثا بالاباآت مخدرا

نصرتك اذ خام القريب وابعد الـ * ـبعيد وقد أفردت نصرا موزرا

فكان جزائي ان أجرر بينكم * سحيبا وان اولى الهوان وأوسرا

وكم عدة لي منك أنك راجعي * فلم تغن بالميعاد عني حبترا

وسترد قصته بتمامها ان شاء الله تعالى فلما انسلخ المحرم امر على مناديا فنادى يا أهل الشام يقول لكم أمير المؤمنين قد استدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا اليه فلم تنتهوا عن طغيانكم ولم تجيبو الى الحق واني قد نبذت اليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين فاجتمع أهل الشام الى أمرائهم ورؤسائهم وخرج معاوية وعمرو يكتبان الكتائب ويعبيان الناس وكذلك فعل أمير المؤمنين وقال للناس لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فأنتم بحمد الله على حجة وترككم قتالهم حجة أخرى فاذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل واذا وصلتم الى رحال القوم فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا ولا تأخذوا شيأ من أموالهم ولا تهيجوا امرأة وان شتمن اعراضكم وسببن امراءكم وصلحاءكم فانهن ضعاف القوى والانفس وكان يقول بهذا المعنى لاصحابه في كل موطن وحرض أصحابه فقال عباد الله اتقوا الله وغضوا الابصار واخفضوا الاصوات وأقلوا الكلام ووطنوا أنفسكم على المنازلة والمجاولة والمزاولة والمناضلة والمعانقة والمكادمة والملازمة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين اللهم الهمهم الصبر وأنزل عليهم النصر واعظم لهم الاجر واصبح على جعل على خيل الكوفة الاشتر وعلى جند البصرة سهل بن حنيف وعلى رجالة الكوفة عمار بن ياسر وعلى رجالة البصرة قيس بن سعد وهاشم بن عتبة المرقال معه الراية وجعل مسعر بن فدكي على قراء الكوفة وأهل البصرة وبعث معاوية على ميمنته ابن ذي الكلاع الحميري وعلى ميسرته حبيب ابن مسلمة الفهري وعلى مقدمته ابا الاعور السلمي وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص وعلى رجالة دمشق مسلم بن عقبة المري وعلى الناس كلهم الضحاك بن قيس وبايع رجال من أهل الشام على الموت فعقلوا انفسهم بالعمائم وكانوا خمسة صفوف وخرجوا اول يوم من صفر فاقتتلوا وكان على الذين خرجوا من أهل الكوفة الاشتر وعلى من خرج من أهل الشام حبيب بن مسلمة فاقتتلوا يومهم قتالا شديدا معظم النهار ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض ثم خرج اليوم الثاني هاشم بن عتبة في خيل ورجال وخرج اليه من أهل الشام ابو الاعور السلمي فاقتتلوا يومهم ذلك ثم انصرفوا وخرج اليوم الثالث عمار بن ياسر وخرج اليه عمرو بن العاص فاقتتلوا اشد قتال وقال عمار يا اهل العراق اتريدون ان تنظروا الى من عادى الله ورسوله وجاهدهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين فلما رأى الله يعز دينه ويظهر رسوله اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو فيما نرى راهب غير راغب ثم قبض النبي صلى الله عليه وسلم فوالله ان زال بعده معروفا بعداوة المسلم واتباع المجرم فاثبتوا له وقاتلوه وقال عمار لزياد بن النضر وهو على الخيل احمل على أهل الشام فحمل وقاتله الناس وصبروا له وحمل عمار فأزال عمرو بن العاص

عن

وقصير خلعه عساكره وولوا مكانه ولده (فلك المعالي منوجهر) وانقطع هو في عبادة ربه فلما توفي في سنة عشرين وأربعمائة تولى مكانه ولده (أنوشروان شاه) ولم يتم حاله حتى استولى على الملك السلطان محمود ابن سبكتكين وكان آخر العهد بهم وقد انقرضت دولتهم والله اعلم

(الباب الثاني والثلاثون في ذكر دولة آل بويه ملوك العراق الموصوفين بالنباهة ومكارم الاخلاق)*

ذكر أصحاب التاريخ أن بويه كان رجلا صعلوكا من الديلم وكنيته أبو شجاع ابن فناخسرو بن تمام وكان ترب الدفقير ايصيد السمك وكان ينتسب الى الفرس ويزعم ان جده بهرام جور أحد ملوك الاكاسرة ثم ان بويه رأى في منامه كانه يبول فخرج من ذكره نار عظيمة استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ثم انفرجت فصارت ثلاث شعب وتولد من تلك الشعب عدة شعب فقصه على منجم فقال له يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الارض فمضت السنون وولد له خمسة أولاد مات الاثنان وبقي ثلاثة أولاد وهم عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه وهو أكبرهم

عن موضعه وبارز يومئذ زياد بن النضر أخاه لامه واسمه عمرو بن معاوية من بنى المنتفق فلما التقيا تعارفا فانصرف كل واحد منهما عن صاحبه وتراجع الناس وخرج من الغد محمد بن على وهو ابن الحنفية وخرج اليه عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى جمعين عظيمين فاقتتلوا أشد القتال وأرسل عبيد الله الى ابن الحنفية يدعوه الى المبارزة فخرج اليه فحرك على دابته ورده ابنه وبرز على الى عبيد الله فرجع عبيد الله وقال محمد لابيه لو تركتنى لرجوت قتله وقال يا أمير المؤمنين وكيف تبرز الى هذا الفاسق والله انى لارغب بك عن أبيه فقال على يا بنى لا تقل فى أبيه الا خيرا وتراجع الناس وخرج عبد الله بن عباس اليوم الخامس وخرج اليه الوليد بن عقبة فاقتتلوا قتالا شديدا فسب الوليد بنى عبد المطلب فطلبه ابن عباس ليبارزه فأبى وقاتل ابن عباس قتالا شديدا وخرج فى اليوم السادس قيس بن سعد الانصارى وخرج اليه ابن ذى الكلاع الحميرى فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انصرفوا ثم عاد يوم الثلاثاء وخرج الاشتر وخرج اليه حبيب فاقتتلوا قتالا شديدا وانصرفوا عند الظهر ثم ان عليا قال حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا فقام فى الناس عشية الثلاثاء ليلة الاربعاء خطيبا فحمد الله وأثنى عليه فقال الحمد لله الذى لا يبرم ما نقض وما أبرم لم ينقضه الناقضون ولو شاء الله ما اختلف اثنان من خلقه ولا اختلفت الامة فى شئ ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الاقدار فنحن بمرأى من ربنا ومسمع فلو شاء عجل النقمة وكان منه التغيير حتى يكذب الظالم ويعلم الحق اين مصيره ولكنه جعل الدنيا دار الاعمال وجعل الآخرة دار القرار ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى الا وانكم لاقوا القوم غدا فأطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن واسألوا الله النصر والصبر والقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين فقام القوم يصلحون سلاحهم فمر بهم كعب بن جعيل فقال

أصبحت الامة فى أمر عجب * والملك مجموع غدا لمن غلب

فقلت قولا صادقا غير كذب * ان غدا تهلك اعلام العرب

وعبى على الناس ليلته حتى الصباح وزحف بالناس وخرج اليه معاوية فى اهل الشام فسأل على عن القبائل من اهل الشام فعرف مواقفهم فقال للازد اكفونا الازد وقال لخثعم اكفونا خثعم وأمر كل قبيلة ان تكفيه اختها من الشام الا ان تكون قبيلة ليس منها بالشام أحد فيصرفها الى قبيلة أخرى من الشام ليس بالعراق منهم احد مثل بجيلة لم يكن بالشام منهم الا القليل صرفهم الى لخم فتناهض الناس يوم الاربعاء فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انصرفوا عند المساء وكل غير غالب فلما كان يوم الخميس صلى على بغلس وخرج بالناس الى أهل الشام فزحف اليهم وزحفوا اليه وكان على ميمنة على عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى وعلى ميسرته عبد الله بن عباس والقراء مع ثلاثة نفر عمار وقيس بن سعد وعبد الله بن بديل والناس على راياتهم ومراكزهم وعلى فى القلب فى أهل المدينة بين اهل الكوفة والبصرة وأكثر من معه من اهل المدينة الانصار ومعه عدد من خزاعة وكنانة وغيرهم من اهل المدينة وزحف اليهم ورفع معاوية قبة عظيمة فالقى عليها الثياب وبايعه أكثر اهل الشام على الموت وأحاط بقبته خيل دمشق وزحف عبد الله بن بديل فى الميمنة نحو حبيب بن مسلمة وهو فى ميسرة معاوية فلم يزل

وركن الدولة ابو على الحسن ومعز الدولة ابو الحسين أحمد وكان عماد الدولة سبب سعادتهم وانتشار صيتهم فملكوا العراقين والاهواز وفارس وساسوا امور الرعية احسن السياسة وهم خمسة عشر نفرا ومدة ملكهم مائة وست وعشرون سنة وكان مبدا ظهورهم فى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة فى خلافة المقتدر بالله العباسى وذلك ان عماد الدولة سار الى مرداويج فأقبل عليه وقلده امارة الكرخ فأحسن السيرة فافتتح قلاعا ظفر منها بذخائر كثيرة فاستمال الرجال حتى شاع ذكره وقصده الناس وعظم فى أعينهم لانه كان فى تسعمائة رجل هزم بهم ما يقارب عشرة آلاف وبعث أخاه ركن الدولة فأخذ كازرون ثم ملك شيراز وفارس فعظم شأنه وقصده الرجال من الاطراف فقام مرداويج وقعد فقدر الله قتله على يد غلمانه فسار أكثر جنده اليه واستولى على بغداد نهار السبت حادى عشر جمادى الاولى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ونهبوا دار الخلافة حتى لم يبق فيها شئ واقام الخليفة المطيع لله ولم يجعل له أمرا ولا نهيا

بعوزه و يكشف خيله حتى اضطرهم الى قبة معاوية عند الظهر وحرض عبد الله بن بديل أصحابه
فقال ألا ان معاوية ادعى ما ليس له ونازع الحق أهله وعاند من ليس مثله وجادل بالباطل
ليدحض به الحق وصال عليكم بالاعراب والاحزاب الذين قد زين لهم الضلالة وزرع في
قلوبهم حب الفتنة ولبس عليهم الامر وزادهم رجسا الى رجسهم فقاتلوا الطغام الجفاة ولا
تخشوهم قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين
وحرض على أصحابه فقال في كلام له فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدارع
وأخروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه أنبى للسيوف عن الهام والتووا في الاطراف فانه
أصون للاسنة وغضوا الابصار فانه اربط للجأش وأسكن للقلب وأميتوا الاصوات فانه أطرد
للفشل وأولى بالوقار راياتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها الا بأيدي شجعانكم
واستعينوا بالصدق والصبر فان بعد الصبر ينزل عليكم النصر وقام يزيد بن قيس الارحبي
يحرض الناس فقال ان المسلم من سلم في دينه ورأيه وان هؤلاء القوم والله لا يقاتلونا على اقامة
دين ضيعناه واحياء حق أمتناه ان يقاتلونا الا على هذه الدنيا ليكونوا جبارين فيها ولو كانوا
ظهروا عليكم لا أراهم الله ظهورا ولا سرورا الزموكم بمثل سعيد والوليد وابن عامر السفيه
الضال يجيز أحدهم بمثل ديته ودية أبيه وجده في جلسة ثم يقول هذا لي ولا اثم على كأنما أعطى
تراثه عن أبيه وامه وانما هو مال الله أفاءه علينا بأرماحنا وسيوفنا فقاتلوا عباد الله القوم
الظالمين فانهم ان يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم وهم من قد عرفتم وخبرتم
والله ما ازدادوا الى يومهم الا شرا وقاتلهم عبد الله بن بديل في الميمنة قتالا شديدا حتى انتهى
الى قبة معاوية وأقبل الذين تبايعوا على الموت الى معاوية فأمرهم ان يصمدوا لابن بديل في
الميمنة وبعث الى حبيب بن مسلمة في الميسرة فحمل بهم وبمن كان معه على ميمنة الناس فهزمهم
وانكشف أهل العراق من قبل الميمنة حتى لم يبق منهم الا ابن بديل في مائتين او ثلثمائة من القراء
قد اسند بعضهم الى بعض وانجفل الناس وأمر على سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان معه من
أهل المدينة فاستقبلتهم جموع لاهل الشام عظيمة فاحتملتهم حتى اوقفتهم في الميمنة وكان فيما بين
الميمنة الى موقف على في القلب اهل اليمن فلما انكشفوا انتهت الهزيمة الى على فانصرف على
يمشي نحو الميسرة فانكشفت عنه مضر من الميسرة وثبتت ربيعة وكان الحسن والحسين ومحمد
بنو على معه حين قصد الميسرة والنبل يمر بين عاتقه ومنكبيه وما من بنيه احد الا يقيه بنفسه
فيرده فبصر به أحمر مولى ابي سفيان او عثمان فاقبل نحوه فخرج اليه كيسان مولى على
فاختلفا بينهما ضربتان فقتله أحمر فأخذ على بجيب درع احمر فجذبه وحمله على عاتقه ثم
ضرب به الارض فكسر منكبيه وعضديه ودنا منه أهل الشام فما زاده قربهم الا اسراعا
فقال له ابنه الحسن ما ضرك لو سعيت حتى تنتهي الى هؤلاء القوم من أصحابك فقال يا بني
ان لابيك يوما لا يعدوه ولا يبطئ به عنه السعي ولا يعجل به اليه المشي ان أباك والله
لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه فلما وصل الى ربيعة نادى بصوت عال كغير المكترث
لما فيه الناس لمن هذه الرايات قالوا رايات ربيعة قال بل رايات عصم الله أهلها فصبرهم وثبت
اقدامهم وقال للحضين بن المنذر يا فتى الا تدني رايتك هذه ذراعا قال بلى والله وعشرة أذرع

ولم يبق بيده الا ما لا يقوم
ببعض حاجته فلك البصرة
والموصل وتمام البلاد فولى
امرة بغداد لاخيه معز
الدولة وعين لركن الدولة
امارة اصفهان وهو اقام
بمدينة شيراز (ومن أغرب
ما اتفق) انه لما ملك شيراز
اجتمع عساكره وطالبوه
بالجوامك والرواتب ولم
يكن عنده ما يعطيهم واشرف
أمره الى الانحلال فاغتم
لذلك فبينما هو مفكر قد
استلقى على ظهره في مجلس
انسه قد خلا فيه للتفكر
والتدبير اذ رأى حية خرجت
من موضع من سقف ذلك
البيت ودخلت في موضع
آخر منه فخاف ان تسقط
عليه فدعا بالفراشين
وأمرهم باحضار سلم وان
يخرجوا الحية فلما حضروا
وبحثوا فيها وجدوا ذلك
السقف يفضي الى غرفة بين
سقفين فعرفوه بذلك فأمرهم
بفتحها ففتحت فاذا فيها
صناديق وجد فيها خمسمائة
ألف دينار فحمل ذلك بين
يديه فقسمه على رجاله وثبت
أمره بعد ان اشرف على
الانخرام ثم انه طلب خياطا
فوصف له خياط كان
لصاحب البلد قبله فأمر
باحضاره وكان اطروشا

فادناها حتى قال حسبك مكانك ولما انتهى على الى ربيعة تنادوا بينهم يا ربيعة ان أصيب فيكم أمير المؤمنين وفيكم رجل حي افتضحتم في العرب فقاتلوا قتالا شديدا ما قاتلوا مثله فلذلك قال على

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حضين تقدما
ويقدمها في الموت حتى يزيرها * حياض المنايا تقطر الموت والدما
أذقنا ابن حرب طعننا وضرابنا * بأسيافنا حتى تولى وأحجما
جزى الله قوما صابروا في لقائهم * لدى الموت قوما ما أعف وأكرما
وأطيب اخبارا وأكرم شيمة * اذا كان أصوات الرجال تغمغما
ربيعة أعني انهم أهل نجدة * وبأس اذا لاقوا خميسا عرمرما

ومر به الاشتر وهو يقصد الميسرة والاشتر يركض نحو الفزع قبل الميمنة فقال له على يا مالك قال لبيك يا أمير المؤمنين قال ائت هؤلاء القوم فقل لهم أين فراركم من الموت الذى لن تعجزوه الى الحياة التى لا تبقى لكم فمضى الاشتر فاستقبل الناس منهزمين فقال لهم ما قال على ثم قال أيها الناس أنا الاشتر الى فأقبل اليه بعضهم وذهب البعض فنادى أيها الناس ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم اخلصوا الى مذحجا فأقبلت مذحج اليه فقال لهم ما رضيتم ربكم ولا نصحتم له في عدوكم وكيف ذلك وانتم ابناء الحرب واصحاب الغارات وفتيان الصباح وفرسان الطراد وحتوف الاقران ومذحج الطعان الذين لم يكونوا يسبقون بثارهم ولا تطل دماؤهم وما تفعلون هذا اليوم فانه مأثور بعده فانصحوا واصدقوا عدوكم اللقاء فان الله مع الصادقين والذى نفسى بيده ما من هؤلاء واشار الى اهل الشأم رجل على مثل جناح بعوضة من دين اجلوا سواد وجهى يرجع فى دمه عليكم بهذا السواد الاعظم فان الله قد فضه تبعه من بجانبيه قالوا تجدنا حيث احببت فقصد نحو عظمهم مما يلى الميمنة يزحف اليهم ويردهم واستقبله شباب من همدان وكانوا ثمانمائة مقاتل يومئذ وكانوا اصبروا فى الميمنة حتى اصيب منهم ثمانون ومائة رجل وقتل منهم احد عشر رئيسا كان اولهم ذؤيب بن شريح ثم شرحبيل ثم مرثد ثم هبيرة ثم يريم ثم سمير اولاد شريح فقتل ثم اخذ الراية عميرة ثم الحرث ابنا بشر فقتلا جميعا ثم اخذ الراية سفيان وعبد الله وبكر بنو زيد فقتلوا جميعا ثم اخذ الراية وهب بن كريب فانصرف هو وقومه وهم يقولون ليت لنا عدتنا من العرب يحالفونا على الموت ثم نرجع فلا ننصرف او نقتل او نظفر فسمعهم الاشتر يقولون هذا فقال لهم انا احالفكم على ان لا نرجع ابدا حتى نظفر او نهلك فوقفوا معه وفى هذا قال كعب بن جعيل

وهمدان زرق تبتغى من تحالف

وزحف الاشتر نحو الميمنة وثاب اليه الناس وتراجعوا من اهل البصرة وغيرهم فلم يقصد كتيبة الا كشفها ولا جمعا الا حازه ورده فانه كذلك اذ مر به زياد بن النضر الحارثى يحمل الى العسكر وقد صرع وسببه انه قد كان استلحم عبد الله بن بديل واصحابه فى الميمنة فتقدم زياد اليهم ورفع رايته لاهل الميمنة فصبروا وقاتل حتى صرع ثم مروا بيزيد بن قيس الارحبى محمولا نحو العسكر وكان قد رفع رايته لاهل الميمنة لما صرع زياد وقاتل حتى صرع فقال الاشتر من رأى هذا والله الصبر الجميل والفعل الكريم ألا يستحى الرجل أن ينصرف ولا يقتل أو يشفى به على القتل

وكان عنده وديعة لصاحب البلد قبله فظن فى نفسه انه سعى به اليه وانه يطالب بهذا السبب فلما خاطبه حلف انه لم يكن عنده سوى اثنى عشر صندوقا لم يدر ما فيها فعجب عماد الدولة من جوابه فأحضرها فوجد وافيها أموالا وثيابا بجملة عظيمة وركب يوما فساخت قوائم فرسه فحفروا فوجدوا فيه كنزا عظيما وكانت هذه الاسباب من أقوى دلائل سعادته توفى فى سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وكانت مدة ملكه تسع سنين وتولى الملك بعده ابنه (مؤيد الدولة أبو منصور حسن بن بويه) وسار سيرة حسنة وتولى الملك مدة فلما توفى تولى مكانه أخوه (ركن الدولة حسن بن بويه) ثمانيا وعشرين سنة فلما توفى جلس على سرير الملك (معز الدولة احمد بن بويه) مدة وسار سيرة آبائه وتوفى فتولى مكانه (عضد الدولة خسروشاه) ابن حسن أربعا وثلاثين سنة فلما توفى تولى مكانه ولده (أبو الفوارس شرف الدولة شرزيل) بن خسرو بن بويه وقد استولى على جميع بلاد أبيه وكان ذلك فى خلافة الطائع بالله العباسى فلما هلك ملك مكانه (فخر الدولة على بن حسن)

وقاتلهم الاشتر قتالا شديدا ولزمه الحرث بن جمهان الجعفى يقاتل معه فما زال هو ومن رجع اليه يقاتلون حتى كشف اهل الشأم وألحقهم بمعاوية والصف الذى معه بين صلاة العصر والمغرب وانتهى الى عبد الله بن بديل وهو فى عصابة من القراء نحو المائتين او الثلثمائة قد لصقوا بالارض كأنهم خباء فكشف عنهم أهل الشأم فابصروا اخوانهم فقالوا ما فعل أمير المؤمنين قال حى صالح فى الميسرة يقاتل الناس امامه فقالوا الحمد لله قد كنا ظننا انه قد هلك وهلكتم وقال عبد الله ابن بديل استقدموا بنا فقال الاشتر لا تفعل واثبت مع الناس فانه خير لهم وأبقى لك ولاصحابك فأبى ومضى كما هو نحو معاوية وحوله كأمثال الجبال وبيده سيفان وخرج عبد الله امام أصحابه يقتل كل من دنا منه حتى قتل جماعة ودنا من معاوية فنهض اليه الناس من كل جانب وأحيط به وبطائفة من أصحابه فقاتل حتى قتل وقتل ناس من أصحابه ورجعت طائفة منهم مجروحين فبعث الاشتر الحرث بن جمهان الجعفى فحمل على أهل الشأم الذين يتبعون من انهزم من أصحاب عبد الله حتى نفسوا عنهم وانتهوا الى الاشتر وكان معاوية قد رأى ابن بديل وهو يضرب قدما فقال أترونه كبش القوم فلما قتل أرسل اليه لينظروا من هو فلم يعرفه أهل الشام فجاء اليه فلما رآه عرفه فقال هذا عبد الله بن بديل والله لو استطاعت نساء خزاعة لقاتلتنا فضلا عن رجالها وتمثل بقول حاتم

أخو الحرب اذ عضت به الحرب عضها * وان شمرت يوما به الحرب شمرا

وزحف الاشتر بعك والاشعريين وقال لمذحج اكفونا عكا ووقف فى همدان وقال لكندة اكفونا الاشعريين فاقتتلوا قتالا شديدا الى المساء وقاتلهم الاشتر فى همدان وطوائف من الناس فأزال اهل الشأم عن مواضعهم حتى ألحقهم بالصفوف الخمسة المعقلة بالعمائم حول معاوية ثم حمل عليهم حملة أخرى فصرع أربعة صفوف من المعقلين بالعمائم ودعا معاوية بفرسه فركب وكان يقول اردت ان انهزم فذكرت قول ابن الاطنابة الانصارى وكان جاهليا

أبت لى عفتى فأبى بلائى * واقدامى على البطل المشيح
واعطائى على المكروه مالى * وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى

قال فمنعنى هذا القول من الفرار ونظر الى عمرو وقال اليوم صبر وغدا فخر فقال صدقت وتقدم جندب بن زهير فبارز رأس ازد الشأم فقتله الشامى وقتل من رهطه عجل وسعد ابنا عبد الله وقتل أبو زينب بن عوف وخرج عبد الله بن أبى الحصين الازدى فى القراء الذين مع عمار بن ياسر فأصيب معه وتقدم عقبة بن حديد النميرى وهو يقول ألا ان مرعى الدنيا أصبح هشيما وشجرها خضيدا وجديدها سملا وحلوها مر المذاق انى قد سئمت الدنيا وعزفت نفسى عنها وانى أتمنى الشهادة وأتعرض لها فى كل جيش وغارة فأبى الله الا ان يبلغنى هذا اليوم وانى متعرض لها من ساعتى هذه وقد طمعت ان لا أحرمها فما تنتظرون عباد الله بجهاد من عادى الله فى كلام طويل وقال يا اخوتى قد بعت هذه الدار بالتى امامها وهذا وجهى اليها فتبعه اخوته عبيد الله وعوف ومالك وقالوا لا نطلب رزق الدنيا بعدك فقاتلوا حتى قتلوا وتقدم شمر بن ذى الجوشن فبارز فضرب أدهم بن محرز الباهلى بالسيف وجهه وضربه شمر فلم يضره فعاد شمر فشرب ماء وكان

ثلاث عشرة سنة وواحد عشر شهرا ثم تولى بعده ولده (مجد الدولة رستم بن فخر الدولة) فتغلب عليه السلطان محمود بن سبكتكين واستولى على غالب بلاده ثم تولى الملك (بهاء الدولة خسرو بن شرف الدولة) اثنتين وعشرين سنة وشهرين فمات وخلف ولدين احدهما سلطان الدولة والآخر شرف الدولة تولى الملك بعد أبيه (سلطان الدولة) اثنتى عشرة سنة وأربعة أشهر فلما توفى تولى الملك أخوه (شرف الدولة) خمس سنين وشهرين ولما هلك ملك مكانه (عماد الدين مرزبان الدولة) مدة فلما مات تولى مكانه ولده (الملك الرحيم بن عماد الدولة) فجلس على سرير الملك ببغداد فظفر به السلطان طغرل السلجوقى فقتله وملك مكانه أخوه (كيخسرو بن عماد الدولة) مدة وهلك فتولى مكانه أخوه (أبو منصور فولادستون ابن عماد الدولة) فوقع بينه وبين أبى سعد خسروشاه ابن عماد الدولة محاربات آلت الى قتل أبى منصور واستقل بالملك خسروشاه المذكور وبه انقرضت دولتهم وهو آخرهم واستولى الملك السلجوقية

*(الباب الثالث والثلاثون

فلما آن ثم أخذ الرمح ثم حمل على ادهم فصرعه وقال هذه بتلك وكانت راية بجيلة مع ابى شداد قيس بن هبيرة الاحمسى وهو قيس بن مكشوح ومكشوح لقب فقال لقومه والله لانتهين بكم الى صاحب الترس المذهب وكان صاحبه عبد الرحمن بن خالد فقاتل الناس قتالا شديدا وشد بسيفه نحو صاحب الترس فعرض له مولى رومى لمعاوية فضرب قدم أبى شداد فقطعها وضربه أبو شداد فقتله وأشرعت اليه الرماح فقتل وأخذ الراية عبد الله بن قلع الاحمسى فقاتل حتى قتل ثم أخذها عفيف بن اياس فلم تزل فى يده حتى تحاجز الناس وقتل حازم بن أبى حازم أخو قيس بن أبى حازم يومئذ وقتل أبوه أيضا له صحبة ونعيم بن صهيب بن العلية البجليون مع على فلما رأى على ميمنة اصحابه قد عادت الى مواضعها ومواقفها وكشفت من بازائها من عدوها حتى ضاربوهم فى مواقفهم ومراكزهم أقبل حتى انتهى اليهم فقال انى قد رأيت جولتكم عن صفوفكم يحوزكم الجفاة الطغام واعراب الشام وأنتم لهاميم العرب والسنام الاعظم وعمار الليل بتلاوة القرآن وأهل دعوة الحق فلولا اقبالكم بعد ادباركم وكركم بعد انحيازكم لوجب عليكم ما يجب على المولى يوم الزحف وكنتم من الهالكين ولكن هون وجدى وشفى أحاح نفسى انى رأيتكم بآخرة حزتموهم كما حازوكم وأزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم تركب أولاهم أخراهم كالابل المطرودة الهيم فالآن فاصبروا فقد نزلت عليكم السكينة وثبتكم الله باليقين ليعلم المنهزم انه مسخط ربه وموبق نفسه فى كلام طويل وكان بشر بن عصمة المرى قد لحق بمعاوية فلما اقتتل الناس بصفين نظر بشر الى مالك بن العقدية الجشمى وهو يفتك باهل الشأم فاغتاظ لذلك فحمل على مالك وتجاولا ساعة ثم طعنه بشر بن عصمة فصرعه ولم يقتله وانصرف عنه وقد ندم على طعنته اياه وكان جبارا فقال

وانى لارجو من مليكى تجاوزا * ومن صاحب الموسوم فى الصدر هاجس
دلفت له تحت الغبار بطعنة * على ساعة فيها الطعان تخالس

فبلغت مقالته ابن العقدية فقال

الا أبلغا بشر بن عصمة اننى * شغلت وألهانى الذين أمارس
وصادفت منى غرة واصبتها * كذلك والابطال ماض وحابس

وحمل عبد الله بن الطفيل البكائى على أهل الشأم فلما انصرف حمل عليه رجل من بنى تميم يقال له قيس بن مرة ممن لحق بمعاوية من أهل العراق فوضع الرمح بين كتفى عبد الله واعترضه ابن عم لعبد الله اسمه يزيد بن معاوية فوضع الرمح بين كتفى التميمى فقال له والله لئن طعنته لاطعننك فقال له عليك عهد الله وميثاقه ان رفعت الرمح عن ظهر صاحبك لترفعن سنانك عنى قال نعم فرفع التميمى سنانه ورفع يزيد سنانه فلما رجع الناس الى الكوفة عتب على يزيد ابن الطفيل فقال

الم ترنى حاميت عنك مناجيا * بصفين اذ خلاك كل حميم
ونهنهت عنك الحنظلى وقد أتى * على سابح ذى ميعة وهزيم

وخرج رجل من آل ذى الكلاع من اهل الشأم يسأل المبارزة فبرز اليه قيس بن فهدان الكندى فحمل عليه وتجاولا ساعة ثم طعنه عبد الرحمن فقتله وقال

لقد علمت عك بصفين اننا * اذا التقت الخيلان نطعنها شزرا

فى ذكر دولة بنى سلجوق بما وراء النهر ولمع من حسن سيرهم فى هذا الدهر) *
ذكر الامام عماد الدين فى تاريخه الموسوم بزبدة النصرة ونخبة العصرة ان السلجوقية كانوا ذوى عدد وعدد لا يدينون لاحد ولا يدنون من بلد ينتسبون الى ابراهيم الخليل عليه السلام وهو سلجوق بن دقاق ومعنى دقاق القوس الحديد ابن لقمان بن نعمان ابن أيوب بن داود وكان سؤساوانتهت اليه رياسة الترك ومبدأ حاله ان ملك الترك بيغوخان لما شاهد فيه النجابة جعله قائد الجيش ثم اغرته امرأته بقتله فهاجر سلجوق من دار الحرب الى دار الاسلام وأسلم هو وقومه ثم حصل لسلجوق اتصال بملوك السامانية وكان يظاهرهم بمهماتهم فلما توفى سلجوق بجند ودفن هنالك وكان عمره نحو مائة سنة وخلف من البنين ارسلان وميكائيل وموسى وكان مسكنهم موضعا يقال له نور بخارا وذلك من أعمال بخارا وهم عدة نفر ومدة ملكهم مائة وأربعون سنة وأول من ملك منهم (ميكائيل بن سلجوق) وكان زعيمهم المجمل وعظيمهم المفضل وكان السلاطين يدعونهم

ونحمل رايات الطعان بحقها * فنوردها بيضا ونصدرها حمرا

وخرج قيس بن يزيد وهو ممن فرّ الى معاوية فخرج اليه أبو العمرطة بن يزيد فتعارفا فتواقفا ثم انصرفا وأخبر كل واحد منهما انه لقى اخاه وقاتلت طيّئ يومئذ قتالا شديدا فعبيت لهم جموع فأتاهم حمرة بن مالك الهمدانى فقال من القوم فقال له عبد الله بن خليفة وكان شيعيا شاعرا خطيبا نحن طيّئ السهل وطيّئ الرمل وطيّئ الجبل الممنوع ذى النخل نحن طيّئ الرماح وطيّئ البطاح فرسان الصباح فقال حمرة بن مالك انك لحسن الثناء على قومك واقتتل الناس قتالا شديدا فناداهم يا معشر طيّئ فدى لكم طارفى وتالدى قاتلوا على الدين والاحساب وحمل بشر بن العسوس فقاتل ففقئت عينه يومئذ فقال فى ذلك

الاليت عينى هذه مثل هذه * ولم أمش فى الاحياء الا بقائد

ويا ليت رجلى ثم طنت بنصفها * ويا ليت كفى ثم طاحت بساعدى

ويا ليتنى لم أبق بعد مطرف * وسعد وبعد المستنير بن خالد

فوارس لم تغذ الحواضن مثلهم * اذا الحرب أبدت عن خدام الخرائد

وقاتلت النخع يومئذ قتالا شديدا فأصيب منهم حيان وبكر ابنا هوذة وشعيب بن نعيم وربيعة بن مالك بن وهبيل وأبى أخو علقمة بن قيس الفقيه وقطعت رجل علقمة يومئذ فكان يقول ما أحب ان رجلى أصح مما كانت وانها لمما أرجو بها الثواب وحسن الجزاء من ربى قال ورأيت أخى فى المنام فقلت له ماذا قدمتم عليه فقال لى انا التقينا نحن والقوم عند الله تعالى فاحتججنا فحججناهم فما سررت بشئ سرورى بتلك الرؤيا وكان يقال لابى أبى الصلاة لكثرة صلاته وخرجت حمير فى جمعها ومن انضم اليها من أهل الشام ومقدمهم ذو الكلاع ومعه عبيد الله بن عمر بن الخطاب وهم ميمنة أهل الشام فقصدوا ربيعة من أهل العراق وكانت ربيعة ميسرة أهل العراق وفيهم ابن عباس على الميسرة فحملوا على ربيعة حملة شديدة فتضعضعت راية ربيعة وكانت الراية مع أبى ساسان حضين بن المنذر فانصرف أهل الشام عنهم ثم كر عبيد الله بن عمر وقال يا أهل الشام ان هذا الحى من اهل العراق قتلة عثمان وانصار على فشدوا على الناس شدة عظيمة فثبتت ربيعة وصبر واصبرا حسنا الا قليلا من الضعفاء والفشلة وثبت اهل الرايات واهل الصبر والحفاظ وقاتلوا قتالا حسنا وانهزم خالد بن المعمر مع من انهزم وكان على ربيعة فلما راى اصحاب الرايات قد صبروا رجع وصاح بمن انهزم وامرهم بالرجوع فرجعوا وكان خالد قد سعى به الى على انه كاتب معاوية فاحضره على ومعه ربيعة فسأله على عما قيل وقال له ان كنت فعلت ذلك فالحق باى بلد شئت لا يكون لمعاوية عليه حكم فأنكر ذلك وقالت ربيعة يا امير المؤمنين لو نعلم انه فعل ذلك لقتلناه فاستوثق منه على بالعهود فلما فرّ اتهمه بعض الناس واعتذر هو بانى لما رايت رجالا منا قد انهزموا استقبلتهم لاردهم اليكم فاقبلت بمن اطاعنى اليكم ولما رجع الى مقامه حرض ربيعة فاشتد قتالهم مع حمير وعبيد الله بن عمر حتى كثرت بينهم القتلى فقتل سمير بن الريان العجلى وكان شديد البأس واتى زياد بن عمر بن خصفة عبد القيس فأعلمهم بما لقيت بكر بن وائل من حمير وقال يا عبد القيس لا بكر بعد اليوم فأتت عبد القيس بنى بكر فقاتلوا معهم فقتل ذو الكلاع الحميرى وعبيد الله بن عمر قتله محرز بن الصحصح من تيم الله بن

للمهمات ويرشحونهم للملمات فلما دخل السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين الى بخارا لمساعدة قدرخان امتنع ميكائيل عليه ولم يمل اليه فاغتاظ السلطان فقبضه وعبر به وباصحابه الى خراسان فلما توفى السلطان محمود أنفذ ولده مسعود لقتالهم عسكرا فقتل منهم عدة واسر منهم جماعة ثم بعد ذلك ركب السلجوقية اليه ودخلوا طوس فملكوها وامتدوا الى نيسابور فنزلوها وذلك فى شهر رمضان سنة تسع وعشرين وأربعمائة ولم يلبثوا حتى عظمت شوكتهم واتسعت رقعة ولايتهم وتوفى ميكائيل وتولى مكانه ولده (طغرل بك محمد ابن ميكائيل) فأمر ونهى وأخذ وأعطى وسير أخاه داود مع جيش الى سرخس فملكها ونهج له طريقة فى العدل فسلكها وكان شديد الاحتمال سديد الافعال ولم يزل تشتد منعته وتقوى شوكته حتى استولى على بلاد خراسان وطرأ على ملك الديلم فوجد فى دورهم دفائن وخزائن فلما توجه الى بلد الاملكه وكانت وفاته بالرى نهار الجمعة ثامن شهر رمضان سنة خمس وخمسين واربعمائة وكانت مدة ملكه ستا وعشرين سنة وعمره سبعون سنة

ثعلبة من اهل البصرة واخذ سيفه ذا الوشاح وكان لعمر فلما ملك معاوية العراق اخذه منه وقيل بل قتله هانئ بن خطاب الارحبي وقيل قتله مالك بن عمرو التنعي الحضرمي وخرج عمار بن ياسر على الناس فقال اللهم انك تعلم انى لو أعلم ان رضاك فى ان أقذف بنفسى فى هذا البحر لفعلته اللهم انك تعلم انى لو أعلم ان رضاك فى ان أضع ظبة سيفى فى بطنى ثم انحنى عليها حتى تخرج من ظهرى لفعلته وانى لا أعلم اليوم عملا هو ارضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ولو اعلم عملا هو ارضى لك منه لفعلته والله انى لارى قوما ليضربنكم ضربا يرتاب منه المبطلون وايم الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت انا على الحق وانهم على الباطل ثم قال من يبتغى رضوان الله ربه ولا يرجع الى مال ولا ولد فأتاه عصابة فقال اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبون دم عثمان والله ما ارادوا الطلب بدمه ولكنهم ذاقوا الدنيا واستحبوها وعلموا ان الحق اذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه منها ولم يكن لهم سابقة يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم فخدعوا اتباعهم وقالوا امامنا قتل مظلوما ليكونوا بذلك جبابرة ملوكا فبلغوا ما ترون فلولا هذا ما تبعهم من الناس رجلان اللهم ان تنصرنا فطالما نصرت وان تجعل لهم الامر فادخر لهم بما احدثوا فى عبادك العذاب الاليم ثم مضى ومعه تلك العصابة فكان لا يمر بواد من أودية صفين الا تبعه من كان هناك من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم جاء الى هاشم بن عتبة بن ابى وقاص وهو مرقال وكان صاحب راية على وكان اعور فقال يا هاشم اعورا وجبنا لا خير فى اعور لا يغشى البأس اركب يا هاشم فركب ومضى معه وهو يقول

اعور يبغى اهله محلا * قد عالج الحياة حتى ملا
لا بد ان يفل او يفلا * يتلهم بذى الكعوب تلا

وعمار يقول تقدم يا هاشم الجنة تحت ظلال السيوف والموت تحت اطراف الاسل وقد فتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين اليوم القى الاحبه محمدا وحزبه وتقدم حتى دنا من عمرو بن العاص فقال له يا عمرو بعت دينك بمصر تبا لك فقال له لا ولكن اطلب بدم عثمان قال انا اشهد على علمى فيك انك لا تطلب بشئ من فعلك وجه الله وانك ان لم تقتل اليوم تمت غدا فانظر اذا اعطى الناس على قدر نياتهم ما نيتك لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الرابعة ما هى بأبر واتقى ثم قاتل عمار فلم يرجع وقتل وقال حبة بن جوين العرنى قلت لحذيفة بن اليمان حدثنا فانا نخاف الفتن فقال عليكم بالفئة التى فيها ابن سمية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تقتله الفئة الباغية الناكبة عن الطريق وان آخر رزقه ضياح من لبن وهو الممزوج بالماء من اللبن قال حبة فشهدته يوم قتل وهو يقول ائتونى بآخر رزق لى فى الدنيا فأتى بضياح من لبن فى قدح اروح له حلقة حمراء فما اخطأ حذيفة مقياس شعرة فقال اليوم القى الاحبه محمدا وحزبه والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت انا على الحق وانهم على الباطل ثم قتل قتله ابو الغادية واحتز راسه ابن حوى السكسكى وقيل قتله غيره وقد كان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية وآخر شربة تشربها ضياح من لبن فكان ذو الكلاع يقول لعمرو ما هذا ويحك يا عمرو فيقول عمرو انه سيرجع الينا فقتل ذو الكلاع قبل عمار مع معاوية واصيب عمار بعده مع على فقال

عبد الحميد ان طغرلبك قال رأيت فى منامى فى مبدا امرى كأنى رفعت الى السماء وقيل لى سل حاجتك تقض فقلت ماشئ احب الى من طول العمر فقيل عمرك سبعون سنة فكان كذلك فلما اهلك ملك بعده ابن أخيه (سليمان بن داود) وكان توفى أبوه داود فقام مقامه ولما خطب باسم سليمان بالرى بعد وفاة طغرلبك مضى أخوه آتسز وارد الى قزوين وخطب باسم ألب ارسلان وأقبل عضد الدولة الب ارسلان من نيسابور لما بلغه موت أبيه يطوى السهول والوعور وكان ابن عم ابيه قتلمش بن اسرائيل فى كردر وقد طمع فى الملك ولم يعلم ان ذلك يورطه الى الهلاك فعارضه فى جوعه فتقابلا وتقاتلا وانجلت المعركة عن قتل قتلمش وقتل الب ارسلان من التركمان عدة وافرة وحاز من أموالهم غنيمة ظاهرة فلما وصل الى الرى تلقاه الوزير عميد الملك فى حشمه وخدمه وكوسه وعلمه وعربه وعجمه وأجلسه على سرير الملك وكان ملكا كريما حليما كثير الصدقات حريصا على بناء المساجد وكان يقول أستحى من الله ان ابنى دارا ولا ابنى بجنبها مسجدا ثم بعد

عمر ولمعاوية ما ادرى بقتل ايهما انا اشد فرحا بقتل عمار او بقتل ذى الكلاع والله لو بقى ذو الكلاع بعد قتل عمار لمال بعامة اهل الشأم الى على فأتى جماعة الى معاوية كلهم يقول انا قتلت عمارا فيقول عمرو فما سمعته يقول فيخاطون فأتاه ابن حوى فقال انا قتلته فسمعته يقول اليوم القى الاحبه محمدا وحزبه فقال له عمرو انت صاحبه ثم قال رويدا والله ماظفرت يداك ولقد اسخطت ربك قيل ان ابا الغادية قتل عمارا وعاش الى زمن الحجاج ودخل عليه فأكرمه الحجاج وقال له انت قتلت ابن سمية يعنى عمارا قال نعم فقال من سره ان ينظر الى عظيم الباع يوم القيامة فلينظر الى هذا الذى قتل ابن سمية ثم سأله ابو الغادية حاجته فلم يجبه اليها فقال نوطئ لهم الدنيا ولا يعطونا منها ويزعم انى عظيم الباع يوم القيامة فقال الحجاج أجل والله من كان ضرسه مثل أحد وفخذه مثل جبل ورقان ومجلسه مثل المدينة والربذة انه لعظيم الباع يوم القيامة والله لو أن عمارا قتله أهل الارض كلهم لدخلوا كلهم النار وقال عبد الرحمن السلمى لما قتل عمار دخلت عسكر معاوية لانظر هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا وكنا اذا تركنا القتال تحدثوا الينا وتحدثنا اليهم فاذا معاوية وعمرو وأبو الاعور وعبد الله بن عمرو يتسايرون فأدخلت فرسى بينهم لئلا يفوتنى مايقولون فقال عبد الله لابيه يا أبه قتلتم هذا الرجل فى يومكم هذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال قال وما قال قال ألم يكن المسلمون ينقلون فى بناء مسجد النبى صلى الله عليه وسلم لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فغشى عليه فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول ويحك يا ابن سمية الناس ينقلون لبنة لبنة وأنت تنقل لبنتين لبنتين رغبة فى الاجر وأنت مع ذلك تقتلك الفئة الباغية فقال عمرو لمعاوية اما تسمع ما يقول عبد الله قال وما يقول فأخبره فقال معاوية أنحن قتلناه انما قتله من جاء به فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون انما قتل عمارا من جاء به فلا أدرى من كان أعجب أهو أم هم فلما قتل عمار قال على لربيعة وهمدان أنتم درعى ورمحى فانتدب له نحو من اثنى عشر وتقدمهم على على بغلة فحملوا معه حملة رجل واحد فلم يبق لاهل الشأم صف الا انتقض وقتلوا كل من انتهوا اليه حتى بلغوا معاوية وعلى يقول

اقتلهم ولا أرى معاويه * الجاحظ العين العظيم الحاويه

ثم نادى معاوية فقال علام يقتل الناس بيننا هلم أحاكمك الى الله فأينا قتل صاحبه استقامت له الامور فقال له عمرو أنصفك فقال له معاوية ما أنصفت انك لتعلم انه لم يبرز اليه أحد الا قتله فقال له عمرو ما يحسن بك ترك مبارزته فقال له معاوية طمعت فيها بعدى وكان أصحاب على قد وكلوا به رجلين يحافظانه لئلا يقاتل وكان يحمل اذا غفلا فلا يرجع حتى يخضب سيفه وانه حمل مرة فلم يرجع حتى انثنى سيفه فألقاه اليهم وقال لولا انه انثنى ما رجعت اليكم فقال الاعمش لابى عبد الرحمن هذا والله ضرب غير مرتاب فقال أبو عبد الرحمن سمع القوم شيأ فأدوه ما كانوا بكاذبين وأسر معاوية جماعة من أصحاب على فقال له عمرو اقتلهم فقال عمرو بن اوس الاودى لا تقتلنى فانك خالى قال من اين انا خالك ولم يكن بيننا وبين اود مصاهرة قال ان اخبرتك فهو امانى عندك قال نعم قال الست اختك ام حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قال بلى قال فانى ابنها وانت اخوها فانت خالى فقال معاوية ماله لله ابوه اما كان فى هؤلاء من يفطن لها غيره وخلى سبيله

وكان

ذلك سيرا الى الوزير المذكور غلامين فقتلاه وكان خصيا وسبب ذلك ان طغرلبك كان أنفذه فى ابتداء حاله ليخطب له امرأة فتزوجها لنفسه وعصاه ولما ظفر به تركه فى خدمة الوزارة بعد ان خصاه ثم ان السلطان المذكور توجه الى حلب والشام فحل بحلب وشرع فى حصارها وأحاط بأسوارها وصاحبها حينئذ محمود بن صالح بن مرداس من بنى كلاب وكان قائما بدعوة العلوية فلما ضاق به الامر وخاف ان يتسع الخرق عن رقعه خرج ليلا الى السلطان ومعه والدته سعة بنت وثاب النميرى يخضعان ويتضرعان له فعفا السلطان وصفح وأعاد محمودا الى مكانه محمود المكانة وأمنت الشهباء وسكنت الدهماء وبلغ السلطان خروج ارمانوس ملك الروم وقد وصل الى قرب اخلاط وكان السلطان فى خواصه ومعه خمسة عشر ألف فارس من نخب رجاله فاستعد للمقاتلة والروم فى ثلثمائة ألف أو يزيدون ومعهم ثلاثة آلاف عجلة تحمل اثقالهم ومن المنجنيقات التى ترمى قنطار حجر مقدار مائة عجلة فتوكل السلطان على الملك الديان وسار حتى

وكان قد أسر علي أسارى كثيرة فخلى سبيلهم فجاؤا معاوية وان عمر اليقول له وقد أسر أيضا أسارى كثيرة أقتلهم فلما وصل أصحابهم قال معاوية يا عمرو لو أطعناك في هؤلاء الاسارى لوقعنا في قبيح من الامر وخلى سبيل من عنده وأما هاشم بن عتبة فانه دعا الناس عند المساء وقال الا من كان يريد الله والدار الآخرة فالي فأقبل اليه ناس كثير فحمل على أهل الشام مرارا ويصبرون له وقاتل قتالا شديدا وقال لاصحابه لا يهولنكم ما ترون من صبرهم فوالله ما هو الا حمية العرب وصبرها تحت راياتها وانهم لعلى الضلال وانكم لعلى الحق ثم حرض أصحابه وحمل في عصابة من القراء فقاتل قتالا شديدا حتى رأوا بعض ما يسرون به فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم شاب وهو يقول

أنا ابن أرباب الملوك غسان * والدائن اليوم بدين عثمان

نبأنا قراؤنا بما كان * ان عليا قتل ابن عفان

ثم يحمل فلا يرجع حتى يضرب بسيفه ويشتم ويلعن فقال له هاشم يا هذا ان هذا الكلام بعده الخصام وان هذا القتال بعده الحساب فاتق الله فانه سائلك عن هذا الموقف وما أردت به قال فاني أقاتلكم لان صاحبكم لا يصلي وأنتم لا تصلون وان صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم ساعدتموه على قتله فقال له هاشم ما أنت وعثمان أقتله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبناء أصحابه وقراء الناس وهم أهل الدين والعلم وما أهملوا أمر هذا الدين طرفة عين وأما قولك ان صاحبنا لا يصلي فانه أول من صلى وأفقه خلق الله في دين الله وأولى بالرسول صلى الله عليه وسلم وأما كل من ترى معي فكلهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجدا فلا يغوينك هؤلاء الاشقياء فقال الفتى فهل لي من توبة قال نعم تب الى الله يتب عليك فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات فرجع الفتى فقال له أهل الشام خدعك العراقي فقال كلا ولكن نصح لي وقاتل هاشم وأصحابه قتالا شديدا حتى رأوا الظفر فاقبلت عليهم عند المغرب كتيبة لتنوخ فقاتلهم هاشم وهو يقول

أعور يبغي أهله محلا * لا بد ان يفل او يفلا

قد عالج الحياة حتى ملا * يتلهم بذي الكعوب تلا

فقتل يومئذ تسعة او عشرة وحمل عليه الحرث بن المنذر التنوخي فطعنه فسقط فأرسل اليه علي ان قدم لواءك فقال لرسوله انظر الى بطني فاذا هو انشق فقال الحجاج بن غزية الانصاري

فان تفخروا بابني بديل وهاشم * فنحن قتلنا ذا الكلاع وحوشبا

ونحن تركنا عند معترك القنا * اخاك عبيد الله لحما ملحبا

ونحن احطنا بالبعير واهله * ونحن سقيناكم سماما مقشبا

ومر علي بكتيبة من اهل الشام فرآهم لا يزولون وهم غسان فقال ان هؤلاء لا يزولون الا بطعن وضرب يفلق الهام ويطيح العظام تسقط منه المعاصم والاكف وحتى يقرع جباههم بعمد الحديد اين اهل النصر والصبر طلاب الاجر فاتاه عصابة من المسلمين فدعا ابنه محمدا فقال له تقدم نحو هذه الراية مشيا رويدا على هينتك حتى اذا اشرعت في صدورهم الرماح فأمسك حتى يأتيك أمري ففعل وأعد لهم علي مثلهم وسيرهم الى ابنه محمد وامره بقتالهم فحملوا عليهم فأزالوهم

نزل على حافة النهر وملك الروم نازل بين اخلاط ومنازكرد وبين العسكرين فرسخ ١٣٥ فقال له امامه ابو نصر محمد البخاري انك تقاتل عن دين الله الذي وعدنا باظهاره فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال والناس يدعون لك على المنابر فلما اصبحوا يوم الجمعة ارتجت الارض بالضجاج وارتجت السماء بالعجاج الى ان دنا وقت الزوال وصدحت على اعواد المنابر الخطباء والمجاهدون في اخلاص الدعاء فتقدم السلطان وثبت فؤاده وقوى قلبه وحمل ملك الروم بجمعه واخذ يصر الدهر وجمعه فثبتت لهم خيل الاسلام ثم وثبت وجالت وماوجلت فوقع الحرب والضرب فانجحت من اولئك الالوف آحاد وماسلمت من اعداء الاسلام اعداد واسر ملكهم وانكسرت الروم كسرة لا تقبل جبرا (ومن عجيب ما حكى) انه كان اهدى مملوك للوزير فرده على صاحبه ولم يقبله فنمه صاحبه فقال له الوزير عسى ان يأتينا بملك الروم وذكر ذلك استهزاء به فاتفق وقوع الملك يوم المصاف في اسر ذلك الغلام فخلع عليه السلطان وانعم عليه وغنم المسلمون غنيمة عظيمة فأحضر ملك الروم بين يديه فرق له قلب السلطان وارسله وفك قيده ووصله الى اهله وجعل عليه في كل يوم الف دينار ويديم البيت مال المسلمين ولما انصرف الى بلاده محوا من الملك اسمه وقالوا هذا من اعداد الملوك ساقط

عن مواقفهم وأصابوا منهم رجالا ومر الاسود بن قيس المرادى بعبد الله بن كعب المرادى وهو صريع فقال عبد الله يا اسود قال لبيك وعرفه وقال له عز على لمصرعك ثم نزل اليه وقال له ان كان جارك ليامن بوائقك وان كنت لمن الذاكرين الله كثيرا أوصنى رحمك الله فقال أوصيك بتقوى الله وان تناصح أمير المؤمنين وان تقاتل معه المحلين حتى تظهر أو تلحق بالله وأبلغه عنى السلام وقل له قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك فانه من اصبح غدا والمعركة خلف ظهره كان العالى ثم لم يلبث ان مات فأقبل الاسود الى على فأخبره فقال رحمه الله جاهد عدونا فى الحياة ونصح لنا فى الوفاة وقيل ان الذى اشار على امير المؤمنين على بهذا عبد الرحمن بن الحنبل الجمحى قال فاقتتل الناس تلك الليلة كلها الى الصباح وهى ليلة الهرير فتطاعنوا حتى تقصفت الرماح وتراموا حتى نفد النبل واخذوا السيوف وعلى يسير فيما بين الميمنة والميسرة ويامر كل كتيبة ان تقدم على التى تليها فلم يزل يفعل ذلك حتى أصبح والمعركة كلها خلف ظهره والاشتر فى الميمنة وابن عباس فى الميسرة وعلى فى القلب والناس يقتتلون من كل جانب وذلك يوم الجمعة وأخذ الاشتر يزحف بالميمنة ويقاتل فيها وكان قد تولاها عشية الخميس وليلة الجمعة الى ارتفاع الضحى ويقول لاصحابه ازحفوا قيد هذا الرمح ويزحف بهم نحو اهل الشام فاذا فعل ذلك بهم قال ازحفوا قيد هذا القوس فاذا فعلوا سألهم مثل ذلك حتى مل اكثر الناس الاقدام فلما راى الاشتر ذلك قال اعيذكم بالله ان ترضعوا الغنم سائر اليوم ثم دعا بفرسه فركبه وترك رايته مع حيان بن هوذة النخعى وخرج يسير فى الكتائب ويقول من يشترى نفسه ويقاتل مع الاشتر يظهر او يلحق بالله فاجتمع اليه ناس كثير فيهم حيان بن هوذة النخعى وغيره فرجع الى المكان الذى كان فيه وقال لهم شدوا شدة فدا لكم خالى وعمى ترضون بها الرب وتعزون بها الدين ثم نزل وضرب وجه دابته وقال لصاحب رايته اقدم بها وحمل على القوم وحملوا معه فضرب اهل الشام حتى انتهى بهم الى عسكرهم ثم قاتلوه عند العسكر قتالا شديدا وقتل صاحب رايته ولما راى على الظفر من ناحيته امده بالرجال فقال عمرو بن العاص لوردان مولاه اتدرى ما مثلى ومثلك ومثل الاشتر قال لا قال كالاشقر ان تقدم عقر وان تأخر عقر لئن تأخرت لاضربن عنقك قال اما والله يا ابا عبد الله لاوردنك حياض الموت ضع يدك على عاتقى ثم جعل يتقدم ويتقدم ويقول لاوردنك حياض الموت واشتد القتال فلما راى عمرو ان امر اهل العراق قد اشتد وخاف الهلاك قال لمعاوية هل لك فى امر اعرضه عليك لا يزيدنا الا اجتماعا ولا يزيدهم الا فرقة قال نعم قال نرفع المصاحف ثم نقول لما فيها هذا حكم بيننا وبينكم فان ابى بعضهم ان يقبلها وجدت فيهم من يقول ينبغى لنا ان نقبل فتكون فرقة بينهم وان قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا الى اجل فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا هذا حكم كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد اهله من لثغور العراق بعد اهله فلما رآها الناس قالوا نجيب الى كتاب الله فقال لهم على عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم فان معاوية وعمرا وابن أبى معيط وحبيبا وابن أبى سرح والضحاك ليسوا باصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم اطفالا ثم رجالا فكانوا شر اطفال وشر رجال ويحكم والله ما رفعوها الا خديعة ووهنا ومكيدة فقالوا له لا يسعنا ان ندعى الى كتاب الله

وزعموا ان المسيح عليه السلام خط ثم بعث الى السلطان بمائتى الف دينار وجواهر قيمتها تسعون الف دينار واعتذر وحلف انه لا يملك غيرها فقبلها السلطان وفى سادس ربيع الاول سنة خمس وستين واربعمائة قتل السلطان وكانت مدة ملكه تسع سنين وشهورا وقد بلغ من العمر اربعين سنة ودفن بمرو عند قبر ابيه وخلف عدة بنين وهم ملكشاه وتكش واياز وتتش وارسلان وارغون وبورى برس وتولى الملك ولده جلال الدولة ابو الفتح ملكشاه ابن الب ارسلان فلما جلس على سرير الملك نازعه عمه قاروت بك الملك ووقع بينهما حروب آلت الى انهزام قاروت وأسره فلما ظفر به امر بخنقه فخنقه غلام ارمنى اعور وكان ملكشاه ملكا شجاعا مقداما سيرته العدل وكان كثير الغزو حتى بلغ فى غزوه الى حدود قسطنطينية وقرر الف الف دينار تحمل الى خزانته كل سنة من تلك الممالك ووضع فى البلاد التى افتتحها من الروم خمسين منبرا اسلاميا وقصد فتح سمرقند وحاصرها وظفر بخانها فأسره فحمل غاشيته وسار فى ركابه فأخذه اسيرا الى العراق ثم من عليه بالاطلاق ومشى فى ركابه سلطان العرب مسلم بن قريش وقبل حافر مركوبه وكانت ملوك الروم وغزنه وما وراء النهر فى ظل حمايته وكنف رعايته وكان ملوك الاطراف فنابى

فنأبى ان نقبله فقال لهم على فانى انما أقاتلهم ليدينوا بحكم الكتاب فانهم قد عصوا الله فيما امرهم ونسوا عهده ونبذوا كتابه فقال له مسعر بن فدكى التميمى وزيد بن حصين الطائى فى عصابة من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك يا على أجب الى كتاب الله عز وجل اذ دعيت اليه والا دفعناك برمتك الى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان قال فاحفظوا عنى نهيى اياكم واحفظوا مقالتكم لى فان تطيعونى فقاتلوا وان تعصونى فاصنعوا ما بدا لكم قالوا ابعث الى الاشتر فليأتك فبعث على يزيد بن هانئ الى الاشتر يستدعيه فقال الاشتر ليست هذه الساعة بالساعة التى ينبغى لك ان تزيلنى عن موقفى انى قد رجوت ان يفتح الله لى فرجع يزيد فاخبره وارتفعت الاصوات وارتفع الرهج من ناحية الاشتر فقالوا والله ما نراك الا امرته ان يقاتل فقال على هل رأيتمونى ساررته اليس كلمته على رؤسكم وأنتم تسمعون قالوا فابعث اليه فليأتك والا والله اعتزلناك فقال له ويلك يا يزيد قل له أقبل الى فان الفتنة قد وقعت فابلغه ذلك فقال الاشتر ألرفع المصاحف قال نعم قال والله لقد ظننت انها ستوقع اختلافا وفرقة انها مشورة ابن العاهر الا ترى الى الفتح ألا ترى ما يلقون الا ترى ما صنع الله لنا الن ينبغى ان أدع هؤلاء وانصرف عنهم فقال له يزيد أتحب أن تظفر وامير المؤمنين يسلم الى عدوه أو يقتل قال لا والله سبحان الله فاعلمه بقولهم فاقبل اليهم الاشتر وقال يا أهل العراق يا أهل الذل والوهن احين علوتم القوم وظنوا انكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم الى ما فيها وهم والله قد تركوا ما أمر الله به فيها وسنة من أنزلت عليه فامهلونى فواقا فانى قد احسست بالفتح قالوا لا قال امهلونى عدو الفرس فانى قد طمعت فى النصر قالوا اذن ندخل معك فى خطيئتك قال فخبرونى عنكم متى كنتم محقين احين تقاتلون وخياركم يقتلون فأنتم الآن اذا أمسكتم عن القتال مبطلون ام انتم الآن محقون فقتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم وهم خير منكم فى النار قالوا دعنا منك يا أشتر قاتلناهم لله وندع قتالهم لله قال خدعتم وانخدعتم ودعيتم الى وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب الجباه السود كنا نظن صلاتكم زهادة فى الدنيا وشوقا الى لقاء الله فلا ارى مرادكم الا الدنيا ألا قبحا يا اشباه النيب الجلالة ما أنتم براءين بعدها عزا ابدا فابعدوا كما بعد القوم الظالمون فسبوه وسبهم وضربوا وجه دابته بسياطهم وضرب وجوه دوابهم بسوطه فصاح بهم على فكفوا وقال الناس قد قبلنا ان نجعل القرآن بيننا وبينهم حكما فجاء الاشعث بن قيس الى على فقال ارى الناس قد رضوا بما دعوهم اليه من حكم القرآن فان شئت اتيت معاوية فسألته ما يريد قال ائته فأتاه فقال لمعاوية لاى شئ رفعتم هذه المصاحف قال لنرجع نحن وأنتم الى ما أمر الله به فى كتابه تبعثون رجلا ترضون به ونبعث نحن رجلا نرضى به نأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله لا يعدوانه ثم نتبع ما اتفقا عليه قال له الاشعث هذا الحق فعاد الى على فاخبره فقال الناس قد رضينا وقبلنا فقال أهل الشام قد رضينا عمرا وقال الاشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج انا قد رضينا بأبى موسى الاشعرى فقال على قد عصيتمونى فى أول الامر فلا تعصونى الآن لا أرى ان أولى أبا موسى فقال الاشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكى لا نرضى الا به فانه قد حذرنا ما وقعنا فيه قال على فانه ليس بثقة قد فارقنى وخذل الناس عنى ثم هرب منى حتى امنته بعد أشهر ولكن هذا ابن عباس اوليه ذلك قالوا والله لا نبالى أنت كنت ام ابن عباس لا نريد الا

يقبلون كتبه اجلالا وتعظيما له وكان ناقدا بصيرا يعرف الناس ومقاديرهم ويضعهم فى محالهم وكان يعرف بالسلطان العادل فمن جملة عدله انه ركب يوما للصيد فرأى رجلا باكيا شاكيا فسأله عن سبب بكائه فقال اشتريت بطيخات بدريهمات لابيعها واعود بربحها على عيالى واعيد منها رأس مالى فأخذها رجل من جماعتك من يدى ولم يعطنى ثمنها فقال له السلطان طب نفسا فهل تعرفه فقال لا وكان البطيخ فى أول باكورته ولا يوجد فى البلد شئ منه فقال السلطان لبعض خواصه قد اشتهيت بطيخا فاجتهد لى فى تحصيله ولو واحدة فما زال يطلبه حتى وجده عند بعض الامراء فسأله فقال قد أحضره عبد من عبيدى فأمر السلطان باحضار ذلك العبد فتوقف فاحضر المتظلم وقال خذ هذا الامير فانه اخذ بطيخك وانه مملوكى وقد وهبته لك فبعه بما شئت فاشترى الامير نفسه بثلثمائة دينار واثرى صاحب البطيخ بعد افتقاره وكان الناس يأخذون التراب الذى وطئته دابته فيتبركون به وكان مغرما بالصيد فقيل انه أحصى ما اصطاده بيده

رجلا هو منك ومن معاوية سواء قال على فانى أجعل الاشتر قالوا وهل سعر الارض غير الاشتر فقال قد أبيتم الا أبا موسى قالوا نعم قال فاصنعوا ما أردتم فبعثوا اليه وقد اعتزل القتال وهو بعرض فأتاه مولى له فقال ان الناس قد اصطلحوا فقال الحمد لله قال قد جعلوك حكما قال انا لله وانا اليه راجعون وجاء ابو موسى حتى دخل العسكر وجاء الاشتر عليا فقال ألزنى بعمرو بن العاص فوالله الذى لا اله غيره لئن ملأت عينى منه لاقتلنه وجاء الاحنف بن قيس فقال يا امير المؤمنين انك قد رميت بحجر الارض وانى قد عجمت أبا موسى وحلبت اشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر وانه لا يصلح لهؤلاء القوم الا رجل يدنو منهم حتى يصير فى اكفهم ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم فان أبيت ان تجعلنى حكما فاجعلنى ثانيا او ثالثا فانه لم يعقد عقدة الا حللتها ولا يحل عقدة اعقدها الا عقدت اخرى احكم منها فأبى الناس الا أبا موسى والرضا بالكتاب فقال الاحنف ان أبيتم الا ابا موسى فادفئوا ظهره بالرجال وحضر عمرو بن العاص عند على ليكتب القضية بحضوره فكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه امير المؤمنين فقال عمرو هو أميركم واما أميرنا فلا فقال الاحنف لا تمح اسم امير المؤمنين فانى اخاف ان محوتها ان لا ترجع اليك ابدا لا تمحها وان قتل الناس بعضهم بعضا فأبى ذلك على مليا من النهار ثم ان الاشعث بن قيس قال امح هذا الاسم فمحاه قال على الله أكبر سنة بسنة والله انى لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية فكتبت محمد رسول الله وقالوا لست برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحوه فقلت لا استطيع فقال ارنيه فأريته فمحاه بيده وقال انك ستدعى الى مثلها فتجيب فقال عمرو سبحان الله أنشبه بالكفار ونحن مؤمنون فقال على يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين وليا وللمؤمنين عدوا فقال عمرو والله لا يجمع بينى وبينك مجلس بعد هذا اليوم أبدا فقال على انى لارجو ان يطهر الله مجلسى منك ومن اشباهك وكتب الكتاب هذا ما تقاضى عليه على بن ابى طالب ومعاوية ابن ابى سفيان قاضى على على اهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية على اهل الشام ومن معهم اننا ننزل عند حكم الله وكتابه وان لا يجمع بيننا غيره وان كتاب الله بيننا من فاتحته الى خاتمته نحيى ما أحيا ونميت ما أمات فما وجد الحكمان فى كتاب الله وهما ابو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عملا به ومالم يجداه فى كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة وأخذ الحكمان من على ومعاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق انهما آمنان على انفسهما وأهليهما والامة لهما انصار على الذى يتقاضيان عليه وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه ان يحكما بين هذه الامة لا يرداها فى حرب ولا فرقة حتى يعصيا واجل القضاء الى رمضان وان احبا ان يؤخرا ذلك أخراه وان مكان قضيتهما مكان عدل بين اهل الكوفة واهل الشام وشهد الاشعث بن قيس وسعيد بن قيس الهمدانى وورقاء بن سمى البجلى وعبد الله ابن محل العجلى وحجر بن عدى الكندى وعبد الله بن الطفيل العامرى وعقبة بن زياد الحضرمى ويزيد بن حجية التميمى ومالك بن كعب الهمدانى ومن أصحاب معاوية ابو الاعور السلمى وحبيب بن مسلمة وزمل ابن عمرو العذرى وحمرة بن مالك الهمدانى وعبد الرحمن بن خالد المخزومى وسبيع بن يزيد الانصارى وعتبة بن ابى سفيان ويزيد بن الحر العبسى وقيل للاشتر

ليكتب

فبلغت عدته عشرة آلاف فتصدق بعشرة آلاف دينار وبنى منارة من قرون الظباء وحوافر الحمر الوحشية فى طريق الحج من الكوفة تسمى مأذنة القرون توفى رحمه الله فى سادس عشر شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة وعمره ثمان وثلاثون سنة وأشهر وكانت مدة ملكه عشرين سنة وحمل تابوته الى اصفهان ودفن فى مدرسته التى بناها وخلف أربعة بنين وهم بركيارق ومحمد وسنجر ومحمود وكان (محمود) طفلا عند أبيه فبايعوه على السلطنة لان امه تركان خاتون الجلالية من الملوك الايلخانية فيما وراء النهر وكانت مستولدة فى أيام ملك شاه وان الامراء كانوا من صنائعها فاختاروا ولدها فبايعوه وساروا به الى اصفهان فاجلسوه على سرير الملك فما تم سنة حتى مات محمود وماتت امه وبقى الملك لاخيه (بركيارق) فجلس على سرير الملك وكان عالى الهمة لم يكن فيه عيب سوى ملازمته للخمر والادمان عليه ودخل بلاد سمرقند وزنجان وغزا بلاد ماوراء النهر ووقعت فى زمانه فتن وشرور من الامراء والاجناد بحيث يطول شرحها توفى فى ثالث شهر

ليكتب فيها فقال لا صحبتنى يمينى ولا نفعتنى بعدها شمالى ان خط لى فى هذه الصحيفة ولست على بينة من ربى من ضلال عدوى أولستم قد رأيتم الظفر فقال له الاشعث والله ما رأيت ظفرا هلم الينا الا رغبة بك عنا فقال بلى والله الرغبة عنك فى الدنيا للدنيا وفى الآخرة للآخرة لقد سفك الله بسيفى دماء رجال ما انت خير عندى منهم ولا أحرم دما قال فكأنما قصع الله على انف الاشعث الحمم وخرج الاشعث بالكتاب يقرؤه على الناس حتى مر على طائفة من بنى تميم فيهم عروة بن اديه اخو أبى بلال فقرأه عليهم فقال عروة تحكمون فى أمر الله الرجال لا حكم الا لله ثم شد بسيفه فضرب به عجز دابة الاشعث ضربة خفيفة واندفعت الدابة وصاح به اصحاب الاشعث فرجع وغضب للاشعث قومه وناس كثير من اهل اليمن فمشى اليه الاحنف بن قيس ومسعر بن فدكى وناس من تميم فاعتذروا فقبل وشكر وكتب الكتاب يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين واتفقوا على ان يوافى امير المؤمنين على موضع الحكمين بدومة الجندل أو بأذرح فى شهر رمضان وقيل لعلى ان الاشتر لا يقر بما فى الصحيفة ولا يرى الا قتال القوم فقال على وانا والله ما رضيت ولا أحببت ان ترضوا فاذا أبيتم الا ان ترضوا فقد رضيت واذ رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الاقرار الا ان يعصى الله ويتعدى كتابه فقاتلوا من ترك أمر الله واما الذى ذكرتم من تركه أمرى وما انا عليه فليس من أولئك فلست اخاف على ذلك ياليت فيكم مثله اثنين ياليت فيكم مثله واحدا يرى فى عدوى ما أرى اذا لخفت على مؤنتكم ورجوت ان يستقيم لى بعض أودكم وقد نهيتكم فعصيتمونى فكنت أنا وأنتم كما قال اخو هوازن

وهل أنا الا من غزية ان غوت • غويت وان ترشد غزية ارشد

والله لقد فعلتم فعلة ضعضعت قوة واسقطت منة واورثت وهنا وذلة ولما كنتم الاعلين وخاف عدوكم الاجتياح واستحر بهم القتل ووجدوا الم الجراح رفعوا المصاحف فدعوكم الى ما فيها ليفثؤكم عنهم ويقطعوا الحرب ويتربصوا بكم المنون خديعة ومكيدة فاعطيتموهم ما سألوا وأبيتم الا ان تدهنوا وتجيزوا وايم الله ما أظنكم بعدها توفقون الرشد ولا تصيبون باب الحزم ثم رجع الناس عن صفين فلما رجع على خالفت الحرورية وخرجت وكان ذلك أول ما ظهرت وانكرت تحكيم الرجال ورجعوا على غير الطريق الذى اقبلوا فيه أخذوا على طريق البر وعادوا وهم أعداء متباغضون وقد فشا فيهم التحكيم يقطعون الطريق بالتشاتم والتضارب بالسياط يقول الخوارج يا أعداء الله ادهنتم فى امر الله ويقول الآخرون فارقتم امامنا وفرقتم جماعتنا وساروا حتى جازوا النخيلة ورأوا بيوت الكوفة فاذا بشيخ فى ظل بيت عليه أثر المرض فسلم عليه أمير المؤمنين فرد ردا حسنا فقال له على أرى وجهك متغيرا من مرض قال نعم قال لعلك كرهته قال ما احب انه بغيرى فقال اليس احتسابا للخير فيما اصابك قال بلى قال فابشر برحمة ربك وغفران ذنبك من أنت يا عبد الله قال صالح بن سليم قال ممن أنت قال اما الاصل فمن سلامان طىء وأما الدعوة والجوار ففى سليم بن منصور فقال سبحان الله ما أحسن اسمك واسم أبيك ومن اعتزيت اليه واسم ادعائك هل شهدت معنا غزاتنا هذه قال لا والله ولقد أردتها ولكن ما ترى من أثر الحمى منعنى عنها فقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى

ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وأربعمائة بروجرد وهى بلدة بقرب همدان وبلغ من العمر خمسا وعشرين سنة واقام فى السلطنة اثنتى عشرة سنة واشهرا وتولى الملك بعده (ابو شجاع محمد بن ملك شاه) وكان وقورا مهابا أديبا لبيبا فلما جلس على سرير الملك وجد قواعد الدولة بايالة اخيه مختلة وعقودها منحلة فاحكم القواعد وابرم المعاقد وكان رجل السلجوقية الكامل وفحلهم البازل وله الآثار الحميدة والآراء السديدة كان يغنى الفقير ويجبر الكسير ويفك الاسير وينصر الاسلام ويكشف الظلام وصفت له الدنيا ولم يبق له منازع ثم مرض زمانا طويلا فقيل له مرضك سحرى وانما سحرتك زوجتك فاعضل داؤك وبطل دواؤك وحملوا السلطان الى ان كلها وحبسها فى بيت ضيق واعتقلها واخرجوا خاتم السلطان وقالوا انه أمر بخنقها فخنقوها ومن عجيب القدر ان الزوجين توفيا فى ساعة واحدة فالخاتون فى بيتها خنقت والسلطان على فراشه نفسه زهقت وذلك فى أواخر سنة احدى عشرة وخمسمائة وخلف ستة بنين

الآية تخبرني ما يقول الناس فيما كان بيننا وبين أهل الشام قال فيهم المسرور وهم أغشاء الناس وفيهم المكبوت الآسف بما كان بينك وبينهم وأولئك نصحاء الناس لك قال صدقت جعل الله ما كان من شكواك حطا لسيئاتك فان المرض لا أجر فيه ولكن لا يدع على العبد ذنبا الا حطه وانما الاجر في القول باللسان والعمل باليد والرجل وان الله عز وجل ليدخل بصدق النية والسريرة الصالحة عالما من عباده الجنة ثم مضى غير بعيد فلقيه عبد الله بن وديعة الانصاري فدنا منه وسلم عليه وسايره فقال له ما سمعت الناس يقولون في أمرنا قال منهم المعجب به ومنهم الكاره له قال فما قول ذوي الرأي قال يقولون ان عليا كان له جمع عظيم ففرقه وكان له حصن حصين فهدمه فحتى يبني ما هدم ويجمع ما فرق ولو كان مضى بمن اطاعه اذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك كان ذلك الحزم قال علي انا هدمت ام هم هدموا انا فرقت ام هم فرقوا اما قولهم لو كان مضى بمن اطاعه فقاتل حتى يظفر أو يهلك فوالله ما خفي هذا عني وان كنت لسخيا بنفسي عن الدنيا طيب النفس بالموت ولقد هممت بالاقدام على القوم فنظرت الى هذين قد ابتدراني يعني الحسن والحسين ونظرت الى هذين قد استقدماني يعني عبد الله بن جعفر ومحمد بن علي فعلمت ان هذين ان هلكا انقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الامة وكرهت ذلك واشفقت على هذين ان يهلكا وايم الله لئن لقيتهم بعد يومي هذا لالقينهم وليسوا معي في عسكر ولا دار ثم مضى واذا على يمينه قبور سبعة أو ثمانية فقال علي ما هذه فقيل يا امير المؤمنين ان خباب بن الارت توفي بعد مخرجك وأوصى بأن يدفن في الظهر وكان الناس انما يدفنون في دورهم وافنيتهم وكان أول من دفن بظاهر الكوفة ودفن الناس الى جنبه فقال علي رحم الله خبابا فلقد أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلي في جسمه احوالا ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا ووقف عليها وقال السلام عليكم يا اهل الديار الموحشة والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات أنتم لنا سلف فارط ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله عز وجل ثم اقبل حتى حاذى سكة الثوريين فسمع البكاء فقال ما هذه الاصوات فقيل البكاء على قتلى صفين فقال اما اني اشهد لمن قتل منهم صابرا محتسبا بالشهادة ثم مر بالفائشيين فسمع مثل ذلك ثم مر بالشباميين فسمع رجة شديدة فوقف فخرج اليه حرب بن شرحبيل الشبامي فقال له علي ايغلبكم نساؤكم الا تنهونهن عن هذا الرنين قال يا أمير المؤمنين لو كانت دارا أو دارين او ثلاثا قدرنا على ذلك ولكن قتل من هذا الحي ثمانون ومائة قتيل فليس دار الا وفيها البكاء فأما نحن معشر الرجال فانا لا نبكي ولكنا نفرح بالشهادة قال علي رحم الله قتلاكم وموتاكم فاقبل يمشي معه وعلي راكب فقال له علي ارجع ووقف ثم قال له ارجع فان مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن ثم مضى حتى مر بالناعطيين وكان جلهم عثمانية فسمع بعضهم يقول والله ما صنع علي شيأ ذهب ثم انصرف في غير شيء فلما رأوه أبلسوا فقال علي لاصحابه وجوه قوم ما رأوا الشام ثم قال لاصحابه من فارقناهم آنفا خير من هؤلاء ثم قال

أخوك الذي ان اجرضتك ملمة ● من الدهر لم يبرح لبثك واجما

وليس

وهم محمود ومسعود وداود وطغرل وسليمان وسلجق وكلهم تولوا السلطنة سوى سلجق وداود ولما ايس السلطان من نفسه احضر ولده محمودا وبكى كل منهما وأمره ان يخرج ويجلس على سرير الملك وينظر في أمور الناس فقال له ولده ان هذا اليوم غير مبارك فقال صدقت ولكن على ابيك واما عليك فمبارك فامتثل أمره وجلس على سرير الملك (ابو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه) مكان والده واحكم قواعد الملك وكان هو يومئذ في سن الحلم وكان قوي المعرفة بالعربية وكان محمود الخليقة محمود الطريقة لكنه بلي بأنواع البلاء من اعوانه فنغصوا عليه عيشه وفرقوا خزائنه واستضعفوا جانبه وطمعوا فيه وكان خلف والده من العين والاثاث ما لم يخلفه أحد غيره من الملوك السلجوقية فآل الامر الى انهم احتاجوا الى بيع صناديق خزائنه التي فرغت وطلب السلطان محمود المذكور من الخازن غالية ليتطيب بها فلم يجد سوى ثلاثين مثقالا فسأل الخازن عما كان في خزانة أبيه من الغالية فقال كان ما يقارب مائة وثمانين رطلا فقال السلطان للحاضرين اعتبروا بالتفاوت

وليس أخوك بالذى ان تشعبت * عليك الامور ظل يلحاك لائما

ثم مضى فلم يزل يذكر الله حتى دخل القصر فلما دخل الكوفة لم يدخل الخوارج معه فأتوا
حروراء فنزلوا بها وقتل أويس القرنى بصفين وقيل بل مات بدمشق وقيل بارمينية وقيل
بسجستان وفيها قتل جندب بن زهير الازدى وهو من الصحابة مع على وقتل بصفين أيضا حابس
ابن سعد الطائى مع معاوية وهو خال يزيد بن عدى بن حاتم فقتل يزيد قاتله غدرا فأراد عدى
اسلامه الى أولياء المقتول فهرب الى معاوية وممن شهد صفين مع على خزيمة بن ثابت ذو
الشهادتين ولم يقاتل فلما قتل عمار بن ياسر جرد سيفه وقاتل حتى قتل وقال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية وقتل مع على سهل بن عمرو بن أبى
عمرا الانصارى وهو بدرى وممن شهدوا وقتل فيها مع على من المهاجر بن خالد بن الوليد وله صحبة
(شريح بن هانئ بضم الشين وآخره حاء مهملة الهمدانى بفتح الهاء وسكون الميم وفتح الدال
المهملة نسبة الى همدان قبيلة كبيرة من اليمن حمزة بن مالك بضم الحاء المهملة وسكون الميم
وآخره راء حضين بن المنذر بضم الحاء المهملة وفتح الضاد المعجمة يريم بفتح الياء تحتها نقطتان
وكسر الراء وسكون الياء الثانية وآخره ميم بديل بن ورقاء بضم الباء الموحدة وفتح الدال المهملة
حازم بن أبى حازم بالحاء المهملة حبة بن جوين بفتح الحاء المهملة والباء المشددة الموحدة
والعرنى بضم العين المهملة وفتح الراء وآخره نون)

ذكر استعمال جعدة بن هبيرة على خراسان

وفى هذه السنة بعث على جعدة بن هبيرة المخزومى الى خراسان بعد عوده من صفين فانتهى الى
نيسابور وقد كفروا وامتنعوا فرجع الى على فبعث خليد بن قرة اليربوعى فحاصر أهلها حتى
صالحوه وصالحه اهل مرو

ذكر اعتزال الخوارج عليا ورجوعهم اليه

ولما رجع على من صفين فارقه الخوارج وأتوا حروراء فنزل بها منهم اثنا عشر ألفا ونادى
مناديهم ان امير القتال شبث بن ربعى التميمى وأمير الصلاة عبد الله بن الكوا اليشكرى والامر
شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فلما سمع على ذلك
وأصحابه قامت الشيعة فقالوا له فى اعناقنا بيعة ثانية نحن اولياء من واليت واعداء من عاديت
فقالت الخوارج استبقتم أنتم وأهل الشام الى الكفر كفرسى رهان بايع أهل الشام معاوية
على ما احبوا وكرهوا وبايعتم أنتم عليا على انكم اولياء من والى واعداء من عادى فقال لهم
زياد بن النضر والله ما بسط على يده فبايعناه قط الا على كتاب الله وسنة نبيه ولكنكم لما خالفتموه
جاءته شيعته فقالوا له نحن اولياء من واليت واعداء من عاديت ونحن كذلك وهو على الحق
والهدى ومن خالفه ضال مضل وبعث على عبد الله بن عباس الى الخوارج وقال لا تعجل الى
جوابهم وخصومتهم حتى آتيك فخرج اليهم فاقبلوا يكلمونه فلم يصبر حتى راجعهم فقال ما نقمتم
من الحكمين وقد قال تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فكيف بأمة محمد صلى الله عليه وسلم
فقالت الخوارج أما ما جعل الله حكمه الى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو اليهم وما حكم
فامضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه حكم فى الزانى مائة جلدة وفى السارق القطع فليس للعباد

بين الامرين فلما تلاشت
امور محمود لكونه غير محمود
واختل نظام الملك مرض
ومات فى أواخر سنة خمس
وعشرين وخمسمائة وكانت
مدة ملكه سبع عشرة سنة
وأخذوا امونه نحو خمسة
أشهر حتى وصل السلطان
الاعظم ابو الحرث سنجر بن
ملك شاه من خراسان لتمهيد
البلاد واصلاح احوال
العباد لانه كان عماد آل
سلجوق وهو شيخ البيت وعظيمه
وحافظ عزه وقديمه فوصل
الى الرى وأصلح ما فسد الى
ان وصل (السلطان ابو طالب
طغرل بن محمد بن ملك شاه
ابن الب ارسلان) واجتمع
مع عمه فاجلسه على سرير
الملك بهمدان ودخل
السلطان سنجر بعد ثلاثة
أيام الى مقر مملكته خراسان
ثم بعد ذلك وقع حروب بين
طغرل وبين أخويه مسعود
وداود آلت الى انتصار
السلطان عليهما فلما استقر له
الملك وأمن من معارضيه
انتقل بالوفاة الى جوار باريه
وذلك فى أوائل عام ثمانية
وعشرين وخمسمائة وكانت
مدة ملكه سنتين وشهرين
وكان رحمه الله جامعا للخلال
التى تفتقر اليها السلطنة
من الحزم والتحفظ والعزم
الا انه كان مستبدا برأيه
معجبا بأهوائه لا يستشير

ان ينظروا في هذا قال ابن عباس فان الله تعالى يقول يحكم به ذوا عدل منكم فقالوا اوتجعل الحكم في الصيد والحرث وبين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين وقالوا له أعدل عندك عمرو بن العاص وهو بالامس يقاتلنا فان كان عدلا فلسنا بعدول وقد حكمتم في أمر الله الرجال وقد امضى الله حكمه في معاوية وأصحابه ان يقتلوا او يرجعوا وقد كتبتم بينكم وبينهم كتابا وجعلتم بينكم الموادعة وقد قطع الله الموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة الا من أقر بالجزية وبعث علي زياد بن النضر فقال انظر بأي رؤسهم اشد اطاعة فأخبره بأنه لم يرهم عند رجل أكثر منهم عند يزيد بن قيس فخرج علي في الناس حتى دخل اليهم فأتى فسطاط يزيد بن قيس فدخله فصلى فيه ركعتين وأمره على أصبهان والري ثم خرج حتى انتهى اليهم وهم يخاصمون ابن عباس فقال ألم أنهك عن كلامهم ثم تكلم فقال اللهم هذا مقام من يفلج فيه كان أولى بالفلاح يوم القيامة ثم قال لهم من زعيمكم قالوا ابن الكوا قال فما أخرجكم علينا قالوا حكومتك يوم صفين قال أنشدكم الله أتعلمون انهم حيث رفعوا المصاحف وقلتم نجيبهم قلت لكم اني أعلم بالقوم منكم انهم ليسوا بأصحاب دين وذكر ما كان قاله لهم ثم قال لهم قد اشترطت على الحكمين ان يحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن فان حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف وان أبيا فنحن من حكمهما برآء قالوا فخبرنا أتراه عدلا تحكيم الرجال في الدماء فقال انا لسنا حكمنا الرجال انما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق انما يتكلم به الرجال قالوا فخبرنا عن الاجل لم جعلته بينكم قال ليعلم الجاهل ويثبت العالم ولعل الله يصلح في هذه الهدنة هذه الامة ادخلوا مصركم رحمكم الله فدخلوا من عند آخرهم قيل والخوارج يزعمون انهم قالوا صدقت قد كنا كما ذكرت وكان ذلك كفرا منا وقد تبنا الى الله فتب كما تبنا نبايعك والا فنحن مخالفون فبايعنا علي وقال ادخلوا فلنمكث ستة اشهر حتى يجبى المال ويسمن الكراع ثم نخرج الى عدونا وقد كذب الخوارج فيما زعموا

(ذكر اجتماع الحكمين)

ولما جاء وقت اجتماع الحكمين أرسل علي أربعمائة رجل عليهم شريح بن هانئ الحارثي وأوصاه أن يقول لعمرو بن العاص ان عليا يقول لك ان أفضل الناس عند الله عز وجل من كان العمل بالحق أحب اليه وان نقصه من الباطل وان زاده يا عمرو والله انك لتعلم اين موضع الحق فلم تجاهل ان أوتيت طمعا يسيرا كنت لله به ولاوليائه عدوا فكان والله ما أوتيت قد زال عنك ويحك فلا تكن للخائنين خصيما ولا للظالمين ظهيرا أما اني اعلم بيومك الذي أنت فيه نادم وهو يوم وفاتك تمنى انك لم تظهر لمسلم عداوة ولم تأخذ على حكم رشوة فلما بلغه تغير وجهه ثم قال متى كنت أقبل مشورة علي أو انتهي الى أمره او اعتد برأيه فقال له وما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيد المسلمين بعد نبيهم مشورته فقد كان من هو خير منك ابو بكر وعمر يستشيرانه ويعملان برأيه فقال له ان مثلي لا يكلم مثلك قال شريح بأي أبويك ترغب عني يا ابن النابغة أبأبيك الوسط ام بأمك النابغة فقام عنه وأرسل علي أيضا معهم عبد الله بن عباس ليصلي بهم ويلي امورهم ومعهم ابو موسى الاشعري وأرسل معاوية عمرو بن العاص في اربعمائة من اهل الشام حتى توافوا من دومة الجندل بأذرح وكان عمرو اذا أتاه كتاب من معاوية لا يدري

أحدا في اموره ولا يسترشد في تدبيره فلما هلك ملك مكانه (أبو الفتح مسعود بن محمد ابن ملكشاه) جلس على سرير الملك بعده وكان يصطنع الاراذل ويرفع الاسافل لا يضمر لعدو ضغينة ولا يقبل في ولي نميمة توفي في أواخر جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وخمسمائة وكانت مدة ولايته تسع عشرة سنة كاملة وجلس مكانه ابن اخيه (السلطان ملك شاه بن محمود) على سرير الملك واشتغل بالانهماك في القصف والعزف وفوض الامور كلها الى وزيره وما علم انه يخسر من ربحه ويظلم يومه بطلوع صبحه فبطر الوزير وقال للامراء والاجناد هذا السلطان لا يصلح للملك فانه قد شغله الخمر عن الامر وأغناه الخشف عن النمر وأنا ارى من الصواب ان نخلعه ونستدعي اخاه محمدا ونوليه الملك فوافقوه على الرأي الراتب لانهم كرهوا استيلاءه وسئموا استعلاءه فقالوا له عجل هذا الامر فقبض بلشكري الوزير على السلطان واعتقله ببرج همدان وانفذ الى أخيه الملك محمد فقدم (السلطان أبو شجاع محمد ابن محمود) وجلس على سرير الملك بهمدان فأول ما أمر بقتل الوزير المذكور فساه

بما

بما جاء فيه ولا يسأله اهل الشام عن شيء وكان اهل العراق يسألون ابن عباس عن كتاب يصله من علي فان كتمهم ظنوا به الظنون وقالوا أتراه كتب بكذا وكذا فقال لهم ابن عباس اما تعقلون أما ترون رسول معاوية يجيء لا يعلم احد بما جاء به ولا يسمع لهم صياح وأنتم عندي كل يوم تظنون في الظنون وحضر معهم ابن عمر وعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وابن الزبير وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري وابو جهم بن حذيفة العدوي والمغيرة بن شعبة وكان سعد بن ابي وقاص على ماء لبني سليم بالبادية فأتاه ابنه عمر فقال له ان أبا موسى وعمرا قد شهدهما نفر من قريش فاحضر معهم فانك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الشورى ولم تدخل في شيء كرهته هذه الامة وأنت أحق الناس بالخلافة فلم يفعل وقيل بل حضرهم سعد وندم على حضوره فاحرم بعمرة من بيت المقدس وقال المغيرة بن شعبة لرجال من قريش أترون أحدا يستطيع ان يأتي برأي يعلم به أيجتمع الحكمان ام لا فقالوا لا فقال اني اعلمه منهما فدخل على عمرو بن العاص فقال كيف ترانا معشر من اعتزل الحرب فانا قد شككنا في الامر الذي استبان لكم فيها فقال له عمرو أراكم خلف الابرار أمام الفجار فانصرف المغيرة الى أبي موسى فقال له مثل قوله لعمرو فقال له أبو موسى أراكم أثبت الناس رأيا فيكم بقية الناس فعاد المغيرة الى أصحابه وقال لهم لا يجتمع هذان على أمر واحد فلما اجتمع الحكمان قال عمرو يا أبا موسى ألست تعلم أن عثمان قتل مظلوما قال اشهد قال ألست تعلم ان معاوية وآل معاوية أولياؤه قال بلى قال فما يمنعك منه وبيته في قريش كما قد علمت فان خفت ان يقول الناس ليست له سابقة فقل وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه الحسن السياسة والتدبير وهو اخو أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتبه وقد صحبه وعرض له بسلطان فقال ابو موسى يا عمرو اتق الله فاما ما ذكرت من شرف معاوية فان هذا ليس على الشرف تولاه اهله ولو كان على الشرف لكان لآل ابرهة بن الصباح انما هو لاهل الدين والفضل مع أني لو كنت معطيه أفضل قريش شرفا أعطيته علي بن ابي طالب واما قولك ان معاوية ولي دم عثمان فوله هذا الامر فلم اكن لاوليه وأدع المهاجرين الاولين واما تعريضك لي بالسلطان فوالله لو خرج معاوية لي من سلطانه كله لما وليته وما كنت لارتشي في حكم الله ولكنك ان شئت أن تحيي اسم عمر بن الخطاب رحمه الله قال له عمرو فما يمنعك من ابني وأنت تعلم فضله وصلاحه فقال ان ابنك رجل صدق ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة فقال عمرو ان هذا الامر لا يصلح الا لرجل يأكل ويطعم وكانت في ابن عمر غفلة فقال له ابن الزبير افطن فانتبه فقال والله لا ارشو عليها شيأ ابدا وقال يا ابن العاص ان العرب قد اسندت اليك أمرها بعد ما تقارعوا بالسيوف فلا تردنهم في فتنة وكان عمرو قد عود ابا موسى ان يقدمه في الكلام يقول له أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسن مني فتكلم وتعود ذلك ابو موسى وأراد عمرو بذلك كله ان يقدمه في خلع علي فلما اراده عمرو على ابنه أو على معاوية فأبى وأراد ابو موسى ابن عمر فأبى عمرو وقال له عمرو خبرني ما رأيك قال أرى ان نخلع هذين الرجلين ونجعل الامر شورى فيختار المسلمون لانفسهم من احبوا فقال عمرو الرأي ما رأيت فاقبلا الى الناس وهم مجتمعون فقال عمرو يا أبا موسى اعلمهم ان رأينا قد اتفق فتكلم أبو موسى فقال ان رأينا قد اتفق على امر

ذلك الامراء واجتمعوا بأن اخرجوا السلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه وحملوه الى همدان فلما سمع بذلك السلطان محمد انتقل الى اصفهان بشرذمة يسيرة واستقر (سليمان) على سرير الملك وكان وزيره شريبا للخمر اذا شرب وقع سريعا ونام اسبوعا وارادوا ان يسعدوه وهو شقي فلما وصل السلطان محمد الى اصفهان منحازا عن عمه سليمان جمع العساكر ورجع الى همدان فوقع بينه وبين الخليفة المقتفي بالله حتى آل الامر انه حاصر بغداد فما شعر الا وقد استولى عدوه على همدان فرجع لحربه وكانت وفاته في ثالث عشر ربيع الاول سنة ست وخمسين وخمسمائة وجلس مكانه ابن أخيه (السلطان ركن الدين أبو المظفر ارسلان ابن طغرل بن محمد بن ملكشاه) فتصاغر له الكبراء وانقاد له الامر انقيادا وابعد واشقى واسعد الى ان توفي سنة احدى وسبعين وخمسمائة وجلس على سرير الملك ولده الصغير (السلطان طغرل ابن ارسلان بن طغرل) فشغل به السرير ونفذت أوامره في الممالك وما زال امره مستقيما وكان سيء التدبير يعاقب على التهم بالقتل والتدمير وكان قد وقع بينه وبين أخيه قزل ارسلان حروب آلت الى قتل قزل ارسلان على فراشه ولم يعلم قاتله وفي سنة تسع وثمانين وخمسمائة تغلب على المملكة السلطان خوارزمشاه

نرجو ان يصلح الله به امر هذه الامة فقال عمرو صدق وبر تقدم يا أبا موسى فتكلم فتقدم ابو موسى فقال له ابن عباس ويحك والله اني لاظنه قد خدعك ان كنتما اتفقتما على امر فقدمه فليتكلم به قبلك ثم تكلم به بعده فانه رجل غادر ولا آمن ان يكون قد اعطاك الرضا بينكما فاذا قمت في الناس خالفك وكان ابو موسى مغفلا فقال انا قد اتفقنا وقال ايها الناس انا قد نظرنا في امر هذه الامة فلم نر اصلح لامرها ولا الم لشعثها من امر قد اجمع رأيي ورأي عمرو عليه وهو ان نخلع عليا ومعاوية ويولي الناس امرهم من أحبوا واني قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا امركم وولوا عليكم من رأيتموه اهلا ثم تنحى واقبل عمرو فقام وقال ان هذا قد قال ما سمعتموه وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية فانه ولي ابن عفان والطالب بدمه واحق الناس بمقامه فقال سعد ما أضعفك يا ابا موسى عن عمرو ومكائده فقال ابو موسى فما أصنع وافقني على أمر ثم نزع عنه فقال ابن عباس لا ذنب لك يا ابا موسى الذنب لمن قدمك في هذا المقام قال غدر فما اصنع فقال ابن عمر انظروا الى ما صار امر هذه الامة صار الى رجل ما يبالي ما صنع والى آخر ضعيف وقال عبد الرحمن بن أبي بكر لو مات الاشعري قبل هذا اليوم لكان خيرا له وقال أبو موسى الاشعري لعمرو لا وفقك الله غدرت وفجرت انما مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث قال عمرو وانك مثلك مثل الحمار يحمل اسفارا فحمل شريح بن هانئ على عمرو فضربه بالسوط وحمل ابن لعمرو على شريح فضربه بالسوط أيضا وحجز الناس بينهم وكان شريح يقول بعد ذلك ما ندمت على شيء ندامتي على ضرب عمرو بالسوط ولم اضربه بالسيف والتمس اهل الشام أبا موسى فهرب الى مكة ثم انصرف عمرو وأهل الشام الى معاوية فسلموا عليه بالخلافة ورجع ابن عباس وشريح الى علي وكان علي اذا صلى الغداة يقنت فيقول اللهم العن معاوية وعمرا وأبا الاعور وحبيبا وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد فبلغ ذلك معاوية فكان اذا قنت سب عليا وابن عباس والحسن والحسين والاشتر وقد قيل ان معاوية حضر الحكمين وانه قام عشية في الناس فقال اما بعد من كان متكلما في هذا الامر فليطلع لنا قرنه قال ابن عمر فاطلقت حبوتي فاردت ان اقول يتكلم فيه رجال قاتلوك واباك على الاسلام فخشيت ان اقول كلمة تفرق الجماعة ويسفك فيها دم وكان ما وعد الله فيه الجنان احب الي من ذلك فلما انصرفت الى المنزل جاءني حبيب بن مسلمة فقال ما منعك ان تتكلم حين سمعت هذا الرجل يتكلم قلت اردت ذلك ثم خشيت فقال حبيب وفقت وعصمت وهذا اصح لانه ورد في الصحيح

(ذكر خبر الخوارج عند توجيه الحكمين وخبر يوم النهر)

لما أراد علي ان يبعث ابا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج زرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي فقالا له لا حكم الا لله فقال علي لا حكم الا لله وقال حرقوص بن زهير تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا الى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا فقال علي قد اردتكم على ذلك فعصيتموني وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتابا وشرطنا شروطا واعطينا عليها عهودا وقد قال الله تعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم فقال حرقوص ذلك ذنب ينبغي ان

(الباب الرابع والثلاثون في ذكر دولة الخوارزمشاهية وحسن مآثرهم السنية وخصائلهم المرضية في الرعية) ذكر في بحر الانساب أن عدد ملوكهم عشرة انفار ومدة ملكهم مائة سنة وثمان وثلاثون سنة واول من ملك منهم (محمد بن انوشتكين) وكان مملوكا تركيا لبعض امراء السلجوقية وكان مقدما عنده لشجاعته ونجابته ولما سار الى خراسان وازال منها الخوارج وبعدها نظر فيمن يوليه فوقع على محمد ابن أنوشتكين المذكور فولاه ولقبه خوارزمشاه وذلك في سنة تسعين وأربعمائة لكونه نشأ مثل ابيه في النجابة والشجاعة وحسن التدبير وكان محبا لاهل العلم والدين عادلا في الرعية فلما هلك ملك مكانه ولده (اتسز) فسار سيرة أبيه وكان قد قاد الجيوش في حياة أبيه وباشر الحروب وكان السلطان سنجر يصاحبه في اسفاره وحروبه ثم كثرت السعاية عليه عند السلطان سنجر حتى بغضه وسار لينزع الملك من يده فانهزم اتسز وقتل ابنه وخلقا كثيرا من جماعته ثم بعد ذلك صالح سنجر واستقل بالملك من غير منازع الى ان توفي في منتصف سنة احدى وخمسين وخمسمائة وكانت مدة ملكه خمسين سنة وملك بعده ابنه (ارسلان شاه بن اتسز) فقتل جماعة من اعمامه

تتوب عنه فقال علىّ ماهو ذنب ولكنه عجز عن الرأى وقد نهيتكم فقال زرعة يا علىّ انك لم تدع
تحكيم الرجال لاقاتلنك أطلب وجه الله تعالى فقال على بؤسا لك ما أشقاك كأنى بك قتيلا تسفى
عليك الرياح قال وددت لو كان ذلك فخرجا من عنده يحكمان وخطب علىّ ذات يوم فحكمت
المحكمة فى جوانب المسجد فقال علىّ الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل ان سكتوا غممناهم
وان تكلموا حججناهم وان خرجوا علينا قاتلناهم فوثب يزيد بن عاصم المحاربى فقال الحمد لله
غير مودع ربنا ولا مستغن عنه اللهم انا نعوذ بك من اعطاء الدنية فى ديننا فان اعطاء الدنية فى
الدين ادهان فى أمر الله وذل راجع باهله الى سخط الله يا علىّ أبالقتل تخوفنا أما والله انى لارجو
أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات ثم لتعلم أينا أولى بها صليا ثم خرج هو واخوة له ثلاثة
فاصيبوا مع الخوارج بالنهر وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة ثم خطب على يوما آخر فقام
رجل فقال لا حكم الا لله ثم توالى عدة رجال يحكمون فقال علىّ الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل
أما ان لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا نمنعكم الفىء
ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نقاتلكم حتى تبدؤنا وانما فيكم أمر الله ثم رجع الى مكانه من
الخطبة ثم ان الخوارج لقى بعضهم بعضا واجتمعوا فى منزل عبد الله بن وهب الراسبى فخطبهم
فزهدهم فى الدنيا وأمرهم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ثم قال اخرجوا بنا من هذه
القرية الظالم أهلها الى بعض كور الجبال أو الى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع
المضلة فقال له حرقوص بن زهير ان المتاع بهذه الدنيا قليل وان الفراق لها وشيك فلا
تدعونكم زينتها و بهجتها الى المقام بها ولا تلفتنكم عن طلب الحق وانكار الظلم فان الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون فقال حمزة بن سنان الاسدى يا قوم ان الرأى ما رأيتم فولوا
أمركم رجلا منكم فانكم لا بد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها وترجعون اليها فعرضوها
على زيد بن حصين الطائى فابى وعرضوها على حرقوص بن زهير فابى وعلى حمزة بن سنان وشريح
ابن أوفى العبسى فابيا وعرضوها على عبد الله بن وهب فقال هاتوها أما والله لا آخذها رغبة فى
الدنيا ولا أدعها فرقا من الموت فبايعوه لعشر خلون من شوّال وكان يقال له ذو الثفنات ثم
اجتمعوا فى منزل شريح بن أوفى العبسى فقال ابن وهب اشخصوا بنا الى بلدة نجتمع فيها لانفاذ
حكم الله فانكم أهل الحق قال شريح نخرج الى المدائن فننزلها ونأخذ بابوابها ونخرج منها
سكانها ونبعث الى اخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا فقال زيد بن حصين انكم ان
خرجتم مجتمعين أتبعتم ولكن اخرجوا وحدانا مستخفين فاما المدائن فان بها من يمنعكم ولكن
سيروا حتى تنزل جسر النهروان وتكاتبوا اخوانكم من أهل البصرة قالوا هذا الرأى وكتب
عبد الله بن وهب الى من بالبصرة منهم يعلمونهم ما اجتمعوا عليه ويحثونهم على اللحاق بهم وسير
الكتاب اليهم فأجابوه انهم على اللحاق به فلما عزموا على المسير تعبدوا ليلتهم وكانت ليلة الجمعة
ويوم الجمعة وساروا يوم السبت فخرج شريح بن أوفى العبسى وهو يتلو قول الله تعالى فخرج منها
خائفا يترقب الى سواء السبيل وخرج معهم طرفة بن عدى بن حاتم الطائى فاتبعه أبوه فلم يقدر
عليه فانتهى الى المدائن ثم رجع فلما بلغ ساباط لقيه عبد الله بن وهب الراسبى فى نحو عشرين
فارسا فأراد عبد الله قتله فمنعه عمرو بن مالك النبهانى و بشر بن زيد البولانى وأرسل عدى الى

وسمل اخاه فرض زمانا ومات فى سنة ثمان وستين وخمسمائة وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وملك بعده ابنه الاصغر (سلطان شاه محمود) لكونه كان عنده واستقر الملك فى تدبير أمه وكان ابنه الاكبر علاء الدين تكش غائبا فلما بلغه موت أبيه وتولية أخيه استنكف وسار الى ملك الخطا مستنجدا ورغبه فى أموال خوارزم وذخائرها فانجده بجيش كثيف وجاء الى خوارزم فملكها واستولى على نيسابور وخزائنها ولحق سلطان شاه محمود مع أمه بالمؤيد صاحب نيسابور فجمع عساكره وسار معه فلما كان على عشرين فرسخا من خوارزم خرج اليه تكش وهزمه وجىء بالمؤيد أسيرا فقتله ولحق أخاه وظفر بامه فقتلها وهرب السلطان محمود وعاد تكش الى خوارزم وتوفى محمود فى سنة تسع وثمانين وخمسمائة واستولى (علاء الدين تكش) على بقية بلاد أخيه وكان عادلا عارفا بالاصول والفقه على مذهب الامام الاعظم رحمه الله توفى فى رمضان سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن فى مدرسته التى بناها وملك بعده ابنه (ملك شاه محمد بن تكش) ولقبوه علاء الدين لقب أبيه فلما بلغ أخوه الهندوخان تولية أخيه جمع عساكره وتحارب مع أخيه فلم يقدر عليه ورجع خائبا خاسرا واستولى ملك شاه على جميع بلاد ماوراء النهر وقسم

الملك بين أولاده فجعل ولي عهده (قطب الدين أولغ شاه) دون ابنه الاكبر جلال الدين وكرمان وكيش ومكران لابنه
(غياث الدين) وبقية البلاد
لابنه (ركن الدين) وأذن
لهم في ضرب النوب الخمس
له وهي دبادب أي طبول
صغار تقرع عقب الصلوات
الخمس وسماها نوبة ذي
القرنين سبعة وعشرين
دبدبة وكانت مصنوعة من
الذهب والفضة مرصعة
بالجواهر وكان وقع بين
السلطان وبين جنكزخان
وقائع أدت الى المجيء اليه
فلما بلغه هجوم جنكزخان
الى البلاد الاسلامية لم يزل
يضعف حاله ويذوب وتحل
به نوائب الخطوب حتى
انتقل الى جوار الرحمن في
أطراف طبرستان في سنة
سبع عشرة وستمائة وكانت
مدة ملكه احدى وعشرين
سنة وكان خلع ولده قطب
الدين وعهد لولده الاكبر
(جلال الدين) فلما جلس على
سرير الملك تيقن بحلول
البوار ونزول الدمار وخراب
الديار بمجيء طائفة التتار
فشرع في تحصين البلاد
والقلاع والاحتفاظ بعدن
الممالك عن الضياع وكان
ملكا عظيما وسلطانا جسيما
ذا صولة ظاهرة ودولة باهرة
لكنه عن مقاتلة التتار عاجز
وعن مقابلتهم ناجز ثم ان
تلك الدواهي المصيبة وصلوا
الى بلاد الاسلام في أوائل سنة خمس عشرة وستمائة وصاروا على بسيطة العالم سير الغمام فارادوا اطفاء نور الايمان

سعد بن مسعود وعامل علي على المدائن يحذره أمرهم فأخذ أبواب المدائن وخرج في الخيل واستخلف بها ابن أخيه المختار بن أبي عبيد وسار في طلبهم فأخبر عبد الله بن وهب خبره فرابأ طريقه وسار على بغداد ولحقهم سعد بن مسعود بالكرخ في خمسمائة فارس عند المساء فانصرف اليهم عبد الله في ثلاثين فارسا فاقتتلوا ساعة وامتنع القوم منهم وقال أصحاب سعد لسعد ماتريد من قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم امر خلهم فليذهبوا واكتب الى أمير المؤمنين فان أمرك باتباعهم اتبعتهم وان كفاكهم غيرك كان في ذلك عافية لك فأبى عليهم فلما جن عليهم الليل خرج عبد الله بن وهب فعبر دجلة الى أرض جوخى وسار الى النهروان فوصل الى أصحابه وقد أيسوا منه وقالوا ان كان هلك ولينا الامر زيد بن حصين أو حرقوص بن زهير وسار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم فردهم أهلوهم كرها منهم القعقاع بن قيس الطائي عم الطرماح بن حكيم وعبد الله بن حكيم بن عبد الرحمن البكائي وبلغ عليا ان سالم بن ربيعة العبسي يريد الخروج فأحضره عنده ونهاه فانتهى ولما خرجت الخوارج من الكوفة أتى عليا أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت فشرط لهم فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم فقال له بايع على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربيعة على سنة أبي بكر وعمر قال له علي ويلك لو أن أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونا على شيء من الحق فبايعه فنظر اليه علي وقال أما والله لكأني بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت وكأني بك وقد وطئتك الخيل بحوافرها فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة وأما خوارج البصرة فانهم اجتمعوا في خمسمائة رجل وجعلوا عليهم مسعر بن فدكي التميمي فعلم بهم ابن عباس فاتبعهم أبا الاسود الدؤلي فلحقهم بالجسر الاكبر فتواقفوا حتى حجز بينهم الليل وادلج مسعر باصحابه واقبل يعترض الناس وعلى مقدمته الاشرس بن عوف الشيباني وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب بالنهر فلما خرجت الخوارج وهرب أبو موسى الى مكة ورد علي ابن عباس الى البصرة قام في الكوفة فخطبهم فقال الحمد لله وان أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجليل وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أما بعد فان المعصية تورث الحسرة وتعقب الندم وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمري ونحلتكم رأيي لو كان لقصير أمر ولكن أبيتم الا ما أردتم فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

الا ان هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما واحييا ما امات القرآن واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله فحكما بغير حجة بينة ولا سنة ماضية واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشد فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين استعدوا وتأهبوا للمسير الى الشام واصبحوا في معسكركم ان شاء الله يوم الاثنين ثم نزل وكتب الى الخوارج بالنهر بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين الى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس أما بعد فان هذين الرجلين اللذين ارتضيناهما حكمين قد خالفا

كتاب الله واتبعا هواهما بغير هدى من الله فلم يعملا بالسنة ولم ينفذا القرآن حكما فبرئ الله منهما
ورسوله والمؤمنون فاذا بلغكم كتابى هذا فاقبلوا الينا فانا سائرون الى عدونا وعدوكم
ونحن على الامر الاول الذى كنا عليه فكتبوا اليه اما بعد فانك لم تغضب لربك وانما غضبت
لنفسك فان شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك والا فقد
نبذناك على سواء ان الله لا يحب الخائنين فلما قرأ كتابهم أيس منهم ورأى ان يدعهم ويمضى
بالناس حتى يلقى أهل الشام فيناجزهم فقام فى أهل الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد
فانه من ترك الجهاد فى الله وادهن فى أمره كان على شفا هلكة الا أن يتداركه الله بنعمته فاتقوا
الله وقاتلوا من حاد الله ورسوله وحاول أن يطفئ نور الله فقاتلوا الخاطئين الضالين القاسطين
الذين ليسوا بقراء القرآن ولا فقهاء فى الدين ولا علماء فى التأويل ولا لهذا الامر باهل فى سابقة
الاسلام والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم باعمال كسرى وهرقل تيسروا وتهيأوا للمسير الى عدوكم من اهل
المغرب وقد بعثنا الى اخوانكم من اهل البصرة ليقدموا عليكم فاذا اجتمعتم شخصنا ان شاء
الله ولا حول ولا قوة الا بالله وكتب الى ابن عباس اما بعد فانا خرجنا الى معسكرنا بالنخيلة وقد
اجمعنا على المسير الى عدونا من اهل المغرب فاشخص الى الناس حتى يأتيك رسولى واقم حتى
يأتيك أمرى والسلام عليك فقرأ ابن عباس الكتاب على الناس وندبهم مع الاحنف بن قيس
فشخص ألف وخمسمائة فخطبهم وقال يا أهل البصرة أتانى كتاب أمير المؤمنين فامرتكم بالنفير
اليه فلم يشخص منكم اليه الا ألف وخمسمائة وأنتم ستون ألف مقاتل سوى أبنائكم وعبيدكم
الا انفروا اليه مع جارية بن قدامة السعدى ولا يجعلن رجل على نفسه سبيلا فانى موقع بكل
من وجدته متخلفا عن دعوته عاصيا لامامه فلا يلومن رجل الا نفسه فخرج جارية فاجتمع اليه
ألف وسبعمائة فوافوا عليا وهم ثلاثة آلاف ومائتان فجمع اليه رؤس أهل الكوفة ورؤس
الاسباع ووجوه الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة أنتم اخوانى وانصارى
وأعوانى على الحق وأصحابى الى جهاد المحلين بكم اضرب المدبر وارجو تمام طاعة المقبل وقد
استنفرت أهل البصرة فأتانى منهم ثلاثة آلاف ومائتان فليكتب لى رئيس كل قبيلة ما فى
عشيرته من المقاتلة وابناء المقاتلة الذين ادركوا القتال وعبدان عشيرته ومواليهم ويرفع ذلك
الينا فقام اليه سعيد بن قيس الهمدانى فقال يا أمير المؤمنين سمعا وطاعة أنا أول الناس أجاب
ما طلبت وقام معقل بن قيس وعدى بن حاتم وزياد بن خصفة وحجر بن عدى وأشراف الناس
والقبائل فقالوا مثل ذلك وكتبوا اليه ما طلب وأمروا أبناءهم وعبيدهم أن يخرجوا معهم ولا
يتخلف منهم متخلف فرفعوا اليه أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفا من الابناء ممن أدرك
وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم وكان جميع اهل الكوفة خمسة وستين الفا سوى اهل
البصرة وهم ثلاثة آلاف ومائتا رجل وكتب الى سعد بن مسعود بالمدائن يأمره بارسال من
عنده من المقاتلة وبلغ عليا ان الناس يقولون لو سار بنا الى قتال هذه الحرورية فاذا فرغنا
منهم توجهنا الى قتال المحلين فقال لهم بلغنى أنكم قلتم كيت وكيت وان غير هؤلاء الخارجين
اهم الينا فدعوا ذكرهم وسيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكا ويتخذوا
عباد الله خولا فناداه الناس ان سر بنا يا أمير المؤمنين حيث احببت وقام اليه صيفى بن فسيل

ثم رجعوا والتتار من خلفه وقد أدركوه فلما رأى ذلك خاف على حرمه وأهله فقتلهم عن آخرهم والقاهم فى نهر جيحون وعدى النهر وذهب الى باشورة آمد وصعد الى جبل الاكراد فتبعه رجل منهم وبيده حربة فقتله وفى تواريخ الفرس انه كان مختفيا فى بعض الاطراف ولا يعلم به أحد ولم يكن معه سوى رجل واحد من خواصه فسمع انسانا يقول العجب من وقائع الدنيا ان عسكر جنكزخان وصل الى القلعة التى بها انساء السلطان فلما سمع ذلك لم يزل يميل الى جانب الارض حتى وقع ميتا فاخبر الرجل الذى كان معه انه هو السلطان فتعجب الناس من ذلك ولم يجدوا له كفنا فكفن بشاشه فسبحان الذى يبقى وما سواه فان وكانت الوقعة فى منتصف شوال سنة ثمان وعشرين وستمائة وبها انقرضت دولتهم

(الباب الخامس والثلاثون فى ذكر دولة بنى سلجوق بحلب والشام وملح من وقائعهم فيما مضى من الايام)

ذكر فى الدول الاسلامية ان أول من تولى الملك بحلب والشام من السلجوقية (اتسز بن ابق) السلجوقى لانه سار الى فلسطين لفتح تلك البلاد وحاصر دمشق

الشيباني فقال يا أمير المؤمنين نحن حزبك وأنصارك نعادي من عاداك ونشايع من أناب الى طاعتك من كانوا وأينما كانوا فانك ان شاء الله لن تؤتى من قلة عدد وضعف نية أتباع

(ذكر قتال الخوارج)

قيل لما أقبلت الخارجة من البصرة حتى دنت من النهروان رأى عصابة منهم رجلا يسوق بامرأة على حمار فدعوه فانتهروه فأفزعوه وقالوا له من أنت قال أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له أفزعناك قال نعم قالوا لا روع عليك حدثنا عن أبيك حديثا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعنا به فقال حدثني أبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيه بدنه يمسي فيها مؤمنا ويصبح كافرا ويصبح كافرا ويمسي مؤمنا فقالوا لهذا الحديث سألناك فما تقول في أبي بكر وعمر فأثنى عليهما خيرا قالوا ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها قال انه كان محقا في أولها وفي آخرها فقالوا فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده قال انه أعلم بالله منكم وأشد توقيا على دينه وأنفذ بصيرة فقالوا انك تتبع الهوى وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحدا فأخذوه وكتفوه ثم أقبلوا به وبامرأته وهي حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل مواقير فسقطت منه رطبة فأخذها أحدهم فتركها في فيه فقال آخر أخذتها بغير حلها وبغير ثمن فألقاها ثم مر بهم خنزير لأهل الذمة فضربه أحدهم بسيفه فقالوا هذا فساد في الارض فأتى صاحب الخنزير فأرضاه فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال لئن كنتم صادقين فيما أرى فما علي منكم من بأس اني مسلم ما أحدثت في الاسلام حدثا ولقد أمنتموني قلتم لا روع عليك فأضجعوه فذبحوه فسال دمه في الماء وأقبلوا الى المرأة فقالت أنا امرأة ألا تتقون الله فبقروا بطنها وقتلوا ثلاث نسوة من طيئ وقتلوا أم سنان الصيداوية فلما بلغ عليا قتلهم عبد الله بن خباب واعتراضهم الناس بعث اليهم الحرث بن مرة العبدي ليأتيهم وينظر ما بلغه عنهم ويكتب به اليه ولا يكتمه فلما دنا منهم يسائلهم قتلوه وأتى عليا الخبر والناس معه فقالوا يا أمير المؤمنين علام ندع هؤلاء وراءنا يخلفونا في عيالنا وأموالنا سر بنا الى القوم فاذا فرغنا منهم سرنا الى عدونا من أهل الشام وقام اليه الاشعث بن قيس وكلمه بمثل ذلك وكان الناس يرون ان الاشعث يرى رأيهم لانه كان يقول يوم صفين أنصفنا قوم يدعون الى كتاب الله فلما قال هذه المقالة علم الناس انه لم يكن يرى غير رأيهم فأجمع علي على ذلك وخرج فعبر الجسر وسار اليهم فلقيه منجم في مسيره فأشار عليه أن يسير وقتا من النهار فقال له ان أنت سرت في غيره لقيت أنت وأصحابك ضرا شديدا فخالفه علي وسار في الوقت الذي نهاه عنه فلما فرغ من أهل النهر حمد الله وأثنى عليه ثم قال لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون شيئا سار في الساعة التي أمره بها المنجم فظفر وكان المنجم مسافر بن عفيف الازدي فأرسل علي الى أهل النهر أن ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم نقتلهم بهم ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل المغرب فلعل الله يقبل بقلوبكم ويردكم الى خير مما أنتم عليه من أمركم فقالوا كلنا قتلهم وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم وخرج اليهم قيس ابن سعد بن عبادة فقال لهم عباد الله أخرجوا الينا طلبتنا منكم وادخلوا في هذا الامر الذي خرجتم منه وعودوا بنا الى قتال عدونا وعدوكم فانكم ركبتم عظيما من الامر تشهدون علينا

فملكها اصلحها ودخلها سنة ثمان وستين وأربعمائة وسكن بدار الامارة داخل باب الفراديس فكانت مدة اقامته بدمشق ثلاث سنين واحدا وعشرين يوما وسار السلطان ملكشاه السلجوقي الى حلب فملكها وولى عليها (قسيم الدولة آق سنقر) جد نور الدين الشهيد كما سيأتي ذكره وولى دمشق أخاه (تاج الدولة تتش بن ألب ارسلان السلجوقي) وما فتحه من تلك النواحي ولم يزل تتش يجاهد في سبيل الله تعالى حتى فتح حمص ففي أثناء ذلك توفي السلطان ملكشاه فعزم تتش على طلب السلطنة لنفسه فسار الى حلب فأطاعه قسيم الدولة آق سنقر لصغر أولاد السلطان وحمل على انطاكية ثم سار الى ديار بكر وأعمالها الى أن وصل اذربيجان وهمدان فأطاعوه وخطبوا باسمه وبادر الى اصفهان فاستقبله صاحبها بركيارق فانهزم تتش منه فلحقه وقتله فاستقام الامر لبركيارق فولى مكان تتش ولده (رضوان) لكنه لم يتمكن على غالب البلاد التي كانت بيد والده لان دمشق غاب عليها أخوه شمس الملوك دقاق بن تتش فقدم أخوه رضوان فحاصرها فلم ينل مقصودا وعاد الى حلب ثم عرض لدقاق مرض طويل به فتوفي وقيل ان أمه زينب أرسلت له جارية سمته في عنقود عنب معلق في شجرته ثقبته بابرة فيها خيط مسموم فأكله فتهرى بالشرك

بالشرك وتسفكون دماء المسلمين فقال له عبد الله بن شجرة السلمي ان الحق قد اضاء لنا فلسنا متابعيكم او تأتونا بمثل عمر فقال ما نعلمه غير صاحبنا فهل تعلمونه فيكم قالوا لا قال انشدتكم الله في انفسكم أن تهلكوها فاني لأرى الفتنة الا وقد غلبت عليكم وخطبهم ابو ايوب الانصاري فقال عباد الله انا واياكم على الحال الاولى التي كنا عليها ليست بيننا وبينكم فرقة فعلام تقاتلوننا فقالوا انا لو تابعناكم اليوم حكمتم غدا قال فاني انشدكم الله ان تعجلوا فتنة العام مخافة ما يأتي في القابل وأتاهم علي فقال ايتها العصابة التي اخرجها عداوة المراء واللجاجة وصدها عن الحق الهوى وطمع بها النزق واصبحت في الخطب العظيم اني نذير لكم ان تصبحوا تلعنكم الامة غدا صرعى باثناء هذا الوادي وباهضام هذا الغائط بغير بينة من ربكم ولا برهان مبين الم تعلموا اني نهيتكم عن الحكومة ونبأتكم انها مكيدة وان القوم ليسوا باصحاب دين فعصيتموني فلما فعلت شرطت واستوثقت على الحكمين ان يحييا ما احيا القرآن ويميتا ما امات القرآن فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة فنبذنا امرهما ونحن على الامر الاول فمن اين أتيتم فقالوا انا حكمنا فلما حكمنا اثمنا وكنا بذلك كافرين وقد تبنا فان تبت فنحن معك ومنك وان ابيت فانا منابذوك على سواء فقال علي أصابكم حاصب ولا بقي منكم وابر أبعد ايماني برسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين ثم انصرف عنهم وقيل انه كان من كلامه لهم ياهؤلاء ان انفسكم قد سولت لكم فراقي لهذه الحكومة التي انتم بدأتموها وسألتموها وانا لها كاره وانبأتكم ان القوم انما طلبوها مكيدة وهنا فابيتم على اباء المخالفين وعندتم عنود النكداء العاصين حتى صرفت رأيي الى رأيكم وأي معاشر والله أخفاء الهام سفهاء الاحلام فلم آت لا ابا لكم هجرا والله ما ختلتكم عن اموركم ولا اخفيت شيأ من هذا الامر عنكم ولا اوطأتكم عشوة ولا أدنيت لكم الضراء وان كان امرنا لامر المسلمين ظاهرا فاجمع رأي ملئكم ان اختار رجلين فاخذنا عليهما ان يحكما بما في القرآن ولا يعدواه فتاها فتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما والثقة في ايدينا حين خالفا سبيل الحق واتيا بما لا يعرف فبينوا لنا بم تستحلون قتالنا والخروج عن جماعتنا وتضعون اسيافكم على عواتقكم ثم تستعرضون الناس تضربون رقابهم ان هذا لهو الخسران المبين والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام فتنادوا الا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيؤا للقاء الله الرواح الرواح الى الجنة فعاد علي عنهم ثم ان الخوارج قصدوا جسر النهر وكانوا غربه فقال لعلي اصحابه انهم قد عبروا النهر فقال لن يعبروا فارسلوا طليعة فعاد واخبرهم انهم عبروا النهر وكان بينهم وبينه عطفة من النهر فلخوف الطليعة منهم لم يقربهم فعاد فقال انهم قد عبروا النهر فقال علي والله ما عبروه وان مصارعهم لدون الجسر والله لا يقتل منكم عشرة ولا يسلم منهم عشرة وتقدم علي اليهم فرآهم عند الجسر لم يعبروه وكان الناس قد شكوا في قوله وارتاب به بعضهم فلما رأوا الخوارج لم يعبروا كبروا واخبروا عليا بحالهم فقال والله ما كذبت ولا كذبت ثم انه عبى أصحابه فجعل على ميمنته حجر بن عدي وعلى ميسرته شبث بن ربعي او معقل بن قيس الرياحي وعلى الخيل ابا ايوب الانصاري وعلى الرجالة أبا قتادة الانصاري وعلى اهل المدينة وهم

جوفه ومات في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ودفن بخانقاه الطواويس بدمشق وتولى مكانه اخوه (ارتاش بن تتش ابن الب ارسلان) فلم يقم غير ثلاثة أشهر ثم انه توهم وتوجه الى الشرق فهلك هنالك ولم يتم لرضوان الامر وكان مقره بحلب حتى توفي في سنة سبع وخمسمائة وتولى مكانه ابن أخيه (ألب ارسلان بن دقاق) وكان صبيا صغيرا وكان يدبر أمره اتابكه لؤلؤ الخادم ثم تنكر له فقتله ونصب مكانه أخاه (سلطان شاه) مدة وهو مضمحل الحال وضعيف الاحوال فخاف أهل حلب من الافرنج فاستدعوا بالغازي بن ارتق وحكموه على انفسهم فلم يجد ما لا فصادر جماعة ثم سار الى مدينة ماردين بنية العود لحمايتها واستخلف عليها ابنه (حسام الدين تمرتاش) فانقرض ملك تتش من حلب والشام والله أعلم

(الباب السادس والثلاثون في ذكر دولة بني ارتق ملوك ماردين وديار بكر واخبار ما وقع لهم من الفتح والنصر)

ذكر ابن الاثير في تاريخه ان ارتق بن اكسب كان من مماليك السلطان ملك شاه السلجوقي وله مقام محمود في دولتهم وكان واليا على حلوان وما يليها من أعمال العراق ولحق تتش أخا السلطان ملك شاه وهو يومئذ صاحب الشام فاكرمه وولاه على القدس ثم سار مع تتش الى حلب وملكها

سبعمائة أو ثمانمائة قيس بن سعد بن عبادة وعبت الخوارج فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصين
الطائى وعلى الميسرة شريح بن أوفى العبسى وعلى خيلهم حمزة بن سنان الاسدى وعلى رجالتهم
حرقوص بن زهير السعدى واعطى على أبا أيوب الانصارى راية الامان فناداهم أبو أيوب
فقال من جاء تحت هذه الراية فهو آمن ومن لم يقتل ولم يستعرض ومن انصرف منكم الى
الكوفة أو الى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة
اخواننا منكم فى سفك دمائكم فقال فروة بن نوفل الاشجعى والله ما ادرى على أى شئ نقاتل
عليا أرى ان انصرف حتى تتضح لى بصيرتى فى قتاله أو اتابعه فانصرف فى خمسمائة فارس
حتى نزل البندنيجين والدسكرة وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلوا الكوفة وخرج الى
على نحو مائة وكانوا أربعة آلاف فبقى مع عبد الله بن وهب ألف وثمانمائة فزحفوا الى على
وكان على قد قال لاصحابه كفوا عنهم حتى يبدؤكم فتنادوا الرواح الى الجنة وحملوا على الناس
فافترقت خيل على فرقتين فرقة نحو الميمنة وفرقة نحو الميسرة واستقبلت الرماة وجوههم بالنبل
وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة ونهض اليهم الرجال بالرماح والسيوف فما لبثوا ان
أناموهم فلما رأى حمزة بن سنان الهلاك نادى أصحابه ان انزلوا فذهبوا لينزلوا فلم يلبثوا ان
حمل عليهم الاسود بن قيس المرادى وجاءتهم الخيل من نحو على فاهلكوا فى ساعة فكأنما قيل
لهم موتوا فماتوا وجاء أبو أيوب الانصارى الى على فقال يا أمير المؤمنين قتلت زيد بن حصين
الطائى طعنته فى صدره فخرج السنان من ظهره وقلت له ابشر يا عدو الله بالنار فقال ستعلم
غدا اينا اولى بها صليا فقال له على هو أولى بها صليا وجاء هانئ بن خطاب الازدى وزياد بن
خصفة يحتجان فى قتل عبد الله بن وهب فقال كيف صنعتما فقالا لما رأيناه عرفناه فابتدرناه
وطعناه برمحينا فقال كلا كما قاتل وحمل جيش بن ربيعة الكنانى على حرقوص بن زهير فقتله
وحمل عبد الله بن زحر الخولانى على عبد الله بن شجرة السلمى فقتله ووقع شريح بن أوفى الى جانب
جدار فقاتل عليه وكان جل من يقاتله همدان فقال

قد علمت جارية عبسيه * ناعمة فى اهلها مكفيه * انى سأحمى ثلمى العشيه

فحمل عليه قيس بن معاوية فقطع رجله فجعل يقاتلهم وهو يقول القرم يحمى شوله معقولا
فحمل عليه قيس أيضا فقتله فقال الناس

اقتتلت همدان يوما ورجل * اقتتلوا من غدوة حتى الاصل
ففتح الله لهمدان الرجل

(ذكر مقتل ذى الثدية)

قد روى جماعة ان عليا كان يحدث اصحابه قبل ظهور الخوارج ان قوما يخرجون يمرقون من
الدين كما يمرق السهم من الرمية علامتهم رجل مخدج اليد سمعوا ذلك منه مرارا فلما خرج
اهل النهروان سار بهم اليهم على وكان منه معهم ما كان فلما فرغ امر أصحابه ان يلتمسوا المخدج
فالتمسوه فقال بعضهم ما نجده حتى قال بعضهم ما هو فيهم وهو يقول والله انه لفيهم والله
ما كذبت ولا كذبت ثم انه جاءه رجل فبشره فقال يا امير المؤمنين قد وجدناه وقيل بل خرج
على فى طلبه قبل ان يبشره الرجل ومعه سليم بن ثمامة الحنفى والريان بن صبرة فوجدوه فى حفرة

ثم هلك ارتق سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة بالقدس الشريف وملك من بعده ابناه (ايلغازى وسقمان) وملك الافرنج انطاكية سنة احدى وتسعين وأربعمائة اجتمع الامراء بالشام والجزيرة وديار بكر وحاصروها وكان لسقمان فى ذلك المقام المحمود وطمع صاحب مصر فى ارتجاع القدس منهم وسار اليها الملك الافضل فحاصرها أربعين يوما وملكها بالامان فخرج سقمان وأخوه ايلغازى ابنا أرتق وابن اخيهما ياقوتى وابن عمهما سونج فلحق ايلغازى بالعراق فولى شحنته ببغداد وسار سقمان الى الرها فاقام بها واستفحل امره فملك حصن كيفا وسار سقمان الى ماردين من ديار بكر فملكها وجمع الجيوش واستولى على نصيبين ثم بعث فخر الملك بن عماد الدين صاحب طرابلس يستنجد سقمان على الافرنج عندما ملكوا سواحل الشام وخاف على طرابلس وسار سقمان حتى وصل الى القريتين فتوفى هنالك فحمله ابنه ابراهيم الى حصن كيفا فدفنه بها وقد سار ايلغازى من بغداد الى ماردين فاستولى عليها ولما خشى أهل حلب على مدينتهم من الافرنج وكانوا استدعوا ايلغازى بن أرتق من ماردين سلموا اليه البلد وعزلوا رضوان بن تتش لضعف حاله كما تقدم وقد وقع بينه وبين الافرنج وقائع كثيرة وكان لا يطيل على

على شاطئ النهر فى خمسين قتيلا فلما استخرجه نظر الى عضده فاذا لحم مجتمع كثدى المرأة وحلمة
عليها شعرات سود فاذا مدت امتدت حتى تحاذى يده الطولى ثم تترك فتعود الى منكبيه فلما
رآه قال الله أكبر ما كذبت ولا كذبت لولا أن تتكلوا عن العمل لاخبرتكم بما قص الله على
لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لمن قاتلهم مستبصرا فى قتالهم عارفا للحق الذى نحن عليه وقال
حين مر بهم وهم صرعى بؤسا لكم لقد ضركم من غركم قالوا يا أمير المؤمنين من غرهم قال
الشيطان وانفس امارة بالسوء غرتهم بالامانى وزينت لهم المعاصى ونبأتهم انهم ظاهرون قيل
وأخذ ما فى عسكرهم من شئ فاما السلاح والدواب وما شهر عليه فقسمه بين المسلمين وأما المتاع
والاماء والعبيد فانه رده على أهله حين قدم وطاف عدى بن حاتم فى القتلى على ابنه طرفة فدفنه
ودفن رجال من المسلمين قتلاهم فقال على حين بلغه أتقتلونهم ثم تدفنونهم ارتحلوا فارتحل
الناس فلم يقتل من أصحاب على الا سبعة وقيل كانت الوقعة سنة ثمان وثلاثين وكان فيمن قتل
من أصحابه يزيد بن نويرة الانصارى وله صحبة وسابقة وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجنة وكان أول من قتل

* (ذكر رجوع على الى الكوفة) *

ولما فرغ على من أهل النهر حمد الله وأثنى عليه وقال ان الله قد أحسن بكم وأعز نصركم
فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم قالوا يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت سيوفنا ونصلت
أسنة رماحنا وعاد أكثرها قصدا فارجع الى مصرنا فلنستعد ولعل امير المؤمنين يزيد فى
عدتنا فانه اقوى لنا على عدونا وكان الذى تولى كلامه الاشعث بن قيس فاقبل حتى نزل النخيلة
فأمر الناس ان يلزموا عسكرهم ويوطنوا على الجهاد انفسهم وان يقلوا زيارة ابنائهم
ونسائهم حتى يسيروا الى عدوهم فاقاموا فيه اياما ثم تسللوا من معسكرهم فدخلوا الا رجالا
من وجوه الناس وترك المعسكر خاليا فلما رأى ذلك دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه فى المسير
وقال لهم ايضا ايها الناس استعدوا للمسير الى عدوكم ومن فى جهاده القربة الى الله عز وجل
ودرك الوسيلة عنده حيارى عن الحق جفاة عن الكتاب يعمهون فى طغيانهم فاعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا وكفى بالله نصيرا فلم
ينفروا ولا تيسروا فتركهم اياما حتى اذا ايس من ان يفعلوا دعا رؤساءهم ووجوههم فسألهم
عن رأيهم وما الذى يبطئ بهم فمنهم المعتل ومنهم المتكره وأقلهم من نشط فقام فيهم فقال عباد
الله ما بالكم اذا امرتكم ان تنفروا اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة
وبالذل والهوان من العز خلفا وكلما ناديتكم الى الجهاد دارت اعينكم كأنكم من الموت فى
سكرة وكأن قلوبكم مألوسة وانتم لا تعقلون فكأن ابصاركم كمه وانتم لا تبصرون لله انتم
ما انتم الا اسد الشرى فى الدعة وثعالب رواغة حين تدعون الى البأس ما انتم لى بثقة سجيس
الليالى ما انتم بركب يصال به لعمر الله لبئس حشاش الحرب انتم انكم تكادون ولا تكيدون
وينتقص اطرافكم وانتم لا تتحاشون ولا تنام عينكم وانتم فى غفلة ساهون ثم قال اما بعد فان
لى عليكم حقا وان لكم على حقا فاما حقكم على فالنصيحة لكم ما صحبتكم وتوفير فيئكم
عليكم وتعليمكم كى لا تجهلوا وتأديبكم كى تعلموا واما حقى عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لى فى

المقام بدار الحرب لان أكثر الغزاة الذين كانوا معه التركمان يأتونه بجراب دقيق وقديد شاة فيعجل العود قبل ان
تقضى ازوادهم ثم توفى
ايلغازى بن ارتق فى رمضان
سنة ست عشرة وخمسمائة
ثم تولى بعده ولده الذى بحلب
(حسام الدين تمرتاش)
وملك ابنه سليمان ميافارقين
الى أن جاء الافرنج وحاصروا
حلب وبنوا عليها المساكن
وطال الحصار وقلت الاقوات
واضطرب أهل البلد وظهر
لهم العجز من صاحبها ولم
يكن فى الوقت أقوى من
البرسقى صاحب الموصل ولا
أكثر جمعا فاستدعوه
ليدافع عنهم الافرنج
ويملكوه البلد فلما اشرف
على الافرنج ارتحلوا عائدين
الى بلادهم فخرج أهل البلد
فتلقوا البرسقى فدخل حلب
ولم تزل بيده الى أن هلك
وملكها ابنه (عز الدين) ثم
هلك فولى السلطان عليها
(محمود نور الدين) ورجع
تمرتاش الى ماردين واستمر
بها وكان ملك ميافارقين قد
صار لحسام الدين تمرتاش ولم
يزل تمرتاش ملكا بماردين
الى أن هلك سنة سبع
وأربعين وخمسمائة وكانت
مدة ملكه احدى وثلاثين
سنة وملك مكانه بماردين
ابنه (البى بن تمرتاش)
وبقى ملكا عليها الى ان مات
وولى بعده ابنه (ايلغازى
ابن البى) الى أن مات أيضا ولما توفى قام بالامر بعده (يولق) وكان بينه وبين بنى أيوب ملوك مصر حروب كثيرة الى أن هلك فلك

المغيب والمشهد والاجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم فان يرد الله بكم خيرا تنزعوا عما أكره وترجعوا الى ما أحب تنالوا ما تطلبون وتدركوا ما تأملون

(ذكر عدة حوادث)

قيل وحج بالناس هذه السنة عبيد الله بن عباس وكان عامل علي على اليمن وكان على مكة والطائف قثم بن العباس وكان على المدينة سهل بن حنيف وقيل تمام بن العباس وكان على البصرة عبد الله بن عباس وعلى مصر محمد بن أبي بكر ولما سار علي الى صفين استخلف على الكوفة أبا مسعود الانصاري وكان على خراسان خليد بن قرة اليربوعي وكان بالشام معاوية ابن ابي سفيان وفيها قتل حازم بن أبي حازم أخو قيس الاحمسي البجلي بصفين مع علي وفيها مات خباب بن الارت شهد بدرا وما بعدها وشهد صفين مع علي والنهروان وقيل لم يشهدها كان مريضا ومات قبل قدوم علي الى الكوفة وقد تقدم ذكره وقيل مات سنة تسع وثلاثين وكان عمره ثلاثا وستين سنة وفيها قتل أبو الهيثم بن التيهان بصفين مع علي وقيل عاش بعدها يسيرا وقتل بها أخوه عبيد بن التيهان وكان أبو الهيثم أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة في قول وهو بدري وفيها قتل يعلى بن منية وهي أمه واسم أبيه أمية التميمي وهو ابن أخت عتبة بن غزوان وقيل ابن عمته وكان قد شهد الجمل مع عائشة ثم شهد صفين مع علي فقتل بها وكان اسلامه يوم الفتح وشهد حنينا وقتل بصفين مع علي أبو عمرة الانصاري الانصاري والد عبد الرحمن وهو أيضا بدري وفيها قتل أبو فضالة الانصاري في قول وهو بدري وفيها توفي سهل ابن حنيف الانصاري في قول وهو بدري وشهد مع علي حروبه وتوفي بها صهيب بن سنان وصفوان بن بيضاء وهو بدري وفي هذه السنة توفي عبد الله بن سعد بن أبي سرح بعسقلان فجأة وهو في الصلاة وكره الخروج مع معاوية الى صفين وقيل شهدها ولا يصح

(ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين)

(ذكر ملك عمرو بن العاص مصر وقتل محمد بن أبي بكر الصديق)

في هذه السنة قتل محمد بن أبي بكر الصديق بمصر وهو عامل علي عليها وقد ذكرنا سبب توليته على اياه مصر وعزل قيس بن سعد ودخوله مصر وانفاذه ابن مضاهم الكلبي الى أهل خربتا فلما مضى ابن مضاهم اليهم قتلوه وخرج معاوية بن حديج السكوني وطلب بدم عثمان ودعا اليه فاجابه ناس وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر فبلغ ذلك عليا فقال ما لمصر الا أحد الرجلين صاحبنا الذي عزلنا يعني قيسا او الاشتر وكان الاشتر قد عاد بعد صفين الى عمله بالجزيرة وقال علي لقيس اقم عندي على شرطتي حتى تنقضي الحكومة ثم تسير الى أذربيجان فلما بلغ عليا أمر مصر كتب الى الاشتر وهو بنصيبين يستدعيه فحضر عنده فاخبره خبر أهل مصر وقال ليس لها غيرك فاخرج اليها فاني لو لم أوصك اكتفيت برأيك واستعن بالله واخلط الشدة باللين وارفق ما كان الرفق ابلغ وتشدد حين لا يغني الا الشدة فخرج الاشتر يتجهز الى مصر وأتت معاوية عيونه بذلك فعظم عليه وكان قد طمع في مصر فعلم ان الاشتر ان قدمها كان اشد عليه من محمد بن ابي بكر فبعث معاوية الى المقدم على اهل الخراج بالقلزم وقال له ان الاشتر قد ولي مصر فان كفيتنيه لم

بعده اخوه (ارتق ارسلان بن قطب الدين ايلغازى) مدة ثم هلك وتولى بعده ابنه (السعيد نجم الدين غازى) وتوفى فى سنة ثمان وخمسين وستمائة وملك بعده أخوه (قره ارسلان بن ارتق) فلما هلك ملك بعده (شمس الدين داود) فاقام سنة ثم هلك وملك بعده اخوه (المنصور نجم الدين غازى بن قره ارسلان) الى ان توفى فى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة وملك بعده ابنه (الصالح شمس الدين ابن صالح) الى ان توفى لاربع وخمسين من ملكه وملك بعده ابنه (المنصور احمد) الى ان توفى فى سنة تسع وستين وسبعمائة لثلاث سنين من ملكه وملك بعده ابنه (الصالح محمود) اربعة اشهر وخلعه عمه المظفر فخر الدين وملك بعده ابنه (مجد الدين عيسى) وهو آخر من تولى ماردين من هذه الطائفة واستولى عليها الملك هلاكو

(الباب السابع والثلاثون في ذكر دولة الاتابكية واوصافهم الحسنة الزكية)

ذكر في الدول الاسلامية ان اول هذه الطائفة (قسيم الدولة آق سنقر) كان مملوكا للسلطان ملك شاه السلجوقى ولما ملك اخوه تاج الدولة تتش بن الب ارسلان السلجوقى مدينة حلب فى سنة ثمان وسبعين واربعمائة استنابه فيها فعصى عليه بعد ذلك وجرى بينهما حروب آلت الى اسر آق سنقر وقتله فدفن بمدرسته المعروفة آخذ

آخذ منك خراجا ما بقيت وبقيت فخرج الحابسات حتى أتى القلزم وأقام به وخرج الأشتر من العراق الى مصر فلما انتهى الى القلزم استقبله ذلك الرجل فعرض عليه النزول فنزل عنده فأتاه بطعام فلما أكل أتاه بشربة من عسل قد جعل فيه سما فسقاه اياه فلما شربها مات وأقبل معاوية يقول لأهل الشام ان عليا قد وجه الأشتر الى مصر فادعوا الله عليه فكانوا يدعون الله عليه كل يوم وأقبل الذي سقاه الى معاوية فأخبره بهلاك الأشتر فقام معاوية خطيبا ثم قال أما بعد فانه كانت لعلي يمينان فقطعت احداهما بصفين يعني عمار بن ياسر وقطعت الأخرى اليوم يعني الأشتر فلما بلغ عليا موته قال لليدين وللفم وكان قد ثقل عليه لأشياء نقلت عنه وقيل انه لما بلغه قتله قال انا لله وانا اليه راجعون مالك وما مالك وهل موجود مثل ذلك لو كان من حديد لكان قيدا أو من حجر لكان صلدا على مثله فلتبك البواكي وهذا أصح لأنه لو كان كارها له لم يوله مصر وكان الأشتر قد روى الحديث عن عمر وعلي وخالد بن الوليد وأبي ذر وروى عنه جماعة وقال أحمد بن صالح كان ثقة قيل ولما بلغ محمد بن أبي بكر انفاذ الأشتر شق عليه فكتب اليه علي أما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريحي الأشتر الى عملك واني لم أفعل ذلك الا استبطاء لك في الجهاد ولا ازديادا مني لك في الجد ولو نزعت ما تحت يدك لوليتك ما هو أيسر عليك مؤنة منه وأعجب اليك ولاية ان الرجل الذي كنت وليته أمر مصر كان لنا نصيحا وعلى عدونا شديدا وقد استكمل أيامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون فرضي الله عنه وضاعف له الثواب اصبر لعدوك وشمر للحرب وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفك ما أهمك ويعنك على ما ولاك وكتب اليه محمد أما بعد فقد انتهى الي كتابك وفهمته وليس أحد من الناس أرضى برأي أمير المؤمنين ولا أجهد على عدوه ولا أرأف بوليه مني وقد خرجت فعسكرت وأمنت الناس الا من نصب لنا حربا وأظهر لنا خلافا وأنا متبع أمر أمير المؤمنين وحافظه والسلام وقيل انما تولى الأشتر مصر بعد قتل محمد بن أبي بكر وكان أهل الشام ينتظرون بعد صفين أمر الحكمين فلما تفرقا بايع أهل الشام معاوية بالخلافة ولم يزدد الا قوة واختلف الناس بالعراق على علي فما كان لمعاوية هم الا مصر وكان يهاب أهلها لقربهم منه وشدتهم على من كان على رأي عثمان وكان يرجو أنه اذا ظهر عليها ظهر على حرب علي لعظم خراجها فدعا معاوية عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وبسر بن أبي أرطاة والضحاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد وأبا الأعور السلمي وشرحبيل بن السمط الكندي فقال لهم أتدرون لم جمعتكم فاني جمعتكم لأمر لي مهم فقالوا لم يطلع الله على الغيب أحدا وما نعلم ما تريد فقال عمرو بن العاص دعوتنا لتسألنا عن رأينا في مصر فان كنت جمعتنا لذلك فاعزم واصبر فنعم الرأي رأيت في افتتاحها فان فيه عزك وعز أصحابك وكبت عدوك وذل أهل الشقاق عليك فقال معاوية أهمك يا ابن العاص ما أهمك وذلك ان عمرا كان صالح معاوية على قتال علي على أن له مصر طعمة ما بقي وأقبل معاوية على أصحابه وقال أصاب أبو عبد الله فما ترون فقالوا ما نرى الا ما رأى عمرو قال فكيف أصنع فان عمرا لم يفسر كيف أصنع فقال عمرو أرى أن تبعث جيشا كثيفا عليهم رجل حازم صابر صارم تأمنه وتثق به فيأتي مصر فانه سيأتيه من كان على مثل رأينا فيظاهره على عدونا فان اجتمع جندك

بالزجاجية داخل شراب وكان حسن السياسة كثير العدل وكانت بلاده آمنة وللمات نشأ ولده الأكبر (عماد الدين زنكي) في ظل الدولة السلجوقية فشب مرموقا بعين النجدة وكان شديد الهيبة عظيم السياسة وكان أشجع خلق الله تعالى ثم كان له في خدمة السلطان محمود عند حربه مع أخيه مسعود مقامات جليلة فاختصه السلطان وأضاف اليه شحنكية بغداد وولاية واسط مضافا الى الموصل وذلك في سنة احدى وعشرين وخمسمائة وسلم اليه ولده فروخ شاه المعروف بالخفاجي ليربيه ولهذا قيل له أتابك وهو الذي يربي أولاد الملوك ثم سار في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة الى مدينة حلب وملك في طريقه منبجا من يد حسان وتلقاه أهل حلب واستولى عليها وأقطع أعمالها للأمراء والأجناد ثم قبض على صاحب حلب الأمير تطلع فخنقه فمات ثم استولى على مدينة حماه وحمص وبعلبك وحاصر دمشق فلم يملكها ثم توجه لفتح قلعة جعبر فحاصرها فأصبح مقتولا على فراشه قتله بعض خواصه فدفن بالرقة وعمره ستون سنة فاستولى بعده ابنه (سيف الدين) على الموصل وابنه الآخر (نور الدين الشهيد محمود) على حلب ثم توفي سيف الدين وتولى مكانه أخوه قطب الدين مودود على الموصل وكان نور الدين المذكور معتدل القامة أسمر اللون

ومن بها على رأينا رجوت ان ينصرك الله قال معاوية ارى أن نكاتب من بها من شيعتنا فنمنيهم ونأمرهم بالثبات ونكاتب من بها من عدونا فندعوهم الى صلحنا ونمنيهم شكرنا ونخوفهم حربنا فان كان ما اردنا بغير قتال فذاك الذي اردنا والا كان حربهم من بعد ذلك انك يا ابن العاص بورك لك في الشدة والعجلة وانا بورك لي في التؤدة قال عمرو افعل ما ترى فما أرى أمرنا يصير الا الى الحرب فكتب معاوية الى مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج السكوني وكانا قد خالفا عليا يشكرهما على ذلك ويحثهما على الطلب بدم عثمان ويعدهما المواساة في سلطانه وبعثه مع مولاه سبيع فلما وقفا عليه اجاب مسلمة بن مخلد الانصاري عن نفسه وعن ابن حديج أما بعد فان الامر الذي بذلنا له انفسنا واتبعنا به امر الله امر نرجو به ثواب ربنا والنصر على من خالفنا وتعجيل النقمة على من سعى على امامنا وأما ما ذكرت من المواساة في سلطانك فوالله ان ذلك أمر ماله نهضنا ولا اياه اردنا فعجل الينا بخيلك ورجلك فان عدونا قد أصبحوا لنا هائبين فان يأتنا مدد يفتح الله عليك والسلام فجاءه الكتاب وهو بفلسطين فدعا أولئك النفر وقال لهم ما ترون قالوا نرى ان تبعث جندا فأمر عمرو بن العاص ليتجهز اليها وبعث معه ستة آلاف رجل ووصاه بالتؤدة وترك العجلة وسار عمرو فنزل اداني أرض مصر فاجتمعت اليه العثمانية فاقام بهم وكتب الى محمد بن ابي بكر أما بعد فتنح عني بدمك يا ابن ابي بكر فاني لا أحب أن يصيبك مني ظفر ان الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك وهم مسلموك فاخرج منها اني لك من الناصحين وبعث معه كتاب معاوية في المعنى أيضا ويتهدده بقصده حصار عثمان فارسل محمد الكتابين الى علي ويخبره بنزول عمرو بارض مصر وانه رأى التثاقل ممن عنده ويستمده فكتب اليه علي يأمره ان يضم شيعته اليه ويعده انفاذ الجيوش اليه ويأمره بالصبر لعدوه وقتاله وقام محمد بن أبي بكر في الناس وندبهم الى الخروج الى عدوهم مع كنانة بن بشر فانتدب معه الفان وخرج محمد بن ابي بكر بعده في الفين وكنانة على مقدمته واقبل عمرو نحو كنانة فلما دنا منه سرح الكتائب كتيبة بعد كتيبة فجعل كنانة لا تأتيه كتيبة الا حمل عليها فالحقها بعمرو ابن العاص فلما رأى ذلك بعث الى معاوية بن حديج فأتاه في مثل الدهم فاحاطوا بكنانة واصحابه واجتمع اهل الشام عليهم من كل جانب فلما رأى ذلك كنانة نزل عن فرسه ونزل معه اصحابه فضاربهم بسيفه حتى استشهد وبلغ قتله محمد بن ابي بكر فتفرق عنه اصحابه واقبل نحوه عمرو وما بقي معه احد فخرج محمد يمشي في الطريق فانتهى الى خربة في ناحية الطريق فأوى اليها وسار عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد بن أبي بكر فانتهى الى جماعة على قارعة الطريق فسألهم عنه فقال أحدهم دخلت تلك الخربة فرأيت فيها رجلا جالسا فقال ابن حديج هو هو فدخلوا عليه فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشا وأقبلوا به نحو الفسطاط فوثب أخوه عبد الرحمن بن ابي بكر الى عمرو بن العاص وكان في جنده وقال اتقتل اخي صبرا ابعث الى ابن حديج فانهه عنه فبعث اليه يأمره ان يأتيه بمحمد فقال قتلتم كنانة بن بشر واخلي انا محمدا أكفاركم خير من أولئكم ام لكم براءة في الزبر هيهات هيهات فقال لهم محمد بن ابي بكر اسقوني ماء فقال له معاوية بن حديج لا سقاني الله ان سقيتك قطرة ابدا انكم منعتم عثمان شرب الماء والله لاقتلنك حتى يسقيك الله من الحميم والغساق فقال له محمد يا ابن

اليهودية

واسع الجبهة حسن الصورة لحيته شعرات في حنكه وكان مولده يوم الاحد سابع عشر شوال سنة احدى عشرة وخمسمائة بمدينة حلب ونشأ على الخير والصلاح والعبادة وكان ملكا زاهدا حنفي المذهب عابدا عادلا مستمسكا بالشريعة وكان مغرما بالجهاد في سبيل الله فتح نيفا وخمسين حصنا وملك دمشق وضبط امورها وعمر بها البيمارستان المشهور ودار الحديث وأبطل المكوس وكانت الفرنج تملكت سواحل الشام الى عسقلان ثم طمعوا في ملك دمشق وكان اهلها يؤدون الضريبة للافرنج فلما بلغ ذلك نور الدين الشهيد تجرد لطلب دمشق ولجهاد الافرنج فعمل الحيلة وارسل الى صاحبها مجير الدين آبق بن طغتكين واستماله وواصله بالهدايا والتحف حتى اعتمد عليه ووثق به فكان يغريه بالرجال الذين يجد بهم القوة على المدافعة واحدا بعد واحد ويرسل يقول له ان فلانا كاتبني في تسليم دمشق فيصدق كلامه ويقتله مجير الدين حتى قتل جميع من هو شديد من أمرائه فسار حينئذ نور الدين الى دمشق بعد ان كاتب الامراء الاحداث الذين استمالهم فوعدوه فلما علم ذلك مجير الدين راسل الافرنج في نصرته على نور الدين على أن يعطيهم بعلبك فأجابوه الى ذلك وشرعوا في الحشد فسبقهم نور الدين

اليهودية النساجة ليس ذلك اليك انما ذلك الى الله يبقى اولياءه ويظمي اعداءه انت وامثالك اما والله لو كان سيفي بيدي ما بلغتم مني هذا ثم قال له اتدري ما اصنع بك ادخلك جوف حمار ثم احرقه عليك بالنار فقال محمد ان فعلت بي ذلك فطالما افعلتم ذلك باولياء الله واني لارجو أن يجعلها عليك وعلى اوليائك ومعاوية وعمرو نارا تلظى كلما خبت زادها الله سعيرا فغضب منه وقتله ثم القاه في جيفة حمار ثم احرقه بالنار فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعا شديدا وقنتت في دبر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو واخذت عيال محمد اليها فكان القاسم بن محمد بن ابي بكر في عيالهم ولم تأكل من ذلك الوقت شواء حتى توفيت وقد قيل ان محمدا قاتل عمرا ومن معه قتالا شديدا فقتل كنانة وانهزم محمد واختبأ عند جبلة بن مسروق فدل عليه معاوية بن حديج فاحاط به فخرج محمد فقاتل حتى قتل واما علي فلما جاءه كتاب محمد بن أبي بكر فاجابه عنه ووعده المدد وقام في الناس خطيبا واخبرهم خبر مصر وقصد عمرو اياها وندبهم الى انجادهم وحثهم على ذلك وقال اخرجوا بنا الى الجرعة وهي بين الكوفة والحيرة فلما كان الغد خرج الى الجرعة فنزلها بكرة واقام بها حتى انتصف النهار فلم يأته احد فرجع فلما كان العشي استدعى اشراف الناس وهو كئيب فقال الحمد لله على ما قضى من امره وقدر من فعله وابتلاني بكم أيتها الفرقة التي لا تطيع اذا أمرت ولا تجيب اذا دعوت لا ابا لغيركم ما تنتظرون بصبركم والجهاد على حقكم فوالله لئن جاء الموت وليأتيني ليفرقن بيني وبينكم وانا لصحبتكم قال وبكم غير كثير المدد انتم أما دين يجمعكم ولا حمية تحميكم اذا انتم سمعتم بعدو كم ينتقص بلادكم ويشن الغارة عليكم أوليس عجيبا ان معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة في السنة المرة والمرتين والثلاث الى أي وجه شاء وانا ادعوكم وانتم أولوا النهى وبقية الناس على العطاء والمعونة فتتفرقون عني تعصونني وتختلفون علي فقام كعب بن مالك الارحبي وقال يا أمير المؤمنين اندب الناس لهذا اليوم كنت أذخر نفسي ثم قال أيها الناس اتقوا الله واجيبوا امامكم وانصروا دعوته وقاتلوا عدوه وانا اسير اليه فخرج معه الفان فقال له سر فوالله ما أظنك تدركهم حتى ينقضي امرهم فسار بهم خمسا ثم ان الحجاج بن غزية الانصاري قدم من مصر فاخبره بقتل محمد بن ابي بكر وكان معه وقدم عليه عبد الرحمن بن شبيب الفزاري من الشام وكان عينه هناك فاخبره ان البشارة من عمرو وردت بقتل محمد وملك مصر وسرور اهل الشام بقتله فقال علي اما ان حزننا عليه بقدر سرورهم به لا بل يزيد اضعافا فارسل علي فاعاد الجيش الذي نفذهم وقام في الناس خطيبا وقال الا ان مصر قد افتتحها الفجرة اولوا الجور والظلمة الذين صدوا عن سبيل الله وبغوا الاسلام عوجا الا وان محمد بن ابي بكر استشهد فعند الله نحتسبه أما والله ان كان كما علمت لممن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويبغض شكل الفاجر ويحب هدى المؤمن اني والله ما ألوم نفسي على تقصير واني لمقاساة الحروب لجدير خبير واني لاتقدم على الامر واعرف وجه الحزم واقوم فيكم بالرأي المصيب واستصرخكم معلنا واناديكم نداء المستغيث فلا تسمعون لي قولا ولا تطيعون لي امرا حتى تصير بي الامور الى عواقب المساءة فانتم القوم لا يدرك بكم الثار ولا تنقض بكم الاوتار دعوتكم الى غياث اخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة فتجرجرتم جرجرة الجمل الاشدق وتثاقلتم الى الارض تثاقل من ليست له نية في

الى دمشق فثار الامراء الذين كاتبهم وفتحوا له الباب الشرقي فدخل منه وملكها واعتصم مجير الدين بالقلعة فراسله بالنزول عنها فنزل وعوضه عن دمشق مدينة حمص فسار اليها ثم عوضه عن حمص نابلس فلم يرضها وسار الى بغداد وسكن فيها الى أن توفي ولنور الدين الشهيد وقائع وحروب مع الافرنج وكان قد اتسع ملكه حتى خطب له بالحرمين وباليمن وكان قد شرع لاخذ مصر من السلطان صلاح الدين ابن أيوب وكفاه منقبة ما ذكره صاحب خلاصة الوفا في اخبار دار المصطفى ان السلطان المذكور رأى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في ليلة واحدة وهو يقول في كل مرة يا محمود أنقذني من هذين الشخصين وهما أشقران تجاهه فاحضر وزيره قبل الصبح فذكر ذلك له فقال هذا أمر حدث بالمدينة النبوية ليس له غيرك فتجهز بمقدار ألف راحلة وما يتبعها حتى دخل المدينة على حين غفلة من اهلها ثم ذكر قضية الصدقة وانه لم يبق الا رجلان مجاوران من اهل الاندلس نازلان في الرباط التي قبلة حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فجدوا في طلبهما فلما رآهما قال للوزير هما هذان فسألهما عن حالهما فقالا جئنا للمجاورة فقال لهما اصدقاني وعاقبهما فاقرا انهما من النصارى وأنهما وصلا لكي ينقلان من بالحجرة الشريفة باتفاق من

جهاد العدو ولا لاكتساب الاجر ثم خرج الي منكم جنيد متذائب كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون فاف لكم ثم نزل (معاوية بن حديج بضم الحاء وفتح الدال المهملتين جارية بن قدامة بالجيم وفي آخره ياء تحتيها نقطتان بسر بن ابي ارطاة بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة)

﴿ذكر ارسال معاوية عبد الله بن الحضرمي الى البصرة﴾

في هذه السنة بعد مقتل محمد بن ابي بكر واستيلاء عمرو بن العاص على مصر سير معاوية عبد الله ابن الحضرمي الى البصرة وقال له ان جل اهلها يرون رأينا في عثمان وقد قتلوا في الطلب بدمه فهم لذلك حنقون يودون أن يأتيهم من يجمعهم وينهض بهم في الطلب بثارهم ودم امامهم فانزل في مضر وتودد الازد فانهم كلهم معك ودع ربيعة فلن ينحرف عنك احد سواهم لانهم كلهم ترابية فاحذرهم فسار ابن الحضرمي حتى قدم البصرة وكان ابن عباس قد خرج الى علي بالكوفة واستخلف زياد بن ابيه على البصرة فلما وصل ابن الحضرمي الى البصرة نزل في بني تميم فاتاه العثمانية فسلموا عليه وحضره غيرهم فخطبهم وقال ان عثمان امامكم امام الهدى قتل مظلوما قتله علي فطلبتم بدمه فجزاكم الله خيرا فقام الضحاك بن قيس الهلالي وكان على شرطة ابن عباس فقال قبح الله ما جئتنا به وما تدعونا اليه أتيتنا والله بمثل ما أتانا به طلحة والزبير اتيانا وقد بايعنا عليا واستقامت امورنا فحملانا على الفرقة حتى ضرب بعضنا بعضا ونحن الآن مجتمعون على بيعته وقد أقال العثرة وعفا عن المسيء أفتأمرنا ان ننتضي اسيافنا ويضرب بعضنا بعضا ليكون معاوية اميرا والله ليوم من ايام علي خير من معاوية وآل معاوية فقام عبد الله بن خازم السلمي فقال للضحاك اسكت فلست باهل ان تتكلم ثم اقبل على ابن الحضرمي فقال نحن انصارك ويدك والقول قولك فاقرأ كتابك فاخرج كتاب معاوية اليهم يذكرهم فيه آثار عثمان فيهم وحبه العافية وسده ثغورهم ويذكر قتله ويدعوهم الى الطلب بدمه ويضمن انه يعمل فيهم بالسنة ويعطيهم عطاءين في السنة فلما فرغ من قراءته قام الاحنف فقال لا ناقتي في هذا ولا جملي واعتزل القوم وقام عمرو بن مرحوم العبدي فقال أيها الناس الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا تنكثوا بيعتكم فتقع بكم الواقعة وكان عباس بن صحار العبدي مخالفا لقومه في حب علي فقام وقال لننصرنك بايدينا والسنتنا فقال له المثنى بن مخربة العبدي والله لئن لم ترجع الى مكانك الذي جئتنا منه لنجاهدنك باسيافنا ورماحنا ولا يغرنك هذا الذي يتكلم يعني ابن صحار فقال ابن الحضرمي لصبرة بن شيمان أنت ناب من انياب العرب فانصرني فقال لو نزلت في داري لنصرتك فلما رأى زياد ذلك خاف فاستدعى حضين بن المنذر ومالك بن مسمع فقال انتم يا معشر بكر بن وائل انصار أمير المؤمنين وثقاته وقد كان من ابن الحضرمي ما ترون واتاه من اتاه فامنعوني حتى يأتيني أمر امير المؤمنين فقال حضين بن المنذر نعم وقال مالك وكان رأيه مائلا الى بني أمية هذا امر لي فيه شركاء استشير فيه وانظر فلما رأى زياد تثاقل مالك خاف ان تختلف عليه ربيعة فارسل الى صبرة بن شيمان الحداني الازدي يطلب ان يجيره وبيت مال المسلمين فقال ان حملته الى داري أجرتكما فنقله الى داره بالحدان ونقل المنبر أيضا فكان يصلي الجمعة بمسجد الحدان ويطعم الطعام فقال زياد لجابر بن وهب الراسبي يا أبا محمد اني لا ارى ابن الحضرمي

ملوكهما ووجدهما قد حفرا تحت الارض من تحت حائط المسجد القبلي لجهة الحجرة الشريفة ويجعلان التراب في بئر عندهما في الرباط وقيل كانا يجعلان التراب في محفظتهما ويخرجان يلقيانه في الخارج فضرب اعناقهما عند الشباك الذي شرقي الحجرة خارج المسجد ثم احرقا بالنار وركب راجعا الى الشام بعد ان حفر خندقا حول الحجرة الشريفة وسكب فيه الرصاص والنحاس واستحفظه غاية الاحتفاظ ومحاسن هذا السلطان اجل أن تحصى وتحصر فمن اراد الوقوف على مناقبه فعليه بالكواكب الدرية في السيرة النورية توفي رحمه الله نهار الاربعاء حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة بقلعة دمشق من علة الخوانيق ثم نقل الى تربته التي انشأها بقرب سوق الخواصين وكانت مدة ملكه ثمانيا وعشرين سنة ولما توفي اجتمع الامراء واهل الدولة بدمشق وبايعوا ابنه (الملك الصالح اسمعيل) وهو ابن احدى عشرة سنة وأطاعه الناس وكانوا يرجعون في جميع امورهم الى الملك صلاح الدين بن ايوب صاحب مصر ثم بعد ذلك اختلفت الآراء وظهرت الشرور وكثرت الجور وعزم الافرنج على قصد دمشق وانتزاعها من أيدي المسلمين فلما بلغ ذلك السلطان صلاح الدين سار من مصر لحفظ

يكف

يكف واراه سيقاتلكم ولا ادرى ما عندا صحابه فانظر ما عندهم فلما صلى زياد جلس فى المسجد واجتمع الناس اليه فقال جابر يامعشر الازد ان تميما تزعم انهم هم الناس وانهم اصبر منكم عند البأس وقد بلغنى انهم يريدون أن يسيروا اليكم ويأخذوا جاركم ويخرجوه قسرا فكيف انتم اذا فعلوا ذلك وقد اجرتموه وبيت مال المسلمين فقال صبرة بن شيمان وكان مفخما ان جاء الاحنف جئت وان جاء حماتهم جئت وان جاء شبابهم ففينا شباب وكتب زياد الى على بالخبر فارسل على اليه اعين بن ضبيعة المجاشعى ثم التميمى ليفرق قومه عن ابن الحضرمى فان امتنعوا قاتل بمن اطاعه من عصاه وكتب الى زياد يعلمه ذلك فقدم اعين فأتى زيادا فنزل عنده وجمع رجالا واتى قومه ونهض الى ابن الحضرمى ومن معه ودعاهم فشتموه وواقفهم نهاره ثم انصرف عنهم فدخل عليه قوم قيل انهم من الخوارج وقيل وضعهم ابن الحضرمى على قتله وكان معهم فقتلوه غيلة فلما قتل اعين اراد زياد قتالهم فارسلت تميم الى الازد انا لم نعرض لجاركم فما تريدون الى جارنا فكرهت الازد قتالهم وقالوا ان عرضوا لجارنا منعناه وكتب زياد الى على بخبر أعين وقتله فارسل على جارية بن قدامة السعدى وهو من بنى سعد من تميم وبعث معه خمسين رجلا وقيل خمسمائة من تميم وكتب الى زياد بامره بمعونة جارية والاشارة عليه فقدم جارية البصرة فحذره زياد ما اصاب اعين فقام جارية فى الازد فجزاهم خيرا وقال عرفتم الحق اذ جهله غيركم وقرأ كتاب على الى اهل البصرة يوبخهم ويتهددهم ويعنفهم ويتوعدهم بالمسير اليهم والايقاع بهم وقعة تكون وقعة الجمل عندها هباء فقال صبرة بن شيمان سمعا لامير المؤمنين وطاعة نحن حرب لمن حاربه وسلم لمن سالمه وقال ابو صفرة والد المهلب لزياد لو ادركت يوم الجمل ما قاتل قومى أمير المؤمنين وقيل ان ابا صفرة كان توفى فى مسيره الى صفين والله اعلم وسار جارية الى قومه وقرأ عليهم كتاب على ووعدهم فاجابه اكثرهم فسار الى ابن الحضرمى ومعه الازد ومن تبعه من قومه وعلى خيل ابن الحضرمى عبد الله بن خازم السلمى فاقتتلوا ساعة واقبل شريك بن الاعور الحارثى فصار مع جارية فانهزم ابن الحضرمى فتحصن بقصر سنبيل ومعه ابن خازم فأتته امه عجلى وكانت حبشية فامرته بالنزول فأبى فقالت والله لتنزلن او لانزعن ثيابى فنزل ونجا واحرق جارية القصر بمن فيه فهلك ابن الحضرمى وسبعون رجلا معه وعاد زياد الى القصر وكان قصر سنبيل لفارس قديما وصار لسنبيل السعدى وحوله خندق وكان فيمن احترق دارع بن بدر اخو حارثة بن بدر فقال عمرو بن العرندس

ردد نا زيادا الى داره * وجار تميم دخانا ذهب
لحى الله قوما شووا جارهم * ولم يدفعوا عنه حر اللهب

فى أبيات غير هذه وقال جرير

غدرتم بالزبير فما وفيتم * وفاء الازد اذ منعوا زيادا
فأصبح جارهم بنجاة عز * وجار مجاشع امسى رمادا
فلو عاقدت حبل أبى سعيد * لذاد القوم ما حمل النجادا
وادنى الخيل من رهج المنايا * واغشاها الاسنة والصعادا

جارية بن قدامة بالجيم والياء تحتها نقطتان وحارثة بن بدر بالحاء المهملة وبعدها ثاء مثلثة وعبد

دمشق وتربية الملك الصالح لصغر سنه واتفق وقوع الفتنة من اهل السنة

والشيعة فى حلب فتوجه الملك الصالح اليها واقام بها ودخل السلطان صلاح الدين الى دمشق وتسلمها بغير قتال ومنازع وملك حمص وحماة ثم توفى الملك الصالح اسمعيل فى منتصف عام سبعة وسبعين وخمسمائة ولم يعقب فكانت مدة ملكه ثمانى سنين وعهد بالملك لابن عمه (عز الدين مسعود) صاحب الموصل ثم استولى السلطان صلاح الدين على حلب وعوضه عنها سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج ولم يزل فيهم بقية متصرفون على الاماكن المذكورة الى ان وقع التتار بجلال الدين خوارزمشاه فى سنة ثمان وعشرين وستمائة وقتلوه وانقرضت دولة الاتابكية من الشام والجزيرة اجمع كان لم تكن

(الباب الثامن والثلاثون فى ذكر دولة بنى طغتكين بالشام وحسن سيرتهم فى الانام)

ذكر فى تحفة ذوى الالباب ان ابا منصور (طغتكين) كان من رجال تاج الدولة تتش زوجه بام ابنه دقاق وكان معه لما ذهب الى الرى لقتال ابن أخيه بركيارق ورجع الى دمشق بعد قتل تاج الدولة وكان اتابك دقاق مدة ولايته وكان شهما مهابا شديدا على المفسدين وامتدت أيامه الى ان توفى فى سابع صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ودفن بدمشق عند المسجد الجديد قبلى المصلى

ذكر ابن القلانسي ان المصحف العثماني كان حمله عثمان بن عفان رضي الله عنه من المدينة المنورة ووضعه في مسجد طبرية فحمله طغتكين المذكور لما خرج من طبرية ووضعه في الجامع الاموي بدمشق ولما توفي تولى مكانه ولده (تاج الملوك) أبو سعيد بوري بن طغتكين وكانت سيرته حسنة وكان فيه حلم وسماحة ولم يزل بدمشق حتى وثب عليه أعجميان من الباطنية فجرحاه فمات منها في حادي عشري رجب سنة ست وعشرين وخمسمائة وتولى مكانه ولده (شمس الملوك ابو الفتح اسمعيل بن بوري بن طغتكين) وكان مقداما مهابا استرد قلعة بانياس من ايدي الكفار في يومين ثم انه مد يده الى اخذ الاموال وعزم على المصادرات للكتاب والعمال فادخلت عليه امه زمرد مماليكها ليلا فقتلوه بين يديها وهو يستغيث اليها ولما انقضى نحبه جعلته في بساط ملفوف ثم امرت الامراء فدخلوا عليه فرأوه مقتولا قالت انظروا الى سلطانكم وما حل به لظلمه للناس ثم احضرت ابنه (شهاب الدين محمود بن بوري) فعقدت له السلطنة وقامت امه بتدبير المملكة الى ان خطبها وتزوجها الاتابك ابن زنكي وكانت الامور على السداد الى ان وثب عليه جماعة من خدمه فقتلوه في رابع عشري شوال سنة ثلاث وستين وخمسمائة وتولى الملك بعده ابو المظفر

الله بن خازم بالخاء المعجمة والزاي والمثنى بن مخربة بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وكسر الراء المشددة وآخره باء موحدة

ذكر خبر الخريت بن راشد وبني ناجية

قيل وفي هذه السنة اظهر الخريت بن راشد الناجي الخلاف على علي وجاء الى امير المؤمنين وكان معه ثلاثمائة من بني ناجية خرجوا مع علي من البصرة فشهدوا معه الجمل وصفين وأقاموا معه بالكوفة الى هذا الوقت فحضر عنده علي في ثلاثين راكبا فقال له يا علي والله لا اطيع أمرك ولا اصلي خلفك واني غدا مفارق لك وذلك بعد تحكيم الحكمين فقال له ثكلتك امك اذا تعصي ربك وتنكث عهدك ولا تضر الا نفسك خبرني لم تفعل ذلك فقال لانك حكمت وضعفت عن الحق وركنت الى القوم الذين ظلموا فانا عليك زار وعليهم ناقم ولكم جميعا مباين فقال له علي هلم اداراسك الكتاب واناظرك في السنن وافاتحك أمورا أنا أعلم بها منك فلعلك تعرف ما انت له الآن منكر قال فاني عائد اليك قال لا يستهوينك الشيطان ولا يستخفنك الجهال والله لئن استرشدتني وقبلت مني لاهدينك سبيل الرشاد فخرج من عنده منصرفا الى اهله وسار من ليلته هو واصحابه فلما سمع بمسيرهم علي قال بعدا لهم كما بعدت ثمود ان الشيطان اليوم استهواهم واضلهم وهو غدا متبرئ منهم فقال له زياد بن خصفة البكري يا امير المؤمنين انه لم يعظم علينا فقدهم فنأسى عليهم انهم قلما يزيدون في عددنا لو أقاموا ولقلما ينقصون من عددنا بخروجهم عنا ولكنا نخاف ان يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليك من اهل طاعتك فأذن لي في اتباعهم حتى اردهم عليك فقال اتدري اين توجهوا قال لا ولكني اسأل واتبع الاثر فقال له اخرج رحمك الله وانزل دير ابي موسى وأقم حتى يأتيك امري فان كانوا ظاهرين فان عمالي سيكتبون بخبرهم فخرج زياد فأتى داره وجمع اصحابه من بكر بن وائل واعلمهم الخبر فسار معه مائة وثلاثون رجلا فقال حسبي ثم سار حتى اتى دير ابي موسى فنزله يوما ينتظر امر علي وأتى عليا كتاب من قرظة بن كعب الانصاري يخبره أنهم توجهوا نحو نفر وأنهم قتلوا رجلا من الدهاقين كان اسلم فارسل علي الى زياد يأمره باتباعهم ويخبره خبرهم وانهم قتلوا رجلا مسلما ويأمره بردهم اليه فان ابوا يناجزهم وسير الكتاب مع عبد الله بن وال فاستأذنه عبد الله في المسير مع زياد فأذن له وقال له اني لارجو ان تكون من اعواني على الحق وانصاري على القوم الظالمين قال ابن وال فوالله ما أحب أن لي بمقالته تلك حمر النعم وسار بكتاب علي الى زياد وساروا حتى اتوا نفر فقيل انهم ساروا نحو جرجرايا فتبعوا آثارهم حتى أدركوهم بالمذار وهم نزول قد أقاموا يومهم وليلتهم واستراحوا فأتاهم زياد وقد تقطع اصحابه وتعبوا فلما رأوهم ركبوا خيولهم وقال لهم الخريت اخبروني ماتريدون فقال له زياد وكان مجربا رفيقا قد ترى ما بنا من التعب والذي جئناك له لا يصلحه الكلام علانية ولكن ننزل ثم نخلو جميعا فنتذاكر أمرنا فان رأيت ما جئناك به حظا لنفسك قبلته وان رأينا فيما نسمع منك أمرا نرجو فيه العافية لم نرده عليك قال فانزل فنزل زياد واصحابه على ماء هناك وأكلوا شيئا وعلقوا على دوابهم ووقف زياد في خمسة فوارس بين اصحابه وبين القوم وكانوا قد نزلوا أيضا وقال زياد لاصحابه ان عدتنا كعدتهم وأرى امرنا يصير الى القتال فلا تكونوا أعجز الفريقين وخرج زياد الى الخريت

فسمعهم

فسمعهم يقولون جاءنا القوم وهم كالون تعبون فتركناهم حتى استراحوا هذا والله سوء الرأي
فدعاه زياد وقال له ما الذي نقمت على امير المؤمنين وعلينا حتى فارقتنا فقال لم أرض صاحبكم
اماما ولا سيرتكم سيرة فرأيت ان اعتزل وأكون مع من يدعو الى الشورى فقال له زياد وهل
يجتمع الناس على رجل يداني صاحبك الذي فارقته علما بالله وسنته وكتابه مع قرابته من الرسول
صلى الله عليه وسلم وسابقته في الاسلام فقال له ذلك لا أقول لا فقال له زياد ففيم قتلت ذلك
الرجل المسلم فقال له ما انا قتلته وانما قتله طائفة من أصحابي قال فادفعهم الينا قال مالي الى ذلك
سبيل فدعا زياد اصحابه ودعا الخريت اصحابه فاقتتلوا قتالا شديدا تطاعنوا بالرماح حتى لم يبق
رمح وتضاربوا بالسيوف حتى انحنت وعقرت عامة خيولهم وكثرت الجراحة فيهم وقتل من
اصحاب زياد رجلان ومن أولئك خمسة وجاء الليل فحجز بينهما وقد كره بعضهم بعضا وجرح
زياد فسار الخريت من الليل وسار زياد الى البصرة واتاهم خبر الخريت انه اتى الاهواز فنزل
بجانب منها وتلاحق به ناس من اصحابهم فصاروا نحو مائتين فكتب زياد الى علي بخبرهم وانه
مقيم يداوي الجرحى وينتظر امره فلما قرأ علي كتابه قام اليه معقل بن قيس فقال يا أمير المؤمنين
كان ينبغي ان يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كل واحد منهم عشرة فاذا لحقوهم استأصلوهم
وقطعوا دابرهم فأما ان يلقاهم عددهم فلعمري ليصبرن لهم فان العدة تصبر للعدة فقال تجهز
يا معقل اليهم وندب معه الفين من اهل الكوفة منهم يزيد بن المعقل الاسدي وكتب علي الى ابن
عباس يأمره ان يبعث من اهل البصرة رجلا شجاعا معروفا بالصلاح في ألفي رجل الى معقل وهو
امير اصحابه حتى يأتي معقلا فاذا لقيه كان معقل الامير وكتب الى زياد بن خصفة يشكره ويأمره
بالعود واجتمع على الخريت الناجي علوج من اهل الاهواز كثير أرادوا كسر الخراج
واللصوص وطائفة أخرى من العرب ترى رأيه وطمع اهل الخراج في كسره فكسروه واخرجوا
سهل بن حنيف من فارس وكان عاملا لعلي عليها في قول من يزعم انه لم يمت سنة سبع وثلاثين
فقال ابن عباس لعلي انا اكفيك فارس بزياد يعني ابن ابيه فأمره بارساله اليها وتعجيل تسييره
فأرسل زيادا اليها في جمع كثير فوطئ بلاد فارس فأدوا الخراج واستقاموا وسار معقل بن قيس
ووصاه علي فقال له اتق الله ما استطعت ولا تبغ على اهل القبلة ولا تظلم اهل الذمة ولا تتكبر
فان الله لا يحب المتكبرين فقدم معقل الاهواز ينتظر مدد البصرة فابطأ عليه فسار عن
الاهواز يطلب الخريت فلم يسر الا يوما حتى ادركه المدد مع خالد بن معدان الطائي فساروا جميعا
فلحقوهم قريب جبل من جبال رامهرمز فصف معقل أصحابه فجعل على ميمنته يزيد بن المعقل
وعلى ميسرته منجاب بن راشد الضبي من اهل البصرة وصف الخريت أصحابه فجعل من معه من
العرب ميمنة ومن معه من اهل البلد والعلوج ميسرة ومعهم الاكراد وحرض كل واحد منهما
أصحابه وحرك معقل رأسه مرتين ثم حمل في الثالثة فصبروا ساعة ثم انهزموا فقتل أصحاب
معقل منهم سبعين رجلا من بني ناجية ومن معهم من العرب وقتلوا نحوا من ثلاثمائة من
العلوج والاكراد وانهزم الخريت بن راشد فلحق باسياف البحر وبها جماعة كثيرة من قومه
فما زال يسير فيهم ويدعوهم الى خلاف علي ويخبرهم ان الهدى في حربه حتى اتبعه منهم ناس
كثيروا قام معقل بارض الاهواز وكتب الى علي بالفتح فقرأ علي الكتاب على أصحابه

(محمد بن بوري بن طغتكين) وكان ضعيف السيرة ولم تطل مدته فمات في ثامن شعبان سنة اربع وستين وخمسمائة واجلس ابنه (ابق) وكان صغيرا دون البلوغ فقام بتدبيره وتربيته اتابكه معين الدين وكان الاتابك ابن زنكي انما زوج ابنه بأم شهاب الدين المقدم ذكره طمعا في الاستيلاء على دمشق ولم يظفر بما امله فتسلم حمص وقلعتها ثم انه حاصر دمشق ولم ينل منها شيأ فلما أيس عن فتح دمشق احرق المرج والغوطة ونهب ما فيها ورحل عائدا الى بلاده فتوفي واستولى على الملك الاتابكية وانقرضت دولة السلجوقية من الشام والبلاد الفراتية اجمع والله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء من عباده

(الباب التاسع والثلاثون في ذكر دولة بني مرداس اهل الشدة والباس)

ذكر الجناني في تاريخه ان اول من تولى الملك بمدينة حلب وتوابعها من هذه الطائفة (صالح بن مرداس) الكلبي في سنة أربع عشر واربعمائة استخلصه من يد امراء الحاكم بامر الله الفاطمي واستقر في الملك مدة الى أن وصل العسكر من الديار المصرية فوقع الحرب بينهم وانجلى بقتل صالح وتولى مكانه ولده (محمود بن صالح) الى سنة تسع وعشرين واربعمائة فقتل على يد انوشتكين من أمرائهم وتولى مكانه وفي سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة توفي أنوشتكين وتولى

واستشارهم فقالوا كلهم نرى أن تأمر معقلا أن يتبع آثار الفاسق حتى يقتله أو ينفيه فانا لا نأمن ان يفسد عليك الناس فكتب الى معقل يثني عليه وعلى من معه ويأمره باتباعه وقتله او نفيه فسأل معقل عنه فأخبر بمكانه بالاسياف وانه قد رد قومه عن طاعة علي وأفسد من عنده من عبد القيس وسائر العرب وكان قومه قد منعوا الصدقة عام صفين وذلك العام فسار اليهم معقل فاخذ على فارس وانتهى الى اسياف البحر فلما سمع الخريت بمسيره قال لمن معه من الخوارج أنا على رأيكم وان عليا لم ينبغ له أن يحكم وقال للآخرين من أصحابه ان عليا حكم ورضي بخلعه حكمه الذي ارتضاه وهذا كان الرأي الذي خرج عليه من الكوفة واليه كان يذهب وقال سرا للعثمانية أنا والله على رأيكم قد والله قتل عثمان مظلوما فأرضى كل صنف منهم وقال لمن منع الصدقة شدوا أيديكم على صدقاتكم وصلوا بها أرحامكم وكان فيها نصارى كثير قد أسلموا فلما اختلف الناس قالوا والله لديننا الذي خرجنا منه خير من دين هؤلاء لا ينهاهم دينهم عن سفك الدماء فقال لهم الخريت ويحكم لا ينجيكم من القتل الا قتال هؤلاء القوم والصبر فان حكمهم فيمن أسلم ثم ارتد أن يقتل ولا يقبلون منه توبة ولا عذرا فخدعهم جميعهم واتاه من كان من بني ناجية وغيرهم خلق كثير فلما انتهى معقل اليه نصب راية أمان وقال من أتاها من الناس فهو آمن الا الخريت واصحابه الذين حاربونا أول مرة فتفرق عن الخريت جل من كان معه من غير قومه وعبى معقل أصحابه وزحف نحو الخريت ومعه قومه مسلمهم ونصرانيهم ومانع الزكاة منهم فقال الخريت لمن معه قاتلوا عن حريمكم وأولادكم فوالله لئن ظهروا عليكم ليقتلنكم وليسبنكم فقال له رجل من قومه هذا والله ما جرته علينا يداك ولسانك فقال سبق السيف العذل وسار معقل في الناس يحرضهم ويقول أيها الناس ما تريدون أفضل مما سبق لكم من الاجر العظيم ان الله ساقكم الى قوم منعوا الصدقة وارتدوا عن الاسلام ونكثوا البيعة ظلما فأنا شهيد لمن قتل منكم بالجنة ومن بقي منكم فان الله مقر عينه بالفتح ثم حمل معقل وجميع من معه فقاتلوا قتالا شديدا وصبروا له ثم ان النعمان بن صهبان الراسبي بصر بالخريت فحمل عليه فطعنه فصرع عن دابته ثم اختلفا ضربتين فقتله النعمان وقتل معه في المعركة سبعون ومائة رجل وذهب الباقون يمينا وشمالا وسبى معقل من ادرك من حريمهم وذرياتهم وأخذ رجالا كثيرا فأما من كان مسلما فخلاه وأخذ بيعته وترك له عياله وأما من كان ارتد فعرض عليهم الاسلام فرجعوا فخلى سبيلهم وسبيل عيالهم الا شيخا كبيرا نصرانيا منهم يقال له الرماحس لم يسلم فقتله وجمع من منع الصدقة وأخذ منهم صدقة عامين وأما النصارى وعيالهم فاحتملهم مقبلا بهم واقبل المسلمون معهم يشيعونهم فلما ودعوهم بكى الرجال والنساء بعضهم الى بعض حتى رحمهم الناس وكتب معقل الى علي بالفتح ثم أقبل بهم حتى مر على مصقلة ابن هبيرة الشيباني وهو عامل علي على اردشير خره وهم خمسمائة انسان فبكى النساء والصبيان وصاح الرجال يا أبا الفضل يا حامي الرجال ومأوى المعصب وفكاك العناة امنن علينا واشترنا وأعتقنا فقال مصقلة اقسم بالله لاتصدقن عليكم ان الله يجزي المتصدقين فبلغ قوله معقلا فقال والله لو اعلم انه قالها توجعا عليهم وازراء علينا لضربت عنقه ولو كان في ذلك تفاني تميم وبكر ثم ان مصقلة اشتراهم من معقل بخمسمائة الف فقال له معقل عجل المال الى امير المؤمنين

مكانه بحلب (ثمال بن صالح بن مرداس) مدة ثم أقبل ابن ملهم من أمراء مصر وحارب ثمالا واستولى على حلب وتولى مكانه (الظاهر نصر بن صالح) بعد حروب وقعت بينهما وعاد ثمال لحلب بالعساكر المصرية وكان شجاعا قويا فتولى مدة فلما توفي تولى مكانه أخوه (عطية بن صالح) فلم تطل مدته فهرب الى قيصر فمات هناك وتولى مكانه (نصر ابن محمود) فلما توفي تولى مكانه (أحمد بن نصر بن صالح بن مرداس) الى حدود سنة اثنتين وسبعين واربعمائة ثم استولى على الديار الحلبية صاحب الموصل (شرف الدولة مسلم ابن قريش) وبه انقرضت دولة بني مرداس فكانت مدتهم ثمانيا وخمسين سنة

(الباب الاربعون في ذكر دولة آل براق ملوك كرمان اولي الافكار الثاقبة والاذهان)

ذكر اصحاب السير ان آل براق ملكوا كرمان من سنة احدى وعشرين وستمائة الى سنة ست وسبعمائة وكانوا تسعة انفار واول من تولى الملك منهم (براق) وزن صاحب كوخان سلطان الخطا وكان من أمره ان كوخان ارسله الى خوارزمشاه للصلح فاعجبه لحسن تدبيره ورأيه وأبقاه عنده فولاه امارة كرمان فاستمر اميرا على بلاد كرمان اثنتي عشرة سنة وتوفي في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة

فقال انا أبعث الآن بعضه ثم كذلك حتى لا يبقى منه شئ وأقبل معقل الى على فأخبره بما كان منه فاستحسنه وبلغ عليا ان مصقلة اعتق الاسرى ولم يسألهم ان يعينوه بشئ فقال ما اظن مصقلة الا قد تحمل حمالة سترونه عن قريب منها مبلدا وكتب اليه يطلب منه المال او يحضر عنده فحضر عنده وحمل من المال مائتى ألف قال ذهل بن الحرث فاستدعانى ليلة فطعمنا ثم قال ان امير المؤمنين يسألنى هذا المال ولا أقدر عليه فقلت والله لو شئت ما مضت جمعة حتى تحمله فقال والله ما كنت لأحملها قومى اما والله لو كان ابن هند ما طالبنى بها ولو كان ابن عفان لوهبها لى الم تره أطعم الاشعث بن قيس كل سنة من خراج أذربيجان مائة ألف قال فقلت ان هذا لا يرى ذلك الرأى ولا يترك منها شيأ فهرب مصقلة من ليلته فلحق بمعاوية وبلغ عليا ذلك فقال ماله ترحه الله فعل فعل السيد وفر فرار العبد وخان خيانة الفاجر أما انه لو أقام فعجز ما زدنا على حبسه فان وجدنا له شيأ أخذناه والا تركناه ثم سار على الى داره فهدمها واجاز عتق السبي وقال اعتقهم مبتاعهم وصارت اثمانهم دينا على معتقهم وكان أخوه نعيم بن هبيرة شيعة لعلى فكتب اليه مصقلة من الشام مع رجل من نصارى تغلب اسمه حلوان يقول له ان معاوية قد وعدك الامارة والكرامة فاقبل ساعة يلقاك رسولى والسلام فأخذه مالك بن كعب الارحبى فسرحه الى على فقطع يده فمات وكتب نعيم الى مصقلة يقول

لا ترمين هداك الله معترضا * بالظن منك فما بالى وحلوانا
ذاك الحريص على ما نال من طمع * وهو البعيد فلا يحزنك ان خانا
ماذا اردت الى ارساله سفها * ترجو سقاط امرئ لم يلف وسنانا
قد كنت فى منظر عن ذا ومستمع * تحمى العراق وتدعى خير شيبانا
حتى تقحمت امرا كنت تكرهه * للراكبين له سرا واعلانا
عرضته لعلى انه أسد * يمشى العرضنة من آساد خفانا
لو كنت أديت مال القوم مصطبرا * للحق أحييت أحيانا وموتانا
لكن لحقت باهل الشام ملتمسا * فضل ابن هند وذاك الرأى أشجانا
فاليوم تقرع سن العجز من ندم * ماذا تقول وقد كان الذى كانا
أصبحت تبغضك الاحياء قاطبة * لم يرفع الله بالبغضاء انسانا

فلما وقع الكتاب اليه علم أنه قد هلك وأتاه التغلبيون فطلبوا منه دية صاحبهم فوداهم وقال بعض الشعراء فى بنى ناجية

سما لكم بالخيل قودا عوابسا * اخو ثقة ما يبرح الدهر غازيا
فصبحكم فى رجله وخيوله * بضرب ترى منه المدجج هاويا
فأصبحتم من بعد كبر ونخوة * عبيد العصا لا تمنعون الذراريا

وقال مصقلة بن هبيرة

لعمرى لئن عاب أهل العراق * على انتعاش بنى ناجيه
لاعظم من عتقهم رقهم * وكفى بعتقهم عاليه
وزايدت فيهم لاطلاقهم * وغاليت ان العلا غاليه

وتولى مكانه ولده السلطان (ركن الدين مبارك) مدة ثم عزله واستولى على الملك ابن عمه (السلطان قطب الدين) وهو اول من تسلطن من هذه الطائفة وكانوا أمراء من قبل كوخان وكان قطب الدين يميل الى فعل الخيرات والمبرات وكانت مدة مملكته ست سنين وتوفى فى سنة ست وخمسين وستمائة وتولى مكانه ولده (السلطان الحجاج بن قطب الدين) ثلاث عشرة سنة وسار سيرة حسنة وفى سنة تسع وستين وستمائة خاف على نفسه من الخازن وهرب الى السلطان حلى فالتجأ اليه واستمر عنده مقدار عشر سنين فأرسل معه عسكرا الى كرمان ففى اثناء الطريق توفى الحجاج وتولى مكانه اخوه (السلطان سيورغتمش بن قطب الدين) واستمر فى الملك الى سنة احدى وسبعين وستمائة فعزل وولى مكانه (زوجة قطب الدين) مدة ثم قتلها وولى مكانها (السلطان مظفر الدين محمد) فلم يزل فى الملك الى أن توفى فى سنة ثلاث وسبعمائة فتولى مكانه ابن عمه (السلطان قطب الدين شاه جهان) وكان ظالما غاشما جبارا سفاكا عديم الرأى والتدبير وهو آخر من ملك من هذه الطائفة

ذكر أمر الخوارج بعد النهروان

لما قتل أهل النهروان خرج أشرس بن عوف الشيباني على علي بالدسكرة في مائتين ثم سار الى الانبار فوجه اليه علي الابرش بن حسان في ثلثمائة فواقعه فقتل أشرس في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ثم خرج هلال بن علفة من تيم الرباب ومعه أخوه مجالد فأتى ماسبذان فوجه اليه علي معقل بن قيس الرياحي فقتله وقتل أصحابه وهم أكثر من مائتين وكان قتلهم في جمادى الاولى سنة ثمان وثلاثين ثم خرج الاشهب بن بشر وقيل الاشعث وهو من بجيلة في مائة وثمانين رجلا فأتى المعركة التي أصيب فيها هلال وأصحابه فصلى عليهم ودفن من قدر عليه منهم فوجه اليهم علي جارية بن قدامة السعدي وقيل حجر بن عدي فاقبل اليهم الاشهب فاقتتلا بجرجرايا من أرض جوخى فقتل الاشهب وأصحابه في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين ثم خرج سعيد بن قفل التيمي من تيم الله بن ثعلبة في رجب بالبندنيجين ومعه مائتا رجل فأتى درزنجان وهي من المدائن على فرسخين فخرج اليهم سعد بن مسعود فقتلهم في رجب سنة ثمان وثلاثين ثم خرج ابو مريم السعدي التميمي فأتى شهر زور وأكثر من معه من الموالي وقيل لم يكن معه من العرب غير ستة نفر هو أحدهم واجتمع معه مائتا رجل وقيل أربعمائة وعاد حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة فأرسل اليه علي يدعوه الى بيعته ودخول الكوفة فلم يفعل وقال ليس بيننا غير الحرب فبعث اليه علي شريح بن هانئ في سبعمائة فحمل الخوارج على شريح وأصحابه فانكشفوا وبقي شريح في مائتين فانحاز الى قرية فتراجع اليه بعض أصحابه ودخل الباقون الكوفة فخرج علي بنفسه وقدم بين يديه جارية بن قدامة السعدي فدعاهم جارية الى طاعة علي وحذرهم القتل فلم يجيبوا ولحقهم علي أيضا فدعاهم فأبوا عليه وعلى أصحابه فقتلهم أصحاب علي ولم يسلم منهم غير خمسين رجلا استأمنوا فآمنهم وكان في الخوارج أربعون رجلا جرحى فأمر علي بادخالهم الكوفة ومداواتهم حتى برؤا وكان قتلهم في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وكانوا من أشجع من قاتل من الخوارج ولجرأتهم قاربوا الكوفة

ذكر عدة حوادث

وحج بالناس في هذه السنة قثم بن العباس من قبل علي وكان عامله على مكة وكان على اليمن عبيد الله بن عباس وعلى البصرة عبد الله بن عباس وعلى خراسان خليد بن قرة اليربوعي وقيل كان ابن أبزى واما الشام ومصر فكان بهما معاوية وعماله وفي هذه السنة مات صهيب بن سنان في قول بعضهم وكان عمره سبعين سنة ودفن بالبقيع

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

ذكر سرايا اهل الشام الى بلاد امير المؤمنين عليه السلام

وفي هذه السنة فرق معاوية جيوشه في العراق في أطراف علي فوجه النعمان بن بشير في ألف رجل الى عين التمر وفيها مالك بن كعب مسلحة لعلي في ألف رجل وكان مالك قد أذن لاصحابه فأتوا الكوفة ولم يبق معه الا مائة رجل فلما سمع بالنعمان كتب الى أمير المؤمنين يخبره ويستمده فخطب علي الناس وأمرهم بالخروج اليه فتثاقلوا وواقع مالك النعمان وجعل جدار القرية في ظهور أصحابه وكتب مالك الى مخنف بن سليم يستعينه وهو قريب منه واقتتل مالك والنعمان

اشد

وانقرضت دولتهم واستولى على الملك أمراء المغل

(الباب الحادي والاربعون في ذكر دولة غزنة من الغورية حسنى الخصائل والهمم العلية)

ذكر الجنابي ان أصلهم من ترك الخطا سكنوا في جبال الغور فيما وراء النهر وكان ابتداء أمرهم في سنة خمس وأربعين وخمسمائة وانتهاء حالهم في سنة تسع وستمائة وأول من ملك منهم (سيف الدين محمد بن الحسين) تزوج بنت بهرام شاه الغزنوي فلما تحقق قصده له تحيل عليه الى ان أمسكه وقتله وتولى مكانه أخوه (سوري بن الحسين) فسار الى غزنة لطلب ثار أخيه فغلب عليه بهرام شاه وقتله وتولى مكانه أخوه (علاء الدين حسن بن الحسين جهانسوز) وكان ملكا قويا شجاعا فسار الى بهرام شاه لطلب ثار أخويه فلم يقدر على المقاومة وانهزم الى بلاد الهند واستولى مكانه على غزنة (السلطان علاء الدين) واستناب أخاه سيف الدين مكانه وتوجه هو للغور فلما بلغ بهرام شاه ذلك عاد الى غزنة وتولى الملك فلما توفي تولى الملك بعده ولده (خسرو شاه) وبعده عاد (السلطان علاء الدين) وانتزع الملك من يد خسرو شاه

أشد قتال فوجه مخنف ابنه عبد الرحمن فى خمسين رجلا فانتهوا الى مالك وقد كسروا جفون
سيوفهم واستقتلوا فلما رآهم أهل الشام انهزموا عند المساء وظنوا ان لهم مددا وتبعهم مالك
فقتل منهم ثلاثة نفر ولما تثاقل اهل الكوفة عن الخروج الى مالك صعد على المنبر فخطبهم ثم
قال يا أهل الكوفة كلما سمعتم بجمع من أهل الشام أظلكم انجحر كل امرئ منكم فى بيته واغلق
عليه بابه انجحار الضب فى جحره والضبع فى وجارها المغرور من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم
الاخيب لا احرار عند النداء ولا اخوان عند النجاء انا لله وانا اليه راجعون ماذا منيت به
منكم عمى لا يبصرون وبكم لا ينطقون وصم لا يسمعون انا لله وانا اليه راجعون ووجه معاوية
فى هذه السنة ايضا سفيان بن عوف فى ستة آلاف رجل وأمره ان يأتى هيت فيقطعها ثم يأتى
الانبار والمدائن فيوقع بأهلها فأتى هيت فلم يجد بها احدا ثم اتى الانبار وفيها مسلحة لعلى تكون
خمسمائة رجل وقد تفرقوا ولم يبق منهم الا مائتا رجل وكان سبب تفرقهم انه كان عليهم كميل بن
زياد فبلغه ان قوما بقرقيسيا يريدون الغارة على هيت فسار اليهم بغير أمر على فأتى أصحاب
سفيان وكميل غائب عنها فاغضب ذلك عليا على كميل فكتب اليه ينكر ذلك عليه وطمع سفيان
فى اصحاب على لقلتهم فقاتلهم فصبر أصحاب على ثم قتل صاحبهم وهو أشرس بن حسان البكرى
وثلاثون رجلا واحتملوا ما فى الانبار من اموال أهلها ورجعوا الى معاوية وبلغ الخبر عليا
فأرسل فى طلبهم فلم يدركوا وفيها ايضا وجه معاوية عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر
الفزارى فى ألف وسبعمائة رجل الى تيماء وأمره ان يصدق من مر به من أهل البوادى ويقتل
من امتنع ففعل ذلك وبلغ مكة والمدينة وفعل ذلك واجتمع اليه بشر كثير من قومه وبلغ ذلك
عليا فأرسل المسيب بن نجبة الفزارى فى ألفى رجل فلحق عبد الله بتيماء فاقتتلوا حين زالت
الشمس قتالا شديدا وحمل المسيب على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات لا يريد قتله ويقول له
النجاء النجاء فدخل ابن مسعدة وجماعة معه الحصن وهرب الباقون نحو الشام وانتهب
الاعراب ابل الصدقة التى كانت مع ابن مسعدة وحصره ومن معه ثلاثة ايام ثم القى الحطب فى
الباب وحرقه فلما رأوا الهلاك اشرفوا عليه وقالوا يا مسيب قومك فرق لهم وأمر بالنار فاطفئت
وقال لاصحابه قد جاءتنى عيونى فاخبرونى ان جندا قد أتاكم من الشام فقال له عبد الرحمن بن
شبيب سرحنى فى طلبهم فأبى ذلك عليه فقال غششت أمير المؤمنين وداهنت فى أمرهم وفيها
ايضا وجه معاوية الضحاك بن قيس وامره ان يمر بأسفل واقصة ويغير على كل من مر به ممن
هو فى طاعة على من الاعراب وأرسل ثلاثة آلاف رجل معه فسار الناس وأخذ الاموال
ومضى الى الثعلبية وقتل وأغار على مسلحة على وانتهى الى القطقطانة فلما بلغ ذلك عليا أرسل
اليه حجر بن عدى فى أربعة آلاف واعطاهم خمسين درهما فلحق الضحاك بتدمر
فقتل منهم تسعة عشر رجلا وقتل من أصحابه رجلان وحجز بينهما الليل فهرب الضحاك
وأصحابه ورجع حجر ومن معه وفى هذه السنة سار معاوية بنفسه حتى شارف دجلة ثم نكص
راجعا واختلف فيمن حج هذه السنة فقيل حج بالناس عبيد الله بن عباس من قبل على وقيل بل حج
عبد الله أخوه وذلك باطل فان عبد الله بن عباس لم يحج فى خلافة على وانما كان هذه السنة على
الحج عبيد الله بن عباس وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوى فاختلف عبيد الله ويزيد بن

وتلقب بالسلطان الاعظم
وحل على رأسه القبة والطير
على قاعدة بنى سلجوق وكان
شافعى المذهب وكان حسن
الخط يكتب المصاحف
بخطه ويوقفها على المساجد
فلما توفى تولى مكانه أخوه
(شهاب الدين أبو المظفر)
واستولى على الهند والسند
وخراسان والغور وكان
دينا شجاعا وفى سنة احدى
وستمائة توجه الى السند
ففى اثناء الطريق دخل
عليه جماعة فى خيمته وقتلوه
وهو فى الصلاة وتولى مكانه
ابن اخيه (بهاء الدين شاه)
وكان حاكما فى بلاد باميان
فتوفى قبل ان يصل مقر
سلطنته واوصى بالملك لولديه
(جلال الدين وعلاء الدين)
فوقع بينهما حروب آلت
الى استيلاء محمود بن غياث
الدين على الملك وهو آخر
من تولى من هذه الطائفة
وانقرضت دولتهم فغلب
على الملك خوارزمشاه وقتله

*(الباب الثانى والاربعون
فى ذكر جنكيزخان كيف
فسدوخان)*

اتفق اهل التاريخ ان الترك
أكثر اجناس العالم وهم
امم لا يحصيهم الا خالقهم ولم
يزالوا ببلاد الشرق من أول
الخليقة لا يعلم احد مبتدأها
وهم رجال يسكنون الخيام
المتخذة من اللبود لشدة البرد

شجرة واتفقا على ان يحج بالناس شيبة بن عثمان وقيل ان الذي حج من جانب علي قثم بن العباس وكان عمال علي على البلاد من تقدم ذكرهم

﴿ ذكر مسير يزيد بن شجرة الى مكة ﴾

وفي هذه السنة دعا معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي وهو من أصحابه فقال له اني أريد ان أوجهك الى مكة لتقيم للناس الحج وتأخذ لي البيعة بمكة وتنفي عنها عامل علي فأجابه الى ذلك وسار الى مكة في ثلاثة آلاف فارس وبها قثم بن العباس عامل علي فلما سمع به قثم خطب اهل مكة واعلمهم بمسير الشاميين ودعاهم الى حربهم فلم يجيبوه بشئ وأجابه شيبة بن عثمان العبدري بالسمع والطاعة فعزم قثم على مفارقة مكة واللحاق ببعض شعابها ومكاتبة أمير المؤمنين بالخبر فان امده بالجيوش قاتل الشاميين فنهاه ابو سعيد الخدري عن مفارقة مكة وقال له اقم فان رأيت منهم القتال وبك قوة فاعمل برأيك والا فالمسير عنها أمامك فأقام وقدم الشاميون ولم يعرضوا القتال أحدا وأرسل قثم الى امير المؤمنين يخبره فسير جيشا فيهم الريان بن ضمرة بن هوذة بن علي الحنفي وابو الطفيل أول ذي الحجة وكان قدوم ابن شجرة قبل التروية بيوم فنادى في الناس أنتم آمنون الا من قاتلنا ونازعنا واستدعى أبا سعيد الخدري وقال له اني اريد الالحاد في الحرم ولو شئت لفعلت لما فيه اميركم من الضعف فقل له يعتزل الصلاة بالناس واعتزلها أنا ويختار الناس رجلا يصلي بهم فقال أبو سعيد لقثم ذلك فاعتزل الصلاة واختار الناس شيبة بن عثمان فصلى بهم وحج بهم فلما قضى الناس حجهم رجع يزيد الى الشام واقبل خيل علي فأخبروا بعود اهل الشام فتبعوهم وعليهم معقل بن قيس فادركوهم وقد رحلوا عن وادي القرى فظفروا بنفر منهم فأخذوهم اسارى وأخذوا ما معهم ورجعوا بهم الى امير المؤمنين ففادى بهم اسارى كانت له عند معاوية (الرهاوي منسوب الى الرها قبيلة من العرب وقد ضبطه عبد الغني بن سعيد بفتح الراء قبيلة مشهورة واما المدينة فبضم الراء)

﴿ ذكر غارة أهل الشام على اهل الجزيرة ﴾

وفيها سير معاوية عبد الرحمن بن قباث بن أشيم الى بلاد الجزيرة وفيها شبيب بن عامر جد الكرماني الذي كان بخراسان وكان شبيب بنصيبين فكتب الى كميل بن زياد وهو بهيت يعلمه خبرهم فسار كميل اليه نجدة له في ستمائة فارس فأدركوا عبد الرحمن ومعه معن بن يزيد السلمي فقاتلاهما كميل وهزمهما وغلب على عسكرهما وأكثر القتل في أهل الشام وأمر ان لا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح وقتل من أصحاب كميل رجلان وكتب الى علي بالفتح فجزاه خيرا وأجابه جوابا حسنا ورضي عنه وكان ساخطا عليه لما تقدم ذكره وأقبل شبيب بن عامر من نصيبين فرأى كميلا قد أوقع بالقوم فهنأه بالظفر واتبع الشاميين فلم يلحقهم فعبر الفرات وبث خيله فأغارت على أهل الشام حتى بلغ بعلبك فوجه معاوية اليه حبيب بن مسلمة فلم يدركه ورجع شبيب فأغار على نواحي الرقة فلم يدع للعثمانية بها ماشية الا استاقها ولا خيلا ولا سلاحا الا أخذه وعاد الى نصيبين وكتب الى علي فكتب اليه علي ينهاه عن أخذ أموال الناس الا الخيل والسلاح الذي يقاتلون به وقال رحم الله شبيبا لقد أبعد الغارة وعجل الانتصار

﴿ ذكر غارة الحرث بن نمر التنوخي ﴾

ولما

في بلادهم وأكثر دوابهم الخيل وأقواتهم الارز والبان الخيل ولحومها وتعرف ملوكهم بالخان وهي سمة ملوكهم وهم من بقايا يأجوج ومأجوج سموا بالترك لانهم تركوا عن دخول السد وكانوا متبددين في دشت قبجان في حدود ملك الخطا والصين مسيرة أماكنهم شرقا بغرب ثمانية أشهر وشمالا بجنوب مثله يتوالدون في ذلك البر ويتراجعون في ذلك السهل والوعر كالحيوانات السائبة لا حاكم يردعهم ولا دين ولا اعتقاد يجمعهم وهم قبائل وشعوب وأصناف وضروب وكل طائفة تغير غارتها وتقصد جهتها وتلعن اختها وتنهب تحتها وأكل حتها لا يعرفون الحلال والحرام ويعبدون الاوثان والاصنام ويسجدون للشمس اذا بزغت من الظلام ويعظمون النجوم ويعبدونها ويخاطبهم الجن ويرصدونها وأكثر ملبوسهم جلود الكلاب والنموس ويأكلون الكلاب والفار وما وجدوا من صيد القفار فهم متمكنون في ذلك المكان حتى بلغ ذو القرنين بين السدين وساوى على يأجوج ومأجوج بين الصدفين حتى نبع منهم هذا اللعين الطاغية تموجين الذي يسمى

ولما قدم يزيد بن شجرة على معاوية وجه الحرث بن نمر التنوخي الى الجزيرة ليأتيه بمن كان في طاعة علي فأخذ من أهل دارا سبعة نفر من بني تغلب وكان جماعة من بني تغلب قد فارقوا عليا الى معاوية فسألوه في اطلاق أصحابهم فلم يفعل فاعتزلوه أيضا وكتب معاوية الى علي ليفاديه بمن أسر معقل بن قيس من أصحاب يزيد بن شجرة فسيرهم علي الى معاوية وأطلق معاوية هؤلاء وبعث علي رجلا من خثعم يقال له عبد الرحمن الى ناحية الموصل ليسكن الناس فلقيه أولئك التغلبيون الذين اعتزلوا معاوية وعليهم قريع بن الحرث التغلبي فتشاتموا ثم اقتتلوا فقتلوه فأراد علي ان يوجه اليهم جيشا فكلمته ربيعة وقالوا هم معتزلون لعدوك داخلون في طاعتك وانما قتلوه خطأ فأمسك عنهم

ذكر أمر ابن العشبة

بعث معاوية زهير بن مكحول العامري من عامر الاجدار الى السماوة وأمره ان يأخذ صدقات الناس وبلغ ذلك عليا فبعث ثلاثة نفر جعفر بن عبد الله الاشجعي وعروة بن العشبة والجلاس بن عمير الكلبيين ليصدقوا من في طاعته من كلب وبكر بن وائل فوافوا زهيرا فاقتتلوا فانهزم أصحاب علي وقتل جعفر بن عبد الله ولحق ابن العشبة بعلي فعنفه وعلاه بالدرة فغضب ولحق بمعاوية وكان زهير قد حمل ابن العشبة على فرس فلذلك اتهمه واما الجلاس فانه مر براع فأخذ جبته واعطاه جبة خز فأدركته الخيل فقالوا اين أخذ هؤلاء الترابيون فأشار اليهم أخذوا ههنا ثم اقبل الى الكوفة

ذكر أمر مسلم بن عقبة بدومة الجندل

وبعث معاوية مسلم بن عقبة المري الى دومة الجندل وكان اهلها قد امتنعوا من بيعة علي ومعاوية جميعا فدعاهم الى طاعة معاوية وبيعته فامتنعوا وبلغ ذلك عليا فسير مالك بن كعب الهمداني في جمع الى دومة الجندل فلم يشعر مسلم الا وقد وافاه مالك فاقتتلوا يوما ثم انصرف مسلم منهزما وأقام مالك أياما يدعو أهل دومة الجندل الى البيعة لعلي فلم يفعلوا فقالوا لا نبايع حتى يجتمع الناس على امام فانصرف وتركهم وفيها توجه الحرث بن مرة العبدي الى بلاد السند غازيا متطوعا بأمر أمير المؤمنين علي فغنم وأصاب غنائم وسبيا كثيرا وقسم في يوم واحد ألف رأس وبقي غازيا الى ان قتل بأرض القيقان هو ومن معه الا قليلا سنة اثنتين وأربعين أيام معاوية

ذكر ولاية زياد بن امية بلاد فارس

وفي هذه السنة ولى علي زيادا كرمان وفارس وسبب ذلك انه لما قتل ابن الحضرمي واختلف الناس على علي طمع أهل فارس وكرمان في كسر الخراج فطمع اهل كل ناحية واخرجوا عمالهم واخرج اهل فارس سهل بن حنيف فاستشار علي الناس فقال له جارية بن قدامة ألا أدلك يا امير المؤمنين على رجل صلب الرأي عالم بالسياسة كاف لما ولي قال من هو قال زياد فأمر علي ابن عباس ان يولي زيادا فسيره اليها في جمع كثير فوطئ بهم اهل فارس وكانت قد اضطربت فلم يزل يبعث الى رؤسهم يعد من ينصره ويمنيه ويخوف من امتنع عليه وضرب بعضهم ببعض فدل بعضهم على عورة بعض وهربت طائفة

جنكيزخان وساعده قضاء الديان لامر يريده الرحمن وكان أصله من قبيلة من تلك التاتار وتسمى قتات ظلمة وعتاة (وفي مسالك الابصار) ان جدة جنكيزخان اسمها الان قوا وانها ولدت نود بحر من غير اب قالوا وكانت متزوجة ثم مات زوجها وحملت وهي ايم فتنكر عليها اقاربها فذكرت انها بعض الايام رأت نورا دخل في فرجها ثلاث مرات وطرأ عليها الحمل بعده وقالت لهم ان حملي ثلاثة ذكور فان صدق ذلك عند الوضع والا فافعلوا ما بدا لكم فوضعت ثلاثة توائم من ذلك الحمل وظهرت براءتها بزعمهم اسم احدهم بوقن والآخر قوناجي والثالث نود بحر وهو جد جنكيزخان وكان من ابتداء حاله وأمره خدم عند ملك الخطا المسمى باونك خان فقربه الملك وادناه فحسده الوزراء وعملوا له المكائد ونصبوا له المصائد حتى أثر كلامهم عند الملك فقصده ولا زال يتبعه حتى كبسه وكان معه الخبر فأعانه الله ونصره وكسر الخان وعسكره وقبض عليه فقتله واستولى على امواله وذخائره وكان ذلك في سنة تسع وتسعين وخمسمائة ثم بعد ذلك تقوى

واقامت طائفة فقتل بعضهم بعضا وصفت له فارس ولم يلق منهم جمعا ولا حربا وفعل مثل ذلك بكرمان ثم رجع الى فارس وسكن الناس واستقامت له ونزل اصطخر وحصن قلعة تسمى قلعة زياد قريب اصطخر ثم تحصن فيها بعد ذلك منصور اليشكرى فهى تسمى قلعة منصور وقيل ابن عباس اشار بولايته وقد تقدم ذكره وفيها مات أبو مسعود الانصارى البدرى وقيل فى أول خلافة معاوية وقيل غير ذلك ولم يشهد بدرا وانما قيل له بدرى لانه نزل ماء بدر وانقرض عقبه

❋ ثم دخلت سنة أربعين ❋

❁(ذكر سرية بسر بن أبى ارطاة الى الحجاز واليمن)❁

فى هذه السنة بعث معاوية بسر بن أبى ارطاة وهو من عامر بن لؤى فى ثلاثة آلاف فسار حتى قدم المدينة وبها ابو ايوب الانصارى عامل على عليها فهرب أبو ايوب فأتى عليا بالكوفة ودخل بسر المدينة ولم يقاتله احد فصعد منبرها فنادى عليه يادينار يانجار يازريق وهذه بطون من الانصار شيخى شيخى عهدته ههنا بالامس فأين هو يعنى عثمان ثم قال والله لولا ماعهد الى معاوية ماتركت بها محتلما فأرسل الى بنى سلمة فقال والله مالكم عندى امان حتى تأتونى بجابر ابن عبد الله فانطلق جابر الى أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها ماذا ترين ان هذه بيعة ضلالة وقد خشيت ان اقتل قالت أرى ان تبايع فانى قد امرت ابنى عمر وختنى ابن زمعة ان يبايعا وكانت ابنتها زينب تحت ابن زمعة فأتاه جابر فبايعه وهدم بالمدينة دورا ثم سار الى مكة فخاف ابو موسى الاشعرى ان يقتله فهرب منه واكره الناس على البيعة ثم سار الى اليمن وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملا لعلى فهرب منه الى على بالكوفة واستخلف على على اليمن عبد الله ابن عبد المدان الحارثى فأتاه بسر فقتله وقتل ابنه وأخذ ابنين لعبيد الله بن عباس صغيرين هما عبد الرحمن وقثم فقتلهما وكانا عند رجل من كنانة بالبادية فلما أراد قتلهما قال له الكنانى لم تقتل هذين ولا ذنب لهما فان كنت قاتلهما فاقتلنى معهما فقتله وقتلهما بعده وقيل ان الكنانى أخذ سيفه وقاتل عن الغلامين وهو يقول

الليث من يمنع حافات الدار * ولا يزال مصلتا دون الجار

وقاتل حتى قتل وأخذ الغلامين فذبحهما فخرج نسوة من بنى كنانة فقالت امرأة منهن ياهذا قتلت الرجال فعلام تقتل هذين والله ما كانوا يقتلون فى الجاهلية والاسلام والله يا ابن أبى ارطاة ان سلطانا لايقوم الا بقتل الصبى الصغير والشيخ الكبير ونزع الرحمة وعقوق الارحام لسلطان سوء وقتل بسر فى مسيره ذلك جماعة من شيعة على باليمن وبلغ عليا الخبر فأرسل جارية ابن قدامة السعدى فى ألفين ووهب بن مسعود فى ألفين فسار جارية حتى اتى نجران فقتل بها ناسا من شيعة عثمان وهرب بسر وأصحابه منه واتبعه جارية حتى اتى مكة فقال بايعوا امير المؤمنين فقالوا قد هلك فلمن نبايع قال لمن بايع له أصحاب على فبايعوا خوفا منه ثم سار حتى اتى المدينة وأبو هريرة يصلى بالناس فهرب منه فقال جارية لو وجدت ابا سنور لقتلته ثم قال لاهل المدينة بايعوا الحسن بن على فبايعوه واقام يومه ثم عاد الى الكوفة ورجع أبو هريرة يصلى بهم وكانت ام ابنى عبيد الله ام الحكم جويرية بنت خويلد بن قارظ وقيل عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان فلما قتل ولداها ولهت عليهما فكانت لاتعقل ولاتصغى ولاتزال تنشدهما

وفيه دسلطان انطاوالصين والتون خان بعدد كالرمال ومدد كالجبال فقبض عليه وأباده واستصفى ولايته وبلاده وكانت هذه الكسيرة والنصرة فى سنة احدى وستمائة من الهجرة وكان اميا لايقرأ ولايكتب أعجميا عزيا لايحسب ولاينسب لااطلع على الاخبار ولا اقتفى الآثار بل أسس بفكره قواعد لو أدركها الاسكندر ودارا لماوسعهما الا اقتفاء أثره كسر بصدماته الاكاسرة وقهر بسطوته القياصرة واما عسكره فكانوا ما بين مسلمين ومشركين ويهود ومن لايدين لمعبود فلم يتعرض لاحد فى دينه واعتقاده ويقينه واما هو فلم يتقيد بدين بل يعظم علماء كل طائفة واخترع هو لنفسه فى الملك قواعد سلك فيها المقارب والمباعد ثم لم يكن لهم كتاب ولاخط ولا لهم قلم يعرفون به قط ذا مر عقلاء مملكته واذكياء قبيلته ان يضعوا له خطا وقلما يكون لهم علما وعلما فوضعوا له قلم المغل ورتبوا له كتابا سماه الياسق الكبير ذكر فيه ما اقتضاه رأيه التعيس وفكره الخسيس لكل حسنة مثوبة ولكل سيئة عقوبة فمن أحكامها المظلمة صلب السارق وخنق الزان وان

في المواسم فتقول

يامن أحس بابنيّ اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يامن احس بابنيّ اللذين هما * مخ العظام فمخي اليوم مزدهف
يامن أحس بابنيّ اللذين هما * قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف
من ذل والهة حيرى مدلهة * على صبيين ذلا اذ غدا السلف
نبئت بسرا وما صدقت مازعموا * من افكهم ومن القول الذي اقترفوا
احنى على ودجي ابنيّ مرهفة * من الشفار كذاك الاثم يعترف

وهي أبيات مشهورة فلما سمع امير المؤمنين بقتلهما جزع جزعا شديدا ودعا على بسر فقال اللهم اسلبه دينه وعقله فأصابه ذلك وفقد عقله فكان يهذي بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زق منفوخ فلا يزال يضربه ولم يزل كذلك حتى مات ولما استقر الامر لمعاوية دخل عليه عبيد الله بن عباس وعنده بسر فقال لبسر وددت ان الارض أنبتتني عندك حين قتلت ولدي فقال هاك سيفي فاهوى عبيد الله ليتناوله فأخذه معاوية وقال لبسر اخزاك الله شيخا قد خرفت والله لو تمكن منه لبدأ بي قال عبيد الله أجل ثم ثنيت به (سلمة بكسر اللام بطن من الانصار) وقيل ان مسير بسر الى الحجاز كان سنة اثنتين وأربعين فأقام بالمدينة شهرا يستعرض الناس لا يقال له عن احد انه شرك في دم عثمان الا قتله وفيها اجرت مهادنة بين علي ومعاوية بعد مكاتبات طويلة على وضع الحرب ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام لا يدخل احدهما بلد الآخر بغارة (بسر بضم الباء الموحدة والسين المهملة زريق بالزاي والراء قبيلة من الانصار ايضا وجارية بالجيم والراء)

(ذكر فراق ابن عباس البصرة)

في هذه السنة خرج عبد الله بن عباس من البصرة ولحق بمكة في قول اكثر اهل السير وقد انكر ذلك بعضهم وقال لم يزل عاملا عليها لعلي حتى قتل علي وشهد صلح الحسن مع معاوية ثم خرج الى مكة والاول أصح وانما كان الذي شهد صلح الحسن عبيد الله ابن عباس وكان سبب خروجه انه مر بأبي الاسود فقال لو كنت من البهائم لكنت جملا ولو كنت راعيا ما بلغت المرعى فكتب ابو الأسود الى علي اما بعد فان الله عز وجل جعلك واليا مؤتمنا وراعيا مستوليا وقد بلوناك فوجدناك عظيم الامانة ناصحا للرعية توفر لهم فيئهم وتكف نفسك عن دنياهم ولا تأكل اموالهم ولا ترتشي في أحكامهم وان ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك ولم يسعني كتمانك رحمك الله فانظر فيما هناك واكتب الي برأيك فيما أحببت والسلام فكتب اليه علي اما بعد فمثلك نصح الامام والامة ووالى على الحق وقد كتبت الى صاحبك فيما كتبت الي ولم أعلمه بكتابك فلا تدع اعلامي بما يكون بحضرتك مما النظر فيه صلاح للامة فانك بذلك جدير وهو حق واجب عليك والسلام وكتب الى ابن عباس في ذلك فكتب اليه ابن عباس اما بعد فان الذي بلغك باطل واني لما تحت يدي لضابط وله حافظ فلا تصدق الظنين والسلام فكتب اليه علي اما بعد فاعلمني ما أخذت من الجزية ومن اين أخذت وفيما وضعت فكتب اليه ابن عباس اما بعد فقد فهمت تعظيمك مرزاة ما بلغك اني رزأته من أهل هذه البلاد فابعث الى عملك من أحببت

شهد بذلك واحد فلا يحتاج الى ثان ومنها حقية من سبق سواء كذب اوصدق ومنها استعباد الاحرار وتوارث الفلاح والاكار ومنها توريث نكاح الزوجة لاقارب الزوج وتداولهم فوجا بعد فوج ومنها عدم العدة وحصر الزوجات في عدة ومنها الاخذ بقول الجواري والصبيان ومنها مطالبة الجار بالجار ومعاقبة البريء بجرم مرتكب الاوزار ومنها منع عفو الحاكم وان عفا المظلوم ونحو هذه الخرافات الباطلة والهذيانات العاطلة من القواعد الملعونة على خلاف الشريعة الميمونة وكان كرسي مملكته مدينة قراقروم وسبب تحركه الى ممالك الاسلام وتوجه عنان مخططه الى طلب الانتقام هو انه لما استقر أمره وانتشر بالظلم والجور ذكره وقع بينه وبين السلطان خوارزمشاه من قبل أصحابه وفتح سد الثغر وبابه الى ان قتل السلطان وكان من أمره ما كان ثم نهض نهضة انام فيها الانام وقام قومة اقام بها ساعات القيام فتوجه من مشرقي التاتار وعساكر الكفار بالصار الطامية وجبال النيران الحامية في سنة خمس عشرة وستمائة ومشوا على

فانى ظاعن عنه والسلام واستدعى اخواله من بنى هلال بن عامر فاجتمعت معه قيس كلها فحمل مالا وقال هذه ارزاقنا اجتمعت فتبعه أهل البصرة فلحقوه بالطف يريدون أخذ المال فقالت قيس والله لا يوصل اليه وفينا عين تطرف فقال صبرة بن شيمان الحدانى يا معشر الازد ان قيسا اخواننا وجيراننا واعواننا على العدو وان الذى يصيبكم من هذا المال لقليل وهم لكم خير من المال فأطاعوه فانصرفوا وانصرفت معهم بكر وعبد القيس وقاتلهم بنو تميم فنهاهم الاحنف فلم يسمعوا منه فاعتزلهم وحجز الناس بينهم ومضى ابن عباس الى مكة

﴿ ذكر مقتل امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام ﴾

وفى هذه السنة قتل على فى شهر رمضان لسبع عشرة خلت منه وقيل لاحدى عشرة وقيل لثلاث عشرة بقيت منه وقيل فى شهر ربيع الآخر سنة أربعين والاول أصح قال أنس بن مالك مرض على فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر فجلست عنده فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم فنظر فى وجهه فقال له أبو بكر وعمر يا نبى الله ما نراه الا ميتا فقال ان يموت هذا الآن ولن يموت حتى يملأ غيظا ولن يموت الا مقتولا وقيل من غير وجه ان عليا كان يقول ما يمنع اشقاها ان يخضب هذه من هذه يعنى لحيته من دم راسه وقال عثمان بن المغيرة كان على لما دخل رمضان يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند ابى جعفر لا يزيد على ثلاث لقم يقول احب ان يأتينى أمر الله وانا خميص وانما هى ليلة أو ليلتان فلم تمض ليلة حتى قتل وقال الحسن بن كثير عن ابيه قال خرج على من الفجر فاقبل الاوز يصحن فى وجهه فطردوهن عنه فقال ذروهن فانهن نوائح فضربه ابن ملجم فى ليلته وقال الحسن بن على يوم قتل على خرجت البارحة وأبى يصلى فى مسجد داره فقال لى يا بنى انى بت اوقظ أهلى لانها ليلة الجمعة صبيحة بدر فملكتنى عيناى فنمت فسنح لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الاود واللدد فقال والاود العوج واللدد الخصومات فقال لى ادع عليهم فقلت اللهم ابدلنى بهم من هو خير منهم وابدلهم بى من هو شر منى فجاء ابن النباح فآذنه بالصلاة فخرج وخرجت خلفه فضربه ابن ملجم فقتله وكان عليه السلام اذا رأى ابن ملجم قال

أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مرادى

وكان سبب قتله ان عبد الرحمن بن ملجم المرادى والبرك بن عبد الله التميمى الصريمى وقيل اسم البرك الحجاج وعمرو بن بكر التميمى السعدى وهم من الخوارج اجتمعوا فتذاكروا امر الناس وعابوا عمل ولاتهم ثم ذكروا اهل النهر فترحموا عليهم وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شرينا انفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وارحنا منهم البلاد فقال ابن ملجم أنا أكفيكم عليا وكان من اهل مصر وقال البرك بن عبد الله انا أكفيكم معاوية وقال عمرو بن بكر أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا ان لا ينكص احدهم عن صاحبه الذى توجه اليه حتى يقتله او يموت دونه وأخذوا اسيافهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان وقصد كل رجل منهم الجهة التى يريد فأتى ابن ملجم الكوفة فلقى اصحابه بالكوفة وكتمهم أمره ورأى يوما أصحابا له من تيم الرباب وكان على قد قتل منهم يوم النهر عدة فتذاكروا قتلى النهر ولقى معهم امرأة من تيم الرباب اسمها قطام وقد قتل ابوها وأخوها يوم النهر وكانت فائقة الجمال فلما رآها اخذت قلبه فخطبها فقالت

ممالك الاسلام وأرادوا اطفاء نور الايمان من اشراكهم بظلام فوصلوا الى البلاد وهى جنة المرتاد فاحتووا على جنديسابور وقراها وولايتها وماوالاها واظهروا فيها علامات الحشر فاذهشوا وعلها وسبوا اهلها فقتلوا الخاص والعام ومدوا الى ذخائرها النهب العام ثم تنقلوا عن جنديسابور الى ولايات اندكان وقنا كث وخجند ومرغينان وكانت دار ملك ايلك خان ثم الى اطراف تركستان ثم الى نسف وانزار وبسغناق وهما من امهات البلاد فى تلك الآفاق فأخذوا وقتلوا ونهبوا أهلها ودكوا جبالها وسهلها وملؤا الجبال والسهول قتلى واحاطوا بها فعظم البلا

فمشوا الى سهل الجبال ووعرها مشى الجراد على القصيل الاخضر
فكانهم موسى على شعر مشى أو منجل فوق الحصيد الاصفر
أو شعلة نار الهوى فتعلقت فوق الحصيد على الهشيم الاغبر

ثم ان الدواهى المصمية فى رابع المحرم سنة سبع عشرة وستمائة وصلوا الى بخارا بلدة فضاها الايجارى قبة الايمان وكرسى ملوك بنى سامان مجمع العلماء والصلحاء

لا أتزوجك حتى تشتفي لي فقال وما تريدين قالت ثلاثة آلاف وعبدا وقينة وقتل على فقال اما
قتل على فما اراك ذكرتيه وانت تريدينى قالت بلى التمس غرته فان اصبته شفيت نفسك
ونفسى ونفعك العيش معى وان قتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قال والله ما جاء بى الا
قتل على فلك ما سألت قالت سأطلب لك من يشد ظهرك ويساعدك وبعثت الى رجل من قومها
اسمه وردان وكلمته فأجابها وأتى ابن ملجم رجلا من اشجع اسمه شبيب بن بجرة فقال له هل لك
فى شرف الدنيا والآخرة قال وماذا قال قتل على قال شبيب ثكلتك امك لقد جئت شيأ ادا
كيف تقدر على قتله قال اكمن له فى المسجد فاذا خرج الى صلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه فان
نجونا فقد شفينا أنفسنا وان قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قال ويحك لو كان غير على
كان اهون قد عرفت سابقته وفضله وبلاءه فى الاسلام وما أجدنى انشرح لقتله قال اما تعلمه
قتل اهل النهر العباد الصالحين قال بلى قال فنقتله بمن قتل من اصحابنا فأجابه فلما كان
ليلة الجمعة وهى الليلة التى واعد ابن ملجم أصحابه على قتل على وقتل معاوية وعمرو فأخذ
سيفه ومعه شبيب ووردان وجلسوا مقابل السدة التى يخرج منها على للصلاة فلما خرج على
نادى أيها الناس الصلاة الصلاة فضربه شبيب بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب وضربه ابن
ملجم على قرنه بالسيف وقال الحكم لله لا لك يا على ولا لاصحابك وهرب وردان فدخل منزله فأتاه
رجل من أهله فأخبره وردان بما كان فانصرف عنه وجاء بسيفه فضرب به وردان حتى قتله
وهرب شبيب فى الغلس وصاح الناس فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر وفى يد شبيب
السيف فأخذه وجلس عليه فلما رأى الحضرمى الناس قد أقبلوا فى طلبه وسيف شبيب فى يده
خشى على نفسه فتركه ونجا وهرب شبيب فى غمار الناس ولما ضرب ابن ملجم عليا قال
لا يفوتنكم الرجل فشد الناس عليه فأخذوه وتأخر على وقدم جعدة بن هبيرة وهو ابن اخته
أم هانئ يصلى بالناس الغداة وقال على أحضروا الرجل عندى فأدخل عليه فقال أى عدو
الله ألم أحسن اليك قال بلى قال فما حملك على هذا قال شحذته أربعين صباحا وسألت الله ان
يقتل به شر خلقه فقال على لا أراك الا مقتولا به ولا أراك الا من شر خلق الله ثم قال النفس
بالنفس ان هلكت فاقتلوه كما قتلنى وان بقيت رأيت فيه رأيى يا بنى عبد المطلب لا الفينكم
تخوضون دماء المسلمين تقولون قد قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن الا قاتلى انظر يا حسن ان أنا
مت من ضربتى هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثلن بالرجل فانى سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور هذا كله وابن ملجم مكتوف فقالت له أم
كلثوم ابنة على أى عدو الله لا بأس على أبى والله مخزيك قال فعلى من تبكين والله ان سيفى
اشتريته بألف وسممته بألف ولو كانت هذه الضربة بأهل مصر ما بقى منهم أحد ودخل جندب
ابن عبد الله على على فقال ان فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن قال ما آمركم ولا أنهاكم أنتم
أبصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تبكيا
على شئ زوى عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضائع واصنعا للآخرة وكونا للظالم
خصما وللمظلوم ناصرا واعملا بما فى كتاب الله ولا تأخذكما فى الله لومة لائم ثم نظر الى محمد بن
الحنفية فقال هل حفظت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال فانى أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير

والعباد والكبراء فدخل
جنكيزخان الى المدينة
وطاف بها على هيبة وسكينة
حتى انتهى الى باب الجامع
فرأى محلا شريفا ومعبدا
واسعا لطيفا فقال هذا بيت
السلطان فقالوا بل بيت
الرحمن فقال ان أولى ما القنا
افراحنا فى بيت من خلق
أرواحنا ورزق اشباحنا
فنزل عن دابته ودخل الجامع
مع جماعته ثم استدعى
بالخمور والطبول والزمور
فتصدر فى مجالس العلم
والاذكار ومحاريب الصلاة
الكفرة والفجار من المغل
والتاتار ثم أحضر العلماء
والاشراف والكبراء وانزلوا
بهم الثبور والويل
واستحفظوهم الخيل ومن
جملة الاعيان شخص ولى
يدعى السيد الشريف
جلال الدين على وهو اعلى
سادات ماوراء النهر قد
قبض عليه وربطوا الى عنقه
يديه ثم استنظروه مراكبهم
وانشبوا فيه مخالبهم وهو
واقف بباب الجامع فى هيئة
الذليل الخاضع فرأى الامام
الهمام علم العلماء الاعلام
الشيخ ركن الدين ابن الامام
وهو فى مثل حاله فقال أيها
الامام المفضال ما هذه
الاحوال فأنشد معنى هذا
المقال
أرى حالة تبدى لسانى
فليس لى

أخو يك العظيم حقهما عليك وتزين أمرهما ولا تقطع أمرا دونهما ثم قال أوصيكما به فانه شقيقكما وابن أبيكما وقد علمتما ان أباكما كان يحبه وقال للحسن أوصيك أى بنى بتقوى الله واقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة عند محلها وحسن الوضوء فانه لا صلاة الا بطهور وأوصيك بغفر الذنب و كظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه فى الدين والتثبت فى الامر والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجتناب الفواحش ثم كتب وصيته ولم ينطق الا بلا اله الا الله حتى مات رضى الله عنه وأرضاه وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وكفن فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وكبر عليه الحسن سبع تكبيرات فلما قبض بعث الحسن الى ابن ملجم فأحضره فقال للحسن هل لك فى خصلة الى والله قد أعطيت الله عهدا أن لا أعاهد عهدا الا وفيت به وانى عاهدت الله عند الحطيم ان أقتل عليا ومعاوية أو أموت دونهما فان شئت خليت بينى وبينه فلك الله على ان لم أقتله ثم بقيت أن آتيك حتى أضع يدى فى يدك فقال له الحسن لا والله حتى تعاين النار ثم قدمه فقتله واخذه الناس فادرجوه فى بوارى وأحرقوه بالنار قال عمرو بن الاصم قلت للحسن بن على ان هذه الشيعة تزعم ان عليا مبعوث قبل القيامة فقال كذب والله هؤلاء الشيعة لو علمنا انه مبعوث قبل القيامة ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله اما قوله هذه الشيعة فلا شك انه يعنى طائفة منها فان كل شيعة لا تقول هذا انما تقوله طائفة يسيرة منهم ومن مشهورى هذه الطائفة جابر بن يزيد الجعفى الكوفى وقد انقرض القائلون بهذه المقالة فيما نعلمه (بجيرة بفتح الباء والجيم والبرك بضم الباء الموحدة وفتح الراء وآخره كاف) واما البرك بن عبد الله فانه قعد لمعاوية فى تلك الليلة التى ضرب فيها على فلما خرج معاوية ليصلى الغداة شد عليه بالسيف فوقع السيف فى أليته فأخذ فقال ان عندى خبرا أسرك به فان أخبرتك فنافعى ذلك قال نعم قال ان أخالى قد قتل عليا هذه الليلة قال فلعله لم يقدر على ذلك قال بلى ان عليا ليس معه أحد يحرسه فامر به معاوية فقتل وبعث معاوية الى الساعدى وكان طبيبا فلما نظر اليه قال اختر اما أن احمى حديدة فاضعها موضع السيف واما أن اسقيك شربة تقطع منك الولد وتبرأ منها فان ضربتك مسمومة فقال معاوية أما النار فلا صبر لى عليها واما الولد فان فى يزيد وعبد الله ما تقر به عينى فسقاه شربة فبرئ ولم يولد له بعدها وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرط على رأسه اذا سجد وهو اول من عملها فى الاسلام وقيل ان معاوية لم يقتل البرك وانما أمر فقطعت يده ورجله وبقى الى ان ولى زياد البصرة وكان البرك قد صار اليها وولد له فقال له زياد يولد لك وتركت أمير المؤمنين لا يولد له فقتله وصلبه وأما عمرو بن بكر فانه جلس لعمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج وكان اشتكى بطنه فأمر خارجة بن أبى حبيبة وكان صاحب شرطته وهو من بنى عامر بن لؤى فخرج ليصلى بالناس فشد عليه وهو يرى انه عمرو بن العاص فضربه فقتله فأخذه الناس الى عمرو فسلموا عليه بالامرة فقال من هذا قالوا عمرو قال فمن قتلت قالوا خارجة قال اما والله يا فاسق ما ظننته غيرك فقال عمرو أردتنى وأراد الله خارجة فقدمه عمرو فقتله قال ولما بلغ عائشة قتل على قالت

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

ثم قالت من قتله فقيل رجل من مراد فقالت

طاريق الى انى افوه بلفظة
اعض بها كفى واسمعك مقلق
الى النوم هذا ام تراه يقظق
فأجاب الامام ما هذا محل
الكلام كن عبد الارادة
واتبع ما اراده واستمروا
يشربون الخمور على صوت
الزمور ثم ادخلوا الخيل الى
الجامع وطلبوا الهامرابط
ومواضع ثم أفرغوا خزائن
المصاحف والختمات
وظروف الكتب واوعية
الربعات وصبوا فيها الشعير
واطعموا فيها الخيل والبغال
والحمير فبددت الربعات
المعظمة والمصاحف المكرمة
تحت السنابك والحوافر
ومواطئ اقدام كل كافر فلما
استخلص ما عندهم من
الاموال أمر بقتل الرجال
واسر النساء والاطفال
ثم امر بالنهب وهدم البلد
والاحراق واعدام عينها
على الاطلاق فهما قال فعلوه
فلم يبق منهم ديار ولا نافخ نار
وقيل انه نجا من هذه الواقعة
رجل واحد فوصل الى
خراسان فسألوه عن هذا
الشأن كيف كان فقال لهم
بذلك اللسان وصورته هذه
امدند وكندند وسوختند
وكشتند و بردند ورفتند أى
هجموا وهدموا وأحرقوا
وارحقوا ونهبوا وذهبوا ثم
توجهوا الى سمرقند وفعلوا

فان يك نائبا فلقد نعاه * نعى ليس فى فيه التراب

فقالت زينب بنت أبى سلمة اتقوا بن هذا العلى فقالت انى أنسى فاذا نسيت فذكرونى وقال ابن أبى مياس المرادى

فنحن ضربنا يالك الخير حيدرا * أبا حسن مأمومة فتفطرا
ونحن خلعنا ملكه من نظامه * بضربة سيف اذعلا وتجبرا
ونحن كرام فى الصباح أعزة * اذا المرء بالموت ارتدى وتأزرا

وقال أيضا

ولم ارمهرا ساقه ذوسماحة * كمهر قطام بين عرب ومعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من على وان غلا * ولا فتك الادون فتك ابن ملجم

وقال أبو الاسود الدؤلى فى قتل على

الا أبلغ معاوية بن حرب * فلا قرت عيون الشامتينا
أفى شهر الصيام فجعتمونا * بخير الناس طرا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا * ورحلها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها * ومن قرأ المثانى والمبينا
اذا استقبلت وجه أبى حسين * رأيت البدر راع الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت * بأنك خيرها حسبا ودينا

وقال بكر بن حسان الباهرى

قل لابن ملجم والاقدار غالبة * هدمت للدين والاسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشى على قدم * وأعظم الناس اسلاما وايمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما * سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبى ومولاه وناصره * أضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له * مكان هرون من موسى بن عمرانا
قد كان يخبرهم هو بقتله * قبل المنية أزمانا فأزمانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر * فقلت سبحان رب العرش سبحانا
انى لاحسبه ما كان من انس * كلا ولكنه قد كان شيطانا
فلا عفا الله عنه سوء فعلته * ولا سقى قبر عمران بن حطانا
ياضربة من شقى ما أراد بها * الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
بل ضربة من غوى أوردته لظى * وسوف يلقى بها الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصدا بضربته * الا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

﴿ذكر مدة خلافته ومقدار عمره﴾

وقد قال بعضهم كانت خلافته خمس سنين الا ثلاثة أشهر وكان عمره ثلاثا وستين سنة وقيل كان عمره تسعا وخمسين وقيل خمسا وستين وقيل ثمانيا وخمسين والاول أصح ولما قتل دفن عند مسجد

بأهلها فعلوا ابصارا ودوز أسوارها مقدارا اثنى عشر فرسخا فقس ما فى ذلك من الخلائق والامم فالسكل براهم سيف القلم كما يبرى البارى القلم ثم غاروا على جميع عراق العجم ولم يبقوا على ذى روح وقد انمحت من الوجود أمهات الامصار وشملها البوار وأما القرى والقصبات والرساتيق والمزدرعات فاكثر من ان يحصر ويضبط بحساب ودفتر فابيد كله وابير فالحكم لله العلى الكبير كل ذلك فى أدنى مده وأوهى رقده وماذ كرذرة من طور وقطرة من بحور ثم ان جنكيز خان لما وصل الى بلاد خراسان مرض ورجع الى سرة ملكه المشؤم ايميل وقوفاق وقراقروم ولم يزل على ذلك حتى تسلم روحه الخبيثة مالك فى رابع رمضان عام اربعة وعشرين وستمائة فكانت مدة ملكه تزيد على ثلاث وعشرين سنة وفى مسالك الابصار ان جنكيز خان لما أيس من الحياة وقنط من رحمة الله جمع جميع اولاده المشاركين له فى فساده وهم (جغتاى واوكتاى وجرجان وكاكان واورخان وتولى خان) واوصاهم بوصايا وطرائق فى سياسة الرعايا وعين لكل من هؤلاء مملكة من الممالك

الجماعة وقيل في القصر وقيل غير ذلك والاصح ان قبره هو الموضع الذي يزار ويتبرك به

﴿ ذكر نسبه وصفته ونسائه وأولاده ﴾

كان آدم شديد الادمة ثقيل العينين عظيمهما ذا بطن أصلع عظيم اللحية كثير شعر الصدر هو الى القصر أقرب وقيل كان فوق الربعة وكان ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها وكان من أحسن الناس وجها ولا يغير شيبه كثير التبسم * واما نسبه فهو علي بن أبي طالب واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم وأمه فاطمة بنت أسد ابن هاشم بن عبد مناف وهو اول خليفة أبواه هاشميان ولم يل الخلافة الى وقتنا هذا من أبواه هاشميان غيره وغير الحسن ولده ومحمد الامين فان أباه هرون الرشيد وامه زبيدة بنت جعفر بن المنصور وأما أزواجه فأول زوجة تزوجها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج عليها حتى توفيت عنده وكان له منها الحسن والحسين وقد ذكر انه كان له منها ابن آخر يقال له محسن وانه توفي صغيرا وزينب الكبرى وام كلثوم الكبرى ثم تزوج بعدها أم البنين بنت حرام الكلابية فولدت له العباس وجعفرا وعبد الله وعثمان قتلوا مع الحسين بالطف ولا بقية لهم غير العباس وتزوج ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلية التميمية فولدت له عبيد الله وأبا بكر قتلا مع الحسين وقيل ان عبيد الله قتله المختار بالمذار وقيل لا بقية لهما وتزوج أسماء بنت عميس الخثعمية فولدت له محمدا الاصغر ويحيى ولا عقب لهما وقيل ان محمدا الام ولد وقتل مع الحسين وقيل انها ولدت له عونا وله من الصهباء بنت ربيعة التغلبية وهي من السبي الذين أغار عليهم خالد ابن الوليد بعين التمر وولدت له عمر بن علي ورقية بنت علي فعمر عمر حتى بلغ خمسا وثمانين سنة فحاز نصف ميراث علي ومات بينبع وتزوج علي امامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى ابن عبد شمس وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له محمدا الاوسط وله محمد بن علي الاكبر الذي يقال له ابن الحنفية أمه خولة بنت جعفر من بني حنيفة وتزوج علي أيضا أم سعيد ابنة عروة بن مسعود الثقفية فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى وأم كلثوم وكان له بنات من أمهات شتى لم يذكرن لنا منهن أم هانئ وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وامامة وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر وجمانة ونفيسة كلهن من أمهات أولاد وتزوج أيضا محياة بنت امرئ القيس بن عدي الكلبية فولدت له جارية هلكت صغيرة كانت تخرج الى المسجد فيقال لها من اخوالك فتقول وه وه تعني كلبا فجميع ولده أربعة عشر ذكرا وسبع عشرة امرأة وكان النسل منهم للحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس بن الكلابية وعمر بن التغلبية

﴿ ذكر عماله ﴾

وكان عامله على البصرة هذه السنة عبد الله بن عباس وقد ذكرنا الاختلاف في أمره وكان اليه الصدقات والجند والمعاون أيام ولايته كلها وكان على قضائها من قبل علي أبو الاسود الدؤلي وكان على فارس زياد وقد ذكرنا مسيره اليها وكان على اليمن عبيد الله بن عباس حتى كان من أمره وأمر بسر بن أبي ارطاة ما ذكر وكان على الطائف ومكة وما اتصل بذلك قثم بن عباس وكان على المدينة أبو أيوب الانصاري وقيل سهل بن حنيف وكان عند قدوم بسر عليه من أمره

ما

واوصى بالتخت لولده الصغير تولى خان واستمرت بعده الفتن والشرور والمحن واغار تولى خان على بقية ممالك الاسلام وغيرها شرا انتزع خير الانام فلما هلك ملك مكانه ولده

(هلاكو بن تولى خان)

والعامة يقولون هلاوون على وزن قلاوون وهو من أعظم ملوك التتار وكان حازما شجاعا ذا اسطوة عظيمة وهو على قاعدة أسلافه في عدم التقيد بدين وانما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت واستولى هلاكو المذكور على عراق العرب والعجم والموصل والجزيرة وديار بكر والروم والشام وغيرها واباد ملوكها ذكر الذهبي في تاريخه ان هلاكو سفك دم ألف ألف أو يزيدون فهل يقدر المؤرخون ان يجمعوا ويصفوا سوء أفعاله ومع هذا فان الله تعالى قد وفقه للاسلام لان الكفار المغولية مالوا الى دين المجوسية فانقاد اليهم وقصد الممالك الاسلامية بالسوء ذكر البيضاوي في تاريخه ان الله تبارك وتعالى ألهم الى بعض أوليائه بفيض فضله ان يظهروا من كرامات المحمدية عند هلاكو منهم أبو يعقوب ومحمد خواجا دربندي قدس الله سرهما فحضروا عنده هلاكو

ما كان وذكر

﴿ذكر بعض سيرته﴾

كان أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم خازنا لعلي على بيت المال فدخل علي يوما وقد زينت ابنته فرأى عليها لؤلؤة كان عرفها لبيت المال فقال من أين لها هذه لاقطعن يدها فلما رأى ابو رافع جده في ذلك فقال انا والله يا أمير المؤمنين زينتها بها فقال علي لقد تزوجت بفاطمة ومالي فراش الا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار ومالي خادم غيرها قال ابن عباس قسم علم الناس خمسة أجزاء فكان لعلي منها أربعة أجزاء ولسائر الناس جزء شاركهم علي فيه فكان أعلمهم به وقال احمد بن حنبل ما جاء لاحد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء لعلي وقال عمرو بن ميمون لما ضرب عمر بن الخطاب وجعل الخلافة في الستة من الصحابة فلما خرجوا من عنده قال ان يولوها الاجلح يسلك بهم الطريق فقال له ابنه عبد الله فما يمنعك يا أمير المؤمنين من توليته قال اكره ان أتحملها حيا وميتا وقال عاصم بن كليب عن أبيه قدم على علي مال من أصبهان فقسمه على سبعة أسهم فوجد فيه رغيفا فقسمه على سبعة ودعا امراء الاسباع فأقرع بينهم لينظر أيهم يعطى أولا وقال هرون بن عنترة عن أبيه دخلت على علي بالخورنق وهو فصل شتاء وعليه خلق قطيفة وهو يرعد فيه فقلت يا أمير المؤمنين ان الله قد جعل لك ولاهلك في هذا المال نصيبا وأنت تفعل هذا بنفسك فقال والله ما ارزأكم شيأ وما هي الا قطيفتي التي اخرجتها من المدينة وقال يحيى بن سلمة استعمل علي عمرو بن سلمة على اصبهان فقدم ومعه مال وزقاق فيها عسل وسمن فأرسلت ام كلثوم بنت علي الى عمرو تطلب منه سمنا وعسلا فأرسل اليها ظرف عسل وظرف سمن فلما كان الغد خرج علي واحضر المال والعسل والسمن ليقسم فعد الزقاق فنقصت زقين فسأله عنهما فكتمه وقال نحن نحضرهما فعزم عليه الا ذكرهما له فأخبره فأرسل الى ام كلثوم فأخذ الزقين منها فرآهما قد نقصا فأمر التجار بتقويم ما نقص منهما فكان ثلاثة دراهم فأرسل اليها فأخذها منها ثم قسم الجميع وقيل وخرج من همذان فرأى رجلين يقتتلان ففرق بينهما ثم مضى فسمع صوتا يا غوثاه بالله فخرج يحضر نحوه وهو يقول اتاك الغوث فاذا رجل يلازم رجلا فقال يا امير المؤمنين بعت هذا ثوبا بسبعة دراهم وشرطت أن لا يعطيني مغموزا ولا مقطوعا وكان شرطهم يومئذ فاتاني بهذه الدراهم فأبيت ولزمته فلطمني فقال للاطم ما تقول فقال صدق يا أمير المؤمنين فقال اعطه شرطه فاعطاه وقال للملطوم اقتص قال او اعفو يا امير المؤمنين قال ذلك اليك ثم قال يا معشر المسلمين خذوه فأخذوه فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب ثم ضربه خمس عشرة درة وقال هذا نكال لما انتهكت من حرمته ولما قتل علي عليه السلام قام ابنه الحسن خطيبا فقال لقد قتلتم الليلة رجلا في ليلة نزل فيها القرآن وفيها رفع عيسى وفيها قتل يوشع بن نون والله ما سبقه احد كان قبله ولا يدركه احد يكون بعده والله ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه في السرية وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره والله ما ترك صفراء ولا بيضاء الا ثمانمائة أو سبعمائة أرصدها لجارية وقال سفيان ان عليا لم يبن آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وان كان ليؤتى بحبوبه من المدينة في جراب وقيل انه اخرج سيفا له الى السوق فباعه وقال لو كان عندي أربعة دراهم ثمن ازار لم أبعه وكان لا يشترى

ودخلوا النار وشربوا السموم والنحاس المذاب فلما عاين هلاكو رجع عن الكفر والزندقة وخاف من الاولياء وعظم ملة الاسلامية وأهلها وكان سبب هلاكه بعلة الصرع فكان يعتريه في اليوم الواحد مرارا فمرض ولم يزل ضعيفا نحو شهرين وكانت وفاته في سابع ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وستمائة في بلد مراغة ونقل الى قلعة تلشمن اعمال سلماس فدفن بها وبني عليه قبة وكان عمره نحو ستين سنة وخلف من الاولاد سبعة عشر ذكرا وتولى الملك بعده ولده (ابغا) وقيل أخوه (قبلاى) فامتدت أيامه الى أن تولى بلاد همذان سنة خمس وتسعين وستمائة وكان كرسي مملكته مدينة ماليق أم بلاد الخطا وكانت مدة ملك قبلاى اثنتين وثلاثين سنة وملك بعده أخوه (أحمد بن هلاكو) وكان اسمه تكدار فأظهر دين الاسلام وتسمى بأحمد فقتل في جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانين وستمائة وملك بعده (أرغون ابن ابغا) وكانت مدة ملكه نحو سبع سنين ولما هلك ملك بعده اخوه (كيختو ابن ابغا) وكان ينسب الى الفواحش من اللواط والفسق واستمر حتى قتل في ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وستمائة وملك بعده (بيدو بن طوغاي بن هلاكو) فلما بلغ غازان وهو بخراسان جلوس بيدو على سرير الملك جمع من اطاعه وسار الى قتال بيدو وكان

عمن يعرفه واذا اشترى قميصا قدر كمه على طول يده وقطع الباقي وكان يختم على الجراب الذي فيه
دقيق الشعير الذي يأكل منه ويقول لا أحب أن يدخل بطني الا ما اعلم وقال الشعبي وجد علي
درعا له عند نصراني فأقبل به الى شريح وجلس الى جانبه وقال لو كان خصمي مسلما لساويته
وقال هذه درعي فقال النصراني ماهي الا درعي ولم يكذب أمير المؤمنين فقال شريح لعلي ألك
بينة قال لا وهو يضحك فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيرا ثم عاد وقال أشهد ان هذه أحكام
الانبياء أمير المؤمنين قدمني الى قاضيه وقاضيه يقضي عليه ثم أسلم واعترف ان الدرع سقطت
من علي عند مسيره الى صفين ففرح علي باسلامه ووهب له الدرع وفرسا وشهد معه قتال
الخوارج وقيل ان عليا رؤي وهو يحمل في ملحفته تمرا قد اشتراه بدرهم فقيل له يا امير المؤمنين
الا نحمله عنك فقال أبو العيال احق بحمله وقال الحسن بن صالح تذاكروا الزهاد عند عمر بن
عبد العزيز فقال عمر ازهد الناس في الدنيا علي بن ابي طالب وقال المدائني نظر علي الى قوم ببابه
فقال لقنبر مولاه من هؤلاء قال شيعتك يا أمير المؤمنين قال ومالي لا ارى فيهم سيما الشيعة قال
وما سيماهم قال خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من الظما عمش العيون من البكاء
ومناقبه لا تحصى قد جمعت قضاياه في كتاب مفرد

﴿ ذكر بيعة الحسن بن علي ﴾

وفي هذه السنة أعني سنة أربعين بويع الحسن بن علي بعد قتل أبيه وأول من بايعه قيس بن سعد
الانصاري وقال له ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وقتال المحلين فقال الحسن
على كتاب الله وسنة رسوله فانهما يأتيان على كل شرط فبايعه الناس وكان الحسن يشترط عليهم
انكم مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت فارتابوا بذلك وقالوا ماهذا لكم
بصاحب وما يريد هذا الا القتال

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

حج بالناس هذه السنة المغيرة بن شعبة وافتعل كتابا على لسان معاوية فيقال انه عرف يوم
التروية ونحر يوم عرفة خوفا ان يفطن لفعله وقيل فعل ذلك لانه بلغه ان عتبة بن أبي سفيان
مصبحه واليا على الموسم وفيها بويع معاوية بالخلافة ببيت المقدس وكان قبل ذلك يدعى بالامير
في بلاد الشام فلما قتل علي دعي بأمير المؤمنين هكذا قال بعضهم وقد تقدم انه بويع بالخلافة بعد
اجتماع الحكمين والله أعلم وكانت خلافة الحسن ستة أشهر وفيها مات الاشعث بن قيس
الكندي بعد قتل علي بأربعين ليلة وصلى عليه الحسن بن علي وفيها مات حسان بن ثابت وأبو
رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما من الصحابة وفيها مات شرحبيل بن السمط
الكندي وهو من أصحاب معاوية قيل له صحبة وقيل لا صحبة له وفي أول خلافة علي مات جهجاه
الغفاري له صحبة وفيها مات الحرث بن خزيمة الانصاري شهد بدرا وأحدا وغيرهما وفيها مات
خوات بن جبير الانصاري بالمدينة وكان قد خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر فرجع لعذر
فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وهو صاحب ذات النحيين وفي خلافة علي مات
قرظة بن كعب الانصاري بالكوفة وقيل بل مات في امارة المغيرة على الكوفة لمعاوية شهد
أحدا وغيرها وشهد سائر المشاهد مع علي ومات معاذ بن عفراء الانصاري في أول خلافة علي وهو

مع غازان اتابكه نيروز وهو الذي جمع الناس على طاعة غازان فلما تقارب الجمعان علم غازان انه لا طاقة له ببيدو فتراسلا
واصطلحا ورجع غازان الى
خراسان واقام نيروز عند بيدو
وأخذ في استمالات قلوب
المغل الى غازان فلما استوثق
نيروز من المغل كتب الى
غازان وأمره بالحركة فتحرك
غازان ثانيا وبلغ بيدو حركته
فقال لنيروز في ذلك فقال
نيروز ارسلني لاربط غازان
وأرسله اليك فحلفه بيدو على
ذلك فحلف نيروز وسار الى
غازان وعمد نيروز الى قدر
والقدر واسمها بالتركي غازان
فوضع قدرا في جوالق وربطه
وأرسله الى بيدو وفاء بيمينه
والتقى الجمعان بنواحي
همذان فقتل بيدو هنالك
وكان مقتله في ذي الحجة
سنة أربع وتسعين وستمائة
فكانت مدة ملك بيدو نحو
ثمانية أشهر وتولى مكانه
(غازان بن ارغون بن ابغا
ابن هلاكو) وقتل اتابكه
نيروز وأقام موضعه قطلوشاه
وفي سنة تسع وتسعين
وستمائة سار غازان المذكور
الى الشام وملكها ولم يملك
قلعتها وكر راجعا الى بلاده
وأقام نوابه بالشام ثم خرجت
العساكر المصرية لقتال
التاتار فلما بلغهم ذلك تركوا
المدينة وساروا الى بلادهم
فلما بلغ غازان ذلك ارسل
اتابكه قطلوشاه مع عساكر
التاتار الى الشام وكانت الوقعة بين الصفين والكسوة فنصر الله تعالى المسلمين وفات التاتار منهزمين

بدرى شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى خلافته مات أبو لبابة بن عبد المنذر الانصارى وكان نقيبا شهد بدرا وقيل بل استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ورده من طريق بدر وضرب له بسهمه وفيها توفى معيقيب بن أبى فاطمة الدوسى له صحبة قديم الاسلام هاجر الى الحبشة الهجرة الثانية وكان على خاتم النبى صلى الله عليه وسلم وكان مجذوما واستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال وكان معه الخاتم أيام عثمان فمن يده وقع الخاتم وقيل انه توفى آخر خلافة عثمان

ثم دخلت سنة احدى واربعين

ذكر تسليم الحسن بن على الخلافة الى معاوية

كان أمير المؤمنين على قد بايعه اربعون ألفا من عسكره على الموت لما ظهر ما كان يخبرهم به عن اهل الشام فبينما هو يتجهز للمسير قتل عليه السلام واذا اراد الله أمرا انفذه فلما قتل وبايع الناس ولده الحسن بلغه مسير معاوية فى أهل الشام اليه فتجهز هو والجيش الذين كانوا بايعوا عليا وسار عن الكوفة الى لقاء معاوية وكان قد نزل مسكن فوصل الحسن الى المدائن وجعل قيس بن سعد بن عبادة الانصارى على مقدمته فى اثنى عشر الفا وقيل بل كان الحسن قد جعل على مقدمته عبد الله بن عباس فجعل عبد الله على مقدمته فى الطلائع قيس بن سعد بن عبادة فلما نزل الحسن المدائن نادى مناد فى العسكر الا ان قيس بن سعد قتل فانفروا فنفروا بسرادق الحسن فنهبوا متاعه حتى نازعوه بساطا كان تحته فازداد لهم بغضا ومنهم ذعرا ودخل المقصورة البيضاء بالمدائن وكان الامير على المدائن سعد بن مسعود الثقفى عم المختار بن ابى عبيد فقال له المختار وهو شاب هل لك فى الغنى والشرف قال وماذاك قال تستوثق من الحسن وتستأمن به الى معاوية فقال له عمه عليك لعنة الله اثب على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوثقه بئس الرجل أنت فلما رأى الحسن تفرق الامر عنه كتب الى معاوية وذكر شروطا وقال له ان انت اعطيتنى هذا فانا سامع مطيع وعليك ان تفى لى به وقال لاخيه الحسين وعبد الله بن جعفر انى قد راسلت معاوية فى الصلح فقال له الحسين انشدك الله أن لا تصدق احدوثة معاوية وتكذب احدوثة ابيك فقال له الحسن اسكت أنا اعلم بالامر منك فلما انتهى كتاب الحسن الى معاوية امسكه وكان قد ارسل عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس الى الحسن قبل وصول الكتاب ومعهما صحيفة بيضاء مختوم على اسفلها وكتب اليه أن اشترط فى هذه الصحيفة التى ختمت اسفلها ما شئت فهو لك فلما اتت الصحيفة الى الحسن اشترط اضعاف الشروط التى سأل معاوية قبل ذلك وامسكها عنده فلما سلم الحسن الامر الى معاوية طلب أن يعطيه الشروط التى فى الصحيفة التى ختم عليها معاوية فأبى ذلك معاوية وقال له قد اعطيتك ما كنت تطلب فلما اصطلحا قام الحسن فى اهل العراق فقال يا أهل العراق انه سخى بنفسى عنكم ثلاث قتلكم ابى وطعنكم اياى وانتهابكم متاعى وكان الذى طلب الحسن من معاوية أن يعطيه ما فى بيت مال الكوفة ومبلغه خمسة آلاف الف وخراج دارابجرد من فارس وان لا يشتم عليا فلم يجبه الى الكف عن شتم على فطلب أن لا يشتم وهو يسمع فأجابه الى ذلك ثم لم يف له به أيضا وأما خراج دارابجرد فان أهل البصرة منعوه منه وقالوا هو فيئنا لانعطيه أحدا وكان

واستمروا يقتلون ويأسرون منهم ماشاؤا واستمروا يطردونهم الى قريب الفرات بكامل ولم تطل مدة غازان بعد ذلك حتى هلك فى سنة ثلاث وسبعمائة بنواحى الرى فكانت مدة ملكه ثمانى سنين وعشرة أشهر وملك بعده اخوه (خدابنده) ابن ارغون بن ابغا بن هلاكو الى ان هلك فى سابع عشرى رمضان سنة ست عشرة وسبعمائة وتولى بعده (أبو سعيد) وعمره اذ ذاك فوق عشر سنين وبقى الحكم لاتابكه واستمر ذلك الى سنة سبع وعشرين وسبعمائة ولم يصل الينا خبر من تولى بعده اتفق المؤرخون على انه لم يبق من بنى هلاكو من تحقق نسبه لكثرة ما وقع فيهم من القتل غيرة على الملك ومن تخاطب الاختفاء بشخصه تخفى نسبه واستمرت بحار الفتن منهم تثور وتغور الى ان نبغ الاعرج تيمور فأهلك الحرث والنسل واختلط الملح بالنسل وحل بالعالم البأس وفسدت احوال الناس

(الباب الثالث والاربعون فى ذكر تيمور وما فعله من مفاسد الامور)

وهو أحد الدجالين الموعودين فى الاخبار النبوية ان يخرج على جميع البلاد الاسلامية ذكر صاحب المنتخب له نسبا يتصل به الى جنكزخان من جهة النساء وكان رجلا ذا قامة شاهقة كأنه من بقايا العمالقة عظيم الجبهة والرأس شديد القوة والبأس

منعهم بأمر معاوية أيضا وقد سلم معاوية الامر لخمس بقين من ربيع الاول من هذه السنة وقيل فى ربيع الآخر وقيل فى جمادى الاولى وقيل انما سلم الحسن الامر الى معاوية لانه لما راسله معاوية فى تسليم الخلافة اليه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال انا والله ما يثنينا عن أهل الشأم شك ولا ندم وانما كنا نقاتل أهل الشأم بالسلامة والصبر فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع وكنتم فى مسيركم الى صفين ودينكم امام دنياكم وأصبحتم اليوم ودنياكم امام دينكم الا وقد أصبحتم بين قتيلين قتيل بصفين تبكون له وقتيل بالنهروان تطلبون بثاره واما الباقى فخاذل واما الباكى فثائر الا وان معاوية دعانا الامر ليس فيه عز ولا نصفة فان أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه الى الله عز وجل بظبا السيوف وان أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا فناداه الناس من كل جانب البقية البقية وأمض الصلح ولما عزم على تسليم الامر الى معاوية خطب الناس فقال أيها الناس انما نحن امراؤكم وضيفانكم ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وكرر ذلك حتى ما بقى فى المجلس الا من بكى حتى سمع نشيجه فلما ساروا الى معاوية فى الصلح فاصطلحا على ما ذكرناه وسلم اليه الحسن الامر وكانت خلافة الحسن على قول من يقول انه سلم الامر فى ربيع الاول خمسة أشهر ونحو نصف شهر وعلى قول من يقول فى ربيع الآخر يكون ستة أشهر وشيأ وعلى قول من يقول فى جمادى الاولى يكون سبعة أشهر وشيأ والله تعالى أعلم ولما اصطلحا وبايع الحسن معاوية دخل معاوية الكوفة وبايعه الناس وكتب الحسن الى قيس بن سعد وهو على مقدمته فى اثنى عشر ألفا يأمره بالدخول فى طاعة معاوية فقام قيس فى الناس فقال أيها الناس اختاروا الدخول فى طاعة امام ضلالة أو القتال مع غير امام فقال بعضهم بل نختار الدخول فى طاعة امام ضلالة فبايعوا معاوية أيضا فانصرف قيس فيمن تبعه على ما نذكره ولما دخل معاوية الكوفة قال له عمرو بن العاص لي أمر الحسن ان يقوم فيخطب الناس ليظهر لهم عيه فخطب معاوية الناس ثم أمر الحسن أن يخطبهم فقام فحمد الله بديهة ثم قال أيها الناس ان الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول وان الله عز وجل قال لنبيه وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين فلما قاله قال له معاوية اجلس وحقدها على عمرو وقال هذا من رأيك ولحق الحسن بالمدينة وأهل بيته وحشمهم وجعل الناس يبكون عند مسيرهم من الكوفة قيل للحسن ما حملك على ما فعلت فقال كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قوما لا يثق بهم أحد أبدا الا غلب ليس أحد منهم يوافق آخر فى رأى ولا هوى مختلفين لا نية لهم فى خير ولا شر لقد لقى أبى منهم أمورا عظاما فليت شعرى لمن يصلحون بعدى وهى أسرع البلاد خرابا ولما سار الحسن من الكوفة عرض له رجل فقال له يا مسود وجوه المسلمين فقال لا تعذلنى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام بنى أمية ينزون على منبره رجلا فرجلا فساءه ذلك فأنزل الله عز وجل انا أعطيناك الكوثر وهو نهر فى الجنة وانا أنزلناه فى ليلة القدر الى قوله تعالى خير من ألف شهر يملكها بعدك بنو أمية

﴿ ذكر صلح معاوية وقيس بن سعد ﴾

وفيها جرى الصلح بين معاوية وقيس بن سعد وكان قيس امتنع من ذلك وسبب امتناعه ان

أبيض اللون مشربا بحمرة عظيم الاطراف عريض ١٧٦ الاكتاف مستكمل البنية مسترسل اللحية أعرج العيناوين وعيناه كشعلتين جهير الصوت لا يهاب الموت وكان من ابهته وعظمته ان ملوك الاطراف وسلاطين الاكناف مع استقلالهم بالخطبة والسكة كانوا اذا قدموا عليه وتوجهوا بالهدايا والتقاديم اليه يجلسون على اعتاب العبودية والخدمة نحوا من مد البصر من سرادقاته واذا أراد منهم واحدا أرسل من الخدمة نحوه قاصدا فينادى ذلك الواحد باسمه فينهض فى الحال ويعدو نحوه وكان بدو أمره وخروجه فى حدود الستين وسبعمائة وهو من قرية تسمى خواجه ايلغار من اعمال الكش وهى مدينة من مدائن ما وراء النهر عن سمرقند نحو من ثلاثة عشر فرسخا ذكر انه لما ولد سقط على الارض ذلك السقيط كانت كفاه مملوأتين من الدم العبيط فقال بعضهم يكون شريطيا وقال بعض ينشأ لصا حراميا وقال قوم يكون قصابا سفاكا وقال آخرون بل يصير جلادا فتاكا وكان ابوه رجلا فقيرا اسكافا وهو نشأ شابا جلدا لكنه من القلة كان يتحرم ففى بعض الليالى سرق غنمة واحتملها فشعر به الراعى فضربه بسهمين اصاب باحدهما فخذه فاخطأها وبالاخرى كتفه فأبطلها فازداد كسرا على فقره واثما على شره ولم يملك سوى ثوب قطن فباعه واشترى بثمنه رأس ماعز وقصد الشيخ شمس الدين عبيد

عبيد الله بن عباس لما علم بما يريده الحسن من تسليم الامر الى معاوية كتب الى معاوية يسأله الامان لنفسه على ما أصاب من مال وغيره فأجابه الى ذلك وأرسل عبد الله بن عامر فى جيش كثيف فخرج اليهم عبيد الله ليلا وترك جنده الذين هو عليهم بغير امير وفيهم قيس بن سعد فامر ذلك الجند عليهم قيس بن سعد وتعاقد هو وهم على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة على ولمن كان معه على دمائهم وأموالهم وقيل ان قيسا كان هو الامير على ذلك الجيش فى المقدمة على ما ذكرنا وكان شديد الكراهة لامارة معاوية بن أبي سفيان فلما بلغه ان الحسن بن على صالح معاوية اجتمع معه جمع كثير وبايعوه على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة على على دمائهم وأموالهم وما كانوا اصابوا فى الفتنة فراسله معاوية يدعوه الى طاعته وأرسل اليه بسجل وختم على اسفله وقال له اكتب فى هذا ما شئت فهو لك فقال عمرو لمعاوية لا تعطه هذا وقاتله فقال معاوية على رسلك فانا لا نخلص الى قتلهم حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام فما خير العيش بعد ذلك فانى والله لا أقاتله ابدا حتى لا اجد من قتاله بدا فلما بعث اليه معاوية ذلك السجل اشترط قيس له ولشيعة على الامان على ما اصابوا من الدماء والاموال ولم يسأل فى سجله ذلك مالا واعطاه معاوية ما سأل ودخل قيس ومن معه فى طاعته وكانوا يعدون دهاة الناس حين ثارت الفتنة خمسة يقال انهم ذوو رأى العرب ومكيدتهم معاوية وعمرو والمغيرة بن شعبة وقيس بن سعد وعبد الله بن بديل الخزاعى وكان قيس وابن بديل مع على وكان المغيرة معتزلا بالطائف ولما استقر الامر لمعاوية دخل عليه سعد بن ابي وقاص فقال السلام عليك أيها الملك فضحك معاوية وقال ما كان عليك يا أبا اسحق لو قلت يا امير المؤمنين فقال اتقولها جذلان ضاحكا والله ما أحب انى وليتها بما وليتها به

﴿ ذكر خروج الخوارج على معاوية ﴾

قد ذكرنا فيما تقدم اعتزال فروة بن نوفل الاشجعى فى خمسمائة من الخوارج ومسيرهم الى شهرزور وتركوا قتال على والحسن فلما سلم الحسن الامر الى معاوية قالوا قد جاء الآن ما لا شك فيه فسيروا الى معاوية فجاهدوه فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل حتى حلوا بالنخيلة عند الكوفة وكان الحسن بن على قد سار يريد المدينة فكتب اليه معاوية يدعوه الى قتال فروة فلحقه رسوله بالقادسية اوقريبا منها فلم يرجع وكتب الى معاوية لو آثرت ان اقاتل أحدا من أهل القبلة لبدأت بقتالك فانى تركتك لصلاح الامة وحقن دمائها فأرسل اليهم معاوية جمعا من أهل الشام فقاتلوهم فانهزم أهل الشام فقال معاوية لاهل الكوفة والله لا امان لكم عندى حتى تكفوهم فخرج أهل الكوفة فقاتلوهم فقالت لهم الخوارج اليس معاوية عدونا وعدوكم دعونا حتى نقاتله فان أصبناه كنا قد كفينا كم عدوكم وان أصابنا كنتم قد كفيتمونا فقالوا لا بد لنا من قتالكم فأخذت أشجع صاحبهم فروة فحادثوه ووعظوه فلم يرجع فأخذوه قهرا وأدخلوه الكوفة فاستعمل الخوارج عليهم عبد الله بن أبى الحوساء رجلا من طيئ فقاتلهم أهل الكوفة فقتلوهم فى ربيع الاول وقيل فى ربيع الآخر وقتل ابن أبى الحوساء وكان ابن أبى الحوساء حين ولى امر الخوارج قد خوف من السلطان ان يصلبه فقال

ما ان أبالى اذا أرواحنا قبضت • ماذا فعلتم بأوصال وأبشار

القاخورى فى مدينة كش وقد ربط بطرف حبل عنق الماعز وربط عنقه بالطرف الآخر وجعل يتشحط على عصا من جريد حتى دخل كما يدخل على الشيخ المريد فصادفه هو والفقراء مشغولين بالذكر ومستغرقين فيما هم فيه من الوجد الفكر فلا زال قائما فى صف النعال حتى أفاقوا من حالهم وسكتوا عن قالهم فلما وقع نظر الشيخ عليه سارع الى تقبيل يديه وانكب على رجليه فتفكر الشيخ ساعة ثم رفع رأسه الى الجماعة وقال كان هذا الرجل بذل عرضه وعروضه واستمدنا فى طلب ما لا يساوى عند الله جناح بعوضة فترى ان نمده ولا نحرمه ولا نرده فأمدوه بالدعاء اسعافا لما طلبه فاشبهت قصته قصة ثعلبة ورجع من عند الشيخ وخرج وعرج بعدما عرج الى ما عرج ولما قدم خراسان اجتمع مع الشيخ زين الدين ابى بكر الخوافى وانكب على رجليه فوضع الشيخ على ظهره يديه فقال تيمور لولا ان الشيخ رفع يديه عن ظهرى بسرعة لخلته ارتض ولقد تصورت ان السماء قد وقعت على الارض وأنا بينهما رضضت أشد رض ثم انه جلس بين يديه وقال يا مولانا

تجرى المجرة والنسران عن قدره * والشمس والقمر السارى بمقدار
وقد علمت وخير القول انفعه * ان السعيد الذى ينجو من النار

ذكر خروج حوثرة بن وداع

ولما قتل ابن ابى الحوساء اجتمع الخوارج فولوا امرهم حوثرة بن وداع بن مسعود الاسدى فقام فيهم وعاب فروة بن نوفل لشكه فى قتال علىّ ودعا الخوارج وسار من براز الروز وكان بها حتى قدم النخيلة فى مائة وخمسين وانضم اليه فل ابن أبى الحوساء وهم قليل فدعا معاوية أبا حوثرة فقال له اخرج الى ابنك فلعله يرق اذا رآك فخرج اليه وكلمه وناشده وقال الا أجيئك بابنك فلعلك اذا رأيته كرهت فراقه فقال انا الى طعنة من يد كافر برمح اتقلب فيه ساعة اشوق منى الى ابنى فرجع أبوه فأخبر معاوية بقوله فسير معاوية اليهم عبد الله بن عوف الاحمر فى ألفين وخرج أبو حوثرة فيمن خرج فدعا ابنه الى البراز فقال يا أبت لك فى غيرى سعة وقاتلهم ابن عوف وصبروا وبارز حوثرة عبد الله بن عوف فطعنه ابن عوف فقتله وقتل أصحابه الا خمسين رجلا دخلوا الكوفة وذلك فى جمادى الآخرة سنة احدى وأربعين ورأى ابن عوف بوجه حوثرة أثر السجود وكان صاحب عبادة فندم على قتله وقال

قتلت أخا بنى أسد سفاها * لعمر أبى فما لاقيت رشدى
قتلت مصليا محياء ليل * طويل الحزن ذا بر وقصد
قتلت أخا تقى لانال دنيا * وذاك لشقوتى وعثار جدّى
فهب لى توبة يارب واغفر * لما قارفت من خطا وعمد

ذكر خروج فروة بن نوفل ومقتله

ثم ان فروة بن نوفل الاشجعى خرج على المغيرة بن شعبة بعد مسير معاوية فوجه اليه المغيرة خيلا عليها شبث بن ربعى ويقال معقل بن قيس فلقيه بشهرزور فقتله وقيل قتل ببعض السواد

ذكر شبيب بن بجرة

كان شبيب مع ابن ملجم حين قتل عليا فلما دخل معاوية الكوفة أتاه شبيب كالمتقرب اليه فقال انا وابن ملجم قتلنا عليا فوثب معاوية من مجلسه مذعورا حتى دخل منزله وبعث الى أشجع وقال لئن رأيت شبيبا أو بلغنى انه ببابى لاهلكنكم أخرجوه عن بلدكم وكان شبيب اذا جن عليه الليل خرج فلم يلق أحدا الا قتله فلما ولى المغيرة الكوفة خرج عليه بالطف قريب الكوفة فبعث اليه المغيرة خيلا عليها خالد بن عرفطة وقيل معقل بن قيس فاقتتلوا فقتل شبيب وأصحابه

ذكر معين الخارجى

وبلغ المغيرة ان معين بن عبد الله يريد الخروج وهو رجل من محارب وكان اسمه معنا فصغر فأرسل اليه وعنده جماعة فأخذ وحبس وبعث المغيرة الى معاوية يخبره امره فكتب اليه ان شهد انى خليفة فخل سبيله فأحضره المغيرة وقال له اتشهد ان معاوية خليفة وانه امير المؤمنين فقال أشهد ان الله عز وجل حق وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من فى القبور فأمر به فقتل قتله قبيصة الهلالى فلما كان أيام بشر بن مروان جلس رجل من الخوارج على باب قبيصة حتى خرج فقتله ولم يعرف قاتله حتى خرج قاتله مع شبيب بن يزيد فلما قدم الكوفة

الشيخ لم لاتأمرون ملوككم بالعدل والانصاف وان لايميلوا الى الجور والاعتساف فقال له الشيخ أمرناهم بذلك فلم يأتمروا فسلطناك عليهم فخرج من فوره من عند الشيخ وقد قامت منه الحدبة وهو قائل ملكت الدنيا ورب الكعبة فانه كان يقول جميع ماناله بدعوة الشيخ شمس الدين الفاخورى وهمة الشيخ زين الدين الخوافى والسيد محمد بركة وكان من أمره انه هو ورفقاؤه كانوا يتحرمون فى بلاد ماوراء النهر حتى شعر بهم السلطان حسين حاكم هراة فظفر به فبعد ضربه امر بصلبه وكان للسلطان ولد رأيه غير متين يدعى الملك غياث الدين فشفع فيه واستوهبه من أبيه فقال له أبوه هذا جفناى حرامى مادة الفساد لئن أبقيته ليملكن البلاد والعباد فقال له ابنه وما عسى ان يصدر من نصف آدمى وقد أصيب بالدواهى ورمى فوهبه اياه فوكل به من داواه الى ان اندمل جرحه وبرى قرحه فكان فى خدمته فقربه وزوجه بشقيقته ثم انه غاضبها فى بعض الايام فقتلها ثم لم يسعه الا الخروج والعصيان والتمرد والطغيان الى ان كان من أمره ما كان

قال يا أعداء الله أنا قاتل قبيصة

ذكر خروج أبي مريم

ثم خرج أبو مريم مولى بني الحرث بن كعب ومعه امرأتان قطام وكحيلة وكان أول من أخرج معه النساء فعاب ذلك عليه أبو بلال بن أدية فقال قد قاتل النساء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين بالشام وسأردهما فردهما فوجه اليه المغيرة جابرا البجلي فقاتله فقتل أبو مريم وأصحابه ببادوريا

ذكر خروج أبي ليلى

وكان أبو ليلى رجلا اسود طويلا فأخذ بعضادتي باب المسجد بالكوفة وفيه عدة من الاشراف وحكم بصوت عال فلم يعرض له أحد فخرج وتبعه ثلاثون رجلا من الموالي فبعث فيه المغيرة معقل بن قيس الرياحي فقتله بسواد الكوفة سنة اثنتين وأربعين

ذكر استعمال المغيرة بن شعبة على الكوفة

وفيها استعمل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة فأتاه المغيرة بن شعبة فقال له استعملت عبد الله على الكوفة وأباه على مصر فتكون اميرا بين نابي الاسد فعزله عنها واستعمل المغيرة على الكوفة وبلغ عمرا ما قال المغيرة فدخل على معاوية فقال استعملت المغيرة على الخراج فيغتال المال ولا تستطيع ان تأخذه منه استعمل على الخراج رجلا يخافك ويتقيك فعزله عن الخراج واستعمله على الصلاة ولما ولي المغيرة الكوفة استعمل كثير بن شهاب على الري وكان يكثر سب علي على منبر الري وبقي عليها الى ان ولي زياد الكوفة فأقره عليها وغزا الديلم ومعه عبد الله بن الحجاج التغلبي وقتل ديلميا وأخذ سلبه فأخذه منه كثير فناشده الله في رده عليه فلم يفعل فاختفى له وضربه على وجهه بالسيف أو بعصا هشم وجهه فقال

من مبلغ ابناء خندف انني * ادركت طائلتي من ابن شهاب
أدركته ليلا بعقوة داره * فضربته قدما على الانياب
هلا خشيت وأنت عاد ظالم * بقصور أبهر أسرتي وعقابي

ذكر ولاية بسر على البصرة

في هذه السنة ولي بسر بن ابي ارطاة البصرة وكان السبب في ذلك ان الحسن لما صالح معاوية أول سنة احدى وأربعين وثب حمران بن ابان على البصرة فأخذها وغلب عليها فبعث اليه معاوية بسر بن ابي ارطاة وأمره بقتل بني زياد بن ابيه وكان زياد على فارس قد أرسله اليها علي ابن ابي طالب فلما قدم بسر البصرة خطب على منبرها وشتم عليا ثم قال نشدت الله رجلا يعلم اني صادق الا صدقني أو كاذب الا كذبني فقال ابو بكرة اللهم انا لا نعلمك الا كاذبا قال فأمر به فخنق فقام ابو لؤلؤة الضبي فرمى بنفسه عليه فمنعه واقطعه ابو بكرة مائة جريب وقيل لابي بكرة ما حملك على ذلك فقال يناشدنا بالله ثم لا نصدقه وأرسل معاوية الى زياد ان في يدك مالا من مال الله فأد ما عندك منه فكتب اليه زياد انه لم يبق عندي شيء ولقد صرفت ما كان عندي في وجهه واستودعت بعضه لنازلة ان نزلت وحملت ما فضل الى أمير المؤمنين رحمة الله عليه فكتب اليه معاوية أن اقبل ننظر فيما وليت فان استقام بيننا امر والا رجعت الى مأمنك فامتنع فأخذ

حتى استصفى ممالك ما وراء النهر وذلك لاوامره جوامع الدهر وشرع في استخلاص البلاد واسترقاق العباد فكان يجري في جسد العالم مجرى الشيطان من بني آدم ويدب في البلاد دبيب السم في الاجساد ومن رأيه انه صاهر المغل وصافاهم وهادنهم وهاداهم وتزوج بنت ملكهم قمر الدين خان فأمن شرهم وكفي ضرهم ثم أرسل الى مخدومه سلطان هراة الملك غياث الدين الذي كان مغيثه عملا بقوله كتب الله على كل نفس خبيثة ان لا تخرج من الدنيا حتى تسيء الى من أحسن اليها وطلب منه الدخول في طاعته فأرسل غياث الدين يقول صحبة الرسول اما كنت خادما لي وأحسنت اليك وأسبلت ذيل نعمتي عليك وذلك بعد ان نجيتك من الضرب والصلب فان لم تكن انسانا يعرف الاحسان فكن كالكلب فعبر جيحون وتوجه اليه فلم يكن لغياث الدين قوة الى الوقوف بين يديه فحصن نفسه في القلعة فحسب ان يكون له بذلك منعة فأمنه وقبض عليه واحتاط على ملك يديه وكان حلف ان لا يريق له دما ولكن قتله في الحبس جوعا وظما ثم عاد

بسر أولاد زياد الاكابر منهم عبد الرحمن وعبيد الله وعباد وكتب الى زياد لتقدمن على أمير المؤمنين أو لأقتلن بنيك فكتب اليه زياد انت بارح من مكانى حتى يحكم الله بينى وبين صاحبك وان قتلت ولدى فالمصير الى الله ومن وراءنا الحساب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فأراد بسر قتلهم فأتاه أبو بكرة فقال قد أخذت ولد أخى بلا ذنب وقد صالح الحسن معاوية على ما أصاب أصحاب على حيث كانوا فليس عليهم ولا على أبيهم سبيل وأجله اياما حتى يأتيه بكتاب معاوية فركب ابو بكرة الى معاوية وهو بالكوفة فلما اتاه قال له يا معاوية ان الناس لم يعطوك بيعتهم على قتل الاطفال قال وما ذاك يا ابا بكرة قال بسر يريد قتل بنى اخى زياد فكتب له بتخليتهم فأخذ كتابه الى بسر بالكف عن اولاد زياد وعاد فوصل البصرة يوم الميعاد وقد اخرج بسر أولاد زياد مع طلوع الشمس ينتظر بهم الغروب ليقتلهم واجتمع الناس لذلك وهم ينتظرون ابا بكرة اذ رفع لهم على نجيب او برذون يكده فوقف عليه ونزل عنه والاح بثوبه وكبر وكبر الناس معه فاقبل يسعى على رجليه فأدرك بسرا قبل ان يقتلهم فدفع اليه كتاب معاوية فأطلقهم وقد كان معاوية كتب الى زياد حين قتل على يتهدده فقام خطيبا فقال العجب من ابن آكلة الاكباد وكهف النفاق ورئيس الاحزاب يتهددنى وبينى وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ابن عباس والحسن بن على فى سبعين ألفا واضعى سيوفهم على عواتقهم اما والله لئن خاص الى ليجدنى أحمر ضرابا بالسيف فلما صالح الحسن معاوية وقدم معاوية الكوفة تحصن زياد فى القلعة التى يقال لها قلعة زياد ﴿قول من قال فى هذا ان زيادا عنى ابن عباس وهم لان ابن عباس فارق عليا فى حياته وقيل ان معاوية أرسل هذا الى زياد فى حياة على فقال زياد هذه المقالة وعنى بها عليا وكتب زياد الى على يخبره بما كتب اليه معاوية فأجابه بما هو مشهور وقد ذكرناه فى استلحاق معاوية زيادا (كل ما فى هذا الخبر بسر فهو بضم الباء الموحدة والسين المهملة الساكنة)

﴿ذكر ولاية ابن عامر البصرة لمعاوية﴾

ثم اراد معاوية ان يولى عتبة بن أبى سفيان البصرة فكلمه ابن عامر وقال له ان لى بالبصرة ودائع وأموالا فان لم تولنى عليها ذهبت فولاه البصرة فقدمها فى آخر سنة احدى واربعين وجعل اليه خراسان وسجستان فجعل على شرطته حبيب بن شهاب وعلى القضاء عميرة بن يثربى اخا عمرو وقد تقدم فى وقعة الجمل ان عميرة قتل فيها وقيل عمرو وهو المقتول والله سبحانه اعلم بالصواب

﴿ذكر ولاية قيس بن الهيثم خراسان﴾

وفى هذه السنة استعمل ابن عامر قيس بن الهيثم السلمى على خراسان وكان أهل باذغيس وهراة وبوشنج قد نكثوا فسار الى بلخ فأخرب نوبهارها وكان الذى تولى ذلك عطاء بن السائب مولى بنى ليث وهو الخشك وانما سمى عطاء الخشك لانه اول من دخل مدينة هراة من المسلمين من باب خشك واتخذ قناطر على ثلاثة انهار من بلخ على فرسخ فقيل قناطر عطاء ثم ان اهل بلخ سألوا الصلح ومراجعة الطاعة فصالحهم قيس وقيل انما صالحهم الربيع بن زياد سنة احدى وخمسين وسيرد ذكره ثم قدم قيس على ابن عامر فضربه وحبسه واستعمل عبد الله بن خازم فأرسل اليه أهل هراة وباذغيس وبوشنج يطلبون الامان والصلح فصالحهم وحمل الى ابن عامر مالا (عبد الله بن خازم بالخاء المعجمة)

الى خراسان ونوى الانتقام من اهل سجستان فوضع السيف فيهم وافناهم عن بكرة أبيهم ثم خرب المدينة فلم يبق بها شجر ولا مدر ولا عين ولا أثر ورحل عنها وليس بها داع ولا مجيب وما فعل ذلك بهم الا لانه اولا منهم أصيب ذكر الشيخ عبد اللطيف الكرمانى ان الذين تخلصوا من القتل من اهل سجستان هزيمة لما تراجعوا اليها بعد رجوع تيمور عنها أرادوا ان يجمعوا بها فاضلوا يوم الجمعة وما اهتدوا اليه حتى أرسلوا الى كرمان من دلهم عليه ولما خلص له جميع ممالك العجم ودانت له ملوكهم والامم بلغه ان فيروزشاه سلطان الهند انتقل الى رحمة الله ولم يكن له ولد خليفة فسعى ان يتولى تلك الوظيفة فوصل اليها وقتل اقيالها وتسلم اقبالها وقد وفد عليه المبشر بأن أحد حاكم سيواس والملك الظاهر برقوق حاكم مصر والشام انتقلا الى دار السلام فسر بذلك صدره وانشرح وكاد ان يطير نحوهما من الفرح فأقام فى الهند فاقبا وتوجه نحو مدينة سيواس وكان بعد وفاة واليها استولى عليها الامير سليمان بن السلطان بايزيد يلدرم خان ابن مراد خان بن عثمان خان

﴿ذكر خروج سهم بن غالب﴾

وفى هذه السنة خرج سهم بن غالب الهجيمى على ابن عامر فى سبعين رجلا منهم الخطيم الباهلى وهو يزيد بن مالك وانما قيل له الخطيم لضربة ضربها على وجهه فنزلوا بين الجسرين والبصرة فمر بهم عبادة بن قرص الليثى من الغزو ومعه ابنه وابن أخيه فقال لهم الخوارج من أنتم قالوا قوم مسلمون قالوا كذبتم قال عبادة سبحان الله اقبلوا منا ما قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منى فانى كذبته وقاتلته ثم اتيته فأسلمت فقبل ذلك منى قالوا أنت كافر وقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخيه فخرج اليهم ابن عامر بنفسه وقاتلهم فقتل منهم عدة وانحاز بقيتهم الى اجمة وفيهم سهم والخطيم فعرض عليهم ابن عامر الامان فقبلوه فأمنهم فرجعوا فكتب اليه معاوية يأمره بقتلهم فكتب اليه ابن عامر انى قد جعلت لهم ذمتك فلما أتى زياد البصرة سنة خمس وأربعين هرب سهم والخطيم فخرجا الى الاهواز فاجتمع الى سهم جماعة فأقبل بهم الى البصرة فأخذوا قوما فقالوا نحن يهود فخلاهم وقتل سعدا مولى قدامة بن مظعون فلما وصل الى البصرة تفرق عنه أصحابه فاختفى سهم وقيل انهم تفرقوا عند استخفائه فطلب الامان وظن انه يسوغ له عند زياد ما ساغ له عند ابن عامر فلم يؤمنه زياد وبحث عنه فدل عليه فأخذه وقتله وصلبه فى داره وقيل لم يزل مستخفيا الى ان مات زياد فأخذه عبيد الله بن زياد فصلبه سنة أربع وخمسين وقيل قبل ذلك فقال رجل من الخوارج

فان تكن الاحزاب باؤا بصلبه * فلا يبعدن الله سهم بن غالب

وأما الخطيم فانه سأله زياد عن قتله عبادة فأنكر فسيره الى البحرين ثم أعاده بعد ذلك

﴿ذكر عدة حوادث﴾

قيل وفى هذه السنة ولد على بن عبد الله بن عباس وقيل ولد سنة أربعين قبل ان يقتل على والاول أصح وباسم على سماه وقال سميته باسم أحب الناس الى وحج بالناس هذه السنة عتبة ابن ابى سفيان وقيل عنبسة بن ابى سفيان وفى هذه السنة استعمل عمرو بن العاص عقبة بن نافع ابن عبد قيس وهو ابن خالة عمرو على افريقية فانتهى الى لواتة ومزاتة فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سنته فقتل وسبى ثم افتتح فى سنة اثنتين واربعين غدامس فقتل وسبى وفتح فى سنة ثلاث واربعين كورا من كور السودان وافتتح ودان وهى من برقة وافتتح عامة بلاد بربر وهو الذى اختط القيروان سنة خمسين وسيذكر ان شاء الله تعالى وفيها مات لبيد بن ربيعة الشاعر وقيل مات يوم دخل معاوية الكوفة وعمره مائة سنة وسبع وخمسون سنة وقيل مات فى خلافة عثمان وله صحبة وترك الشعر مذ أسلم

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين﴾

فى هذه السنة غزا المسلمون اللان وغزوا الروم ايضا فهزموهم هزيمة منكرة وقتلوا جماعة من بطارقتهم وفيها ولد الحجاج بن يوسف فى قول وفيها ولى معاوية مروان بن الحكم المدينة وولى خالد بن العاص بن هشام مكة فاستقضى مروان عبد الله بن الحرث بن نوفل وكان على الكوفة المغيرة بن شعبة وعلى قضائها شريح وعلى خراسان قيس بن الهيثم استعمله ابن عامر وقيل استعمله معاوية فلما استقامت له الامور فلما ولى ابن عامر البصرة أقره عليها

فوصل اليها تيمور تلك السيول الهامية فقال انا فاتح هذه المدينة والقلعة فى ثمانية عشر يوما وكانوا قد حصنوا المدينة والقلعة فأقام فى محاصرتها وفتحها فى اليوم الثامن عشر وذلك بعد أن حلف لاهل البلدان لا يريق دمهم وانه يرعى ذممهم ويحفظ حرمتهم وحرمهم فلما دخل المدينة ربطهم فى الرباق سربا وحفر لهم فى الارض سربا والقاهم احياء فى تلك الاخاديد وعدد من ألقى فى تلك الحفر كان ثلاثة آلاف نفر ثم اطلق النهب للنهاب واتبع الاسر والخراب وانمحت مراسم نقوشها فهى خاوية على عروشها ولما استوفى سيواس حصدا ورعيا فوق سهام الانتقام الى نحو الممالك الشامية كالجراد المنتشر فوصل اليها وختل وقتل وفعل فعلته التى فعل وقد ذكر تفصيله فى ذكر فرج ابن برقوق ولم يتعلمهم أحد جسر بعقوبه فرجع الى طريقته العوجاء حتى وصل الى الموصل وهو يمحو آثار الاسلام ثم توجه الى مدينة بغداد فلما سمع السلطان أحمد ذلك استناب مكانه نائبا ولحق هو الى سلطان الروم بايزيدخان فاخذها عنوة يوم عيد

ذكر الخبر عن تحرك الخوارج

وفي هذه السنة تحركت الخوارج الذين كانوا انحازوا عمن قتل في النهر ومن كان ارتث من جراحته في النهر فبرؤا وعفا علي عنهم وكان سبب خروجهم ان حيان بن ظبيان السلمي كان خارجيا وكان قد ارتث يوم النهر فلما برأ لحق بالري في رجال معه فأقاموا بها حتى بلغهم مقتل علي فدعا أصحابه وكانوا بضعة عشر أحدهم سالم بن ربيعة العبسي فاعلمهم بقتل علي فقال سالم لا شلت يمين علت قذاله بالسيف وحمدوا الله على قتله رضي الله عنه ولا رضي عنهم ثم ان سالما رجع عن رأي الخوارج بعد ذلك وصلح ودعاهم حيان الى الخروج ومقاتلة اهل القبلة فاقبلوا الى الكوفة فأقاموا بها حتى قدمها معاوية واستعمل على الكوفة المغيرة ابن شعبة فأحب العافية وأحسن السيرة وكان يؤتى فيقال له ان فلانا يرى رأي الشيعة وفلانا يرى رأي الخوارج فيقول قضى الله ان لا تزالوا مختلفين وسيحكم الله بين عباده فأمنه الناس وكانت الخوارج يلقى بعضهم بعضا ويتذاكرون مكان اخوانهم بالنهر فاجتمعوا على ثلاثة نفر على المستورد بن علفة التيمي من تيم الرباب وعلى معاذ بن جوين الطائي وهو ابن عم زيد بن حصين الذي قتل يوم النهر وعلى حيان بن ظبيان السلمي واجتمعوا في أربعمائة فتشاوروا فيمن يولون عليهم فكلهم دفع الامارة عن نفسه ثم اتفقوا فولوا المستورد وبايعوه وذلك في جمادى الآخرة واتعدوا للخروج واستعدوا وكان خروجهم غرة شعبان سنة ثلاث وأربعين (علفة بضم العين المهملة وتشديد اللام المكسورة وفتح الفاء)

ذكر قدوم زياد على معاوية

وفي هذه السنة قدم زياد على معاوية وكان سبب ذلك ان زيادا كان قد استودع ماله عبد الرحمن ابن أبي بكرة وكان عبد الرحمن يلي ماله بالبصرة وبلغ معاوية ذلك فبعث المغيرة بن شعبة لينظر في أموال زياد فأخذ عبد الرحمن فقال له ان كان أبوك قد اساء الي لقد أحسن عمك يعني زيادا وكتب الى معاوية اني لم أجد في يد عبد الرحمن مالا يحل لي أخذه فكتب اليه معاوية أن عذب عبد الرحمن فاراد ان يعذر وبلغ ذلك معاوية فقال لعبد الرحمن احتفظ بما في يديك والق على وجهه حريرة ونضحها بالماء فغشي عليه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم خلاه وكتب الى معاوية اني عذبته فلم أصب عنده شيأ وحفظ لزياد يده عنده ثم دخل المغيرة على معاوية فقال معاوية حين رآه

انما موضع سر المرء ان * باح بالسر اخوه المنتصح

فاذا بحت بسر فالى * ناصح يستره اولا تبح

فقال المغيرة يا امير المؤمنين ان تستودعني تستودع ناصحا مشفقا وما ذاك فقال له معاوية ذكرت زيادا واعتصامه بفارس فلم أنم ليلتي فقال المغيرة ما زياد هناك فقال معاوية داهية العرب معه أموال فارس يدبر الحيل ما يؤمنني ان يبايع لرجل من اهل هذا البيت فاذا هو قد اعاد الحرب جذعة فقال المغيرة أتأذن لي يا امير المؤمنين في اتيانه قال نعم وتلطف له فأتاه المغيرة وقال له ان معاوية استخفه الوجل حتى بعثني اليك ولم يكن احد يمد يده الى هذا الامر غير الحسن وقد بايع فخذ لنفسك قبل التوطين فيستغني معاوية عنك قال اشر علي وارم الغرض الاقصى فان المستشار مؤتمن فقال له المغيرة أرى ان تصل حبلك بحبله وتشخص اليه ويقضي الله وكتب

اليه

الاضحى فتقرب على زعمه بأن جعل المسلمين قرابين ثم امر عسكره بأن يأتيه كل واحد من أهل بغداد برأسين ثم اتوا بهم وطرحوا ابدانهم في تلك الميادين وجمع رؤسهم فبني بها ميادين وعجز بعض الجند عن رؤس الرجال فقطع رؤس النساء والاطفال ثم ان تيمور خرب المدينة بعد ان اخذ ما بها من الاموال والخزينة وابقاها عشش البوم والغراب في أماكنهم فأصبحوا الاثر الاسنا كنهم ثم الوى بتلك الاتراك ناحية قراباغ ونوى السير نحو ممالك الروم فراسل سلطانها بايزيد المجاهد الغازي وجعل السلطان أحمد حاكم بغداد وقرا يوسف حاكم اذربيجان سيباوذكرانهما من سطوات سيوفه هربا فتوجه نحوه فكان لا يدخل قرية الا أفسدها ولا ينزل على مدينة الا محاها وبددها فلما بلغ السلطان بايزيد مجيء ذلك العنيد توجه الى ملاقاته فاجتمع العسكران على نحو ميل من مدينة انقرة واشتغل الحرب بين الفريقين من الضحى الى العصر فآلت الى أسر ابن عثمان وكان من أمره ما كان وقتل غالب عسكره من العطش لانه كان ثامن عشر تموز وكان نهار الاربعاء سابع عشر ذي الحجة

اليه معاوية بامانه بعد عود المغيرة عنه فخرج زياد من فارس نحو معاوية ومعه المنجاب بن راشد الضبي وحارثة بن بدر الغداني وسرح عبد الله بن عامر عبد الله بن خازم في جماعة الى فارس وقال لعلك تلقى زيادا في طريقك فتأخذه فسار ابن خازم فلقى زيادا بارجان فاخذ بعنانه وقال انزل يا زياد فقال له المنجاب تنح يا ابن السوداء والا علقت يدك بالعنان وكانت بينهم منازعة فقال له زياد قد أتاني كتاب معاوية وامانه فتركه ابن خازم وقدم زياد على معاوية وسأله عن أموال فارس فأخبره بما حمل منها الى علي وبما أنفق منها في الوجوه التي تحتاج الى النفقة وما بقي عنده وانه مودع للمسلمين فصدقه معاوية فيما انفق وفيما بقي عنده وقبضه منه وقيل ان زيادا لما قال لمعاوية قد بقيت بقية من المال وقد أودعتها امكث معاوية يردده فكتب زياد كتبا الى قوم اودعهم المال وقال لهم قد علمتم مالي عندكم من الامانة فتدبروا كتاب الله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية فاحتفظوا بما قبلكم وسمى في الكتب المال الذي اقر به لمعاوية وأمر رسوله ان يتعرض لبعض من يبلغ ذلك معاوية ففعل رسوله وانتشر ذلك فقال معاوية لزياد حين وقف على الكتب اخاف ان تكون مكرت بي فصالحني على ماشئت فصالحه على شئ وحمله اليه ومبلغه ألف ألف درهم واستأذنه في نزول الكوفة فأذن له فكان المغيرة يكرمه ويعظمه فكتب معاوية الى المغيرة ليلزم زيادا وحجر بن عدي وسليمان بن صرد وشبث بن ربعي وابن الكوا ابن الحق بالصلاة في الجماعة فكانوا يحضرون معه الصلاة وانما ألزمهم ذلك لانهم كانوا من شيعة علي)

(ذكر عدة حوادث)

وحج هذه السنة بالناس عنبسة بن أبي سفيان وفيها مات حبيب بن مسلمة الفهري بارمينية وكان أمير المعاوية عليها وكان قد شهد معه حروبه كلها وفيها مات عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري له صحبة وفيها مات ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب وهو الذي صارع النبي صلى الله عليه وسلم وصفوان بن امية بن خلف الجمحي وله صحبة وفيها مات هانئ بن نيار بن عمرو الانصاري وهو خال البراء بن عازب وقيل سنة خمس وأربعين وكان بدريا عقبيا (نيار بكسر النون وفتح الياء تحتها نقطتان وآخره راء)

(ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين)

في هذه السنة غزا بسر بن ابي ارطاة الروم وشتى بارضهم حتى بلغ القسطنطينية فيما زعم الواقدي وانكر ذلك قوم من أهل الاخبار وقالوا لم يشت بسر بأرض الروم قط وفيها مات عمرو ابن العاص بمصر يوم الفطر وكان عمل عليها لعمر أربع سنين ولعثمان أربع سنين الا شهرين ولمعاوية سنتين الا شهرا وفيها ولى معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص مصر فوليها نحوا من سنتين وفيها مات محمد بن مسلمة بالمدينة في صفر وصلى عليه مروان بن الحكم وعمره سبع وسبعون سنة

(ذكر مقتل المستورد الخارجي)

وفيها قتل المستورد بن علفة التيمي تيم الرباب وقد ذكر سنة اثنتين وأربعين تحرك الخوارج وبيعتهم له ومخاطبته بأمير المؤمنين فلما كان هذه السنة اخبر المغيرة بن شعبة بأنهم اجتمعوا في

سنة أربع وثمانمائة وما حصل لرأس مملكة الروم هذه الوعكة واندعكت اجسام عندما كره اقوى دعكة ووقع السلطان في مخالبه وعلم انه غير ناج من معاطبه قال لتيمور لي اليك ثلاث نصائح هن لخير الدنيا والآخرة لوائح أولاهن ان لاتقتل رجال الاروام فانهم ردء الاسلام وأنت أولى بنصرة الدين لانك تزعم انك من المسلمين ثانيتهن ان لاتترك التاتار بهذه الديار ولاتذرعلى أرض الروم منهم ديارا فانك ان تذرهم ملؤها من قبائلهم نارا وهم على المسلمين أضر من النصارى ثالثتهن ان لاتمدد يدك بالتخريب في قلاع المسلمين وحصونهم ولاتجليهم عن مواطن حركتهم وسكونهم فانها معاقل الدين وملجأ الغزاة المجاهدين هذه امانة حملتكها وولاية قلدتكها فقبلها منه بأحسن قبول وحمل هذه الامانة ذلك الجهول والماصفا لتيمور شرب ممالك الروم من الكدر وقضى جيشه من الغارة الوطر اندرج الى رحمة ربه السلطان بايزيد وكان معه مكبلا في قفص من حديد وبعد ما سبكوا الاشباح وسلبوا الارواح ولم يخلص من شرهم من رعايا الروم الا الثلث أو الربع بعد ان جعل أهلها بين المحترقة والمختنقة والموقوذة والنطيحة وما أكل السبع قرر كل أمير من امراء الروم على ولايته وزاد في رعايته وأمرهم بأن يخطبوا له وان يضربوا السكة باسمه فامتثلوا اوامره واجتنبوا زواجره ثم ان تيمور رجع الى

منزل حيان بن ظبيان السلمي واتعدوا للخروج غرة شعبان فارسل المغيرة صاحب شرطته وهو
قبيصة بن الدمون فأحاط بدار حيان هو ومن معه واذا عنده معاذ بن جوين ونحو عشرين
رجلا وثارت امرأته وهي ام ولد كانت له كارهة فأخذت سيوفهم فالقتها تحت الفراش وقاموا
ليأخذوا سيوفهم فلم يجدوها فاستسلموا فانطلق بهم الى المغيرة فحبسهم بعد ان قررهم فلم يعترفوا
بشئ وذكروا انهم اجتمعوا للقراءة القرآن ولم يزالوا في السجن نحو سنة وسمع اخوانهم فحذروا
وخرج صاحبهم المستورد فنزل الحيرة واختلفت الخوارج اليه فرآهم حجار بن أبجر فسألوه ان
يكتم عليهم ليلتهم تلك فقال لهم سأكتم عليكم الدهر فخافوه ان يذكر حالهم للمغيرة فتحولوا الى دار
سليم بن محدوج العبدي وكان صهرا للمستورد ولم يذكر حجار من اخبارهم شيأ وبلغ المغيرة
خبرهم وانهم عازمون على الخروج تلك الايام فقام في الناس فحمد الله ثم قال لقد علمتم اني لم أزل
احب لجماعتكم العافية وا كف عنكم الاذى وخشيت ان يكون ذلك ادب سوء لسفهائكم وقد
خشيت من ان لا نجد بدا من ان لا يؤخذ الحليم التقي بذنب الجاهل السفيه فكفوا عنا سفهاءكم
قبل ان يشمل البلاء عوامكم وقد بلغنا ان رجالا يريدون ان يظهروا في المصر بالشقاق والنفاق
والخلاف وايم الله لا يخرجون في حي من احياء العرب الا أهلكتهم وجعلتهم نكالا لمن بعدهم
فقام اليه معقل بن قيس الرياحي فقال أيها الامير اعلمنا بهؤلاء القوم فان كانوا منا كفيناكهم
وان كانوا غيرنا امرت اهل الطاعة فأتاك كل قبيلة بسفهائهم فقال ما سمي لي احد باسمه فقال
معقل أنا أكفيك قومي فليكفك كل رئيس قومه فأحضر المغيرة الرؤساء وقال لهم ليكفني كل رجل
منكم قومه والا فوالله لاتحولن عما تعرفون الى ما تنكرون وعما تحبون الى ما تكرهون
فرجعوا الى قومهم فناشدوهم الله والاسلام الا دلوهم على كل من يريد ان يهيج الفتنة وجاء
صعصعة بن صوحان الى عبد القيس وكان قد علم بمنزل حيان في دار سليم ولكنه كره ان يؤخذ من
عشيرته على فراقه لاهل الشام وبغضه لرأيهم وكره مساءة أهل بيت من قومه فقام فيهم فقال أيها
الناس ان الله وله الحمد قسم الفضل خصكم بأحسن القسم فأجبتم الى دين الله الذي اختاره
لنفسه وارتضاه لملائكته ورسله ثم أقمتم حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم ثم اختلف الناس
بعده فثبتت طائفة وارتدت طائفة وادهنت طائفة وتربصت طائفة فلزمتم دين الله ايمانا به
وبرسوله وقاتلتم المرتدين حتى قام الدين وأهلك الله الظالمين ولم يزل الله يزيدكم بذلك خيرا حتى
اختلفت الامة بينها فقالت طائفة نريد طلحة والزبير وعائشة وقالت طائفة نريد اهل المغرب
وقالت طائفة نريد عبد الله بن وهب الراسبي وقلتم أنتم لا نريد الا اهل بيت نبينا الذين ابتدأنا الله
عز وجل من قبلهم بالكرامة تسديدا من الله عز وجل لكم وتوفيقا فلم تزالوا على الحق لازمين
له آخذين به حتى أهلك الله بكم وبمن كان على مثل هديكم الناكثين يوم الجمل والمارقين يوم النهر
وسكت عن ذكر أهل الشام لان السلطان لهم فلا قوم اعدى لله ولكم ولاهل بيت نبيكم من هذه
المارقة الخاطئة الذين فارقوا امامنا واستحلوا دماءنا وشهدوا علينا بالكفر فاياكم ان تؤوهم
في دوركم او تكتموا عليهم شيأ فانه لا ينبغي لحي من احياء العرب ان يكون أوداء لهذه المارقة
منكم وقد ذكر لي ان بعضهم في جانب من الحي وانا باحث عن ذلك فان يك حقا تقربت الى الله
بدمائهم فان دماءهم حلال وقال يا معشر عبد القيس ان ولاتنا هؤلاء اعرف شئ بكم وبرأيكم

بلاده وقد بلغ من دنياه المرام وانتهى أمله الى الكمال والتمام ووصل الى مدينة نزار وضعف وانقطع ثلاث ليال وعلم اجال
الانتقال الى دار الخزي
والنكال وأبى الله ان يخرج
تلك الروح النجسة الا على
صفات ما اخترعه من الظلم
واسمه فجعل يتناول من عرق
الخمر حتى نتنت كبده ولم
ينفعه ماله وولده وصار يتقيأ
دما ويأكل يديه حسرة وندما
فانتقل الى لعنة الله وعقابه
واستقر في أليم رجزه وعذابه
وذلك في ليلة الاربعاء سابع
عشر شعبان سنة سبع
وثمانمائة بنواحي مدينة ترار
وحملوا اعظامه الى سمرقند
وعمره قد جاوز الثمانين ومدة
ملكه واستيلائه مستقلا ست
وثلاثون سنة وذلك خارج
عن مدة خروجه وتجربه
رفع الله تعالى برحمته عن
البلاد والعباد العذاب
المهين وقطع دابر القوم الذين
ظلموا والحمد لله رب العالمين
ما كان ذاك العيش الا سكرة
لذاتها رحلت وحل خمارها
فلما قضى تيمور نحبه وكشف
الله عن العالم كربه خلف ولديه
أحدهما أميرشاه والآخر
شاه رخ ولم يكن معه احد من
اولاده واحفاده سوى ولد ولده
(خليل بن اميرشاه) حفيده
فجلس على سرير الملك وكان
أبوه اميرشاه متولي مملكة تبريز
قتله قرا يوسف حاكم اذربيجان
فلما تولى خليل تولى الملك
(شاه رخ) واستولى على ممالك
ماوراء النهر وخراسان وجميع عراق العجم وخلف تيمور بنتا تدعى سلطان بخت كانت مترجلة لا تحب الرجال وذلك لما افسدتها فلا

ولا تجعلوا لهم عليكم سبيلا فانهم أسرع شئ اليكم والى مثلكم ثم جلس وكل قوم قال لعنهم الله وبرئ منهم لانؤويهم ولئن علمنا بمكانهم لنطلعنك عليهم غير سليم بن محدوج فانه لم يقل شيأ ورجع كئيبا يكره أن يخرج أصحابه من داره فيلوموه ويكره أن يؤخذوا فى داره فيهلكوا ويهلك معهم وجاء أصحاب المستورد اليه فأعلموه بما قام به المغيرة فى الناس وبما قام به رؤسهم فيهم فسأل ابن محدوج عما قام به صعصعة فى عبد القيس فأخبره وقال كرهت أن أعلمكم فتظنوا انه ثقل على مكانكم فقال له قد أكرمت المثوى وأحسنت ونحن مرتحلون عنك وبلغ الخبر الذين فى محبس المغيرة من الخوارج فقال معاذ بن جوين ابن حصين فى ذلك

الا أيها الشارون قد حان لامرئ * شرى نفسه لله أن يترحلا
أقمتم بدار الخاطئين جهالة * وكل امرئ منكم يصاد ليقتلا
فشدوا على القوم العداة فانما * اقامتكم للذبح رأيا مضللا
الا فاقصدوا يا قوم للغاية التى * اذا ذكرت كانت أبر واعدلا
فياليتنى فيكم على ظهر سابح * شديد القصيرى دارعا غير اعزلا
وياليتنى فيكم أعادى عدوكم * فيسقينى كأس المنية اولا
يعز على أن تخافوا وتطردوا * ولما اجرد فى المحلين منصلا
ولما يفرق جمعهم كل ماجد * اذا قلت قد ولى وأدبر اقبلا
مشيحا بنصل السيف فى حمس الوغى * يرى الصبر فى بعض المواطن امثلا
وعز على أن تصابوا وتنقصوا * وأصبح ذا بث أسيرا مكبلا
ولو اننى فيكم وقد قصدوا لكم * أثرت اذا بين الفريقين قسطلا
فيارب جمع قد فللت وغارة * شهدت وقرن قد تركت مجدلا

وأرسل المستورد الى أصحابه فقال لهم اخرجوا من هذه القبيلة وتعدوا سوراء فخرجوا اليها متقطعين فاجتمعوا بها ثلاثمائة رجل وساروا الى الصراة فسمع المغيرة بن شعبة خبرهم فدعا رؤساء الناس فاستشارهم فيمن يرسله اليهم فقال له عدى بن حاتم كلنا لهم عدو ولرأيهم مبغض وبطاعتك مستمسك فأينا شئت سار اليهم وقال له معقل بن قيس انك لا تبعث اليهم احدا ممن ترى حولك الا رأيته سامعا مطيعا ولهم مفارقا ولهلاكهم محبا ولا ارى أن تبعث اليهم احدا من الناس أعدى لهم منى فابعثنى اليهم فانا اكفيكهم باذن الله تعالى فقال اخرج على اسم الله فجهز معه ثلاثة آلاف وقال المغيرة لصاحب شرطته الصق بمعقل شيعة على فانه كان من رؤساء أصحابه فاذا اجتمعوا استأنس بعضهم ببعض وهم أشد استحلالا لدماء هذه المارقة وأجرأ عليهم من غيرهم فقد قاتلوهم قبل هذه المرة وقال له صعصعة بن صوحان نحوا من قول معقل فقال له المغيرة اجلس فانما انت خطيب فأحفظه ذلك وانما قال له ذلك لانه بلغه انه يعيب عثمان بن عفان ويكثر ذكر على ويفضله وكان المغيرة دعاه وقال له اياك أن يبلغنى عنك انك تعيب عثمان واياك أن يبلغنى انك تظهر شيأ من فضل على فانا أعلم بذلك منك ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد أخذنا باظهار عيبه للناس فنحن ندع شيأ كثيرا مما أمرنا به ونذكر الشئ

النساء البغداديات لها تواريخ سوء لا ينبغي ذكرها *(الباب الرابع والاربعون فى ذكر دولة الدانشمندية ملوك الروم القاتلين بسيفهم كل جبار ظلوم)* ذكر المولى الجيانى فى تاريخه عن بدو أمرهم ان الذى اشتهر عن البطال الغازى هو ابو محمد جعفر ابن السلطان حسين بن ربيع بن على بن عباس سكن بقرية المسيحة الموسومة بمدينة سيد غازى وبها قبره يزار ويتبرك به زوج اخته لعمر بن زياد بن عمرو بن معد فولدت له بنت اسمها نظير الجمال زوجها لعلى بن مضراب أمير التركمان بالديار الرومية فولد منها ولد سماه احمد واقبه (دانشمند الغازى) وهو اول من ملك من هذه الطائفة وكان عالما فاضلا كاملا وعاشر السلطان طورسان بن على بن جعفر البطال بمدينة ملطية وسار سيرة جده من الجهاد فى سبيل الله وطلبا من الخليفة الاذن فى الجهاد فاذن لهما وولاهما على البلاد التى تفتح لهما فجمعا من العساكر نحو أربعين الفا وتوجها بنية الجهاد فى شهر رجب سنة ستين واربعمائة من مدينة ملطية فعزم السلطان طورسان بنصف العساكر على ساحل البحر الاسود وهو يغزو الكفار الى أن وصل بقرب القسطنطينية فبقى بالجبل الموسوم علم

الذي لانجد منه بدا ندفع به هؤلاء القوم عن انفسنا فان كنت ذاكرا فضله فاذكره بينك وبين أصحابك في منازلكم سرا واما علانية في المسجد فان هذا لا يحتمله الخليفة لنا فكان يقول له نعم ثم يبلغه عنه انه فعل ذلك فحقد عليه المغيرة فأجابه بهذا الجواب فقال له صعصعة وما أنا الا خطيب فقط قال أجل فقال والله انى للخطيب الصلب الرئيس أما والله لو شهدتني يوم الجمل حيث اختلفت القنا فشؤن تفرى وهامة تختلي لعلمت انى الليث النهد فقال حسبك لعمرى لقد أوتيت لسانا فصيحا وخرج معقل ومعه ثلاثة آلاف فارس نقاوة الشيعة وسار الى سوراء ولحقه أصحابه واما الخوارج فانهم ساروا الى بهرسير وأرادوا العبور الى المدينة العتيقة التي فيها منازل كسرى فمنعهم سماك بن عبيد الازدي العبسي وكان عاملا عليها فكتب اليه المستورد يدعوه الى البراءة من عثمان وعلي وان يتولاه واصحابه فقال سماك بئس الشيخ انا اذا واعاد الجواب على المستورد يدعوه الى الجماعة وان يأخذ له الامان فلم يجب وأقام بالمدائن ثلاثة ايام ثم بلغه مسير معقل اليهم فجمعهم المستورد وقال لهم ان المغيرة قد بعث اليكم معقل بن قيس وهو من السبائية المفترين الكاذبين فاشيروا على برأيكم فقال بعضهم نخرج فانا نريد الله والجهاد وقد جاؤنا فأين نذهب بل نقيم حتى يحكم الله بيننا وقال بعضهم بل نتنحى ندعو الناس ونحتج عليهم بالدعاء فقال لهم لا أرى ان نقيم حتى يأتونا وهم مستريحون بل أرى ان نسير بين أيديهم فيخرجوا في طلبنا فينقطعوا ويتبددوا فنلقاهم على تلك الحال فسار وافعبروا جراثا ومضوا الى أرض جوخى ثم بلغوا المذار فأقاموا بها وبلغ ابن عامر بالبصرة خبرهم فسأل كيف صنع المغيرة فأخبر بفعله فاستدعى شريك بن الاعور الحارثي وكان من شيعة على فقال له اخرج الى هذه المارقة ففعل وانتخب معه ثلاثة آلاف فارس من الشيعة وكان اكثرهم من ربيعة وسار بهم الى المذار وأما معقل بن قيس فسار الى المدائن حتى بلغها فبلغه رحيلهم فشق ذلك على الناس فقال لهم معقل انهم ساروا اتبعوهم وتبددوا وتقطعوا فتلحقوهم وقد تعبتم وانه لا يصيبكم شيء من ذلك الا وقد أصابهم مثل ذلك وسار في آثارهم وقدم بين يديه أبا الرواغ الشاكرى في ثلاثمائة فارس فتبعهم أبو الرواغ حتى لحقهم بالمذار فاستشار أصحابه في قتالهم قبل قدوم معقل فقال بعضهم لا تفعل وقال بعضهم بل نقاتلهم فقال لهم ان معقلا أمرني أن لا اقاتلهم فقالوا له ينبغي أن تكون قريبا منه حتى يأتي معقل وكان ذلك عند المساء فباتوا يتحارسون حتى اصبحوا فلما ارتفع النهار خرجت الخوارج اليهم وكانوا أيضا ثلاثمائة وحملوا عليهم فانهزم أصحاب ابي الرواغ ساعة ثم صاح بهم أبو الرواغ الكرة الكرة وحمل ومعه اصحابه فلما دنوا من الخوارج عادوا منهزمين الا انهم لم يقتل منهم أحد فصاح بهم ابو الرواغ أيضا ثكلتكم امهاتكم ارجعوا بنا نكن قريبا منهم لا نفارقهم حتى يقدم علينا أميرنا وما اقبح بنا أن نرجع الى الجيش منهزمين من عدونا فقال له بعض اصحابه ان الله لا يستحيي من الحق قد والله هزمونا فقال له لا اكثر الله فينا مثلك انا مالم نفارق المعركة لم نهزم ومتى عطفنا عليهم وكنا قريبا منهم فنحن على حال حسنة فتقفوا قريبا منهم فان أتوكم وعجزتم عنهم فتأخروا قليلا فاذا حملوا عليكم وعجزتم عن قتالهم فانحازوا على حامية فاذا رجعوا عنكم فاعطفوا عليهم وكونوا قريبا منهم فان الجيش يأتيكم عن ساعة فجعلت الخوارج كلما حملت عليهم انحازوا عنهم فاذا عاد

طاعي قلعة غالية ولم يزل يحارب الكفار ولم يجد أحد من المسلمين الى أن قتل هو ومن معه جميعا ولم يبق منهم أحد يقال ان الدعاء هناك مستجاب والملك دانشمند سار بمن معه من العساكر حتى وصل الى مدينة سيواس فبناها وجعلها مقر سلطنته وكان جعفر البطال استخلص سيواس من يد الكفار وجعلها دار الاسلام وكان الامير عثمان جد السلاطين العثمانية اول ما وصل من بلاد الشرق لتلك الاماكن مع والده ارطغرل قاصدا للسلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي فأرسل الملك دانشمند الغازي من خدمه رجلا اسمه عثمان ومعه خمسة آلاف رجل لفتح مدينة قسطموني ففتحها واستولى على معدن الفضة وضرب دراهم باسم السلطان دانشمند وعزم دانشمند المذكور بنفسه لفتح قلعة نيكسار فأصابه سهم فقتل وتولى مكانه ولده (الملك الغازي محمد) وكان عالما فاضلا دينا مجاهدا في سبيل الله وفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة هجم الفرنج على البلاد الشامية وأخربوا غالبها فوصل اليهم السلطان المذكور وأبادهم بالقتل والسبي وفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة توفي الملك المذكور وتولى مكانه ولده (نظام الدين أبو المظفر ياغي بصان) مدة الى أن توفي في سنة اثنين وستين وخمسمائة ودفن بمدينة نيكسار

الخوارج رجع أبو الرواغ في آثارهم فلم يزالوا كذلك الى وقت الظهر فنزل الطائفتان يصلون ثم أقاموا الى العصر وكان اهل القرى والسيارة قد اخبروا معقلا بالتقاء الخوارج وأصحابه وان الخوارج تطرد أصحابه بين ايديهم فاذا رجعوا عاد اصحابه خلفهم فقال معقل ان كان ظني في أبي الرواغ صادقا لا يأتيكم منهزما آبدا ثم أسرع السير في سبعمائة من أهل القوة واستخلف محرز بن شهاب التميمي على ضعفة الناس فلما اشرفوا على ابي الرواغ قال لأصحابه هذه غبرة فتقدموا بنا الى عدونا حتى لا يرانا اصحابنا أنا تحيننا عنهم وهبناهم فتقدم حتى وقف مقابل الخوارج ولحقهم معقل فلما دنا منهم غربت الشمس فصلى باصحابه وصلى ابو الرواغ باصحابه وصلى الخوارج ايضا وقال أبو الرواغ لمعقل ان لهم شدات منكرات فلا تلها بنفسك ولكن قف وراء الناس تكون ردأ لهم فقال نعم ما رأيت فبيناهو يخاطبه حملت الخوارج عليهم فانهزم عامة أصحاب معقل وثبت هو فنزل الى الارض ومعه أبو الرواغ في نحو مائتي رجل فلما غشيهم المستورد استقبلوه بالرماح والسيوف فانهزمت خيل معقل ساعة ثم ناداهم مسكين ابن عامر وكان شجاعا أين الفرار وقد نزل اميركم ألا تستحيون ثم رجع ورجعت معه خيل عظيمة ومعقل بن قيس يقاتل الخوارج بمن معه فلم يزل يقاتلهم حتى ردهم الى البيوت ثم لم يلبثوا الا قليلا حتى جاءهم محرز بن شهاب فيمن معه فجعلهم معقل ميمنة وميسرة وقال لهم لا تبرحوا حتى تصبحوا وتثوروا اليهم ووقف الناس بعضهم مقابل بعض فبيناهم متواقفون أتى الخوارج عين لهم فاخبرهم ان شريك بن الاعور قد أقبل اليهم من البصرة في ثلاثة آلاف فقال المستورد لاصحابه لا أرى ان نقيم لهؤلاء جميعا ولكني أرى ان نرجع الى الوجه الذي جئنا منه فان اهل البصرة لا يتبعونا الى أرض الكوفة فيهون علينا قتال اهل الكوفة ثم أمرهم بالنزول ايريحوا دوابهم ساعة ففعلوا ثم دخلوا القرية وأخذوا منها من دلهم على الطريق الذي اقبلوا منه وعادوا راجعين واما معقل فانه بعث من يأتيه بخبرهم حين لم ير سوادهم فعاد اليه بالخبر انهم قد ساروا فخاف أن تكون مكيدة وخاف البيات فاحتاط هو وأصحابه وتحارسوا الى الصباح فلما اصبحوا أتاهم من اخبرهم بمسيرهم وجاء شريك بن الاعور فيمن معه فلقي معقلا فتساءلا ساعة وأخبره معقل بخبرهم فدعا شريك أصحابه الى المسير مع معقل فلم يجيبوه فاعتذر الى معقل بخلاف اصحابه وكان صديقا له يجمعهما رأي الشيعة ودعا معقل أبا الرواغ وأمره باتباعهم فقال له زدني مثل الذين كانوا معي ليكون اقوى لي ان أرادوا مناجزتي فبعث معه ستمائة فارس فساروا سراعا حتى ادركوا الخوارج بجرجرايا وقد نزلوا فنزل بهم أبو الرواغ مع طلوع الشمس فلما رأوهم قالوا ان قتال هؤلاء أيسر من قتال من يأتي بعدهم فحملوا على أبي الرواغ وأصحابه حملة صادقة فانهزم اصحابه وثبت في مائة فارس فقاتلهم طويلا وهو يقول

ان الفتى كل الفتى من لم يهل * اذا الجبان حاد عن وقع الاسل

قد علمت اني اذا البأس نزل * أروع يوم الهيج مقدام بطل

ثم عطف اصحابه من كل جانب فصدقوهم القتال حتى أعادوهم الى مكانهم فلما رأى المستورد ذلك علم انهم ان أتاهم معقل ومن معه هلكوا فمضى هو واصحابه فعبروا دجلة ووقفوا في أرض بهرسير وتبعهم أبو الرواغ حتى نزل بهم بساباط فلما نزل بهم قال المستورد لاصحابه ان هؤلاء

نيكسار ودفن بها وتولى مكانه (ذوالنون بن محمد) وهو آخر من ملك من هذه الطائفة واستولى على بلاده آل سلجوق وبه انقرضت دولتهم

(الباب الخامس والاربعون في ذكر دولة آل قرمان القاطعين لاهل الشرك والطغيان)

كان يقال لجدهم نوره صوفي أصله ارمني فاسلم وسكن بمدينة اماسية وصار من توابع بابا الياس ولما قتل الشيخ الياس المذكور انتقل لمدينة قونية وسكن بها واعتقده ناس كثير حتى السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي وجعل ولده (قرمان) مقربا عنده وزوجه اخته وولاه امرة بلاد لارنده ففتح بلاد مافكه ولما توفي السلطان علاء الدين استولى على جميع بلاده وسمى تلك البلاد باسمه واستقر في السلطنة مدة فلما توفي تولى مكانه ولده (علاء الدين) وهو الذي حارب السلطان يلدرم بايزيد وظفر به السلطان يلدرم بايزيد وقتله وقبض على ولديه علي ومحمد وحبسهما بمدينة بروسه واستقرا في السجن اثنتي عشرة سنة حتى اطلقهما تيمور ونصب (محمدا) مكان والده في بلاد قرمان بعد ما حل به وكان أخوه علي هرب والتجأ بسلطان مصر فالجده

هم جماة اصحاب معقل وفرسانه ولو علمت انى آسبقهم اليه بساعة لسرت اليه فوافقته ثم أمر من يسأل عن معقل فسألوا بعض من على الطريق فاخبروهم انه نزل ديلميا وبينهم ثلاثة فراسخ فلما أخبر المستورد بذلك ركب و ركب اصحابه وأقبل حتى انتهى الى جسر ساباط وهو جسر نهر ملك وهو من جانبه الذى يلي الكوفة وأبو الرواغ من جانب المدائن فقطع المستورد الجسر ولما رآهم أبو الرواغ قد ركبوا عبى اصحابه واعتزل الى صحراء بين المدائن وساباط ليكون القتال بها ووقف ينتظرهم فلما قطع المستورد الجسر سار الى ديلميا نحو معقل ليوقع به فانتهى اليه واصحابه متفرقون عنه وهو يريد الرحيل وقد تقدم بعض أصحابه فلما رآهم معقل نصب رايته ونادى يا عباد الله الارض الارض فنزل معه نحو مائتى رجل فحملت الخوارج عليهم فاستقبلوهم بالرماح جثاة على الركب فلم يقدروا عليهم فتركوهم وعدلوا الى خيولهم فحالوا بينهم وبينها وقطعوا أعنتها فذهبت فى كل جانب ثم مالوا على المتفرقين من أصحاب معقل ففرقوا بينهم ثم رجعوا الى معقل واصحابه وهم على الركب فحملوا عليهم فلم يتحلحلوا فحملوا أخرى فلم يقدروا عليهم فقال المستورد لاصحابه لينزل نصفكم ويبقى نصفكم على الخيل ففعلوا واشتد الحال على أصحاب معقل وأشرفوا على الهلاك فبينما هم كذلك اذ أقبل ابو الرواغ عليهم فيمن معه وكان سبب عوده اليهم انه أقام بمكانه ينتظرهم فلما أبطؤا عليه ارسل من يأتيه بخبرهم فرأوا الجسر مقطوعا ففرحوا وظنوا منهم ان الخوارج فعلوا ذلك هيبة لهم فرجعوا الى أبي الرواغ فاخبروه انهم لم يروهم وان الجسر قد قطعوه هيبة لهم فقال لهم أبو الرواغ لعمرى ما فعلوا هذا الا مكيدة وما اراهم الا وقد سبقوكم الى معقل حيث رأوا فرسان اصحابه معى وقد قطعوا الجسر ليشغلوكم به عن لحاقهم فالنجاء النجاء فى الطلب ثم أمر اهل القرية فعقدوا الجسر وعبر عليه واتبع الخوارج فلقيه أوائل الناس منهزمين فصاح بهم الىّ الىّ فرجعوا اليه واخبروه الخبر وانهم تركوا معقلا يقاتلهم وما يظنونه الا قتيلا فجد فى السير ورد معه كل من لقيه من المنهزمين فانتهى الى العسكر فرأى راية معقل منصوبة والناس يقتتلون فحمل ابو الرواغ ومن معه على الخوارج فأزالوهم غير بعيد ووصل أبو الرواغ الى معقل فاذا هو متقدم يحرض أصحابه فشدوا على الخوارج شدة منكرة ونزل المستورد ومن معه من الخوارج ونزل اصحاب معقل ايضا ثم اقتتلوا طويلا من النهار بالسيوف اشد قتال ثم ان المستورد نادى معقلا ليبرز اليه فبرز اليه فمنعه اصحابه فلم يقبل منهم وكان معه سيفه ومع المستورد رمحه فقال اصحاب معقل خذ رمحك فأبى واقبل على المستورد فطعنه المستورد برمحه فخرج السنان من ظهره وتقدم معقل والرمح فيه الى المستورد فضربه بالسيف فخالط دماغه فوقع المستورد ميتا ومات معقل ايضا وكان معقل قد قال ان قتلت فأميركم عمرو بن محرز بن شهاب التميمى فلما قتل أخذ الراية عمرو وثم حمل فى الناس على الخوارج فقتلوهم ولم ينج منهم غير خمسة أو ستة وقال ابن الكلبى كان المستورد من تيم ثم من بنى رياح واحتج بقول جرير

ومنا فتى الفتيان والجود معقل • ومنا الذى لاقى بدجلة معقلا

يعنى هذه الوقعة

(ذكر عود عبد الرحمن الى ولاية سجستان)

محمد بك ابن قرمان وحبسه وارسله الى سلطان مصر فحبسه هناك فلما توفى الملك المؤيد شيخ سلطان مصر وتولى السلطنة أمير ططر ارسل محمد المحبوس الى الروم واجلسه على سرير الملك وتوفى محمد وتولى مكانه ولده (ابراهيم) وكان اعدل هذه الطائفة وأحسنهم وزوج السلطان مراد خان أخته لابراهيم المذكور وصار بينهما اتحاد عظيم وفيما بعد وقع بينهما عداوة عظيمة آلت الى الحرب بينهما ووقع الصلح بينهما توفى ابراهيم فى سنة تسع وخمسين وثمانمائة وكانت مدة ملكه أربعين سنة وخلف ستة أولاد وتولى الملك بعده ولده (اسحق) وهرب بقية اخوته الى السلطان محمد خان بن عثمان فعين السلطان محمد خان بلاد قرمان لارشد تلك الاولاد الامير أحمد وارسل معه عساكر فلم يقدر اسحق على المقاومة وهرب الى بلاد الشرق الى أوزن حسن سلطان العراق وفيما بعد غضب السلطان محمد على الامير احمد المذكور وقرر امرة قرمان لولده (السلطان مصطفى) واستمر بلاد قرمان فى يد بنى عثمان به انقرضت دولتهم

(الباب السادس والاربعون فى ذكر ملوك الروم من آل سلجوق الكافين لاهل الفجور والفسوق)

في هذه السنة استعمل عبد الله بن عامر عبد الرحمن بن سمرة على سجستان فأتاها وعلى شرطته
عباد بن الحصين الحبطي ومعه من الاشراف عمرو بن عبيد الله بن معمر وغيره فكان يغزو البلد
قد كفر أهله فيفتحه حتى بلغ كابل فحصرها أشهرا ونصب عليها مجانيق فثلموا سورها ثلمة عظيمة
فبات عليها عباد بن الحصين ليلة يطاعن المشركين حتى أصبح فلم يقدروا على سدها وخرجوا
من الغد يقاتلون فهزمهم المسلمون ودخلوا البلد عنوة ثم سار الى بست ففتحها عنوة وسار الى
زران فهرب أهلها وغلب عليها ثم سار الى خشك فصالحه أهلها ثم اتى الرخج فقاتلوه فظفر بهم
وفتحها ثم سار الى زابلستان وهي غزنة وأعمالها فقاتله اهلها وقد كانوا انكثوا ففتحها وعاد الى
كابل وقد نكث اهلها ففتحها

(ذكر غزوة السند)

استعمل عبد الله بن عامر على ثغر السند عبد الله بن سوار العبدي ويقال ولاه معاوية من قبله
فغزا القيقان فاصاب مغنما ووفد على معاوية واهدى له خيلا قيقانية ورجع فغزا القيقان
فاستنجدوا بالترك فقتلوه وفيه يقول الشاعر

وابن سوار على عداته * موقد النار وقتال السغب

وكان كريما لم يوقد احد في عسكره نارا فرأى ذات ليلة نارا فقال ما هذه قالوا امرأة نفساء
يعمل لها الخبيص فامر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثة ايام

(ذكر ولاية عبد الله بن خازم خراسان)

قيل وفي هذه السنة عزل عبد الله بن عامر قيس بن الهيثم القيسي ثم السلمي عن خراسان واستعمل
عبد الله بن خازم وسبب ذلك ان قيسا ابطأ بالخراج والهدية فقال عبد الله بن خازم لعبد الله بن
عامر ولني خراسان اكفكها فكتب له عهده فبلغ ذلك قيسا فخاف ابن خازم وشغبه فترك
خراسان واقبل فازداد ابن عامر غضبا لتضييعه الثغر فضربه وحبسه وبعث رجلا من يشكر
على خراسان وقيل بعث اسلم بن زرعة الكلابي ثم ابن خازم وقيل في عزله غير ذلك وهو ان ابن
خازم قال لابن عامر انك استعملت على خراسان قيسا وهو ضعيف واني اخاف ان لقي حربا أن
ينهزم بالناس فتهلك خراسان وتفضح اخوالك يعني قيس عيلان قال ابن عامر فما الرأي قال
تكتب لي عهدا ان هو انصرف عن عدو قمت مقامه فكتب له وجاش جماعة من طخارستان
فشاوره قيس فأشار عليه ابن خازم أن ينصرف حتى يجتمع اليه اطرافه فلما سار مرحلة أو اثنتين
اخرج ابن خازم عهده وقام بامر الناس ولقي العدو فهزمهم وبلغ الخبر الكوفة والبصرة
والشام فغضب القيسية وقالوا خدع قيسا وابن عامر وشكوا الى معاوية فاستقدمه فاعتذر
مما قيل فيه فقال معاوية قم غدا فاعتذر في الناس فرجع الى اصحابه وقال اني أمرت بالخطبة
ولست بصاحب كلام فاجلسوا حول المنبر فاذا قلت فصدقوني فقام من الغد فحمد الله واثنى
عليه ثم قال انما يتكلف الخطبة امام لا يجد منها بدا او احمق يهمر من رأسه ولست بواحد منهما
وقد علم من عرفني اني بصير بالفرص وثاب اليها وقاف عند المهالك انفذ بالسرية واقسم
بالسوية انشد الله من عرف ذلك مني فليصدقني فقال اصحابه صدقت فقال يا أمير المؤمنين انك
فيمن نشدت فقل بما تعلم فقال صدقت

ذكر صاحب الدول الاسلامية ان السلجوقية لما انتشروا في البلاد طالبين الملك دخل منهم (قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق) الى بلاد الروم وملك مدينة قونية واقسراي ونواحيها ثم انه توجه لبلاد الري ليملكها فلم يقدر وهجم عليه العساكر فانهزم هو وعسكره فوجد مقتولا بين القتلى وذلك في سنة خمس وستين واربعمائة وقام بالامر بعده ابنه (سليمان ابن قتلمش) واستولى على ما كان بيد أبيه وافتتح مدينة انطاكية من يد الروم سنة سبع وسبعين واربعمائة واستضافها الى بلاده وسار لحصار حلب فامتنعت عليه وسألوه الامهال حتى يكاتبوا السلطان ملكشاه ودسوا الى تتش صاحب الشام يستدعونه فوصل واعترضه سليمان على غير تعبية فانهزم وطعن نفسه بخنجر ومات فملك بعده ابنه (قلج أرسلان ابن سليمان) وأقام في سلطانه وسار حتى استولى على الموصل وديار بكر واعمالها ثم سار الى الموصل لقتال جاولي فوقع بينهما حروب آلت الى قتل قلج ارسلان وضربه جاولي بسيفه فقتله وانهزم عساكره وتولى مكانه ابنه (مسعود شاه بن قلج ارسلان) فوقع بينه وبين الدانشمندية من التركمان حروب كثيرة ثم توفي مسعود سنة احدى وخمسين وخمسمائة وملك مكانه ابنه (عز الدين قلج ارسلان) واستولى على ما كان بيد أبيه من البلاد ثم قسمها بين اولاده فاعطى قونية باعمالها لغياث الدين

(ذكر عدة حوادث)

وحج هذه السنة مروان بن الحكم وكان على المدينة وكان على مكة خالد بن العاص بن هشام وعلى الكوفة المغيرة وعلى البصرة عبد الله بن عامر وفيها مات عبد الله بن سلام وله صحبة مشهورة وهو من علماء أهل الكتاب وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة

(ثم دخلت سنة اربع وأربعين)

في هذه السنة دخل المسلمون مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم وشتوا بها وغزا بسر بن أبي ارطاة في البحر

(ذكر عزل عبد الله بن عامر عن البصرة)

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن عامر عن البصرة وسببه ان ابن عامر كان حليما كريما لينا لا يأخذ على ايدي السفهاء وفسدت البصرة في ايامه فشكى ذلك الى زياد فقال له جرد السيف فقال اني اكره ان اصلحهم بفساد نفسي ثم ان ابن عامر أوفد وفدا من البصرة الى معاوية فوافقوا عنده وفد الكوفة وفيهم ابن الكواء واسمه عبد الله بن ابي أوفى اليشكري فسألهم معاوية عن اهل العراق وعن اهل البصرة خاصة فقال ابن الكواء يا أمير المؤمنين ان أهل البصرة قد اكلهم سفهاؤهم وضعف عنهم سلطانهم وعجز ابن عامر وضعفه فقال له معاوية تتكلم عن أهل البصرة وهم حضور فلما عاد اهل البصرة بلغوا ابن عامر فغضب وقال أي اهل العراق اشد عداوة لابن الكواء فقيل عبد الله بن ابي شيخ اليشكري فولاه خراسان فبلغ ذلك ابن الكواء فقال ان ابن دجاجة يعني ابن عامر قليل العلم في ظن ان ولاية عبد الله خراسان تسوءني لوددت انه لم يبق يشكري الا عاداني وانه ولاه وقيل ان الذي ولاه ابن عامر خراسان طفيل بن عوف اليشكري فلما علم معاوية بحال البصرة اراد عزل ابن عامر فارسل اليه يستزيره فجاء اليه فرده على عمله فلما ودعه قال اني سائلك ثلاثا فقل هن لك فقال هن لك وانا ابن ام حكيم قال ترد على عملي ولا تغضب قال قد فعلت قال وتهب لي مالك بعرفة قال قد فعلت قال وتهب لي دورك بمكة قال قد فعلت قال وصلتك رحم فقال ابن عامر يا أمير المؤمنين اني سائلك ثلاثا فقل هن لك فقال هن لك وانا ابن هند قال ترد علي مالي بعرفة قال قد فعلت قال ولا تحاسب لي عاملا ولا تتبع لي أثرا قال قد فعلت قال وتنكحني ابنتك هندا قال قد فعلت ويقال ان معاوية قال له اختر اما أن اتبع أثرك وأحاسبك بما صار اليك وارد ك واما أن أعزلك واسوغك ما اصبت فاختار العزل وان لا يسوغه ما أصاب فعزله وولى البصرة الحرث بن عبد الله الازدي

(ذكر استلحاق معاوية زيادا)

وفي هذه السنة استلحق معاوية زياد بن سمية فزعموا ان رجلا من عبد القيس كان مع زياد لما وفد على معاوية فقال لزياد ان لابن عامر عندي يدا فان أذنت لي أتيته قال على ان تحدثني بما يجري بينك وبينه قال نعم فاذن له فأتاه فقال له ابن عامر هيه هيه وابن سمية يقبح آثاري ويعترض عمالي لقد هممت ان آتي بقسامة من قريش يحلفون بالله ان أبا سفيان لم ير سمية فلما رجع سأله زياد فلم يخبره فألح عليه حتى اخبره فاخبر زياد بذلك معاوية فقال معاوية لحاجبه اذا جاء ابن عامر فاضرب وجه دابته عن أقصى الابواب ففعل ذلك به فأتى ابن عامر يزيد فشكا ذلك اليه

كيخسرو ومدينة اقسراي وسيواس لقطب الدين ومدينة توقات لركن الدين سليمان ومدينة انكورية لمحيي الدين ومدينة ملطية لعز الدين وبلاد البستان لمغيث الدين ومدينة قيسارية لنور الدين محمود ومدينة نيكسار واماسية لابني أخيه فوقع بينهم النزاع والمخاصمة وبقي السلطان قلج ارسلان ينتقل بين اولاده وأولاد اخيه من واحد الى آخر وهم معرضون عنه ومستثقلون به حتى مرض وعاد الى قونية فتوفي بها وتولى مكانه ابنه (غياث الدين كيخسرو) في مدينة قونية وبقية بنيه على حالهم في ولاياتهم التي قسمها بينهم أبوهم لكن النزاع واقع بينهم واستفحل ملك غياث الدين وعظم شأنه الى أن قتله تكور لادقية سنة سبع وستمائة فلما توفي تولى بعده ابنه (كيكاوس) ولقبوه الغالب بالله وكان عمه طغرل شاه بن قلج ارسلان صاحب ارزن الروم يطلب الامر لنفسه فسار الى قتال كيكاوس ابن أخيه وحاصره في سيواس ثم أفرج عنه حتى ظفر به فقتله في سنة عشر وستمائة وملك بعده أخوه (علاء الدين كيقباد) وكان ملكا مهابا وقورا يحب الغزو وقد اتسعت رقعة مملكته ببلاد الروم ومد يده الى ما يجاوره من البلاد وخدم عنده عسكر جلال الدين خوارزمشاه بعد مهلكه فاثبتهم في ديوانه واستخدمهم وزوج ابنته اصاحب مصر

فركب معه حتى ادخله فلما نظر اليه معاوية قام فدخل فقال يزيد لابن عامر اجلس فكم عسى
أن يقعد في البيت عن غير مجلسه فلما اطال الانتظار خرج معاوية وهو يتمثل

انا سباق ولكم سباق * قد علمت ذلكم الرفاق

ثم قعد فقال يا ابن عامر انت القائل في زياد ماقلت أما والله لقد علمت العرب اني كنت أعزها في
الجاهلية وان الاسلام لم يزدني الا عزا واني لم أتكثر بزياد من قلة ولم اتعزز به من ذلة ولكن
عرفت حقا له فوضعته موضعه فقال يا أمير المؤمنين نرجع الى مايحب زياد قال اذا نرجع الى
ماتحب فخرج ابن عامر الى زياد فترضاه فلما قدم زياد الكوفة قال قد جئتكم في أمر ما طلبته
الا اليكم قالوا ادعنا الى ما شئت قال تلحقون نسبي بمعاوية قالوا اما بشهادة الزور فلا فأتى البصرة فشهد له
رجال هذا جميع ماذكره أبو جعفر في استلحاق معاوية نسب زياد ولم يذكر حقيقة الحال في ذلك
انما ذكر حكاية جرت بعد استلحاقه وأنا اذكر سبب ذلك وكيفيته فانه من الامور المشهورة
الكبيرة في الاسلام لا ينبغي اهمالها وكان ابتداء حاله ان سمية أم زياد كانت لدهقان زندورد
بكسكر فمرض الدهقان فدعا الحرث بن كلدة الطبيب الثقفي فعالجه فبرأ فوهبه سمية فولدت
عند الحرث أبا بكرة واسمه نفيع فلم يقر به ثم ولدت نافعا فلم يقر به ايضا فلما نزل ابو بكرة الى النبي
صلى الله عليه وسلم حين حصر الطائف قال الحرث لنافع أنت ولدي وكان قد زوج سمية من
غلام له اسمه عبيد وهو رومي فولدت له زيادا وكان أبو سفيان بن حرب سار في الجاهلية الى
الطائف فنزل على خمار يقال له أبو مريم السلولي واسلم ابو مريم بعد ذلك وصحب النبي صلى الله
عليه وسلم فقال أبو سفيان لابي مريم قد اشتهيت النساء فالتمس لي بغيا فقال له هل لك في سمية
فقال هاتها على طول ثديها وذفر بطنها فأتاه بها فوقع عليها فعلقت بزياد ثم وضعته سنة احدى
من الهجرة فلما كبر ونشأ استكتبه أبو موسى الاشعري لما ولي البصرة ثم ان عمر بن الخطاب
استكفى زيادا أمرا فقام فيه مقاما مرضيا فلما عاد اليه حضر وعند عمر المهاجرون والانصار
فخطب خطبة لم يسمعوا بمثلها فقال عمرو بن العاص لله هذا الغلام لو كان أبوه من قريش لساق
العرب بعصاه فقال ابو سفيان وهو حاضر والله اني لاعرف اباه ومن وضعه في رحم أمه فقال
علي يا أبا سفيان اسكت فانك لتعلم ان عمر لو سمع هذا القول منك لكان اليك سريعا فلما ولي
علي الخلافة استعمل زيادا على فارس فضبطها وحمى قلاعها واتصل الخبر بمعاوية فساءه ذلك
وكتب الى زياد يتهدده ويعرض له بولادة أبي سفيان اياه فلما قرأ زياد كتابه قام في الناس وقال
العجب كل العجب من ابن آكلة الاكباد ورأس النفاق يخوفني بقصده اياي وبيني وبينه ابن
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار أما والله لو أذن لي في لقائه لوجدني
أحمر مخشيا ضرابا بالسيف وبلغ ذلك عليا فكتب اليه اني وليتك ما وليتك وانا أراك له اهلا
وقد كانت من أبي سفيان فلتة من اماني الباطل وكذب النفس لا توجب له ميراثا ولا تحل له نسبا
وان معاوية يأتي الانسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر
والسلام فلما قتل علي وكان من امر زياد ومصالحته معاوية ماذكرناه وضع زياد مصقلة بن
هبيرة الشيباني وضمن له عشرين الف درهم ليقول لمعاوية ان زيادا قد اكل فارس برا وبحرا
وصالحك على الفي الف درهم والله ما أرى الذي يقال الا حقا فاذا قال لك وما يقال فقل يقال

وقدمت عليه وفي خدمتها أمير ومعه خمسمائة فارس من الروم وحمل جهازها على ألف جمل ومحفتها بغطاء أطلس احمر
مكلل بالذهب وكان يوم
وصولها اليه يوما مشهودا
وعمل لها عرس لم يسمع بمثله
واول ما فتح مدينة علائية
بساحل البحر وبني حصار
قونية وسيواس وفتح بلاد
ارزنجان وجشكرك وكاخ
مع نواحيها وله حروب كثيرة
مع الكفار وطائفة التاتار
بحيث يطول شرحها توفي
في سنة اربع وثلاثين وستمائة
وكانت مدة ملكه اربعا
وعشرين سنة وملك بعده
ابنه (غياث الدين) وكان
ظالما غاشما جبارا عسوفا
وقارن استيلاؤه انقراض
دولة السلجوقية ولم يزل
يضمحل حاله ويكثر حروبه
الى أن قتله مماليكه في سنة
اربع وخمسين وستمائة وترك
ثلاثة أولادا كبيرهم علاء
الدين كيقباد وعز الدين
كيكاوس وركن الدين وجعل
علاء الدين ولي عهده وكان
يخطب باسمهم جميعا وامرهم
واحد وكان جنكيزخان قد
هلك وولي مكانه ابنه طولو
خان فملك اكثر بلاد الروم
وكان ملوك الروم تحت
حكم التاتار وآخر من تولى
الملك من آل سلجوق بالديار
الرومية (مسعود بن
كيكاوس) الى سنة ثمان
عشرة وسبعمائة وأصابه

انه ابن أبي سفيان ففعل مصقلة ذلك ورأى معاوية أن يستميل زيادا واستصفى مودته باستلحاقه فاتفقا على ذلك واحضر الناس وحضر من يشهد لزياد وكان فيمن حضر أبو مريم السلولي فقال له معاوية بم تشهد يا أبا مريم فقال انا اشهد ان ابا سفيان حضر عندي وطلب مني بغيا فقلت له ليس عندي الا سمية فقال ائتني بها على قذرها ووضرها فأتيته بها فخلا معها ثم خرجت من عنده وان اسكتيها ليقطران منيا فقال له زياد مهلا أبا مريم انما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتما فاستلحقه معاوية وكان استلحاقه اول ماردت به احكام الشريعة علانية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالولد للفراش وللعاهر بالحجر وكتب زياد الى عائشة من زياد بن أبي سفيان وهو يريد أن تكتب له الى زياد بن أبي سفيان فيحتج بذلك فكتبت من عائشة أم المؤمنين الى ابنها زياد وعظم ذلك على المسلمين عامة وعلى بني أمية خاصة وجرى أقاصيص يطول بذكرها الكتاب فاضربنا عنها ومن اعتذر لمعاوية قال انما استلحق معاوية زيادا لان انكحة الجاهلية كانت أنواعا لاحاجة الى ذكر جميعها وكان منها ان الجماعة يجامعون البغي فاذا حملت وولدت الحقت الولد بمن شاءت منهم فيلحقه فلما جاء الاسلام حرم هذا النكاح الا أنه أقر كل ولد كان ينسب الى أب من أي نكاح كان من أنكحتهم على نسبه ولم يفرق بين شيء منها فتوهم معاوية ان ذلك جائز له ولم يفرق بين استلحاق في الجاهلية والاسلام وهذا مردود لاتفاق المسلمين على انكاره ولانه لم يستلحق أحد في الاسلام مثله ليكون به حجة قيل أراد زياد أن يحج بعد أن استلحقه معاوية فسمع أخوه ابو بكرة وكان مهاجرا له من حين خالفه في الشهادة بالزنا على المغيرة بن شعبة فلما سمع بحجه جاء الى بيته وأخذ ابناله وقال له يا بني قل لابيك انني سمعت انك تريد الحج ولا بد من قدومك الى المدينة ولا شك أن تطلب الاجتماع بام حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم فان أذنت لك فاعظم به خزيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وان منعتك فاعظم به فضيحة في الدنيا وتكذيبا لاعدائك فترك زياد الحج وقال جزاك الله خيرا فقد أبلغت في النصح

(ذكر غزو المهلب السند)

وفيها غزا المهلب بن أبي صفرة ثغر السند فاتى بنة والاهواز وهما بين الملتان وكابل فلقيه العدو وقاتله ولقي المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارسا من الترك فقاتلوه فقتلوا جميعا فقال المهلب ماجعل هؤلاء الاعاجم أولى بالتشمير منا فحذف الخيل وكان أول من حذفها من المسلمين وفي يوم بنة يقول الازدي

ألم تران الازد ليلة بيتوا * ببنة كانوا خير جيش المهلب

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس في هذه السنة معاوية وفيها عمل مروان بن الحكم المقصورة بالمدينة وهو أول من عملها بها وكان معاوية قد عملها بالشام لما ضربه الخارجي وفيها توفيت ام حبيبة بنت ابي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم وفيها قتل رفاعة العدوي من عدي رباب وهو بصري له صحبة

(ثم دخلت سنة خمس واربعين)

فيها ولى معاوية الحرث بن عبد الله الازدي البصرة في أولها حين عزل ابن عامر وهو من اهل الشام فاستعمل الحرث على شرطته عبد الله بن عمرو الثقفي فبقي الحرث اميرا على البصرة

الفقر فانحل أمره واضمحل فعله وبقي الملك للتاتار ثم فشل أمرهم واضمحلت دولتهم فاستولى على غالب بلادهم بنو عثمان وتولى على البعض آل قرمان وكانت مدينة مينوب وقسطموني بعد السلطان علاء الدين بيد أولاد قزل محمد اولهم (عادل بك) تولى تلك الديار مدة فلما توفي تولى مكانه ولده (بايزيد الزمن) وكان دينا خيرا ثم من بعده تولى مكانه ولده (اسفنديار) مدة وبعد وفاته (ابراهيم) وبعده (قزل احمد) وصار أخوه اسمعيل اتابكاله وفي ايام السلطان محمد خان العثماني ضبط تلك الديار وعين لاحمد المذكور امارة بلاد روم ايلي وهذه الطائفة يزعمون انهم من نسل خالد ابن الوليد رضي الله عنه واما ممالك أيدين فتولى عليها صاحبها (أيدين بك) بعد موت السلطان علاء الدين كيقباد واستقل بتلك البلاد وتولى بعده ولده (محمد بك) ثم بعد وفاته تولى ولده (عيسى بك) وكان كريم النفس وفي زمانه صنف حاجي باشا كتاب الشفاء في الطب فانتزع الملك منهم المرحوم السلطان مراد خان العثماني

اربعة اشهر ثم عزله وولاها زيادا

(ذكر ولاية زياد ابن ابيه البصرة)

قدم زياد الكوفة فاقام ينتظر امارته عليها فقيل ذلك للمغيرة بن شعبة فسار الى معاوية فاستقاله الامارة وطلب منه ان يعطيه منازل بقرقيسيا البكون بين قيس نخافه معاوية وقال له لترجعن الى عملك فابي فازداد معاوية تهمة له فرده على عمله فعاد الى الكوفة ليلا وأرسل الى زياد فاخرجه منها وقيل ان المغيرة لم يسر الى الشام وانما معاوية ارسل الى زياد وهو بالكوفة فامره بالمسير الى البصرة فولاه البصرة وخراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان فقدم البصرة آخر شهر ربيع الآخر سنة خمس واربعين والفسق ظاهر فاش نخطبهم خطبته البتراء لم يحمد الله فيها وقيل بل حمد الله فقال الحمد لله على افضاله واحسانه ونسأله مزيدا من نعمه اللهم كما زدتنا نعما فألهمنا شكرا على نعمك علينا أما بعد فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغي الموقد لاهله النار الباقي عليهم سعيرها ما يأتي سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الامور العظام فينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كأن لم تسمعوا نبي الله ولم تقرؤا كتاب الله ولم تعلموا ما أعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل معصيته في الزمن السرمد الذي لا يزول أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية ولا تذكرون انكم أحدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة وباعدتم الذين يعتذرون بغير العذر وتعطفون على المختلس كل امرئ منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يخشى معادا ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم أطرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالارض هدما واحراقا اني رأيت آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح به أوله لين في غير ضعف وشدة في غير جبرية وعنف واني لاقسم بالله لآخذن الولي بالولي والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والصحيح منكم بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم لي قناتكم ان كذبة المنبر مشهودة فاذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي من بيت منكم فأنا ضامن لما ذهب له اياي ودلج الليل فاني لا أوتى بمدلج الا سفكت دمه وقد أجلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع اليكم واياي ودعوى الجاهلية فاني لا أجد أحدا دعا بها الا قطعت لسانه وقد أحدثتم أحداثا لم تكن وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوما غرقناه ومن حرق على قوم حرقناه ومن نقب بيتا نقبت عن قلبه ومن نبش قبرا دفنته فيه حيا فكفوا عني أيديكم وألسنتكم أكفف عنكم لساني ويدي واياي لا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليه عامتكم الا ضربت عنقه وقد كانت بيني وبين أقوام احن فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي فمن كان منكم محسنا فليزدد احسانا ومن كان مسيئا فلينزع عن اساءته اني لو علمت ان أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا ولم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته فاذا فعل لم أناظره فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم فرب مبتئس بقدومنا سيسر ومسرور بقدومنا

وأما مملكة صاروخان فتولى عليها صاحبها (صاروخان) استقلالا وبعده ولده (الياس بك) ولما توفى تولى مكانه ولده (اسحق) فظفر به السلطان يلدرم بايزيدخان وأسره وأما ممالك كرميان فتولى عليها صاحبها (كرميان بك) مدة وبعده ولده (علم شاه) وبعده ولده (يعقوب بن علم شاه) وكان صالحا متورعا زاهدا في الدنيا سلم مفاتيح بلاده للسلطان مرادخان الغازي فعين له امرة بلاد روم ايلي ولما توفى السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي كان الامير عثمان تغمده الله بالرحمة والرضوان جد السلاطين العثمانية اذ ذاك بمدينة قره حصار كما سنذكره ان شاء الله تعالى

(الباب السابع والاربعون في ذكر دولة بني عثمان أبقاهم الله الى آخر الدوران)

وهم من أعظم سلاطين الدنيا ابهة وجلالة وأشدهم قوة وآثارا وأول من ملك منهم في ممالك الروم الامير عثمان الغازي ابن الامير ارطغرل ابن سليمان شاه وله نسب يتصل الى يافث بن نوح عليه السلام وهو الجد الثالث عشر لحضرة سلطاننا الاعظم السلطان محمد خان لا زالت أعلام خلافته مرفوعة وألوية سلطنته منصوبة ولما كانت اسماؤهم بلغة الترك القديمة لم نذكرها لعسر ضبطها وهي مشهورة وفي التواريخ التركية مذكورة وكان سليمان شاه المذكور سلطانا في بلاد

سيبتئس أيها الناس انا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ونذود عنكم بفىء الله الذى خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم واعلموا انى مهما قصرت عنه فانى لا أقصر عن ثلاث لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو أتانى طارقا بليل ولا حابسا رزقا ولا عطاء عن ابانه ولا مجمرا لكم بعثا فادعوا الله بالصلاح لائمتكم فانهم ساستكم المؤدبون وكهفكم الذى اليه تأوون ومتى تصلحوا يصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا حاجتكم مع انه لو استجيب لكم لكان شرا لكم أسأل الله أن يعين كلا على كل فاذا رأيتمونى أنفذ فيكم الامر فانفذوه على اذلاله وان لى فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاى فقام اليه عبد الله بن الاهتم فقال اشهد أيها الامير انك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب فقال كذبت ذاك نبى الله داود فقال الاحنف قد قلت فأحسنت ايها الامير والثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وانا لن نثنى حتى نبتلى فقال زياد صدقت فقام اليه أبو بلال مرداس بن أذية وهو من الخوارج وقال أنبأ الله بغير ما قلت قال الله تعالى وابراهيم الذى وفى الا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى فأوعدنا الله خيرا مما أوعدتنا يا زياد فقال زياد انا لا نجد الى ما تريد انت وأصحابك سبيلا حتى نخوض اليها الدماء واستعمل زياد على شرطته عبد الله بن حصن واجل الناس حتى بلغ الخبر الكوفة وعاد اليه وصول الخبر فكان يؤخر العشاء الآخرة ثم يصلى فيأمر رجلا ان يقرأ سورة البقرة أو مثلها يرتل القرآن فاذا فرغ أمهل بقدر ما يرى ان انسانا يبلغ أقصى البصرة ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج فيخرج فلا يرى انسانا الا قتله فأخذ ذات ليلة اعرابيا فأتى به زيادا فقال هل سمعت النداء فقال لا والله قدمت بحلوبة لى وغشينى الليل فاضطررتها الى موضع وأقمت لأصبح ولا علم لى بما كان من الامير فقال أظنك والله صادقا ولكن فى قتلك صلاح الامة ثم امر به فضربت عنقه وكان زياد اول من شدد امر السلطان واكد الملك لمعاوية وجرد سيفه واخذ بالظنة وعاقب على الشبهة وخافه الناس خوفا شديدا حتى امن بعضهم بعضا وحتى كان الشئ يسقط من يد الرجل او المرأة فلا يعرض له احد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه ولا يغلق احد بابه وادر العطاء وبنى مدينة الرزق وجعل الشرط اربعة آلاف وقيل له ان السبيل مخوفة فقال لا اعانى شيأ وراء المصر حتى اصلح المصر فان غلبنى فغيره أشد غلبة منه فلما ضبط المصر واصلحه تكلف ما وراء ذلك فأحكمه

(ذكر عمال زياد)

استعمان زياد بعدة من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم منهم عمران بن حصين الخزاعى ولاه قضاء البصرة وانس بن مالك وعبد الرحمن بن سمرة وسمرة بن جندب فأما عمران فاستعفى من القضاء فأعفاه واستقضى عبد الله بن فضالة الليثى ثم اخاه عاصما ثم زرارة بن اوفى وكانت اخته عند زياد وقيل ان زيادا اول من سير بين يديه بالحراب والعمد واتخذ الحرس رابطة خمسمائة لا يفارقون المسجد وجعل خراسان ارباعا واستعمل على مرو أمير بن احمر وعلى نيسابور خليد ابن عبد الله الحنفى وعلى مروالروذ والفارياب والطالقان قيس بن الهيثم وعلى هراة وباذغيس وبوشنج نافع بن خالد الطاحى ثم غضب عليه فعزله وسبب تغيره عليه ان نافعا بعث بخوان باذزهر

ماهان قرب بلخ فلما ظهر جنكيزخان واخرب بلاد بلخ واخرج منها السلطان علاء الدين خوارزمشاه وتفرقت اهلها فى سنة احدى عشرة وستمائة ترك البلاد مع من تركها من الملوك وغيرها وقصد بلاد الروم وكان قد سمع بدولة السلاجقة بالروم وعظم شوكتهم وكثرة غزوهم الى الكفار وتبعه فى ذلك خلق كثير فلما وصلوا الى اذربيجان تقاتلوا مع الكفار وغنموا منهم شيأ كثيرا ثم قصدوا صوب حلب من ناحية البستان فوصلوا الى نهر الفرات امام قلعة جعبر ولم يعلموا المعبر فعبروا النهر فغلب عليهم الماء فغرق سليمان شاه فأخرجوه ودفنوه عند قلعة جعبر وقبره اليوم هنالك يزار ويتبرك به وكان مع سليمان شاه المذكور أولاده الثلاثة وهم سنقور وكون طوغدى وارطغرل فلما وصلوا الى موضع يقال له پاسين اووسى رجع سنقور وكون طوغدى ابنا سليمان شاه الى بلاد العجم وتخلف ارطغرل جد الملوك العثمانية مع ابنائه الثلاثة وهم كوندز آلب وصاروبى وعثمان ومكث فى ذلك الموضع يجاهد الكفار ثم ارسل ابنه صاروبى الى صاحب قونية وسيواس السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقى يستأذنه فى الدخول الى بلاده ويطلب منه موضعا ينزل فيه فعين له جبال طومانيج وجبال ارمناك وما بينهما موضعا للسكنى فأقبل ارطغرل مع اربعمائة الى

الى زياد قوائمه منه فأخذ نافع منها قائمة وعمل مكانها قائمة من ذهب وبعث الخوان مع غلام له اسمه زيد وكان يلى امور نافع كلها فسعى زيد بنافع الى زياد وقال انه خانك واخذ قائمة الخوان فعزله زياد وحبسه وكتب عليه كتابا بمائة الف وقيل بثمانمائة الف فشفع فيه رجال من وجوه الازد فأطلقه واستعمل الحكم بن عمرو الغفارى وكانت له صحبة وكان زياد قال لحاجبه ادع لى الحكم يريد الحكم بن ابى العاص الثقفى ليوليه خراسان فخرج حاجبه فرأى الحكم بن عمرو الغفارى فاستدعاه فحين رآه زياد قال له ما اردتك ولكن الله أرادك فولاه خراسان وجعل معه رجالا على جباية الخراج منهم أسلم بن زرعة الكلابى وغيره وغزا الحكم طخارستان فغنم غنائم كثيرة ثم مات واستخلف انس بن ابى اناس بن زنيم فعزله زياد وكتب الى خليد بن عبد الله الحنفى بولاية خراسان ثم بعث الربيع بن زياد الحارثى فى خمسين ألفا من البصرة والكوفة

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة مروان بن الحكم وكان على المدينة وفيها مات زيد بن ثابت الانصارى وقيل سنة خمس وخمسين وعاصم بن عدى الانصارى البلوى وكان بدريا وقيل لم يشهدها بل رده رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وضرب له بسهمه وكان عمره مائة وعشرين سنة وفيها مات سلمة بن سلامة بن وقش الانصارى بالمدينة وشهد العقبة وبدرا وكان عمره سبعين سنة وفيها توفى ثابت بن الضحاك بن خليفة الكلابى وهو من أصحاب الشجرة وهو أخو أبى جبيرة بن الضحاك

(ثم دخلت سنة ست وأربعين)

فى هذه السنة كان مشتى مالك بن عبد الله بأرض الروم وقيل بل كان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وقيل بل كان مالك بن هبيرة السكونى وفيها انصرف عبد الرحمن بن خالد من بلاد الروم الى حمص ومات

(ذكر وفاة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد)

وكان سبب موته انه كان قد عظم شأنه عند أهل الشام ومالوا اليه لما عندهم من آثار أبيه واغنائه فى بلاد الروم ولشدة بأسه فخافه معاوية وخشى منه وأمر ابن اثال النصرانى أن يحتال فى قتله وضمن له ان يضع عنه خراجه ما عاش وان يوليه خراج حمص فلما قدم عبد الرحمن من الروم دس اليه ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه فشربها فمات بحمص فوفى له معاوية بما ضمن له وقدم خالد بن عبد الرحمن بن خالد المدينة فجلس يوما الى عروة بن الزبير فقال له عروة ما فعل ابن أثال فقام من عنده وسار الى حمص فقتل ابن اثال فحمل الى معاوية فحبسه أياما ثم غرمه ديته ورجع خالد الى المدينة فأتى عروة فقال عروة ما فعل ابن أثال فقال قد كفيتك ابن اثال ولكن ما فعل ابن جرموز يعنى قاتل الزبير فسكت عروة

(ذكر خروج سهم والخطيم)

وفيها خرج الخطيم وهو يزيد بن مالك الباهلى وسهم بن غالب الهجيمى فحكما فأما سهم فانه خرج الى الاهواز فحكم بها ثم رجع فاختفى وطلب الامان فلم يؤمنه زياد وطلبه حتى أخذه وقتله وصلبه على بابه مدة وأما الخطيم فان زيادا سيره الى البحرين ثم أقدمه وقال لمسلم بن عمرو الباهلى والد قتيبة بن مسلم اضمنه فأبى وقال ان بات خارجا عن بيته أعلمتك ثم أتاه مسلم

جركاه من قومه فتوطنوا الى قره جه طاغ وفى سنة خمس وثمانين وستمائة نازل السلطان علاء الدين بعساكر كثيرة ومعه الامير ارطغرل قلعة كوناهية وهى يومئذ بيد الكفار ففوض أمر القلعة الى الامير ارطغرل وسار الى قتال التاتار بسبب تعرضهم لبعض بلاده ولم يزل الامير ارطغرل يجتهد حتى فتحها عنوة وغنم من الاموال أشياء كثيرة فازداد عند السلطان قربا ومنزلة ولم يزل الامير ارطغرل بعد هذا يقاتل ويجاهد فى سبيل الله عز وجل حتى توفى فى سبيل الله سنة سبع وثمانين وستمائة فلما سمع السلطان وفاته تأسف عليه وعين مكانه ولده

(السلطان عثمان خان الغازى ابن الامير ارطغرل)

وكان تفرس فى الغزاة فى سبيل الله منذ نشأ وكان مولده سنة ست وخمسين وستمائة فلما رأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده فى الجهاد وعلم نجابته فى فتح تلك البلاد أكرمه وامده بأنواع الاعانة والامداد وارسل اليه الراية السلطانية والخلع السنية والطبل والزمر فلما ضرب الطبل بين يدى السلطان عثمان نهض قائما على قدميه اعظاما للسلطان علاء الدين فما زال كذلك حتى فرغوا فمن ذلك اليوم كان بين العساكر العثمانية القيام على أرجلهم عند ضرب طبل السلطنة فى الاسفار والاعياد وكان يحب العلماء والصلحاء وكان كثير التردد الى الشيخ

العارف اده بالى القرمانى وربما بيت فى زاويته فرأى ليلة فى منامه ان قمرا خرج من حضن الشيخ المذكور فدخل فى حضنه وعند ذلك نبتت من سرته شجرة عظيمة سدت اغصانها الآفاق وتحتها جبال راسيات ذات انهار وعيون والناس ينتفعون من تلك المياه فلما استيقظ الامير عثمان وقص رؤياه للشيخ فقال له الشيخ لك البشارة بمنصب السلطنة ويعلو أمرك وينتفع الناس بك وبأولادك وانى زوجتك ابنتى هذه فقبلها عثمان وتزوجها فولد منها اولادا من جملتهم السلطان اورخان ثم ان السلطان علاء الدين عظم بلاؤه من التاتار وقد شاخ وكبر سنه وعجز عن الحركة والنهوض فاشتغل بنفسه عن غيره فتسلطن عثمان الغازى فى البلاد التى افتتحها وخطب له فيها بالسلطنة وخطب ختن الشيخ اده بالى مولانا طورسون الفقيه فى مدينة قره جه حصار يوم الجمعة سنة تسع وتسعين وستمائة وهى أول خطبة خطبت فى الدولة العثمانية باسم الامير عثمان الغازى وقيل بل أجازه فى ذلك السلطان علاء الدين المذكور وهو مجاز من الخلفاء العباسيين ثم شرع الغازى عثمان شاه فى الغزو والجهاد واستخلاص البلاد ففتح قلعة بيله جك وانيه كول ويكى شهر وفى سنة سبعمائة توفى السلطان علاء الدين السلجوقى وتولى

فقال له لم يبت الخطيم الليلة فى بيته فأمر به فقتل والقى فى باهلة وقد تقدم ذلك أتم من هذا وانما ذكرناه ههنا لانه قتل هذه السنة

ذكر عدة حوادث

وحج بالناس هذه السنة عتبة بن أبى سفيان وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها توفى صالح بن كيسان مولى بنى غفار وقيل مولى بنى عامر وقيل الخزاعى

(ثم دخلت سنة سبع وأربعين)

فى هذه السنة كان مشتى مالك بن هبيرة بأرض الروم ومشتى عبد الرحمن القينى بانطاكية

ذكر عزل عبد الله بن عمرو عن مصر وولاية ابن حديج

وفيها عزل عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر ووليها معاوية بن حديج وكان عثمانيا فمر به عبد الرحمن بن أبى بكر فقال له يا معاوية قد أخذت جزاءك من معاوية قد قتلت أخى محمد بن أبى بكر لتلى مصر فقد وليتها فقال ما قتلت محمدا الا بما صنع بعثمان فقال عبد الرحمن فلو كنت انما تطلب بدم عثمان ما شاركت معاوية فيما صنع حيث عمل عمرو بالاشعرى ما عمل فوثبت أول الناس فبايعته (حديج بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة وبالجيم)

ذكر غزوة الغور

فى هذه السنة سار الحكم بن عمرو الى جبال الغور فغزا من بها وكانوا ارتدوا فأخذهم بالسيف عنوة وفتحها وأصاب منها مغانم كثيرة وسبايا ولما رجع الحكم من هذه الغزوة مات بمرو فى قول بعضهم وكان الحكم قد قطع النهر فى ولايته ولم يفتح وكان أول المسلمين شرب من النهر مولى للحكم اغترف بترسه فشرب وناول الحكم فشرب وتوضأ وصلى ركعتين وكان أول المسلمين فعل ذلك ثم رجع

ذكر مكيدة للمهلب

وكان المهلب مع الحكم بن عمرو بخراسان وغزا معه بعض جبال الترك فغنموا وأخذ الترك عليهم الشعاب والطرق فعيى الحكم بالامر فولى المهلب الحرب فلم يزل يحتال حتى أسر عظيما من عظماء الترك فقال له اما ان تخرجنا من هذا الضيق اولا قتلنك فقال له أوقد النار حيال طريق من هذه الطرق وسير الاثقال نحوه فانهم سيجتمعون فيه ويخلون ما سواه من الطرق فبادرهم الى طريق اخرى فما يدركونكم حتى تخرجوا منه ففعل ذلك فسلم الناس بما معهم من الغنائم وحج بالناس هذه السنة عتبة بن ابى سفيان وقيل عنبسة بن ابى سفيان وكان الولاة من تقدم ذكرهم

(ثم دخلت سنة ثمان وأربعين)

فيها كان مشتى عبد الرحمن القينى بانطاكية وصائفة عبد الله بن قيس الفزارى وغزوة مالك بن هبيرة السكونى البحر وغزوة عقبة بن عامر الجهنى بأهل مصر البحر وبأهل المدينة وفيها استعمل زياد غالب بن فضالة الليثى على خراسان وكانت له صحبة وحج بالناس مروان وهو يتوقع العزل لموجدة كانت من معاوية عليه وارتجع معاوية منه فدك وكان وهبها له وكان ولاة الامصار من تقدم ذكرهم

(ثم دخلت سنة تسع وأربعين)

فيها كان مشتى مالك بن هبيرة بارض الروم وفيها كانت غزوة فضالة بن عبيد جربة وشتى بها وفتحت

على

على يده وأصاب فيها شيأ كثيرا وفيها كانت صائفة عبد الله بن كرز البجلى وفيها كانت غزوة يزيد بن شجرة الرهاوى فى البحر فشتى باهل الشام وفيها كانت غزوة عقبة بن نافع البحر فشتى باهل مصر

ذكر غزوة القسطنطينية

فى هذه السنة وقيل سنة خمسين سير معاوية جيشا كثيفا الى بلاد الروم للغزاة وجعل عليهم سفيان بن عوف وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم فتثاقل واعتل فأمسك عنه أبوه فأصاب الناس فى غزاتهم جوع ومرض شديد فانشأ يزيد يقول

ما ان ابالى بما لاقت جموعهم * بالفرقدونة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الانماط مرتفعا * بدير مران عندى أم كلثوم

وأم كلثوم امرأته وهى ابنة عبد الله بن عامر فبلغ معاوية شعره فاقسم عليه ليلحقن بسفيان فى ارض الروم ليصيبه ما اصاب الناس فسار ومعه جمع كثير اضافهم اليه أبوه وكان فى هذا الجيش ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابو ايوب الانصارى وغيرهم وعبد العزيز بن زرارة الكلابى فاوغلوا فى بلاد الروم حتى بلغوا القسطنطينية فاقتتل المسلمون والروم فى بعض الايام واشتدت الحرب بينهم فلم يزل عبد العزيز يتعرض للشهادة فلم يقتل فأنشأ يقول

قد عشت فى الدهر اطوارا على طرق * شتى فصادفت منها اللين والبشعا
كلا بلوت فلا النعماء تبطرنى * ولا تخشعت من لأوائها جزعا
لا يملأ الامر صدرى قبل موقعه * ولا اضيق به ذرعا اذا وقعا

ثم حمل على من يليه فقتل فيهم وانغمس بينهم فشجره الروم برماحهم حتى قتلوه رحمه الله فبلغ خبر قتله معاوية فقال لابيه والله هلك فتى العرب فقال ابنى أو ابنك قال ابنك فآجرك الله فقال

فان يكن الموت اودى به * واصبح مخ الكلابى زيرا
فكل فتى شارب كأسه * فاما صغيرا واما كبيرا

ثم رجع يزيد والجيش الى الشام وقد توفى ابو أيوب الانصارى عند القسطنطينية فدفن بالقرب من سورها فاهلها يستسقون به وكان قد شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد صفين مع على وغيرها من حروبه

ذكر عزل مروان عن المدينة وولاية سعيد

وفيها عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة فى ربيع الاول وامر سعيد بن العاص عليها فى ربيع الآخر وقيل فى ربيع الاول وكانت ولاية مروان كلها بالمدينة لمعاوية ثمانى سنين وشهرين وكان على قضاء المدينة عبد الله بن الحرث بن نوفل فعزله سعيد حين ولى واستقضى ابا سلمة بن عبد الرحمن

ذكر وفاة الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام

فى هذه السنة توفى الحسن بن على سمته زوجته جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندى ووصى ان يدفن عند النبى صلى الله عليه وسلم الا أن تخاف فتنة فينقل الى مقابر المسلمين فاستأذن الحسين عائشة فاذنت له فلما توفى ارادوا دفنه عند النبى صلى الله عليه وسلم فلم يعرض اليهم سعيد بن العاص وهو الامير فقام مروان بن الحكم وجمع بنى أمية وشيعتهم ومنع عن ذلك

فتح الامير عثمان ناحية مرمرة وكان الامير عثمان الغازى قسم البلاد بين اولاده واقطعهم اياها واستقر هو فى بلدة يكى شهر وتمكن بها وجعلها دار الامارة واسكن فيها الجند وفى هذه السنة فتح السلطان الغازى عثمان خان حصن كته وحصن لفكه وحصن آق حصار وحصن قوج حصار وفى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة افتتح المسلمون حصن كبوه وحصن يكيجه طراقلو وحصن تكور بيكارى وغيره وفى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة حاصر الغازى عثمان خان مدينة بروسه مدة ثم لما امتد امر الحصار امر ببناء قلعتين فى طرفى المدينة واسكن فيهما الجند وامرهم بالتضييق على اهل البلد وقطع الميرة عنهم وعاد هو الى مكانه فلما امتد ذلك ارسل الملك عثمان ابنه أورخان وصحبته عساكر كثيرة لفتح بروسه وكان السلطان عثمان اذ ذاك مريضا من علة النقرس فتخلف عن الغزو وفى هذه الاثناء توفى الملك المذكور فى سنة ست وعشرين وسبعمائة وقيل بل عاش بعد فتح بروسه بعض ايام ودفن فى قريته سوكوت وله قبر هناك يزار و يتبرك به وكان رحمه الله ملكا عادلا شجاعا عاقلا بطلا مجاهدا

فاراد الحسين الامتناع فقيل له ان اخاك قال اذا خفتم الفتنة ففي مقابر المسلمين وهذه فتنة فسكت وصلى عليه سعيد بن العاص فقال له الحسين لولا انه سنة ماتركتك تصلي عليه

(ثم دخلت سنة خمسين)

فيها كانت غزوة بسر بن ارطاة وسفيان بن عوف الازدي ارض الروم وغزوة فضالة بن عبيد الانصاري في البحر

(ذكر وفاة المغيرة بن شعبة وولاية زياد الكوفة)

في هذه السنة في شعبان كانت وفاة المغيرة بن شعبة في قول بعضهم وهو الصحيح وكان الطاعون قد وقع بالكوفة فهرب المغيرة منه فلما ارتفع الطاعون عاد الى الكوفة فطعن فمات وكان طوالا اعور ذهبت عينه يوم اليرموك وتوفي وهو ابن سبعين سنة وقيل كان موته سنة احدى وخمسين وقيل سنة تسع واربعين فلما مات المغيرة استعمل معاوية زيادا على الكوفة وهو اول من جمعا له فلما وليها سار اليها واستخلف على البصرة سمرة بن جندب وكان زياد يقيم بالكوفة ستة اشهر وبالبصرة ستة اشهر فلما وصل الكوفة خطبهم فحصب وهو على المنبر فجلس حتى امسكوا ثم دعا قوما من خاصته فأمرهم فأخذوا ابواب المسجد ثم قال ليأخذ كل رجل منكم جليسه ولا يقولن لا ادري من جليسي ثم امر بكرسي فوضع له على باب المسجد فدعاهم اربعة اربعة يحلفون ما منا من حصبك فمن حلف خلاه ومن لم يحلف حبسه حتى صار الى ثلاثين وقيل الى ثمانين فقطع ايديهم على المكان وكان اول قتيل قتله زياد بالكوفة أوفى بن حصن وكان بلغه عنه شئ فطلبه فهرب فعرض الناس فمر به فقال من هذا قال اوفى بن حصن فقال زياد اتتك بحائن رجلاه وقال له ما رأيك في عثمان قال ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه قال فما تقول في معاوية قال جواد حليم قال فما تقول في قال بلغني انك قلت بالبصرة والله لآخذن البرئ بالسقيم والمقبل بالمدبر قال قد قلت ذاك قال خبطتها خبط عشواء فقال زياد ليس النفاخ بشر الزمرة فقتله ولما قدم زياد الكوفة قال له عمارة بن عقبة بن أبي معيط ان عمرو بن الحمق يجمع اليه شيعة ابي تراب فارسل اليه زياد ما هذه الجماعات عندك من اردت كلامه ففي المسجد وقيل الذي سعى بعمرو يزيد بن رويم فقال له زياد قد ابسطت به ولو علمت ان مخ ساقه قد سال من بغضي ما هجته حتى يخرج علي فاتخذ زياد المقصورة حين حصب فلما استخلف زياد سمرة على البصرة اكثر القتل فيها فقال ابن سيرين قتل سمرة في غيبة زياد هذه ثمانية آلاف فقال له زياد اتخاف ان تكون قتلت بريأ فقال لو قتلت معهم مثلهم ما خشيت وقال ابو السوار العدوي قتل سمرة من قومي في غداة واحدة سبعة واربعين كلهم قد جمع القرآن وركب سمرة يوما فلقي أوائل خيله رجلا فقتلوه فمر به سمرة وهو يتشحط في دمه فقال ما هذا فقيل اصابه أوائل خيلك فقال اذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا اسنتنا

(ذكر خروج قريب)

وفيها خرج قريب الازدي وزحاف الطائي بالبصرة وهما ابنا خالة وزياد بالكوفة وسمرة على البصرة فاتيا بني ضبيعة وهم سبعون رجلا وقتلوا منهم شيخا وخرج على قريب وزحاف شباب من بني علي وبني راسب فرموهم بالنبل وقتل عبد الله بن أوس الطاحي قريبا وجاء برأسه واشتد

زياد

يراعي الابطال ويحسن للايتام والارامل ولم يترك من المال شيأ وانما ترك بعضا من الخيل وشيأ من الغنم فالغنم التي ترعى في نواحي بروسه باسم السلاطين العثمانية من تلك الاغنام توفي رحمه الله وله من العمر تسع وستون سنة وكانت مدة ملكه ستا وعشرين سنة وتولى مكانه ولده

(السلطان المجاهد اورخان خان ابن السلطان عثمان خان) جلس على سرير الملك في ابتداء سنة سبع وعشرين وسبعمائة وسنه ثمان واربعون سنة وكان مولده في سنة ثمان وسبعين وستمائة ثم انه بالغ وبذل جهده في فتح مدينة بروسه ففتحها بعد جهد جهيد واستولى على القلعة واسكنها من المسلمين وجعلها دار الاسلام بعد ان كانت معقلا لاهل الاوثان والازلام وانتقل الملك اليها وجعلها دار السلطنة وبنى بها جامعا ومدرسة وتكية يطبخ فيها الطعام للفقراء والغرباء وهذه المدينة من الاقليم الخامس وهي من أعظم المدن الاسلامية واعمرها وهي مدينة كثيرة الثمار والعيون وفي جانب منها مياه سخنة بقدرة الله تعالى جعلوها حمامات ينتفع بها خلق كثير وهي من عجائب الدنيا وفي سنة احدى وثلاثين وسبعمائة سار السلطان اورخان ففتح حصون قيون حصاري وفتح ازنكميد وفتح مدينة ازنيق

زيادفي أمر الخوارج فقتلهم وأمر سمرة بذلك فقتل منهم بشرا كثيرا وخطب زياد على المنبر فقال يا اهل البصرة والله لتكفنني هؤلاء او لأبدأن بكم والله لئن افلت منهم رجل لا تأخذون العام من عطيا تكم درهما فثار الناس بهم فقتلوهم

(ذكر ارادة معاوية نقل المنبر من المدينة)

وفي هذه السنة امر معاوية بمنبر النبي صلى الله عليه وسلم ان يحمل من المدينة الى الشام وقال لا يترك هو وعصا النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهم قتلة عثمان وطلب العصا وهي عند سعد القرظ فحرك المنبر فكسفت الشمس حتى رؤيت النجوم بادية فاعظم الناس ذلك فتركه وقيل اتاه جابر وابو هريرة وقالا له يا أمير المؤمنين لا يصلح ان تخرج منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع وضعه ولا تنقل عصاه الى الشام فانقل المسجد فتركه وزاد فيه ست درجات واعتذر مما صنع فلما ولي عبد الملك بن مروان هم بالمنبر فقال له قبيصة بن ذؤيب أذكرك الله ان تفعل ان معاوية حركه فكسفت الشمس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري فليتبوأ مقعده من النار وهو مقطع الحقوق عندهم بالمدينة فتركه عبد الملك فلما كان الوليد ابنه وجههم بذلك فارسل سعيد بن المسيب الى عمر بن عبد العزيز فقال كلم صاحبك لا يتعرض للمسجد ولا لله والسخط له فكلمه عمر فتركه ولما حج سليمان بن عبد الملك اخبره عمر بما كان من الوليد فقال سليمان ما كنت احب ان يذكر عن أمير المؤمنين عبد الملك هذا ولا عن الوليد ما لنا ولهذا أخذنا الدنيا فهي في أيدينا ونريد ان نعمد الى علم من أعلام الاسلام يوفد اليه فنحمله هذا ما لا يصلح وفيها عزل معاوية بن حديج السكوني عن مصر وولاها مسلمة بن مخلد مع افريقية وكان معاوية بن أبي سفيان بعث قبل ان يولي مسلمة افريقية ومصر عقبة بن نافع الى افريقية وكان اختط قيروانها وكان موضعه غيضة لا ترام من السباع والحيات وغيرها فدعا الله عليها فلم يبق منها شئ الا خرج هاربا حتى ان كانت السباع لتحمل اولادها وبنى الجامع فلما عزل معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج السكوني عن مصر عزل عقبة عن افريقية وجمعها لمسلمة ابن مخلد فهو اول من جمع له المغرب مع مصر فولى مسلمة افريقية مولى له يقال له أبو المهاجر فلم يزل عليها حتى هلك معاوية بن ابي سفيان

(ذكر ولاية عقبة بن نافع افريقية وبناء مدينة القيروان)

قد ذكر أبو جعفر الطبري ان في هذه السنة ولي مسلمة بن مخلد افريقية وان عقبة ولي قبله افريقية وبنى القيروان والذي ذكره اهل التاريخ من المغاربة أن ولاية عقبة بن نافع افريقية كانت هذه السنة وبنى القيروان ثم بقي الى سنة خمس وخمسين ووليها مسلمة بن مخلد وهم اخبر ببلادهم * وانا اذكر ما اثبتوه في كتبهم قالوا ان معاوية بن ابي سفيان عزل معاوية بن حديج عن افريقية حسب واستعمل عليها عقبة بن نافع الفهري وكان مقيما ببرقة وزويلة مذ فتحها ايام عمرو بن العاص وله في تلك البلاد جهاد وفتوح فلما استعمله معاوية سير اليه عشرة آلاف فارس فدخل افريقية وانضاف اليه من أسلم من البربر فكثر جمعه ووضع السيف في أهل البلاد لانهم كانوا اذا دخل اليهم أمير أطاعوا واظهر بعضهم الاسلام فاذا عاد الامير عنهم نكثوا وارتد من أسلم ثم رأى ان يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين واهلهم واموالهم ليأمنوا

وكانت من معظم مدائن الكفار وجمع عظماءهم فغنم المسلمون منها غنيمة لم يعهد مثلها وفتح حصونا كثيرة وفي سنة ثمان وخمسين وسبعمائة امر السلطان اورخان لولده سليمان ان يجتاز البحر الابيض الى طرف روم ايلي للجهاد ولم يكونوا علكون السفن فعملوا الواحا شبه السفن فركبوا عليها بالليل من موضع يقال له كر فوصلوا الى ذلك البر فصادفوا حصنا يسمى جمنى فاستولوا عليه بغتة ثم هجموا على قلاع اخر فاستولوا عليها قهرا وكان الامير سليمان ابن اورخان على جانب عظيم من الشهامة والعدالة فلما رأى الكفار حسن سيرته ونشر عدله وضبط جنده اطاعوه ورضوا به فصار امر المسلمين ينمو ويتسع فخرج لقتالهم تكور صاحب مدينة كليبولي في عسكر كثير وكان المسلمون في نفر قليل فتوكلوا على الله واستمدوا من روحانية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا قتالا شديدا فانتصر المسلمون واستولوا على عدة حصون منها مدينة كليبولي وهي مدينة جليلة على شاطئ البحر بينها وبين قسطنطينية ستة وثمانون ميلا ونصف ميل ومنها قلعة قره جك وقلعة خيره بولي وهي بلاد متسعة ومنها قلعة دوكور ومنها تكور طاغي وغيره وأخرب الكنائس والبيع وبنى مكانها مساجد ومعابد وفي سنة ستين وسبعمائة خرج الامير سليمان المذكور للصيد فكبا به الفرس فمات من وقته وجزع عليه والده جزعا شديدا وفي هذه السنة عبر الامير مراد الغازي ابن

من ثورة تمكون من أهل البلاد فقصد موضع القيروان وكان دحلة مشتبكة بها من انواع الحيوان من السباع والحيات وغير ذلك فدعا الله وكان مستجاب الدعوة ثم نادى ايتها الحيات والسباع انا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحلوا عنا فانا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه فنظر الناس ذلك اليوم الى الدواب تحمل اولادها وتنتقل فرآه قبيل كثير من البربر فاسلموا وقطع الاشجار وامر ببناء المدينة فبنيت وبنى المسجد الجامع وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم وكان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع وتم امرها سنة خمس وخمسين وسكنها الناس وكان فى اثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل السرايا فتغير وتنهب ودخل كثير من البربر فى الاسلام واتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هنالك من الجنود بمدينة القيروان وامنوا واطمأنوا على المقام فثبت الاسلام فيها

﴿ذكر ولاية مسلمة بن مخلد افريقية﴾

ثم ان معاوية بن ابى سفيان استعمل على مصر وافريقية مسلمة بن مخلد الانصارى فاستعمل مسلمة على افريقية مولى له يقال له ابو المهاجر فقدم افريقية وأساء عزل عقبة واستخف به وسار عقبة الى الشام وعاتب معاوية على مافعله به ابو المهاجر فاعتذر اليه ووعده باعادته الى عمله وتمادى الامر فتوفى معاوية وولى بعده ابنه يزيد فاستعمل عقبة بن نافع على البلاد سنة اثنتين وستين فسار اليها وقد ذكر الواقدى ان عقبة بن نافع ولى افريقية سنة ست واربعين واختط القيروان ولم يزل عقبة على افريقية الى سنة اثنتين وستين فعزله يزيد بن معاوية واستعمل أبا المهاجر مولى الانصار فحبس عقبة وضيق عليه فلما بلغ يزيد بن معاوية مافعل بعقبة كتب اليه يامره باطلاقه وارساله اليه ففعل ذلك ووصل عقبة الى يزيد فاعاده الى افريقية واليا عليها فقبض على ابى المهاجر واوثقه وساق من خبر كسيلة مثل مانذكره ان شاء الله تعالى سنة اثنتين وستين

﴿ذكر هرب الفرزدق من زياد﴾

وفيها طلب زياد الفرزدق استعدت عليه بنو نهشل وفقيم وسبب ذلك قال الفرزدق هاجيت الاشهب بن رميلة والبعيث فسقطا فاستعدى على بنو نهشل وبنو فقيم زياد ابن ابيه واستعدى على أيضا يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك قال فلم يعرفنى زياد حتى قيل له الغلام الاعرابى الذى أنهب ماله وثيابه فعرفنى قال الفرزدق وكان ابى غالب قد ارسلنى فى جلب له ابيعه وأمتار له فبعت الجلب بالبصرة وجعلت ثمنه فى ثوبى فعرض لى رجل فقال اشد ما استوثق منها امالو كان مكانك رجل اعرفه ماصر عليها فقلت ومن هو قال غالب بن صعصعة وهو أبو الفرزدق فدعوت اهل المربد ونثرتها فقال لى قائل ألق رداءك ففعلت فقال آخر ألق ثوبك ففعلت وقال آخر الق عمامتك ففعلت فقال آخر ألق ازارك فقلت لا القيه وامشى مجردا انى لست بمجنون وبلغ الخبر زيادا فقال هذا احمق يضرى الناس بالنهب فارسل خيلا الى المربد ليأتوه بى فاتانى رجل من بنى الهجيم على فرس له وقال النجاء النجاء وأردفنى خلفه ونجوت فاخذ زياد عمين لى ذهيلا والزحاف ابنى صعصعة وكانا فى الديوان فحبسهما اياما ثم كلم فيهما فاطلقهما وأتيت ابى فاخبرته خبرى فحقدها عليه زياد ثم وفد الاحنف بن قيس وجارية بن قدامة السعديان والجون بن قتادة

السلطان أورخان الى طرف روم ايلى من خليج كليبولى ففتح مدينة جورلى وهى من القسطنطينية مسيرة ثلاث مراحل ولم يزل مراد الغازى يحاصر البلاد ويقاتل الكفار العناد حتى فتح مدينة ديمتوقه وهى من كبار البلاد الاسلامية يومئذ وفى سنة احدى وستين وسبعمائة توفى السلطان اروخان الغازى وعمره ثلاث وثمانون سنة ودفن بمدينة بروسه وكانت مدة ملكه خمسا وثلاثين سنة وكان رحمه الله ملكا جليلا ذا صورة حسنة وسيرة مرضية وكرم وافر وعدل متكاثر بنى بازنيق جامعا ومدرسة وهى اول مدرسة بنيت فى الدولة العثمانية ومن العلماء فى زمانه داود القيصرى اشتغل فى بلاده ثم انتقل الى مصر وقرأ على علمائها وغيرهم ومن المشايخ فى زمانه كيكلو بابا كان يركب الغزلان وحضر فتح بروسه مع السلطان أورخان وهو راكب على غزال وله كرامات يعجز الانسان عن حصرها ومنهم الشيخ العارف بالله قره جه احمد اصله من بلاد العجم من أبناء الملوك ومنهم الشيخ المجذوب موسى بابا ومن كراماته انه أخذ جمرة فوضعها فى قطنة وارسلها الى الشيخ كليكلو بابا الذى كان يركب الغزلان فلما رآها الشيخ ارسل اليه قصعة فيها لبن فلما رآه تعجب فسئل عنه فقال انه لبن الغزال وتسخير الحيوان اصعب من تسخير الجمادات ومن المشايخ أيضا فى زمانه أخى اوران ودرغلو بابا وابدال مراد كلهم من اولياء الله تعالى ظهرت كراماتهم وبويع بالسلطنة

العبشمى والحتات بن يزيد ابو منازل المجاشعى الى معاوية بن ابى سفيان فاعطى كل رجل منهم جائزة مائة الف واعطى الحتات سبعين ألفا فلما كانوا فى الطريق ذكر كل منهم جائزته فرجع الحتات الى معاوية فقال ماردك قال فضحتنى فى بنى تميم اما حسبى صحيح اولست ذا سن الست مطاعا فى عشيرتى قال بلى قال فما بالك خسست بى دون القوم واعطيت من كان عليك أكثر ممن كان لك وكان حضر الجمل مع عائشة وكان الاحنف وجارية يريدان عليا وان كان الاحنف والجون اعتزلا القتال مع على لكنهما كانا يريدانه قال انى اشتريت من القوم دينهم ووكلتك الى دينك ورايك فى عثمان وكان عثمانيا فقال وانا فاشتر منى دينى فامر له باتمام جائزته ثم مات الحتات فحبسها معاوية فقال الفرزدق فى ذلك

أبوك وعمى يامعاوى اورثا * تراثا فيحتاز التراث اقاربه

فما بال ميراث الحتات أخذته * وميراث صخر جامد لك ذائبه

فلو كان هذا الامر فى جاهلية * علمت من المرء القليل حلائبه

ولو كان فى دين سوى ذا شنئتم * لنا حقنا اوغص بالماء شاربه

الست اعز الناس قوما وأسرة * وامنعهم جارا اذا ضيم جانبه

وما ولدت بعد النبى وآله * كمثلى حصان فى الرجال يقاربه

وبيتى الى جنب الثريا فناؤه * ومن دونه البدر المضىء كواكبه

أنا ابن الجبال الشم فى عدد الحصى * وعرق الثرى عرقى فمن ذا يحاسبه

وكم من اب لى يامعاوى لم يزل * اغر يبارى الريح ازور جانبه

نمته فروع المالكين ولم يكن * أبوك الذى من عبد شمس يقاربه

تراه كنصل السيف يهتز للندى * كريما يلاقى المجد ماطر شاربه

طويل نجاد السيف مذ كان لم يكن * قصى وعبد شمس ممن يخاطبه

يريد بالمالكين مالك بن حنظلة ومالك بن زيد مناة بن تميم وهما جداه لان الفرزدق ابن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فلما بلغ معاوية شعره رد على أهله ثلاثين ألفا فأغضبت ايضا زيادا عليه فلما استعدت عليه نهشل وفقيم ازداد عليه غضبا فطلبه فهرب وأتى عيسى بن خصيلة السلمى ليلا وقال له ان هذا الرجل قد طلبنى وقد لفظنى الناس وقد أتيتك لتغيبنى عندك فقال مرحبا بك فكان عنده ثلاث ليال ثم قال له قد بدا لى ان آتى الشام فسيره وبلغ زيادا مسيره فأرسل فى أثره فلم يدرك وأتى الروحاء فنزل فى بكر بن وائل فأمن ومدحهم بقصائد ثم كان زياد اذا نزل البصرة نزل الفرزدق الكوفة واذا نزل الكوفة نزل الفرزدق البصرة فبلغ ذلك زيادا فكتب الى عامله على الكوفة وهو عبد الرحمن بن عبيد يأمره بطلب الفرزدق ففارق الكوفة نحو الحجاز فاستجار بسعيد بن العاص فأجاره فمدحه الفرزدق ولم يزل بالمدينة مرة وبمكة مرة حتى هلك زياد وقد قيل ان الفرزدق انما قال هذا الشعر لان الحتات لما أسلم آخى النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية فلما مات الحتات بالشام ورثه معاوية بتلك الاخوة فقال الفرزدق هذا الشعر وهذا القول الذى ليس بشىء لان معاوية لم يكن يجهل ان هذه الاخوة لا يرث بها أحد (الحتات بضم الحاء وبتائين

بعد وفاة والده (السلطان مجاهد الدين مراد خان بن السلطان اورخان) استقر على سرير الملك بمدينة بروسة وكان عمره اذ ذاك اربعا وثلاثين سنة ومولده سنة سبع وعشرين وسبعمائة وجلوسه على التخت سنة احدى وستين وسبعمائة فلما جلس على سرير الملك سار وحاصر مدينة انكورية ففتحها عنوة وكانت من امنع الحصون وهى مدينة يجلب منها الاصواف الى العالم فلما سمع بخبره ابن قرمان صاحب مدينة لارندة خشى على بلاده فجمع خمسة من القبائل والعشائر وهم التاتار وورسق وطورغود والتركمان وغيرهم جماعة لا تحصى فنهض كل من الملكين الى قتال الآخر فجرى بينهما قتال شديد وحرب اكيد ثم انجلى الامر عن هزيمة ابن قرمان وانتصار السلطان مراد خان بن عثمان وفى سنة احدى وستين وسبعمائة ارسل السلطان مراد خان الغازى شاهين لالا الاتابك الى فتح مدينة ادرنه فى جيش كثيف فاقتتلوا قتالا شديدا وعجزوا عن اخذها وسألوا السلطان ان يقدم اليهم بنفسه فسار السلطان مع جيوش الموحدين وغزاة المجاهدين فاجتاز البحر فلما سمع الكفار بقدومه تزلزلت

مثناة تين من فوقهما بينهما ألف)

ذكر وفاة الحكم بن عمرو الغفاري

في هذه السنة توفي الحكم بن عمرو الغفاري بمرو بعد انصرافه من غزوة جبل الاشل في قول وقد تقدم ذكر وفاته في قول آخر وكان زياد قد كتب اليه ان أمير المؤمنين معاوية أمرني ان اصطفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة فكتب اليه الحكم بلغني ما أمر به أمير المؤمنين واني وجدت كتاب الله قبل كتابه وانه والله لو أن السموات والارض كانتا رتقا على عبد ثم اتقى الله لجعل له فرجا ومخرجا ثم قال للناس اغدوا على اعطياتكم وما لكم فقسمه بينهم ثم قال اللهم ان كان لي عندك خير فاقبضني اليك فتوفي بمرو وله صحبة

ذكر عدة حوادث

حج بالناس هذه السنة معاوية وقيل بل حج ابنه يزيد وكان العمال على البلاد من تقدم ذكرهم وفيها توفي سعد بن أبي وقاص بالعقيق فحمل على الرقاب الى المدينة فدفن بها وقيل توفي سنة أربع وخمسين وقيل سنة خمس وخمسين وعمره أربع وسبعون وقيل ثلاث وثمانون سنة وهو أحد العشرة وكان قصيرا دحداحا وفيها توفيت صفية بنت حيي زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقيل توفيت أيام عمر وفيها توفي عثمان بن ابي العاص الثقفي وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس توفي بالبصرة وأبو موسى الاشعري وقيل توفي سنة اثنتين وخمسين وفيها توفي زيد بن خالد الجهني وقيل توفي سنة ثمان وستين وقيل ثمان وسبعين وفيها توفي مدلاج بن عمرو السلمي وكان قد شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم لهم صحبة

ثم دخلت سنة احدى وخمسين

وفيها كان مشتى فضالة بن عبيد بأرض الروم وغزوة بسر بن ابي أرطاة الصائفة

ذكر مقتل حجر بن عدي وعمرو بن الحمق وأصحابهما

في هذه السنة قتل حجر بن عدي وأصحابه وسبب ذلك ان معاوية استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة احدى وأربعين فلما امره عليها دعاه وقال له أما بعد فان لذي الحلم قبل اليوم تقرع العصا وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعليم وقد أردت ايصاءك بأشياء كثيرة انا تاركها اعتمادا على بصرك ولست تاركا ايصاءك بخصلة لا تترك شتم علي وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب لاصحاب علي والاقصاء لهم والاطراء بشيعة عثمان والادناء لهم فقال له المغيرة قد جربت وجربت وعملت قبلك لغيرك فلم يذمني وستبلو فتحمد أو تذم فقال بل نحمد ان شاء الله فأقام المغيرة عاملا على الكوفة وهو أحسن شئ سيرة غير انه لا يدع شتم علي والوقوع فيه والدعاء لعثمان والاستغفار له فاذا سمع ذلك حجر بن عدي قال بل اياكم فذم الله ولعن ثم قام وقال أنا اشهد ان من تذمون أحق بالفضل ومن تزكون أولى بالذم فيقول له المغيرة يا حجر اتق هذا السلطان وغضبه وسطوته فان غضب السلطان يهلك أمثالك ثم يكف عنه ويصفح فلما كان آخر امارته قال في علي وعثمان ما كان يقوله فقام حجر فصاح صيحة بالمغيرة سمعها كل من بالمسجد وقال له مر لنا ايها الانسان بأرزاقنا فقد حبستها عنا وليس ذلك لك وقد أصبحت مولعا بذم أمير المؤمنين فقام أكثر من ثلثي الناس يقولون صدق حجر وبر مر لنا بأرزاقنا فان ما أنت

عليه

أركانهم وهرب سلطانهم فلما سمع المسلمون بذلك هجموا على المدينة فأخذوها وأرسلوا اعلموا السلطان فحمد الله واثنى عليه وجاء فدخل المدينة وهي من اعظم مدن الدنيا وهي مدينة كثيرة البساتين تجري من تحتها الانهار الثلاثة وهي تونجه واربه وصريج وهي من الاقليم الخامس بينها وبين قسطنطينية خمسة وتسعون ميلا ثم ان السلطان الجليل عامله الله بالجميل ارسل لالاشاهين الاتابك بعد ان نصبه امير الامراء بروم ايلي فسار وفتح مدينة فلبه وهي مدينة لطيفة ثم فتح زغره بنواحيها وعاد الى مدينة بروسه وفي سنة ثلاث وستين وسبعمائة اشار قره خليل باشا على السلطان بأن يأخذ خمس الاسارى من الغانمين على زقاق كاليبولي وكان الغزو والجهاد في بلاد روم ايلي فكانت تسوق الاسارى كالسيل الهامي والبحر الطامي فاجتمع منهم عند السلطان طائفة كثيرة فأمر لهم السلطان بتعليم علم المكاحل فتعلموا ثم ميزهم بان أرسلهم الى خدمة الشيخ العارف بالله الحاج بكتاش ليعلمهم بعلامة ويسميهم باسم ويدعو لهم بالخير والظفر فلما اجتمعوا بالشيخ قطع كم قبائه وكان من لبد فالبسه

عليه لايجدى علينا نفعا وأكثر وامن هذا القول وأمثاله فنزل المغيرة فاستأذن عليه قومه ودخلوا وقالوا على م تترك هذا الرجل يجترئ عليك فى سلطانك ويقول لك هذه المقالة فيوهن سلطانك ويسخط عليك أمير المؤمنين معاوية فقال لهم المغيرة انى قد قتلته سيأتى من بعدى امير يحسبه مثلى فيصنع به ماترونه يصنع بى فيأخذه ويقتله انى قد قرب أجلى ولا أحب ان أقتل خيار أهل هذا المصر فيسعدون واشقى ويعز فى الدنيا معاوية ويشقى فى الآخرة المغيرة ثم توفى المغيرة وولى زياد فقام فى الناس فخطبهم عند قدومه ثم ترحم على عثمان وأثنى على أصحابه ولعن قاتليه فقام حجر ففعل كما كان يفعل بالمغيرة ورجع زياد الى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو ابن حريث فبلغه ان حجرا يجتمع اليه شيعة على ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه وانهم حصبوا عمرو بن حريث فشخص زياد الى الكوفة حتى دخلها فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وحجر جالس ثم قال اما بعد فان غب البغى والغى وخيم ان هؤلاء جموا فأشروا وامنونى فاجترؤا على الله لئن لم تستقيموا لاداوينكم بدوائكم ولست بشئ ان لم امنع الكوفة من حجر وادعه نكالا لمن بعده ويل امك يا حجر سقط العشاء بك على سرحان وأرسل الى حجر يدعوه وهو بالمسجد فلما أتاه رسول زياد يدعوه قال أصحابه لاتأته ولا كرامة فرجع الرسول فأخبر زيادا فأمر صاحب شرطته وهو شداد بن الهيثم الهلالى ان يبعث اليه جماعة ففعل فسبهم أصحاب حجر فرجعوا وأخبروا زياد فجمع اهل الكوفة وقال تشجون بيد وتأسون بأخرى أبدانكم معى وقلوبكم مع حجر الاحمق هذا والله من دحسكم والله ليظهرن لى براءتكم أو لآتينكم بقوم أقيم بهم أودكم وصعركم فقالوا معاذ الله ان يكون لنا رأى الا طاعتك ومافيه رضاك قال فليقم كل رجل منكم فليدع من عند حجر من عشيرته وأهله ففعلوا وأقاموا اكثر أصحابه عنه وقال زياد لصاحب شرطته انطلق الى حجر فان تبعك فأتنى به والا فشدوا عليهم بالسيوف حتى تأتونى به فأتاه صاحب الشرطة يدعوه فمنعه أصحابه من اجابته فحمل عليهم فقال ابو العمرطة الكندى لحجر انه ليس معك من معه سيف غيرى ومايغنى عنك سيفى قم فالحق بأهلك يمنعك قومك وزياد ينظر اليهم وهو على المنبر وغشيهم أصحاب زياد وضرب رجل من الحمراء رأس عمرو بن الحمق بعمود فوقع وحمله أصحابه الى الازد فاختفى عندهم حتى خرج وانحاز أصحاب حجر الى أبواب كندة وضرب بعض الشرطة يد عائذ بن حملة التميمى وكسر نابه وأخذ عمودا من بعض الشرط فقاتل به وحمى حجرا وأصحابه حتى خرجوا من أبواب كندة وأتى حجر بغلته فقال له أبو العمرطة اركب فقد قتلتنا ونفسك وحمله حتى اركبه وركب ابو العمرطة فرسه ولحقه يزيد بن طريف المسلى فضرب أبا العمرطة على فخذه بالعمود وأخذ ابو العمرطة سيفه فضرب به رأسه فسقط ثم برأ وله يقول عبد الله بن همام السلولى

ألوم ابن لؤم ما عدا بك حاسرا • الى بطل ذى جرأة وشكيم
معاود ضرب الدارعين بسيفه • على الهام عند الروع غير لئيم
الى فارس الغارين يوم تلاقيا • بصفين قرم خير بجل قروم
حسبت ابن برصاء الحتار قتاله • قتالك زيدا يوم دار حكيم

وكان ذلك السيف أول سيف ضرب به فى الكوفة فى اختلاف بين الناس ومضى حجر وأبو

رأس رئيسهم ودعا لهم بالبركة والظفر وسماهم ينكجرى معناه العسكر الجديد وفى سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة اشترى السلطان مراد خان من صاحب بلاد حميد خمس قلاع وهى يلواج ويكى شهر وآق شهر وقره اغاج وسيدى شهر وفى سنة احدى وتسعين وسبعمائة خرج السلطان المذكور الى قتال رئيس الكفار ابن لاز فالتقى مرافاته بعسكر الكفار بموضع يقال له قوس أوا يلادروم ايلى فالتحم بين الفريقين القتال وضرب السيوف والمكاحل ورشق النبال الى ان هبت رياح النصر من طرف المسلمين وانقلب الكفار على أدبارهم صاغرين ثم انه لما انهزم الكفار اقبل من أمرائهم امير يقال له ميلوش مع خيله ورجله مظهرا للطاعة فلما هم بتقبيل يد السلطان ضربه بخنجر كان فى كمه فمن ذلك سن العثمانية عند قدوم الوافد وتقبيل يد السلطان ان يمسك واحد من طرف كمه وآخر من كمه الآخر احترازا من ذلك فلما قتل دفنوا امعاءه هنالك وحملوا جسده ودفنوه بمدينة بروسه وقبره اليوم يزار ويتبرك به وكان رحمه الله ملكا جليلا عادلا عارفا وكان أفنى عمره فى الجهاد وكان شجيعا مقداما

الشرطة الى دار حجر واجتمع اليه ناس كثير ولم يأته من كندة كثير احد فأرسل زياد وهو على المنبر
مذحج وهمدان الى جبانة كندة وأمرهم ان يأتوه بحجر وأرسل سائر أهل اليمن الى جبانة
الصائدين وأمرهم ان يمضوا الى صاحبهم حجر فيأتوه به ففعلوا فدخل مذحج وهمدان الى جبانة
كندة فأخذوا كل من وجدوا فأثنى عليهم زياد فلما رأى حجر قلة من معه أمرهم بالانصراف
وقال لهم لا طاقة لكم بمن قد اجتمع عليكم وما أحب ان تهلكوا فخرجوا فأدركهم مذحج
وهمدان فقاتلوهم واسروا قيس بن يزيد ونجا الباقون فأخذ حجر طريقا الى بني حوت فدخل
دار رجل منهم يقال له سليم بن يزيد وادركه الطلب فأخذ سليم سيفه ليقاتل فبكى بناته فقال حجر
بئسما أدخلت على بناتك اذا قال والله لا تؤخذ من داري اسيرا ولا قتيلا وانا حي فخرج حجر
من خوخة في داره فأتى النخع فنزل دار عبد الله بن الحرث أخي الاشتر فأحسن لقاءه فبينما هو
عنده اذ قيل له ان الشرط تسأل عنك في النخع وسبب ذلك ان أمة سوداء لقيتهم فقالت من
تطلبون فقالوا حجر بن عدي فقالت هو في النخع فخرج حجر من عنده فأتى الازد فاختفى عند
ربيعة بن ناجد فلما اعياهم طلبه دعا زياد محمد بن الاشعث وقال له والله لتأتيني به او لاقطعن
كل نخلة لك واهدم دورك ثم لا تسلم مني حتى أقطعك اربا اربا فاستمهله فأمهله ثلاثا وأحضر
قيس بن يزيد أسيرا فقال له زياد لا بأس عليك قد عرفت رأيك في عثمان وبلاءك مع معاوية
بصفين وانك انما قاتلت مع حجر حمية وقد غفرتها لك ولكن ائتني بأخيك عمير فاستأمن له منه على
ماله ودمه فأمنه فأتاه به وهو جريح فأثقله حديدا وأمر الرجال ان يرفعوه ويلقوه ففعلوا به ذلك
مرارا فقال قيس بن يزيد لزياد الم تؤمنه قال بلى قد أمنته على دمه ولست أهريق له دما ثم ضمنه
وخلى سبيله ومكث حجر بن عدي في بيت ربيعة يوما وليلة فأرسل الى محمد بن الاشعث يقول له
ليأخذ له من زياد امانا حتى يبعث به الى معاوية فجمع محمد جماعة منهم جرير بن عبد الله وحجر بن
يزيد وعبد الله بن الحرث أخو الاشتر فدخلوا على زياد فاستأمنوا له على ان يرسله الى معاوية
فأجابهم فأرسلوا الى حجر بن عدي فحضر عند زياد فلما رآه قال مرحبا بك أبا عبد الرحمن حرب
أيام الحرب وحرب وقد سالم الناس على اهلها تجني براقش فقال حجر ما خلعت طاعة ولا فارقت
جماعة واني على بيعتي فأمر به الى السجن فلما ولى قال زياد والله لأحرصن على قطع خيط رقبته
وطلب أصحابه فخرج عمرو بن الحمق حتى أتى الموصل ومعه رفاعة بن شداد فاختفيا بجبل هنالك
فرفع خبرهما الى عامل الموصل فسار اليهما فخرجا اليه فأما عمرو فكان قد استسقى بطنه ولم يكن
عنده امتناع وأما رفاعة فكان شابا قويا فركب فرسه ليقاتل عن عمرو فقال له عمرو ما ينفعني
قتالك عني انج بنفسك فحمل عليهم فافرجوا له فنجا وأخذ عمرو اسيرا فسألوه من أنت فقال
من ان تركتموه كان أسلم لكم وان قتلتموه كان أضر عليكم ولم يخبرهم فبعثوه الى عامل الموصل
وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفي الذي يعرف بابن ام الحكم وهو ابن أخت معاوية فعرفه
فكتب فيه الى معاوية فكتب اليه انه زعم انه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص معه
فاطعنه كما طعن عثمان فأخرج وطعن فمات في الاولى منهن أو الثانية وجد زياد في
طلب أصحاب حجر فهربوا وأخذ من قدر عليه منهم فأتى بقبيصة بن ضبيعة العبسي بامان فحبسه
وجاء قيس بن عباد الشيباني الى زياد فقال له ان امرأ منا يقال له صيفي من رؤس أصحاب حجر

فبعث

على الهمة توفي وعمره خمس
وستون سنة ومدة سلطنته
احدى وثلاثون سنة وتولى
الملك بعده ولده

(السلطان السعيد يلدرم
بايزيدخان الغازي ابن
السلطان مرادخان)

وكان السلطان يلدرم بايزيد
واخوه يعقوب مع أبيهما
في السفر فلما قضى نحبه اتفق
رأي أركان الملك على تولية
بايزيد فدعوه الى الوطاق
فأعلموه بوفاة والده فعزوه
وهنوه بالسلطنة واجلسوه على
سرير الملك ودعوا اخاه
يعقوب فقالوا له ان السلطان
قد ضعف ويريد حضورك
اليه فلما دخل الوطاق قبضوا
عليه وخنقوه وكان ذلك في
رمضان سنة اثنين وتسعين
وسبعمائة ثم بعد ذلك فتح
السلطان المذكور قرهطوه
وهي معدن الفضة الخالصة
التي لا نظير لها وفتح بلاد
اسكوب وهي من اجل البلاد
الاسلامية وفي هذه السنة
فتح قلعة ودين وفيها خاف ابن
آيدين من السلطان وسلم
مفاتيح قلاعه الى السلطان
وفيها اطاع السلطان اهالي
بلاد قره سي وصاروخان
وفيها هرب صاحب قسطموني
وهو ابن منتشا فأرسل
السلطان من يضبط تلك
البلاد جميعا ولما نقض العهد
علاء الدين صاحب بلاد

فبعث زياد فأتى به فقال يا عدو الله ما تقول فى أبى تراب قال ما أعرف أبا تراب فقال ما اعرفك به أتعرف على بن أبى طالب قال نعم قال فذاك ابو تراب قال كلا ذاك ابو الحسن والحسين فقال له صاحب الشرطة يقول الامير هو ابو تراب وتقول لا قال فان كذب الامير أكذب أنا وأشهد على باطل كما شهد فقال له زياد وهذا ايضا على بالعصا فأتى بها فقال ما تقول فى على قال احسن قول قال اضربوه فضربوه حتى لصق بالارض ثم قال أقلعوا عنه ما قولك فى على قال والله لو شرحتنى بالمواسى ما قلت فيه الا ما سمعت منى قال لتلعننه او لاضربن عنقك قال لا أفعل فاوثقوه حديدا وحبسوه قيل وعاش قيس بن عباد حتى قاتل مع ابن الاشعث فى مواطنه ثم دخل الكوفة فجلس فى بيته فقال حوشب للحجاج ان هنا امرأ صاحب فتن لم تكن فتنة بالعراق الا وثب فيها وهو ترابى يلعن عثمان وقد خرج مع ابن الاشعث حتى هلك وقد جاء فجلس فى بيته فبعث اليه الحجاج فقتله فقال بنو أبيه لآل حوشب سعيتم بصاحبنا فقالوا وأنتم أيضا سعيتم بصاحبنا يعنى صيفيا الشيبانى وأرسل زياد الى عبد الله بن خليفة الطائى فتوارى فبعث اليه الشرط فأخذوه فخرجت اخته النوار فحرضت طيأ فثاروا بالشرط وخلصوه فرجعوا الى زياد فاخبروه فأخذ عدى بن حاتم وهو فى المسجد فقال ائتنى بعبد الله قال وما حاله فاخبره فقال لا علم لى بهذا قال لتأتينى به قال لا آتيك به ابدا آتيك بابن عمى تقتله والله لو كان تحت قدمى ما رفعتهما عنه فأمر به الى السجن فلم يبق بالكوفة يمنى ولا ربعى الا كلم زيادا وقالوا تفعل هذا بعدى بن حاتم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فانى أخرجه على شرط ان يخرج ابن عمه عنى فلا يدخل الكوفة ما دام لى سلطان فأجابوه الى ذلك وأرسل عدى الى عبد الله يعرفه ما كان وأمره ان يلحق بجبلى طيئ فخرج اليهما وكان يكتب الى عدى ليشفع فيه ليعود الى الكوفة وعدى يمنيه فما كتب اليه يعاتبه ويرثى حجرا وأصحابه قوله

تذكرت ليلى والشبيبة اعصرا * وذكر الصبا برح على من تذكرا
وولى الشباب فافتقدت غصونه * فيالك من وجد به حين ادبرا
فدع عنك تذكار الشباب وفقده * وأسبابه اذ بان عنك فاجمرا
وبك على الخلان لما تخرموا * ولم يجدوا عن منهل الموت مصدرا
دعتهم مناياهم ومن حان يومه * من الناس فاعلم انه لن يؤخرا
أولئك كانوا شيعة لى وموئلا * اذا اليوم ألفى ذا احتدام مذكرا
وما كنت اهوى بعدهم متعللا * بشئ من الدنيا ولا ان أعمرا
اقول ولا والله انسى اذكارهم * سجيس الليالى او أموت فأقبرا
على أهل عذراء السلام مضاعفا * من الله وليسق الغمام الكنهورا
ولاقى بها حجر من الله رحمة * فقد كان أرضى الله حجر وأعذرا
ولا زال تهطال ملث وديمة * على قبر حجر أو ينادى فيحشرا
فيا حجر من للخيل تدمى نحورها * وللملك المغزى اذا ما تغشمرا
ومن صادق بالحق بعدك ناطق * بتقوى ومن ان قيل بالجور غيرا
فنعم أخو الاسلام كنت وانى * لاطمع ان تؤتى الخلود وتحبرا

قرمان وبلغ السلطان انه اغار على بعض بلاد اناطولى فهجم عليه السلطان فانهزم فلحقه بموضع يقال له آق جاى فاسره هو وابناه محمد وعلى فنازل السلطان مدينة قونيه وهى كرسى مملكته وحاصرها وكان وقت ادراك الغلال فرسم السلطان بأن لا يتعرض أحد لشئ من الغلال وان لا يظلموا احدا وأذن لاهل القلعة بأن يخرجوا ويشتغلوا ويبيعوا على مقدار ما شاؤا فخرج اهل القلعة واصلحوا شأن غلالهم وحصادهم وباعوها من العسكر على أبلغ وجه أرادوا فلما شاهدوا ذلك رجعوا الى أنفسهم فقالوا ان ملكا بلغ بنا هذا المبلغ لا ينبغى ان نعصيه ونخرج عن طاعته فحضروا برمتهم طائعين ولحكم الملك السعيد راضين وسلموه مفاتيح القلعة وقالوا أنت احق بها واهلها فلما رأى اهل سائر القلاع ما فعل اهل قونية وهى عمدة بلاد قرمان رغبوا فى المتابعة فجاؤا بمفاتيح قلاعهم وهى بلدة آق سراى ونيكده وقيصرية ودولى قره حصار وسلموها الى الملك السعيد بالدروم بايزيد ثم رجع السلطان الى مقر مملكته بروسة بعد ما قتل علاء الدين بن قرمان وحبس ولديه بمدينة بروسة الى ان أطلقهما الخارجى تيمور حين قدم الروم وفى سنة

وقد كنت تعطي السيف في الحرب حقه * وتعرف معروفا وتنكر منكرا

فيا أخويتا من هميم عصمتما * وبشرتما بالصالحات فأبشرا

ويا أخوي الخندفيين ابشرا * بما معنا حييتما ان تتبرا

ويا أخوتا من حضرموت وغالب * وشيبان اقيتم جفانا مبشرا

سعدتم فلم أسمع بأصوب منكم * جاجالدى الموت الجليل واصبرا

سأبكيكم مالاح نجم وغرد الحمام ببطن الواد يبن وقرقرا

فقلت ولم أظلم أغوث بن طيئ * متى كنت أخشى بينكم ان أسيرا

هبلتم ألا قاتلتم عن أخيكم * وقد ذب حتى مال ثم تجورا

تفرجتم عني فغودرت مسلما * كأني غريب من اياد واعصرا

فمن لكم مثلي لدى كل غارة * ومن لكم مثلي اذا البأس أصحرا

ومن لكم مثلي اذا الحرب قلصت * واوضع فيها المستميت وشمرا

فها انا ذا آوى بأجبال طيئ * طريدا فلو شاء الاله لغيرا

نفاني عدوي ظالما عن مهاجري * رضيت بما شاء الاله وقدرا

وأسلمني قومي بغير جناية * كأن لم يكونوا لي قبيلا ومعشرا

فان ألف في دار بأجبال طيئ * وكان معانا من عصير ومحضرا

فما كنت أخشى ان أرى متغربا * لحا الله من لاحى عليه وكفرا

لحا الله قبل الحضرميين وائلا * ولاقى القناني بالسنان الموقرا

ولاقى الردى القوم الذين تحزبوا * علينا وقالوا قول زور ومنكرا

فلا يدعني قومي لغوث وطيئ * اذا دهرهم اشفى بهم وتغيرا

فلم أغزهم في المعلمين ولم أثر * عليهم عجاجا بالكويفة اكدرا

فبلغ خليلي ان رحلت مشرقا * جديلة والحيين معنا وبحترا

ونبهان والافناء من جذم طيئ * ولم ألف فيكم ذا الغناء العشنزرا

الم تذكروا يوم العذيب أليتي * امامكم أن لا أرى الدهر مدبرا

وكري على مهران والجمع حابس * وقتلي الهمام المستميت المسورا

ويوم جلولاء الوقيعة لم ألم * ويوم نهاوند الفتوح وتسترا

وتنسونني يوم الشريعة والقنا * بصفين في اكتافهم قد تكسرا

جزى ربه عني عدي بن حاتم * برفضي وخذلاني جزاء موفرا

أتنسى بلائي سادرا يا ابن حاتم * عشية ما اغنت عديك حذمرا

فدافعت عنك القوم حتى تخاذلوا * وكنت أنا الخصم الالد العذورا

فولوا وما قاموا مقامي كأنما * رأوني ليثا بالاباءة مخدرا

وقد تقدم ما فعله عبد الله مع عدي في وقعة صفين فلهذا لم نذكره هنا

نصرتك اذ خان القريب وأنفض البعيد وقد افردت نصرا موزرا

فكان جزائي أن أجر بينكم * سحيبا وأن اولى الهوان وأوسرا

وكم

خمس وتسعين وسبعمائة استولى السلطان المذكور على سيواس واماسية ومدينة توقات ونيكسار وجانيك وصامسون وفي آخر هذه السنة بلغه ان بايزيد الزمن صاحب قسطموني اغار على بعض البلاد التي بيد السلطان وعاث فيها نهبا وتخريبا فلما بلغه ذلك وكان قد جاز البحر لغزو الكفار الى طرف روم ايلي تركه ورجع قاصدا لقتال بايزيد فاتفق انه مات وتولى مكانه ولده اسفنديار فلما وصل السلطان استولى منها على بلدة طرقلو بولي ومدينة قسطموني وقلعة عثمانجق وكان قصده ان يستولي على جميع البلاد التي كان يملكها بايزيد بيك كما سبق فارسل اسفنديار الى الملك وافدا ومعه هدية يستعطفه ويسترضيه ويقول ان أبي جنى وقد مات وانا مطيع لاوامر مولانا السلطان ومن جملة مماليكه فالمناسب لعدله ان لا يؤاخذ أحدا بذنب غيره وارجو من مكارمه ان يترك لي مدينة سينوب وهي مدينة أبي ومسقط راسي ويجعلني فيها نائبا من قبله فأجاب السلطان الى سؤله واعطاه وعاد الى مدينة بروسة وأرسل الى تكور صاحب القسطنطينية

وكم عدة لى منك انك راجعى * فلم تغن بالميعاد عنى حبترا
فأصبحت أرعى النيب طورا وتارة * أهرهران راعى الشويهات هرهرا
كانى لم أركب جواد الغارة * ولم أترك القرن الكمى مقطرا
ولم أعترض بالسيف منكم مغيرة * اذا النكس مشى القهقرا ثم جرجرا
ولم استحث الركض فى اثر عصبة * ميممة عليا سجاس وأبهرا
ولم أذعر الابلام منى بغارة * كورد القطا ثم انحدرت مظفرا
ولم أر فى خيل تطاعن مثلها * بقزوين اوشروين اوأغز كيدرا
فذلك دهر زال عنى حمده * واصبح لى معروفه قد تنكرا
فلا يبعدن قومى وان كنت غائبا * وكنت المضاع فيهم والمكفرا
ولا خير فى الدنيا ولا العيش بعدهم * وان كنت عنهم نائى الدار محصرا

فمات عبد الله بالجبلين قبل موت زياد ثم أتى زياد بكريم بن عفيف الخثعمى من أصحاب حجر بن عدى فقال ما اسمك قال كريم بن عفيف قال ما احسن اسمك واسم ابيك واسوأ عملك ورأيك فقال له اما والله ان عهدك برأيى منذ قريب قال وجمع زياد من أصحاب عدى اثنى عشر رجلا فى السجن ثم دعا رؤساء الارباع يومئذ وهم عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة وخالد بن عرفطة على ربع تميم وهمدان وقيس بن الوليد على ربع ربيعة وكندة وأبا بردة بن أبى موسى على ربع مذحج واسد فشهد هؤلاء ان حجرا جمع اليه الجموع واظهر شتم الخليفة ودعا الى حرب أمير المؤمنين وزعم ان هذا الامر لا يصلح الا فى آل ابى طالب ووثب بالمصر وأخرج عامل أمير المؤمنين واظهر عذر أبى تراب والترحم عليه والبراءة من عدوه وأهل حربه وأن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤس أصحابه على مثل رأيه وأمره ونظر زياد فى شهادة الشهود وقال انى لاحب ان يكونوا أ كثر من أربعة فدعا الناس ليشهدوا عليه فشهد اسحق وموسى ابنا طلحة بن عبيد الله والمنذر بن الزبير وعمارة بن عقبة بن أبى معيط وعمرو بن سعد بن أبى وقاص وغيرهم وكتب فى الشهود شريح بن الحرث القاضى وشريح بن هانئ فاما شريح بن هانئ فكان يقول ما شهدت وقد لمته ثم دفع زياد حجر بن عدى وأصحابه الى وائل بن حجر الحضرمى وكثير بن شهاب وأمرهما ان يسيرا بهم الى الشام فخرجوا عشية فلما بلغوا الغريين لحقهم شريح بن هانئ واعطى وائلا كتابا وقال ابلغه أمير المؤمنين فأخذه وسار واحتى انتهوا بهم الى مرج عذراء عند دمشق وكانوا حجر بن عدى الكندى والارقم بن عبد الله الكندى وشريك بن شداد الحضرمى وصيفى بن فسيل الشيبانى وقبيصة بن ضبيعة العبسى وكريم بن عفيف الخثعمى وعاصم بن عوف البجلى وورقاء بن سمى البجلى وكدام بن حيان وعبد الرحمن بن حسان العنزيان ومحرز بن شهاب التميمى وعبد الله بن حوية السعدى التميمى فهؤلاء اثنا عشر رجلا واتبعهم زياد برجلين وهما عتبة بن الاخنس من سعد بن بكر وسعد بن غران الهمدانى فتموا اربعة عشر رجلا فبعث معاوية الى وائل بن حجر وكثير بن شهاب فأدخلهما واخذ كتابهما فقرأه ودفع اليه وائل كتاب شريح بن هانئ فاذا فيه بلغنى ان زيادا كتب شهادتى وان شهادتى على حجر انه ممن يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويديم الحج والعمرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حرام الدم

يقول له اما ان تخرج من البلاد وتسلمها الى وأما سرت اليك فأتيتك فى أعزاما كذلك الملك تخاف منه والتزم له بالخراج فى كل سنة عشرة آلاف ذهب وان يبنى للمسلمين فى داخل المدينة محلة يسكنون فيها ويكون لهم فيها مسجد وجامع وقاض يفصل الخصومات فرضى بذلك ولم يتعرض له السلطان فاستمرت هذه الحالة الى زمان وقعة تيمور فعند ذلك نقض العهد واخرب الجامع واخرج المسلمين من البلد وساقهم الى الروم قال الحافظ ابن حجر فى كتابه أنباء الغمر فى ابناء العمر واشتهر يلدرم بايزيد بالجهاد فى الكفار حتى بعد صيته وكاتبه الملك الظاهر برقوق وهاداه وأرسل اليه أميرا بعد امير ولم يبق أحد من ملوك الارض حتى كاتبه وهاداه حتى كان يقول الظاهر برقوق انا لا اخاف من الكفار فان كل أحد يساعدنى عليهم وانما اخاف من ابن عثمان وفى سنة اثنتين وثمانمائة سار ملوك الطوائف ببلاد الروم الذين اقتلعهم يلدرم بايزيد خان من ممالكهم مثل ابن كرمان وابن منتشا وابن ايدين وابن اسفنديار وغيرهم الى تيمور صاحب الشرق يشكون اليه من السلطان

والمال فان شئت فاقتله وان شئت فدعه فقال معاوية ما أرى هذا الا قد أخرج نفسه من شهادتكم وحبس القوم بمرج عذراء فوصل اليهم الرجلان اللذان الحقهما زياد بحجر وأصحابه فلما وصلا سار عامر بن الاسود العجلي الى معاوية ليعلمه بهما فقام اليه حجر بن عدي في قيوده فقال له ابلغ معاوية ان دماءنا عليه حرام واخبره انا قد أومنا وصالحناه وصالحنا وانا لم نقتل احدا من اهل القبلة فيحل له دماؤنا فدخل عامر على معاوية فاخبره بالرجلين فقام يزيد بن اسد البجلي فاستوهبه ابني عمه وهما عاصم وورقاء وكان جرير بن عبد الله البجلي قد كتب فيهما يزكيهما ويشهد لهما بالبراءة مما شهد عليهما فأطلقهما معاوية وشفع وائل بن حجر في الارقم فتركه له وشفع أبو الاعور السلمي في عتبة بن الاخنس فتركه وشفع حمزة بن مالك الهمداني في سعد ابن نمران فوهبه له وشفع حبيب بن مسلمة في ابن حوية فتركه له وقام مالك بن هبيرة السكوني فقال دع لي ابن عمي حجرا فقال له هو رأس القوم واخاف ان خليت سبيله أن يفسد على مصره فيحتاج ان نشخصك اليه بالعراق فقال والله ما انصفتني يا معاوية قاتلت معك ابن عمك يوم صفين حتى ظفرت وعلا كعبك ولم تخف الدوائر ثم سألتك ابن عمي فمنعتني ثم انصرف فجلس في بيته فبعث معاوية هدبة بن فياض القضاعي والحصين بن عبد الله الكلابي وأبا شريف البدي الى حجر وأصحابه ليقتلوا من أمروا بقتله منهم فأتوه عند المساء فلما رأى الخثعمي احدهم اعور قال يقتل نصفنا ويترك نصفنا فتركوا ستة وقتلوا ثمانية وقالوا لهم قبل القتل انا قد أمرنا ان نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له فان فعلتم تركناكم وان أبيتم قتلناكم فقالوا لسنا فاعلي ذلك فأمر فحفرت القبور وأحضرت الاكفان وقام حجر وأصحابه يصلون عامة الليل فلما كان الغد قدموهم ليقتلوهم فقال لهم حجر بن عدي اتركوني اتوضأ واصلي فاني ما توضأت الا صليت فتركوه فصلى ثم انصرف منها وقال والله ما صليت صلاة قط أخف منها ولولا ان تظنوا في جزعا من الموت لاستكثرت منها ثم قال اللهم انا نستعديك على امتنا فان أهل الكوفة شهدوا علينا وان أهل الشام يقتلوننا اما والله ائن قتلتموني بها فاني لاول فارس من المسلمين هلك في واديها وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها ثم مشى اليه هدبة بن فياض بالسيف فارتعد فقالوا له زعمت انك لا تجزع من الموت فابرأ من صاحبك وندعك فقال ومالي لا أجزع وأرى قبرا محفورا وكفنا منشورا وسيفا مشهورا واني والله ان جزعت من القتل لا اقول ما يسخط الرب فقتلوه وقتلوا ستة فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي وكريم الخثعمي ابعثوا بنا الى امير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته فاستأذنوا معاوية فيهما فأذن باحضارهما فلما دخلا عليه قال الخثعمي الله الله يا معاوية فانك منقول من هذه الدار الزائلة الى الدار الآخرة الدائمة ثم مسؤل عما اردت بسفك دمائنا فقال له ما تقول في علي قال أقول فيه قولك قال اتبرأ من دين علي الذي يدين الله به فسكت وقام شمر بن عبد الله من بني قحافة بن خثعم فاستوهبه فوهبه له على ان لا يدخل الكوفة فاختار الموصل فكان يقول لو مات معاوية قدمت الكوفة فمات قبل معاوية بشهر ثم قال لعبد الرحمن بن حسان يا اخا ربيعة ما تقول في علي قال دعني ولا تسألني فهو خير لك قال والله لا أدعك قال اشهد انه كان من الذاكرين الله تعالى كثيرا من الآمرين بالحق والقائمين بالقسط والعافين عن الناس قال فما قولك في عثمان قال هو أول من فتح ابواب الظلم واغلق

ابواب

بايزيد ويرغبونه الى الروم ويستنجدون به عليه في رد ممالكهم فأجاب تيمور الى سؤالهم بعد ان رجع من البلاد الشامية وبغداد فدخل حدود الروم في أواخر سنة أربع وثمانمائة وأرسل تيمور الى الملك السعيد بايزيد في الصلح على عادته من المكر والدهاء وقال انك رجل مجاهد في سبيل الله وأنا لا أحب قتالك ولكن انظر اي البلاد التي كانت معك من ابيك وجدك فاقنع بها وسلم لي البلاد التي كانت مع ارثنا وكان عند السلطان يزيد خفة وشجاعة ولم يكن عنده صبر ساعة وكان اذا تكلم وهو في صدره كان فلا يزال في حركة واضطراب حتى يصل الى طرف الايوان فلما وقف على كتابه وفهم فحوى خطابه قال ايخوفني بهذه الترهات ويستفزني بهذه الخزعبلات او يحسب انني مثل ملوك الاعاجم أو تاتار الدشت الاغنام أوما يعلم ان أخباره عندي ان اول امره حرامي سفاك الدماء هتاك الحرم نقاض العهود والذمم وكيف ختل الملوك

ابواب الحق قال قتلت نفسك قال بل اياك قتلت ولاربيعة بالوادى يعنى ليشفعوا فيه فرده معاوية
الى زياد وامره ان يقتله شر قتلة فدفنه حيا فكان الذين قتلوا حجر بن عدى وشريك بن شداد
الحضرمى وصيفى بن فسيل الشيبانى وقبيصة بن ضبيعة العبسى ومحرز بن شهاب السعدى
التميمى وكدام بن حيان العنزى وعبد الرحمن بن حسان العنزى الذى دفنه زياد حيا فهؤلاء
السبعة قتلوا ودفنوا وصلى عليهم قيل ولما بلغ الحسن البصرى قتل حجر وأصحابه قال صلوا عليهم
وكفنوهم ودفنوهم واستقبلوا بهم القبلة قالوا نعم قال حجوهم ورب الكعبة وأما مالك بن هبيرة
السكونى حين لم يشفعه معاوية فى حجر فجمع قومه وسار بهم الى عذراء ليخلص حجرا وأصحابه
فلقيته قتلتهم فلما رأوه علموا انه جاء ليخلص حجرا فقال لهم ما وراءكم قالوا قد تاب القوم وجئنا
لنخبر أمير المؤمنين فسكت وسار الى عذراء فلقيه بعض من جاء منها فأخبره بقتل القوم فأرسل
الخيل فى اثر قتلتهم فلم يدركوهم ودخلوا على معاوية فأخبروه فقال لهم انما هى حرارة يجدها فى
نفسه وكأنها اطفئت وعاد مالك الى بيته ولم يأت معاوية فلما كان الليل أرسل اليه معاوية بمائة
ألف درهم وقال ما منعنى ان أشفعك الا خوفا ان يعيدوا الناس بانه يكون فى ذلك من
البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر فأخذها وطابت نفسه ولما بلغ خبر حجر عائشة أرسلت
عبد الرحمن بن الحرث الى معاوية فيه وفى أصحابه فقدم عليه وقد قتلهم فقال له عبد الرحمن أين
غاب عنك حلم أبى سفيان قال حين غاب عنى مثلك من حلماء قومى وحملنى ابن سمية فاحتملت
وقالت عائشة لولا انا لم نغير شيأ الا صارت بنا الامور الى ما هو أشد منه لغيرنا قتل حجر أما والله
ان كان ما علمت لمسلما حجاجا معتمرا وقال الحسن البصرى أربع خصال كن فى معاوية لو لم
تكن فيه الا واحدة لكانت موبقة انتزاؤه على هذه الامة بالسيف حتى أخذ الامر من غير
مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة واستخلافه بعده ابنه سكيرا خميرا يلبس الحرير
ويضرب بالطنابير وادعاؤه زيادا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر
الحجر وقتله حجرا وأصحاب حجر فياويلا له من حجر وياويلا له من حجر وأصحاب حجر قيل وكان الناس
يقولون أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن على وقتل حجر ودعوة زياد وقالت هند بنت زيد
الانصارية ترثى حجرا وكانت تتشيع

ترفع أيها القمر المنير * تبصر هل ترى حجرا يسير
يسير الى معاوية بن حرب * ليقتله كما زعم الامير
تجبرت الجبابر بعد حجر * وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد له محولا * كأن لم يحيها مزن مطير
الا يا حجر حجر بنى عدى * تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى عديا * وشيخا فى دمشق له زئير
فان تهلك فكل زعيم قوم * من الدنيا الى هلك يصير

وقد قيل فى قتله غير ما تقدم وهو ان زيادا خطب يوم جمعة فأطال الخطبة وأخر الصلاة فقال له
حجر بن عدى الصلاة فمضى فى خطبته فقال له الصلاة فمضى فى خطبته فلما خشى حجر بن عدى
فوت الصلاة ضرب بيده الى كف من حصى وقام الى الصلاة وقام الناس معه فلما رأى زياد ذلك

وخذ روكيف تولى وكفر وأين
للتاتار الطغام الضرب
بالبتار الحسام وما لهم رشق
سوى النبال والسهام لم
بخلاف ضراغم الاروام
وأما نحن فالحرب دأبنا
والضرب طلابنا والجهاد
صنعتنا رجالنا باعوا انفسهم
وأموالهم من الله بأن لهم
الجنة فكم لضرباتهم فى
آذان الكفار من طنة
ولسيوفهم فى قلانس
الفوارس من رنه وأنا أعلم
ان هذا الكلام يبعثك الى
بلادنا انبعاثا فان لم تأت تكن
زوجتك طالقا ثلاثا وان
قصدت بلادى وفررت عنك
ولم ألقاك البتة فزوجاتى اذ
ذاك طوالق ثلاثا البتة ثم
أنهى خطابه ورده على هذه
الطريق جوابه فلما وقف
تيمور على جوابه استشنع ما
ختم بالنساء لكتابه وكان
السلطان يلدرم بايزيد على
مدينة استانبول محاصرها
وقد قارب ان يفتحها وتضع
الحرب أوزارها فتركها
وتوجه لقتاله واستعد
لاستقباله وخاف من
الهجوم على بلاد الروم
فأجرى من عساكره السيول
الهامرة وأخذ بهم على قفار
غامرة حذرا على رعاياه من
مواطئ مطاياه فانه كان على
الضعيف من رعيته شفوقا

نزل فصلى بالناس وكتب الى معاوية وكثر عليه فكتب اليه معاوية ليشده فى الحديد ويرسله اليه فلما أراد أخذه قام قومه ليمنعوه فقال حجر لا ولكن سمعا وطاعة فشد فى الحديد وحمل الى معاوية فلما دخل عليه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال معاوية أمير المؤمنين أنا والله لا أقيلك ولا استقيلك أخرجوه فاضربوا عنقه فقال حجر للذين يلون أمره دعونى حتى اصلى ركعتين فقالوا صل فصلى ركعتين خفف فيهما ثم قال لولا ان تظنوا بى غير الذى اردت لاطلتهما وقال لمن حضره من قومه لا تطلقوا عنى حديدا ولا تغسلوا عنى دما فانى لاق معاوية غدا على الجادة وضربت عنقه قال فلقيت عائشة معاوية فقالت له أين كان حلمك عن حجر فقال لم يحضرنى رشيد قال ابن سيرين بلغنا ان معاوية لما حضرته الوفاة جعل يقول يومى منك يا حجر طويل (عباد بضم العين وفتح الباء الموحدة وتخفيفها)

ذكر استعمال الربيع على خراسان

وفى هذه السنة وجه زياد ربيع بن زياد الحارثى أميرا على خراسان وكان الحكم بن عمرو الغفارى قد استخلف عند موته أنس بن أبى أناس فعزله زياد وولى خليد بن عبد الله الحنفى ثم عزله وولى الربيع بن زياد أول سنة احدى وخمسين وسير معه خمسين الفا بعيالاتهم من اهل الكوفة والبصرة منهم بريدة بن الحصيب وأبو برزة ولهما صحبة فسكنوا خراسان فلما قدمها غزا بلخ ففتحها صلحا وكانت قد أغلقت بعد ما صالحهم الاحنف بن قيس فى قول بعضهم وفتح قهستان عنوة وقتل من بناحيتها من الاتراك وبقى منهم نيزك طرخان فقتله قتيبة بن مسلم فى ولايته

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة مات جرير بن عبد الله البجلى وقيل سنة أربع وخمسين وكان اسلامه فى السنة التى توفى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها مات سعيد بن زيد وقيل سنة اثنتين وقيل ثمان وخمسين ودفن بالمدينة وهو أحد العشرة وأبو بكرة نفيع بن الحرث له صحبة وهو أخو زياد لامه وفيها ماتت ميمونة بنت الحرث زوج النبى صلى الله عليه وسلم بسرف وفيه دخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ماتت سنة ثلاث وستين وقيل ست وستين وحج بالناس هذه السنة يزيد ابن معاوية وكان العمال بهذه السنة من تقدم ذكرهم (بريدة بضم الباء الموحدة وفتح الراء المهملة والحصيب بضم الحاء المهملة وفتح الصاد المهملتين وآخره باء موحدة)

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين

فيها كانت غزوة سفيان بن عوف الاسدى الروم وشتى بارضهم وتوفى بها فى قول فاستخلف عبد الله بن مسعدة الفزارى وقيل ان الذى شتى هذه السنة بارض الروم بسر بن أبى ارطاة ومعه سفيان بن عوف وغزا الصائفة هذه السنة محمد بن عبد الله الثقفى

ذكر خروج زياد بن خراش العجلى

وفى هذه السنة خرج زياد بن خراش العجلى فى ثلاثمائة فارس فأتى أرض مسكن من السواد فسير اليه زياد خيلا عليها سعد بن حذيفة أو غيره فقتلوهم وقد صاروا الى ماه

ذكر خروج معاذ الطائى

وخرج

وبالفقير من حشمه وخدمه ورفقا وكان غالب عسكر التاتار قوم ذوو يمين ويسار فارسل تيمور الى زعمائهم والكبار من رؤسائهم وأمرائهم يستميلهم ويذكرهم الجنسية ويعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا فوعدوه بالمعاونة والمعاودة وكان تيمور قد نازل انكورية فلم يشق السلطان من رقاده الا وتيمور قد مر على جميع بلاده فقامت عليه القيامة واكل يديه حسرة وندامة ولما تدانت الجيوش من الجيوش واضطربت الوحوش وامتلأت منهم الصحارى والقفار وتقابلت اليسار باليمين واليمين باليسار اندفعت من عساكر العثمانية التاتار واتصلت بعساكر تيمور كما رسم أولا وأشار وكانوا هم صلب العسكر والاوفر والاكثر بل قيل ان ذلك الجمهور كانوا نحوا من جند تيمور وكان مع السلطان من اولاده اكبرهم الامير سليمان فلما رأى ما فعله التاتار علم انه قد حل بابيه البوار فاخذ باقى العسكر وقهقر عن ميدان المصاف وتأخر وترك أباه فى شدة البأسا ورجع بمن معه الى جهة بروسا فلم يبق مع

وخرج على زياد أيضا رجل من طيء يقال له معاذ فأتى نهر عبد الرحمن بن أم الحكم في ثلاثين رجلا هذه السنة فبعث اليه زياد من قتله وأصحابه وقيل بل حل لواءه واستأمن ويقال لهم أصحاب نهر عبد الرحمن

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس سعيد بن العاص وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها مات عمران بن الحصين الخزاعي بالبصرة وأبو أيوب الانصاري واسمه خالد بن زيد شهد العقبة وبدرا وقد تقدم انه توفي سنة تسع وأربعين عند القسطنطينية وكعب بن عجرة وله خمس وسبعون سنة

(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين)

فيها كان مشتى عبد الرحمن بن ام الحكم الثقفي بارض الروم وفيها فتحت رودس جزيرة في البحر فتحها جنادة بن أبي أمية الازدي ونزلها المسلمون وهم على حذر من الروم وكانوا أشد شيء على الروم يعترضونهم في البحر فيأخذون سفنهم وكان معاوية يدر لهم العطاء وكان العدو قد خافهم فلما توفي معاوية أقفلهم ابنه يزيد وقيل فتحت سنة ستين

(ذكر وفاة زياد)

وفي هذه السنة توفي زياد بن أبيه بالكوفة في شهر رمضان وكان سبب موته انه كتب الى معاوية اني قد ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة فاشغلها بالحجاز فكتب له عهده على الحجاز فبلغ اهل الحجاز فأتى نفر منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب فذكروا ذلك فقال ادعوا الله عليه ثم استقبل القبلة ودعا ودعوا معه وكان من دعائه ان قال اللهم اكفناه شر زياد فخرجت طاعونة على اصبع يمينه فمات منها فلما حضرته الوفاة دعا شريحا القاضي فقال له قد حدث ما ترى وقد امرت بقطعها فأشر علي فقال له شريح اني أخشى ان يكون الاجل قد دنا فتلقى الله أجذم وقد قطعت يدك كراهية لقائه أوان يكون في الاجل تأخير فتعيش أجذم وتعير ولدك فقال لا أبيت والطاعون في لحاف واحد فخرج شريح من عنده فسأله الناس فأخبرهم فلاموه وقالوا هلا أشرت بقطعها فقال المستشار مؤتمن وأراد زياد قطعها فلما نظر الى النار والمكاوي جزع وتركه وقيل بل تركه لما أشار عليه شريح بتركه ولما حضرته الوفاة قال له ابنه قد هيأت لك ستين ثوبا أكفنك بها فقال له يا بني قد دنا من أبيك لباس هو خير من لباسه أو سلب سريع فمات ودفن بالثوية الى جانب الكوفة فلما بلغ موته ابن عمر قال اذهب ابن سمية لا الآخرة أدركت ولا الدنيا بقيت عليك وكان مولده سنة احدى من الهجرة قال مسكين الدارمي يرثيه

رأيت زيادة الاسلام ولت * جهارا حين ودعنا زياد

فقال الفرزدق يجيبه ولم يكن هجا زيادا حتى مات

أمسكين أبكى الله عينيك انما * جرى في ضلال دمعها فتحدرا
بكيت امرأ من أهل ميسان كافرا * ككسرى على عدانه أو كقيصرا
أقول له لما أتاني نعيه * به لا بظبي بالصريمة أعفرا

وكان زياد فيه حمرة وفي عينه اليمنى انكسار أبيض اللحية مخروطها عليه قميص ربما رقعه

(ذكر وفاة الربيع)

السلطان الا المشاة ومن داناهم وبعض من الكماة وقليل ماهم فثبت للمجاولة بمن معه من الرفاق وخاف ان فر ان يقع عليه الطلاق فصبر لحادثات الدهر وما انهزم وأراد أن يبقى على مذهب الامام مالك بما التزم فأحاطت به اساورة الجنود أحاطة الاساورة بالزنود ووقع السلطان في القنص وصار مقيدا كالطير في القفص وكانت هذه المعركة على نحو ميل من مدينة انقرة يوم الاربعاء سابع عشر ذي الحجة سنة اربع وثمانمائة ووصل ولده الامير سليمان الى بروسه معقل بن عثمان فاحتاط على ما فيها من الخزائن والاموال والحريم والاولاد ونفائس الاثقال واشتغل بنقل ذلك الى برادنه وكان للسلطان المذكور من الاولاد المذكور الامير سليمان هذا وهو اكبرهم وعيسى وموسى ومصطفى ومحمد وهو أصغرهم وكل طلب لنفسه مهربا والحاز اليه من العسكر طائفة نجبا فكان محمد وموسى في قلعة اماسية وهي خرشنة شاهقة عاصية وأما عيسى فانه لجأ الى بعض الحصون واستكان الى أن قتله أخوه الامير سليمان وموسى فيما بعد قتل الامير

وفيها مات الربيع بن زياد الحارثي عامل خراسان من قبل زياد وكان سبب موته انه سخط قتل حجر ابن عدى حتى انه قال لاتزال العرب تقتل صبرا بعده ولو نفرت عند قتله لم يقتل رجل منهم صبرا ولكنها اقرّت فذلت ثم مكث بعد هذا الكلام جمعة ثم خرج يوم الجمعة فقال أيها الناس انى قد مللت الحياة وانى داع بدعوة فأمنوا ثم رفع يديه بعد الصلاة فقال اللهم ان كان لى عندك خير فاقبضنى اليك عاجلا وامن الناس ثم خرج فما توارت ثيابه حتى سقط فحمل الى بيته واستخلف ابنه عبد الله ومات من يومه ثم مات ابنه بعده بشهرين واستخلف خليد بن يربوع الحنفى فأقره زياد ولما مات زياد كان على البصرة سمرة بن جندب وكان على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد فأقر سمرة على البصرة ثمانية عشر شهرا وقيل ستة أشهر ثم عزله معاوية فقال سمرة لعن الله معاوية والله لو أطعت الله كما أطعته ماعذبنى أبدا وجاء رجل الى سمرة فأدى زكاة ماله ثم دخل المسجد فصلى فأمر سمرة بقتله فقتل فمر به أبو بكرة فقال يقول الله تعالى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى قال ومات سمرة حتى أخذه الزمهرير فمات شر ميتة (الثوية بضم الثاء المثلثة وفتح الواو والياء تحتها نقطتان موضع فيه مغيرة)

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

حج بالناس هذه السنة سعيد بن العاص وكان عامل المدينة وخرجت هذه السنة وعلى الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى البصرة سمرة وعلى خراسان خليد بن يربوع الحنفى (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة وسكون الياء المعجمة باثنتين من تحتها) وفيها مات عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق بطريق مكة فى نومة نامها وقيل توفى بعد ذلك وفيها توفى فيروز الديلى وكانت له صحبة وكان معاوية قد استعمله على صنعاء وفيها مات عمرو بن حزم الانصارى وفيها مات فضالة ابن عبيد الانصارى بدمشق وكان قاضيها لمعاوية وقيل مات آخر أيام معاوية وقيل غير ذلك شهد أحدا ومابعدها

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسين ﴾

﴿ ذكر غزوة الروم وفتح جزيرة أرواد ﴾

فيها كان مشتى محمد بن مالك بأرض الروم وصائفة معن بن يزيد السلمى وفيها فتح المسلمون ومقدمهم جنادة بن أبى أمية جزيرة أرواد قريب القسطنطينية فأقاموا بها سبع سنين وكان معهم مجاهد بن جبر فلما مات معاوية وولى ابنه يزيد أمرهم بالعود فعادوا

﴿ ذكر عزل سعيد عن المدينة واستعمال مروان ﴾

وفيها عزل معاوية سعيد بن العاص عن المدينة واستعمل مروان وكان سبب ذلك ان معاوية كتب الى سعيد بن العاص ان يهدم دار مروان ويقبض أمواله كلها ليجعلها صافية ويقبض منه فدك وكان وهبها له فراجعه سعيد بن العاص فى ذلك فأعاد معاوية الكتاب بذلك فلم يفعل سعيد ووضع الكتابين عنده فعزله معاوية وولى مروان وكتب اليه يأمره بقبض اموال سعيد بن العاص وهدم داره فأخذ الفعلة وسار الى دار سعيد ليهدمها فقال له سعيد يا أبا عبد الملك أتهدم دارى قال نعم كتب الى أمير المؤمنين ولو كتب اليك فى هدم دارى لفعلت فقال ما كنت لافعل قال بلى والله قال كلا وقال لغلامه ائتنى بكتاب معاوية فجاءه بالكتابين فلما رآهما مروان قال

سليمان بعيسى ثم بعد الكل محمد فقتل موسى وأما مصطفى فانه فقد وقتل نحو من ثلاثين بسببه ثم انه لم يزل السلطان فى أسر تيمور وقصده ان يطلقه اذا وصل الى حدود تبريز فمرض فلم ينجع حتى توفى فى مدينة آقشهر يوم الخميس رابع شعبان سنة خمس وثمانمائة من علة الخناق وضيق النفس ودفن فى المدينة المذكورة بطريق الامانة ثم نقله ولده موسى جلبى بمعرفة تيمور الى تربته بمدينة بروسه فلما سمع تيمور بوفاته تأسف وحزن وبكى ثم ان تيمور قسم بلاد الروم على زعمه للملوك الذين خلفهم الملك السعيد بايزيد ما كان لهم وأطلق تيمور ابن قرمان من الحبس وسلم اليه مامقاليد ايهما وفوض بلاد أناطولى على زعمه الى عيسى وموسى ابنى السلطان يلدرم خان ثم مضى الى سبيله بعد ماخان وافسد العباد واخرب البلاد وهتك الستور واباح البكور ولم يسلم من شره من رعايا الروم لا الثلث ولا الربع وصارت جماعتهم فيهم ما بين منخنقة وموقوذة ومتردية ونطيحة وما اكل السبع وكان السلطان السعيد يلدرم بايزيد من خيار ملوك

كتب اليك فلم تفعل ولم تعلني فقال سعيد ما كنت لآمن عليك وانما أراد معاوية ان يحرض بيننا فقال مروان أنت والله خير مني وعاد ولم يهدم دار سعيد وكتب سعيد الى معاوية العجب مما صنع أمير المؤمنين بنا في قرابتنا انه يضغن بعضنا على بعض فأمير المؤمنين في حلمه وصبره على ما يكره من الاخبثين وعفوه وادخاله القطيعة بيننا والشحناء وتوارث الاولاد ذلك فوالله لولم نكن أولاد أب واحد لما جمعنا الله عليه من نصرة أمير المؤمنين الخليفة المظلوم وباجتماع كلمتنا لكان حقا على أمير المؤمنين ان يرعى ذلك فكتب اليه معاوية يعتذر من ذلك ويتنصل وانه عائد الى أحسن ما يعهده وقدم سعيد على معاوية فسأله عن مروان فأثنى عليه خيرا فقال له معاوية ما باعد بينه وبينك قال خافني على شرفه وخفته على شرفي قال فما ذا له عندك قال أسره شاهدا وغائبا

﴿ ذكر استعمال عبيد الله بن زياد على خراسان ﴾

وفي هذه السنة عزل معاوية سمرة بن جندب واستعمل على البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان ستة اشهر وفيها استعمل معاوية عبيد الله بن زياد على خراسان وكان سبب ولايته انه قدم عليه بعد موت أبيه فقال له معاوية من استعمل أبوك على الكوفة والبصرة فأخبره فقال لو استعملك أبوك لاستعملتك فقال عبيد الله انشدك الله ان يقولها الى أحد بعدك لو استعملك أبوك وعمك لاستعملتك فولاه خراسان وقال له اتق الله ولا تؤثرن على تقواه شيأ فان في تقواه عوضا ووفر عرضك من ان تدنسه واذا أعطيت عهدا فف به ولا تبيعن كثيرا بقليل ولا يخرجن منك أمر حتى تبرمه فاذا خرج فلا يردن عليك واذا لقيت عدوك فغلبوك على ظهر الارض فلا يغلبوك على بطنها ولا تطمعن أحدا في غير حقه ولا تؤيسن أحدا من حق هوله ثم ودعه وكان عمر عبيد الله خمسا وعشرين سنة وسار الى خراسان فقطع النهر الى جبال بخارا على الابل فكان أول من قطع جبال بخارا في جيش ففتح رامني ونسف وبيكند وهي من بخارا فمن ثم أصاب البخارية وغنم منهم غنائم كثيرة ولما لقي الترك وهزمهم كان مع ملكهم زوجته فعجلوها عن لبس خفيها فلبست أحدهما وبقي الآخر فأخذه المسلمون فقوم بمائتي ألف درهم وكان قتاله الترك من زحوف خراسان التي تذكر فظهر منه بأس شديد وأقام بخراسان سنتين

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج بالناس هذه السنة مروان بن الحكم وهو أمير المدينة وكان على الكوفة عبد الله بن خالد وقيل الضحاك بن قيس وعلى البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان وفي هذه السنة توفي أبو قتادة الانصاري وعمره سبعون سنة وقيل مات سنة أربعين وصلى عليه علي وكبر عليه سبعا وشهد مع علي حروبه كلها وهو بدري وفيها توفي حويطب بن عبد العزى وله مائة وعشرون سنة وفيها توفي ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسامة بن زيد وقيل توفي أسامة سنة ثمان وخمسين وفيها توفي سعيد بن يربوع بن عنكثة وكان عمره مائة وأربعا وعشرين سنة وله صحبة ومخرمة بن نوفل وهو من مسلمة الفتح وعمره مائة سنة وخمس عشرة سنة وعبد الله بن أنيس الجهني وفيها قتل زيد بن شجرة الرهاوي في غزوة غزاها وقيل سنة ثمان وخمسين

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسين ﴾

الارض وكان مجاهدا مرابطا وقد فتح من بلاد الكفار ومدنهم الكبار مالم يمسها من المسلمين خف ولا حافر وكان قوي النفس شديد البطش عالي الهمة ذكر الحافظ ابن حجر في تاريخه بعد ما اثنى عليه ان الحوض الذي يغتسل منه كان فضة وكذا كانت أوانيه التي كان يأكل فيها ويشرب ويستعملها وكان الامن في زمانه بحيث عز الرجل بالحمل مطروحا بالمضاعة فلا يتعرض له احد وكانت مدة ملكه اربعة عشر عاما وثلاثة أشهر وعمره ثمان وخمسون سنة وخلف خمسة أولاد ذكور وهم عيسى وموسى وسليمان وقاسم ومحمد كما سبق وصار بينهم النزاع والقتال نحو اثنتي عشرة سنة الى أن استقل بالملك

(السلطان محمد خان الغازي ابن السلطان يلدرم بايزيد خان)

جلس على سرير الملك بمدينة بروسه في سنة ست عشرة وثمانمائة وعمره اذ ذاك تسع وثلاثون سنة لان مولده في سنة سبع وسبعين وسبعمائة وكان دأبه الاشتغال بالحروب وكان من جملة من خرج عليه وحاربه قره دولتشاه من التاتار في نواحي اماسية فسار

في هذه السنة كان مشتى سفيان بن عوف الازدي في قول وقيل بل الذي شتى هذه السنة عمرو بن محرز وقيل بل عبد الله بن قيس الفزاري وقيل بل مالك بن عبد الله

(ذكر ولاية ابن زياد البصرة)

في هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان عن البصرة وولاها عبيد الله بن زياد وكان سبب ذلك ان عبد الله خطب على منبر البصرة فحصبه رجل من بني ضبة فقطع يده فأتاه بنو ضبة وقالوا ان صاحبنا جنى ما جنى وقد عاقبته ولا نأمن أن يبلغ خبرنا أمير المؤمنين فيعاقب عقوبة تعم فاكتب لنا كتابا الى أمير المؤمنين يخرج به أحدنا اليه يخبره انك قطعت على شبهة وأمر لم يتضح فكتب لهم فلما كان رأس السنة توجه عبد الله الى معاوية ووافاه الضبيون بالكتاب وادعوا انه قطع صاحبهم ظلما فلما رأى معاوية الكتاب قال أما القود من عمالي فلا سبيل اليه ولكن أدى صاحبكم من بيت المال وعزل عبد الله عن البصرة واستعمل ابن زياد عليها فولى ابن زياد على خراسان أسلم بن زرعة الكلابي فلم يغزو ولم يفتح بها شيأ

(ذكر عدة حوادث)

وفيها عزل معاوية عبد الله بن خالد عن الكوفة وولاها الضحاك بن قيس وقيل ما تقدم وفيها مات الارقم بن أبي الارقم المخزومي وهو الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختفي في داره بمكة وكان عمره ثمانين سنة وزيادة وقيل مات يوم مات أبو بكرة وفيها توفي أبو اليسر كعب بن عمرو الانصاري وهو بدري وشهد صفين مع علي وقيل توفي قبل وحج بالناس هذه السنة مروان ابن الحكم

(ثم دخلت سنة ست وخمسين)

فيها كان مشتى جنادة بن أبي أمية بأرض الروم وقيل عبد الرحمن بن مسعود وقيل غزا فيها في البحر يزيد بن شجرة وفي البر عياض بن الحرث واعتمر معاوية فيها في رجب وحج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان

(ذكر البيعة ليزيد بولاية العهد)

وفي هذه السنة بايع الناس يزيد بن معاوية بولاية عهد أبيه وكان ابتداء ذلك وأوله من المغيرة ابن شعبة فان معاوية أراد ان يعزله عن الكوفة ويستعمل عوضه سعيد بن العاص فبلغه ذلك فقال الرأي ان أشخص الى معاوية فاستعفيه ليظهر للناس كراهتي للولاية فسار الى معاوية وقال لاصحابه حين وصل اليه ان لم أكسبكم الآن ولاية وامارة لا أفعل ذلك أبدا ومضى حتى دخل على يزيد وقال له انه قد ذهب اعيان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وآله وكبراء قريش وذووا اسنانهم وانما بقي أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأيا وأعلمهم بالسنة والسياسة ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين ان يعقد لك البيعة قال أوترى ذلك يتم قال نعم فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المغيرة فأحضر المغيرة وقال له ما يقول يزيد فقال يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان وفي يزيد منك خلف فاعقد له فان حدث بك حادث كان كهفا للناس وخلفا منك ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة قال ومن لي بهذا قال أكفيك أهل الكوفة ويكفيك زياد أهل البصرة وليس بعد هذين المصرين احد يخالفك قال فارجع الى

عليه وهزمه وتبدد شمله ثم قصد قتال اسفنديار بيك صاحب سينوب وجرى بين الفريقين قتال شديد انتصر فيه السلطان محمد وانهزم اسفنديار اقبح هزيمة واستولى السلطان محمد على جميع ما عليه ثم بعد ذلك صفا له الدهر وانتظم له الامر ولم يبق من ينازعه في ملكه ثم لما بلغه ان ابن قرمان نقض العهد وتعرض لاخذ بعض البلاد سار اليه بجيش كثير فقاتله وهزمه فتبعه حتى أسره وأسر ولديه محمد ومصطفى فأحضر بين يدي السلطان فعاتبه على سوء صنعه ثم عفا عنه وعن ولديه وأطلقهما وبين لهما بعض بلادهما وأخذ عليهما العهد والميثاق بأن لا يخونا بعد ذلك واستولى على عدة قلاع لابن قرمان منها قلعة سوري حصار وقلعة قيرشهري وقلعة نيكده وقلعة آقشهر وقلعة سيدي شهري وقلعة اوغاري وقلعة بكشهري وقلعة سعيد ايلي ثم سار واستولى على قلعة صامسون وغالب هذه البلاد كان افتتحها السلطان بايزيد ثم لما قدم تيمور الى بلاد الروم ردها الى اصحابها وفي سنة أربع وعشرين وثمانمائة مرض السلطان محمد خان من الاسهال وهو يومئذ

عملك وتحدث مع من تثق اليه فى ذلك وترى ونرى فودعه ورجع الى اصحابه فقالوا مه قال لقد وضعت رجل معاوية فى غرز بعيد الغاية على امة محمد وفتقت عليهم فتقا لا يرتق ابدا وتمثل

بمثلى شاهدى النجوى وغالى * بى الاعداء والخصم الغضابا

وسار المغيرة حتى قدم الكوفة وذاكر من يثق اليه ومن يعلم انه شيعة لبنى امية امر يزيد فاجابوا الى بيعته فأوفد منهم عشرة ويقال اكثر من عشرة واعطاهم ثلاثين الف درهم وجعل عليهم ابنه موسى بن المغيرة وقدموا على معاوية فزينوا له بيعة يزيد ودعوه الى عقدها فقال معاوية لا تعجلوا باظهار هذا وكونوا على رأيكم ثم قال لموسى بكم اشترى ابوك من هؤلاء دينهم قال بثلاثين ألفا قال لقد هان عليهم دينهم وقيل ارسل اربعين رجلا وجعل عليهم ابنه عروة فلما دخلوا على معاوية قاموا خطباء فقالوا انما اشخصهم اليه النظر لامة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا يا امير المؤمنين كبرت سنك وخفنا انتشار الحبل فانصب لنا علما وحد لنا حدا ننتهى اليه فقال اشيروا على فقالوا نشير بيزيد بن امير المؤمنين فقال او قد رضيتموه قالوا نعم قال وذلك رأيكم قالوا نعم ورأى من وراءنا فقال معاوية لعروة سرا عنهم بكم اشترى ابوك من هؤلاء دينهم قال باربعمائة دينار قال لقد وجد دينهم عندهم رخيصا وقال لهم ننظر ما قدمتم له ويقضى الله ما أراد والاناة خير من العجلة فرجعوا وقوى عزم معاوية على البيعة ليزيد فأرسل الى زياد يستشيره فأحضر زياد عبيد بن كعب النميرى وقال له ان لكل مستشير ثقة ولكل سر مستودع وان الناس قد أبدع بهم خصلتان اذاعة السر واخراج النصيحة الى غير أهلها وليس موضوع السر الا احد رجلين رجل آخرة يرجو ثوابها ورجل دنيا له شرف فى نفسه وعقل يصون حسبه وقد خبرتهما منك وقد دعوتك لامر اتهمت عليه بطون الصحف ان أمير المؤمنين كتب يستشيرنى فى كذا وكذا وانه يتخوف نفرة الناس ويرجو طاعتهم وعلاقة أمر الاسلام وضمانه عظيم ويزيد صاحب رسلة وتهاون مع ما قد أولع به من الصيد فالق أمير المؤمنين وأد اليه فعلات يزيد وقل له رويدك بالامر فأحرى لك ان يتم لك لا تعجل فان دركا فى تأخير خير من فوت فى عجلة فقال له عبيد أفلا غير هذا قال وما هو قال لا تفسد على معاوية رأيه ولا تبغض اليه ابنه وألقى انا يزيد فأخبره ان أمير المؤمنين كتب اليك يستشيرك فى البيعة له وانك تتخوف خلاف الناس عليه لهنات ينقمونها عليه وانك ترى له ترك ما ينقم عليه لتستحكم له الحجة على الناس ويتم ما تريد فتكون قد نصحت أمير المؤمنين وسلمت مما تخاف من أمر الامة فقال زياد لقد رميت الامر بحجره اشخص على بركة الله فان أصبت فلا ينكر وان يكن خطأ فغير مستغش وتقول بما ترى ويقضى الله بغيب ما يعلم فقدم على يزيد فذكر ذلك له فكف عن كثير مما كان يصنع وكتب زياد معه الى معاوية يشير بالتؤدة وان لا يعجل فقبل منه فلما مات زياد عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد فأرسل الى عبد الله بن عمر مائة ألف درهم فقبلها فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر هذا أراد ان دينى عندى اذن لرخيص وامتنع ثم كتب معاوية بعد ذلك الى مروان بن الحكم انى قد كبرت سنى ودق عظمى وخشيت الاختلاف على الامة بعدى وقد رأيت ان أتخير لهم من يقوم بعدى وكرهت ان أقطع امرا دون مشورة من عندك فاعرض ذلك عليهم واعلمنى بالذى يردون عليك فقام مروان فى الناس فأخبرهم به فقال الناس اصاب ووفق وقد احببنا ان

بمدينة ادرنه ولم يزل يثقل مرضه حتى مات وكان قد عهد فى حياته بالملك لولده مرادخان وسبب ذلك انه رأى رؤيا انه جالس فى محل لطيف فقدم واله سماطا فتناول منه شيأ يسيرا ولم ينل منه غرضه فرفعوه ووضعوه بين يدى ولده العادل مرادخان وهو فى بيت غير البيت الذى هو فيه فلما انتبه علم انه لا يدوم فى الملك وان ولده سيلى الملك بعده وامر ببناء الجامع والمدرسة والعمارة بمدينة بروسه وكان ولده مرادخان يوم وفاة ابيه فى اقصى بلاد روم ايلى فى الغزو فأخفى الوزراء موت السلطان مدة احد واربعين يوما حتى وصل السلطان مرادخان الى مدينة بروسه واستقر على التخت بها ثم بعد ذلك اظهروا موت السلطان وشيعوه الى مدينة بروسه ودفنوه قبالة جامعه الذى انشاه بالمدينة المذكورة وكانت مدة ملكه ثمانية أعوام وعشرة أشهر وعاش ثمانية واربعين عاما وكان رحمه الله ملكا جليلا مهابا محبا للعلماء والصلحاء وهو أول من عين الصرة من محصول اوقافه لاهل الحرمين من سلاطين بنى عثمان وتولى السلطنة بعده ولده

(الملك العادل السلطان مرادخان بن السلطان محمد خان)

جلس على سرير الملك بعد وفاة والده بعهد منه اليه فى أواخر سنة اربع وعشرين وثمانمائة وعمره ثمانى عشرة سنة وفى سنة خمس وعشرين وثمانمائة ظهر رجل يدعى بمصطفى

يخبرانا فلا يألو فكتب مروان الى معاوية بذلك فأعاد اليه الجواب بذكر يزيد فقام مروان فيهم وقال ان امير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل وقد استخلف ابنه يزيد بعده فقام عبد الرحمن بن ابى بكر فقال كذبت والله يامروان وكذب معاوية ماالخيار أردتما لامة محمد ولكنكم تريدون ان تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل فقال مروان هذا الذى أنزل الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما الآية فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء الحجاب وقالت يامروان يامروان فأنصت الناس وأقبل مروان بوجهه فقالت أنت القائل لعبد الرحمن انه نزل فيه القرآن كذبت والله ماهو به ولكنه فلان بن فلان ولكنك أنت فضض من لعنة نبى الله وقام الحسين بن على فأنكر ذلك وفعل مثله ابن عمر وابن الزبير فكتب مروان بذلك الى معاوية وكان معاوية قد كتب الى عماله بتقريظ يزيد ووصفه وان يوفدوا اليه الوفود من الامصار فكان فيمن أتاه محمد بن عمرو بن حزم من المدينة والاحنف بن قيس فى وفد اهل البصرة فقال محمد ابن عمرو لمعاوية ان كل راع مسؤل عن رعيته فانظر من تولى أمر أمة محمد فأخذ معاوية بهر حتى جعل يتنفس فى يوم شات ثم وصله وصرفه وأمر الاحنف ان يدخل على يزيد فدخل عليه فلما خرج من عنده قال له كيف رأيت ابن أخيك قال رأيت شبابا ونشاطا وجلدا ومزاحا ثم ان معاوية قال للضحاك بن قيس الفهرى لما اجتمع الوفود عنده انى متكلم فاذا سكت فكن أنت الذى تدعو الى بيعة يزيد وتحثنى عليها فلما جلس معاوية للناس تكلم فعظم أمر الاسلام وحرمة الخلافة وحقها وما أمر الله به من طاعة ولاة الامر ثم ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة وعرض ببيعته فعارضه الضحاك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ياأمير المؤمنين انه لابد للناس من وال بعدك وقد بلونا الجماعة والالفة فوجدناهما أحقن للدماء وأصلح للدهماء وآمن للسبل وخيرا فى العاقبة والايام عوج رواجع والله كل يوم هو فى شأن ويزيد ابن أمير المؤمنين فى حسن هديه وقصد سيرته على ماعلمت وهو من أفضلنا علما وحلما وأبعدنا رأيا فوله عهدك واجعله لنا علما بعدك ومفزعا نلجأ اليه ونسكن فى ظله وتكلم عمرو بن سعيد الاشدق بنحو من ذلك ثم قام يزيد بن المقنع العذرى فقال هذا أمير المؤمنين وأشار الى معاوية فان هلك فهذا وأشار الى يزيد ومن أبى فهذا وأشار الى سيفه فقال معاوية اجلس فأنت سيد الخطباء وتكلم من حضر من الوفود فقال معاوية للاحنف ماتقول ياأبا بحر فقال نخافكم ان صدقنا ونخاف الله ان كذبنا وأنت ياامير المؤمنين اعلم بيزيد فى ليله ونهاره وسره وعلانيته ومدخله ومخرجه فان كنت تعلمه لله تعالى وللامة رضا فلا تشاور فيه وان كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر الى الآخرة وانما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا وقام رجل من أهل الشأم فقال ماندرى ماتقول هذه المعدية العراقية وانما عندنا سمع وطاعة وضرب وازدلاف فتفرق الناس يحكون قول الاحنف وكان معاوية يعطى المقارب ويدارى المباعد ويلطف به حتى استوثق له أكثر الناس وبايعه فلما بايعه أهل العراق والشام سار الى الحجاز فى ألف فارس فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن على أول الناس فلما نظر اليه قال لامرحبا ولا أهلا بدنة يترقرق دمها والله مهريقه قال مهلا فانى والله لست بأهل لهذه المقالة قال بلى ولشر منها ولقيه ابن الزبير فقال لامرحبا ولا أهلا خب ضب تلعة يدخل رأسه ويضرب بذنبه ويوشك والله ان يؤخذ بذنبه

ويدق

فى نواحى سلانيك وادعى انه الامير مصطفى ابن الملك السعيد يلدرم بايزيد الذى فقد فى وقعة تيمور ولم يعلم له خبر فاجتمع عليه خلق كثير فاستفحل أمره جدا حتى قام واستولى على جميع بلاد روم ايلى وعلى مدينة ادرنه ثم اجتاز البحر الى طرف اناطولى ليقاتل السلطان مراد وكان السلطان مراد بعث قبل وزيره بايزيد باشا وصحبته عساكر كثيرة الى قتال الخارجى المذكور فقاتلوه بقرب أدرنه فانتصر الخارجى وانهزم عسكر مرادخان واسروا الوزير بايزيد باشا وقتله الخارجى فلما بلغ ذلك السلطان مرادخان اندهش فقام وتضرع الى الله تعالى والتجأ الى قطب العارفين مولانا السيد محمد البخارى وكان الشيخ اذذاك فى قيد الحياة واستمده فوعده الشيخ بالنصر (حكى) عن الشيخ المذكور انه قال توجهت فى هذا الامر توجها تاما فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فقبلت قدمه المباركة وسألته النصر فلم يقل شيأ ثم توجهت ثانى مرة فرأيته صلى الله عليه وسلم فقبلت رجليه وتضرعت فلم يقل شيأ ثم توجهت ثالث مرة فرأيته صلى الله عليه وسلم فقبلت رجليه وتضرعت وقلت ياملاذ الملهوفين يارسول رب العالمين سألتك

ويدق ظهره بعصاه حتى فضرب وجه راحلته ثم لقيه عبد الرحمن بن أبي بكر فقال له معاوية لا أهلا
ولا مرحبا شيخ قد خرف وذهب عقله ثم أمر فضرب وجه راحلته ثم فعل بابن عمر نحو ذلك
فأقبلوا معه لا يلتفت اليهم حتى دخل المدينة فحضروا بابه فلم يؤذن لهم على منازلهم ولم يروا منه
ما يحبون فخرجوا الى مكة فأقاموا بها وخطب معاوية بالمدينة فذكر يزيد فمدحه وقال من أحق
منه بالخلافة في فضله وعقله وموضعه وما أظن قوما بمنتهين حتى تصيبهم بوائق تجتث أصولهم
وقد أنذرت ان اغنت النذر ثم انشد متمثلا

قد كنت حذرتك آل المصطلق * وقلت يا عمرو أطعني وانطلق
انك ان كلفتني ما لم أطق * ساءك ما سرك مني من خلق
دونك ما استسقيته فاحس وذق

ثم دخل على عائشة وقد بلغها انه ذكر الحسين واصحابه فقال لاقتلنهم ان لم يبايعوا فشكاهم اليها
فوعظته وقالت له بلغني انك تتهددهم بالقتل فقال يا ام المؤمنين هم أعز من ذلك ولكني بايعت
ليزيد وبايعه غيرهم افترين ان أنقض بيعة قد تمت قالت فارفق بهم فانهم يصيرون الى ما تحب ان
شاء الله قال افعل وكان في قولها له ما يؤمنك ان أقعد لك رجلا يقتلك وقد فعلت بأخي ما فعلت
تعني أخاها محمدا فقال لها كلا يا ام المؤمنين اني في بيت أمن قالت أجل ومكث بالمدينة ما شاء الله
ثم خرج الى مكة فلقيه الناس فقال أولئك النفر نتلقاه فلعله قد ندم على ما كان منه فلقوه ببطن
مر فكان أول من لقيه الحسين فقال له معاوية مرحبا وأهلا يا ابن رسول الله وسيد شباب المسلمين
فأمر له بدابة فركب وسايره ثم فعل بالباقين مثل ذلك وأقبل يسايرهم لا يسير معه غيرهم حتى دخل
مكة فكانوا أول داخل وآخر خارج ولا يمضي يوم الا ولهم صلة ولا يذكر لهم شيأ حتى قضى نسكه
وحمل اثقاله وقرب مسيره فقال بعض اولئك النفر لبعض لا تخدعوا فما صنع بكم هذا لحبكم وما
صنعه الا لما يريد فأعدوا له جوابا فاتفقوا على ان يكون المخاطب له ابن الزبير فأحضرهم معاوية
وقال قد علمتم سيرتي فيكم وصلتي لارحامكم وحلمي على ما كان منكم ويزيد أخوكم وابن عمكم وأردت
ان تقدموه باسم الخلافة وتكونوا أنتم تعزلون وتؤمرون وتجبون المال وتقسمونه لا يعارضكم
في شئ من ذلك فسكتوا فقال الا تجيبون مرتين ثم اقبل على ابن الزبير فقال هات لعمري انك
خطيبهم فقال نعم نخيرك بين ثلاث خصال قال اعرضهن قال تصنع كما صنع رسول الله صلى الله
عليه وسلم او كما صنع أبو بكر او كما صنع عمر قال معاوية ما صنعوا قال قبض رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولم يستخلف أحدا فارتضى الناس أبا بكر قال ليس فيكم مثل ابي بكر واخاف
الاختلاف قالوا صدقت فاصنع كما صنع ابو بكر فانه عهد الى رجل من قاصية قريش ليس من
بني أبيه فاستخلفه وان شئت فاصنع كما صنع عمر جعل الامر شورى في ستة نفر ليس فيهم احد
من ولده ولا من بني أبيه قال معاوية هل عندك غير هذا قال لا ثم قال فأنتم قالوا قولنا قوله قال
فاني قد أحببت ان أتقدم اليكم انه قد اعذر من انذر اني كنت اخطب منكم فيقوم الي القائم
منكم فيكذبني على رؤس الناس فأحمل ذلك وأصفح واني قائم بمقالة فاقسم بالله لئن رد على
احدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع اليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف الى رأسه فلا يبقين رجل
الا على نفسه ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ومع

العون في حق مراد فعند
ذلك قال صلى الله عليه وسلم
نعم النصر له ان شاء الله تعالى
فلما أصبح بعث الشيخ الى
السلطان مراد وبشره
بالنصر وقلده بيده السيف
وقال سر باذن الله في حفظ
الله فانك منصور فشكر له
السلطان ذلك وقبل يده
المباركة فسار بعساكره
ونزل نهرا ولو باد وهو نهر
كبير من عجائب الدنيا لانه
يجري ستة أشهر الى الشرق
وستة أشهر الى الغرب لامر
اقتضته قدرته فأمر برفع
الجسر الراكب على النهر
المذكور فرفعوه ثم قدم
الخارجي فنزل في شط النهر
الى الجانب الآخر واستقر
العسكران هناك زمانا من

كل واحد سيف فان ذهب رجل منهم يرد على كلمة بتصديق او تكذيب فليضربا رأسه بسيفهما
ثم خرج وخرجوا معه حتى رقى المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان هؤلاء الرهط سادة المسلمين
وخيارهم لا يبتز أمر دونهم ولا يقضى الا عن مشورتهم وانهم قد رضوا وبايعوا ليزيد فبايعوا
على اسم الله فبايع الناس وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر ثم ركب رواحله وانصرف الى
المدينة فلقى الناس اولئك النفر فقالوا لهم زعمتم انكم لا تبايعون فلم رضيتم وأعطيتم وبايعتم
قالوا والله مافعلنا فقالوا ما منعكم ان تردوا على الرجل قالوا كادنا وخفنا القتل وبايعه اهل
المدينة ثم انصرف الى الشام وجفا بنى هاشم فأتاه ابن عباس فقال له مابالك جفوتنا قال ان
صاحبكم لم يبايع ليزيد فلم تنكر ذلك عليه فقال يامعاوية انى لخليق ان انحاز الى بعض
السواحل فأقيم به ثم انطق بما تعلم حتى ادع الناس كلهم خوارج عليك قال يا ابا العباس تعطون
وترضون وترادون وقيل ان ابن عمر قال لمعاوية ابايعك على انى ادخل فيما يجتمع عليه الامة
فوالله لو اجتمعت على حبشى لدخلت معها ثم عاد الى منزله فاغلق بابه ولم يأذن لاحد فاما ذكر
عبد الرحمن بن ابى بكر لا يستقيم على قول من يجعل وفاته سنة ثلاث وخمسين وانما يصح على
قول من يجعلها بعد ذلك الوقت

﴿ ذكر عزل ابن زياد عن خراسان واستعمال سعيد بن عثمان بن عفان ﴾

فى هذه السنة استعمل معاوية سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان وعزل ابن زياد وسبب
ذلك انه سأل معاوية ان يستعمله على خراسان فقال ان بها عبيد الله بن زياد فقال والله لقد
اصطنعك أبى حتى بلغت باصطناعه المدى الذى لا تجارى اليه ولا تسامى فما شكرت بلاءه
ولا جازيته وقدمت هذا يعنى يزيد وبايعت له والله لانا خير منه ابا وأما ونفسا فقال معاوية اما
بلاء أبيك فقد يحق علينا الجزاء به وقد كان من شكرى لذلك انى قد طلبت بدمه واما فضل أبيك
على أبيه فهو والله خير منى واما فضل امك على امه فلعمرى امرأة من قريش خير من امرأة من
كلب واما فضلك عليه فوالله ما أحب ان الغوطة ملئت رجالا مثلك فقال له يزيد يا امير المؤمنين
ابن عمك وأنت احق من نظر فى أمره قد عتب عليك فاعتبه فولاه حرب خراسان وولى اسحق
ابن طلحة خراجها وكان اسحق ابن خالة معاوية امه ام ابان بنت عتبة بن ربيعة فلما صار بالرى
مات اسحق فولى سعيد حربها وخراجها فلما قدم خراسان قطع النهر الى سمرقند فخرج اليه
الصغد فتواقفوا يوما الى الليل ولم يقتتلوا فقال مالك بن الريب

مازلت يوم الصغد ترعد واقفا * من الجبن حتى خفت ان تتنصرا

فلما كان من الغد اقتتلوا فهزمهم سعيد وحصرهم فى مدينتهم فصالحوه وأعطوه رهنا منهم
خمسين غلاما من أبناء عظمائهم فسار الى ترمذ ففتحها صلحا ولم يف لاهل سمرقند وجاء بالغلمان
معه الى المدينة وكان ممن قتل معه قثم بن عباس بن عبد المطلب وفى هذه ماتت جويرية بنت
الحرث زوج النبى صلى الله عليه وسلم

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسين ﴾

فيها كان مشتى عبد الله بن قيس بأرض الروم وفيها عزل مروان بن الحكم عن المدينة

غدران يجرى بينهما قتال ثم
ان الله تبارك وتعالى وهو
الواحد القهار ينصر من
يشاء من عباده سلط على
الخارجى الرعاف فاستمر به
ذلك ثلاثة أيام حتى ضعف
جدا وجعل يخلط فى الكلام
واختل عقله فلما تحقق ذلك
أركان دولته ووجوه عسكره
تيقنوا بخذلانه فداخلهم
الخوف فتفرقوا شذر مذر
وهرب الخارجى مع ضعفه
الى طرف روم ايلى فلما
شاهد ذلك عسكر السلطان
مراد اجتازوا النهر فساقوا
خلف المنهزمين فاسروا منهم
خلقا كثيرا وقتلوا غالبهم
وغنموا منهم اموالا ودواب
كثيرة ثم امر السلطان بعض
امرائه حتى لحقوا الخارجى
بقرب ادرنه فظفر به فقتله
وفى سنة تسع وأربعين
وثمانمائة نزل السلطان
مراد خان عن السلطنة لولده

واستعمل عليها الوليد بن عتبة بن ابي سفيان وقيل لم يعزل مروان هذه السنة وحج بالناس الوليد بن عتبة وكان العامل على الكوفة الضحاك بن قيس وعلى البصرة عبيد الله بن زياد وعلى خراسان سعيد بن عثمان وفي هذه السنة مات عبد الله بن عامر وقيل سنة تسع وخمسين وعبد الله ابن قدامة السعدي وله صحبة وقيل هو عبد الله بن عمرو بن وقدان السعدي وانما قيل له السعدي لان أباه استرضع في بني سعد بن بكر وهو من بني عامر بن لؤي وعثمان بن شيبة بن أبي طلحة العبدري وهو جد بني شيبة سدنة الكعبة ومفتاحها معهم الى الآن واسلم يوم الفتح وقيل يوم حنين وجبير بن مطعم بن نوفل القرشي له صحبة وام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بقيت الى قتل الحسين

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين

في هذه السنة غزا مالك بن عبد الله الخثعمي ارض الروم وعمرو بن يزيد الجهني في البحر وقيل جنادة بن ابي امية

ذكر عزل الضحاك عن الكوفة واستعمال ابن ام الحكم

وفي هذه السنة عزل معاوية الضحاك بن قيس عن الكوفة واستعمل عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي وهو ابن ام الحكم وهو ابن اخت معاوية وفي عمله هذه السنة خرجت الخوارج الذين كان المغيرة بن شعبة حبسهم فجمعهم حيان بن ظبيان السلمي ومعاذ بن جوين الطائي فخطباهم وحثاهم على الجهاد فبايعوا حيان بن ظبيان وخرجوا الى بانقيا فسار اليهم الجيش من الكوفة فقتلوهم جميعا ثم ان عبد الرحمن ابن ام الحكم طرده أهل الكوفة لسوء سيرته فلحق بخاله معاوية فولاه مصر فاستقبله معاوية بن حديج على مرحلتين من مصر فقال له ارجع الى خالك فلعمري لا تسير فينا سيرتك في اخواننا من أهل الكوفة فرجع الى معاوية ثم ان معاوية ابن حديج وفد الى معاوية وكان اذا قدم الى معاوية زينت له الطرق بقباب الريحان تعظيما لشأنه فدخل على معاوية وعنده اخته ام الحكم فقالت من هذا يا أمير المؤمنين قال بخ بخ هذا معاوية بن حديج قالت لا مرحبا تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فسمعها معاوية بن حديج فقال على رسلك يا ام الحكم والله لقد تزوجت فما أكرمت وولدت فما أنجبت اردت ان يلي ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في اخواننا من أهل الكوفة وما كان الله ليريه ذلك ولو فعل ذلك لضربناه ضربا يطأطئ منه ولو كره هذا القاعد يعني خاله معاوية فالتفت اليها معاوية وقال كفي فكفت

ذكر خروج طواف بن غلاق

كان قوم من الخوارج بالبصرة يجتمعون الى رجل اسمه جدار فيتحدثون عنده ويعيبون السلطان فأخذهم ابن زياد فحبسهم ثم دعا بهم وعرض عليهم ان يقتل بعضهم بعضا ويخلي سبيل القاتلين ففعلوا فأطلقهم وكان ممن قتل طواف فعذلهم أصحابهم وقالوا قتلتم اخوانكم قالوا اكرهنا وقد يكره الرجل على الكفر وهو مطمئن بالايمان وندم طواف وأصحابه فقال طواف امامن توبة فكانوا يبكون وعرضوا على أولياء من قتلوا الدية فأبوا وعرضوا عليهم القود فأبوا

السلطان محمد خان وخلع نفسه عن السلطنة واختار لنفسه مدينة مغنيسا فاعتزل بها عن الملك وشاع هذا الخبر في الآفاق وقال ملوك الكفار بعضهم لبعض ان ملك المسلمين قد صار شيخا كبيرا فاعتزل عن الملك وجعل منصبه لولده وهو صبي صغير لا يخشى منه فاتفق قرال انكروس وقرال المان وقرال چه وقرال له وامير لاطين وامير بوسنه وصاحب افلاق وبغدان وطائفة الافرنج على قتال المسلمين وان لا يدعوا من بلاد الاسلام حجرا على حجر فلما بلغ ذلك أركان الملك خافوا واسترهبوا واستصوبوا ان يدعوا السلطان مراد من مغنيسا ليكون معهم لانه سلطان شاع بذكره الاخبار وطال ما انكى

ولقى طواف الهثهاث بن ثور السدوسى فقال له اماترى لنا من توبة فقال ما أجد لك الا آية فى كتاب الله عز وجل قوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فدعا طواف أصحابه الى الخروج والى ان يفتكوا بابن زياد فبايعوه فى سنة ثمان وخمسين وكانوا سبعين رجلا من بنى عبد القيس بالبصرة فسعى بهم رجل من أصحابهم الى ابن زياد فبلغ ذلك طوافا فعجل الخروج فخرجوا من ليلتهم فقتلوا رجلا ومضوا الى الجلحاء فندب ابن زياد الشرط البخارية فقاتلوهم فانهزم الشرط حتى دخلوا البصرة واتبعوهم وذلك يوم عيد الفطر وكثرهم الناس فقاتلوا فقتلوا وبقى طواف فى ستة نفر وعطش فرسه فأقحمه الماء فرماه البخارية بالنشاب حتى قتلوه وصلبوه ثم دفنه أهله فقال شاعر منهم

يارب هب لى التقى والصدق فى ثبت * واكف المهم فأنت الرازق الكافى
حتى ابيع التى تفنى بآخرة * تبقى على دين مرداس وطواف
وكهمس وابى الشعثاء اذ نفروا * الى الاله ذوى اخباب زحاف

(ذكر قتل عروة ابن أدية وغيره من الخوارج)

فى هذه السنة اشتد عبيد الله بن زياد على الخوارج فقتل منهم جماعة كثيرة منهم عروة ابن أدية اخو ابى بلال مرداس ابن ادية وأدية امهما وابوهما حدير وهو تميمى وكان سبب قتله ان ابن زياد كان قد خرج فى رهان له فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع اليه الناس وفيهم عروة فاقبل على ابن زياد يعظه وكان مما قال له أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فلما قال ذلك ظن ابن زياد انه لم يقل ذلك الا ومعه جماعة فقام وركب وترك رهانه فقيل لعروة ليقتلنك فاختفى فطلبه ابن زياد فهرب وأتى الكوفة فاخذ وقدم به على ابن زياد فقطع يديه ورجليه وقتله وقيل ابنته واما اخوه ابو بلال مرداس فكان عابدا مجتهدا عظيم القدر فى الخوارج وشهد صفين مع على فانكر التحكيم وشهد النهروان مع الخوارج وكانت الخوارج كلها تتولاه ورأى على ابن عامر قباء انكره فقال هذا لباس الفساق فقال أبو بكرة لاتقل هذا للسلطان فان من أبغض السلطان أبغضه الله وكان لايدين بالاستعراض ويحرم خروج النساء ويقول لانقاتل الا من قاتلنا ولانجبى الا من حمينا وكانت البلجاء امرأة من بنى يربوع تحرض على ابن زياد وتذكر تجبره وسوء سيرته وكانت من المجتهدات فذكرها ابن زياد فقال لها أبو بلال ان التقية لابأس بها فتغيبى فان هذا الجبار قد ذكرك قالت اخشى ان يلقى أحد بسببى مكروها فأخذها ابن زياد فقطع يديها ورجليها فمر بها أبو بلال فى السوق فعض على لحيته وقال لهذه أطيب نفسا بالموت منك يا مرداس ماميتة أموتها أحب الى من ميتة البلجاء ومر أبو بلال ببعير قد طلى بقطران فغشى عليه ثم افاق فتلا سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ثم ان ابن زياد ألح فى طلب الخوارج فملأ منهم السجن وأخذ الناس بسببهم وحبس ابا بلال قبل ان يقتل أخاه عروة فرأى السجان عبادته فأذن له كل ليلة فى اتيان أهله فكان يأتيهم ليلا ويعود مع الصبح وكان صديق لمرداس يسامر ابن زياد فذكر ابن زياد الخوارج ليلة فعزم على قتلهم فانطلق صديق مرداس اليه فاعلمه الخبر وبات السجان بليلة

الكفار فأرسلوا يطلبونه فامتنع وقال سلطانكم دونكم فخذوه وخلونى فلم يزالوا يدخلون عليه حتى رضى وسار مع ولده السلطان محمد الى طرف العدو ولما تصاف الطائفتان والتقى الجمعان تكاثر كل من الفريقين على الآخر واتفق ان انهزم المسلمون وجعل الكفار يطاردونهم ويقتلونهم ولم يبق الا السلطان مرادخان فى القلب فلما شاهد ذلك الحال رفع يديه الى الله تعالى وسأله النصر والعون واستغاث بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلم تمض ساعة حتى اغترقرال انكروس وهو كبيرهم فبرز من بين عسكره وانفرد وجعل يدعو السلطان مرادا لمبارزته ثم هجم على

سوءاً خوفاً ان يعلم مرداس فلا يرجع فلما كان الوقت الذي كان يعود فيه اذا به قد أتى فقال له السجان أما بلغك ما عزم عليه الامير قال بلى قال ثم جئت قال نعم لم يكن جزاؤك مني مع احسانك الى ان تعاقب واصبح عبيد الله فقتل الخوارج فلما أحضر مرداس قام السجان وكان ظئراً لعبيد الله فشفع فيه وقص عليه قصته فوهبه له وخلى سبيله ثم انه خاف ابن زياد فخرج في أربعين رجلا الى الاهواز فكان اذا اجتاز به مال لبيت المال أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ثم يرد الباقي فلما سمع ابن زياد خبرهم بعث اليهم جيشا عليهم أسلم بن زرعة الكلابي سنة ستين وقيل ابو حصين التميمي وكان الجيش الفي رجل فلما وصلوا الى ابي بلال ناشدهم الله ان لا يقاتلوه فلم يفعلوا ودعاهم اسلم الى معاودة الجماعة فقالوا أتردوننا الى ابن زياد الفاسق فرمى أصحاب أسلم رجلا من أصحاب أبي بلال فقتلوه فقال ابو بلال قد بدؤكم بالقتال فشد الخوارج على أسلم وأصحابه شدة رجل واحد فهزموهم فقدموا البصرة فلام ابن زياد أسلم وقال هزمك اربعون وانت في الفين لا خير فيك فقال لأن تلومني وانا حي خير من ان تثني علي وانا ميت فكان الصبيان اذا رأوا اسلم صاحوا به أما أبو بلال وراءك فشكا ذلك الى ابن زياد فنهاهم فانتهوا وقال رجل من الخوارج

أألفا مؤمن منكم زعمتم * ويقتلهم بآسك اربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم * ولكن الخوارج مؤمنونا

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس الوليد بن عتبة في هذه السنة وفيها مات عقبة بن عامر الجهني وله صحبة وشهد صفين مع معاوية وفيها توفيت عائشة عليها السلام وسمرة بن جندب وله صحبة ومالك بن عبادة الغافقي وله صحبة وعميرة بن يثربي قاضي البصرة فاستقضى مكانه هشام بن هبيرة

ثم دخلت سنة تسع وخمسين

في هذه السنة كان مشتى عمرو بن مرة الجهني بأرض الروم في البر وغزا في البحر جنادة بن أبي امية وقيل لم يكن في البحر غزوة هذه السنة وفي هذه السنة عزل عبد الرحمن ابن أم الحكم عن الكوفة واستعمل عليها النعمان بن بشير الانصاري وقد تقدم سبب عزله وقيل كان عزله سنة ثمان وخمسين

(ذكر ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان)

وفيها استعمل معاوية عبد الرحمن بن زياد على خراسان وقدم بين يديه قيس بن الهيثم السلمي وأخذ اسلم بن زرعة فحبسه وأخذ منه ثلثمائة ألف درهم ثم قدم عبد الرحمن وكان كريما حريصا ضعيفا لم يغز غزوة واحدة وبقي بخراسان الى ان قتل الحسين فقدم على يزيد ومعه عشرون ألف ألف درهم فقال ان شئت حاسبناك وأخذنا ما معك ورددناك الى عملك وان شئت أعطيناك ما معك وعزلناك وتعطي عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم قال بل تعطيني ما معي وتعزلني ففعل فأرسل عبد الرحمن الى ابن جعفر بألف ألف وقال هذه خمسمائة ألف من يزيد وخمسمائة ألف مني

المسلمين فاتفق ان تقنطر به فرسه فتسارع اليه المسلمون فحزوا رأسه ورفعوه على رمح وجعلوا يصيحون هذا رأس قرال الملعون فلما رأى الكفار ذلك انهزموا عن آخرهم وساق المسلمون خلفهم وقتلوهم قتلا ذريعا وكان يوم غم وسرور والعاقبة للمتقين وأما الغنائم والاسارى فلا تحصى ولا تحصر ثم ان السلطان لما عاد من الغزو امضى سلطنة ابنه السلطان محمد خان على ما كان عليه وسار هو الى طرف مغنيسا واستمر الحال على هذا المنوال الى ان تحركت طائفة الينكجرية وعاثوا وكبسوا بيوت الامراء والوزراء ونهبوها وكان ذلك في سنة خمسين وثمانمائة فعند ذلك

(ذكر عزل ابن زياد عن البصرة وعوده اليها)

وفي هذه السنة عزل معاوية عبيد الله بن زياد عن البصرة واعاده اليها وسبب ذلك ان ابن زياد وفد على معاوية في وجوه أهل البصرة وفيهم الاحنف وكان سيء المنزلة من عبيد الله فلما دخلوا رحب معاوية بالاحنف وأجلسه معه على سريره فاحسن القوم الثناء على ابن زياد والاحنف ساكت فقال له معاوية مالك يا ابا بحر لا تتكلم فقال ان تكلمت خالفت القوم فقال معاوية انهضوا فقد عزلته عنكم واطلبوا واليا ترضونه فلم يبق احد الا اتى رجلا من بني امية اومن اهل الشام والاحنف لم يبرح من منزله فلم يأت احدا فلبثوا أياما ثم جمعهم معاوية وقال لهم من اخترتم فاختلفت كلمتهم والاحنف ساكت فقال مالك لا تتكلم فقال ان وليت علينا احدا من اهل بيتك لم نعدل بعبيد الله احدا وان وليت من غيرهم فانظر في ذلك فرده معاوية عليهم واوصاه بالاحنف وقبح رأيه في مباعدته فلما هاجت الفتنة لم يف له غير الاحنف

(ذكر هجاء يزيد بن مفرغ الحميري بني زياد وما كان منه)

كان يزيد بن مفرغ الحميري مع عباد بن زياد بسجستان فاشتغل عنه بحرب الترك فاستبطأه ابن مفرغ واصاب الجند الذين مع عباد ضيق في علوفات دوابهم فقال ابن مفرغ

الا ليت اللحى كانت حشيشا * فنعلفها دواب المسلمين

وكان عباد بن زياد عظيم اللحية فقيل ما اراد غيرك فطلب فهرب منه وهجاه بقصائد وكان مما هجاه به قوله

اذا أودى معاوية بن حرب * فبشر شعب رحلك بانصداع
وأشهد ان امك لم تباشر * اباسفيان واضعة القناع
ولكن كان امرا فيه لبس * على وجل شديد وارتياع

وقال ايضا

الا ابلغ معاوية بن حرب * مغلغلة من الرجل اليماني
أتغضب أن يقال أبوك عف * وترضى أن يقال ابوك زان
فاشهد ان رحمك من زياد * كرحم الفيل من ولد الاتان

وقدم يزيد بن مفرغ البصرة وعبيد الله بن زياد بالشام عند معاوية فكتب اليه أخوه عباد بما كان منه فاعلم عبيد الله معاوية به وانشده الشعر واستأذنه في قتل ابن مفرغ فلم يأذن له وأمره بتأديبه ولما قدم ابن مفرغ البصرة استجار بالاحنف وغيره من الرؤساء فلم يجره احد فاستجار بالمنذر بن الجارود فأجاره وأدخله داره وكانت ابنته عند عبيد الله بن زياد فلما قدم عبيد الله البصرة أخبره بمكان ابن مفرغ واتى المنذر عبيد الله مسلما فأرسل عبيد الله الشرط الى دار المنذر فأخذوا ابن مفرغ وأتوه به والمنذر عنده فقال له المنذر أيها الامير اني قد اجرته فقال يا منذر يمدحك وأباك ويهجوني وابي وتجيره علي ثم امر به فسقي دواء ثم حمل على حمار وطيف به وهو يسلح في ثيابه فقال يهجو المنذر

تركت قريشا ان اجاور فيهم * وجاورت عبد القيس اهل المشقر

رأى الوزراء وسائر أركان الملك ان يعيدوا السلطان مراد خان الى الملك ليستر هبوه فطلبوه واجلسوه على سرير الملك وعاد ابنه السلطان محمد خان الى مكان ابيه مغنيسا واستمر السلطان مراد يغزو ويفتح بلادا ونود واستولى على معظم بلاد الكفار وفي سابع المحرم سنة خمس وخمسين وثمانمائة نهار الاربعاء توفي السلطان مراد خان وكان ملكا عالما عاقلا عادلا شجاعا وكان

اناس اجارونا فكان جوارهم * اعاصير من فسو العراق المبذر
فاصبح جاري من جذيمة نائما * ولا يمنع الجيران غير المشمر

فقال لعبيد الله

يغسل الماء ما صنعت وقولي * راسخ منك في العظام البوالي

ثم سيره عبيد الله الى أخيه عباد بسجستان فكلمت اليمانية بالشام معاوية فيه فأرسل الى عباد فأخذه من عنده فقدم على معاوية وقال في طريقه

عدس ما لعباد عليك امارة * امنت وهذا تحملين طليق
لعمري لقد نجاك من هوة الردى * امام وحبل للامام وثيق
ساشكر ما اوليت من حسن نعمة * ومثلي بشكر المنعمين حقيق

فلما دخل على معاوية بكى وقال ركب مني مالم يركب من مسلم مثله على غير حدث قال اولست القائل * الا ابلغ معاوية بن حرب * القصيدة فقال لا والله الذي عظم حق امير المؤمنين ماقلت هذا وانما قاله عبد الرحمن بن الحكم اخو مروان واتخذني ذريعة الى هجاء زياد قال الست القائل * فاشهد ان امك لم تباشر * اباسفيان في أشعار كثيرة هجوت بها ابن زياد اذهب فقد عفونا عنك فانزل اى أرض الله شئت فنزل الموصل وتزوج بها فلما كان ليلة بنائه باهرأته خرج حين أصبح الى الصيد فلقى انسانا على حمار فقال من أين أقبلت فقال من الاهواز قال فما فعل ما مسرقان ٣ قال على حاله فارتاح الى البصرة فقدمها ودخل على عبيد الله فآمنه وغضب معاوية على عبد الرحمن بن الحكم فكلم فيه فقال لا أرضى عنه حتى يرضى عنه ابن زياد فقدم البصرة على عبيد الله وقال له

لانت زيادة في آل حرب * أحب الي من احدى بناني
اراك أخا وعما وابن عم * فلا أدري بغيب ما تراني

فقال أراك شاعر سوء ورضي عنه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

حج بالناس هذه السنة عثمان بن محمد بن أبي سفيان وكان الوالي على الكوفة النعمان بن بشير وعلى البصرة عبيد الله بن زياد وعلى المدينة الوليد بن عتبة وعلى خراسان عبد الرحمن بن زياد وعلى سجستان عباد بن زياد وعلى كرمان شريك بن الاعور وفيها مات قيس بن سعد بن عبادة الانصاري بالمدينة وقيل سنة ستين وكان قد شهد مع علي مشاهده كلها وفيها مات سعيد بن العاص وولد عام الهجرة وقتل ابوه يوم بدر كافرا وفيها مات مرة بن كعب البهري السلمي وله صحبة وفيها مات أبو محذورة الجمحي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يزل يؤذن بها حتى مات وولده من بعده وقيل مات سنة تسع وستين وفيها مات عبد الله بن عامر بن كريز بمكة فدفن بعرفات وفيها مات أبو هريرة فحمل جنازته ولد عثمان بن عفان لهواه كان في عثمان وفيها غزا المسلمون حصن كخ ومعهم عمير بن الحباب السلمي فصعد عمير السور ولم يزل يقاتل عليه وحده حتى كشف

برسل لاهالي الحرمين الشريفين وبيت المقدس من خاصة ماله في كل عام ثلاثة آلاف وخمسمائة دينار وكان يعتني بشأن العلم والعلماء والمشايخ والصلحاء مهد الممالك وامن المسالك واقام الشرع والدين واذل الكفار والملحدين وكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة وله من العمر تسع وأربعون سنة

الروم فصعد المسلمون فقصه بعمير

وبذلك كان يفتخر

ويفخر له بذلك

تم

❊ تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله ثم دخلت سنة ستين ❊

(فهرسة الجزء الرابع من تاريخ الكامل)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

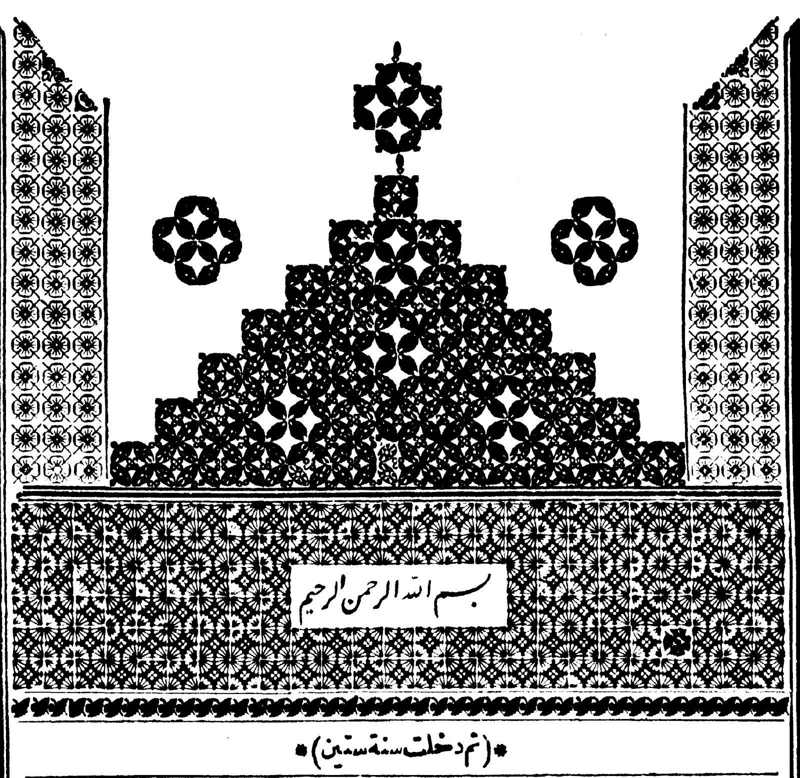
صحيفة

صحيفة

(تمت)

الجزء الرابع من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي
ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الأثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه
الله

{وبهامشه التاريخ المسمى بأخبار الدول وآثار الأول للعلامة الفاضل}
{أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني وغيره}



(ثم دخلت سنة ستين)

فى هذه السنة كانت غزوة مالك بن عبد الله سورية ودخول جنادة رودس وهدمه مدينتها فى قول بعضهم وفيها توفى معاوية بن أبى سفيان وكان قد أخذ على وفد اهل البصرة البيعة ليزيد

(ذكر وفاة معاوية بن أبى سفيان)

خطب معاوية قبل مرضه وقال انى كزرع مستحصد وقد طالت امرتى عليكم حتى مللتكم ومللتمونى وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقى ولن يأتيكم بعدى الامن أنا خير منه كما ان من قبلى كان خيرا منى وقد قيل من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه اللهم انى قد أحببت لقاءك فأحبب لقائى وبارك لى فيه فلم يمض غير قليل حتى ابتدأ به مرضه فلما مرض المرض الذى مات فيه دعا ابنه يزيد فقال يا بنى انى قد كفيتك الشد والترحال ووطأت لك الامور وذللت لك الاعداء واخضعت لك رقاب العرب وجمعت لك مالم يجمعه أحد فانظر أهل الحجاز فانهم أصلك وأكرم من قدم عليك منهم وتعاهد من غاب وانظر أهل العراق فان سألوك ان تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل فان عزل عامل أيسر من أن يشهر عليك مائة ألف سيف وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك فان رابك من عدوك شئ فانتصر بهم فاذا أصبتهم فاردد أهل الشام الى بلادهم فانهم ان أقاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم وانى لست أخاف عليك ان ينازعك فى هذا الامر الا أربعة نفر من قريش الحسين بن على وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبى بكر فاما ابن عمر فانه رجل قد وقذته العبادة فاذا لم يبق أحد غيره بايعك وأما الحسين بن على فهو رجل خفيف وان يتركه أهل العراق حتى يخرجوه فان خرج وظفرت به فاصفح عنه فان له رحما ماسة

وتولى مكانه ولده

(الملك المجاهد أبو المعالى السلطان محمد خان ابن السلطان مراد خان)

جلس على سرير الملك بعد وفاة أبيه بعهد منه اليه وكان عمره اذذاك تسع عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة ايام وهو السلطان الجليل الفاضل النبيل أعظم الملوك جهادا واقواهم اقداما واجتهادا وأكثرهم توكلا على الله تعالى واعتمادا وهو الذى أسس ملك بنى عثمان وقنن لهم قوانين وصارت كالطوق فى اجياد الزمان وله مناقب جميلة ومزايا فاضلة جليلة وآثار باقية فى صفحات الليالى والايام ومآثر لايمحوها تعاقب السنين والاعوام ولما تسلطن خرج الى قتال صاحب قرمان فخاف منه صاحب قرمان وصالحه فعاد الى مقر ملكه ثم لم يكن له هم الافتح المدينة الكبرى قسطنطينية العظمى فشرع فى مهماتها ومقدماتها وهى من أعظم البلدان وأكبرها اهلا وأمنعها حصنا لانها احاطها البحر من كل صوب الا الطرف الغربى وهو طرف يسير وقد حصنوه بثلاثة أسوار وعدة خنادق يجرى فيها ماء البحر مع مافيها من المكاحل

وحقا عظيما وقرابة من محمد صلى الله عليه وسلم وأما ابن أبي بكر فان رأى أصحابه صنعوا شيأ
صنع مثله ليس له همة الا في النساء واللهو وأما الذي يجثم لك جثوم الاسد ويراوغك مراوغة
الثعلب فان أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فان هو فعلها بك فظفرت به فقطعه اربا اربا
واحقن دماء قومك ما استطعت هكذا في هذه الرواية ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وليس بصحيح
فان عبد الرحمن بن أبي بكر كان قد مات قبل معاوية وقيل ان يزيد كان غائبا في مرض أبيه
وموته وان معاوية أحضر الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة المري فامرهما ان يؤديا عنه هذه
الرسالة الى يزيد ابنه وهو الصحيح ثم مات بدمشق لهلال رجب وقيل للنصف منه وقيل لثمان بقين
منه وكان ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوما مذ اجتمع له الامر وبايع له
الحسن بن علي وقيل كان ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وقيل وثلاثة أشهر الا أياما وكان
عمره خمسا وسبعين سنة وقيل ثلاثا وسبعين سنة وقيل توفي وهو ابن ثمان وسبعين سنة وقيل خمس
وثمانين وقيل لما اشتدت علته وأرجف به قال لاهله احشوا عيني اثمدا وادهنوا رأسي ففعلوا
وبرقوا وجهه بالدهن ثم مهد له فجلس وأذن للناس فسلموا قياما ولم يجلس أحد فلما خرجوا عنه
قالوا هو أصح الناس فقال معاوية عند خروجهم من عنده

وتجلدي للشامتين أريهم * اني لريب الدهر لا أتضعضع
واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وكان به النقابات فمات من يومه فلما حضرته الوفاة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كساني
قميصا فحفظته وقلم أظفاره يوما فاخذت قلامته فجعلتها في قارورة فاذا مت فألبسوني ذلك
القميص واسحقوا تلك القلامة وذروها في عيني فعسى الله أن يرحمني ببركتها ثم تمثل بشعر
الاشهب بن زميلة النهشلي

اذا مت مات الجود وانقطع الندى * من الناس الا من قليل مصرد
وردت أكف السائلين وأمسكوا * من الدين والدنيا بخلف مجدد

فقالت احدى بناته كلا يا أمير المؤمنين بل يدفع الله عنك فقال متمثلا بشعر الهذلي واذا المنية
البيت وقال لاهله اتقوا الله فانه لا واقي لمن لا يتقي الله ثم قضى وأوصى ان يرد نصف ماله الى بيت
المال كأنه أراد أن يطيب له الباقي لان عمر قاسم عماله وأنشد لما حضرته الوفاة

ان تناقش يكن نقاشك يا رب * عذابا لا طوق لي بالعذاب
أو تجاوز فانت رب صفوح * عن مسيء ذنوبه كالتراب

ولما اشتد مرضه أخذت ابنته رملة رأسه في حجرها وجعلت تفليه فقال انك لتفلينه حولا قلبا
جمع المال من شب الى دب فليته لا يدخل النار ثم تمثل

لقد سعيت لكم من سعي ذي نصب * وقد كفيتكم التطواف والرحلا

وبلغه ان قوما يفرحون بموته فانشد

فهل من خالدان ما هلكنا * وهل بالموت يا للناس عار

وكان في مرضه ربما اختلط في بعض الاوقات فقال مرة كم بيننا وبين الغوطة فصاحت بنته
واحزناه فأفاق فقال ان تنفري فقد رأيت منفرا فلما مات خرج الضحاك بن قيس حتى صعد المنبر

والمدافع فاظهر السلطان
مسالمة صاحب قسطنطينية
وذلك في سنة ست وخمسين
وثمانمائة ثم طلب من طرف
بلاده أرضا مقدار جلد ثور
يهبها له فاستقل ذلك
قسطنطين وقال سبحان
الله ما يفعل به فهو له فارسل
السلطان المزبور شكر الله
سعيه المبرور جماعة البنائين
والصناع فاجتازوا الخليج
الداخل من بحر نيطش وهو
البحر الاسود الى بحر الروم
فقدوا جلد الثور قدا رقيقا
فبسطوه على وجه الارض
على أضيق محل من فم الخليج
فبنوا على القدر الذي
احاطه ذلك الجلد سورا
منيعا شامخا وحصنا رفيعا
باذخا وركب فيها المدافع
الرعدية والمكاحل الشهابية
ثم بنى السلطان المجاهد في
مقابلة ذلك الحصن في بر
اناطولي حصنا آخر وهو
طرف بلاده فشحنها بالآلات
النارية والمرامي الرعدية
حتى ضبط فم الخليج فلم يقدر
بسلوكه بعد شيء من
مراكب البحر الاسود الى
القسطنطينية والى بحر
الروم ثم ثنى عزمه الى مدينة
ادرنة فامر بانشاء دار السعادة
الجديدة فشرعوا في بنائها
ثم أمر بسبك المدافع الكبار
وعمل المكاحل لاجل فتح

واكفان معاوية على يديه فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان معاوية كان عود العرب وحد العرب وجد العرب قطع الله به الفتنة وملكه على العباد وفتح به البلاد الا انه قد مات وهذه اكفانه ونحن مدرجوه فيها ومدخلوه قبره ومخلون بينه وبين عمله ثم هو الهرج الى يوم القيامة فمن كان يريد يشهده فعند الاولى وصلى عليه الضحاك وقيل لما اشتد مرضه أى مرض معاوية كان ولده يزيد بحوارين فكتبوا اليه يحثونه على المجىء ليدركه فقال يزيد شعرا

جاء البريد بقرطاس يخب به * فاوجس القلب من قرطاسه فزعا

قلنا لك الويل ماذا فى كتابكم * قال الخليفة أمسى مثبتا وجعا

ثم انبعثنا الى خوص مزممة * نرمى الفجاج بها لا نأتلى سرعا

فمادت الارض أو كادت تميد بنا * كان اغبر من اركانها انقطعا

من لم تزل نفسه توفى على شرف * توشك مقاليد تلك النفس ان تقعا

لما انتهينا وباب الدار منصفق * وصوت رملة ريع القلب فانصدعا

ثم ارعوى القلب شيأ بعد طيرته * والنفس تعلم ان قد اثبت جزعا

أودى ابن هند وأودى المجد يتبعه * كانا جميعا فماتا قاطنين معا

اغر أبلج يستسقى الغمام به * لو قارع الناس عن احسابهم قرعا

فاقبل يزيد وقد دفن فاتى قبره فصلى عليه

(ذكر نسبه وكنيته وأزواجه وأولاده)

أما نسبه فهو معاوية بن أبى سفيان واسم ابى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب وكنيته ابو عبد الرحمن واما نساؤه وولده فمنهن ميسون بنت بحدل بن انيف الكلبية ام يزيد ابنه وقيل ولدت بنتا اسمها امة رب المشارق فماتت صغيرة ومنهن فاختة ابنة قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف فولدت له عبد الرحمن وعبد الله ابنى معاوية وكان عبد الله احمق اجتاز يوما بطحان وبغله يطحن وفى عنقه جلاجل فسأل عن الجلاجل فقال جعلتها فى عنقه لاعلم ان قد قام فلم تدر الرحا فقال ارايت ان قام وحرك راسه كيف تعلم فقال الطحان ان بغلى ليس له عقل مثل عقل الامير واما عبد الرحمن فمات صغيرا ومنهن نائلة ابنة عمارة الكلابية تزوجها وقال لميسون انظرى اليها فنظرت اليها وقالت رايتها جميلة ولكنى رايت تحت سرتها خالا ليوضعن راس زوجها فى حجرها فطلقها معاوية وتزوجها حبيب بن مسلمة الفهرى ثم خلف عليها بعده النعمان بن بشير وقتل فوضع رأسه فى حجرها ومنهن كنوة بنت قرظة أخت فاختة غزا قبرس وهى معه فماتت هناك

(ذكر بعض سيرته واخباره وقضاته وكتابه)

لما بويع معاوية بالخلافة استعمل على شرطته قيس بن حمزة الهمدانى ثم عزله واستعمل زمل ابن عمرو العذرى وقيل السكسكى وكان كاتبه وصاحب امره سرجون الرومى وعلى حرسه رجل من الموالى يقال له المختار وقيل ابو المخارق مالك مولى حمير وكان اول من اتخذ الحرس وكان على حجابه سعد مولاه وعلى القضاء فضالة بن عبيد الانصارى فمات فاستقضى ابا ادريس الخولانى وكان على ديوان الخاتم عبد الله بن محصن الحميرى وكان اول من اتخذ ديوان الخاتم

مدينة قسطنطينية فلما كثروا منها ثم لما تكاملت الآلات والاسباب المتعلقة بالقتال نهض فى اوائل شهر جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة بعسكر كثير وجيش كبير وعزم صارم ورأى حازم فى اسعد أوقات الحركات متوكلا على فائض الخير والبركات فخيم على قسطنطينية ونازلها من طرف الشمال وكان له أربعمائة غراب قد أنشأها هو وأبوه قبل ذلك التاريخ فارساها عند الحصن الذى أنشأه على مقدار جلد الثور الموسوم بيغزكسن فامر تلك الاغربة فسحبت الى البر بعدان جعلت تحتها دواليب تجرى عليها كالعجلة وشحنها بالرجال والابطال ثم أمر بنشر قلاعها فنشرت فى ريح شديدة موافقة فساروا فى البر على هذه الهيئة حتى انصبوا الى الخليج الواقع شمالى البلد من طرف مدينة غلطة فامتلأ الخليج من تلك الاغربة ثم قربوا بعضها من بعض وربطوها بالسلاسل فصارت جسرا ممدودا ومعبرا لطيفا للمسلمين وكان أهل البلد آمنين من هذه الجهة ولم يحصنوها وانما كان خوفهم من جهة البر

وكان سبب ذلك ان معاوية امر لعمرو بن الزبير بمائة ألف درهم وكتب له بذلك الى زياد ففتح
عمرو الكتاب وصير المائة مائتين فلما رفع زياد حسابه انكرها معاوية وطلبها من عمرو وحبسه
فقضاها عنه اخوه عبد الله بن الزبير فاحدث عند ذلك معاوية ديوان الخاتم وحزم الكتب
ولم تكن تحزم قال عمر بن الخطاب تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية قيل
وقدم عمرو بن العاص من مصر على معاوية ومعه اهل مصر فقال لهم عمرو لا تسلموا على معاوية
بالخلافة فانه اهيب لكم فى قلبه وصغروا ما استطعتم فلما قدموا قال معاوية لحجابه كانى
بابن النابغة وقد صغر امرى عند القوم فانظروا اذا دخل القوم فتعتعوهم أشد ما يحضركم
فكان اول من دخل عليه رجل منهم يقال له ابن الخياط فقال السلام عليك يا رسول الله
وتتابع القوم على ذلك فلما خرجوا قال لهم عمرو لعنكم الله نهيتكم ان تسلموا عليه بالامارة
فسلمتم عليه بالنبوة قيل ودخل عبيد الله بن ابى بكرة على معاوية ومعه ولد له فاكثر من الاكل
فلحظه معاوية وفطن عبيد الله واراد ان يغمز ابنه فلم يرفع راسه حتى فرغ من الاكل ثم عاد
عبيد الله وليس معه ابنه فقال معاوية ما فعل ابنك التلقامة قال اشتكى قال قد علمت ان اكله
سيورثه داء قال جويرية بن اسماء قدم ابو موسى الاشعرى على معاوية فى برنس اسود فقال
السلام عليك يا امين الله قال وعليك السلام فلما خرج قال معاوية قدم الشيخ لاوليه والله
لا اوليه وقال عمرو بن العاص لمعاوية ألست انصح الناس لك قال بذلك نلت ما نلت وقال
جويرية بن اسماء كان بسر بن ارطاة عند معاوية فنال من على وزيد بن عمر بن الخطاب
حاضر وامه ام كلثوم بنت على فعلاه بالعصا وشجه فقال معاوية لزيد عمدت الى شيخ قريش
وسيد اهل الشام فضربته واقبل على بسر فقال تشتم عليا وهو جده وهو ابن الفاروق على
رؤس الناس اترى ان يصبر على ذلك فارضاهما جميعا وقال معاوية انى لارفع نفسى من ان
يكون ذنب اعظم من عفوى وجهل اكبر من حلمى وعورة لا اوار يها بسترى واساءة اكثر من
احسانى وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم يا ابن اخى انك قد لهجت بالشعر فاياك والنسيب
بالنساء فتعر الشريفة والهجاء فتعر كريما وتستثير لئيما والمدح فانه طعمة الوقاح ولكن افخر
بمفاخر قومك وقل من الامثال ما تزين به نفسك وتؤدب به غيرك قال عبد الله بن صالح قيل
لمعاوية اى الناس احب اليك قال اشدهم لى تحبيبا الى الناس وقال معاوية العقل والحلم والعلم
أفضل ما أعطى العباد فاذا ذكر ذكر واذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر واذا غضب كظم واذا
قدر غفر واذا اساء استغفر واذا وعد انجز قال عبد الله بن عمير اغلظ لمعاوية رجل فاكثر فقيل
له أتحلم عن هذا فقال انى لا احول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا وقال محمد
ابن عامر لام معاوية عبد الله بن جعفر على الغناء فدخل عبد الله على معاوية ومعه بديح
ومعاوية قد وضع رجلا على رجل فقال عبد الله لبديح ايها يا بديح فتغنى فحرك معاوية رجله فقال
عبد الله مه يا امير المؤمنين فقال معاوية ان الكريم طروب قال ابن عباس ما رايت اخلق للملك
من معاوية ان كان ليرد الناس منه ارجاء وادرحب ولم يكن كالضيق الحصحص الحصر يعنى ابن
الزبير وكان مغضبا وقال صفوان بن عمرو مر عبد الملك بقبر معاوية فوقف عليه فترحم فقال
رجل قبر من هذا فقال قبر رجل كان والله فيما علمته ينطق عن علم ويسكت عن حلم اذا اعطى

فكانوا احصنوها وغفلوا
عن هذه الجهة لامر يريده
الله تعالى فشرع المسلمون
فى الحصار والقتال من جهة
البر والبحر مدة احد وخمسين
يوما حتى أعيا المسلمين أمرها
وكان أهل قسطنطينية لما
سمعوا بقصد المسلمين اليهم
استمدوا من الافرنج فامدوهم
بجيش عظيم وعدد فتقووا به
وكان السلطان محمد خان
قد أرسل وزيره أحمد باشا
ابن ولى الدين باشا قبل
هذا التاريخ الى خدمة
العارف بالله الشيخ آق
شمس الدين والى خدمة
الشيخ آق بيق يدعوهما
للجهاد والحضور معه فى فتح
قسطنطينية فحضرا وبشر
الشيخ شمس الدين الوزير
المذكور بالنصر وقال
ستفتح قسطنطينية ان شاء
الله تعالى على يد المسلمين
فى هذا العام وانهم
سيدخلونها من الموضع
الفلانى فى اليوم الفلانى
من هذا العام وقت الضحوة
الكبرى وأنت تكون
حينئذ واقفا عند السلطان
محمد فبشر الوزير السلطان
بما بشر به الشيخ من خبر
الفتح فلما صار ذلك الوقت
الموعود له ولم تفتح القلعة
حصل للوزير خوف شديد
من جهة السلطان فذهب

اغنى واذا حارب افنى ثم يحمل له الدهر ما اخره لغيره ممن بعده هـذا قبر ابى عبد الرحمن معاوية
ومعاوية أول خليفة بايع لولده فى الاسلام وأول من وضع البريد وأول من سمى الغالية التى
تتخذ من الطيب غالية وأول من عمل المقصورة فى المساجد وأول من خطب جالسا فى قول
بعضهم

(ذكر بيعة يزيد)

قيل وفى رجب من هذه السنة بويع يزيد بالخلافة بعد موت ابيه على ما سبق من الخلاف فيه
فلما ولى كان على المدينة الوليد بن عتبة بن ابى سفيان وعلى مكة عمرو بن سعيد بن العاص وعلى
البصرة عبيد الله بن زياد وعلى الكوفة النعمان بن بشير ولم يكن ليزيد همة الا بيعة النفر الذين
أبوا على معاوية بيعته فكتب الى الوليد يخبره بموت معاوية وكتابا آخر صغيرا فيه اما بعد فخذ
حسينا وعبد الله بن عمر وابن الزبير بالبيعة أخذا ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام فلما
اتاه نعى معاوية فظع به وكبر عليه وبعث الى مروان بن الحكم فدعاه وكان مروان عاملا على
المدينة من قبل الوليد فلما قدمها الوليد كان مروان يختلف اليه متكارها فلما رأى الوليد ذلك
منه شتمه عند جلسائه فبلغ ذلك مروان فانقطع عنه ولم يزل مصارما له حتى جاءه نعى معاوية فلما
عظم على الوليد هلاكه وما أمر به من بيعة هؤلاء النفر استدعى مروان فلما قرأ الكتاب بموت
معاوية استرجع وترحم عليه واستشاره الوليد كيف يصنع قال أرى ان تدعوهم الساعة
وتأمرهم بالبيعة فان فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم وان أبوا ضربت أعناقهم قبل ان يعلموا
بموت معاوية فانهم ان علموا بموته وثب كل رجل منهم بناحية وأظهر الخلاف ودعا الى نفسه
اما ابن عمر فلا يرى القتال ولا يحب ان يلى على الناس الا ان يدفع اليه هذا الامر عفوا فارسل
الوليد عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو غلام حدث الى الحسين وابن الزبير يدعوهما فوجدهما
فى المسجد وهما جالسان فاتاهما فى ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس فقال اجيبا الامير
فقالا انصرف الآن نأتيه وقال ابن الزبير للحسين ما تراه بعث الينا فى هذه الساعة التى لم يكن
يجلس فيها فقال الحسين اظن ان طاغيتهم قد هلك فبعث الينا ليأخذنا بالبيعة قبل ان يفشو
فى الناس الخبر فقال وانا ما اظن غيره فما تريد ان تصنع قال الحسين اجمع فتيانى الساعة ثم امشى
اليه وأجلسهم على الباب وأدخل عليه قال فانى اخافه عليك اذا دخلت قال لا آتيه الا وأنا
قادر على الامتناع فقام فجمع اليه اصحابه وأهل بيته ثم اقبل على باب الوليد وقال لاصحابه انى
داخل فاذا دعوتكم او سمعتم صوتى قد علا فادخلوا على بأجمعكم والا فلا تبرحوا حتى أخرج
اليكم ثم دخل فسلم ومروان عنده فقال الحسين الصلة خير من القطيعة والصلح خير من الفساد
وقد آن لكما ان تجتمعا اصلح الله ذات بينكما وجلس فاقرأه الوليد الكتاب ونعى له معاوية ودعاه
الى البيعة فاسترجع الحسين وترحم على معاوية وقال اما البيعة فان مثلى لا يبايع سرا
ولا يجتزى بها منى سرا فاذا خرجت الى الناس ودعوتهم للبيعة ودعوتنا معهم كان الامر
واحدا فقال له الوليد وكان يحب العافية انصرف فقال له مروان لئن فارقك الساعة ولم يبايع
لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينكم وبينه احبسه فان بايع والا ضربت عنقه
فوثب عند ذلك الحسين وقال ابن الزرقاء أأنت تقتلنى ام هو كذبت والله ولؤمت ثم خرج

الى الشيخ فمنعوه من الدخول
اليه لانه أوصى جماعته ان
لا يدخلوا عليه أحدا فرفع
الوزير اطناب الخيمة فنظر
فاذا الشيخ ساجد على
التراب ورأسه مكشوف
وهو يتضرع ويبكى فما رفع
الوزير رأسه الا وقد قام
الشيخ على رجليه وكبر
فقال الحمد لله الذى منحنا
فتح هذه المدينة قال الوزير
فنظرت الى جانب المدينة
فاذا العسكر قد دخلوا
باجمعهم ففتح الله ببركة
دعائه فى ذلك الوقت الذى
كان اشار به وكانت دعوته
تخرق السبع الطباق فلما
دخل السلطان محمد خان
المدينة نظر الى جانبه فاذا
وزيره ابن ولى الدين واقف
عنده فقال هذا ما اخبر به
الشيخ وقال ما فرحت بهذا
الفتح وانما فرحى بوجود
مثل هذا الرجل فى زمانى
ومن مناقب هذا الشيخ انه
كان طبيبا يداوى الابدان
كما هو طبيب لداء الارواح
يحكى ان الاعشاب كانت
تناديه وتقول له انا أنفع من
المرض الفلانى وكان فتح
المدينة نهار الاربعاء
لعشرين من جمادى الآخرة
سنة سبع وخمسين وثمانمائة
وكانت ايام محاصرته احدا
وخمسين يوما فغنم المسلمون

حتى أتى منزله فقال مروان للوليد عصيتني لا والله لا يمكنك من نفسه بمثلها أبدا فقال الوليد ويح غيرك يا مروان والله ما احب ان لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها واني قتلت حسينا ان قال لا أبايع والله اني لاظن ان امرأ يحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة قال مروان قد أصبت يقول له هذا وهو غير حامد له على رأيه وأما ابن الزبير فقال الآن آتيكم ثم أتى داره فكمن فيها ثم بعث اليه الوليد فوجده قد جمع أصحابه واحترز فألح عليه الوليد وهو يقول امهلوني فبعث اليه الوليد مواليه فشتموه وقالوا له يا ابن الكاهلية لتأتين الامير أو ليقتلنك فقال لهم والله لقد استربت لكثرة الارسال فلا تعجلوني حتى أبعث الى الامير من يأتيني برأيه فبعث اليه أخاه جعفر بن الزبير فقال رحمك الله كف عن عبد الله فانك قد افزعته وذعرته وهو يأتيك غدا ان شاء الله تعالى فمر رسلك فلينصرفوا عنه فبعث اليهم فانصرفوا وخرج ابن الزبير من ليلته فاخذ طريق الفرع هو وأخوه جعفر ليس معهما ثالث وساروا نحو مكة فسرح الرجال في طلبه فلم يدركوه فرجعوا وتشاغلوا به عن الحسين ليلتهم ثم أرسل الرجال الى الحسين فقال لهم اصبحوا ثم ترون ونرى وكانوا يبقون عليه فكفوا عنه فسار من ليلته وكان مخرج ابن الزبير قبله بليلة وأخذ معه بنيه واخوته وبني اخيه وجل أهل بيته الا محمد بن الحنفية فانه قال له يا أخي أنت أحب الناس الي وأعزهم علي ولست اذخر النصيحة لاحد من الخلق أحق بها منك تنح ببيعتك عن يزيد وعن الامصار ما استطعت وابعث رسلك الى الناس وادعهم الى نفسك فان بايعوا لك حمدت الله على ذلك وان أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك اني أخاف ان تأتي مصرا وجماعة من الناس فيختلفوا عليك فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتتلون فتكون لاول الاسنة فاذا خير هذه الامة كلها نفسا وابا واما أضيعها دما واذلها أهلا فقال الحسين فاين اذهب يا أخي قال انزل مكة فان اطمأنت بك الدار فبسبيل ذلك وان نأت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال وخرجت من بلد الى بلد حتى تنظر الى ما يصير أمر الناس ويفرق لك الرأي فانك أصوب ما يكون رأيا وأحزمه عملا حين تستقبل الامور استقبالا ولا تكون الامور أبدا أشكل منها حين تستدبرها قال يا اخي قد نصحت وأشفقت وأرجو ان يكون رأيك سديدا وموفقا ان شاء الله ثم دخل المسجد وهو يتمثل بقول يزيد بن مفرغ

لا ذعرت السوام في شفق الصبح مغيرا ولا دعيت يزيدا

يوم أعطى من المهانة ضيما * والمنايا يرصدنني ان أحيدا

ولما سار الحسين نحو مكة قرأ فخرج منها خائفا يترقب الآية فلما دخل مكة قرأ ولما توجه تلقاء مدين الآية ثم ان الوليد أرسل الى ابن عمر ليبايع فقال اذا بايع الناس بايعت فتركوه وكانوا لا يتخوفونه وقيل ان ابن عمر كان هو وابن عباس بمكة فعادا الى المدينة فلقيهما الحسين وابن الزبير فسألاهما ما وراءكما فقالا موت معاوية وبيعة يزيد فقال ابن عمر لا تفرقا جماعة المسلمين وقدم هو وابن عباس المدينة فلما بايع الناس بايعا قال ودخل ابن الزبير مكة وعليها عمرو بن سعيد فلما دخلها قال انا عائذ بالبيت ولم يكن يصلي بصلاتهم ولا يفيض بافاضتهم وكان يقف هو وأصحابه ناحية

من الاموال والاسباب والدواب ما لم يسمع بمثله في عصر من الاعصار لان السلطان لما شاهد التعب والفتور من العسكر في الحصار أمر بان ينادى ان الغنائم كلها لهم ويكفيني فتح المدينة فلما بلغهم ذلك بذلوا جهدهم واجتهدوا حتى يسر الله لهم فتح المدينة فلما شاع خبر هذا الفتح في الآفاق هابه ملوك العالم فارسل اليه صاحب مصر وصاحب العجم وصاحب الغرب بالمكاتبات والمراسلات يهنونه بالفتح ولاشك ان هذا الفتح من أعظم الفتوحات الجليلة وكم من رام من الخلفاء والملوك فتح هذه المدينة وصرفوا هممهم وبذلوا جهدهم وأموالهم وافنوا أعمارهم وعساكرهم فلم ينالوه وانما حباه الله تعالى لهذا السلطان الجليل والملك الجميل لكونه اعلم الملوك وأعدلهم وأحسنهم سيرة وأخلصهم نية وطوية وضمن بعضهم هذا المعنى في تاريخ الفتح فقال

رام أمر الفتح قوم أولون

حازه بالنصر قوم آخرون

وقع لفظة آخرون تاريخ فتح المدينة بعدد حساب الحروف وقيل في تاريخها

(ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمرو بن سعيد)

في هذه السنة عزل الوليد بن عتبة عن المدينة عزله يزيد واستعمل عليها عمرو بن سعيد الاشدق فقدمها في رمضان فدخل عليه أهل المدينة وكان عظيم الكبر واستعمل على شرطته عمرو بن الزبير لما كان بينه وبين أخيه عبد الله من البغضاء فارسل الى نفر من أهل المدينة فضربهم ضربا شديدا لهواهم في أخيه عبد الله منهم أخوه المنذر بن الزبير وابنه محمد بن المنذر وعبد الرحمن ابن الاسود بن عبد يغوث وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ومحمد بن عمار بن ياسر وغيرهم فضربهم الاربعين الى الخمسين الى الستين فاستشار عمرو بن سعيد عمرو بن الزبير فيمن يرسله الى أخيه فقال لا توجه اليه رجلا أنكا له مني فجهز معه الناس وفيهم أنيس بن عمرو الاسلمي في سبعمائة فجاء مروان بن الحكم الى عمرو بن سعيد فقال له لا تغز مكة واتق الله ولا تحل حرمة البيت وخلوا ابن الزبير فقد كبر وله ستون سنة وهو لجوج فقال عمرو بن الزبير والله لنغزونه في جوف الكعبة على رغم انف من رغم وأتى أبو شريح الخزاعي الى عمرو فقال له لا تغز مكة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما أذن لي بالقتال فيها ساعة من نهار ثم عادت كحرمتها بالامس فقال له عمرو نحن اعلم بحرمتها منك ايها الشيخ فسار أنيس في مقدمته وقيل ان يزيد كتب الى عمرو ابن سعيد ابرسل عمرو بن الزبير الى اخيه عبد الله ففعل فارسله ومعه جيش نحو ألفي رجل فنزل انيس بذي طوى ونزل عمرو بالابطح فارسل عمرو الى أخيه بر يمين يزيد وكان حلف ان لا يقبل بيعته الا أن يؤتى به في جامعة وتعال حتى اجعل في عنقك جامعة من فضة لا ترى ولا يضرب الناس بعضهم بعضا فانك في بلد حرام فارسل عبد الله بن الزبير عبد الله بن صفوان نحو أنيس فيمن معه من أهل مكة ممن اجتمع اليه فهزمه ابن صفوان بذي طوى وأجهز على جريحهم وقتل أنيس بن عمرو وسار مصعب بن عبد الرحمن الى عمرو بن الزبير فتفرق عن عمرو اصحابه فدخل دار ابن علقمة فاتاه أخوه عبيدة فاجاره ثم أتى عبد الله فقال له اني قد اجرت عمرا فقال أتجير من حقوق الناس هذا ما لا يصلح وما أمرتك ان تجير هذا الفاسق المستحل لحرمات الله ثم اقاد عمرا من كل من ضربه الا المنذر وابنه فانهما أبيا ان يستقيدا ومات تحت السياط

(ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين بن علي ليسير اليهم وقتل مسلم بن عقيل)

لما خرج الحسين من المدينة الى مكة لقيه عبد الله بن مطيع فقال له جعلت فداك أين تريد قال أما الآن فمكة وأما بعد فاني أستخير الله قال خار الله لك وجعلنا فداك فاذا أتيت مكة فاياك ان تقرب الكوفة فانها بلدة مشؤمة بها قتل أبوك وخذل أخوك واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه الزم الحرم فانك سيد العرب لا تعدل بك أهل الحجاز أحدا ويتداعى اليك الناس من كل جانب لا تفارق الحرم فداك عمي وخالي فوالله لئن هلكت لنسترقن بعدك فاقبل حتى نزل مكة وأهلها يختلفون اليه ويأتونه ومن بها من المعتمرين وأهل الآفاق وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة فهو قائم يصلي عندها عامة النهار ويطوف ويأتي الحسين فيمن يأتيه ولا يزال يشير عليه بالرأي وهو اثقل خلق الله على ابن الزبير لان أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين باقيا بالبلد ولما بلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين وابن عمر وابن الزبير عن البيعة أرجفوا بيزيد واجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي فذكروا مسير الحسين الى مكة

وكتبوا

أيضا بلدة طيبة ٨٥٧ وهي كذلك في طيب الهواء وعذوبة الماء وهي من الاقليم الخامس بينها وبين مكة المكرمة ألف ميل وثلثمائة وثمانون ميلا ونصف ميل ولما دخل السلطان المدينة سارع بالتوجه الى كنيستها العظمى اياصوفية فدخلها وطهرها من خبائث الكفر وصلى فيها ودعا الله تعالى وحمده واثنى عليه وجعلها مسجدا جامعا للمسلمين وعين له أوقافا ومرتبات ثم ان السلطان محمد خان التمس من الشيخ شمس الدين ان يريه موضع قبر أبي أيوب الانصاري فقال الشيخ اني شاهدت في موضع نور العال قبره هنالك فجاء اليه وتوجه زمانا ثم قال اجتمعت مع روحه فهناني بهذا الفتح وقال شكر الله سعيكم الذي خلصتموني به من ظلمة الكفر فاخبر السلطان بذلك فحضر بنفسه الى هنالك فقال التمس منك يا مولانا الشيخ ان تريني علامة أراها بعيني ويطمئن بذلك قلبي فتوجه الشيخ ساعة ثم قال احفروا في هذا الموضع وهو من جانب الرأس من القبر مقدار ذراعين يظهر لكم رخام عليه خط عبراني فلما حفروا

وكتبوا اليه عن نفر منهم سليمان بن صرد الخزاعى والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب
ابن مظاهر وغيرهم بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك فانا نحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما
بعد فالحمد لله الذى قصم عدوك الجبار العنيد الذى انتزى على هذه الامة فابتزها أمرها وغصبها
فيئها وتأمر عليها بغير رضا منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وانه ليس علينا امام فأقبل لعل
الله ان يجمعنا بك على الحق والنعمان بن بشير فى قصر الامارة لسنا نجتمع معه فى جمعة ولا عيد
ولو بلغنا اقبالك الينا اخرجناه حتى نلحقه بالشام ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله
وبركاته وسيروا الكتاب مع عبد الله بن سبع الهمدانى وعبد الله بن وال ثم كتبوا اليه كتابا آخر
وسيروه بعد ليلتين فكتب الناس معه نحوا من مائة وخمسين صحيفة ثم ارسلوا اليه رسولا ثالثا
يحثونه على المسير اليهم ثم كتب اليه شبث بن ربعى وحجار بن أبجر ويزيد بن الحرث ويزيد بن
رويم وعروة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدى ومحمد بن عمير التميمى بذلك فكتب اليهم
الحسين عند اجتماع الكتب عنده اما بعد فقد فهمت كل الذى اقتصصتم وقد بعثت اليكم
بأخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى مسلم بن عقيل وأمرته ان يكتب الى بحالكم وأمركم ورأيكم
فان كتب الى انه قد اجتمع رأى ملئكم وذوى الحجى منكم على مثل ما قدمت به رسلكم أقدم
اليكم وشيكا ان شاء الله فلعمرى ما الامام الا العامل بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين
الحق والسلام واجتمع ناس من الشيعة بالبصرة فى منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية
بنت سعد وكانت تتشيع وكان منزلها لهم مألفا يتحدثون فيه فعزم يزيد بن نبيط على الخروج
الى الحسين وهو من عبد القيس وكان له بنون عشرة فقال أيكم يخرج معى فخرج معه ابنان
له عبد الله وعبيد الله فساروا فقدموا عليه بمكة ثم سار وامعه فقتلوا معه ثم دعا الحسين مسلم بن
عقيل فسيره نحو الكوفة وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف فان رأى الناس مجتمعين له
عجل اليه بذلك فأقبل مسلم الى المدينة فصلى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وودع أهله
واستأجر دليلين من قيس فاقبلا به فضلا الطريق وعطشوا وفات الدليلان من العطش وقالا
لمسلم هذا الطريق الى الماء فكتب مسلم الى الحسين انى اقبلت الى المدينة واستأجرت دليلين
فضلا الطريق واشتد عليهما العطش فماتا واقبلنا حتى انتهينا الى الماء فلم ننج الا بحشاشة
أنفسنا وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبيت وقد تطيرت فان رأيت اعفيتنى وبعثت
غيرى فكتب اليه الحسين اما بعد فقد خشيت ان لا يكون حملك على الكتاب الى الا الجبن
فامض لوجهك والسلام فسار مسلم حتى اتى الكوفة ونزل فى دار المختار وقيل غيرها واقبلت
الشيعة تختلف اليه فكلما اجتمعت اليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين فيبكون ويعدونه
من أنفسهم القتال والنصرة واختلفت الشيعة حتى علم بمكانه وبلغ ذلك النعمان بن بشير وهو
أمير الكوفة فصعد المنبر فقال اما بعد فلا تسارعوا الى الفتنة والفرقة فان فيهما تهلك الرجال
وتسفك الدماء وتغصب الاموال وكان حليما ناسكا يحب العافية ثم قال انى لا اقاتل من لم
يقاتلنى ولا أثب على من لا يثب على ولا انبه نائمكم ولا أتحرش بكم ولا آخذ بالقرف ولا الظنة ولا
التهمة ولكنكم ان ابديتم صفحتكم ونكثتم بيعتكم وخالفتم امامكم فوالله الذى لا اله غيره
لاضربنكم بسيفى ما ثبت قائمه بيدى ولم يكن لى منكم ناصر ولا معين اما انى ارجو ان يكون

ظهر رخام عليه خط عبرانى فقرأه من يعرفه وفسره فاذا هو قبر أبى ايوب الانصارى فتحير السلطان محمد خان وغلب عليه الحال حتى كاد ان يسقط لولا ان أمسكوه ثم أمر ببناء القبة عليه وامر ببناء الجامع والحجرات والتمس من الشيخ آق شمس الدين ان يجلس فى ذلك المكان مع توابعه فامتنع واستأذن بالرجوع الى وطنه قصبة كوينك فاذن له السلطان تطييبا لقلبه ولما دخل المسلمون الى مدينة قسطنطينية ارسل صاحب غلطه مفاتيح قلعتها ففتحت ودخلها المسلمون وتسارعوا الى مسجدها القديم الذى كان بناه مسلمة بن عبد الملك يوم حصرها وكان الكفار صيروه كنيسة لهم كما سيأتى بيان ذلك فى محله ان شاء الله تعالى وفى هذه السنة بعث اهل مدينة سلورى وهى من امنع الحصون واحسنها موقعا بمفتاح قلعتها وكذلك بعث بمفتاح قلعة برغوسى بقرب أدرنه وسلك هذا المسلك كثير من اهل القلاع بعد ما بلغهم فتح القسطنطينية وفى سنة ستين وثمانمائة غزا السلطان محمد خان بلاد اندكروس وانتصر عليهم وانجرح كبيرهم

من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل فقام اليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمى
حليف بنى أمية فقال انه لا يصلح ماترى الا الغشم ان هذا الذى أنت عليه رأى المستضعفين
فقال أكون من المستضعفين فى طاعة الله أحب الى من ان أكون من الاعزين فى معصية الله
ونزل فكتب عبد الله بن مسلم الى يزيد يخبره بقدوم مسلم بن عقيل الكوفة ومبايعة الناس له
ويقول له ان كان لك فى الكوفة حاجة فابعث اليها رجلا قويا ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك فى
عدوك فان النعمان رجل ضعيف أو هو يتضعف وكان هو أول من كتب اليه ثم كتب اليه عمارة
ابن الوليد بن عقبة وعمرو بن سعد بن أبى وقاص بنحو ذلك فلما اجتمعت الكتب عند يزيد دعا
سرجون مولى معاوية فاقرأه الكتب واستشاره فيمن يوليه الكوفة وكان يزيد عاتبا على عبيد
الله بن زياد فقال له سرجون أرأيت لو نشر لك معاوية كنت تأخذ برأيه قال نعم فاخرج عهد
عبيد الله على الكوفة فقال هذا رأى معاوية ومات وقد أمر بهذا الكتاب فأخذ برأيه وجمع
الكوفة والبصرة لعبيد الله وكتب اليه بعهده وسيره اليه مع مسلم بن عمرو الباهلى والد قتيبة
فامره بطلب مسلم بن عقيل وبقتله أو نفيه فلما وصل كتابه الى عبيد الله أمر بالتجهز ليبرز من الغد
وكان الحسين قد كتب الى أهل البصرة نسخة واحدة الى الاشراف فكتب الى مالك بن مسمع
البكرى والاحنف بن قيس والمنذر بن الجارود ومسعود بن عمرو وقيس بن الهيثم وعمر بن عبيد
الله بن معمر يدعوهم الى كتاب الله وسنة رسوله وان السنة قد ماتت والبدعة قد أحييت
فكلهم كتموا كتابه الا المنذر بن الجارود فانه خاف ان يكون دسيسا من ابن زياد فأتاه بالرسول
والكتاب فضرب عنق الرسول وخطب الناس وقال اما بعد فوالله ما بى تقرن الصعبة وما يقعقع
لى بالشنان وانى لنكل لمن عادانى وسلم لمن حاربنى وانصف القارة من راماها يا أهل البصرة ان
امير المؤمنين قد ولانى الكوفة وأنا غاد اليها بالغداة وقد استخلفت عليكم أخى عثمان بن زياد فاياكم
والخلاف والارجاف فوالله لئن بلغنى عن رجل منكم خلاف لاقتلنه وعريفه ووليه ولآخذن
الادنى بالاقصى حتى تستقيموا ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق وانى انا ابن زياد أشبهته من بين
من وطئ الحصى فلم ينتزعنى شبه خال ولا ابن عم ثم خرج من البصرة ومعه مسلم بن عمرو الباهلى
وشريك بن الاعور الحارثى وحشمه وأهل بيته وكان شريك شيعيا وقيل كان معه خمسمائة
فتساقطوا عنه فكان أول من سقط شريك ورجوا ان يقف عليهم ويسبقه الحسين الى
الكوفة فلم يقف على أحد منهم حتى دخل الكوفة وحده فجعل يمر بالمجالس فلا يشكون انه
الحسين فيقولون مرحبا بك يا ابن رسول الله وهو لا يكلمهم وخرج اليه الناس من دورهم
فساءه ما رأى منهم وسمع النعمان فاغلق عليه الباب وهو لا يشك انه الحسين وانتهى اليه عبيد
الله ومعه الخلق يصيحون فقال له النعمان انشدك الله الا تنحيت عنى فوالله ما أنا بمسلم اليك
امانتى ومالى فى قتالك من حاجة فدنا منه عبيد الله وقال له افتح لا فتحت فسمعها انسان خلفه
فرجع الى الناس وقال لهم انه ابن مرجانة ففتح له النعمان فدخل واغلقوا الباب وتفرق
الناس واصبح فجلس على المنبر وقيل بل خطبهم من يومه فقال اما بعد فان أمير المؤمنين ولانى
مصركم وثغركم وفيئكم وأمرنى بانصاف مظلومكم واعطاء محرومكم وبالاحسان الى سامعكم
ومطيعكم وبالشدة على مريبكم وعاصيكم وانا متبع فيكم أمره ومنفذ فيكم عهده فانا لمحسنكم

بجزنا منكرا حتى آل عاقبة
امره ان توفى منه ثم سار فنزل
مدينة باغرا مدة ثم ارتحل
منها لمصادفة الشتاء
ووقوع بعض فتن فى البلاد
الاسلامية وفى سنة ثمان
وخمسين وثمانمائة امر
السلطان ببناء دار السعادة
العتيقة بقرب الجامع الذى
أنشأه السلطان بايزيدخان
وهى أول دار انشأتها
الملوك العثمانية فى مدينة
قسطنطينية وفى سنة احدى
وستين وثمانمائة غزا السلطان
محمد بلاد موره فافتتحها
واستولى عليها وصيرها
دار الاسلام واسكن فيها
طائفة من العرب ثم غلب
عليهم الروم فتنصر جماعة
منهم ورحل جماعة عنها
ثم عاد السلطان لما بلغه
ذلك وافتتح نحو ستين
قلعة لم يدخلها مسلم قط
وبالجملة لم يبق فى بلاد موره
حصن حتى فتحه وفى هذه
السنة خاف على نفسه من
صولة السلطان محمد خان
صاحب سينوب الامير
قزل احمد بن اسفنديار بن
بايزيد الزمن ولحق الى سلطان
العجم حسن بيك الطويل
يستنجده ويحركه على المسير
على السلطان محمد خان كما
فعله سلفه فلما بلغ السلطان
ذلك سار الى بلاد اسفنديار
واستولى على مدينة

كالوالد البر ولمطيعكم كالاخ الشفيق وسيفي وسوطي على من ترك أمري وخالف عهدي فليبق امرؤ على نفسه ثم نزل فأخذ العرفاء والناس اخذا شديدا وقال اكتبوا الي الغرباء ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق فمن كتبهم الي فبرئ ومن لم يكتب لنا أحدا فليضمن لنا ما في عرافته ان لا يخالفنا فيهم مخالف ولا يبغي علينا منهم باغ فمن لم يفعل فبرئت منه الذمة وحلال لنا دمه وماله وايما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه الينا صلب على باب داره وألقيت تلك العرافة من العطاء وسير الى موضع بعمان الزارة ثم نزل وسمع مسلم بمقالة عبيد الله فخرج من دار المختار وأتى دار هانئ بن عروة المرادي فدخل بابه واستدعى هانئا فخرج اليه فلما رآه كره مكانه فقال له مسلم أتيتك لتجيرني وتضيفني فقال له هانئ لقد كلفتني شططا ولولا دخولك داري لاحببت ان تنصرف عني غير انه يأخذني من ذلك ذمام ادخل فآواه فاختلفت الشيعة اليه في دار هانئ ودعا ابن زياد مولى له واعطاه ثلاثة آلاف درهم وقال له اطلب مسلم بن عقيل وأصحابه والقهم وأعطهم هذا المال وأعلمهم انك منهم واعلم اخبارهم ففعل ذلك وأتى مسلم بن عوسجة الاسدي بالمسجد فسمع الناس يقولون هذا يبايع للحسين وهو يصلي فلما فرغ من صلاته قال له يا عبد الله اني امرؤ من أهل الشام انعم الله علي بحب اهل هذا البيت وهذه ثلاثة آلاف درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغني انه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سمعت نفرا يقولون انك تعلم امر هذا البيت واني أتيتك لتقبض المال وتدخلني على صاحبك أبايعه وان شئت اخذت بيعتي له قبل لقائي اياه فقال لقد سرني لقاؤك اياي لتنال الذي تحب وينصر الله بك اهل بيت نبيه وقد ساءني معرفة الناس هذا الامر مني قبل ان يتم مخافة هذا الطاغية وسطوته فأخذ بيعته والمواثيق المعظمة ليناصحن وليكتمن واختلف اليه اياما ليدخله على مسلم بن عقيل ومرض هانئ بن عروة فأتاه عبيد الله يعوده فقال له عمارة بن عبد السلولي انما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية وقد امكنك الله فاقتله فقال هانئ ما احب ان يقتل في داري وجاء ابن زياد فجلس عنده ثم خرج فما مكث الا جمعة حتى مرض شريك بن الاعور وكان قد نزل على هانئ وكان كريما على ابن زياد وعلى غيره من الامراء وكان شديد التشيع قد شهد صفين مع عمار فارسل اليه عبيد الله اني رائح اليك العشية فقال لمسلم ان هذا الفاجر عائدي العشية فاذا جلس اخرج اليه فاقتله ثم اقعد في القصر ليس احد يحول بينك وبينه فان برئت من وجعي سرت الى البصرة حتى اكفيك امرها فلما كان من العشي اتاه عبيد الله فقام مسلم بن عقيل ليدخل فقال له شريك لا يفوتنك اذا جلس فقال هانئ بن عروة لا احب ان يقتل في داري فجاء عبيد الله فجلس وسأل شريكا عن مرضه فأطال فلما رأى شريك ان مسلما لا يخرج خشي ان يفوته فأخذ يقول * ما تنظرون بسلمى لا تحيوها * اسقونيها وان كانت بها نفسي فقال ذلك مرتين او ثلاثا فقال عبيد الله ما شأنه ترونه يخلط فقال له هانئ نعم ما زال هذا دأبه قبيل الصبح حتى ساعته هذه فانصرف وقيل ان شريكا لما قال اسقونيها وخلط كلامه فطن به مهران فغمز عبيد الله فوثب فقال له شريك ايها الامير اني أريد ان اوصي اليك فقال اعود

قسطموني وعلى سينوب وعلى قلعة طرابزون ثم توجه الى بلاد الكرج فعاث عسكره فيها وغنموا منها اشياء كثيرة وفي سنة خمس وستين وثمانمائة جهز السلطان من جهة البحر عمارة عظيمة الى فتح جزيرة مدللو وكان قد كثر الضرر منها للمسلمين في البحر فضبطوا جميع الجزيرة وصيروها دار الاسلام وشحنوها بالمسلمين وفي هذه السنة أمر السلطان محمد خان ببناء جامع في محلته المعروفة الآن وثمان مدارس حوالي الجامع على ترتيب لطيف ثم بنى خلف المدارس الثمان تتمات للمدارس ذات حجرات كثيرة للطلبة المستعدين واستجلب العلماء الكبار من اقصى الديار وانعم عليهم وعطف باحسانه اليهم مثل مولانا علي القوشجي والفاضل الطوسي والعالم الرباني مولانا الكوراني وغيرهم من علماء الاسلام وفضلاء الانام وقنن قوانين تطابق المعقول والمنقول وجعل لهم مراتب يرتقون اليها ويصعدون بالتمكن والاعتبار عليها الى ان يوصلوا الى سعادة الدنيا ويتصلوا بها أيضا الى سعادة العقبى

اليك فقال له مهران انه أراد قتلك فقال وكيف مع اكرامى له وفى بيت هانئ ويد أبى عنده فقال له مهران هو ماقلت لك فلما قام ابن زياد خرج مسلم بن عقيل فقال له شريك مامنعك من قتله قال خصلتان اما احداهما فكراهية هانئ أن يقتل فى منزله واما الاخرى فحديث حدثه على عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الايمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن بمؤمن فقال له هانئ لو قتلته لقتلت فاسقا فاجرا كافرا غادرا ولبث شريك بعد ذلك ثلاثا ثم مات فصلى عليه عبيد الله فلما علم عبيد الله ان شريكا كان حرض مسلما على قتله قال والله لا اصلى على جنازة عراقى أبدا ولولا ان قبر زياد فيهم لنبشت شريكا ثم ان مولى ابن زياد الذى دسه بالمال اختلف الى مسلم بن عوسجة بعد موت شريك فادخله على مسلم بن عقيل فأخذ بيعته وقبض ماله وجعل يختلف اليهم ويعلم أسرارهم وينقلها الى ابن زياد وكان هانئ قد انقطع عن عبيد الله بعذر المرض فدعا عبيد الله محمد بن الاشعث واسماء بن خارجة وقيل دعا معهما بعمرو بن الحجاج الزبيدى فسألهم عن هانئ وانقطاعه فقالوا انه مريض فقال بلغنى انه يجلس على باب داره وقد برأ فالقوه فمروه ان لايدع ماعليه فى ذلك فأتوه فقالوا له ان الامير قد سأل عنك وقال لو أعلم انه شاك لعدته وقد بلغه انك تجلس على باب دارك وقد استبطأك والجفاء لايحتمله السلطان اقسمنا عليك لو ركبت معنا فلبس ثيابه وركب معهم فلما دنا من القصر احست نفسه بالشر فقال لحسان بن اسماء بن خارجة يا ابن أخى انى لهذا الرجل لخائف فما ترى فقال ما تخوف عليك شيأ فلا تجعل على نفسك سبيلا ولم يعلم اسماء مما كان شيأ واما محمد بن الاشعث فانه علم به قال فدخل القوم على ابن زياد وهانئ معهم فلما رآه ابن زياد قال لشريح القاضى اتتك بخائن رجلاه فلما دنا منه قال عبيد الله

أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مراد

وكان ابن زياد مكرما له فقال هانئ وماذاك فقال يا هانئ ماهذه الامور التى تربص فى دارك لامير المؤمنين والمسلمين جئت بمسلم فادخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال وظننت ان ذلك يخفى لك قال مافعلت قال بلى وطال بينهما النزاع فدعا ابن زياد مولاه ذاك العين فجاء حتى وقف بين يديه فقال أتعرف هذا قال نعم وعلم هانئ انه كان عينا عليهم فسقط فى يده ساعة ثم راجعته نفسه قال اسمع منى وصدقنى فوالله لا أكذبك والله مادعوته ولا علمت بشئ من أمره حتى رأيته جالسا على بابى يسألنى النزول على فاستحييت من رده ولزمنى من ذلك ذمام فادخلته دارى وضفته وقد كان من أمره الذى بلغك فان شئت اعطيتك الآن موثقا تطمئن به ورهينة تكون فى يدك حتى انطلق وأخرجه من دارى وأعود اليك فقال لا والله لاتفارقنى أبدا حتى تأتينى به قال لا آتيك بضيفى تقتله أبدا فلما كثر الكلام قام مسلم بن عمرو الباهلى وليس بالكوفة شامى ولا بصرى غيره فقال خلنى واياه حتى أكلمه لما رأى من لجاجه وأخذ هانئا وخلا به ناحية من ابن زياد بحيث يراهما فقال له يا هانئ انشدك الله ان تقتل نفسك وتدخل البلاء على قومك ان هذا الرجل ابن عم القوم وليسوا بقاتليه ولا ضائريه فادفعه اليه فليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة انما تدفعه الى السلطان قال بلى والله ان على فى ذلك خزيا وعارا الا ادفع ضيفى وانا صحيح شديد الساعد كثير الاعوان والله لو كنت واحدا ليس لى ناصر لم ادفعه حتى أموت دونه فسمع ابن زياد ذلك فقال أدنوه منى فادنوه منه فقال والله لتأتينى به او لاضربن عنقك قال اذن والله تكثر

وعين للارامل والايتام فى كل سنة من النفقة والكسوة مايفى لهم وقد اتفق الفراغ من بنائه فى رجب سنة خمس وسبعين وثمانمائة وفى سنة ثمان وخمسين وثمانمائة غزا السلطان بلاد بوسنه بعسكر كثير وقاتلهم اشد القتال واستولى على عامة بلادهم وصيرها دار الاسلام ولم يقم للكفار بعد ذلك قائم هنالك ثم بعد مامهد أمور تلك البلاد صوب عنان عزيمته الى فتح بلاد ارنود وهم صنف من النصارى يتصبرون على المحن ويتكلفون الاعمال الشاقة قيل اصلهم من عرب الشام من بنى غسان ارتحلوا من الشام بعد ما آتى الله بها الاسلام فقدموا من هنالك الى هذه البلاد وتوطنوا بها فازدادوا وكثروا وقيل هم طائفة من عرب البربر عبروا البحر الى هذا الصوب مع يعقوب بن منصور الموحدى فبقوا فيها مدة ولم يزالوا بها حتى غلب عليهم الجهل فتنصروا ثم ان السلطان دخل بلاد ارنود فنهبها واستولى على عدة قلاع هنالك وأمر ببناء قلعة حصينة فى ثغر عظيم هنالك كالسد بيننا وبين الكفار وشحنها بالرجال

البارقة حول دارك وهو يرى ان عشيرته ستمنعه فقال يا لبارقة تخوفنى وقيل ان هانئا لما رأى
ذلك الرجل الذى كان عينا لعبيد الله علم انه قد أخبره الخبر فقال أيها الامير قد كان الذى بلغك
ولن أضيع يدك عندى وأنت آمن واهلك فسر حيث شئت فاطرق عبيد الله عند ذلك ومهران
قائم على رأسه وفى يده معكزة فقال واذلاه هذا الحائك يؤمنك فى سلطانك فقال خذه فأخذ
مهران ضفيرتى هانئ وأخذ عبيد الله القضيب ولم يزل يضرب انفه وجبينه وخده حتى كسر
انفه وسيل الدماء على ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب وضرب هانئ
يده الى قائم سيف شرطى وجبذه فمنع منه فقال له عبيد الله احرورى احللت بنفسك وحل لنا
قتلك ثم أمر به فألقى فى بيت واغلق عليه فقام اليه اسماء بن خارجة فقال ارسله يا غادر أمرتنا ان
نجيئك بالرجل فلما أتيناك به هشمت وجهه وسيلت دماءه وزعمت انك تقتله فأمر به عبيد الله
فلهز وتعتع ثم ترك فجلس فأما ابن الاشعث فقال رضينا بما رأى الامير لنا كان أو علينا
وبلغ عمرو بن الحجاج ان هانئا قد قتل فأقبل فى مذحج حتى احاطوا بالقصر ونادى انا عمرو بن
الحجاج هذه فرسان مذحج ووجوهها لم تخلع طاعة ولم تفارق جماعة فقال عبيد الله لشريح
القاضى وكان حاضرا ادخل على صاحبهم فانظر اليه ثم اخرج اليهم فاعلمهم انه حى ففعل شريح
فلما دخل عليه قال له هانئ يا للمسلمين اهلكت عشيرتى أين اهل الدين اين أهل النصر ايحزروننى
عدوهم وابن عدوهم وسمع الضجة فقال يا شريح انى لاظنها أصوات مذحج وشيعتى من المسلمين
انه ان دخل على عشرة نفر انقذونى فخرج شريح ومعه عين ارسله ابن زياد قال شريح لولا
مكان العين لابلغتهم قول هانئ فلما خرج شريح اليهم قال قد نظرت الى صاحبكم وانه حى لم
يقتل فقال عمرو وأصحابه اذ لم يقتل فالحمد لله ثم انصرفوا وأتى الخبر مسلم بن عقيل فنادى فى
أصحابه يا منصور امت وكان شعارهم وكان قد بايعه ثمانية عشر الفا وحوله فى الدور اربعة آلاف
فاجتمع اليه ناس كثير فعقد مسلم لعبد الله بن عزيز الكندى على ربع كندة وقال سر امامى وعقد
لمسلم بن عوسجة الاسدى على ربع مذحج واسد وعقد لابى ثمامة الصائدى على ربع تميم وهمدان
وعقد لعباس بن جعدة الجدلى على ربع المدينة واقبل نحو القصر فلما بلغ ابن زياد اقباله تحرز
فى القصر واغلق الباب واحاط مسلم بالقصر وامتلأ المسجد والسوق من الناس وما زالوا
يجتمعون حتى المساء وضاق بعبيد الله امره وليس معه فى القصر الا ثلاثون رجلا من الشرط
وعشرون رجلا من الاشراف واهل بيته ومواليه واقبل اشراف الناس يأتون ابن زياد من
قبل الباب الذى يلى دار الروميين والناس يسبون ابن زياد وأباه فدعا ابن زياد كثير بن شهاب
الحارثى وامره ان يخرج فيمن اطاعه من مذحج فيسير ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم
وامر محمد بن الاشعث ان يخرج فيمن اطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية امان لمن جاءه من
الناس وقال مثل ذلك القعقاع بن شور الذهلى وشبث بن ربعى التميمى وحجار بن ابجر العجلى وشمر
ابن ذى الجوشن الضبابى وترك وجوه الناس عنده استئناسا بهم لقلة من معه وخرج اولئك
النفر يخذلون الناس وامر عبيد الله من عنده من الاشراف ان يشرفوا على الناس من القصر
فيمنوا اهل الطاعة ويخوفوا اهل المعصية ففعلوا فلما سمع الناس مقالة اشرافهم اخذوا
يتفرقون حتى ان المرأة تأتى ابنها واخاها وتقول انصرف الناس يكفونك ويفعل الرجل مثل

وسماها آق حصار واودع
فيها من المدافع والمكاحل
ما يقيها وفى سنة اثنتين
وسبعين وثمانمائة نصب
السلطان محمد خان على
صاحب قونية ولارندة
أحمد بيك بن قرمان فانتزع
الملك منه وفوض بلاد
قرمان لابنه السلطان
مصطفى ثم استولى على بعض
قلاع عاصية هناك مثل
قلعة اركلى وقلعة أقسراى
وقلعة كولك وقلعة كولى
وسلم الجميع الى ابنه المذكور
وفى سنة ست وسبعين
وثمانمائة بعث صاحب
العجم حسن بيك الطويل
يوسفجه بيك مع عسكر
التاتار الى نهب بلاد ابن
عثمان فجاؤا ونهبوا مدينة
توقات واضرموا فيها النار
واحرقوها ثم اغتر بذلك
يوسفجه بيك فهجم على بلاد
قرمان واغار عليها وكان
واليها يومئذ السلطان
مصطفى وكان شجيعا الى
الغاية فقابل العدو وقاتله
وهزمه وامر رئيسهم
يوسفجه بيك وكبله
فى الحديد وارسله مع عدة
اسارى من الامراء الى
أبيه السلطان محمد خان
فكان ذلك عنوان الفتح
ومقدمة النصر وفى سنة
سبع وسبعين وثمانمائة
استجاش كل من المالكين

ذلك فما زالوا يتفرقون حتى بقى ابن عقيل فى المسجد فى ثلاثين رجلا فلما رأى ذلك خرج متوجها نحو أبواب كندة فلما خرج الى الباب لم يبق معه أحد فمضى فى ازقة الكوفة لايدرى اين يذهب فانتهى الى باب امرأة من كندة يقال لها طوعة ام ولد كانت للاشعث واعتقها فتزوجها اسيد الحضرمى فولدت له بلالا وكان بلال قد خرج مع الناس وهى تنتظره فسلم عليها ابن عقيل وطلب الماء فسقته فجلس فقالت له يا عبد الله الم تشرب قال بلى قالت فاذهب الى اهلك فسكت فقالت له ثلاثا فلم يبرح فقالت سبحان الله انى لا أحل لك الجلوس على بابى فقال لها ليس لى فى هذا المصر منزل ولا عشيرة فهل لك الى أجر ومعروف ولعلى اكافئك به بعد اليوم قالت وماذاك قال انا مسلم ابن عقيل كذبنى هؤلاء القوم وغرونى قالت ادخل فادخلته بيتا فى دارها وعرضت عليه العشاء فلم يتعش وجاء ابنها فرآها تكثر الدخول فى ذلك البيت فقال لها ان لك لشأنا فى ذلك البيت وسألها فلم تخبره فألح عليها فأخبرته واستكتمته واخذت عليه الايمان بذلك فسكت واما ابن زياد فلما لم يسمع الاصوات قال لاصحابه انظروا هل ترون منهم احدا فنظروا فلم يروا احدا فنزل الى المسجد قبيل العتمة واجلس اصحابه حول المنبر وامر فنودى برئت الذمة من رجل من الشرط والعرفاء والمناكب والمقاتلة صلى العتمة الا فى المسجد فامتلأ المسجد فصلى بالناس ثم قام فحمد الله ثم قال اما بعد فان ابن عقيل السفيه الجاهل قد أتى ما رأيتم من الخلاف والشقاق فبرئت الذمة من رجل وجدناه فى داره ومن أتانا به فله ديته وأمرهم بالطاعة ولزومها وأمر الحصين بن تميم ان يعلك أبواب السكك ثم يفتش الدور وكان على الشرط وهو من بنى تميم ودخل ابن زياد وعقد لعمرو ابن حريث وجعله على الناس فلما أصبح جلس للناس ولما اصبح بلال ابن تلك العجوز التى آوت مسلم ابن عقيل الى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فأخبره بمكان ابن عقيل فأتى عبد الرحمن اباه وهو عند ابن زياد فأسره بذلك فأخبر به محمد ابن زياد فقال له ابن زياد قم فأتنى به الساعة وبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمى فى سبعين من قيس حتى أتوا الدار التى فيها ابن عقيل فلما سمع الاصوات عرف انه قد أتى فخرج اليهم بسيفه حتى اخرجهم من الدار ثم عادوا اليه فحمل عليهم فأخرجهم مرارا وضرب بكير بن حمران الاحمرى فم مسلم فقطع شفته العليا وسقط ثنيتاه وضربه مسلم على رأسه وثنى بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه فلما رأوا ذلك اشرفوا على سطح البيت وجعلوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار فى القصب ويلقونها عليه فلما رأى ذلك خرج عليهم بسيفه فقاتلهم فى السكة فقال له محمد بن الاشعث لك الامان فلا تقتل نفسك فأقبل يقاتلهم وهو يقول

اقسمت لا اقتل الا حرا * وان رأيت الموت شيأ نكرا
أو يخلط البارد سخنا مرا * رد شعاع الشمس فاستقرا
كل امرئ يوما يلاقى شرا * اخاف أن اكذب أو اغرا

فقال له محمد انك لا تكذب ولا تخدع القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضائريك وكان قد أثخن بالحجارة وعجز عن القتال فأسند ظهره الى حائط تلك الدار فآمنه ابن الاشعث والناس غير عمرو بن عبيد الله السلمى فانه قال لا ناقة لى فى هذا ولا جمل وأتى ببغلة فحمل عليها وانتزعوا سيفه فكأنه ايس من نفسه فدمعت عيناه ثم قال هذا أول الغدر وقال محمد ارجو ان لايكون

عليك

سلطان الروم وصاحب العجم حسن الطويل الى قتال الآخر فسار كل من الملكين فى عسكر ضخم كثيف لايعدون وجيش عرمرم لايعدون واتفق ملاقاتهما بقرب من بلدة بايبورد فاقتتل الفريقان وامتزج الجمعان وتصاول الاسود واختلط الاعلام والبنود ومال السلطان مصطفى وهو كالسيف الصارم والشجاع الحازم على طرف ولد سلطان العجم زينل شاه فقاتله قتالا شديدا حتى ظفر به وقتله فلما بلغ ذلك حسن الطويل انقصم ظهره وفنى صبره وانتصر العساكر المحمدية فلم يبق له مجال القرار حتى صوب عنان فرسه للفرار وجعل الجيوش العثمانية يطاردونهم ويقتلونهم ويأسرونهم حتى اسروا منهم عدة امراء كبار وقتلوا من عسكره ما تغرست المفاوز بجثثهم وابدانهم وجرت الشعاب والاودية بدمائهم وفاز السلطان محمد خان بالنصر والغنائم ثم سار الى قره حصار الشرقى وهى من بلاد حسن الطويل فاستولى عليها وادرجها فى جملة ممالكه وفى هذه السنة بعث السلطان محمد خان

عليك بأس قال وماهو الا الرجاء ابن امانكم ثم بكى فقال له عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمي
من يطلب مثل الذي تطلب اذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك فقال ما أبكي لنفسي ولكني أبكي
لاهلي المنقلبين اليكم ابكي للحسين وآل الحسين ثم قال لمحمد بن الاشعث اني اراك ستعجز عن أماني
فهل تستطيع ان تبعث من عندك رجلا يخبر الحسين بحالي ويقول له عني ارجع بأهل بيتك
ولا يغره أهل الكوفة فانهم اصحاب ابيك الذين كان يتمنى فراقهم بالموت او القتل فقال له ابن
الاشعث والله لافعلن ثم كتب بما قال مسلم الى الحسين فلقيه الرسول بزبالة فاخبره فقال كل ما قدر
نازل عند الله نحتسب انفسنا وفساد امتنا وكان سبب مسيره من مكة كتاب مسلم اليه يخبره انه
بايعه ثمانية عشر ألفا ويستحثه للقدوم واما مسلم فان محمدا اقدم به القصر ودخل محمد على عبيد
الله فأخبره الخبر وبامانه له فقال له عبيد الله ما انت والامان ما ارسلناك لتؤمنه انما ارسلناك
لتأتينا به فسكت محمد ولما جلس مسلم على باب القصر رأى جرة فيها ماء بارد فقال اسقوني من
هذا الماء فقال له مسلم بن عمرو الباهلي اتراها ما أبردها والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم
في نار جهنم فقال له ابن عقيل من أنت قال انا من عرف الحق اذ تركته ونصح الامة والامام
اذ غششته وسمع واطاع اذ عصيته انا مسلم بن عمرو فقال له ابن عقيل لامك الثكل ما اجفاك
وافظك واقسى قلبك واغلظك انت يا ابن باهلة اولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني قال فدعا
عمارة بن عقبة بماء بارد فصب له في قدح فأخذ ليشرب فامتلأ القدح دما ففعل ذلك ثلاثا فقال
لو كان من الرزق المقسوم شربته وادخل على ابن زياد فلم يسلم عليه بالامارة فقال له الحرسي
الا تسلم على الامير فقال ان كان يريد قتلي فاسلامي عليه وان كان لا يريد قتلي فليكثرن تسليمي عليه
فقال له ابن زياد لعمري لتقتلن فقال كذلك قال نعم قال فدعني أوص الى بعض قومي قال افعل
فقال لعمر بن سعد ان بيني وبينك قرابة ولي اليك حاجة وهي سر فلم يمكنه من ذكرها فقال له ابن
زياد لا تمتنع من حاجة ابن عمك فقام معه فقال ان علي بالكوفة دينا استدنته انفقته سبعمائة
درهم فاقضها عني وانظر جثتي فاستوهبها فوارها وابعث الى الحسين من يرده فقال عمر لابن
زياد انه قال كذا وكذا فقال ابن زياد لا يخونك الامين ولكن قد يؤتمن الخائن اما مالك فهو لك
تصنع به ما شئت واما الحسين فان لم يردنا لم نرده وان ارادنا لم نكف عنه واما جثته فانا لن نشفعك
فيها وقيل انه قال اما جثته فانا اذا قتلناه لا نبالي ما صنع بها ثم قال لمسلم يا ابن عقيل اتيت الناس
وامرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتت بينهم وتفرق كلمتهم فقال كلا ولكن أهل هذا المصر زعموا
ان أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم اعمال كسرى وقيصر فاتيناهم لنأمر بالعدل
وندعو الى حكم الكتاب والسنة فقال وما انت وذاك يا فاسق الم يكن يعمل بذلك فيهم اذ انت
تشرب الخمر بالمدينة قال أنا اشرب الخمر والله ان الله يعلم أنك تعلم أنك غير صادق واني لست كما
ذكرت وان احق الناس بشرب الخمر مني من يلغ في دماء المسلمين فيقتل النفس التي حرم الله
قتلها على الغضب والعداوة وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيأ فقال له ابن زياد قتلني الله ان لم
اقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الاسلام قال اما انك احق من احدث في الاسلام ما ليس فيه اما انك
لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة ولا احد من الناس احق بها منك فشتمه
ابن زياد وشتم الحسين وعليا وعقيلا فلم يكلمه مسلم ثم امر به فأصعد فوق القصر لتضرب رقبته

وزيره كذلك احمد باشا لفتح
بلاد كفة فلما وصل اليها
حاصرها حتى غلب عليها
وفتحها ثم افتتح هناك عدة
قلاع وحصون وفي سنة
تسع وسبعين وثمانمائة سار
الملك المجاهد السلطان
محمد خان الى قتال كفار
بغدان فخاف منه كبيرهم
استفان النصراني فهرب
الى اقصى بلاده فدخل
السلطان بلاد بغدان
فتوغل بها وقتل من قدر
عليه فكانوا اخذا لا يحصى
واسر وسبى وغنم منهم
أموالا لا تحصى حتى
أذعن رئيسهم استفان
المذكور بالطاعة واعطاء
الجزية وفي سنة ثلاث وثمانين
وثمانمائة أمر السلطان
بانشاء دار السعادة الجديدة
في محلها المعروف الآن
فشرع فيها لجنات على
أوسع مكان وبساتين
وقصور رتبه ترتيبا بحيث
لم يدرك مثله (حكى)
ان السلطان محمد خان
الغازي امر ابنه السلطان
بايزيد بان يبعث اليه بابنيه
السلطان أحمد والسلطان
سليم فلما قدما اليه جلس
السلطان محمد خان على
التخت وأخذ يخبر من اذن
كل منهما ما يدنيه اليه فبكى
السلطان سليم من شدة غضبه

ويتبعوا رأسه جسده فقال مسلم لابن الاشعث والله لولا امانك ما استسلمت قم بسيفك دوني قد اخفرت ذمتك فأصعد مسلم فوق القصر وهو يستغفر ويسبح وأشرف به على موضع الحدائين فضربت عنقه وكان الذي قتله بكير بن حمران الذي ضربه مسلم ثم أتبع رأسه جسده فلما نزل بكير قال له ابن زياد ما كان يقول وأنتم تصعدون به قال كان يسبح ويستغفر فلما قدمته قلت له ادن مني الحمد لله الذي امكنني منك واقادني منك فضربته ضربة لم تغن شيأ فقال اما ترى في خدش تخدشنيه وفاء من دمك ايها العبد فقال ابن زياد وفخرا عند الموت قال ثم ضربته الثانية فقتلته وقام محمد بن الاشعث فكلم ابن زياد في هانئ وقال له قد عرفت منزلته في المصر وبيته وقد علم قومه اني أنا وصاحبي سقناه اليك فانشدك الله لما وهبته لي فاني أكره عداوة قومه فوعده ان يفعل فلما كان من مسلم ما كان بدا له وأمر بهانئ حين قتل مسلم فأخرج الى السوق فضربت عنقه قتله مولى تركي لابن زياد قال فبصر به عبد الرحمن بن الحصين المرادي بعد ذلك بخازر مع ابن زياد فقتله فقال عبد الله بن الزبير الاسدي في قتل هانئ ومسلم وقيل قاله الفرزدق (الزبير بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة)

فان كنت لاتدرين ما الموت فانظري * الى هانئ في السوق وابن عقيل
الى بطل قد هشم السيف وجهه * وآخر يهوي من طمار قتيل

وهي ابيات وبعث ابن زياد برأسيهما الى يزيد فكتب اليه يزيد يشكره ويقول له وقد بلغني ان الحسين قد توجه نحو العراق فضع المراصد والمسالح واحترس واحبس على التهمة وخذ على الظنة غير ان لا تقتل الا من قاتلك قيل وكان مخرج ابن عقيل بالكوفة لثمان ليال مضين من ذي الحجة سنة ستين وقيل لتسع مضين منه قيل وكان فيمن خرج معه المختار بن ابي عبيد وعبد الله ابن الحرث بن نوفل فطلبهما ابن زياد وحبسهما وكان فيمن قاتل مسلما محمد بن الاشعث وشبث بن ربعي التميمي والقعقاع بن شور وجعل شبث يقول انتظروا بهم الليل لئلا يتفرقوا فقال له القعقاع انك قد سددت عليهم وجه مهربهم فافرج لهم يتفرقوا

(ذكر مسير الحسين الى الكوفة)

قيل لما اراد الحسين المسير الى الكوفة بكتب أهل العراق اليه أتاه عمر بن عبد الرحمن بن الحرث ابن هشام وهو بمكة فقال له اني أتيتك لحاجة أريد ذكرها نصيحة لك فان كنت ترى انك مستنصحي قلتها واديت ما علي من الحق فيها وان ظننت انك لا مستنصحي كففت عما أريد فقال له قل فوالله ما استغشك وما اظنك بشيء من الهوى قال له قد بلغني انك تريد العراق واني مشفق عليك انك تأتي بلدا فيه عماله وامراؤه ومعهم بيوت الاموال وانما الناس عبيد الدينار والدرهم فلا آمن عليك ان يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت احب اليه ممن يقاتلك معه فقال له الحسين جزاك الله خيرا يا ابن عم فقد علمت انك مشيت بنصح وتكلمت بعقل ومهما يقض من أمر يكن اخذت برأيك أو تركته فأنت عندي احمد مشير وانصح ناصح قال وأتاه عبد الله بن عباس فقال له قد ارجف الناس أنك سائر الى العراق فبين لي ما انت صانع فقال له قد اجمعت السير في أحد يومي هذين ان شاء الله تعالى فقال له ابن عباس فاني أعيذك بالله من ذلك خبرني رحمك الله اتسير الى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم فان كانوا فعلوا ذلك فسر اليهم وان كانوا

فأمر السلطان باحضار طرائف التحف من الخزينة ليرضيهما فرضي السلطان أحمد وقام وقبل يديه وأبى السلطان سليم ان يرضى ثم أمر له بنفائس الاموال فاحضرت فاعطاه اياها فلم يرض فعند ذلك قال له السلطان ياولدي نصطلح معك فقال السلطان سليم والله ما أصطلح معك ان لي عليك حقا ابقيه الى يوم القيامة فانزعج السلطان وقال لوزرائه اعلموا ان ولدي هذا والذي عملك هذا افتحت ثم ختمتهما وارسلهما الى والدتهما فلما تم أمر الخاتمة بدا للسلطان محمد خان ان يسافر الى بلاد اناطولي فقام وخيم بعسكره ظاهر اسكدار بسفح جبل هناك يقال له مادل بي فاتفق ان مرض السلطان مرض الموت فأوصى بالملك الى ولده بايزيد وذلك في سنة ست وثمانين وثمانمائة وتوفي ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الاول من السنة المذكورة فغسل وصلي عليه بجامعه الذي انشأه وكانت مدة ملكه استقلالا بعد أبيه احدى وثلاثين سنة وشهرين وعمره احدى وخمسون سنة

انما دعوك اليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعماله تجبى بلادهم فانما دعوك الى الحرب ولا آمن عليك ان يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا اليك فيكونوا أشد الناس عليك فقال الحسين فانى استخير الله وانظر ما يكون فخرج ابن عباس وأتاه ابن الزبير فحدثه ساعة ثم قال ما أدرى ما تركنا هؤلاء القوم وقد كففنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الامر دونهم خبرنى ما تريد أن تصنع فقال الحسين لقد حدثت نفسى باتيانى الكوفة ولقد كتبت الى شيعتى بها وأشراف الناس واستخير الله فقال له ابن الزبير أما لو كان لى بها مثل شيعتك لما عدلت عنها ثم خشى ان يتهمه فقال له اما انك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الامر ههنا لما خالفنا عليك وساعدناك وبايعناك ونصحنا لك فقال له الحسين ان أبى حدثنى ان لها كبشا به تستحل حرمتها فما أحب ان أكون انا ذلك الكبش قال فاقم ان شئت وتولينى أنا الامر فتطاع ولا تعصى قال ولا أريد هذا أيضا ثم انهما اخفيا كلامهما فالتفت الحسين الى من هناك وقال أتدرون ما يقول قالوا لا ندرى جعلنا الله فداك قال انه يقول أقم فى هذا المسجد اجمع لك الناس ثم قال له الحسين والله لأن أقتل خارجا منها بشبر أحب الى من ان أقتل فيها ولأن أقتل خارجا منها بشبرين أحب الى من ان أقتل خارجا منها بشبر وايم الله لو كنت فى جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجونى حتى يقضوا فى حاجتهم والله ليعتدن على كما اعتدت اليهود فى السبت فقام ابن الزبير فخرج من عنده فقال الحسين ان هذا ليس شئ من الدنيا احب اليه من ان اخرج من الحجاز وقد علم ان الناس لا يعدلونه بى فود أنى خرجت حتى يخلو له قال فلما كان من العشى أو من الغد اتاه ابن عباس فقال يا ابن عم انى أتصبر ولا أصبر انى اتخوف عليك فى هذا الوجه الهلاك والاستئصال ان أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم أقم فى هذا البلد فانك سيد أهل الحجاز فان كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب اليهم فلينفوا عاملهم وعدوهم ثم اقدم عليهم فان أبيت الا ان تخرج فسر الى اليمن فان بها حصونا وشعابا وهى أرض عريضة طويلة ولابيك بها شيعة وأنت من الناس فى عزلة فتكتب الى الناس وترسل وتبث دعاتك فانى أرجو ان يأتيك عند ذلك الذى تحب فى عافية فقال له الحسين يا ابن عم انى والله لاعلم انك ناصح مشفق وقد ازمعت واجمعت المسير فقال له ابن عباس فان كنت سائرا فلا تسر بنسائك وصبيتك فانى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه ثم قال له ابن عباس لقد اقررت عين ابن الزبير بخروجك من الحجاز وهو اليوم لا ينظر اليه أحد معك والله الذى لا اله الا هو لو اعلم انى ان أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علينا الناس اطعتنى فاقمت لفعلت ذلك ثم خرج ابن عباس من عنده فمر بابن الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير ثم أنشد قائلا

يا لك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضى واصفرى * ونقرى ما شئت ان تنقرى

هذا الحسين يخرج الى العراق ويخليك والحجاز قيل وكان الحسين يقول والله لا يدعونى حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفى فاذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرام المرأة قال والفرام خرقة تجعلها المرأة فى قبلها اذا حاضت ثم خرج الحسين يوم التروية فاعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص وهو أمير على الحجاز ليزيد بن معاوية مع أخيه يحيى يمنعونه فأبى عليهم ومضى وتضاربوا بالسياط وامتنع الحسين وأصحابه وساروا فمروا بالتنعيم فرأى بها

فلما أوصى السلطان محمد بالملك لولده بايزيد خان وهو قد كان توجه فى ذلك العام الى سفر الحج فقيل له ذلك فقال والله ما أثنى عن هذا السفر أبدا وان ولدى قورقود ينوب عنى فى السلطنة الى ان أعود فاستقر قرقود على التخت نيابة عن والده وأحسن الى الجند واستمال خواطرهم وضاعف عطاياهم فاحبوه محبة عظيمة وكان سنه اذ ذاك اثنتى عشرة سنة فغاب السلطان بايزيد مدة تسعة أشهر فاقام شعار الملك السلطان قورقود وخطب له على المنابر وضرب على وجوه الدراهم والدنانير باسمه فلما عاد أبوه من الحج ووصل الى أزنيق مكث هناك حتى استقبله ولده مع الوزراء والعساكر وخلع نفسه عن الملك ودعا له والده وانصرف الى مكانه مغنيسا وكان يقول والده هذه عارية السلطان قورقود

واستقر فى الملك

(السلطان الغازى ضياء الدين بايزيد خان بن السلطان محمد خان)

جلس على سرير الملك فى ثامن عشر ربيع الاول سنة سبع وثمانين وثمانمائة وعمره اذ ذاك ثلاثون سنة وهو من أعيان السلاطين

عيرا قد أقبلت من اليمن بعث بها بحير بن ريسان من اليمن الى يزيد بن معاوية وكان عامله على اليمن
وعلى العير الورس والحلل فاخذها الحسين وقال لاصحاب الابل من احب منكم ان يمضى معنا
الى العراق أوفينا كراه واحسنا صحبته ومن احب ان يفارقنا من مكاننا أعطيناه نصيبه من
الكراء فمن فارق منهم أعطاه حقه ومن سار معه أعطاه كراه وكساه ثم سار فلما انتهى الى
الصفاح لقيه الفرزدق الشاعر فقال له أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب فقال له الحسين بين
لى خبر الناس خلفك قال الخبير سألت قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء ينزل
من السماء والله يفعل ما يشاء فقال الحسين صدقت لله الامر يفعل ما يشاء وكل يوم ربنا فى شأن
ان نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر وان حال القضاء
دون الرجاء فلم يعتد من كان الحق نيته والتقوى سريرته قال وأدرك الحسين كتاب عبد الله
ابن جعفر مع ابنيه عون ومحمد وفيه أما بعد فانى اسألك بالله لما انصرفت حين تقرأ كتابى هذا
فانى مشفق عليك من هذا الوجه ان يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك ان هلكت
اليوم طفئ نور الارض فانك علم المهتدين ورجاء المؤمنين فلا تعجل بالسير فانى فى أثر كتابى
والسلام قيل وقام عبد الله بن جعفر الى عمرو بن سعيد فقال له اكتب للحسين كتابا تجعل له
الامان فيه وتمنيه فيه البر والصلة واسأله الرجوع وكان عمرو عامل يزيد على مكة ففعل
عمرو ذلك وأرسل الكتاب مع أخيه يحيى بن سعيد ومع عبد الله بن جعفر فلحقاه وقرآ عليه
الكتاب وجهدا ان يرجع فلم يفعل وكان مما اعتذر به اليهما ان قال انى رأيت رؤيا رأيت فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرت فيها بامر انا ماض له على كان اولى فقالا ما تلك الرؤيا
قال ما حدثت بها أحدا وما انا محدث بها أحدا حتى القى ربى ولما بلغ ابن زياد مسير الحسين من
مكة بعث الحصين بن نمير التميمى صاحب شرطته فنزل القادسية ونظم الخيل ما بين القادسية الى
الى خفان وما بين القادسية الى القطقطانة والى جبل لعلع فلما بلغ الحسين الحاجر كتب الى أهل
الكوفة مع قيس بن مسهر الصيداوى يعرفهم قدومه ويأمرهم بالجد فى أمرهم فلما انتهى
قيس الى القادسية أخذه الحصين فبعث به الى ابن زياد فقال له ابن زياد اصعد القصر فسب
الكذاب ابن الكذاب الحسين بن على فصعد قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان هذا الحسين
ابن على خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم انا رسوله اليكم وقد فارقته
بالحاجر فاجيبوه ثم لعن ابن زياد وأباه واستغفر لعلى فامر به ابن زياد فرمى من أعلى القصر
فتقطع فمات ثم أقبل الحسين يسير نحو الكوفة فانتهى الى ماء من مياه العرب فاذا عليه عبد الله
ابن مطيع فلما رآه قام اليه فقال بابى أنت وأمى يا ابن رسول الله ما اقدمك فاحتمله فانزله فاخبره
الحسين فقال له عبد الله أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الاسلام ان تنتهك أنشدك الله
فى حرمة قريش أنشدك الله فى حرمة العرب فوالله لئن طلبت ما فى أيدى بنى أمية ليقتلنك
ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحدا أبدا والله انها الحرمة الاسلام وحرمة قريش وحرمة العرب
فلا تفعل ولا تأت الكوفة ولا تعرض نفسك لبنى أمية فأبى الا ان يمضى وكان زهير بن القين
البجلى قد حج وكان عثمانيا فلما عاد جمعهما الطريق وكان يساير الحسين من مكة الا أنه لا ينزل
معه فاستدعاه يوما الحسين فشق عليه ذلك ثم اجابه على كره فلما عاد من عنده نقل ثقله الى ثقل

الحسين

العظماء تفرع من شجرة
طيبة أصلها ثابت وفرعها
فى السماء وتزينت باسمه
رؤس المنابر وتوشحت بذكره
صدور المنائر فلما بلغ أخاه
جم سلطان ذلك وافى الى
طرف بروسة وهى التخت
قديما فاستولى عليها وصادر
الناس على أموال كثيرة ثم
قام منها الى قتال أخيه
السلطان بايزيد خان فالتقى
العسكران فى المكان
المعروف بسلطان أوكى
على شاطئ نهر يكى شهر
فوقع بينهما قتال شديد ثم
انتصر السلطان بايزيد خان
على أخيه جم وانهزم الى
طرف حلب مستنصرا بالملك
الاشرف قايتباى فلما وصل
الى مدينة مصر بدا له ان
يحج الى بيت الله الحرام
فاكرمه السلطان قايتباى
اكراما عظيما فلما اتم
مناسك الحج وعاد الى البلاد
القرمانية استمال طائفة
من الوارسق وطورغود
فنهض معهم الى قتال أخيه
فلما تقاتل معه انهزم مرة
أخرى أقبح من الاولى
فوصل الى ساحل البحر والتقى
هناك سفينة تريد البلاد
الافرنجية فركبها حتى وصل
الى بلاد الكيتلان فاكرمه
ملكها غاية الاكرام وعين
له الاقامة فى أنابولى وهى

الحسين ثم قال لاصحابه من احب منكم ان يتبعني والا فانه آخر العهد وسأحدثكم حديثا غزونا بالبحر ففتح علينا وأصبنا غنائم ففرحنا وكان معنا سلمان الفارسي فقال لنا اذا أدركتم سيد شباب أهل محمد فكونوا أشد فرحا بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم فاما انا فاستودعكم الله ثم طلق زوجته وقال لها الحقي باهلك فاني لا أحب ان يصيبك في سببي الا خير ولزم الحسين حتى قتل معه وأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل بالثعلبية فقال له بعض اصحابه ننشدك الله الا رجعت من مكانك فانه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف عليك ان يكونوا عليك فوثب بنو عقيل وقالوا والله لا نبرح حتى ندرك ثارنا او نذوق كما ذاق مسلم فقال الحسين لا خير في العيش بعد هؤلاء فقال له بعض اصحابه انك والله ما انت مثل مسلم بن عقيل ولو قدمت الكوفة لكان الناس اليك أسرع ثم ارتحلوا فانتهوا الى زبالة وكان لا يمر بماء الا اتبعه من عليه حتى انتهى الى زبالة فاتاه خبر مقتل اخيه من الرضاعة عبد الله بن بقطر وكان سرحه الى مسلم ابن عقيل من الطريق وهو لا يعلم بقتله فاخذته خيل الحصين فسيره من القادسية الى ابن زياد فقال له اصعد فوق القصر والعن الكذاب ابن الكذاب ثم انزل حتى ارى فيك رايي فصعد فاعلم الناس بقدوم الحسين ولعن ابن زياد واباه فالقاه من القصر فتكسرت عظامه وبقي به رمق فاتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه فلما عيب ذلك عليه قال انما اردت ان اريحه قال بعضهم لم يكن الذي ذبحه عبد الملك بن عمير ولكنه رجل يشبه عبد الملك فلما اتى الحسين خبر قتل اخيه من الرضاعة ومسلم بن عقيل اعلم الناس ذلك وقال قد خذلنا شيعتنا فمن احب ان ينصرف فلينصرف ليس عليه منا ذمام فتفرقوا يمينا وشمالا حتى بقي في اصحابه الذين جاؤا معه من مكة وانما فعل ذلك لانه علم ان الاعراب ظنوا انه يأتي بلدا قد استقامت له طاعة اهله فاراد ان يعلموا على ما يقدمون عليه ثم سار حتى نزل بطن العقبة فلقيه رجل من العرب فقال له انشدك الله لما انصرفت فوالله ما تقدم الا على الاسنة وحد السيوف ان هؤلاء الذين بعثوا اليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطؤا لك الاشياء فقدمت عليهم لكان ذلك رايا فاما على هذه الحال التي تذكر فلا ارى ان تفعل فقال انه لا يخفى علي ما ذكرت ولكن الله عز وجل لا يغلب على امره ثم ارتحل منها

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة حج بالناس عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق وكان العامل على مكة والمدينة وفيها مات جرهد الاسلمي له صحبة وفي ايام معاوية مات حارثة بن النعمان الانصاري وهو بدري وفي ايامه ايضا مات دحية بن خليفة الكلبي الذي كان يشبهه جبريل اذا نزل بالوحي وفي اول خلافته مات رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان الانصاري وكان بدريا وشهد مع علي الجمل وصفين وفي ايامه مات عمرو بن امية الضمري بالمدينة وفي ايامه مات عثمان بن حنيف الانصاري وعثمان بن ابي العاص الثقفي وفي ايامه مات عتبان بن مالك الانصاري شهد بدرا وفي ايام معاوية مات سهل بن الحنظلية وهو ابن الربيع الانصاري بدمشق وفي ايامه بعد سنة سبع وخمسين مات السائب بن ابي وداعة السهمي ومات في ايامه سراقة بن عمرو الانصاري وهو بدري وفي ايامه مات زياد بن لبيد الانصاري في اولها وهو بدري وفي ايامه مات معقل بن يسار

من أجل بلادهم وأنزهها فلم يزل هناك حتى اغتاله أخوه السلطان بايزيدخان بان بعث رجلا من خواص غلمانه وهو مصطفى باشا الوزير الذي استوزره بعده في صورة حلاق مجيد كأنه هارب من المسلمين فحظي عند ملك الافرنج ولم يزل عنده حتى وصفه الملك عند جم سلطان بانه ماهر في صنعة الحلاقة كامل في الخدمة فاستدعاه وأمر بحلق رأسه فحلقه وكان معه موسى مسمومة فاتفق انه توفي عقيب الحلق ولم يشك الافرنج في أنه مات حتف أنفه ثم تخلص الحلاق المذكور ولحق بالبلاد الاسلامية فحظي عند السلطان بايزيدخان بذلك الى الغاية فجعله وزيرا وفي سنة ثمان وثمانين وثمانمائة بنى السلطان المذكور لازال في عز وسرور بمدينة أدرنة على شط النهر الموسوم بتونجه جامعا ومدرسة ومأكلا ثم سار من الغد الى بلاد قره بغدان فافتتح قلعة كلي وقلعة آق كرمان وفيها فتحت قلعة ملوان وقلعة طرسوس وقلعة نقشه وقلعة كولك وفيها كان ابتداء الفتن بين السلطان بايزيد وبين السلطان قايتباى

المزني واليه ينسب نهر معقل بالبصرة وقيل مات في ايام يزيد (معقل بالعين المهملة والقاف ويسار بالياء المثناة والسين المهملة) وفي أيامه مات ناجية بن جندب بن عمير صاحب بدن النبي صلى الله عليه وسلم وفيها مات نعيمان بن عمرو بن رفاعة الانصاري وهو الذي كان فيه مزاح ودعابة وشهد بدرا وقيل بل الذي مات ابنه وفي آخر أيامه مات عبد الله بن مالك بن بحينة له صحبة وفيها مات عبد الله بن مغفل بن عبد غنم المزني بالبصرة (ومغفل بضم الميم وفتح الغين المعجمة وفتح الفاء المشددة) وفي أيامه مات هند بن جارية بن هند الاسلمي وفي سنة ستين توفي حكيم بن حزام وله مائة وعشرون سنة ستون في الجاهلية وستون في الاسلام وفيها مات أبو أسيد الساعدي واسمه مالك بن ربيعة وهو بدري وقيل مات سنة خمس وستين وهو آخر من مات من البدريين وقيل مات سنة ثلاثين ولا يصح وفي اول أيام معاوية مات أبو بردة هاني بن نيار البلوي حليف الانصار وهو عقبي بدري وشهد مع علي حروبه كلها وفي أيامه مات أبو ثعلبة الخشني له صحبة وقيل مات سنة خمس وسبعين وفي أيامه مات أبو جهم بن حذيفة العدوي القرشي في آخرها وقيل شهد بنيان الكعبة أيام ابن الزبير وكان قد شهد قريشا حين بنتها وفي أول أيامه مات أبو حثمة الانصاري والدسهل وفي آخر أيامه مات أبو قيس الجهني شهد الفتح وفي سنة ستين توفي صفوان بن المعطل السلمي بسميساط وقيل انه قتل شهيدا قبل هذا وفيها توفيت الكلابية التي استعاذت من النبي صلى الله عليه وسلم حين تزوجها ففارقها وكانت قد أصابها جنون وتوفي بلال بن الحرث المزني أبو عبد الرحمن وفي آخر أيامه مات وائل بن حجر الحضرمي وأبو ادريس الخولاني (هند بن جارية بالجيم والياء المثناة من تحتها وحارثة بن النعمان بالحاء المهملة والثاء المثلثة ابو أسيد بضم الهمزة وفتح السين)

(ثم دخلت سنة احدى وستين)

(ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه)

وسار الحسين من شراف فلما انتصف النهار كبر رجل من أصحابه فقال له مما كبرت قال رأيت النخل فقال رجلان من بني أسد ما بهذه الارض نخلة قط فقال الحسين فما هو فقالا لا نراه الا هوادي الخيل فقال وانا أيضا أراه ذلك وقال لهما أما لنا ملجأ نلجأ اليه نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد فقالا بلى هذا ذو حسم الى جنبك تميل اليه عن يسارك فان سبقت القوم اليه فهو كما تريد فمال اليه فما كان باسرع من ان طلعت الخيل وعدلوا اليهم فسبقهم الحسين الى الجبل فنزل وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي ثم اليربوعي فوقفوا مقابل الحسين وأصحابه في نحر الظهيرة فقال الحسين لاصحابه وفتيانه اسقوا القوم ورشفوا الخيل ترشيفا ففعلوا وكان مجيء الحر من القادسية أرسله الحصين بن نمير التميمي في هذه الالف يستقبل الحسين فلم يزل مواقفا الحسين حتى حضرت صلاة الظهر فامر الحسين مؤذنه بالاذان فاذن وخرج الحسين اليهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس انها معذرة الى الله واليكم اني لم آتكم حتى اتتني كتبكم ورسلكم ان اقدم الينا فليس لنا امام لعل الله ان يجمعنا بك على الهدى فقد جئتكم فان تعطوني ما أطمئن اليه من عهودكم اقدم مصركم وان لم تفعلوا أو كنتم بقدمي كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذي اقبلت منه فسكتوا وقالوا للمؤذن

صاحب مصر والشام وذلك بسبب ان الملك الاشرف قايتباي كان قد آوى أخاه جم سلطان واكرمه فاغتاظ من ذلك السلطان بايزيد خان ولما تعرض علاء الدين ذو الغادر الى بعض بلاد قايتباي جهز له قايتباي جيشا لقتاله استعان عليهم علاء الدين المذكور بالسلطان بايزيد فامده بعسكر وقواه ببعض امرائه الشجعان ثم لم تزل الفتن والحروب بين الفئتين واستولى جيش هذا تارة على كولك وسيس وقيسارية واذنة وعينتاب واستولى جيش ذلك عليها تارة أخرى بعد ان جرى بينهما ما الاخبر فيه حتى تم الصلح بينهما وفي سنة سبع وتسعين وثمانمائة توجه الوزير يعقوب باشا لغزو بلاد بوشنة فظفر بملكها درغجيل وقيده في وثاق وارسله الى السلطان بايزيد خان وفي سنة احدى وتسعمائة توفي السلطان قايتباي واستولى الملك السعيد بايزيد على القلاع المتنازع فيها بينهما وفي سنة ثلاث وتسعمائة شرع السلطان بايزيد خان في بناء الجامع بقرب دار السعادة العتيقة بمدينة قسطنطينية

اقم فأقام وقال الحسين للحر أتريد أن تصلي أنت بأصحابك فقال بل صل أنت ونصلي بصلاتك
فصلى بهم الحسين ثم دخل واجتمع اليه أصحابه وانصرف الحر الى مكانه ثم صلى بهم الحسين العصر
ثم استقبلهم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فانكم ان تتقوا الله وتعرفوا
الحق لأهله يكن أرضى لله ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الامر من هؤلاء المدعين
ما ليس لهم والسائرين فيكم بالجور والعدوان فان أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير
ما أتتني به كتبكم ورسلكم انصرفت عنكم فقال الحر انا والله ما ندري ما هذه الكتب والرسل
التي تذكر فأخرج خرجين مملوأين صحفا فنثرها بين أيديهم فقال الحر فانا لسنا من هؤلاء الذين
كتبوا اليك وقد أمرنا أنا اذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله
ابن زياد فقال الحسين الموت أدنى اليك من ذلك ثم أمر أصحابه فركبوا لينصرفوا فمنعهم
الحر من ذلك فقال له الحسين ثكلتك أمك ما تريد فقال له أما والله لو غيرك من العرب يقولها
ما تركت ذكر أمه بالثكل كائنا من كان ولكني والله ما لي الى ذكر أمك من سبيل الا بأحسن
ما يقدر عليه فقال له الحسين ما تريد قال الحر أريد أن أنطلق بك الى ابن زياد قال الحسين اذن
والله لا أتبعك قال الحر اذن والله لا أدعك فترادا الكلام فقال له الحر اني لم أومر بقتالك وانما
أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة ولا تردك الى المدينة
حتى أكتب الى ابن زياد وتكتب أنت الى يزيد أو الى ابن زياد فلعل الله أن يأتي بأمر يرزقني
فيه العافية من أن ابتلى بشيء من أمرك فتياسر عن طريق العذيب والقادسية والحر يسايره
ثم ان الحسين خطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن
يدخله مدخله ألا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد
وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وانا أحق من غيري وقد أتتني
كتبكم ورسلكم ببيعتكم وانكم لا تسلموني ولا تخذلوني فان أقمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم
وانا الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسي مع نفسكم وأهلي مع
أهلكم فلكم في أسوة وان لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي فلعمري ما هي لكم بنكير
لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم بن عقيل والمغرور من اغتر بكم فحظكم أخطأتم
ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فانما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام فقال له الحر اني
أذكرك الله في نفسك فاني أشهد لئن قاتلت لتقتلن فقال له الحسين أبالموت تخوفني وهل
يعدو بكم الخطب أن تقتلوني وما أدري ما أقول لك ولكني أقول كما قال أخو الاوس لابن عمه
وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أين تذهب فانك مقتول فقال

سأمضي وما بالموت عار على الفتى * اذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما
وواسى رجالا صالحين بنفسه * وخالف مثبورا وفارق مجرما
فان عشت لم أندم وان مت لم ألم * كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

فلما سمع ذلك الحر تنحى عنه فكان يسير ناحية عنه حتى انتهى الى عذيب الهجانات كان به

وفي سنة خمس وتسعمائة سار السلطان الغازي بايزيد خان بعساكره فاستولى على قلعة اينه بختي وعلى قلعة متون وعلى قلعة قرون وفي سنة ثمان وتسعمائة ظهر شاه اسمعيل بن حيدر الصفوي في أطراف الشرق واستفحل أمره وانتزع الملك من يد أخواله وفي سنة ست عشرة وتسعمائة ظهر في بلد تكه بك بازاري من أعمال مدينة أنقرة رجل يقال له شيطان قولي فانتسب الى شاه اسمعيل ملك العجم واجتمع عنده كل شقي مفسد مارق عن الدين حتى صار له جماعة عظيمة فسير السلطان الى قتالهم طائفة مع الوزير الاعظم علي باشا فلما تراءى الجمعان استقبل الوزير جمعهم فهجم عليهم شرذمة من العسكر فقتلوه ثم لم يقابلهم أحد حتى اتصل الى اسمعيل المذكور وفي سنة ثمان عشرة وتسعمائة نزل السلطان بايزيد خان عن السلطنة لولده السلطان سليم خان وسبب ذلك ان السلطان بايزيد خان شاخ وكبر سنه وتعطلت رجله عن الحركة بعلة النقرس فرام الفراغ عن الملك لولده السلطان أحمد أمير اماسية

هجانات النعمان ترعى هنالك فنسب اليها فاذا هو بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم
يجنبون فرسا للنافع بن هلال يقال له الكامل ومعهم دليلهم طرماح بن عدى فانتهوا الى
الحسين فاقبل اليهم الحر وقال ان هؤلاء النفر من أهل الكوفة وانا حابسهم أو رادهم فقال
الحسين لامنعنهم مما امنع منه نفسى انما هؤلاء أنصارى وهم بمنزلة من جاء معى فان تممت على
ما كان بينى وبينك والا ناجزتك فكف الحر عنهم فقال لهم الحسين أخبرونى خبر الناس خلفكم
فقال له مجمع بن عبيد الله العامرى وهو أحدهم أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت
غرائرهم فهم الب واحد عليك وأما سائر الناس بعدهم فان قلوبهم تهوى اليك وسيوفهم غدا
مشهورة عليك وسألهم عن رسوله قيس بن مسهر فاخبروه بقتله وما كان منه فترقرقت عيناه
بالدموع ولم يملك دمعته ثم قرأ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا اللهم اجعل
لنا ولهم الجنة واجمع بيننا وبينهم فى مستقر رحمتك ورغائب مذخور ثوابك وقال له الطرماح
ابن عدى والله ما أرى معك كثير أحد ولو لم يقاتلك الا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى
بهم ولقد رأيت قبل خروجى من الكوفة بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس مالم تر عيناى جمعا فى
صعيد واحد أكثر منه قط ليسيروا اليك فانشدك الله ان قدرت على ان لاتقدم اليهم شبرا فافعل
فان أردت ان تنزل بلدا يمنعك الله به حتى ترى رأيك ويستبين لك ما أنت صانع فسر حتى انزلك
جبلنا أجأ فهو والله جبل امتنعنا به من ملوك غسان وحمير والنعمان بن المنذر ومن الاحمر
والابيض والله ما ان دخل علينا ذل قط فاسير معك حتى أنزلك ثم تبعث الى الرجال ممن بأجا
وسلمى من طى فوالله لا يأتى عليك عشرة أيام حتى يأتيك طى رجالا وركبانا ثم أقم فينا ما بدا لك
فان هاجك هيج فانا زعيم لك بعشرين ألف طائى يضربون بين يديك باسيافهم فوالله لا يوصل
اليك أبدا وفيهم عين تطرف فقال له جزاك الله وقومك خيرا انه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم
قول لسنا نقدر معه على الانصراف ولاندرى على ما تتصرف بنا وبهم الامور فودعه وسار الى
أهله ووعده ان يوصل الميرة الى أهله ويعود الى نصره ففعل ثم عاد الى الحسين فلما بلغ عذيب
الهجانات لقيه خبر قتله فرجع الى أهله ثم سار الحسين حتى بلغ قصر بنى مقاتل فرأى فسطاطا
مضروبا فقال لمن هذا فقيل لعبيد الله بن الحر الجعفى فقال ادعوه لى فلما اتاه الرسول يدعوه
قال انا لله وانا اليه راجعون والله ما خرجت من الكوفة الا كراهية ان يدخلها الحسين
وأنا بها والله ما أريد أن اراه ولا يرانى فعاد الرسول الى الحسين فأخبره فلبس الحسين نعليه ثم
جاء فسلم عليه ودعاه الى نصره فاعاد عليه ابن الحر تلك المقالة قال فالا تنصرنى فاتق الله أن
تكون ممن يقاتلنا فوالله لا يسمع داعيتنا احد ثم لا ينصرنا الا هلك فقال له أما هذا فلا يكون
ابدا ان شاء الله تعالى ثم قام الحسين فخرج الى رحله ثم سار ليلا ساعة فخفق برأسه خفقة
ثم انتبه وهو يقول انا لله وانا اليه راجعون والحمد لله رب العالمين فاقبل اليه ابنه على بن
الحسين فقال يا ابت جعلت فداك مم حمدت واسترجعت قال يا بنى انى خفقت خفقة فعن لى
فارس على فرس فقال القوم يسيرون والمنايا تسير اليهم فعلمت ان انفسنا نعيت الينا فقال
يا ابت لا اراك الله سوأ ألسنا على الحق قال بلى والذى يرجع اليه العباد قال اذن لانبالى ان
نموت محقين فقال له جزاك الله من ولد خير ما جزى ولدا عن والده فلما اصبح نزل فصلى ثم عجل

الركوب

وهو أكبر أولاده وأحبهم
اليه على حسب ما فعله
السلطان مراد خان بولده
السلطان محمد خان فاغتاظ
من ذلك ولده السلطان سليم
خان فقام وتوجه الى طرف
القسطنطينية كأنه يريد
زيارة أبيه السلطان بايزيد
خان وتقبيل يده وليس له
غرض فى الملك فلما وقف
السلطان بايزيد خان على
جلية الامر نهض من
قسطنطينية بعساكره
واستقبل ولده المذكور
ولاقاه بين قسطنطينية
وأدرنة بقرب مدينة جورلى
امام قرية أوغراش فجرى
بينهما حرب شديد ثم انجلى
عن هزيمة سليم خان فرام
العسكر ان يطردوه فمنعهم أبوه
السلطان بايزيد خان وقال
اتركوه لعله ينصلح وأما
السلطان سليم فانه ركب
البحر من بندرادونه وقصد
بلاد كفة فبينما هو فيه اذ
بعث السلطان بايزيد خان
الى ولده أحمد يدعوه الى
الملك وتقليد الامر اليه
فلم يرض وتعلل فى ذلك بان
هذا لا يمكن ان يقبله فى حياة
والده وانه يخاف من الطائفة
الينكجرية فانهم هواهم
مع أخيه سليم خان وبالجملة
لما علم أبوه انه ليس لابنه أحمد
منهم ولا نصيب فى الملك وان

الركوب فاخذ يتياسر باصحابه يريد أن يفرقهم فاتى الحر فرده وأصحابه فجعل اذا ردهم نحو الكوفة ردا شديدا امتنعوا عليه وارتفعوا فلم يزالوا يتياسرون حتى انتهوا الى نينوى المكان الذى نزل به الحسين فلما نزلوا اذا راكب مقبل من الكوفة فوقفوا ينتظرونه فسلم على الحر ولم يسلم على الحسين واصحابه ودفع الى الحر كتابا من ابن زياد فاذا فيه اما بعد فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولى فلا تنزله الا بالعراء فى غير حصن وعلى غير ماء وقد امرت رسولى ان يلزمك فلا يفارقك حتى يأتينى بانفاذك امرى والسلام فلما قرأ الكتاب قال لهم الحر هذا كتاب الامير يأمرنى أن اجعجع بكم فى المكان الذى يأتينى فيه كتابه وقد امر رسوله ان لا يفارقنى حتى أنفذ رأيه وامره واخذهم الحر بالنزول على غير ماء ولا فى قرية فقالوا دعنا ننزل فى نينوى أو الغاضرية أو شفية فقال لا استطيع هذا الرجل قد بعث عينا على فقال زهير بن القين للحسين انه لا يكون والله بعد ما ترون الا ما هو اشد منه يا ابن رسول الله وان قتال هؤلاء الساعة اهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم فلعمرى ليأتيننا من بعدهم ما لا قبل لنا به فقال الحسين ما كنت لابدأهم بالقتال فقال له زهير سر بنا الى هذه القرية حتى ننزلها فانها حصينة وهى على شاطئ الفرات فان منعونا قاتلناهم فقتالهم اهون علينا من قتال من يجئ بعدهم فقال الحسين ماهى قال العقر قال اللهم انى اعوذ بك من العقر ثم نزل وذلك يوم الخميس الثانى من محرم سنة احدى وستين فلما كان الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن ابى وقاص من الكوفة فى اربعة آلاف وكان سبب مسيره اليه ان عبيد الله بن زياد كان قد بعثه على اربعة آلاف الى دستبى وكانت الديلم قد خرجوا اليها وغلبوا عليها وكتب له عهده على الرى فعسكر بالناس فى حمام اعين فلما كان من امر الحسين ما كان دعا ابن زياد عمر بن سعد وقال له سر الى الحسين فاذا فرغنا مما بيننا وبينه سرت الى عملك فاستعفاه فقال نعم على ان ترد عهدنا فلما قال له ذلك قال امهلنى اليوم حتى انظر فاستشار نصحاءه فكلهم نهاه واتاه حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن اخته فقال انشدك الله يا خالى ان لا تسير الى الحسين فتأثم وتقطع رحمك فوالله لان تخرج من دنياك ومالك وسلطان الارض لو كان لك خير من ان تلقى الله بدم الحسين فقال افعل وبات ليلته مفكرا فى امره فسمع وهو يقول

أأترك ملك الرى والرى رغبة * ام ارجع مذموما بقتل حسين
وفى قتله النار التى ليس دونها * حجاب وملك الرى قرة عين

ثم اتى ابن زياد فقال له انك قد وليتنى هذا العمل وسمع الناس به فان رأيت ان تنفذ لى ذلك فافعل وابعث الى الحسين من اشراف الكوفة من لست أغنى فى الحرب منه وسمى اناسا فقال له ابن زياد لست استأمرك فيمن اريد ان ابعث فان سرت بجندنا والا فابعث الينا بعهدنا قال فانى سائر فاقبل فى ذلك الجيش حتى نزل بالحسين فلما نزل به بعث اليه رسولا يسأله ما الذى جاء به فقال الحسين كتب الى اهل مصركم هذا ان اقدم عليهم فاما اذ كرهونى فانى انصرف عنهم فكتب عمر الى ابن زياد يعرفه ذلك فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال

الآن اذ علقت مخالبنا به * يرجو النجاة ولات حين مناص

ثم كتب الى عمر يأمره ان يعرض على الحسين بيعة يزيد فاذا فعل ذلك رأينا رأينا وان يمنعه ومن

الملك لله يؤتيه من يشاء وخاف على الملك أرسل الى ولده السلطان سليم خان يدعوه الى الملك وتسليم الامر اليه فقدم سليم خان بالرأى الحازم والسيف الصارم حتى قرب من قسطنطينية فامر السلطان بايزيد خان العسكر ووجوه الامراء والوزراء فاستقبلوه وهنؤه بالملك فلما اراد الدخول الى البلد رفعت الينكجرية سيوفهم ورماحهم والعسكر رماحهم وشبكوا بعضها ببعض وقالوا فليعبر السلطان من تحت سيوفنا ورماحنا حتى يكون من تحت أيدينا فعرف السلطان قصدهم فانف من ذلك وما اختاره لشهامة نفسه ودخل البلد من باب آخر على حين غفلة من اهلها واجتاز من وسط بكى باغجة حتى دخل دار السعادة ولم يشعر بذلك احد من العسكر الا بعد ان وصل الى مقر الخلافة ثم وعدهم بخير كثير وطيب خواطرهم فتفرقوا ودخل على ابيه وسلم عليه وقبل يديه فعند ذلك دعا له ابوه بالخير وقلده الامر واوصاه بأشياء تليق بالسلطنة ثم امر من يومه بتجهيز اسباب السفر له للاقامة بمدينة ديمه توقه

معه الماء فارسل عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا
بين الحسين و بين الماء وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام ونادى عبد الله بن أبي الحصين الازدي
وعداده في بجيلة يا حسين أما تنظر الى الماء لاتذوق منه قطرة حتى تموت عطشا فقال الحسين
اللهم اقتله عطشا ولاتغفر له أبدا قال فمرض فيما بعد فكان يشرب الماء القلة ثم يقئ ثم يعود
فيشرب حتى يتغرغر ثم يقئ ثم يشرب فما يروى فما زال كذلك حتى مات فلما اشتد العطش على
الحسين وأصحابه أمر اخاه العباس بن علي فسار في عشرين راجلا يحملون القرب وثلاثين
فارسا فدنوا من الماء فقاتلوا عليه وملؤا القرب وعادوا ثم بعث الحسين الى عمر بن سعد عمرو
ابن قرظة بن كعب الانصاري ان القنى الليلة بين عسكري وعسكرك فخرج اليه عمر فاجتمعا
وتحادثا طويلا ثم انصرف كل واحد منهما الى عسكره وتحدث الناس ان الحسين قال لعمر بن
سعد اخرج معي الى يزيد بن معاوية وندع العسكرين فقال عمر اخشى ان تهدم داري قال
ابنيها لك خيرا منها قال تؤخذ ضياعي قال أعطيك خيرا منها من مالي بالحجاز فكره ذلك عمر
وتحدث الناس بذلك ولم يسمعوه وقيل بل قال له اختاروا مني واحدة من ثلاث اما ان ارجع
الى المكان الذي أقبلت منه وأما ان أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبينه رأيه
وأما أن تسيروا بي الى أي ثغر من ثغور المسلمين شئتم فأكون رجلا من أهله لي ما لهم وعلي
ما عليهم وقد روي عن عقبة بن سمعان انه قال صحبت الحسين من المدينة الى مكة ومن مكة الى
العراق ولم افارقه حتى قتل وسمعت جميع مخاطباته الناس الى يوم مقتله فوالله ما أعطاهم
ما يتذاكر به الناس من انه يضع يده في يد يزيد ولا ان يسيروه الى ثغر من ثغور المسلمين ولكنه قال
دعوني ارجع الى المكان الذي أقبلت منه أو دعوني أذهب في هذه الارض العريضة حتى ننظر
الى ما يصير اليه أمر الناس فلم يفعلوا ثم التقى الحسين وعمر بن سعد مرارا ثلاثا أو أربعا فكتب
عمر بن سعد الى عبيد الله بن زياد أما بعد فان الله أطفأ النائرة وجمع الكلمة وقد أعطاني
الحسين ان يرجع الى المكان الذي أقبل منه أو ان نسيره الى اى ثغر من الثغور شئنا أو ان يأتي
يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده وفي هذا لكم رضا وللامة صلاح فلما قرا ابن زياد الكتاب
قال هذا كتاب رجل ناصح لاميره مشفق على قومه نعم قد قبلت فقام اليه شمر بن ذي الجوشن
فقال أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك والى جنبك والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك
ليكونن اولى بالقوة والعزة ولتكونن اولى بالضعف والعجز ولكن لينزل على حكمك هو
واصحابه فان عاقبت كنت ولي العقوبة وان عفوت كان ذلك لك والله لقد بلغني ان الحسين
وعمر يتحدثان عامة الليل بين العسكرين فقال ابن زياد نعم ما رايت اخرج بهذا الكتاب الى
عمر فليعرض على الحسين واصحابه النزول على حكمي فان فعلوا فليبعث بهم الى سلما وان
ابوا فليقاتلهم وان فعل فاسمع له واطع وان ابى فانت الامير عليه وعلى الناس واضرب عنقه
وابعث الى برأسه وكتب معه الى عمر بن سعد اما بعد فاني لم ابعثك الى الحسين لتكف عنه
ولا لتمنيه ولا لتطاوله ولا لتقعد له عندي شافعا انظر فان نزل الحسين واصحابه على الحكم
واستسلموا فابعث بهم الى سلما وان ابوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون
فان قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فانه عاق شاق قاطع ظلوم فان انت مضيت لامرنا

بمعرفة ابنه واجازة منه له
وكمل الشرع ولده سليم خان في
الاقامة معه لم يقدر وقال
السيفان لا يجتمعان في
قراب واحد فلما كان
السلطان بايزيد خان ببعض
الطريق رام ان يتوضأ
الصلاة الظهر فوضعوا له
السم في الماء فلما توضأ تساقط
شعر لحيته فاحس بذلك فقال
ردوني فردوه وتوفي قبل ان
يصل الى القسطنطينية
ودفن امام مدرسته التي
انشأها بالمدينة المزبورة
وكان رحمه الله ملكا جليلا
كبيرا عالما ورعا مجاهدا
مرابطا بنى المدارس
والجوامع والجسور
والقناطر وفتح فتوحات
جليلة عاش سعيدا ومات
شهيدا وكان له عدة اولاد
وصار لاولادهم اولاد منهم
السلطان احمد والسلطان
قورقود والسلطان جهان
شاه والسلطان سليم
والسلطان محمود والسلطان
عبد الله والسلطان علم شاه
فعين لاكبر اولاده السلطان
احمد مملكة اماسية
وما والاها وكان يتوقع منه
ان يكون ولي عهده ويأبى
الله الا ما اراد وكان عين
للسلطان قورقود مملكة
مغنيسا وجعل للسلطان
سليم مملكة طربزون

جزيت الجزاء السامع المطيع وان أنت أبيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر وبين العسكر والسلام
فلما أخذ شمر الكتاب كان معه عبد الله بن أبي المحل بن حزام عند ابن زياد وكانت عمته ام البنين
بنت حزام عند علي فولدت له العباس وعبد الله وجعفرا وعثمان فقال لابن زياد ان رأيت ان
تكتب لبني اختنا امانا فافعل فكتب لهم امانا فبعث به مع مولى له اليهم فلما رأوا الكتاب قالوا
لا حاجة لنا في امانكم امان الله خير من امان ابن سمية فلما أتى شمر بكتاب ابن زياد الى عمر قال له
مالك ويلك قبح الله ما جئت به والله اني لاظنك أنت ثنيته ان يقبل ما كنت كتبت اليه به افسدت
علينا امرا كنا رجونا ان يصلح والله لا يستسلم الحسين أبدا والله ان نفس أبيه لبين جنبيه فقال له
شمر ما انت صانع قال أتولى ذلك ونهض اليه عشية الخميس لتسع مضين من المحرم وجاء شمر فدعا
العباس بن علي واخوته فخرجوا اليه فقال أنتم يا بني اختي آمنون فقالوا له لعنك الله ولعن امانك
لئن كنت خالنا أتؤمننا وابن رسول الله لا امان له ثم ركب عمر والناس معه بعد العصر والحسين
جالس امام بيته محتبيا بسيفه اذ خفق برأسه على ركبته وسمعت اخته زينب الضجة فدنت منه
فايقظته فرفع رأسه فقال اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال انك تروح الينا
قال فلطمت اخته وجهها وقالت يا ويلتاه قال ليس لك الويل يا أخية اسكتي رحمك الله قال له
العباس أخوه يا اخي أتاك القوم فنهض فقال يا اخي اركب بنفسي فقال له العباس بل أروح انا
فقال اركب أنت حتى تلقاهم فتقول مالكم وما بدا لكم وتسألهم عما جاء بهم فأتاهم في نحو عشرين
فارسا فيهم زهير بن القين فسألهم فقالوا جاء الامير بكذا وكذا قال فلا تعجلوا حتى ارجع الى
أبي عبد الله فأعرض عليه ماذكرتم فوقفوا ورجع العباس اليه بالخبر ووقف أصحابه يخاطبون
القوم ويذكرونهم الله فلما أخبره العباس بقولهم قال له الحسين ارجع اليهم فان استطعت ان
تؤخرهم الى غدوة لعلنا نصلي لربنا هذه الليلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم أني كنت أحب
الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار واراد الحسين أيضا ان يوصي اهله فرجع اليهم
العباس وقال لهم انصرفوا عنا العشية حتى ننظر في هذا الامر فاذا اصبحنا التقينا ان شاء الله
فاما رضيناه واما رددناه فقال عمر بن سعد ماترى يا شمر قال أنت الامير فاقبل على الناس فقال
ماترون فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي سبحان الله والله لو كان من الديلم ثم سألكم هذه المسئلة
لكان ينبغي أن تجيبوهم وقال قيس بن الاشعث بن قيس اجبهم لعمري ليصبحنك بالقتال غدوة
فقال لو اعلم ان يفعلوا ما اخرتهم العشية ثم رجع عنهم فجمع الحسين أصحابه بعد رجوع عمر فقال
أثني على الله أحسن الثناء واحمده على السراء والضراء اللهم اني أحمدك على ان اكرمتنا بالنبوة
وجعلت لنا اسماعا وابصارا وأفئدة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين فاجعلنا لك من الشاكرين
اما بعد فاني لا أعلم اصحابا أوفى ولا أخير من اصحابي ولا أهل بيت ابر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم
الله جميعا عني خيرا الا واني لاظن يومنا من هؤلاء الاعداء غدا واني قد أذنت لكم جميعا
فانطلقوا في حل ليس عليكم مني ذمام هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا وليأخذ كل رجل
منكم بيد رجل من أهل بيتي * فجزاكم الله جميعا خيرا ثم تفرقوا في البلاد في سوادكم ومدائنكم حتى
يفرج الله فان القوم يطلبوني ولو أصابوني لهوا عن طلب غيري فقال له اخوته وابناؤه وابناء
اخوته وابناء عبد الله بن جعفر لم نفعل هذا لنبقى بعدك لا ارانا الله ذلك أبدا فقال الحسين

وجعل السلطان محمود مملكة
منتشا وعين السلطان عبد
الله مملكة الكفار وما
يليها من التاتار وانتقل
ثلاثة منهم بالوفاة في حياة
والدهم وكفاهم الله القتل
والقتال (ومما يحكى) عن
السلطان بايزيد عليه رحمة
الملك المجيد انه كان يجمع
في كل منزل حل من غزواته
ما على ثيابه من الغبار
ويحفظه فلما دنا اجله
المحتوم وقدم على الحي
القيوم أمر بذلك الغبار
فضرب منه لبنة صغيرة وأمر
بان توضع معه في القبر تحت
خده الايمن ففعل ذلك
فكأنه أراد بذلك فحوى
قوله صلى الله عليه وسلم من
اغبرت قدماه في سبيل الله
حرم الله عليه النار وكان
مدة ملكه احدى وثلاثين
سنة الا اياما وعمره اثنتان
وستون سنة لان مولده سنة
ست وخمسين وثمانمائة وتولى
مكانه ولده

*(السلطان القاهر والملك
الناصر سليم خان ابن
السلطان بايزيد خان)*

ولد بمدينة اماسية سنة
اثنتين وسبعين وثمانمائة
وامه عائشة خاتون من بنات
بعض امراء التركمان الذين
سكنوا في حوالي اماسية
ولما تسلطن كان عمره

يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم اذهبوا فقد أذنت لكم قالوا وما نقول للناس نقول تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الاعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب بسيف ولا ندري ما صنعوا لا والله لا نفعل ولكنا نفديك بانفسنا واموالنا واهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك وقام اليه مسلم بن عوسجة الاسدي فقال أنحن نتخلى عنك ولم نعذر الى الله في اداء حقك أما والله لا أفارقك حتى أكسر في صدورهم رمحي واضربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي والله لو لم يكن معي سلاحي لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك وتكلم أصحابه بنحو هذا فجزاهم الله خيرا وسمعته أخته زينب تلك العشية وهو في خباء له يقول وعنده حوي مولى أبي ذر الغفاري يعالج سيفه

يا دهر أف لك من خليل * كم لك بالاشراق والاصيل
من صاحب أو طالب قتيل * والدهر لا يقنع بالبديل
وانما الامر الى الجليل * وكل حي سالك السبيل

فاعادها مرتين أو ثلاثا فلما سمعته لم تملك نفسها ان وثبت تجر ثوبها حتى انتهت اليه ونادت واثكلاه ليت الموت اعدمني الحياة اليوم ماتت فاطمة أمي وعلي أبي والحسن أخي يا خليفة الماضي وثمال الباقي فذهب فنظر اليها وقال يا أخية لا يذهبن حلمك الشيطان قالت بابي أنت وأمي استقتلت نفسي لنفسك الفداء فرد غصته وترقرقت عيناه ثم قال لو ترك القطا لنام فلطمت وجهها وقالت واويلتاه افتغصب نفسك اغتصابا فذلك اقرح لقلبي وأشد على نفسي ثم لطمت وجهها وشقت جيبها وخرت مغشية عليها فقام اليها الحسين فصب الماء على وجهها وقال اتقي الله وتعزي بعزاء الله واعلمي ان أهل الارض يموتون وأهل السماء لا يبقون وان كل شيء هالك الا وجه الله أبي خير مني وأمي خير مني وأخي خير مني ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله اسوة فعزاها بهذا ونحوه وقال لها يا أخية اني اقسم عليك لا تشقي على جيبا ولا تخمشي على وجها ولا تدعي على بالويل والثبور ان انا هلكت ثم خرج الى أصحابه فامرهم ان يقربوا بعض بيوتهم من بعض وان يدخلوا الاطناب بعضها في بعض ويكونوا بين يدي البيوت فيستقبلون القوم من وجه واحد والبيوت على أيمانهم وعن شمائلهم ومن ورائهم فلما أمسوا قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون ويتضرعون ويدعون فلما صلى عمر بن سعد الغداة يوم السبت وقيل الجمعة يوم عاشوراء خرج فيمن معه من الناس وعبى الحسين أصحابه وصلى بهم صلاة الغداة وكان معه اثنان وثلاثون فارسا وأربعون راجلا فجعل زهير بن القين في ميمنة اصحابه وحبيب بن مطهر في ميسرتهم واعطى رايته العباس أخاه وجعلوا البيوت في ظهورهم وامر بحطب وقصب فألقي في مكان منخفض من ورائهم كانه ساقية عملوه في ساعة من الليل لئلا يؤتوا من ورائهم واضرم نارا فنفعهم ذلك وجعل عمر بن سعد على ربع أهل المدينة عبد الله بن زهير الازدي وعلى ربع ربيعة وكندة قيس بن الاشعث بن قيس وعلى ربع مذحج وأسد عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي وعلى ربع تميم وهمدان الحر بن يزيد الرياحي فشهد هؤلاء كلهم مقتل الحسين الا الحر بن يزيد فانه عدل الى الحسين وقتل معه وجعل عمر على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيدي وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن وعلى الخيل عروة بن قيس الاحمسي وعلى الرجال شبث بن

اذذاك ستا واربعين سنة جلس على سرير الملك في ثامن عشر صفر سنة ثمان عشرة وتسعمائة وفي السنة الثانية قصد كل واحد من الاخوين السلطان سليم خان والسلطان احمد قتال الآخر فتقاتلا امام مدينة يكي شهر فانتصر سليم خان وأمر باخيه احمد فخنق وحملوا جسده ودفنوه في مدينة بروسه ثم عين جماعة من العسكر الى قتال أخيه قورقود المتسلطن نيابة عن والده كامر وكان مختفيا فهزموه وظفروا به ثم خنقوه بأمر أخيه السلطان سليم خان ودفنوه في مدينة بروسه ثم أمر بقتل السلطان محمود والسلطان سليمان والسلطان اورخان والسلطان موسى أولاد اخيه فخنقوهم وقتل من اهل بيت السلطنة سبعة عشر نفرا ولما استقر السلطان سليم خان على سرير الملك وهيهات اين الاستقرار وثبت على تخت السلطنة من غير منازع وأنى له بالثبات والقرار وشرع في قهر الملوك واخذ الممالك والاستيلاء على الاقاليم والممالك بدأ بقتال شاه اسمعيل بن حيدر الصفوي فلما دخلت (سنة عشرين وتسعمائة) توجه

ربعي اليربوعي التميمي واعطى الراية دريدا مولاه فلما دنوا من الحسين امر فضرب له فسطاط ثم أمر بمسك فميث في جفنة ثم دخل الحسين فاستعمل النورة ووقف عبد الرحمن بن عبد ربه ويزيد بن حصين الهمداني على باب الفسطاط وازدحما أيهما يطلي بعده فجعل يزيد يهازل عبد الرحمن فقال له والله ماهذه بساعة باطل فقال يزيد والله ان قومي لقد علموا الى ما احببت الباطل شابا ولا كهلا ولكني مستبشر بما نحن لاقون والله ما بيننا وبين الحور العين الا ان يميل هؤلاء علينا باسيافهم فلما فرغ الحسين دخلا ثم ركب الحسين دابته ودعا بمصحف فوضعه امامه واقتتل اصحابه بين يديه فرفع يديه ثم قال اللهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت به العدو انزلته بك وشكوته اليك رغبة اليك عن سواك ففرجته وكشفته وكفيتنيه فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة فلما رأى اصحاب عمر النار تلتهب في القصب نادى شمر الحسين تعجلت النار في الدنيا قبل القيامة فعرفه الحسين فقال أنت اولى بها صليا ثم ركب الحسين راحلته وتقدم الى الناس ونادى بصوت عال يسمعه كل الناس فقال ايها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى اعظهم بما يجب لكم علي وحتى اعتذر اليكم من مقدمي عليكم فان قبلتم عذري وصدقتم قولي وأنصفتموني كنتم بذلك اسعد ولم يكن لكم علي سبيل وان لم تقبلوا مني العذر فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين قال فلما سمع اخواته قوله بكين وصحن وارتفعت اصواتهن فارسل اليهن اخاه العباس وابنه عليا ليسكتاهن وقال لعمري ليكثرن بكاؤهن فلما ذهبا قال لا يبعد ابن عباس وانما قالها حين سمع بكاءهن لانه كان نهاه ان يخرج بهن معه فلما سكتن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وعلى الملائكة والانبياء وقال مالا يحصى كثرة فما سمع ابلغ منه ثم قال أما بعد فانسبوني فانظروا من انا ثم راجعوا انفسكم فعاتبوها وانظروا هل يصلح ويحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي الست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه واولى المؤمنين بالله والمصدق لرسوله أوليس حمزة سيد الشهداء عم ابي أوليس جعفر الشهيد الطيار في الجنة عمي اولم يبلغكم قول مستفيض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ولاخي انتما سيدا شباب اهل الجنة * وقرة عين أهل السنة فان صدقتموني بما أقول (٢) وهو الحق والله ماتعمدت كذبا مذ علمت ان الله يمقت عليه وان كذبتموني فان فيكم من ان سألتموه عن ذلك أخبركم سلوا جابر بن عبد الله أو ابا سعيد او سهل بن سعد او زيد بن أرقم او انسا يخبروكم انهم سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أما في هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمي فقال شمر وهو يعبد الله على حرف ان كان يدري ما يقول فقال له حبيب بن مطهر والله اني اراك تعبد الله على سبعين حرفا وان الله قد طبع على قلبك فلا تدري ما تقول ثم قال الحسين فان كنتم في شك مما اقول أو تشكون في اني ابن بنت نبيكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم اخبروني اتطلبوني بقتيل منكم قتلته او بمال لكم استهلكته او بقصاص من جراحة فلم يكلموه فنادى ياشبث بن ربعي ويا حجار بن ابجر ويا قيس بن الاشعث ويا يزيد بن الحرث الم تكتبوا الي في القدوم عليكم قالوا لم نفعل ثم قال بلى فعلتم ثم قال ايها الناس اذ كرهتموني

من مقر سلطنته بعسكر كثيف وسار نحو الشرق لقتال شاه اسمعيل المذكور فالتقيا في مكان يقال له جالدران فلما وصلوا لم يؤخروا الحرب فالتحم القتال وتكسرت النصال على النصال فعند ذلك أمر السلطان اليكجرية وكانوا اذ ذاك أربعة عشر ألف نفر فدفعوا مكاحلهم سبع نوب ورموا ما عندهم من المدافع ولم ينج منهم الا من طول الله عمره فانهزم الاعجام وطردتهم عساكر الاسلام ونالوا منهم ما ارادوا من القتل والنهب والاسر وما نجا كبيرهم الا بجهد جهيد واستولى السلطان على خزائنه وامواله وخيمه ونسائه ونهى السلطان العسكر عن المسير خلفهم وقال يكفيه ما حل به من البلاء ثم دخل السلطان مدينة تبريز وهي كرسي مملكته وصلى فيها الجمعة وخطب باسمه ثم ارتحل الى بلاد الروم وذلك لحلول الشتاء وقلة العلف فشتى في مدينة اماسية ولما حان ايام الربيع رجع الى بلاد الشرق وافتتح قلعة كماخ وهي من امنع الحصون في الدنيا ثم افتتح مدينة بايبورد وارسل وزيره

فدعوني انصرف الى مأمني من الارض قال فقال له قيس بن الاشعث اولاتنزل على حكم ابن عمك يعني ابن زياد فانك لن ترى الاماتحب فقال له الحسين انت اخو اخيك اتريد ان يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل لا والله ولا أعطيهم بيدى عطاء الذليل ولا اقر اقرار العبيد عباد الله انى عذت بربى وربكم أن ترجمونى اعوذ بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ثم أناخ راحلته ونزل عنها وخرج زهير بن القين على فرس له فى السلاح فقال يا أهل الكوفة بدار لكم من عذاب الله بدار ان حقا على المسلم نصيحة المسلم ونحن حتى الآن اخوة على دين واحد مالم يقع بيننا وبينكم السيف فاذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا نحن أمة وانتم امة ان الله قد ابتلانا واياكم بذرية نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لينظر مانحن وانتم عاملون انا ندعوكم الى نصره وخذلان الطاغية ابن الطاغية عبيد الله بن زياد فانكم لا تدركون منهما الاسوأ يسملان اعينكم ويقطعان أيديكم وارجلكم ويمثلان بكم ويرفعانكم على جذوع النخل ويقتلان أماثلكم وقراءكم امثال حجر بن عدي واصحابه وهانئ بن عروة واشباهه قال فسبوه وأثنوا على ابن زياد وقالوا والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه ونبعث به وبأصحابه الى الامير عبيد الله بن زياد سلما فقال لهم يا عباد الله ان ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية فان كنتم لم تنصروهم فاعيذكم بالله ان تقتلوهم خلوا بين الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية فلعمري ان يزيد يرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين فرماه شمر بسهم وقال اسكت اسكت الله نامتك أبرمتنا بكثرة كلامك فقال زهير يا ابن البوال على عقبيه ما اياك أخاطب انما أنت بهيمة والله ما اظنك تحكم من كتاب الله آيتين وأبشر بالخزى يوم القيامة والعذاب الاليم فقال شمر ان الله قاتلك وصاحبك عن ساعة قال أفبالموت تخوفنى والله للموت معه أحب الى من الخلد معكم ثم رفع صوته وقال عباد الله لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافى فوالله لا تنال شفاعة محمد قوما اهرقوا دماء ذريته وأهل بيته وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم فأمره الحسين فرجع ولما زحف عمر نحو الحسين أتاه الحر بن يزيد فقال له اصلحك الله امقاتل أنت هذا الرجل قال له اى اى والله قتالا ايسره ان تسقط الرؤس وتطيح الايدى قال أفما لكم فى واحدة من الخصال التى عرض عليكم رضا فقال عمر بن سعد والله لو كان الامر الى لفعلت ولكن أميرك قد أبى ذلك فأقبل يدنو نحو الحسين قليلا قليلا واخذته رعدة فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر بن أوس والله ان امرك لمريب والله ما رأيت منك فى موقف قط مثل ما أراه الآن ولو قيل من اشجع اهل الكوفة لما عدوتك فقال له انى والله اخير نفسى بين الجنة والنار ولا اختار على الجنة شيأ ولو قطعت وحرقت ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين فقال له جعلنى الله فداك يا ابن رسول الله أنا صاحبك الذى حبستك عن الرجوع وسايرتك فى الطريق وجعجعت بك فى هذا المكان والله ما ظننت ان القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبدا ولا يبلغون منك هذه المنزلة أبدا فقلت فى نفسى لا أبالى ان اطيع القوم فى بعض امرهم ولا يرون انى خرجت من طاعتهم واما هم فيقبلون بعض ما تدعوهم اليه والله لو ظننت انهم لا يقبلونها منك لما ركبتها منك وانى قد جئتك تائبا مما كان منى الى ربى مواسيا لك بنفسى حتى أموت بين يديك افترى ذلك توبة قال نعم يتوب الله عليك ويغفر لك وتقدم الحر أمام أصحابه ثم قال ايها القوم الا تقبلون من الحسين

فرهاد باشا بعسكر كثير الى قتال ملك مرعش والبستان الامير علاء الدولة فانتصر عليه فرهاد باشا وقتله وعين امارة تلك البلاد الى على بك بن شاه سوار ابن أخى علاء الدولة وكان قد هرب من عمه والتجأ الى كنف السلطان وشرط عليه بان تكون الخطبة والسكة باسم السلطان وفى هذه السنة احب اهل آمدان يدخلوا فى طاعة السلطان سليم خان فأخرجوا واليهم الذى من قبل سلطان العجم وأغلقوا أبواب المدينة وأرسلوا يطلبون اميرا من امراء السلطان المذكور يكون واليا عليهم فعين لهم بقلو محمد بك الآمدى ونصبه امير الامراء فوصل الى تلك البلاد وقاتل مع واليها قرخان فانتصر عليه فقتله ثم ان محمد باشا المذكور حاصر مدينة ماردين مدة اربعين يوما فافتتحها ثم افتتح بلاد الموصل وعانة وحديثة وهيت وسنجار وحصن كيفا وجشكزك وقلعة العمادية وحصن سوران وسائر بلاد الاكراد وعامة جزيرة بنى عمر وفى (سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة) قصد السلطان سليم خان قتال الغورى

خصلة من هذه الخصال التي عرض عليكم فيها فيكم الله من حربه وقتاله فقال عمر لقد حرصت لو وجدت الى ذلك سبيلا فقال يا اهل الكوفة لامكم الهبل والعبر أدعوتموه حتى اذا اتاكم اسلمتموه وزعمتم انكم قاتلوا أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه امسكتم بنفسه واحطتم به ومنعتموه من التوجه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن اهل بيته فاصبح كالاسير لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عنها ضرا ومنعتموه ومن معه عن ماء الفرات الجاري يشربه اليهودي والنصراني والمجوسي ويتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه وها هو واهله قد صرعهم العطش بئسما خلفتم محمدا في ذريته لا سقاكم الله يوم الظما ان لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه فرموه بالنبل فرجع حتى وقف أمام الحسين ثم قدم عمر بن سعد برايته واخذ سهما فرمى به وقال اشهدوا لي اني أول رام ثم رمى الناس وبرز يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله وطلبا البراز فخرج اليهما عبد الله بن عمير الكلبي وكان قد اتى الحسين من الكوفة وسارت معه امرأته فقالا له من انت فانتسب لهما فقالا لا نعرفك ليخرج الينا زهير بن القين أو حبيب بن مطهر أو برير بن خضير وكان يسار أمام سالم فقال له الكلبي يا ابن الزانية وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس ولا يخرج اليك احد الا وهو خير منك ثم حمل عليه فضربه بسيفه حتى برد فاشتغل به يضربه فحمل عليه سالم فلم يأبه له حتى غشيه فضربه فاتقاه الكلبي بيده فاطار اصابع كفه اليسرى ثم مال عليه الكلبي فضربه حتى قتله واخذت امرأته عمودا وكانت تسمى ام وهب واقبلت نحو زوجها وهي تقول فدى لك ابي وامي قاتل دون الطيبين ذرية محمد فردها نحو النساء فامتنعت وقالت لن أدعك دون ان أموت معك فناداها الحسين فقال جزيتم من اهل بيت خيرا ارجعي رحمك الله ليس الجهاد الى النساء فرجعت فزحف عمرو بن الحجاج في ميمنة عمر فلما دنا من الحسين جثوا له على الركب واشرعوا الرماح نحوهم فلم تقدم خيلهم على الرماح فذهبت الخيل لترجع فرشقوهم بالنبل فصرعوا منهم رجالا وجرحوا آخرين وتقدم رجل منهم يقال له ابن حوزة فقال أفيكم الحسين فلم يجبه أحد فقالها ثلاثا فقالوا نعم فما حاجتك قال يا حسين أبشر بالنار قال له كذبت بل أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع من انت قال ابن حوزة فرفع الحسين يديه فقال اللهم حزه الى النار فغضب ابن حوزة فاقحم فرسه في نهر بينهما فتعلقت قدمه بالركاب وجال به الفرس فسقط عنها فانقطعت فخذه وساقه وقدمه وبقي جنبه الآخر متعلقا بالركاب يضرب به كل حجر وشجر حتى مات وكان مسروق بن وائل الحضرمي قد خرج معهم فقال لعلي اصيب رأس الحسين فأصيب به منزلة عند ابن زياد فلما رأى ما صنع الله بابن حوزة بدعاء الحسين رجع وقال لقد رأيت من اهل هذا البيت شيأ لا اقاتلهم ابدا ونشب القتال وخرج يزيد بن معقل حليف عبد القيس فقال يا برير بن خضير كيف ترى الله صنع بك قال والله لقد صنع بي خيرا وصنع بك شرا فقال كذبت وقبل اليوم ما كنت كذابا وانا أشهد انك من الضالين فقال له ابن خضير هل لك ان أباهلك أن يلعن الله الكاذب ويقتل المبطل ثم اخرج أبارزك فخرجا فتباهلا أن يلعن الله الكاذب ويقتل المحق المبطل ثم تبارزا فاختلفا ضربتين فضرب يزيد بن معقل برير بن خضير فلم يضره شيأ وضربه ابن خضير ضربة قدت المغفر وبلغت الدماغ فسقط والسيف في رأسه فحمل عليه رضي بن منقذ العبدي فاعتنق ابن خضير فاعتركا ساعة ثم ان ابن خضير قعد على صدره

ملك مصر والشام وحلب واليمن فخرج من قسطنطينية بعسكر ضخم وسار حتى وصل الى مدينة حلب والتقى مع الغوري في مرج دابق بقرب حلب واقتتل العسكران فانهزم الجراكسة شذر مذر وقتل الغوري في المعركة وخرج اهل حلب بعلمائهم وصلحائهم حاملين المصاحف على رؤسهم يستقبلون السلطان سليم خان ويهنؤنه بالفتح ويسألونه الرفق والصفح فقابلهم السلطان المذكور بالجميل ودخل مدينة حلب وخطب له فيها ثم خرج الى طرف الشام فاستقبله اهلها بالاكرام والاحترام وسألوا منه الانعام واللطف فعاملهم بالجميل وحضر يوم الجمعة في جامع بني امية للصلاة وخطب باسمه ومكث السلطان سليم خان بالشام مدة ثلاثة أشهر ونصف شهر وأمر بعمارة قبة على قبر العارف بالله تعالى الشيخ محيي الدين بن العربي قدس الله سره وبنى مأكلا للطعام ثم سار يريد البلاد المصرية فافتتح في مسيره مدينة بيت المقدس وزار المشاهد وانعم على اهلها ثم سار وفتح مدينة غزة وطبرية وصفد والجون ورملة ووصل الى مدينة

فحمل كعب بن جابر الازدى عليه بالرمح فوضعه فى ظهره حتى غيب السنان فيه فلما وجد مس
الرمح نزل عن رضى فعض انفه وقطع طرفه واقبل اليه كعب بن جابر فضربه بسيفه حتى قتله
وقام رضى ينفض التراب عن قبائه فلما رجع كعب قالت له امرأته أعنت على ابن فاطمة وقتلت
بريرا سيد القراء لا اكلمك أبدا وخرج عمرو بن قرظة الانصارى وقاتل دون الحسين فقتل وكان
اخوه مع عمر بن سعد فنادى يا حسين يا كذاب ابن الكذاب اضللت أخى وغررته حتى قتلته
فقال ان الله لم يضل اخاك بل هداه وأضلك قال قتلنى الله ان لم أقتلك او اموت دونك فحمل
واعترضه نافع بن هلال المرادى فطعنه فصرعه فحمل اصحابه فاستنقذوه فبرأ وقاتل الحر بن يزيد
مع الحسين قتالا شديدا وبرز اليه يزيد بن سفيان فقتله الحر وقاتل نافع بن هلال مع الحسين ايضا
فبرز اليه مزاحم بن حريث فقتله نافع فصاح عمرو بن الحجاج بالناس أتدرون من تقاتلون فرسان
المصر قوما مستميتين لا يبرز اليهم منكم احد فانهم قليل وقلما يبقون والله لو لم ترموهم الا بالحجارة
لقتلتموهم يا اهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم لا ترتابوا فى قتل من مرق من الدين وخالف
الامام فقال عمر الرأى ما رأيت ومنع الناس من المبارزة قال وسمعه الحسين فقال يا عمرو بن
الحجاج أعلى تحرض الناس أنحن مرقنا من الدين ام انتم والله لتعلمن لو قبضت أرواحكم ومتم
على اعمالكم اينا المارق ثم حمل عمرو بن الحجاج على الحسين من نحو الفرات فاضطربوا ساعة
فصرع مسلم بن عوسجة الاسدى وانصرف عمرو ومسلم صريع فمشى اليه الحسين وبه رمق
فقال رحمك الله يا مسلم بن عوسجة منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ودنا منه حبيب بن مظهر
وقال عز على مصرعك أبشر بالجنة ولولا انى اعلم انى فى اثرك لاحق بك لاحببت ان توصينى حتى
احفظك بما أنت له اهل فقال أوصيك بهذا رحمك الله وأومأ بيده نحو الحسين ان تموت دونه
فقال أفعل ثم مات مسلم وصاحت جارية له فقالت يا ابن عوسجة فنادى اصحاب عمرو قتلنا مسلما
فقال شبث لبعض من حوله ثكلتكم امهاتكم انما تقتلون انفسكم بأيديكم وتذلون انفسكم
لغيركم اتفرحون بقتل مثل مسلم أما والذى اسلمت له لرب موقف له قد رأيته فى المسلمين فلقد رأيته
يوم سلق اذربيجان قتل ستة من المشركين قبل ان تتام خيول المسلمين أفيقتل مثله وتفرحون
وكان من الذين قتلهم مسلم ابن عبد الله الضبابى وعبد الرحمن بن ابى خشكارة البجلى وحمل شمر فى
الميسرة فثبتوا له وحملوا على الحسين واصحابه من كل جانب فقتل الكلبى وقد قتل رجلين بعد
الرجلين الاولين وقاتل قتالا شديدا فقتله هانى بن ثبيت الحضرمى وبكير بن حى التيمى من تيم الله
ابن ثعلبة وقاتل أصحاب الحسين قتالا شديدا وهم اثنان وثلاثون فارسا فلم تحمل على جانب من
خيل الكوفة الا كشفته فلما راى ذلك عزرة بن قيس وهو على خيل الكوفة بعث الى عمر فقال
ألا ترى ما تلقى خيلى هذا اليوم من هذه العدة اليسيرة ابعث اليهم الرجال والرماة فقال لشبث بن
ربعى ألا تقدم اليهم فقال سبحان الله شيخ مضر واهل المصر عامة تبعثه فى الرماة لم تجد لهذا غيرى
ولم يزالوا يرون من شبث الكراهة للقتال حتى انه كان يقول فى امارة مصعب لا يعطى الله اهل
هذا المصر خيرا ابدا ولا يسددهم لرشد ألا تعجبون انا قاتلنا مع على بن ابى طالب ومع ابنه الحسين
آل ابى سفيان خمس سنين ثم عدونا على ابنه وهو خير اهل الارض نقاتله مع آل معاوية وابن سمية
الزانية ضلال يا لك من ضلال فلما قال شبث ذلك دعا عمر بن سعد الحصين بن نمير فبعث معه المجففة

تمضر فى ثالث عشرى محرم
سنة ثلاث وعشرين
وتسعمائة فالتقى مع
الاشرف طومان باى
الداودار بالريدانية وكان
معه اربعون الف جركسى
فاشتد العطب وعظم الحرب
فانهزم طومان باى الى
بلاد ابن بقر فارسل السلطان
اليه وطلبه منه فلم يمكن
مخالفته فارسله اليه ولما
وصل طومان باى الى
السلطان الصارم والملك
الحازم قربه اليه وادناه
وسأله عن عوائد المملكة
المصرية وأحوالها وبعد
عشرة ايام صلبه فى باب
زويلة ثم أمر بالقبض على
كل من كان جركسيا
فاحضروا عنده جمعا كثيرا
ثم امر بهم فضربت اعناقهم
ثم دخل المدينة وصلى بها
الجمعة ثم خرج الى طرف
الاسكندرية فتفرج بها
وبهدامرها وقتل بها
من الامراء الجراكسة
المحبوسين نحو سبعة عشر
أميرا ثم قدم الى القاهرة
ودعا خيربای وفوض اليه
امارة مصر والقاهرة وخلع
عليه ثم خرج فى شعبان
من هذه السنة الى طرف
الروم فلما وصل الى مدينة
رملة بلغه من الثقات انهم
قتلوا ما كان عندهم من

وخمسمائة من المرامية فلما دنوا من الحسين واصحابه رشقوهم بالنبل فلم يلبثوا ان عقروا خيولهم
وصاروا رجالة كلهم وقاتل الحر بن يزيد راجلا قتالا شديدا فقاتلوهم الى ان انتصف النهار أشد
قتال خلقه الله لا يقدرون ان يأتوهم الا من وجه واحد لاجتماع مضاربهم فلما رأى ذلك عمر أرسل
رجالا يقوضون البيوت عن أيمانهم وشمائلهم ليحيطوا بهم فكان النفر من اصحاب الحسين الثلاثة
والاربعة يتخللون البيوت فيقتلون الرجل وهو يقوض وينهب ويرمونه من قريب او يعقرونه
فأمر بها عمر بن سعد فأحرقت فقال لهم الحسين دعوهم فليحرقوها فانهم اذا أحرقوها
لا يستطيعون ان يجوزوا اليكم منها فكان كذلك وخرجت امرأة الكلبي فجلست عند رأسه
تمسح التراب عن وجهه وتقول هنيأ لك الجنة فأمر شمر غلاما اسمه رستم فضرب رأسها بالعمود
فماتت مكانها وحمل شمر حتى بلغ فسطاط الحسين ونادى علي بالنار حتى أحرق هذا البيت على
اهله فصاحت النساء وخرجن وصاح به الحسين انت تحرق بيتي على اهلي أحرقك الله بالنار فقال
حميد بن مسلم لشمر ان هذا لا يصلح تعذب بعذاب الله وتقتل الولدان والنساء والله ان في قتل
الرجال لما يرضى به اميرك فلم يقبل منه فجاءه شبث بن ربعي فنهاه فانتهى وذهب لينصرف
فحمل عليه زهير بن القين في عشرة فكشفهم عن البيوت وقتلوا أبا عزة الضبابي وكان من
اصحاب شمر وعطف الناس عليهم فكثروهم وكانوا اذا قتل منهم الرجل والرجلان يبين فيهم
لقلتهم واذا قتل في أولئك لا يبين فيهم لكثرتهم ولما حضر وقت الصلاة قال ابو ثمامة الصائدي
للحسين نفسي لنفسك الفداء ارى هؤلاء قد اقتربوا منك والله لا تقتل حتى اقتل دونك
واحب ان القى ربي وقد صليت هذه الصلاة فرفع الحسين رأسه وقال ذكرت الصلاة جعلك
الله من المصلين الذاكرين نعم هذا أول وقتها ثم قال سلوهم ان يكفوا عنا حتى نصلي ففعلوا فقال
لهم الحصين انها لا تقبل فقال له حبيب بن مظهر زعمت لا تقبل الصلاة من آل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتقبل منك يا حمار فحمل عليه الحصين وخرج اليه حبيب فضرب وجه فرسه
بالسيف فشب فسقط عنه الحصين فاستنقذه أصحابه وقاتل حبيب قتالا شديدا فقتل رجلا
من بني تميم اسمه بديل بن صريم وحمل عليه آخر من تميم فطعنه فذهب ليقوم فضربه الحصين
على رأسه بالسيف فوقع ونزل اليه التميمي فاحتز رأسه فقال له الحصين انا شريكك في قتله فقال
الآخر لا والله فقال له الحصين اعطنيه اعلقه في عنق فرسي كيما يرى الناس اني شركت في قتله
ثم خذه وامض به الى ابن زياد فلا حاجة لي فيما تعطاه ففعل وجال به في الناس ثم دفعه اليه فلما
رجعوا الى الكوفة اخذ الرأس وجعله في عنق فرسه ثم اقبل به الى ابن زياد في القصر فبصر به
القاسم بن حبيب وقد راهق فاقبل مع الفارس لا يفارقه فارتاب به الرجل فسأله عن حاله فاخبره
وطلب الرأس ليدفنه فقال ان الامير لا يرضى ان يدفن وأرجو ان يثيبني الامير فقال له لكن
الله لا يثيبك الا اسوأ الثواب ولم يزل يطلب غرة قاتل ابيه حتى كان زمان مصعب وغزا
مصعب باخميرا دخل القاسم عسكره فاذا قاتل ابيه في فسطاطه فدخل عليه نصف النهار
فقتله فلما قتل حبيب هد ذلك الحسين وقال عند ذلك احتسب حماة اصحابي وحمل الحر وزهير بن
القين فقاتلا قتالا شديدا وكان اذا حمل احدهما وغاص فيهم حمل الآخر حتى يخلصه ففعلا ذلك
ساعة ثم ان رجالة حملت على الحر بن يزيد فقتلته وقتل ابو ثمامة الصائدي ابن عم له كان عدوه

العسكر المجروحين فامر
بقتل عامة أهل البلد بحيث
لم يبق منهم ديار ولا نافخ نار
فبينما هو في اثناء الطريق
اذ قدم عليه والي مكة
والمدينة الشريف بركات
الحسني وولده الشريف
أبو نمي محمد واجتمعا بحضرة
السلطان وهنآه بالفتوحات
واخبره الشريف بركات
بانه حين بلغه الخبر خطب له
بمكة والمدينة فشكر له
السلطان المذكور ذلك
واثنى عليه وانعم عليه وعلى
ولده بالخلع وقرر الامرة
لولده الشريف ابي نمي برضا
والده ثم قدم السلطان الى
دمشق وعين امر تهامع
اعمالها الى الامير جان بردى
الغزالي لكونه كان مواليا
له حين كان أميرا بحلب في
دولة الجراكسة واستولى
على مدينة ملطية وديوركي
ودارنده وبهسني وكركر
وكاختة والبيرة وعينتاب
وانطاكية وقلعة الروم
واطاعته قبائل العرب
المجاورين للشام ومصر
ثم ان السلطان لما قدم
قسطنطينية قصد ان يشتي
بمدينة ادرنة على حساب
عوائد آبائه في ذلك فلما وصل
الى منزل كان يحارب فيه
مع والده السلطان بايزيد
خان ظهر في جنبه دمل ولم

ثم صلوا الظهر صلى بهم الحسين صلاة الخوف ثم اقتتلوا بعد الظهر فاشتد قتالهم ووصلوا الى
الحسين فاستقدم الحنفى أمامه فاستهدف لهم يرمونه بالنبل وهو بين يديه حتى سقط وقاتل زهير
ابن القين قتالا شديدا فحمل عليه كثير بن عبد الله الشعبى ومهاجر بن أوس فقتلاه وكان نافع
ابن هلال البجلى قد كتب اسمه على فوق نبله وكانت مسمومة فقتل بها اثنى عشر رجلا سوى من
جرح فضرب حتى كسرت عضداه وأخذ اسيرا فاخذه شمر بن ذى الجوشن فأتى به عمر بن سعد
والدم على وجهه وهو يقول لقد قتلت منكم اثنى عشر رجلا سوى من جرحت ولو بقيت لى
عضد وساعد ما اسرتمونى فانتضى شمر سيفه ليقتله فقال له نافع والله لو كنت من المسلمين
لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا فالحمد لله الذى جعل منايانا على يدى شرار خلقه فقتله شمر ثم
حمل على اصحاب الحسين فلما رأوا أنهم قد كثروا وانهم لا يقدرون أن يمنعوا الحسين ولا
انفسهم تنافسوا ان يقتلوا بين يديه فجاء عبد الله وعبد الرحمن ابنا عروة الغفاريان اليه فقالا قد
حازنا الناس اليك فجعلا يقاتلان بين يديه وأتاه الفتيان الجابريان وهما سيف بن الحرث بن
سريع ومالك بن عبد بن سريع وهما ابنا عم واخوان لام وهما يبكيان فقال لهما ما يبكيكما
انى لارجو أن تكونوا عن ساعة قريرى عين فقالا والله ما على انفسنا نبكى ولكن نبكى عليك
نراك قد أحيط بك ولا نقدر أن نمنعك فقال جزاكما الله جزاء المتقين وجاء حنظلة بن اسعد
الشبامى فوقف بين يدى الحسين وجعل ينادى ياقوم انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل
دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ياقوم انى اخاف عليكم يوم
التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد ياقوم لا تقتلوا
الحسين فيسحتكم الله بعذاب وقد خاب من افترى فقال له الحسين رحمك الله انهم قد استوجبوا
العذاب حين ردوا ما دعوتهم اليه من الحق ونهضوا ليستبيحوك واصحابك فكيف بهم الآن
قد قتلوا اخوانك الصالحين فسلم على الحسين وصلى عليه وعلى اهل بيته وتقدم وقاتل حتى قتل
وتقدم الفتيان الجابريان فودعا الحسين وقاتلا حتى قتلا وجاء عابس بن أبى شبيب الشاكرى
وشوذب مولى شاكر الى الحسين فسلما عليه وتقدما فقاتلا فقتل شوذب وأما عابس فطلب
البراز فتحاماه الناس لشجاعته فقال لهم عمر ارموه بالحجارة فرموه من كل جانب فلما رأى ذلك
ألقى درعه ومغفره وحمل على الناس فهزمهم بين يديه ثم رجعوا عليه فقتلوه وادعى قتله جماعة
وجاء الضحاك بن عبد الله المشرقى الى الحسين فقال يا ابن رسول الله قد علمت انى قلت لك انى
أقاتل عنك ما رأيت مقاتلا فاذا لم أر مقاتلا فانا فى حل من الانصراف فقال له الحسين صدقت
وكيف لك بالنجاء ان قدرت عليه فأنت فى حل قال فاقبلت الى فرسى وكنت قد تركته فى خباء
حيث رأيت خيل أصحابنا تعقر وقاتلت راجلا وقتلت رجلين وقطعت يد آخر ودعا الى الحسين
مرارا قال واستخرجت فرسى واستويت عليه وحملت على عرض القوم فافرجوا لى وتبعنى
منهم خمسة عشر رجلا ففتهم وسلمت وجثا أبو الشعثاء الكندى وهو يزيد بن أبى زياد بين
يدى الحسين فرمى بمائة سهم ما سقط منها خمسة اسهم وكلما رمى يقول له الحسين اللهم سدد رميته
واجعل ثوابه الجنة وكان يزيد هذا فيمن خرج مع عمر بن سعد فلما ردوا الشروط على الحسين
عدل اليه فقاتل بين يديه وكان أول من قتل واما الصيداوى عمرو بن خالد وجبار بن

الحرث

يزل يتعاظم هذا الدمل حتى
انسع الخرق على الراقع
وتعطل السلطان عن الحركة
فاقام فى ذلك المحل نحو
أربعين يوما فلما كان تاسع
شوال سنة ست وعشرين
وتسعمائة ليلة السبت توفى
رحمه الله تعالى فاخفى موته
الوزراء وارسلوا يعلمون
ولده السلطان سليمان خان
ويدعونه الى التخت معجلا
فلما تيقنوا بوصول السلطان
سليمان الى مدينة قسطنطينية
اشاعوا موت سلطانهم
ورجعوا به الى قسطنطينية
فلما قرب من المدينة استقبله
ولده السلطان سليمان خان
مع وجوه العلماء والاعيان
وصلوا عليه فى جامع
السلطان محمد ثم حملوه
ودفنوه فى محل قبره وأمر
السلطان سليمان خان ببناء
جامع عظيم وعمارة لاطعام
الفقراء عند تربته وكان
رحمه الله عالما فاضلا ذكيا
حسن الطبع بعيد الغور
صاحب رأى وتدبير وحزم
وكان يعرف الالسنة
الثلاثة العربية والتركية
والفارسية وينظم نظما
بارعا حسنا وكان دائم
الفكر فى أحوال الرعية
والمملكة وقهر الملوك
وابادهم ولما كان بمصر
كتب على رخام فى حائط

الحرث السلماني وسعد مولى عمرو بن خالد ومجمع بن عبيد الله العائذي فانهم قاتلوا أول القتال فلما وغلوا فيهم عطفوا اليهم فقطعوهم عن اصحابهم فحمل العباس بن علي فاستنقذهم وقد جرحوا فلما دنا منهم عدوهم حملوا عليهم فقاتلوا فقتلوا في أول الامر في مكان واحد وكان آخر من بقي من اصحاب الحسين سويد بن أبي المطاع الخثعمي وكان اول من قتل من آل بني ابي طالب يومئذ علي الاكبر بن الحسين وأمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفية وذلك انه حمل عليهم وهو يقول

انا علي بن الحسين بن علي * نحن ورب البيت أولى بالنبي

* تالله لا يحكم فينا ابن الدعي *

ففعل ذلك مرارا فحمل عليه مرة بن منقذ العبدي فطعنه فصرع وقطعه الناس بسيوفهم فلما رآه الحسين قال قتل الله قوما قتلوك يا بني ما اجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول على الدنيا بعدك العفاء واقبل الحسين اليه ومعه فتيانه فقال احملوا اخاكم فحملوه حتى وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه ثم ان عمرو بن صبيح الصدائي رمى عبد الله بن مسلم بن عقيل بسهم فوضع كفه على جبهته فلم يستطع ان يحركها ثم رماه بسهم آخر فقتله وحمل الناس عليهم من كل جانب فحمل عبد الله بن قطبة الطائي على عون بن عبد الله بن جعفر فقتله وحمل عثمان بن خالد بن أسير الجهني وبشر بن سوط الهمداني على عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب فقتلاه ورمى عبد الله بن عروة الخثعمي جعفر بن عقيل فقتله ثم حمل القاسم بن الحسن بن علي وبيده السيف فحمل عليه عمرو بن سعد بن نفيل الازدي فضرب رأسه بالسيف فسقط القاسم الى الارض لوجهه وقال يا عماه فانقض الحسين اليه كالصقر ثم شد شدة ليث اغضب فضرب عمرا بالسيف فاتقاه بيده فقطع يده من المرفق فصاح وحملت خيل الكوفة ليستنقذوا عمرا فاستقبلته بصدورها وجالت عليه فوطئته حتى مات وانجلت الغبرة والحسين واقف على رأس القاسم وهو يفحص برجليه والحسين يقول بعدا لقوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك ثم قال عز والله على عمك ان تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك ثم لا ينفعك صوته والله هذا يوم كثر واتره وقل ناصره ثم احتمله على صدره حتى القاه مع ابنه علي ومن قتل معه من اهل بيته ومكث الحسين طويلا من النهار كلما انتهى اليه رجل من الناس رجع عنه وكره ان يتولى قتله وعظم اثمه ثم ان رجلا من كندة يقال له مالك بن النسير اتاه فضربه على رأسه بالسيف فقطع البرنس وادمى رأسه وامتلأ البرنس دما فقال له الحسين لا اكلت بها ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين والقى البرنس ولبس القلنسوة واخذ الكندي البرنس فلما قدم على اهله اخذ البرنس يغسل الدم عنه فقالت له امرأته أسلب ابن رسول الله تدخل بيتي اخرجه عني قال فلم يزل ذلك الرجل فقيرا بشر حتى مات ودعا الحسين بابنه عبد الله وهو صغير فاجلسه في حجره فرماه رجل من بني اسد فذبحه فأخذ الحسين دمه فصبه في الارض ثم قال رب ان تكن حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير وانتقم من هؤلاء الظالمين ورمى عبد الله بن عقبة الغنوي ابا بكر بن الحسين بن علي بسهم فقتله وقال العباس بن علي لاخوته من أمه عبد الله وجعفر وعثمان تقدموا واحق ارثكم فانه لا ولد لكم ففعلوا فقتلوا وحمل هاني بن ثبيت الحضرمي على عبد الله بن علي فقتله ثم حمل على

لو كان لي او لغيري قدر انملة فوق التراب لكان الامر مشتركا

توفي رحمه الله تعالى وله من العمر اربع وخمسون سنة وكانت مدة ملكه تسعة اعوام وثمانية اشهر وتولى مكانه ولده السلطان الاعظم والخاقان المفخم سليمان خان ابن السلطان سليم خان جلس على سرير الملك في سنة ست وعشرين وتسعمائة وعمره اذ ذاك ست وعشرون سنة لان مولده في سنة تسعمائة ولما بلغ جان بردي الغزالي موت السلطان سليم خرج عن الطاعة ورام ان يتسلطن بدمشق ونواحيها ولم يدر أن الدولة عنهم قد ولت وان السعادة قد ادبرت فجمع الجموع وحشد الحشود من طوائف الجنود فسار الى مدينة حلب ليستولي عليها فحاصرها مدة ولم يقدر عليها وكان نائب حلب اذ ذاك قوجه احمد باشا فجد في دفعه واجتهد وكان غرضه ان يخرج من البلد ويقابل العدو ويقاتله الا انه خاف من اهل البلد لانهم كانوا قريبي العهد من الجراكسة فلما رأى الغزالي انه لم يجد الى الدخول سبيلا عاد راجعا الى دمشق فشرع

 ع في تحصين القلعة وترميمها فلما بلغ السلطان سليمان خان انه غدر وخان أمر وزيره فرهاد باشا بسيره مع جند الباب

جعفر بن علي فقتله ورمى خولي بن يزيد الاصبحي عثمان بن علي ثم حمل عليه رجل من بني ابان بن
دارم فقتله وجاء برأسه ورمى رجل من بني ابان ايضا محمد بن علي بن أبي طالب فقتله وجاء برأسه
وخرج غلام من خباء من تلك الاخبية فاخذ بعود من عيدانه وهو ينظر كأنه مذعور فحمل عليه
رجل قيل انه هانئ بن ثبيت الحضرمي فقتله واشتد عطش الحسين فدنا من الفرات ليشرب فرماه
حصين بن نمير بسهم فوقع في فمه فجعل يتلقى الدم بيده ورمى به الى السماء ثم حمد الله واثنى عليه ثم
قال اللهم اني اشكو اليك ما يصنع بابن بنت نبيك اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق
منهم احدا وقيل الذي رماه رجل من بني ابان بن دارم فمكث ذلك الرجل يسيرا ثم صب الله عليه
الظمأ فجعل لا يروى فكان يروح عنه ويبرد له الماء فيه السكر وعساس فيها اللبن ويقول اسقوني
فيعطى القلة او العس فيشربه فاذا شربه اضطجع هنيهة ثم يقول اسقوني قتلني الظمأ فما لبث
الا يسيرا حتى انقدت بطنه انقداد بطن البعير ثم ان شمر بن ذي الجوشن اقبل في نفر نحو عشرة
من رجالهم نحو منزل الحسين فحالوا بينه وبين رحله فقال لهم الحسين ويلكم ان لم يكن لكم دين
ولا تخافون يوم المعاد فكونوا احرارا ذوي احساب امنعوا رحلي واهلي من طغاتكم وجهالكم
فقالوا ذلك لك يا ابن فاطمة واقدم عليه شمر برجاله منهم أبو الجنوب واسمه عبد الرحمن الجعفي
والقشعم بن نذير الجعفي وصالح بن وهب اليزني وسنان بن انس النخعي وخولي بن يزيد الاصبحي
وجعل شمر يحرضهم على الحسين وهو يحمل عليهم فينكشفون عنه ثم انهم احاطوا به واقبل الى
الحسين غلام من اهله فقام الى جنبه وقد اهوى بحر بن كعب بن تيم الله بن ثعلبة الى الحسين
بالسيف فقال الغلام يا ابن الخبيثة أتقتل عمي فضربه بالسيف فاتقاه الغلام بيده فأطنها الى
الجلدة فنادى الغلام يا امتاه فاعتنقه الحسين وقال له يا ابن اخي اصبر على ما نزل بك فان الله
يلحقك بآبائك الطاهرين الصالحين برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وحمزة وجعفر والحسن
وقال الحسين اللهم امسك عنهم قطر السماء وامنعهم بركات الارض اللهم فان متعتهم الى حين
ففرقهم فرقا واجعلهم طرائق قددا ولا ترض عنهم الولاة ابدا فانهم دعونا لينصرونا فعدوا
علينا فقتلونا ثم ضارب الرجالة حتى انكشفوا عنه ولما بقي الحسين في ثلاثة أو اربعة دعا
بسراويل ففزره ونكثه لئلا يسلبه فقال له بعضهم لو لبست تحته التبان قال ذلك ثوب مذلة ولا
ينبغي ان البسه فلما قتل سلبه بحر بن كعب وكانت يداه في الشتاء تنضحان بالماء وفي الصيف
تيبسان كأنهما عود وحمل الناس عليه عن يمينه وشماله فحمل على الذين عن يمينه فتفرقوا ثم حمل
على الذين عن يساره فتفرقوا فما رؤي مكثور قط قد قتل ولده واهل بيته واصحابه اربط جأشا منه
ولا امضى جنانا ولا اجرأ مقدما منه ان كانت الرجالة لتنكشف عن يمينه وشماله انكشاف
المعزى اذا شد فيها الذئب فبينما هو كذلك اذ خرجت زينب وهي تقول ليت السماء انطبقت على
الارض وقد دنا عمر بن سعد فقالت يا عمر أيقتل أبو عبد الله وانت تنظر فدمعت عيناه حتى سالت
دموعه على خديه ولحيته وصرف وجهه عنها وكان على الحسين جبة من خز وكان معتما مخضوبا
بالوسمة وقاتل راجلا قتال الفارس الشجاع يتقي الرمية ويفترص العورة ويشد على الخيل وهو
يقول اعلى قتلي تجتمعون أما والله لا تقتلون بعدي عبدا من عباد الله الله اسخط عليكم لقتله مني
وايم الله اني لارجو ان يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون اما والله

وجماعة من طائفة اليكيجرية الى قتال الخارجي المذكور وعين معه أمير الامراء بروم ايلي واناطولي وقرمان اياس باشا بان
يسيروا بمن معهم من الجيوش
وكان معهم ثمانية عشر من
المدافع الكبار فلما سمع
الغزالي بقدومهم خرج
من الشام لارض القابون
مغترا بشهامته وحسن
رايه طالبا لاخذ الانتقام
من الاروام فاتفق ملاقاة
اول العسكر بموضع يقال
له المصطبة بارض القابون
وكان ذلك يوم الثلاثاء السابع
والعشرين من صفر الخير
سنة سبع وعشرين وتسعمائة
فانهزم الخارجي بمن معه
تحت ارجل الخيل فلم يعلم له
ولجنوده اثر ولما وصل
الوزير فرهاد باشا لم يجد من
يقابله ويقاتله فدخل البلد
ومهدها وفوض نيابة
الشام الى امير الامراء
باناطولي اياس باشا وفرق
امارة القدس وغزة وغيرهما
الى عبيد السلطان وبعث
بخبر السلطان بالفتح ففرح
السلطان ولما قدم الوزير
خلع عليه وزاد قدره ورتبته
وفي هذه السنة قصد
السلطان سليمان خان قتال
قرال انكروس لارش
وكان قد تكبر وتجبر واظهر
العصيان فامر السلطان
بتجهيز عمارة كبيرة في
البحر الابيض لحفظ البلاد
من الافرنج العناد وامر
بانشاء خمسين زورقا كبيرا للمجاهدين واربعمائة سفينة للدواب وسيرهم من بحر نيطش الاسود حتى يدخلوا الى نهر طونة

لو قتلموني لاتقى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم ثم لا يرضى بذلك منكم حتى يضاعف لكم العذاب
الاليم قال ومكث طويلا من النهار ولو شاء الناس ان يقتلوه لقتلوه ولكنهم كان يتقي بعضهم
ببعض ويحب هؤلاء ان يكفيهم هؤلاء فنادى شمر في الناس ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل اقتلوه
ثكلتكم امهاتكم فحملوا عليه من كل جانب فضرب زرعة بن شريك التميمي على كفه اليسرى
وضرب أيضا على عاتقه ثم انصرفوا عنه وهو يقوم ويكبو وحمل عليه في تلك الحال سنان بن انس
النخعي فطعنه بالرمح فوقع وقال لخولي بن يزيد الاصبحي احتز رأسه فاراد أن يفعل فضعف وارعد
فقال له سنان فت الله عضدك ونزل اليه فذبحه واحتز رأسه فدفعه الى خولي وسلب الحسين
ما كان عليه فاخذ سراويله بحر بن كعب وأخذ قيس بن الاشعث قطيفته وهي من خز فكان يسمى
بعد قيس قطيفة واخذ نعليه الاسود الاودي وأخذ سيفه رجل من دارم ومال الناس على
الفرش والحلل والابل فانتهبوها ونهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء حتى ان كانت المرأة لتنتزع
ثوبها من ظهرها فيؤخذ منها ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة وغير
الرمية واما سويد بن المطاع فكان قد صرع فوقع بين القتلى مثخنا بالجراحات فسمعهم يقولون
قتل الحسين فوجد خفة فوثب ومعه سكين وكان سيفه قد أخذ فقاتلهم بسكينه ساعة ثم قتل قتله
عروة بن بطان الثعلبي وزيد بن رقاد الجنبي وكان آخر من قتل من أصحاب الحسين ثم انتهوا الى علي
ابن الحسين زين العابدين فاراد شمر قتله فقال له حميد بن مسلم سبحان الله اتقتل الصبيان وكان
مريضا وجاء عمر بن سعد فقال لا يدخلن بيت هذه النسوة أحد ولا يعرضن لهذا الغلام المريض
ومن أخذ من متاعهم شيأ فليرده فلم يرد أحد شيأ فقال الناس لسنان بن انس النخعي قتلت
الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت اعظم العرب خطرا اراد
ان يزيل ملك هؤلاء فأت امراءك فاطلب ثوابك منهم فانهم لو اعطوك بيوت اموالهم في قتله كان
قليلا فاقبل على فرسه وكان شجاعا شاعرا به لوثة حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ثم نادى
باعلى صوته

اوقر ركابي فضة وذهبا * اني قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس اما وأبا * وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فقال عمر بن سعد اشهد أنك مجنون ادخلوه علي فلما دخل حذفه بالقضيب وقال يا مجنون اتتكلم
بهذا الكلام والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك واخذ عمر بن سعد عقبة بن سمعان مولى
الرباب ابنة امرئ القيس الكلبية امرأة الحسين فقال ما أنت فقال انا عبد مملوك فخلى سبيله
فلم ينج منهم غيره وغير المرقع بن ثمامة الاسدي وكان قد نثر نبله فقاتل فجاء نفر من قومه فامنوه
فخرج اليهم فلما اخبر ابن زياد خبره نفاه الى الزارة ثم نادى عمر بن سعد في أصحابه من ينتدب
الى الحسين فيوطئه فرسه فانتدب عشرة منهم اسحق بن حيوة الحضرمي وهو الذي سلب
قميص الحسين فبرص بعد فاتوا فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره وكان عدة
من قتل من أصحاب الحسين اثنين وسبعين رجلا ودفن الحسين وأصحابه اهل الغاضرية من
بني اسد بعد قتلهم بيوم وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلا سوى الجرحى فصلى
عليهم عمر ودفنهم ولما قتل الحسين ارسل رأسه ورؤس اصحابه الى ابن زياد مع خولي بن يزيد
وحميد بن مسلم الازدي فوجد خولي القصر مغلقا فاتى منزله فوضع الرأس تحت اجانة في منزله

وهو نهر واسع اعظم من النيل والفرات فيرسوا بقرب مدينة بلغراد وهي مدينة حصينة لها سور ومنيع حصين وقد
احاط بها نهران عظيمان
وهما نهر طونة ونهر صاوة
ثم ان السلطان اسكنه الله
فسيح الجنان توجه بنفسه
من البر فخرج من مقر
سلطنته في حادي عشر
جمادى الآخرة من هذه
السنة الى مدينة ادرنة مع
شوكة عظيمة وصحبة العساكر
المنصورة وامر أمير الغزاة
والمجاهدين بالي بيك ابن يحيى
باشا على العساكر وامره بان
يسير بجيوش الموحدين
ويحاصر قلعة بلغراد وانه
قادم من خلفه ثم ان السلطان
عزم بعدهم من طريق قلعة
بوكردلن وهي قلعة حصينة
على شاطئ نهر صاوة وهو
الفاصل بين بلاد الاسلام
والكفر فامر أحمد باشا امير
الامراء بروم ايلي ان يحاصر
القلعة المذكورة فسار
وحاصرها حتى اخذها بعد
ايام ومقاساة آلام وحروب
عظيمة ثم جاء السلطان ونزل
امام بلغراد بموضع يقال له
زموين فامد الغزاة بالعساكر
ولم يزل يشتد الامر ويعظم
القتال وتقطع الرؤس وتزهق
النفوس حتى فتح الله تعالى
على المسلمين وفازوا بغنائم
لا تحصى فلما شاهد الكفار
هذا الفتح العظيم انقادوا
وجاؤا اليه بمفاتيح ثمان
قلاع منيعة هناك ثم ان السلطان امر بعمارة ما هدم من قلعة بلغراد وعين لها أميرا وقاضيا وعاد الى كرسيه لان الشتاء اقبل

ودخل فراشه وقال لامرأته النوار جئتك بغنى الدهر هذا رأس الحسين معك فى الدار
فقالت ويلك جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله
لا يجمع رأسى ورأسك بيت ابدا وقامت من الفراش فخرجت الى الدار قالت فما زلت انظر الى
نور يسطع مثل العمود من السماء الى الاجانة ورأيت طيرا أبيض يرفرف حولها فلما أصبح
غدا بالرأس الى ابن زياد وقيل بل الذى حمل الرؤس كان شمر وقيس بن الاشعث وعمرو بن الحجاج
وعروة بن قيس فجلس ابن زياد وأذن للناس فأحضرت الرؤس بين يديه وهو ينكت بقضيب بين
ثنيتيه ساعة فلما رآه زيد بن الارقم لا يرفع قضيبه قال أعل هذا القضيب عن هاتين الثنيتين
فوالذى لا اله غيره لقد رأيت شفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبلهما ثم
بكى فقال له ابن زياد ابكى الله عينيك فوالله لولا انك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك
فخرج وهو يقول أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة
فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل فبعدا لمن يرضى بالذل فاقام عمر بعد قتله يومين
ثم ارتحل الى الكوفة وحمل معه بنات الحسين واخواته ومن كان معه من الصبيان وعلى بن
الحسين مريض فاجتازوا بهم على الحسين واصحابه صرعى فصاح النساء ولطمن خدودهن
وصاحت زينب اخته يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء هذا الحسين بالعراء مزمل بالدماء
مقطع الاعضاء وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا فأبكت كل عدو وصديق فلما
ادخلوهم على ابن زياد لبست زينب ارذل ثيابها وتنكرت وحفت بها اماؤها فقال عبيد الله من
هذه الجالسة فلم تكلمه فقال ذلك ثلاثا وهى لا تكلمه فقال بعض امائها هذه زينب بنت فاطمة
فقال لها ابن زياد الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم واكذب احدوثتكم فقالت الحمد لله الذى
أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيرا لا كما تقول وانما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر فقال فكيف
رأيت صنع الله باهل بيتك قالت كتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك
وبينهم فتختصمون عنده فغضب ابن زياد وقال قد شفى الله غيظى من طاغيتك والعصاة المردة من
أهل بيتك فبكت وقالت لعمرى لقد قتلت كهلى وابرزت أهلى وقطعت فرعى واجتثثت
اصلى فان يشفك هذا فقد اشتفيت فقال لها هذه شجاعة لعمرى لقد كان أبوك شجاعا فقالت
ما للمرأة والشجاعة ولما نظر ابن زياد الى على بن الحسين قال ما اسمك قال على بن الحسين قال
اولم يقتل الله على بن الحسين فسكت فقال مالك لا تتكلم فقال كان لى اخ يقال له أيضا على فقتله
الناس فقال ان الله قتله فسكت على فقال مالك لا تتكلم فقال الله يتوفى الانفس حين موتها وما
كان لنفس ان تموت الا باذن الله قال انت والله منهم ثم قال لرجل ويحك انظر هذا هل ادرك انى
لاحسبه رجلا قال فكشف عنه مرى بن معاذ الاحمرى فقال نعم قد ادرك قال اقتله فقال على
من توكل بهذه النسوة وتعلقت به زينب فقالت يا ابن زياد حسبك منا اما رويت من دمائنا وهل
ابقيت منا احدا واعتنقته وقالت اسألك بالله ان كنت مؤمنا ان قتلته لما قتلتنى معه وقال له
على يا ابن زياد ان كانت بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلا تقيا يصحبهن بصحبة الاسلام فنظر
اليها ساعة ثم قال عجبا للرحم والله انى لاظنها ودت لو انى قتلته انى قتلتها معه دعوا الغلام ينطلق
مع نسائه ثم نادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس فصعد المنبر فخطبهم وقال الحمد لله الذى اظهر

والوقت ضاق ثم ان السلطان لما بلغه ما يحصل بالمسلمين السائرين على وجه البحر من التجار والحجاج والمسافرين
والصادرين والواردين من
جهة كفار رودس احب
الجهاد اليهم فعين لهم وزيره
فرهاد باشا المذكور بان يسير
الى طرف سيواس لحفظ
البلاد وكان بلغه خيانة
على بيك ابن شاه سوار صاحب
مرعش وأمر بقتله ان ظفر
به فسار فرهاد باشا حتى اذا
وصل الى قريب بلاده ارسل
الى على بيك المذكور بأن
يقدم اليه ليشاوره فى أمر
المملكة فلما اجتمع به قتله
وقتل أولاده معه ثم ان
السلطان امر الوزير الثانى
مصطفى باشا بان يسير بالعمارة
فى البحر فلا يرسى الا على
جزيرة رودس وخرج
السلطان بنفسه فى عساكر
لا تحصى فى ثامن عشر رجب
سنة ثمان وعشرين وتسعمائة
فسار من البر حتى نزل بقرب
يكى شهر من بلاد ايدين ثم ان
المسلمين الذين عينوا مع
الوزير الثانى من جهة البحر
ساروا فى نحو سبعمائة غراب
حتى ارسوا فى مرسى من
مراسى رودس يقال له انف
الثور وكانت قلعة رودس
من امنع حصون الدنيا وكان
بانيها ماهرا فى الهندسة
بحيث انه بنى سور القلعة
تحت الارض وعمل لها
خندقا عريضا عميقا وشحنها
بالمدافع وجعل للبلد سورين فى عرض سبعة اذرع وملأ ما بينهما وهو مقدار عشرة اذرع بالتراب والحجارة ولها

المطلق

الحق واهله ونصر امير المؤمنين يزيد وحزبه وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته فوثب اليه عبد الله بن عفيف الازدى ثم الوالبى وكان ضريرا قد ذهبت احدى عينيه يوم الجمل مع علي والاخرى بصفين معه أيضا وكان لا يفارق المسجد يصلى فيه الى الليل ثم ينصرف فلما سمع مقالة ابن زياد قال يا ابن مرجانة ان الكذاب ابن الكذاب انت وأبوك والذى ولاك وابوه يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين فقال علي به فاخذوه فنادى بشعار الازد يا مبرور فوثب اليه فتية من الازد فانتزعوه فارسل اليه من أتاه به فقتله وامر بصلبه فى المسجد فصلب رحمه الله وأمر ابن زياد برأس الحسين فطيف به فى الكوفة وكان رأسه أول رأس حمل فى الاسلام على خشبة فى قول والصحيح ان أول رأس حمل فى الاسلام رأس عمرو ابن الحمق ثم ارسل ابن زياد رأس الحسين ورؤس أصحابه مع زحر بن قيس الى الشام الى يزيد ومعه جماعة وقيل مع شمر وجماعة معه وأرسل معه النساء والصبيان وفيهم علي بن الحسين قد جعل ابن زياد الغل فى يديه ورقبته وحملهم على الاقتاب فلم يكلمهم علي بن الحسين فى الطريق حتى بلغوا الشام فدخل زحر بن قيس على يزيد فقال ما وراءك فقال ابشر يا أمير المؤمنين بفتح الله وبنصره ورد علينا الحسين بن علي فى ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته فسرنا اليهم فسألناهم ان ينزلوا على حكم الامير عبيد الله او القتال فاختاروا القتال فغدونا عليهم مع شروق الشمس فاحطنا بهم من كل ناحية حتى اذا اخذت السيوف ماخذها من هام القوم جعلوا يهربون الى غير وزر ويلوذون بالآكام والحفر كما لاذ الحمائم من صقر فوالله ما كان الاجزر جزور أو نومة قائل حتى اتينا على آخرهم فهاتيك اجسادهم مجردة وثيابهم مرملة وخدودهم معفرة تصهرهم الشمس وتسفى عليهم الريح زوارهم العقبان والرخم بقاع سبسب قال فدمعت عينا يزيد وقال كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية أما والله لو أنى صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين ولم يصله بشئ وقيل ان آل الحسين لما وصلوا الى الكوفة حبسهم ابن زياد وارسل الى يزيد بالخبر فبينما هم فى الحبس اذ سقط عليهم حجر فيه كتاب مربوط وفيه ان البريد سار بأمركم الى يزيد فيصل يوم كذا ويعود يوم كذا فان سمعتم التكبير فايقنوا بالقتل وان لم تسمعوا تكبيرا فهو الامان فلما كان قبل قدوم البريد بيومين او ثلاثة اذا حجر قد ألقى وفيه كتاب يقول فيه اوصوا واعهدوا فقد قارب وصول البريد ثم جاء البريد بامر يزيد بارسالهم اليه فدعا ابن زياد محفر بن ثعلبة وشمر بن ذى الجوشن وسيرهما بالثقل والرأس فلما وصلوا الى دمشق نادى محفر بن ثعلبة على باب يزيد جئنا برأس احمق الناس وألأمهم فقال يزيد ما ولدت ام محفر ألأم واحمق منه ولكنه قاطع ظالم ثم دخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه وحدثوه فسمعت الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز وكانت تحت يزيد فتقنعت بثوبها وخرجت فقالت يا امير المؤمنين أرأس الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فاعولى عليه وحدى على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصريحة قريش عجل عليه ابن زياد فقتله قتله الله ثم اذن للناس فدخلوا عليه والرأس بين يديه ومعه قضيب وهو ينكت به ثغره ثم قال ان هذا وايانا كما قال الحصين بن الحمام

أبى قومنا أن ينصفونا فانصفت ¤ قواضب فى ايماننا تقطر الدما

من جانب البحر مبنى عظيمة مدورة كالحوض ولها باب مخصوص وجعلوا عليها سلسلة من حديد ولها بعض قلل وبروج تتناهى فى الرفعة والاحكام سمك السماء وفى رابع شهر رمضان اجتاز السلطان مع العسكر من البحر الى جهة رودس فنزل بمحل رفيع مشرف على الحصن وقدم خير الدين بك الجركسى نائب مصر فى أربعة وعشرين غرابا امدادا للمسلمين واستمروا فى أمر الحصار بالمكاحل والمدافع مدة تزيد على ثلاثين يوما فلم يغنوا شيأ لان سورها كان مملوأ بالتراب وحجارتها رخوة فشرعوا فى نقل التراب وطم الخنادق ونقب الاسوار من تحت الارض ثم انهم ملؤا النقوب بالبارود واضرموها بالنار فانفتح بسبب ذلك عدة مواضع يمكن العبور منها الى القلعة فلما شاهد الكفار ذلك استأمنوا على انفسهم واولادهم فامنهم السلطان ثم رجعوا عن ذلك لانهم أتاهم مدد من الكفار فى عدة مراكب بالليل ثم شرع المسلمون فى الحرب ثانيا حتى اضطر الكفار ونادوا يا أهل الايمان الامان الامان وذلك فى وقت العصر وأرسل امير القلعة خمسين نفرا من كبارهم بالرسالة فقبل السلطان سؤالهم وأذن لهم فى المسير مع جماعة وأمرهم بأن يطلقوا الاسارى المسلمين فاطلقوا ائمة كثيرة كانوا ماسورين من الاشراف والاعيان والعباد من مدة مديدة مطلولة فى سلاسل واغلال

يفلقن هاما من رجال اعزة * علينا وهم كانوا اعق واظلما

فقال له ابو برزة الاسلمي اتنكث بقضيبك في ثغر الحسين اما لقد اخذ قضيبك في ثغره مأخذا ربما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشفه اما انك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك ويجيء هذا ومحمد شفيعه ثم قام فولى فقال يزيد والله يا حسين لو كنت انا صاحبك ما قتلتك ثم قال اتدرون من أين أتي هذا قال أبي علي خير من ابيه وفاطمة امي خير من أمه وجدي رسول الله خير من جده وانا خير منه واحق بهذا الامر منه فاما قوله ابوه خير من ابي فقد تحاج أبي وأبوه الى الله وعلم الناس ايهما حكم له واما قوله امي خير من امه فلعمري فاطمة بنت رسول الله خير من أمي واما قوله جدي رسول الله خير من جده فلعمري ما احد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عدلا ولا ندا ولكنه انما أتي من قبل فقهه ولم يقرأ قل اللهم مالك الملك ثم ادخل نساء الحسين عليه والرأس بين يديه فجعلت فاطمة وسكينة ابنتا الحسين يتطاولان لينظرا الى الرأس وجعل يزيد يتطاول ليستر عنهما الرأس فلما رأين الرأس صحن فصاح نساء يزيد وولولت بنات معاوية فقالت فاطمة بنت الحسين وكانت أكبر من سكينة ابنات رسول الله سبايا يا يزيد فقال يا ابنة اخي انا لهذا كنت اكره قالت والله ما ترك لنا خرص فقال ما اتى اليكن اعظم مما اخذ منكن فقام رجل من اهل الشام فقال هب لي هذه يعني فاطمة فأخذت بثياب اختها زينب وكانت اكبر منها فقالت زينب كذبت ولؤمت ما ذلك لك ولا له فغضب يزيد وقال كذبت والله ان ذلك لي ولو شئت ان افعله لفعلته قالت كلا والله ما جعل الله لك ذلك الا ان تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا فغضب يزيد واستطار ثم قال اياي تستقبلين بهذا انما خرج من الدين ابوك واخوك قالت زينب بدين الله ودين ابي واخي وجدي اهتديت انت وابوك وجدك قال كذبت يا عدوة الله قالت انت امير تشتم ظالما وتقهر بسلطانك فاستحى وسكت ثم اخرجن وادخلن دور يزيد فلم تبق امرأة من آل يزيد الا اتتهن واقمن المأتم وسألهن عما اخذ منهن فاضعفه لهن فكانت سكينة تقول ما رأيت كافرا بالله خيرا من يزيد بن معاوية ثم امر بعلي بن الحسين فأدخل مغلولا فقال لو رآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مغلولين لفك عنا قال صدقت وامر بفك غله عنه فقال علي لو رآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعداء لاحب ان يقربنا فامر به فقرب منه وقال له يزيد ايه يا علي بن الحسين ابوك الذي قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما رأيت فقال علي ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور فقال يزيد وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ثم سكت عنه وأمر بانزاله وانزال نسائه في دار على حده وكان يزيد لا يتغدى ولا يتعشى الا دعا عليا اليه فدعاه ذات يوم ومعه عمرو بن الحسين وهو غلام صغير فقال لعمرو أتقاتل هذا يعني خالد بن يزيد فقال عمرو اعطني سكينا واعطه سكينا حتى اقاتله فضمه يزيد اليه وقال شنشنة أعرفها من أخزم هل تلد الحية الا حية وقيل لما وصل رأس الحسين الى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسره ما فعل ثم لم يلبث الا يسيرا حتى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبهم فندم على قتل الحسين فكان يقول وما علي لو احتملت الاذى وانزلت الحسين معي في داري وحكمته فيما يريد وان كان علي

فدخلوا البلد واخربوا الكنائس وجعلوها جوامع وهؤلاء الطائفة الذين خرجوا من قودس عمر واقلعة ملطية وسكنوا بها فافسدوا طريق الحاج وغيرهم من المسلمين ثم توجه السلطان الى مدينة اسلامبول وفي رمضان سنة تسع وعشرين وتسعمائة ولي أحمد باشا نيابة مصر فلما وصل اليها رفع راية الخلاف واستمال من بقي من الجراكسة المفسدين واعلن بالملك لنفسه وضرب السكة باسمه وخطب له على المنابر وكان أحمد باشا استصحب معه محمد بيك وجعله وزيرا وكان عاقلا فرأى عاقبة هذا الامر خاسرة فتدارك في تلافيه فترصد الفرصة فاتفق ان دخل أحمد باشا المذكور الحمام فكمن الوزير مع جماعة من العثمانية وظفروا به فقتلوه وضبط أحوال مصر الى ان وصل من الباب العالي الوزير كوزلجه قاسم باشا وفي سنة ثلاثين وتسعمائة كانت وليمة الوزير ابراهيم باشا في مدينة اسلامبول وكان عرسا عظيما حضره السلطان وجميع العلماء والاعيان وفي سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة خرج السلطان سليمان الى قتال الطائفة الطاغية انكروس فلما وصل الى بلغراد لم يزل مشغولا بفتح الحصون والقلاع وجاء أكثر أربابها مستأمنين بمفاتيح القلاع ثم سار السلطان حتى انتهى الى نهر صاوه وهو من أعظم انهار الدنيا في

في ذلك وهن في سلطاني حفظا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورعاية لحقه وقرابته لعن الله ابن مرجانة فانه اضطره وقد سأله ان يضع يده في يدي أو يلحق بثغر حتى يتوفاه الله فلم يجبه الى ذلك فقتله فبغضني بقتله الى المسلمين وزرع في قلوبهم العداوة فابغضني البر والفاجر بما استعظموه من قتلي الحسين مالي ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه ولما اراد ان يسيرهم الى المدينة امر يزيد النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم ويسير معهم رجلا أمينا من أهل الشام ومعه خيل يسير بهم الى المدينة ودعا عليا ليودعه وقال له لعن الله ابن مرجانة اما والله لو اني صاحبه ما سألني خصلة ابدا الا اعطيته اياها ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي ولكن قضى الله ما رأيت يا بني كاتبني بكل حاجة تكون لك وأوصى بهم هذا الرسول فخرج بهم فكان يسايرهم ليلا فيكونون امامه بحيث لا يفوتون طرفه فاذا نزلوا تنحى عنهم هو واصحابه فكانوا حولهم كهيئة الحرس وكان يسألهم عن حاجتهم ويلاطفهم حتى دخلوا المدينة فقالت فاطمة بنت علي لاختها زينب لقد احسن هذا الرجل الينا فهل لك ان نصله بشيء فقالت والله ما معنا ما نصله به الا حلينا فاخرجتا سوارين ودملجين لهما فبعثتا به اليه واعتذرتا فرد الجميع وقال لو كان الذي صنعت للدنيا لكان في هذا ما يرضيني ولكن والله ما فعلته الا لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع الحسين امرأته الرباب بنت امرئ القيس وهي ام ابنته سكينة وحملت الى الشام فيمن حمل من أهله ثم عادت الى المدينة فخطبها الاشراف من قريش فقالت ما كنت لاتخذ حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقيت بعده سنة لم يظلها سقف بيت حتى بليت وماتت كمدا وقيل انها اقامت على قبره سنة وعادت الى المدينة فماتت اسفا عليه وأرسل عبيد الله بن زياد مبشرا الى المدينة بقتل الحسين الى عمرو بن سعيد فلقيه رجل من قريش فقال ما الخبر فقال الخبر عند الامير فقال القرشي انا لله وانا اليه راجعون قتل الحسين ودخل البشير على عمرو بن سعيد فقال ما وراءك قال ما سر الامير قتل الحسين بن علي فقال ناد بقتله فنادى فصاح نساء بني هاشم وخرجت ابنة عقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها حاسرة تلوي ثوبها وهي تقول

ماذا تقولون اذ قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي * منهم اسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم * ان تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

فلما سمع عمرو أصواتهن ضحك وقال

عجت نساء بني زياد عجة * كعجيج نسوتنا غداة الارنب

والارنب وقعة كانت لبني زبيد على بني زياد من بني الحرث بن كعب وهذا البيت لعمرو بن معديكرب ثم قال عمرو ناعية كناعية عثمان ثم صعد المنبر فاعلم الناس قتله ولما بلغ عبد الله بن جعفر قتل ابنيه مع الحسين دخل عليه بعض مواليه يعزيه والناس يعزونه فقال مولاه هذا ما لقيناه من الحسين فحذفه ابن جعفر بنعله وقال يا ابن اللخناء أللحسين تقول هذا والله لو شهدته لاحببت ان لا أفارقه حتى اقتل معه والله انه لمما يسخي بنفسي عنهما ويهون علي المصاب بهما انهما اصيبا مع اخي وابن عمي مواسيين له صابرين معه ثم قال ان لم تكن آست الحسين يدي فقد

فامر السلطان فاتخذوا عليه جسرا ممدودا امام قلعة أوسك فاجتاز العسكر منه جميعا الى بلاد الكفار ثم أمر السلطان برفع الجسر فرفع فبقي المسلمون في بلاد الكفار وذلك لشهامته وقوة عزيمته وقطع اطماع العسكر من الفرار الى بلادهم ولما سمع القرال لاوش رئيس كفار انكروس قصد المسلمين جمع مردته الشياطين وسار من كرسي مملكته بدون الى طرف عسكر الاسلام نحو خمس منازل وخيم في مفازة هنالك تسمى صهارج واشرف المسلمون على محل الكفار وربوة القتال فرتبوا الميمنة والميسرة واخذوا اهبة الحرب وتضرع السلطان الى الله تعالى وسأل الهم النصر واستمد بروحانية سيد الانام صلى الله عليه وسلم وجعلوا امام الينكجرية في هيئة الحاجز بين العسكرين مائة وخمسين عجلة كانت تجر المدافع الكبار وركبوا عليها المدافع وقيدوا بعضها ببعض بالسلاسل لان غالب العسكر مشاة يخاف عليهم من خيل الكفار ووقف الينكجرية تسعة صفوف كما هي عادتهم في الحروب فجاء الكفار وهجموا باجمعهم على القلب فرأوا أنه لا سبيل الى العبور بسبب العجلات فانحازوا الى طرف الميمنة فوقع بينهم وبين عسكر روم ايلي مقتلة عظيمة فلما علم الكفار ان لا طاقة لهم بهم انحازوا الى طرف عسكر اناطولي فاقتتلوا اقتتالا شديدا وقد كان أصاب

آساه ولدى ولما وفد اهل الكوفة بالرأس الى الشأم ودخلوا مسجد دمشق أتاهم مروان بن الحكم فسألهم كيف صنعوا فاخبروه فقام عنهم ثم أتاهم اخوه يحيى بن الحكم فسألهم فاعادوا عليه الكلام فقال حجبتم عن محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة لن اجامعكم على أمر ابدا ثم انصرف عنهم فلما دخلوا على يزيد قال يحيى بن الحكم

لهام بجنب الطف أدنى قرابة * من ابن زياد العبد ذى الحسب الوغل
سمية امسى نسلها عدد الحصى * وليس لآل المصطفى اليوم من نسل

فضرب يزيد فى صدره وقال اسكت قيل وسمع بعض اهل المدينة ليلة قتل الحسين مناديا ينادى

أيها القاتلون جهلا حسينا * أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعو عليكم * من نبى وملائك وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داو * د وموسى وصاحب الانجيل

ومكث الناس شهرين او ثلاثة كأنما تلطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع قال رأس جالوت ذلك الزمان مامررت بكربلاء الا وانا اركض دابتى حتى أخلف المكان لانا كنا نتحدث ان ولد نبى يقتل بذلك المكان فكنت أخاف فلما قتل الحسين امنت فكنت أسير ولا اركض قيل وكان عمر الحسين يوم قتل خمسا وخمسين سنة وقيل قتل وهو ابن احدى وستين وليس بشئ وكان قتله يوم عاشوراء سنة احدى وستين (برير بن خضير بضم الباء الموحدة وفتح الراء المهملة وسكون الباء المثناة من تحتها وآخره راء وخضير بالخاء والضاد المعجمتين وثبيت بضم الثاء المثلثة وفتح الباء الموحدة وسكون الباء المثناة من تحتها وآخره تاء مثناة من فوقها ومحفز بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الفاء المكسورة وآخره راء) وقال التيمى تيم مرة يرثى الحسين واهله وكان منقطعا الى بنى هاشم

مررت على أبيات آل محمد * فلم ارها امثالها يوم حلت
فلا يبعد الله الديار واهلها * وان اصبحت من أهلها قد تخلت
وان قتيل الطف من آل هاشم * اذل رقاب المسلمين فذلت
وكانوا رجاء ثم اضحوا رزية * لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
وعند غنى قطرة من دمائنا * سنجزيهم يوما بها حيث حلت
اذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها * وتقتلنا قيس اذا النعل زلت

(ذكر أسماء من قتل معه)

قال سليمان لما قتل الحسين ومن معه حملت رؤسهم الى ابن زياد فجاءت كندة بثلاثة عشر رأسا وصاحبهم قيس بن الاشعث وجاءت هوازن بعشرين رأسا وصاحبهم شمر بن ذى الجوشن الضبابى وجاءت بنو تميم بسبعة عشر رأسا وجاءت بنو اسد بستة ارؤس وجاءت مذحج بسبعة أرؤس وجاء سائر الجيش بسبعة ارؤس فذلك سبعون رأسا وقتل الحسين وقتله سنان بن انس النخعى لعنه الله وقتل العباس بن على وامه ام البنين بنت حزام قتله زيد بن داود الجنبى وحكيم بن الطفيل السق وقتل جعفر بن على وامه ام البنين ايضا وقتل عبد الله بن على وامه ام البنين ايضا وقتل عثمان ابن على وامه ام البنين أيضا رماه خولى بن يزيد بسهم فقتله وقتل محمد بن على وامه ام ولد قتله

رئيس الكفرة القرال لاوش مدفع من جهة المسلمين فضعفت عن المقاومة وامتد القتال الى غروب الشمس ثم انتصر المسلمون وانهزم المشركون كحمر مستنفرة فرت من قسورة فتبعهم المسلمون وقتلوا منهم مقتلة عظيمة حتى صارت الاجساد كالتلال ثم أقبل الليل فباتوا وقد جرت الدماء كالسيل فغنم العسكر منهم شيأ كثيرا لا يحصى ثم نهض السلطان الى فتح كرسى مملكة القرال قلعة بدون فوصل اليها فوجدها خالية لا انيس بها ولا جليس فاستولى عليها وأتى له بمفتاح بشته وهى بلدة مقابل بدون فى الطرف الآخر من نهر طونة وكان هذا الفتح من اعظم الفتوحات الجليلة فلما دخل السلطان الى حدود بلاد الاسلام بلغ السلطان انه توغل فى بلاد الكفار وانقطع خبره عن المسلمين فخرج فى بلاد اناطولى عدة خوارج منهم قلندر ومنهم سيدى خليفة فاستفحل أمرهم وكثر جمعهم وخرج كل منهم فى ناحية وقتلوا ونهبوا من المسلمين والامراء المودعين لحفظ البلاد خلقا كثيرا فعين لهم السلطان عساكر فقتلوهم وهزموهم وفى سنة أربعين وتسعمائة أمر السلطان سليمان خان لنظام الملك ابراهيم باشا الوزير الاعظم ان يشتى فى حلب ثم يسير اذا دخل زمن الربيع الى طرف العراق وأمره على العساكر المنصورة فوصل الى حلب وقد

رحل

رجل من بنى دارم وقتل ابو بكر بن على وامه ليلى بنت مسعود الدارمية وقد شك فى قتله وقتل على بن الحسين بن على وامه ليلى ابنة أبي مرة بن عروة الثقفى وامه ميمونة ابنة ابى سفيان بن حرب قتله منقذ بن النعمان العبدى وقتل عبد الله بن الحسين بن على وامه الرباب ابنة امرئ القيس الكلبي قتله هانئ بن ثبيت الحضرمى وقتل أبو بكر ابن اخيه الحسن أيضا وأمه ام ولد قتله حرملة بن الكاهن رماه بسهم وقتل القاسم بن الحسن أيضا قتله سعد بن عمرو بن نفيل الازدى وقتل عون بن ابى جعفر بن أبي طالب وامه جماعة بنت المسيب بن نجبة الفزارى قتله عبد الله بن قطبة الطائى وقتل محمد بن عبد الله بن جعفر وامه الخوصاء بنت خصفة بن تيم الله بن ثعلبة قتله عامر بن نهشل التيمى وقتل جعفر بن عقيل بن أبي طالب وامه ام بنين ابنة الشقر بن الهضاب قتله بشر بن الخوط الهمدانى وقتل عبد الرحمن بن عقيل وامه ام ولد قتله عثمان بن خالد الجهنى وقتل عبد الله بن عقيل وامه ام ولد رماه عمرو بن صبيح الصيداوى بسهم فقتله وقتل مسلم بن عقيل بالكوفة وامه ام ولد وقتل عبد الله بن مسلم بن عقيل وامه رقية ابنة على بن ابى طالب قتله عمرو بن صبيح الصيداوى ويقال قتله مالك بن أسيد الحضرمى وقتل محمد بن أبى سعيد ابن عقيل وامه ام ولد قتله لقيط بن ياسر الجهنى واستصغر الحسن بن الحسن بن على وامه خولة بنت منظور بن زبان الفزارى واستصغر عمرو بن الحسين وامه ام ولد فلم يقتلا وقتل من الموالى الحسين قتله سليمان بن عوف الحضرمى وقتل منجح مولى الحسين أيضا وقتل عبد الله بن بقطر رضيع الحسين قال ابن عباس رأيت النبى صلى الله عليه وسلم الليلة التى قتل فيها الحسين وبيده قارورة وهو يجمع فيها دما فقلت يارسول الله ماهذا قال هذه دماء الحسين واصحابه ارفعها الى الله تعالى فأصبح ابن عباس فاعلم الناس بقتل الحسين وقص رؤياه فوجد قد قتل فى ذلك اليوم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم اعطى أم سلمة ترابا من تربة الحسين حمله اليه جبريل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لام سلمة اذا صار هذا التراب دما فقد قتل الحسين فحفظت ام سلمة ذلك التراب فى قارورة عندها فلما قتل الحسين صار التراب دما فاعلمت الناس بقتله أيضا وهذا يستقيم على قول من يقول ام سلمة توفيت بعد الحسين ثم ان ابن زياد قال لعمر بن سعد بعد عوده من قتل الحسين ياعمر ائتنى بالكتاب الذى كتبته اليك فى قتل الحسين قال مضيت لامرك وضاع الكتاب قال لتجيئنى به قال ضاع قال لتجيئنى به قال ترك والله يقرأ على عجائز قريش بالمدينة اعتذارا اليهن أما والله لقد نصحتك فى الحسين نصيحة لو نصحتها ابى سعد بن ابى وقاص لكنت قد اديت حقه فقال عثمان بن زياد اخو عبيد الله صدق والله لوددت انه ليس من بنى زياد رجل الاوفى انفه خزامة الى يوم القيامة وان الحسين لم يقتل فما أنكر ذلك عبيد الله بن زياد آخر (المقتل)

(ذكر مقتل ابى بلال مرداس بن جدير الحنظلى)

قد تقدم ذكر سبب خروجه وتوجيه عبيد الله بن زياد العساكر اليه فى الفى رجل فالتقاهم بآسك وهزيمة عسكر ابن زياد فلما هزمهم أبو بلال وبلغ ذلك ابن زياد ارسل اليه ثلاثة آلاف عليهم عباد بن الاخضر والاخضر زوج أمه نسب اليه وهو عباد بن علقمة بن عباد التميمى فاتبعه حتى لحقه بتوج (٢) فصف له عباد وحمل عليهم ابو بلال فيمن معه فثبتوا واشتد القتال حتى دخل وقت العصر فقال ابو بلال هذا يوم جمعة وهو يوم عظيم وهذا وقت العصر فدعونا حتى نصلى

صادف أول الشتاء فلما سمع سلطان بلاد العجم ان الوزير ابراهيم باشا شتى بحلب ارتحل من تحت اذربيجان الى بلاد خراسان وكان فكر الوزير فى استخلاص قلعة وان وعاد الوزير سائر القلاع التى فى تلك النواحى فلما اقبل الربيع خرج الوزير المذكور من حلب وقارب تلك النواحى اذ أقبل رسول حاكم تلك القلاع بمفاتيحها فعين الوزير اناسا لضبطها وحراستها ووصلت أيضا مفاتيح عدة قلاع من بلاد الاكراد ولما وصل الوزير مع العساكر الى بلاد العجم توقف العسكر وقالوا لا يقابل السلطان الا السلطان فنحن لانقابل سلطان العجم مالم يكن السلطان معنا فخاف الوزير من غائلة هذا الامر فارسل بريد السلطان بالنهوض والوصول اليه والا تلاشت الامور فخرج السلطان من مدينة قسطنطينية فى ثامن شهر ذى القعدة سنة أربعين وتسعمائة فاستقبله أهل تبريز وهنؤه بالقدوم وفى غد ذلك اليوم نهض السلطان فنزل بأرجان وكان الوزير ابراهيم باشا حمل ركابه فيه فتلاطم البحران واجتمع العسكران واستسعد الوزير بتقبيل ركاب السلطان فخلع عليه وعلى بقية الامراء الذين كانوا معه وكان صاحب كيلان السلطان مظفر قد قدم الى الوزير ابراهيم باشا بمدينة تبريز بعشرة آلاف من عسكره كلهم مشاة مافيهم

فاجابهم ابن الاخضر وتحاجزوا فعجل ابن الاخضر الصلاة وقيل قطعها والخوارج يصلون فشد عليهم هو واصحابه وهم ما بين قائم وراكع وساجد لم يتغير منهم احد من حاله فقتلوا من آخرهم واخذ رأس ابي بلال ورجع عباد الى البصرة فرصده بها عبيدة بن هلال ومعه ثلاثة نفر فاقبل عباد يريد قصر الامارة وهو مردف ابناً له صغيراً فقالوا له قف حتى نستفتيك فوقف فقالوا نحن اخوة أربعة قتل اخونا فما ترى قال استعدوا الامير قالوا قد استعديناه فلم يعدنا قال فاقتلوه قتله الله فوثبوا عليه وحكموا به فالقى ابنه فنجا وقتل هو فاجتمع الناس على الخوارج فقتلوا غير عبيدة ولما قتل ابن عباد كان ابن زياد بالكوفة ونائبه بالبصرة عبيد الله بن ابي بكرة فكتب اليه يأمره أن يتبع الخوارج ففعل ذلك وجعل يأخذهم فاذا شفع في احدهم ضمنه الى ان يقدم ابن زياد ومن لم يكفله احد حبسه وأتى بعروة بن ادية فاطلقه وقال انا كفيلك فلما قدم ابن زياد اخذ من في الحبس من الخوارج فقتلهم وطلب الكفلاء بمن كانوا به فمن أتى بخارجي اطلقه وقتل الخارجي ومن لم يات بالخارجي قتله ثم طلب عبيد الله بن ابي بكرة بعروة بن أدية قال لا اقدر عليه فقال اذن اقتلك به فلم يزل يبحث عنه حتى ظفر به واحضره عند ابن زياد فقال له ابن زياد لامثلن بك فقال اختر لنفسك من القصاص ما شئت فأمر به فقطعت يداه ورجلاه وصلبه وقيل انه قتل سنة ثمان وخمسين

(ذكر ولاية سلم بن زياد على خراسان وسجستان)

قيل في هذه السنة استعمل يزيد سلم بن زياد على خراسان وسبب ذلك ان سلماً قدم على يزيد فقال له يزيد يا أبا حرب اوليك عمل اخويك عبد الرحمن وعباد فقال ما احب امير المؤمنين فولاه خراسان وسجستان فوجه سلم الحرث بن معاوية الحارثي جد عيسى بن شبيب الى خراسان وقدم سلم البصرة فتجهز منها فوجه اخاه يزيد الى سجستان فكتب عبيد الله بن زياد الى اخيه عباد يخبره بولاية سلم فقسم عباد ما في بيت المال على عبيده وفضل فضل فنادى من اراد سلفاً فليأخذ فاسلف كل من اتاه وخرج عباد من سجستان فلما كان بجيرفت بلغه مكان سلم وكان بينهما جبل فعدل عنه فذهب لعباد تلك الليلة الف مملوك أقل ما مع احدهم عشرة آلاف وسار عباد على فارس فقدم على يزيد فسأله عن المال فقال كنت صاحب ثغر فقسمت ما اصبت بين الناس ولما سار سلم الى خراسان كتب معه يزيد الى أخيه عبيد الله بن زياد ينتخب له ستة آلاف فارس وقيل الفي فارس وكان سلم ينتخب الوجوه فخرج معه عمران بن الفضيل البرجمي والمهلب بن أبي صفرة وعبد الله بن خازم السلمي وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي وحنظلة بن عرادة ويحيى ابن يعمر العدواني وصلة بن اشيم العدوي وغيرهم وسار سلم الى خراسان وعبر النهر غازياً وكان عمال خراسان قبله يغزون فاذا دخل الشتاء رجعوا الى مرو الشاهجان فاذا انصرف المسلمون اجتمع ملوك خراسان بمدينة مما يلي خوارزم فيتعاقدون ان لا يغزو بعضهم بعضاً ويتشاورون في أمورهم فكان المسلمون يطلبون الى امرائهم غزو تلك المدينة فيأبون عليهم فلما قدم سلم غزا فشتا في بعض مغازيه فألح عليه المهلب بن أبي صفرة وسأله التوجه الى تلك المدينة فوجهه في ستة آلاف وقيل أربعة آلاف فحاصرهم فطلبوا ان يصالحهم على ان يفدوا أنفسهم فاجابهم الى ذلك وصالحوه على نيف وعشرين ألف ألف وكان في صلحهم ان يأخذ منهم

فارس غير سلطانهم فلما اجتمع بالسلطان سليمان خان طيب خاطره ووعده بمساعدته حين الاحتياج وفي سادس عشر ربيع الاول رحل السلطان من أرجان ونزل بالسلطانية في سلخ الشهر وفيها ورد محمد خان بن شاهرخ بن ذي الغادر طائعاً الى السلطان وأذن السلطان لصاحب كيلان بالمسير لبلاده ونهض السلطان بالعسكر وقد نزل الشتاء واقبل البرد فتوجه الى طرف العراق ليشتي فوصل الى مدينة بغداد في ثامن عشر جمادى الاولى سنة احدى وأربعين وتسعمائة وكان النائب بها من قبل سلطان العجم بكاو محمد خان فلما سمع بوصول العسكر الى حدود العراق بعث الى السلطان بالطاعة ثم أخذ أمواله وعياله وهرب الى بلاد العجم فدخل العسكر بغداد ونصبوا الرايات العثمانية على بروجها ثم قصد السلطان زيارة سيدنا أبي حنيفة رحمه الله وكان شاه اسمعيل لما ملك بغداد أمر بنقض تربته بتجديد السلطان عليه مشهداً عظيماً وبنى فيه تكية يطبخ فيها الطعام وبنى عليه قلعة حصينة ووضع فيها المدافع والمكاحل والحراس وزار سيد بني هاشم موسى الكاظم روح الله روحه في ظاهر بغداد وقصد زيارة سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره ثم قصد زيارة المشهدين المعظمين مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومشهد عروضا

عرضا فكان يأخذ الرأس والدابة والمتاع بنصف ثمنه فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين الف ألف
فحظي بها المهلب عند سلم وأخذ سلم من ذلك ما أعجبه وبعث به الى يزيد وغزا سلم سمرقند وعبرت
معه النهر امرأته أم محمد ابنة عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفية وهي أول امرأة من
العرب قطع بها النهر فولدت له ابنا سماه صغدي واستعارت امرأته من امرأة صاحب الصغد
حليها فلم تعده اليها وذهبت به ووجه جيشا الى خجندة فيهم اعشى همدان فهزموا فقال اعشى

ليت خيلي يوم الخجندة لم تهـ ـزم وغودرت في المكر سليبا
تحضر الطير مصرعي وتروحـ ـت الى الله بالدماء خضيبا

(ذكر ولاية يزيد بن زياد وطلحة الطلحات سجستان)

ولما استعمل يزيد بن معاوية سلم بن زياد على خراسان استعمل اخاه يزيد على سجستان فغدر أهل
كابل فنكثوا واسروا أبا عبيدة بن زياد فسار اليهم يزيد بن زياد في جيش فاقتتلوا وانهزم المسلمون
وقتل منهم كثير فمن قتل يزيد بن عبد الله بن أبي مليكة وصلة بن اشيم ابو الصهباء العدوي زوج
معاذة العدوية فلما بلغ الخبر سلم بن زياد سير طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي وهو طلحة الطلحات
ففدى أبا عبيدة بن زياد بخمسمائة ألف درهم وسار طلحة من كابل الى سجستان واليا عليها فجبى
المال واعطى زواره ومات بسجستان واستخلف رجلا من بني يشكر فاخرجته المضرية
ووقعت العصبية فطمع فيهم رتبيل

(ذكر ولاية الوليد بن عتبة المدينة والحجاز وعزل عمرو بن سعيد)

قيل وفي هذه السنة عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة وولاها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان
وكان سبب ذلك ان عبد الله بن الزبير أظهر الخلاف على يزيد وبويع بمكة بعد قتل الحسين فانه
لما بلغه قتل الحسين قام في الناس فعظم قتله وعاب أهل الكوفة خاصة واهل العراق عامة فقال
بعد حمد الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل العراق غدر فجر الا قليلا
وان أهل الكوفة شرار أهل العراق وانهم دعوا الحسين لينصروه ويولوه عليهم فلما قدم عليهم
ثاروا اليه فقالوا اما ان تضع يدك في ايدينا فنبعث بك الى ابن زياد بن سمية فيمضي فيك حكمه
واما ان تحارب فرأى والله انه هو واصحابه قليل في كثير فان كان الله لم يطلع على الغيب احدا
انه مقتول ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة فرحم الله الحسين واخزى قاتله
لعمري لقد كان من خلافهم اياه وعصيانهم ما كان في مثله واعظ وناه عنهم ولكنه ما قدر نازل
واذا أراد الله أمرا لم يدفع أفبعد الحسين نطمئن الى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم
عهدا لا والله لا نراهم لذلك أهلا أما والله لقد قتلوه طويلا بالليل قيامه كثيرا في النهار صيامه
أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل أما والله ما كان يبدل بالقرآن غنا ولا بالبكاء من
خشية الله حدا ولا بالصيام شرب الخمر ولا بالمجالس في حلق الذكر بكلاب الصيد يعرض بيزيد
فسوف يلقون غيا فثار اليه أصحابه وقالوا أظهر بيعتك فانك لم يبق أحد اذ هلك الحسين ينازعك
هذا الامر وقد كان يبايع سرا ويظهر انه عائذ بالبيت فقال لهم لا تعجلوا وعمرو بن سعيد يومئذ
عامل مكة وهو أشد شيء على ابن الزبير وهو مع ذلك يداري ويرفق فلما استقر عند يزيد ما قد جمع
ابن الزبير بمكة من الجموع أعطى الله عهدا ليوثقنه في سلسلة فبعث اليه سلسلة من فضة مع

ولده الحسين رضوان الله عليهم اجمعين واستمد من أرواحهم ما ثم زار المزارات المتبركة ثم ان السلطان لما اقبل الربيع نزل في عشر ذي الحجة سنة احدى واربعين وتسعمائة بمنزل يقال له صار وجه قش فوصل رسول صاحب الشرق يعرض الاخلاص ويطلب الصلح فلم يلتفت السلطان الى كلامه واستمر في مسيره الى مدينة مراغة ثم الى مدينة تبريز وفي رابع شهر محرم سنة اثنتين واربعين وتسعمائة ركب السلطان ودخل مدينة تبريز ليتفرج ويصلي صلاة الجمعة فنزل شوالة جامع السلطان حسن فصلى فيه صلاة الجمعة وخطب الخطيب خطبة بليغة باسمه ثم نهض بالعسكر الجرار والبحر الزخار يريد قتال شاه طهماسب المذكور فتوغل في بلاده حتى وصل الى بلاد مدينة درگزين وفيها وصل وافد شاه طهماسب بالكتاب يريد الصلح وانه لا يقابل ولا يقاتل ابدا ويرجو من كرم السلطان ان يرحم الرعايا والبرايا فقد هلكت دوابهم وخربت بلادهم وان يعفو عنا فيعود بالعز والاكرام الى طرف الروم وعاهده ان لا يخونه وتكون له البلاد التي أخذها منه ولا ينازعه فيها ابدا وانه يلبيه كلما دعاه فلما تحقق السلطان منه ذلك أمر العسكر بالعود فعاد حتى دخل مقر سلطنته قسطنطينية في رابع عشر رجب وقد زينت المدينة واستبشروا بقدومه وفي ليلة

ابن عطاء الاشعري وسعد وأصحابهما ليأتوه به فيها وبعث معهم برنس خز ليلبسوه عليها لئلا تظهر للناس فاجتازوا بابن عطاء بالمدينة وبها مروان بن الحكم فاخبروه ما قدموا له فارسل مروان معه ولدين له احدهما عبد العزيز وقال اذا بلغته رسل يزيد فتعرضا له وليتمثل احدكما بهذا القول فقال

فخذها فليست للعزيز بخطة * وفيها فعال لامرئ متذلل

أعامر ان القوم ساموك خطة * وذلك في الجيران عزلا بمعزل

اراك اذا ما كنت للقوم ناصحا * يقال له بالدلو ادبر واقبل

فلما بلغه الرسول الرسالة قال عبد العزيز الابيات فقال ابن الزبير يا بني مروان قد سمعت ما قلتما فاخبرا أباكما

اني لمن نبعة صم مكاسرها * اذا تناوحت القصباء والعشر

فلا ألين لغير الحق اسأله * حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

وامتنع ابن الزبير من رسل يزيد فقال الوليد بن عتبة وناس من بني امية ليزيد لو شاء عمرو لاخذ ابن الزبير وسرحه اليك فعزل عمرا وولي الوليد الحجاز وأخذ الوليد غلمان عمرو ومواليه فحبسهم فكلمه عمرو فابى ان يخليهم فسار عن المدينة ليلتين وارسل الى غلمانه بعدتهم من الابل فكسروا الحبس وساروا اليه فلحقوه عند وصوله الى الشام فدخل على يزيد واعلمه ما كان فيه من مكايدة ابن الزبير فعذره وعلم صدقه

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس الوليد هذه السنة وكان الامير بالعراق عبيد الله بن زياد وعلى خراسان سلم بن زياد وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وفي هذه السنة مات علقمة بن قيس النخعي صاحب ابن مسعود وقيل سنة اثنتين وقيل خمس وله تسعون سنة وفيها توفي المنذر ابن الجارود العبدي وجابر بن عتيك الانصاري وقيل جبر وكان عمره احدى وتسعين سنة وشهد بدرا وفيها مات حمزة بن عمرو الاسلمي وعمره احدى وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة له صحبة وفيها توفي خالد بن عرفطة الليثي وقيل العذري حليف بني زهرة وقيل مات سنة ستين وله صحبة

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين)

(ذكر وفد اهل المدينة الى الشام)

لما ولي الوليد الحجاز أقام يريد غرة ابن الزبير فلا يجده الا محترزا ممتنعا وثار نجدة بن عامر الحنفي باليمامة حين قتل الحسين وثار ابن الزبير بالحجاز وكان الوليد يفيض من المعرف ويفيض معه سائر الناس وابن الزبير واقف في اصحابه ونجدة واقف في أصحابه ثم يفيض ابن الزبير باصحابه ونجدة باصحابه وكان نجدة يلقى ابن الزبير فيكثر حتى ظن أكثر الناس انه سيبايعه ثم ان ابن الزبير عمل بالمكر في امر الوليد فكتب الى يزيد انك بعثت الينا رجلا اخرق لا يتجه لرشد ولا يرعوي لعظة الحكيم فلو بعثت رجلا سهل الخلق رجوت ان يسهل من الامور ما استوعر منها وان يجتمع ما تفرق فعزل يزيد الوليد وولي عثمان بن محمد بن ابي سفيان وهو فتى غر حدث لم يجرب الامور ولم يحنكه السن لا يكاد ينظر في شيء من سلطانه ولا عمله فبعث الى يزيد وفدا من اهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة

المخزومي

الثاني والعشرين من رمضان من هذه السنة استقر ابراهيم باشا في مجلس السلطان وجلس معه وصاحبه حتى اذا حان وقت النوم قام الى محله على جاري عادته فارسل السلطان بوستانجي باشي اسكندر أغا لقتل ابراهيم باشا فقتله فاصبح ميتا فتعجب الناس من قتله لانه كان أحب الناس عند السلطان وخفي عن العامة سببه والذي اشتهر ان اسكندر جلبي الدفتري وشى الى السلطان بانه يروم قتل السلطان ويتسلطن هو مكانه وكان قد اظهر هذا السر لصاحبه اسكندر المذكور وقيل ان السلطان لما بلغه ذلك سأله عنه في مجلس انسه فقال يا ابراهيم اني اريد أن أجعل السلطنة لك فقال العفو يا مولانا السلطان العبد لا يبلغ مرتبة السيد فقال لابد من ذلك فقال ان تفضل السلطان بان يضرب وجه السكة باسم مولانا السلطان والوجه الآخر باسمي اكتفي بالمشاركة في السكة فلما اطلع السلطان على جلية الحال قتله من غير مهلة * وفي سنة أربع وخمسين وتسعمائة وصل القاسب ميرزا بن اسمعيل بن حيدر الى الروم وكان سببه ان اخاه طهماسب لما استولى على شروان جعل القاسب والياً بها من قبله وهو اخوه الصغير وكان اشجع اخوته ثم وقع بينه وبين طهماسب عدة حروب وكان النصر فيها الى القاسب المذكور ثم نهض طهماسب الى قتاله فلما سمع هجومه خاف

المخزومي والمنذر بن الزبير ورجالا كثيرة من أشراف اهل المدينة فقدموا على يزيد فاكرمهم واحسن اليهم وأعظم جوائزهم فاعطى عبد الله بن حنظلة وكان شريفا فاضلا عابدا سيدا مائة ألف درهم وكان معه ثمانية بنين فاعطى كل ولد عشرة آلاف فلما رجعوا قدموا المدينة كلهم الا المنذر بن الزبير فانه قدم العراق على ابن زياد وكان يزيد قد اجازه بمائة ألف فلما قدم أولئك النفر الوفد المدينة قاموا فيهم فاظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويضرب بالطنابير ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الحراب وهم اللصوص وانا نشهدكم أنا قد خلعناه وقام عبد الله بن حنظلة الغسيل فقال جئتكم من عند رجل لو لم أجد الا بني هؤلاء لجاهدته بهم وقد أعطاني واكرمني وما قبلت منه عطاءه الا لاتقوى به فخلعه الناس وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد وولوه عليهم واما المنذر بن الزبير فانه قدم على ابن زياد فاكرمه وأحسن اليه وكان صديقا لزياد فاتاه كتاب يزيد حيث بلغه أمر المدينة يأمره بحبس المنذر فكره ذلك لانه ضيفه وصديق أبيه فدعاه واخبره بالكتاب فقال له اذا اجتمع الناس عندي فقم وقل ائذن لي لانصرف الى بلادي فاذا قلت بل تقيم عندي فلك الكرامة والمواساة فقل ان لي ضيعة وشغلا ولا أجد بدا من الانصراف فاني آذن لك في الانصراف فتلحق باهلك فلما اجتمع الناس على ابن زياد فعل المنذر ذلك فاذن له في الانصراف فقدم المدينة فكان ممن يحرض الناس على يزيد وقال انه قد أجازني بمائة ألف ولا يمنعني ما صنع بي ان اخبركم خبره والله انه ليشرب الخمر والله انه ليسكر حتى يدع الصلاة وعابه بمثل ما عابه به أصحابه وأشد فبعث يزيد النعمان بن بشير الانصاري وقال له ان عدد الناس بالمدينة قومك فانهم ما يمنعهم شئ عما يريدون فانهم ان لم ينهضوا في هذا الامر لم يجترئ الناس على خلافي فاقبل النعمان فاتى قومه فامرهم بلزوم الطاعة وخوفهم الفتنة وقال لهم انكم لا طاقة لكم باهل الشام فقال عبد الله بن مطيع العدوي يا نعمان ما عملك على فساد ما اصلح الله من أمرنا وتفريق جماعتنا فقال النعمان والله لكأني بك لو نزل بك الجموع وقامت لك على الركب تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيف ودارت رحى الموت بين الفريقين قد ركبت بغلتك الى مكة وخلفت هؤلاء المساكين يعني الانصار يقتلون في سككهم ومساجدهم وعلى أبواب دورهم فعصاه الناس وانصرف وكان الامر كما قال

* (ذكر ولاية عقبة بن نافع افريقية ثانية وما افتتحه فيها وقتله) *

قد ذكرنا عزل عقبة عن افريقية وعوده الى الشام فلما وصل الى معاوية وعده باعادته الى افريقية وتوفي معاوية وعقبة بالشام فاستعمله يزيد على افريقية في هذه السنة وارسله اليها فوصل الى القيروان مجدا وقبض ابا المهاجر اميرها واوثقه في الحديد وترك بالقيروان جندا مع الذراري والاموال واستخلف بها زهير بن قيس البلوي واحضر اولاده فقال لهم اني قد بعت نفسي من الله عز وجل فلا ازال اجاهد من كفر بالله واوصى بما يفعل بعده ثم سار في عسكر عظيم حتى دخل مدينة باغاية وقد اجتمع بها خلق كثير من الروم فقاتلوه قتالا شديدا وانهزموا عنه وقتل فيهم قتلا ذريعا وغنم منهم غنائم كثيرة ودخل المنهزمون المدينة وحاصرهم عقبة ثم كره المقام عليهم فسار الى بلاد الزاب وهي بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة فقصد مدينتها

منه القاسب فترك شروان خالية وهرب مع جماعة من خواصه الى الروم فلما قدم القسطنطينية احسن السلطان اليه ووهب له من الذهب الاحمر شيئا كثيرا ووهب له عدة احمال من الاقمشة وعدة خيول واعطاه الطبل والعلم ووعده بتخليص بلاد ابيه وردها اليه فلما ذهب الشتاء واقبل الربيع تجهز السلطان الى المسير لقتال طهماسب وأمر القاسب ميرزا بالتقدم وقواه بطائفة من عسكر الباب وجعل اولاد باشا اتابكا له وفي ثامن صفر سنة خمس وخمسين وتسعمائة توجه السلطان قاصدا بلاد العجم فلما قرب من حدود اذربيجان نزل ببرهان وفيها بقية من نسل ملوك شروان من الجبل فاستخلص شروان من يد جماعة طهماسب فاستولى على شروان وفي عشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة وصل السلطان الى كرسي طهماسب تبريز ففوض امرها الى القاسب ميرزا واعطاه من العسكر والمدافع الكبار ما يكفيه فلما تولى القاسب امرة تبريز جعل يصادر الرعايا والبرايا ويظلمهم على عادة ملوك العجم ولما تحقق السلطان منه ذلك استصحبه معه فكان قصد السلطان

العظمى واسمها اربة فامتنع بها من هناك من الروم والنصارى وهرب بعضهم الى الجبال فاقتتل المسلمون ومن بالمدينة من النصارى عدة دفعات ثم انهزم النصارى وقتل كثير من فرسانهم ورحل الى تاهرت فلما بلغ الروم خبره استعانوا بالبربر فاجابوهم ونصروهم فاجتمعوا فى جمع كثير والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا واشتد الامر على المسلمين لكثرة العدو ثم ان الله تعالى نصرهم فانهزمت الروم والبربر وأخذهم السيف وكثر فيهم القتل وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ثم سار حتى نزل على طنجة فلقيه بطريق من الروم اسمه يليان فاهدى له هدية حسنة ونزل على حكمه ثم سأله عن الاندلس فعظم الامر عليه فسأله عن البربر فقال هم كثيرون لا يعلم عددهم الا الله وهم بالسوس الادنى وهم كفار لم يدخلوا فى النصرانية ولهم بأس شديد فسار عقبة اليهم نحو السوس الادنى وهو مغرب طنجة فانتهى الى اوائل البربر فلقوه فى جمع كثير فقتل فيهم قتلا ذريعا وبعث خيله فى كل مكان هربوا اليه وسار هو حتى وصل الى السوس الاقصى وقد اجتمع له البربر فى عالم لا يحصى فلقيهم وقاتلهم وهزمهم وقتل المسلمون فيهم حتى ملوا وغنموا منهم وسبوا سبيا كثيرا وسار حتى بلغ ماليان ورأى البحر المحيط فقال يا رب لولا هذا البحر لمضيت فى البلاد مجاهدا فى سبيلك ثم عاد فنفر الروم والبربر عن طريقه خوفا منه واجتاز بمكان يعرف اليوم بماء الفرس فنزله ولم يكن به ماء فلحق الناس عطش كثير اشرفوا على الهلاك فصلى عقبة ركعتين ودعا فبحث فرس له الارض بيديه فكشف له عن صفاة فانفجر الماء فنادى عقبة فى الناس فحفروا احساء كثيرة وشربوا فسمى ماء الفرس فلما وصل الى مدينة طبنة وبينها وبين القيروان ثمانية ايام أمر أصحابه ان يتقدموا فوجا فوجا ثقة منه بما نال من العدو وانه لم يبق احد يخشاه وسار الى تهوذا لينظر اليها فى نفر يسير فلما رآه الروم فى قلة طمعوا فيه فأغلقوا باب الحصن وشتموه وقاتلوه وهو يدعوهم الى الاسلام فلم يقبلوا منه

(ذكر خروج كسيلة بن كرم البربرى على عقبة)

هذا كسيلة بن كرم البربرى كان قد أسلم لما ولى ابو المهاجر افريقية وحسن اسلامه وهو من اكابر البربر وابعدهم صوتا وصحب أبا المهاجر فلما ولى عقبة عرفه ابو المهاجر محل كسيلة وامره بحفظه فلم يقبل واستخف به وأتى عقبة بغنم فامر كسيلة بذبحها وسلخها مع السلاخين فقال كسيلة هؤلاء فتيانى وغلمانى يكفوننى المؤنة فشتمه وامره بسلخها ففعل فقبح ابو المهاجر هذا عند عقبة فلم يرجع فقال له اوثق الرجل فانى اخاف عليك منه فتهاون به عقبة فاضمر كسيلة الغدر فلما كان الآن ورأى الروم قلة من مع عقبة فارسلوا الى كسيلة واعلموه حاله وكان فى عسكر عقبة مضمرا للغدر وقد اعلم الروم ذلك واطمعهم فلما راسلوه أظهر ما كان يضمره وجمع اهله وبنى عمه وقصد عقبة فقال ابو المهاجر عاجله قبل ان يقوى جمعه وكان أبو المهاجر موثقا فى الحديد مع عقبة فزحف عقبة الى كسيلة فتنحى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه فلما رأى ابو المهاجر ذلك تمثل بقول ابى محجن الثقفى

كفى حزنا ان ترتدى الخيل بالقنا * وأترك مشدودا على وثاقيا
اذا قمت عنانى الحديد وأغلقت * مصارع من دونى تصم مناديا

فبلغ عقبة ذلك فاطلقه فقال له الحق بالمسلمين وقم بامرهم وانا اغتنم الشهادة فلم يفعل وقال

ان يسير على مدينة وان وأن يخلصها من ايدى العدو لانهم كانوا ملكوها بعد ان ملكها نواب السلطان فوصل اليها فى عاشر رجب وكان طهماسب شحنها بالرجال والابطال وأحصنها غاية الاحصان ولم تزل العساكر يعالجون الحصار بضرب المدافع وعمل النار حتى أخربوا منها أكثر القلال فلما تيقن من بالقلعة انهم مأخوذون تدلى بعضهم من القلعة بحبل واجتمع بالقاسب ميرزا وتضرع واستشفع به فلما شفع القاسب عند السلطان فى استئمانهم والعفو عنهم عفا عنهم السلطان فخرجوا منها وسلموا القلعة لصاحبها فدخلها أهل السنة والجماعة فنصبوا عليها الاعلام الاسلامية وولى السلطان اسكندر باشا الدفترى أمير الامراء بها ولما قرب الشتاء قصد السلطان ان يتصوب الى طرق ديار بكر فسار ليشتى بها حتى وصل الى مدينة آمد فبينما هو مخيم فيها اذ ورد ان العدو لما بلغهم عود السلطان دخلوا مدينة اذربيجان وأحرقوها وشردوا أهلها وقتلوا من قدروا عليه وأحرقوا الزروع ولما بلغ ذلك السلطان امر الوزير أحمد باشا بالمسير

وانا أيضا اريد الشهادة فكسر عقبة والمسلمون اجفان سيوفهم وتقدموا الى البربر وقاتلوهم فقتل المسلمون جميعهم لم يفلت منهم احد وأسر محمد بن اوس الانصاري في نفر يسير فخلصهم صاحب قفصة وبعث بهم الى القيروان فعزم زهير بن قيس البلوي على القتال فخالفه حنش الصنعاني وعاد الى مصر فتبعه اكثر الناس فاضطر زهير الى العود معهم فسار الى برقة واقام بها واما كسيلة فاجتمع اليه جميع أهل افريقية وقصد افريقية وبها أصحاب الانفال والذراري من المسلمين فطلبوا الامان من كسيلة فآمنهم ودخل القيروان واستولى على افريقية وأقام بها الى ان قوي امر عبد الملك بن مروان فاستعمل على افريقية زهير بن قيس البلوي وكان مقيما ببرقة مرابطا

(ذكر ولاية زهير بن قيس أفريقية وقتله وقتل كسيلة)

لما ولي عبد الملك بن مروان ذكر عنده من بالقيروان من المسلمين واشار عليه اصحابه بانفاذ الجيوش الى أفريقية لاستنقاذهم فكتب الى زهير بن قيس البلوي بولاية أفريقية وجهز له جيشا كثيرا فسار سنة تسع وستين الى افريقية فبلغ خبره الى كسيلة فاحتفل وجمع وحشد البربر والروم واحضر اشراف اصحابه وقال قد رايت ان ارحل الى ممش فانزلها فان بالقيروان خلقا كثيرا من المسلمين ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم ونخاف ان قاتلنا زهيرا ان يثبت هؤلاء من ورائنا فاذا نزلنا ممش أمناهم وقاتلنا زهيرا فان ظفرنا بهم تبعناهم الى طرابلس وقطعنا اثرهم من افريقية وان ظفروا بنا تعلقنا بالجبال ونجونا فاجابوه الى ذلك ورحل الى ممش وبلغ ذلك زهيرا فلم يدخل القيروان بل اقام ظاهرها ثلاثة ايام حتى اراح واستراح ورحل في طلب كسيلة فلما قاربه نزل وعبى اصحابه وركب اليه فالتقى العسكران واشتد القتال وكثر القتل في الفريقين حتى أيس الناس من الحياة فلم يزالوا كذلك أكثر النهار ثم نصر الله المسلمين وانهزم كسيلة واصحابه وقتل هو وجماعة من اعيان اصحابه بممش وتبع المسلمون البربر والروم فقتلوا من ادركوا منهم فاكثروا وفي هذه الوقعة ذهب رجال البربر والروم وملوكهم واشرافهم وعاد زهير الى القيروان ثم ان زهيرا رأى بأفريقية ملكا عظيما فابى ان يقيم وقال انما قدمت للجهاد فاخاف ان اميل الى الدنيا فاهلك وكان عابدا زاهدا فترك بالقيروان عسكرا وهم آمنون لخلو البلاد من عدو أو ذي شوكة ورحل في جمع كثير الى مصر وكان قد بلغ الروم بالقسطنطينية مسير زهير من برقة الى افريقية لقتال كسيلة فاغتنموا خلوها فخرجوا اليها في مراكب كثيرة وقوة قوية من جزيرة صقلية واغاروا على برقة فاصابوا منها سبيا كثيرا وقتلوا ونهبوا ووافق ذلك قدوم زهير من افريقية الى برقة فاخبر الخبر فامر العسكر بالسرعة والجد في قتالهم ورحل هو ومن معه وكان الروم خلقا كثيرا فلما رآه المسلمون استغاثوا به فلم يمكنه الرجوع وباشر القتال واشتد الامر وعظم الخطب وتكاثر الروم عليهم فقتلوا زهيرا واصحابه ولم ينج منهم احد وعاد الروم بما غنموا الى القسطنطينية ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل زهير عظم عليه واشتد ثم سير الى افريقية حسان ابن النعمان الغساني وسنذكره سنة اربع وسبعين ان شاء الله وكان ينبغي ان نذكر ولاية زهير وقتله سنة تسع وستين وانما ذكرناه ههنا ليتصل خبر كسيلة ومقتله فان الحادثة واحدة واذا تفرقت لم تعلم حقيقتها

اليهم وعضده بجماعة من العسكر واستخبروا بأن جماعة طهماسب مخيمون بقرب مدينة تبريز فساروا وكبسوهم في الليل وقاتلوهم وشردوهم ثم ان القاسب ميرزا تضرع الى السلطان بأن يعطيه جماعة من العسكر ليسير بهم الى بلاد اصفهان وقم وقاشان لان بها معظم أموال أخيه طهماسب وخزائنه وفيها أولاد جماعته وأزواجهم واموالهم فاجاب السلطان الى سؤله وعضده بطائفة من الاكراد والاعجام واجتاز السلطان والعسكر بنهر الفرات ووصل الى حلب وفي بعض هذه الايام وصل القاسب ميرزا الى حدود عراق العجم فتوغل بها وبدأ بالنهب والتحريق والتخريب حتى وصل الى حدود فارس وأخرب ضياعهم وأحرق بيوتهم وأسر أولادهم وازواجهم ثم عاد الى بغداد وشتى بها ووقع بينه وبين الوزير محمد پاشا وحشة اقتضت الى ان عرض محمد پاشا الى السلطان بان القاسب ترفض ورفض طاعة السلطان ولم يكن الامر على حقيقته وانما هو مكيدة فعلها في حقه بغضا وعداوة فلما اطلع القاسب على ذلك خاف على نفسه من صولة السلطان

ذكر عدة حوادث

حج بالناس هذه السنة الوليد بن عتبة وفيها ولد محمد بن علي بن عبد الله بن عباس والد السفاح والمنصور وفيها توفي عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي وله صحبة ومسلمة بن مخلد الانصاري وكان عمره لما مات النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين وتوفي بمصر مسروق بن الاجدع وقيل توفي سنة ثلاث وستين (مخلد بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وفتح اللام وتشديدها)

(ثم دخلت سنة ثلاث وستين ذكر وقعة الحرة)

كان أول وقعة الحرة ما تقدم من خلع يزيد فلما كانت هذه السنة اخرج اهل المدينة عثمان بن محمد بن ابي سفيان عامل يزيد وحصروا بني امية بعد بيعتهم عبد الله بن حنظلة فاجتمع بنو امية ومواليهم ومن يرى رأيهم في الف رجل حتى نزلوا دار مروان بن الحكم فكتبوا الى يزيد يستغيثون به فقدم الرسول اليه وهو جالس على كرسي وقد وضع قدميه في طشت فيه ماء لنقرس كان بها فلما اقرأ الكتاب تمثل

لقد بدلوا الحلم الذي في سجيتي * فبدلت قومي غلظة بليان

ثم قال اما يكون بنو امية الف رجل فقال الرسول بلى والله واكثر قال فما استطاعوا ان يقاتلوا ساعة من النهار فبعث الى عمرو بن سعيد فاقرأه الكتاب وامره أن يسير اليهم في الناس فقال قد كنت ضبطت لك الامور والبلاد فأما الآن اذا صارت دماء قريش تهرق بالصعيد فلا احب ان أتولى ذلك وبعث الى عبيد الله بن زياد يأمره بالمسير الى المدينة ومحاصرة ابن الزبير بمكة فقال والله لا جمعتهما للفاسق قتل ابن رسول الله وغزو الكعبة ثم ارسل اليه يعتذر فبعث الى مسلم ابن عقبة المري وهو الذي سمي مسرفا وهو شيخ كبير مريض فاخبره الخبر فقال اما يكون بنو امية ألف رجل فقال الرسول بلى قال فما استطاعوا ان يقاتلوا ساعة من النهار ليس هؤلاء باهل ان ينصروا فانهم الاذلاء دعهم يا أمير المؤمنين حتى يجهدوا انفسهم في جهاد عدوهم ويتبين لك من يقاتل على طاعتك ومن يستسلم قال ويحك انه لا خير في العيش بعدهم فاخرج بالناس وقيل ان معاوية قال ليزيد ان لك من أهل المدينة يوما فان فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فانه رجل قد عرفت نصيحته فلما خلع اهل المدينة أمر مسلما بالمسير اليهم فنادى في الناس بالتجهز الى الحجاز وان يأخذوا اعطاءهم ومعونة مائة دينار فانتدب لذلك اثنا عشر الفا وخرج يزيد يعرضهم وهو متقلد سيفا متنكب قوسا عربية وهو يقول

ابلغ ابا بكر اذا الليل سرى * وهبط القوم على وادي القرى

اجمع سكران من القوم ترى * ام جمع يقظان نفى عنه الكرى

يا عجبا من ملحد يا عجبا * مخادع بالدين يعفو بالعرى

وسار الجيش وعليهم مسلم فقال له يزيد ان حدث بك حدث فاستخلف الحصين بن نمير السكوني وقال له ادع القوم ثلاثا فان اجابوك والا فقاتلهم فاذا ظهرت عليهم فابحها ثلاثا فكل ما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند فاذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس وانظر علي بن الحسين فاكفف عنه واستوص به خيرا فانه لم يدخل مع الناس وانه قد أتاني كتابه وقد كان

وهرب الى بلاد الاكراد ولم يزل بها حتى قدر عليه اخوه طهماسب فقتله قتلة شنيعة وفي ثامن عشر رمضان سنة ستين وتسعمائة خرج السلطان من مدينة القسطنطينية وصمم عزمه الى بلاد الشرق فارسل الى اولاده السلطان بايزيد والسلطان سليم والسلطان مصطفى بالقدوم اليه فلما وصل الى بلدة يكي شهر قدم اليه ولده بايزيد فقبل يده وفوض اليه السلطان حراسة بلاد روم ايلي وارسل ان يقيم بمدينة ادرنه ولما وصل السلطان الى بلاد ودين قدم اليه ولده السلطان سليم خان فاستسعد بتقبيل يده وأمره بالسير معه الى بلاد العجم ولما وصل الى مدينة اركلي وصل ولده السلطان مصطفى وكان قد بلغه انه يريد ان يتسلطن مكان أبيه وان قلوب العسكر معه فلما دخل وطاق السلطان لتقبيل يده أمر السلطان بخنقه فخنقوه وأرسل من يضبط أمواله وعزل في ذلك اليوم الوزير الاعظم رستم باشا ونسب اليه هذه الفتنة وولي مكانه الوزير الثاني أحمد باشا وبعث بجسد ولده المرحوم السلطان مصطفى الى مدينة بروسه ليدفن بها ويقال

مروان بن الحكم كلم ابن عمر لما اخرج اهل المدينة عامل يزيد وبنى امية فى ان يغيب اهله عنده
فلم يفعل فكلم علي بن الحسين فقال ان لى حرما وحرمى يكون مع حرمك فقال افعل فبعث
بامرأته وهى عائشة ابنة عثمان بن عفان وحرمه الى على بن الحسين فخرج على بحرمه وحرم
مروان الى ينبع وقيل بل ارسل حرم مروان وارسل معهم ابنه عبد الله بن على الى الطائف
ولما سمع عبد الملك ابن مروان ان يزيد قد سير الجنود الى المدينة قال ليت السماء وقعت على
الارض اعظاما لذلك ثم انه ابتلى بعد ذلك بان وجه الحجاج لحصر مكة ورمى الكعبة بالمنجنيق
وقتل ابن الزبير واما مسلم فانه اقبل بالجيش فبلغ اهل المدينة خبرهم فاشتد حصارهم لبنى امية
بدار مروان وقالوا والله لا نكف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب اعناقكم او تعطونا عهد الله
وميثاقه ان لا تبغونا غائلة ولا تدلوا الناس على عورة ولا تظاهروا علينا عدوا فنكف عنكم
ونخرجكم عنا فعاهدوهم على ذلك فاخرجوهم من المدينة وكان اهل المدينة قد جعلوا فى كل
منهل بينهم وبين الشام زقا من قطران فارسل الله السماء عليهم فلم يستقوا بدلو حتى وردوا
المدينة فلما اخرج اهل المدينة بنى امية ساروا باثقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادى القرى
فدعا بعمرو بن عثمان بن عفان اول الناس فقال له خبرنى ما وراءك واشر على فقال لا استطيع
قد اخذ علينا العهود والمواثيق ان لا ندل على عورة ولا نظاهر عدونا فانتهره وقال والله لولا انك
ابن عثمان لضربت عنقك وايم الله لا اقيلها قرشيا بعدك فخرج الى اصحابه فاخبرهم خبره فقال
مروان بن الحكم لابنه عبد الملك ادخل قبلى لعله يجتزى بك عنى فدخل عبد الملك فقال هات
ما عندك فقال نعم ارى ان تسير بمن معك فاذا انتهيت الى ذى نخلة نزلت فاستظل الناس فى ظله
فاكلوا من صقره فاذا اصبحت من الغد مضيت وتركت المدينة ذات اليسار ثم درت بها حتى
تأتيهم من قبل الحرة مشرقا ثم تستقبل القوم فاذا استقبلتهم وقد اشرقت عليهم الشمس طلعت
بين اكتاف اصحابك فلا تؤذيهم ويصيبهم أذاها ويرون من ائتلاق بيضكم واسنة رماحكم
وسيوفكم ودروعكم ما لا ترونه انتم ما داموا مغربين ثم قاتلهم واستعن الله عليهم فقال له مسلم
لله ابوك اى امرئ ولد ثم ان مروان دخل عليه فقال له ايه فقال أليس قد دخل عليك عبد الملك
قال بلى واى رجل عبد الملك قلما كلمت من رجال قريش رجلا شبيها به فقال مروان اذا لقيت
عبد الملك فقد لقيتنى ثم انه صار فى كل مكان يصنع ما امره عبد الملك فجاءهم من قبل المشرق ثم
دعاهم مسلم فقال ان أمير المؤمنين يزعم انكم الاصل وانى اكره اراقة دمائكم وانى أؤجلكم
ثلاثا فمن ارعوى وراجع الحق قبلنا منه وانصرفت عنكم وسرت الى هذا الملحد الذى بمكة وان
أبيتم كنا قد اعتذرنا اليكم فلما مضت الثلاث قال يا اهل المدينة ما تصنعون اتسالمون
ام تحاربون فقالوا بل نحارب فقال لهم لا تفعلوا بل ادخلوا فى الطاعة ونجعل جدنا وشوكتنا
على اهل هذا الملحد الذى قد جمع اليه المراق والفساق من كل اوب يعنى ابن الزبير فقالوا له
يا عدو الله لو اردتم ان تجوزوا اليه ما تركناكم نحن قد نعلم ان تأتوا بيت الله الحرام فتخيفوا
اهله وتلحدوا فيه وتستحلوا حرمته لا والله لا نفعل وكان اهل المدينة قد اتخذوا خندقا وعليه
جمع منهم وكان عليه عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف وهو ابن عم عبد الرحمن بن عوف
وكان عبد الله بن مطيع على ربع آخر وهم قريش فى جانب المدينة وكان معقل بن سنان

يادهر ويحك ما أبقيت لى جلدا * وأنت والدهر تأكل الولدا وامر لولده سليم خان ان يشتى بمرعش وتوجه السلطان
بنفسه الى حلب فدخلها
فى غرة ذى الحجة وكان ولده
الصغير جهانكير معه فاتفق
انه مرض ومات فتأسف
عليه السلطان تأسفا
شديدا وصلى عليه وأرسل
بجثته الى مدينة اسلامبول
ولما أقبل الربيع خرج
السلطان مع العساكر من
حلب وتوجه الى بلاد
الشرق ولما وصل الى المكان
المعروف بياسين اوسى أنعم
على العساكر وحرضهم على
الجهاد والقتال ووعدهم
بالانعام والافضال ورتب
الميمنة والميسرة والقلب
والساق وكان يوما مشهودا
ولما وصل الى بلاد اذربيجان
كتب الى الشاه ما محصله انه
يدعوه للمبارزة ويعيره على
تركه الحرب والاختفاء
فى الكمون وارسله مع
رجل اطلقه من السجن من
أصحاب الشاه وتوجه السلطان
حتى وصل الى مدينة وان
وهى من أحسن مدن
الدنيا وانزهها فاخربها
العسكر جميعا وكان دابهم
كذلك من حين دخلوا بلاد
العجم ثم لم يزالوا كذلك حتى
وصلوا فى سادس عشرى
شعبان سنة ستين وتسعمائة
الى مدينة نخجوان مقر
سلطان العجم وبغداد ودور قصور
شامخة الاركان رفيعة البنيان ودور اولاده واحفاده ووزرائه وسائر اعيان دولته فلما دخلها

الاشجعي وهو من الصحابة على ربع آخر وهم المهاجرون وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الانصاري في اعظم تلك الارباع وهم الانصار وصمد مسلم فيمن معه فاقبل من ناحية الحرة حتى ضرب فسطاطه على طريق الكوفة وكان مريضا فامر فوضع له كرسي بين الصفين وقال يا اهل الشام قاتلوا عن اميركم وادعوا فاخذوا لا يقصدون ربعا من تلك الارباع الا هزموه ثم وجه الخيل نحو ابن الغسيل فحمل عليهم ابن الغسيل فيمن معه فكشفهم فانتهوا الى مسلم فنهض في وجوههم بالرجال وصاح بهم فقاتلوا قتالا شديدا ثم ان الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب جاء الى ابن الغسيل فقاتل معه في نحو من عشرين فارسا قتالا حسنا ثم قال لابن الغسيل من كان معك فارسا فليأتني فليقف معي فاذا حملت فليحملوا فوالله لا انتهي حتى ابلغ مسلما فاقتله او أقتل دونه ففعل ذلك وجمع الخيل اليه فحمل بهم الفضل على اهل الشام فانكشفوا فقال لاصحابه احملوا اخرى جعلت فداءكم فوالله لئن عاينت اميرهم لاقتلنه او اقتل دونه انه ليس بعد الصبر الا النصر ثم حمل وحمل اصحابه فانفجرت خيل الشام عن مسلم بن عقبة ومعه نحو خمسمائة راجل جثاة على الركب مشرعي الاسنة نحو القوم ومضى الفضل كما هو نحو راية مسلم فضرب رأس صاحبها فقط المغفر وفلق هامته وخر ميتا وقال خذها مني وانا ابن عبد المطلب وظن انه مسلم فقال قتلت طاغية القوم ورب الكعبة فقال اخطأت استك الحفرة وانما كان ذلك غلاما روميا وكان شجاعا فاخذ مسلم رايته وحرض اهل الشام وقال شدوا مع هذه الراية فمشى برايته وشدت تلك الرجال امام الراية فصرع الفضل ابن عباس فقتل وما بينه وبين اطناب مسلم بن عقبة الا نحو من عشرة اذرع وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف واقبلت خيل مسلم ورجالته نحو ابن الغسيل وهو يحرض اصحابه ويذم أهل المدينة ويقدم اصحابه الى ابن الغسيل فلم يقدم عليهم للرماح التي بايديهم والسيوف وكانت تتفرق عنهم فنادى مسلم الحصين بن نمير وعبد الله بن عضاه الاشعري وامرهما ان ينزلا في جندهما ففعلا وتقدما اليهم فقال ابن الغسيل لاصحابه ان عدوكم قد اصاب وجه القتال الذي كان ينبغي ان يقاتلكم به واني قد ظننت أن لا يلبثوا الا ساعة حتى يفصل الله بينكم وبينهم امالكم واما عليكم اما انكم اهل النصرة ودار الهجرة وما اظن ربكم اصبح عن اهل بلد من بلدان المسلمين بارضى منه عنكم ولا على أهل بلد من بلدان العرب باسخط منه على هؤلاء الذين يقاتلونكم وان لكل امرئ منكم ميتة وهو ميت بها لا محالة ووالله ما ميتة أفضل من ميتة الشهادة وقد ساقها الله اليكم فاغتنموها ثم دنا بعضهم من بعض فاخذ أهل الشام يرمونهم بالنبل فقال ابن الغسيل لاصحابه عليهم تستهدفون لهم من اراد التعجيل الى الجنة فليلزم هذه الراية فقام اليه كل مستميت فنهض بعضهم الى بعض فاقتتلوا اشد قتال رؤي لاهل هذا القتال واخذ ابن الغسيل يقدم بنيه واحدا واحدا حتى قتلوا بين يديه وهو يضرب ويقول

بعدا لمن دام الفساد وطغى * وجانب الحق وآيات الهدى

لا يبعد الرحمن الا من عصى

ثم قتل وقتل معه اخوه لامه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس فقال ما احب ان الديلم قتلوني مكان هؤلاء القوم وقتل معه عبد الله بن زيد بن عاصم ومحمد بن عمرو بن حزم الانصاري فمر به مروان

ابن

العسكر ألفوها خالية فقطعوا اشجارها وخربوا قصورها فصارت البلدة كأنها ارض قفراء ما عمرت قط وكان أمير العمادية اغار بشجعان قومه على مدينة تبريز فنهبها وقتل من قدر عليه ثم سار الى مراغة فنهب واحرق وقتل واغار على ألوف من جماعة الشاه فقاتلهم وانتصر عليهم واخذ تيجانهم المرصعة واعلامهم وطبولهم وفي اثناء ذلك وصل وافد من جانب الشاه ومعه مكتوب ما محصله انه ندم على ما اظهر من العداوة واظهر التذلل والاستغفار والتجأ الى عتبة السلطان يطلب منه الصلح فاجابه السلطان الى مسؤله وخلع على الوافد وتوجه السلطان بعد ان شتى بمدينة اماسية الى صوب كرسي مملكته وبلغ السلطان ان رجلا من المبلسين خرج عن الطاعة في مدينة كلجة بروم ايلي وادعى انه السلطان مصطفى المقتول فاجتمع عنده من اسافل الناس قدر اربعين الف رجل فاهتم السلطان في أمره وامر الوزير محمد باشا بالمسير اليه وكان السلطان بايزيد قد بعث اينا لقتاله فلما تحقق من كان عند الخارجي هجوم العسكر عليهم تفرقوا من عنده شيأ فشيأ ثم هجم عليه الوزير فقتله وفي سنة احدى وستين وتسعمائة شرع في بناء الجامع والعمارة بمدينة قسطنطينية فجاءت من عجائب

ابن الحكم فقال رحمك الله رب السارية قد رايتك تطيل القيام في الصلاة الى جنبها وانهزم
الناس وكان فيمن انهزم محمد بن سعد بن ابي وقاص بعدما ابلى واباح مسلم المدينة ثلاثا يقتلون
الناس ويأخذون المتاع والاموال فافزع ذلك من بها من الصحابة فخرج أبو سعيد الخدري
حتى دخل في كهف الجبل فتبعه رجل من اهل الشام فاقتحم عليه الغار فانتضى ابو سعيد
سيفه يخوف به الشامي فلم ينصرف عنه فعاد ابو سعيد واغمد سيفه وقال لئن بسطت يدك الى
لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك فقال من أنت قال أنا ابو سعيد الخدري قال صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فتركه ومضى وقيل ان مسلما لما نزل باهل المدينة خرج
اليه اهلها بجموع كثيرة وهيئة حسنة فهابهم اهل الشام وكرهوا ان يقاتلوهم فلما رآهم
مسلم وكان شديد الوجع سبهم وذمهم وحرضهم فقاتلوهم فبينما الناس في قتالهم اذ سمعوا
تكبيرا من خلفهم في جوف المدينة وكان سببه ان بني حارثة ادخلوا اهل الشام المدينة فانهزم
الناس فكان من اصيب في الخندق أكثر ممن قتل ودعا مسلم الناس الى البيعة ليزيد على انهم
خول له يحكم في دمائهم واموالهم واهليهم من شاء فمن امتنع من ذلك قتله وطلب الامان ليزيد
ابن عبد الله بن ربيعة ابن الاسود ولمحمد بن ابي الجهم بن حذيفة ولمعقل بن سنان الاشجعي فاتي
بهم بعد الوقعة بيوم فقال بايعوا على الشرط فقال القرشيان نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله
فضرب اعناقهما فقال مروان سبحان الله اتقتل رجلين من قريش اتيا بامان فطعن بخاصرته
بالقضيب فقال وانت والله لو قلت بمقالتهما لقتلتك وجاء معقل بن سنان فجلس مع القوم فدعا
بشراب ليسقى فقال مسلم أي الشراب احب اليك قال العسل قال اسقوه فشرب حتى ارتوى
فقال له ارويت قال نعم قال والله لا تشرب بعدها شربة الا في نار جهنم فقال انشدك الله والرحم
فقال له أنت الذي لقيتني بطبرية ليلة خرجت من عند يزيد فقلت سرنا شهرا ورجعنا شهرا
واصبحنا صفرا نرجع الى المدينة فنخلع هذا الفاسق ابن الفاسق ونبايع لرجل من المهاجرين
او الانصار فيم غطفان واشجع من الخلق والخلافة اني آليت بيمين لا القاك في حرب اقدر منه
على قتلك الا فعلت ثم امر به فقتل وأتي بيزيد بن وهب فقال له بايع قال ابايعك على الكتاب
والسنة قال اقتلوه قال أنا ابايعك قال لا والله فتكلم فيه مروان لصهر كان بينهما فامر بمروان
فوجئت عنقه ثم قتل يزيد ثم أتي مروان بعلي بن الحسين فجاء يمشي بين مروان وابنه عبد الملك
حتى جلس بينهما عنده فدعا مروان بشراب ليحترم بذلك فشرب منه يسيرا ثم ناوله علي بن الحسين
فلما وقع في يده قال له مسلم لا تشرب من شرابنا فارتعدت كفه ولم يأمنه على نفسه وامسك القدح
فقال له أجئت تمشي بين هؤلاء لتأمن عندي والله لو كان اليهما امر لقتلتك ولكن أمير المؤمنين
اوصاني بك واخبرني انك كاتبته فان شئت فاشرب فشرب ثم اجلسه معه على السرير ثم قال له
لعل اهلك فزعوا قال اي والله فامر بدابة فاسرجت له فحمله عليها فرده ولم يلزمه بالبيعة ليزيد على
ماشرط على أهل المدينة وأحضر علي بن عبد الله بن عباس ليبايع فقال الحصين بن نمير السكوني
لا يبايع ابن اختنا الا كبيعة علي بن الحسين وكانت ام علي بن عبد الله كندية فقامت
كندة مع الحصين فتركه مسلم فقال علي

* ابي العباس قرمي قصي * واخوالي الملوك بنو وليعه

الدنيا ونوادر الدهر وفي سنة اربع وستين وتسعمائة أمر بعمارة الجامع والمأكل بمدينة دمشق بمكان يعرف
بالقصر الابلق بالمرجة وفي
سنة ست وستين وتسعمائة
وقع بين السلطان سليم خان
بسبب تبديل اماكنهما
حروب لان السلطان بايزيد
كان مقره بمدينة كوتاهية
والسلطان سليم بمدينة
مغنيسا فلما أمر السلطان
ان يبدل اماكنهما لم يرض
السلطان بايزيد بالبعد
فوقع بينهما حروب شديدة آل
الامر الى انهزام السلطان
بايزيد وولده اورخان مع اخوته
الى بلاد العجم فاجتمع مع الشاه
طهماسب فاستقبله وراعاه
فبعد ذلك ارسل والده
السلطان سليمان يطلبهم
من الشاه وأرسل امير
الامراء خسرو باشا لخنقه
مع اولاده الاربع وهم
السلطان اورخان والسلطان
محمود والسلطان عبد الله
والسلطان عثمان وكان له
ولد صغير في مدينة بروسة
فخنق الجميع وذلك في سنة
سبعين وتسعمائة ونقل
اجسادهم من قزوين الى
بلاد السلطان فدفنهم في
سيواس وسكن الله الفتنة
والوسواس وكان السلطان
بايزيد هذا قد سمع بان في
مدينة دمشق رجل يعرف
علم الزايرجة يقال له الشيخ
منصور فارسل اليه وطلبه الى
بلاده وسأله عن وصول السلطنة اليه وطلب منه ان يعين الذي يصير سلطانا هو أو أخوه وكان الشيخ منصور قد خجل من السلطان

هموا منعوا ذماري يوم جاءت * كتائب مسرف وبنو اللكيعه
ارادوني التي لا عز فيها * فحالت دونه أيد سريعه

يعنى بقوله مسرف مسلم بن عقبة فانه سمى بعد وقعة الحرة مسرفا وبنو اللكيعة بطن من كندة منهم امه واللكيعة ام امه وقيل ان عمرو بن عثمان بن عفان لم يكن فيمن خرج من بنى امية فاتى به يومئذ الى مسلم فقال يا أهل الشام تعرفون هذا قالوا لا قال هذا الخبيث ابن الطيب هذا عمرو بن عثمان هى يا عمرو اذا ظهر أهل المدينة قلت انا رجل منكم وان ظهر أهل الشام قلت انا ابن امير المؤمنين عثمان فامر به فنتفت لحيته ثم قال يا أهل الشام ان أم هذا كانت تدخل الجعل فى فيها ثم تقول يا امير المؤمنين حاجيتك ما فى فى وفى فيها ما شاهى وباهى وكانت من دوس ثم خلى سبيله وكانت وقعة الحرة لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة ثلاث وستين قال محمد بن عمار قدمت الشام فى تجارة فقال لى رجل من أين انت فقلت من المدينة فقال خبيثة فقلت يسميها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وتسميها خبيثة فقال ان لى ولها لشأنا لما خرج الناس الى وقعة الحرة رأيت فى المنام انى قتلت رجلا اسمه محمد ادخل بقتله النار فاجتهدت فى انى لا اسير معهم فلم يقبل منى فسرت معهم ولم اقاتل حتى انقضت الوقعة فمررت برجل فى القتلى به رمق فقال تنح يا كلب فانفت من كلامه وقتلته ثم ذكرت رؤياى فجئت برجل من أهل المدينة يتصفح القتلى فلما رأى الرجل الذى قتلته قال انا لله لا يدخل قاتل هذا الجنة قلت ومن هذا قال هو محمد بن عمرو بن حزم ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسماه محمدا وكناه ابا عبد الملك فاتيت اهله فعرضت عليهم ان يقتلونى فلم يفعلوا وعرضت عليهم الدية فلم يأخذوا وممن قتل بالحرة عبد الله بن عاصم الانصارى وليس بصاحب الاذان ذاك ابن زيد بن ثعلبة وقتل أيضا فيها عبيد الله بن عبد الله بن موهب ووهب بن عبد الله بن زمعة بن الاسود وعبد الله بن عبد الرحمن ابن حاطب وزبير بن عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب

(ذكر عدة حوادث)

وفى هذه السنة توفى الربيع بن خيثم الكوفى الزاهد وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان يسمى يومئذ العائذ وكانوا يرون الامر شورى واتاه الخبر بوقعة الحرة هلال المحرم مع المسور ابن مخرمة فاستعد لجائه بامر عظيم فاعد هو واصحابه واستعاروا وعرفوا ان مسلما نازل بهم

(ثم دخلت سنة اربع وستين)

(ذكر مسير مسلم لحصار ابن الزبير وموته)

فلما فرغ مسلم من قتال اهل المدينة ونهبها شخص بمن معه نحو مكة يريد ابن الزبير ومن معه واستخلف على المدينة روح بن زنباع الجذامى وقيل استخلف عمرو بن محرمة الاشجعى فلما انتهى الى المشلل نزل به الموت وقيل مات بثنية هرشى فلما حضره الموت احضر الحصين بن النمير وقال له يا برذعة الحمار لو كان الامر الى ما وليتك هذا الجند ولكن امير المؤمنين ولاك خذ عنى اربعا اسرع السير وعجل المناجزة ولا تمكن قريشا من اذنك ثم قال اللهم انى لم اعمل قط بعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله عملا احب الى من قتلى اهل المدينة ولا ارجى عندى فى الآخرة فلما مات سار الحصين بالناس فقدم مكة لاربع بقين من المحرم سنة اربع وستين وقد

الله سلطان من أرا * د
فكن على نهج الادب

ففهم الاشارة من هذه العبارة وسار الى بلاد العجم غير ثابت على القدم وفى هذه السنة وقع فى اقليم الدشت بلاد التاتار قحط عظيم حتى باع بعضهم بعضا من أهل المملكة العثمانية بشئ من القمح والشعير وفى تاسع شوال سنة اربع وسبعين وتسعمائة نهض السلطان سليمان خان الى فتح مدينة سكدوار وهى من مدن نصارى مجر والحال ان السلطان قد شاخ وكبر وهرم وازدادت عليه علة النقرس فسار بعسكر كثير متزاحم الافواج متلاطم الامواج وبعث وزيره برتوباشا الى فتح قلعة كوله فلم يلبث الا قليلا حتى فتحها واما قلعة سكدوار فكانت فى المناعة الى حد الغاية وقد احاطت بها المياه والاوحال من كل جانب فلم يزدد امر القلعة الا استصعابا واشتد مرض السلطان حتى احس بالموت فرفع يديه الى السماء وقال يا رب العالمين افتح على عبادك المسلمين وانصرهم واضرم النار على الكفار واوصى بالسلطنة لولده السلطان سليم وكتب اليه كتابا واوصاه بالرعية والاستعجال بالمسير اليه لئلا يضيع عسكر المسلمين فى بلاد الكفار

بايع أهلها واهل الحجاز عبد الله بن الزبير واجتمعوا عليه ولحق به المنهزمون من اهل المدينة وقدم عليه نجدة بن عامر الحنفي في الناس من الخوارج يمنعون البيت وخرج ابن الزبير الى لقاء أهل الشام ومعه اخوه المنذر فبارز المنذر رجلا من اهل الشام فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة مات منها ثم حمل اهل الشام عليهم حملة انكشف منها اصحاب عبد الله وعثرت بغلة عبد الله فقال تعسا ثم نزل فصاح باصحابه فاقبل اليه المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن ابن عوف فقاتلا حتى قتلا جميعا وضاربهم ابن الزبير الى الليل ثم انصرفوا عنه هذا في الحصر الاول ثم اقاموا عليه يقاتلونه بقية المحرم وصفر كله حتى اذا مضت ثلاثة ايام من شهر ربيع الاول سنة أربع وستين رموا البيت بالمجانيق وحرقوه بالنار واخذوا يرتجزون ويقولون

خطارة مثل الفنيق المزبد * نرمي بها اعواد هذا المسجد

وقيل ان الكعبة احترقت من نار كان يوقدها اصحاب عبد الله حول الكعبة واقبلت شررة هبت بها الريح فاحترقت ثياب الكعبة واحترق خشب البيت والاول اصح لان البخاري قد ذكر في صحيحه ان ابن الزبير ترك الكعبة ليراها الناس محترقة يحرضهم على أهل الشام واقام أهل الشام يحاصرون ابن الزبير حتى بلغهم نعي يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر

(ذكر وفاة يزيد بن معاوية)

وفي هذه السنة توفي يزيد بن معاوية بحوران من أرض الشام لاربع عشرة خلت من شهر ربيع الاول وهو ابن ثمان وثلاثين سنة في قول بعضهم وقيل تسع وثلاثين وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر وقيل ثمانية اشهر وقيل توفي في ربيع الاول سنة ثلاث وستين وكان عمره خمسا وثلاثين سنة وكانت خلافته سنتين وثمانية اشهر والاول اصح وأمه ميسون بنت بحدل بن انيف الكلبية وكان له من الولد معاوية وكنيته ابو عبد الرحمن وابو ليلى وهو الذي ولي بعده وخالد ويكنى اباهاشم يقال انه أصاب علم الكيمياء ولا يصح ذلك لاحد وابو سفيان وامهم ام هاشم بنت عتبة بن ربيعة تزوجها بعده مروان بن الحكم وله ايضا عبد الله بن يزيد كان ارمى العرب وامه ام كلثوم بنت عبد الله بن عامر وهو الاسوار وعبد الله الاصغر وعمر وابو بكر وعتبة وحرب وعبد الرحمن ومحمد لامهات شتى

(ذكر بعض سيرته واخباره)

قال محمد بن عبيد الله بن عمرو العتبي نظر معاوية ومعه امرأته ابنة قرظة الى يزيد وامه ترجله فلما فرغت منه قبلته فقالت ابنة قرظة لعن الله سواد ساقي امك فقال معاوية أما والله لما تفرجت عنه وركاها خير مما تفرجت عنه وركاك وكان لمعاوية من ابنة قرظة عبد الله وكان احمق فقالت لا والله ولكنك تؤثر هذا فقال سوف ابين لك ذلك فامر فدعي له عبد الله فلما حضر قال أي بني اني اردت ان أعطيك ما أنت اهله ولست بسائلي شيئا الا اجبتك اليه فقال حاجتي ان تشتري كلبا فارها وحمارا فقال اي بني انت حمار واشتري لك حمارا قم فاخرج ثم احضر يزيد وقال له مثل قوله لاخيه فخر ساجدا ثم قال حين رفع رأسه الحمد لله الذي بلغ أمير المؤمنين هذه المدة واراه في هذا الرأي حاجتي ان تعتقني من النار لان من ولي امر الامة ثلاثة ايام اعتقه الله من النار فتعقد لي العهد بعدك وتوليني العام الصائفة وتأذن لي في الحج اذا رجعت وتوليني الموسم

ثم انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى وادخل الوزير الاعظم محمد باشا وفاته ودعا رئيس الاطباء فشق بطنه وملأ بالاجزاء الحارة ودفن امعاءه هنالك ثم لم يزالوا يجدون في أمر الفتح حتى فتحوها بالحريق نهار السبت في وقت الضحى في سابع شهر صفر الخير سنة خمس وسبعين وتسعمائة وذلك بعد وفاة السلطان المبرور بثلاثة ايام ولم يزل العسكر هنالك في ترميم القلعة واصلاحها حتى بعث الوزير محمد باشا الى السلطان سليم خان يدعوه الى سكدوار فنهض السلطان سليم خان وكان يومئذ على امارة كوتاهية ودخل القسطنطينية على حين غفلة من اهلها وجلس على سرير الملك يوم الاثنين التاسع من ربيع الاول سنة اربع وسبعين وتسعمائة وقت الضحوة الكبرى وكان الطالع اذ ذاك المريخ وذلك بعد نقطة الاعتدال الخريفي الموسوم بالمهرجان بعشرة ايام ودخل عليه العلماء وعزوه بابيه وهنوه بالسلطنة ثم خرج في اليوم الثالث الى جهة سكدوار فلحق بالعسكر وصلى على ابيه هنالك ثم بعثه في العجلة صحبة الوزير احمد باشا الى مدينة قسطنطينية فلما قرب من المدينة استقبله وجوه العلماء والمشايخ بالذكر والتوحيد الى البلد ودفنوه في مدفنه بجامعه الذي بناه بمدينة قسطنطينية وكان رحمه الله عالي

طويل القامة حسن الصورة وهو من اشتهر في الآفاق بالعدل

وتزيد لاهل الشام كل رجل عشرة دنانير وتفرض لايتام بني جمح وبني سهم وبني عدي لانهم حلفائي فقال معاوية قد فعلت وقبل وجهه فقال لامرأته ابنة قرظة كيف رأيت قالت اوصه به يا امير المؤمنين ففعل وقال عمر بن سبينة حج يزيد في حياة ابيه فلما بلغ المدينة جلس على شراب له فاستأذن عليه ابن عباس والحسين فقيل له ان ابن عباس ان وجد ريح الشراب عرفه فحجبه واذن للحسين فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب فقال لله در طيبك ما اطيبه فما هذا قال هو طيب يصنع بالشام ثم دعا بقدح فشرب به ثم دعا بآخر فقال اسق ابا عبد الله فقال له الحسين عليك شرابك ايها المرء لاعين عليك مني فقال يزيد

* ألا يا صاح للعجب * دعوتك ذا ولم تجب
الى القينات والشهوا * ت والصهباء والطرب
* وباطية مكللة * عليها سادة العرب
وفيهن التي تبلت * فؤادك ثم لم تتب

فنهض الحسين وقال بل فؤادك يا ابن معاوية تبلت وقال شقيق بن سلمة لما قتل الحسين ثار عبد الله ابن الزبير فدعا ابن عباس الى بيعته فامتنع وظن يزيد ان امتناعه تمسك منه ببيعته فكتب اليه اما بعد فقد بلغني ان الملحد ابن الزبير دعاك الى بيعته وانك اعتصمت ببيعتنا وفاء منك لنا فجزاك الله من ذي رحم خير ما يجزي الواصلين لارحامهم الموفين بعهودهم فما انسى من الاشياء فلست بناس برك وتعجيل صلتك بالذي أنت له اهل فانظر من طلع عليك من الآفاق ممن سحرهم ابن الزبير بلسانه فاعلمهم بحاله فانهم منك اسمع الناس ولك اطوع منهم للمحل فكتب اليه ابن عباس اما بعد فقد جاءني كتابك فاما تركي بيعة ابن الزبير فوالله ما أرجو بذلك برك ولا حمدك ولكن الله بالذي انوي عليم وزعمت انك لست بناس بري فاحبس ايها الانسان برك عني فاني حابس عنك بري وسألت ان أحبب الناس اليك وابغضهم واخذلهم لابن الزبير فلا ولا سرورا ولا كرامة كيف وقد قتلت حسينا وفتيان عبد المطلب مصابيح الهدى ونجوم الاعلام غادرتهم خيولك بامرك في صعيد واحد مرملين بالدماء مسلوبين بالعراء مقتولين بالظماء لا مكفنين ولا موسدين تسفي عليهم الرياح وينشي بهم عرج البطاح حتى اتاح الله بقوم لم يشركوا في دمائهم كفنوهم واجنوهم وبي وبهم لو عزت وجلست مجلسك الذي جلست فما أنسى من الاشياء فلست بناس اطرادك حسينا من حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرم الله وتسييرك الخيول اليه فما زلت بذلك حتى اشخصته الى العراق فخرج خائفا يترقب فنزلت به خيلك عداوة منك لله ولرسوله ولاهل بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فطلب اليكم الموادعة وسألكم الرجعة فاغتنمتم قلة انصاره واستئصال اهل بيته وتعاونتم عليه كانكم قتلتم اهل بيت من الترك والكفر فلا شيء اعجب عندي من طلبتك ودي وقد قتلت ولد ابي وسيفك يقطر من دمي وانت أحد ثاري ولا يعجبك ان ظفرت بنا اليوم فلنظفرن بك يوما والسلام قال الشريف أبو يعلى حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر العلوي وقد جرى عنده ذكر يزيد انا لا اكفر يزيد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سألت الله ان لا يسلط على بنيّ أحدا من غيرهم فاعطاني ذلك

(ذكر بيعة معاوية بن يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير)

الهمة عالما شجيعا الى الغاية والخيرات من بناء المدارس الاربعة بمكة واجراء عين عرفة وهذا الذي ذكرناه بعض ما فعله من الحسنات ولو اردنا استيفاء ما فعله من الخيرات لاحتجنا الى عدة مجلدات عاش رحمه الله اربعا وسبعين سنة وبقي في الملك ثمانية وأربعين سنة وكان له عدة اولاد توفي الجميع في حياته

(وتولى الملك بعده ولده السلطان الغازي سليم خان بن السلطان سليمان خان)

ثم ان السلطان سليم خان ايد الله ملكه واجرى في بحر المرادات فلكه قدم من سكدوار بالعسكر الجرار الى مدينة قسطنطينية في شهر جمادى الآخرة سنة أربع وسبعين وتسعمائة فاستقبله جميع أهل البلد واستبشروا بقدومه فلما استقر في دار الملك أمر بالجوائز ففرقت على العسكر وغيرهم وزاد في معالم الجند ثم شاع في هذه السنة عصيان بني عليان من سكان الجزيرة وخروجهم عن الطاعة فجهز اليهم من الباب العالي وغيره عساكر صحبة امير الامراء بالبصرة و بغداد

فى هذه السنة بويع لمعاوية بن يزيد بالخلافة بالشام وابعبد الله بن الزبير بالحجاز ولما هلك يزيد
بلغ الخبر عبد الله بن الزبير بمكة قبل ان يعلم الحصين بن نمير ومن معه من عسكر الشام وكان
الحصار قد اشتد من الشاميين على ابن الزبير فناداهم ابن الزبير واهل مكة علام تقاتلون وقد
هلك طاغيتكم فلم يصدقوهم فلما بلغ الحصين خبر موته بعث الى ابن الزبير فقال موعد ما بيننا
الليلة الابطح فالتقيا وتحادثا فراث فرس الحصين فجاء حمام الحرم يلتقط روث الفرس فكف
الحصين فرسه عنهن وقال اخاف ان يقتل فرسى حمام الحرم فقال ابن الزبير تتحرجون من هذا
وانتم تقتلون المسلمين فى الحرم فكان فيما قال له الحصين انت احق بهذا الامر هلم فلنبايعك ثم
اخرج معنا الى الشام فان هذا الجند الذين معى هم وجوه الشام وفرسانهم فوالله لا يختلف عليك
اثنان وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التى كانت بيننا وبينك وبين اهل الحرم فقال له انا
لا اهدر الدماء والله لا أرضى ان اقتل بكل رجل منهم عشرة منكم واخذ الحصين يكلمه سرا
وهو يجهر ويقول والله لا أفعل فقال له الحصين قبح الله من يعدك بعد ذاهبا وآيبا قد كنت
أظن ان لك رأيا وانا اكلمك سرا وتكلمنى جهرا وادعوك الى الخلافة وأنت لا تريد الا القتل
والهلكة ثم فارقه ورحل هو واصحابه نحو المدينة وندم ابن الزبير على ما صنع فارسل اليه اما المسير
الى الشام فلا أفعله ولكن بايعوا لى هنالك فانى مؤمنكم وعادل فيكم فقال الحصين ان لم تقدم
بنفسك لا يتم الامر فان هنالك ناسا من بنى امية يطلبون هذا الامر وسار الحصين الى المدينة
فاجترأ أهل المدينة على اهل الشام فكان لا ينفرد منهم احد الا أخذت دابته فلم يتفرقوا وخرج
معهم بنو أمية من المدينة الى الشام ولو خرج معهم ابن الزبير لم يختلف عليه أحد فوصل اهل
الشام دمشق وقد بويع معاوية بن يزيد فلم يمكث الا ثلاثة أشهر حتى هلك وقيل بل ملك اربعين
يوما ومات وعمره احدى وعشرون سنة وثمانية عشر يوما ولما كان فى آخر امارته امر فنودى
الصلاة جامعة فاجتمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فانى ضعفت عن أمركم
فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه ابو بكر فلم أجده فابتغيت ستة مثل ستة
الشورى فلم أجدهم فانتم اولى بامركم فاختاروا له من أحببتم ثم دخل منزله وتغيب حتى مات
وقيل انه مات مسموما وصلى عليه الوليد بن عتبة بن ابى سفيان ثم اصابه الطاعون من يومه فمات
أيضا وقيل لم يمت وكان معاوية اوصى ان يصلى الضحاك بن قيس بالناس حتى يقوم لهم خليفة
وقيل لمعاوية لو استخلفت فقال لا اتزود مرارتها واترك لبنى أمية حلاوتها

(ذكر حال ابن زياد بعد موت يزيد)

لما مات يزيد واتى الخبر عبيد الله بن زياد مع مولاه حمران وكان رسوله الى معاوية بن ابى سفيان
ثم الى يزيد بعده فلما اتاه الخبر اسره اليه واخبره باختلاف الناس فى الشام فامر فنودى الصلاة
جامعة فاجتمع الناس وصعد المنبر فنعى يزيد وثلبه فقال الاحنف انه قد كانت ليزيد فى أعناقنا
بيعة و يقال فى المثل اعرض عن ذى فترة فاعرض عنه عبيد الله وقال يا أهل البصرة ان مهاجرنا
اليكم ودارنا فيكم ومولدى فيكم ولقد وليتكم وما يحصى ديوان مقاتليكم الا سبعين ألفا ولقد
احصى اليوم مائة ألف وما كان يحصى ديوان عمالكم الا تسعين ألفا ولقد أحصى اليوم مائة
وأربعين ألفا وما تركت لكم قاطبة من اخافه عليكم الا وهو فى سجنكم وان يزيد قد توفى

فساروا وحاربوهم عدة ايام وشهور حتى غلبوا عليهم وهزموهم بعد عدة حروب وخطوب يطول شرحها واستولوا على معظم قلاعهم واخربوا اماكنهم وعادوا سالمين وكان الفتح فى أواخر سنة خمس وسبعين وتسعمائة ثم ان السلطان الاعظم سليم خان أمر الوزير مصطفى باشا بالمسير مع العسكر فى البحر والتوجه الى فتح جزيرة قبرس وعين كاشف البحر على باشا القبودان أن يدور بسائر العمارة فى وجه البحر صيانة للعساكر من هجوم الكفار فلما حل اول الربيع وقد تكاملت الاغربة والسفن وشحنت بالرجال وانواع السلاح خرجوا فى سنة ثمان وسبعين وتسعمائة من فم الخليج القسطنطينى بابهة هائلة واهبة زائدة فلما وصلوا الى الجزيرة المذكورة خرجوا من طرف محلتها فخيم العسكر هنالك ثم استقرت الآراء على حصار قلعة لفقوسة اولا اذ هى مدينتهم الكبرى وقاعدة مملكتهم فحاصروها مدة شهر واحد ثم افتتحوها فى أواسط ربيع الآخر من السنة المذكورة ثم بعث الوزير المشار اليه احسن الله اليه عدة رؤس مقطوعة من عظماء اهل لفقوسة ورؤسائهم فى اطباق من فضة الى أهل قلعة كرينة

وقد اختلف الناس بالشام وانتم اليوم أكثر الناس عددا واعرضهم فناء واغنى عن الناس واوسعهم بلادا فاختاروا لانفسكم رجلا ترضونه لدينكم وجماعتكم فأنا أول راض من رضيتموه فان اجتمع اهل الشام على رجل ترضونه لدينكم وجماعتكم دخلتم فيما دخل فيه المسلمون وان كرهتم ذلك كنتم على احد يليكم حتى تقضوا حاجتكم فما بكم الى احد من أهل البلدان حاجة ولا يستغنى الناس عنكم فقام خطباء اهل البصرة وقالوا قد سمعنا مقالتك وما نعلم أحدا أقوى عليها منك فهلم فلنبايعك فقال لا حاجة لى فى ذلك فكرروا عليه فأبى عليهم ثلاثا ثم بسط يده فبايعوه ثم انصرفوا ومسحوا ايديهم بالحيطان وقالوا ايظن ابن مرجانة انا ننقاد له فى الجماعة والفرقة فلما بايعوه ارسل الى اهل الكوفة مع عمرو بن مسمع وسعد بن القرحاء التميمى يعلمهم ما صنع أهل البصرة ويدعوهم الى البيعة له فلما وصلا الى الكوفة وكان خليفته عليها عمرو بن حريث جمع الناس وقام الرسولان فخطبا اهل الكوفة وذكرا لهم ذلك فقام يزيد بن الحرث ابن يزيد الشيبانى وهو ابن رويم فقال الحمد لله الذى اراحنا من ابن سمية انحن نبايعه لا ولا كرامة وحصبهما اول الناس ثم حصبهما الناس بعده فشرفت تلك الفعلة يزيد بن رويم فى الكوفة ورفعته ورجع الرسولان الى البصرة فاعلماه الحال فقال أهل البصرة ايخلعه اهل الكوفة ونوليه نحن فضعف سلطانه عندهم فكان يأمر بالامر فلا يقضى ويرى الرأى فيرد عليه ويأمر بحبس المخطئ فيحال بين اعوانه وبينه ثم جاء الى البصرة سلمة بن ذؤيب الحنظلى التميمى فوقف فى السوق وبيده لواء وقال ايها الناس هلموا الى انى أدعوكم الى ما لم يدعكم اليه احد أدعوكم الى العائذ بالحرم يعنى عبد الله بن الزبير فاجتمع اليه ناس وجعلوا يصفقون على يديه يبايعونه فبلغ الخبر ابن زياد فجمع الناس فخطبهم وذكر لهم امره معهم وانه دعاهم الى من يرتضونه فبايعه منهم اهل البصرة وانهم أبوا غيره وقال انى بلغنى انكم مسحتم اكفكم بالحيطان وباب الدار وقلتم ما قلتم وانى آمر بالامر فلا ينفذ ويرد على رأيى ويحال بين اعوانى وبين طلبتى ثم ان هذا سلمة بن ذؤيب يدعو الى الخلاف عليكم ليفرق جماعتكم ويضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف فقال الاحنف والناس نحن نأتيك بسلمة فاتوه بسلمة فاذا جمعه قد كثف والفتق قد اتسع فلما رأوا ذلك قعدوا عن ابن زياد فلم يأتوه فدعا عبيد الله رؤساء محاربة السلطان واراد هم ليقاتلوا معه قالوا ان امرنا قوادنا فعلنا فقال له اخوته ما الناخليفة فنقاتل عنه فان هزمت رجعت اليه فامدك ولعل الحرب تكون عليك وقد اتخذنا بين هؤلاء القوم اموالا فان ظفروا بنا اهلكونا واهلكوها فلم تبق لك بقية فلما راى ذلك ارسل الى الحرث بن قيس بن صهبان الجهضمى الازدى فاحضره وقال له يا حرث ان ابى اوصانى انى ان احتجت الى العرب يوما أن اختاركم فقال الحرث ان قومى قد اختبروا اباك فلم يجدوا عنده مكانا ولا عندك مكافاة ولا اردك اذا اخترتنا ما ادرى كيف اماني لك ان اخرجتك نهارا اخاف أن تقتل واقتل ولكنى اقيم معك الى الليل ثم أردفك خلفى لئلا تعرف فقال عبيد الله نعم ما رأيت فاقام عنده فلما كان الليل حمله خلفه وكان فى بيت المال تسعة عشر الف الف ففرق ابن زياد بعضها فى مواليه وادخر الباقى لآل زياد وسار الحرث بعبيد الله بن زياد فكان يمر به على الناس وهم يتحارسون مخافة الحرورية وعبيد الله يسأله اين نحن والحرث يخبره فلما كانوا فى بنى سليم قال اين نحن قال فى بنى

فلما شاهدوها خافوا وذلوا فطلبوا الامان وبعثوا بمفتاح القلعة فتسلمها وصيرها دار الاسلام بعد ان كانت مقرا لاهل الشرك والازلام ثم توجه الوزير المذكور لا زال فى عز وسرور بعدما مهد قواعد مدينة لفقوسة وبنى ما خرب منها الى حصار قلعة ماغوسة وهى من امنع الحصون واصعب المعاقل واكرب المناهل وهى فى ساحل البحر الابيض على صخرة صماء وقد حصنوها بشئ كثير من المدافع والمكاحل وشحنوها بجماعة من اسود الكفار بين وقد احاطها خندق واسع عميق بسور عرضه مائة ذراع وعشرة اذرع وعمقه تسعة وعشرون ذراعا وقد ركبت فى هذه القلعة سبعمائة واربعة وستون مدفعا كبيرا ومن البنادق ما لا يعلم عددها الا الله تعالى فحاصرها العسكر حصارا شديدا وقاتلوا أهلها بالآلات النارية والاحجار المنجنيقية وشقوا بطون الارض شقا ونقبوا قعورها نقبا وجروا فى عروقها جريا وتصوبوا الى صوب الحصن هويا

سليم فقال سلمنا ان شاء الله فلما أتى بنى ناجية قال أين نحن قال فى بنى ناجية قال نجونا ان شاء الله فقال بنو ناجية من أنت قال الحرث بن قيس وكان يعرف رجل منهم عبيد الله فقال ابن مرجانة وارسل سهما فوقع فى عمامته ومضى به الحرث فانزله فى داره نفسه فى الجهاضم فقال له ابن زياد ياحرث انك أحسنت فاصنع ما اشير به عليك قد علمت منزلة مسعود بن عمرو فى قومه وشرفه وسنه وطاعة قومه له فهل لك ان تذهب بى اليه فاكون فى داره فهى فى وسط الازد فانك ان لم تفعل فرق عليك امر قومك فأخذه الحرث فدخلا على مسعود ولم يشعر وهو جالس يصلح خفا له فلما رآهما عرفهما فقال للحرث أعوذ بالله من شر ماطرقتنى به قال ماطرقتك الا بخير قد علمت ان قومك انجوا زيادا ووفوا له فصارت مكرمة يفتخرون بها على العرب وقد بايعتم عبيد الله بيعة الرضا من مشورة وبيعة أخرى قبل هذه يعنى بيعة الجماعة فقال مسعود أترى لنا ان نعادى أهل مصرنا فى عبيد الله ولم نجد من أبيه مكافأة ولا شكرا فيما صنعنا معه فقال الحرث انه لايعاديك أحد على الوفاء على بيعتك حتى تبلغه مأمنه أفتخرجه من بيتك بعد مادخله عليك فامره مسعود فدخل بيت أخيه عبد الغافر بن عمرو ثم ركب مسعود من ليلته ومعه الحرث وجماعة من قومه فطافوا فى الازد فقالوا ان ابن زياد فقد وانا لانامن ان تلطخوا به فاصبحوا فى السلاح وفقد الناس ابن زياد فقالوا ماهو الا فى الازد وقيل ان الحرث لم يكلم مسعودا بل أمر عبيد الله فحمل معه مائة ألف وأتى بها ام بسطام امرأة مسعود وهى بنت عمرو بن الحرث ومعه عبيد الله فاستأذن عليها فأذنت له فقال لها قد أتيتك بأمر تسودين به نساء العرب وتتعجلين به الغنى وأخبرها الخبر وأمرها ان تدخل ابن زياد البيت وتلبسه ثوبا من ثياب مسعود ففعلت فلما جاء مسعود أخذ برأسها يضربها فخرج عبيد الله والحرث عليه وقال له قد اجارتنى وهذا ثوبك على وطعامك فى بطنى وشهد الحرث وتلطفوا به حتى رضى فلم يزل ابن زياد فى بيته حتى قتل مسعود فسار الى الشام ولما فقد ابن زياد بقى أهل البصرة فى غير أمير فاختلفوا فيمن يؤمرون عليهم ثم تراضوا بقيس بن الهيثم السلمى وبالنعمان بن سفيان الراسبى الجرمى ليختارا من يرضيان لهم وكان رأى قيس فى بنى أمية ورأى النعمان فى بنى هاشم فقال النعمان ما ارى أحدا أحق بهذا الامر من فلان لرجل من بنى أمية وقيل بل ذكر له عبد الله بن الاسود الزهرى وكان هوى قيس فيه وانما قال النعمان ذلك خديعة ومكرا بقيس فقال قيس قد قلدتك أمرى ورضيت من رضيت ثم خرجا الى الناس فقال قيس قد رضيت من رضى النعمان

(ذكر ولاية عبد الله بن الحرث البصرة)

لما اتفق قيس والنعمان ورضى قيس عن يؤمره النعمان اشهد عليه النعمان بذلك وأخذ على قيس وعلى الناس العهود بالرضا ثم أتى عبد الله بن الاسود وأخذ بيده واشترط عليه حتى ظن الناس انه بايعه ثم تركه وأخذ بيد عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب الملقب ببة واشترط عليه مثل ذلك ثم حمد الله واثنى عليه وذكر النبى صلى الله عليه وسلم وحق أهل بيته وقرابته وقال أيها الناس ماتنقمون من رجل من بنى عم نبيكم وامه هند بنت أبى سفيان قد كان الامر فيهم فهو ابن أختكم ثم اخذ بيده وقال رضيت لكم به فنادوه قد رضينا وبايعوه واقبلوا به الى دار الامارة حتى نزلها وذلك أول جمادى الآخرة سنة أربع وستين

فاتفق ان أقبل الشتاء واشتد البرد ولم توجد هنالك مرسى ترسى فيه عمارة السلطان فعاد كاشف البحر الى طرف الروم وبقى العسكر بصحبة الوزير هنالك لايفترون الليل والنهار عن الحصار فلما انقضى زمن الشتاء وطاب الهواء عاد كاشف البحر على باشا بالمسير الى طرف قبرس عونا للمسلمين ومددا لمن هنالك من الموحدين فلما عاين الكفار ذلك وكانوا يرجون أن يصل اليهم مدد من بلاد الافرنج يئسوا ونادوا بالامان فأمنهم الوزير المذكور فبعثوا بمفاتيح القلعة وطلبوا أن يمكنوا من المسير الى بلادهم كما فعل باشياعهم من قبل أهل رودس وكانوا نحو سبعة آلاف محارب فاجاب الوزير قبل الله سعيه المشكور الى مااقترحوا عليه فخرجوا من المدينة وخيموا خارجها فدخلها المسلمون ونصبوا فيها الاعلام الاسلامية وعمروا ماوهن وخرب وشيدوا بروجها واحكموا حصونها وكان الوزير المذكور قاسى من صاحب هذه القلعة أمورا حقد عليه بذلك فلم يراطلاقه ومعه من المقاتلة والاسباب مالامزيد عليه فاراد الاحتيال عليه وكان قد عين لهم عشرين غرابا فلما ركبوا فى الاغربة واستقروا فيها بجميع أموالهم وارزاقهم جاء أميرهم ليسلم على الوزير ويودعه فأمر به الوزير فقيد وقطع أذنيه فى مجالسه

وقال الفرزدق فى ربيعة

وبايعت اقواما وفيت بعهدهم * وربيعة قد بايعته غير نادم

(ذكر هرب ابن زياد الى الشام)

ثم ان الازد وربيعة جددوا الحلف الذى كان بينهم وبين الجماعة وانفق ابن زياد مالا كثيرا فيهم حتى تم الحلف وكتبوا بذلك بينهم كتابين فكان أحدهما عند مسعود بن عمرو فلما سمع الاحنف ان الازد طلبت الى ربيعة ذلك قال لا يزالون لهم اتباعا اذا أتوهم فلما تحالفوا اتفقوا على ان يردوا ابن زياد الى دار الامارة فساروا ورئيسهم مسعود بن عمرو وقالوا لابن زياد سر معنا فلم يفعل وارسل معه مواليه على الخيل وقال لهم لا تحدثوا بخير ولا بشر الا اتيتمونى به فجعل مسعود لا يأتى سكة ولا يتجاوز قبيلة الا أتى بعض أولئك الغلمان ابن زياد بالخبر وسارت ربيعة وعليهم مالك بن مسمع فأخذوا سكة المربد وجاء مسعود فدخل المسجد فصعد المنبر وعبد الله بن الحرث فى دار الامارة فقيل له ان مسعودا وأهل اليمن وربيعة قد ساروا وسيهيج بين الناس شر فلو اصلحت بينهم وركبت فى بنى تميم فقال أبعدهم الله لا والله لا افسد نفسى فى اصلاحهم وجعل رجل من أصحاب مسعود يقول

لننكحن بيبه * جارية فى قبه * تمشط راس لعبه

هذا قول الازد واما مضر فيقولون ان أمه كانت ترقصه وتقول هذا وصعد مسعود المنبر وسار مالك بن مسمع نحو دور بنى تميم حتى دخل سكة بنى العدوية فحرق دورهم لما فى نفسه لاستعراض بنى حازم ربيعة بهراة وجاء بنو تميم الى الاحنف فقالوا يا أبا بحر ان ربيعة والازد قد تحالفوا وقد ساروا الى الرحبة فدخلوها فقال لستم بأحق بالمسجد منهم فقالوا قد دخلوا الدار فقال لستم بأحق بالدار منهم فاتته امرأة بمجمر وقالت له مالك وللرياسة انما أنت امرأة تتجمر فقال لبست امرأة أحق بالمجمر منك فما سمع منه كلمة أسوأ منها ثم أتوه فقالوا ان امرأة منا قد نزعت خلخالها وقد قتلوا الصباغ الذى على طريقك وقتلوا المقعد الذى على باب المسجد وقد دخل مالك بن مسمع سكة بنى العدوية فحرق فقال الاحنف أقيموا البينة على هذا ففى دون هذا ما يحل قتالهم فشهدوا عنده على ذلك فقال الاحنف اجاء عباد بن الحصين قالوا لا وهو عباد بن الحصين بن يزيد بن عمرو بن أوس من بنى عمرو بن تميم ثم قال اجاء عباد قالوا لا قال اههنا عبس ابن طلق بن ربيعة الصريمى من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم قالوا نعم فدعاه فانتزع معجرا فى رأسه فعقده فى رمح ثم دفعه اليه وقال سر فلما ولى قال اللهم ان لم تخزها اليوم فانك لم تخزها فيما مضى وصاح الناس هاجت زبرا وهى أم الاحنف كنوا بها عنه فسار عبس الى المسجد فلما سار عبس جاء عباد فقال ماصنع الناس فقيل سار بهم عبس فقال لا أسير تحت لواء عبس وعاد الى بيته ومعه ستون فارسا فلما وصل عبس الى المسجد قاتل الازد على أبوابه ومسعود على المنبر يحضض الناس فقاتل غطفان بن أنيف التميمى وهو يقول

يال تميم انها مذكوره * ان فات مسعود بها مشهوره

* فاستمسكوا بجانب المقصوره *

أى لا يهرب واتوا مسعودا وهو على المنبر فاستنزلوه وقتلوه وذلك أول شوال سنة أربع وستين

ثم غدر به فقتله أشر قتلة ثم أمر بمن فى المراكب فاخرجوا واستوسروا واستولى على جميع ما معهم من الغنائم ثم سار بعمارة لنهب جزائر الكفار فطلعوا على جزيرة كفاليتة فنهبوها وهدموا بنيانها ثم الى جزيرة كورفس وهى مفتاح بلاد البنادقة فحاصروها بعض أيام وعاثوا فيها نهبا وتخريبا ثم فعلوا ذلك بعدة جزائر هناك فلما طال مكثهم على وجه البحور ورأوا أن العدو ما قابلهم اغتروا فاذن الوزير برتو باشا بالتفرق فتفرق العسكر غالبهم وقد ملؤا المراكب باسباب الغنائم وشحنوها فسابقته العساكر مرسين فى مينا اينه بختى اذ وصل اليهم الخبر بان الكفار استخبروا عن تفرقكم فهاهم سائرون عليكم وواصلون اليكم فى ملل كثيرة وقبائل شتى من اهل الاوثان وغيرهم فتشاور المسلمون بعضهم مع بعض فكان رأى الوزير الاعظم برتو باشا فى ذلك أن لا يقابلهم ولا يقاتلهم وكان ذلك مقتضى طبعه لانه كان جبانا الى الغاية وكان ماراه هو الانسب بمقتضى الحال وخالفه كاشف البحر على باشا فى ذلك وكان رجلا شجاعا بطلا مغوارا فقال لا بد من لقاء الكفار فان وهج العار أشد من وهج النار وقد أيدنا الله بالاسلام وزاد فينا قوة وبسطا فلو سارت اغربتنا وهى خالية من عسكر الاسلام لكفت قبائل الكفار فكيف وانا بينكم وفينا من العسكر ما يفى بالمقابلة وانهزم

وانهزم أصحابه وهرب اشيم بن شقيق بن ثور فطعنه أحدهم فنجا بها فقال الفرزدق

لو أن اشيم لم يسبق أسنتنا * وأخطأ الباب اذنيرانتا تقد
اذا الصاحب مسعودا وصاحبه * وقد تهافتت الاعفاج والكبد

ولما صعد مسعود المنبر أتى ابن زياد فقيل له ذلك فتهيأ للجيء الى دار الامارة فأتوه وقالوا له انه قتل مسعود فركب ولحق بالشام فاما مالك بن مسمع فأتاه ناس من مضر فحصروه فى داره وحرقوا داره ولما هرب ابن زياد تبعوه فاعجزهم فنهبوا ما وجدوا له وفى ذلك يقول واقد بن خليفة التميمى

يارب جبار شديد كلبه * قد صار فينا تاجه وسلبه
منهم عبيد الله يوم نسلبه * جياده و بزه ونهبه
يوم التقى مقنبنا ومقنبه * لو لم ينج ابن زياد هربه

وقد قيل فى قتل مسعود ومسير ابن زياد غير ما تقدم وهو انه لما استجار ابن زياد بمسعود بن عمرو اجاره ثم سار ابن زياد الى الشام وارسل معه مسعود مائة من الازد حتى قدموا به الى الشام فبينما هو يسير ذات ليلة قال قد ثقل على ركوب الابل فوطؤا الى على ذى حافر فجعلوا له قطيفة على حمار فركبه ثم سار وسكت طويلا قال مسافر بن شريح اليشكرى فقلت فى نفسى لئن كان نائما لاوقظن عليه نومه فقلت انائم أنت قال لا كنت احدث نفسى قلت أفلا أحدثك بما كنت تحدث به نفسك قال هات قلت كنت تقول ليتنى كنت لم اقتل حسينا قال وماذا قلت تقول ليتنى لم أكن قتلت من قتلت قال وماذا قلت تقول ليتنى لم أكن بنيت البيضاء قال وماذا قلت تقول ليتنى لم أكن استعملت الدهاقين قال وماذا قلت تقول ليتنى كنت اسخى مما كنت قال اما قتلى الحسين فانه أشار الى يزيد بقتله أو قتلى فاخترت قتله واما البيضاء فانى اشتريتها من عبد الله ابن عثمان الثقفى وأرسل الى يزيد بألف ألف فانفقتها عليها فان بقيت فلاهلى وان هلكت لم آس عليها واما استعمال الدهاقين فان عبد الرحمن بن أبى بكرة أراد ان يروح فوقع فى عند معاوية وبلغ خراج العراق مائة ألف ألف فخيرنى معاوية بين العزل والضمان فكرهت العزل فكنت اذا استعملت العربى كسر الخراج فان اغرمت عشيرته او طالبته اوغرت صدورهم وان تركته تركت مال الله وانا اعرف مكانه فوجدت الدهاقين ابصر بالجباية واوفى بالامانة واهون بالمطالبة منكم مع انى قد جعلتكم امناء عليهم لئلا يظلموا احدا واما قولك فى السخاء فما كان لى مال فاجود به عليكم ولو شئت لاخذت بعض مالكم فخصصت به بعضكم دون بعض فيقولون ما اسخاه واما قولك ليتنى لم اكن قتلت من قتلت فما عملت بعد كلمة الاخلاص عملا هو اقرب الى الله عندى من قتل من قتلت من الخوارج ولكنى سأخبرك قلت ليتنى كنت قاتلت أهل البصرة فانهم بايعونى طائعين ولقد حرصت على ذلك ولكن بنى زياد قالوا ان قاتلتهم فظهروا عليك لم يبقوا منا احدا وان تركتهم يغيب الرجل منا عند اخواله واصهاره فرفقت بهم وكنت اقول ليتنى اخرجت اهل السجن فضربت اعناقهم واما اذ فاتت هاتان فليتنى اقدم الشام ولم يبرموا امرا قال فقدم الشام ولم يبرموا امرا فكان معه صبيان وقيل بل قدم وقد ابرموا فانقض عليهم ما ابرموا فلما سار من البصرة استخلف مسعودا عليها فقال بنو تميم وقيس لانرضى به ولا نولى الا رجلا ترضاه جماعتنا فقال مسعود قد استخلفنى ولا ادع ذلك ابدا وخرج حتى انتهى الى القصر ودخله

ولم يزل يناظرهم حتى غلب على رأيهم فاتفق الجميع على لقاء العدو ولما كان يوم الاحد السابع عشر من جمادى الاولى سنة تسع وسبعين وتسعمائة التقى الجمعان وتقابل الفريقان فى طرف من بلاد المسلمين فهبت الريح على المسلمين والجأتهم الى البر فانكسروا وذلك بعد قتال شديد دام من طلوع الشمس الى الغروب وقتل المرحوم على باشا المذكور وجماعة كثيرة لا تحصى وغنم الكفار غنائمهم من الاموال والاسباب والاغربة والشوانى وما فيها وقل من سلم من هذه الوقعة فسبحان الحكيم الصمد القادر يفعل ما يشاء فاهتم السلطان فى انشاء عمارة اخرى مع ما يناسبها من المدافع فجدوا حتى تم لهم ما راموا فى مدة سبعة أشهر وما كان ذلك الا عناية من الله تعالى فصاروا كان لم يمسهم ضر ولا شر وفى هذه السنة برز أمر السلطان بان تهدم رواقات المسجد الحرام لوهنها ونفوذ المطر منها وأن يبنى مكانها اقباب عالية فشرع فيها فصارت فى غاية ما يكون من الحسن واللطافة وجدد أبواب الحرم فلم يبق فيه من البناء القديم الا البيت العتيق وفى سنة ثمانين وتسعمائة خرجت عمارة السلطان من فم الخليج القسطنطينى صحبة كاشف البحر قلج على باشا القبودان فى مائة وخمسين غرابا غير ما انضم اليهم من المراكب فسار يحمى

واجتمعت تميم الى الاحنف فقالوا له ان الازد قد دخلوا المسجد قال انما هو لهم ولكم قالوا قد
دخلوا القصر وصعد مسعود المنبر وكانت خوارج قد خرجوا فنزلوا نهر الاساورة حين خرج
عبيد الله الى الشام فزعم الناس ان الاحنف بعث اليهم ان هذا الرجل الذى قد دخل القصر
هو لنا ولكم عدو فما يمنعكم عنه فجاءت عصابة منهم حتى دخلوا المسجد ومسعود على المنبر
يبايع من أتاه فرماه علج يقال له مسلم من أهل فارس دخل البصرة فاسلم ثم دخل فى الخوارج
فأصاب قلبه فقتله فقال الناس قتله الخوارج فخرجت الازد الى تلك الخوارج فقتلوا منهم
وجرحوا فطردوهم عن البصرة ثم قيل للازد ان تميما قتلوا مسعودا فارسلوا يسألون فاذا ناس من
تميم تقوله فاجتمعت الازد عند ذلك فرأسوا عليهم زياد بن عمرو أخا مسعود بن عمرو ومعهم مالك
ابن مسمع فى ربيعة وجاءت تميم الى الاحنف يقولون قد خرج القوم وهو متمكث لا يخف للفتنة
فجاءته امرأة بمجمر فقالت اجلس على هذا أى انما أنت امرأة فخرج الاحنف فى بنى تميم
ومعهم من بالبصرة من قيس فالتقوا فقتل بينهم قتلى كثيرة فقال لهم بنو تميم الله الله يا معشر
الازد فى دمائنا ودمائكم بيننا وبينكم القرآن ومن شئتم من أهل الاسلام فان كان لكم علينا بينة
فاختاروا أفضل رجل فينا فاقتلوه وان لم تكن لكم بينة فانا نحلف بالله ما قتلنا ولا أمرنا ولا
نعلم له قاتلا وان لم تريدوا ذلك فنحن ندى صاحبكم بمائة ألف درهم واتاهم الاحنف واعتذر
اليهم عما قيل وسفر بينهم عمر بن عبيد الله بن معمر وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فطلبوا
عشر ديات فأجابهم الى ذلك واصطلحوا عليه واما عبد الله بن الحرث ببة فانه أقام يصلى بهم حتى
قدم عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر أميرا من قبل ابن الزبير وقيل بل كتب ابن الزبير الى عمر
بعهده على البصرة فأتاه الكتاب وهو متوجه الى العمرة فكتب عمر الى اخيه عبيد الله يأمره
ان يصلى بالناس فصلى بهم حتى قدم عمر فبقى عمر أميرا شهرا حتى قدم الحرث بن عبد الله بن أبى
ربيعة المخزومى بعزله ووليها الحرث وهو القباع وقيل اعتزل عبيد الله بن الحرث ببة أهل
البصرة بعد قتل مسعود بسبب العصبية وانتشار الخوارج فكتب اهل البصرة الى ابن الزبير
فكتب ابن الزبير الى أنس بن مالك يأمره ان يصلى بالناس فصلى بهم اربعين يوما وكان عبيد
الله بن الحرث يقول ما احب ان أصلح الناس بفساد نفسى وكان يتدين وفى ايامه سار نافع بن
الازرق الى الاهواز من البصرة واما أهل الكوفة فانهم لما ردوا رسل ابن زياد على ما ذكرناه
قبل عزلوا خليفته عليهم وهو عمرو بن حريث واجتمع الناس وقالوا نؤمر علينا رجلا الى ان
يجتمع الناس على خليفة فاجتمعوا على عمر بن سعد فجاءت نساء همدان يبكين الحسين ورجالهم
متقلدو السيوف فأطافوا بالمنبر فقال محمد بن الاشعث جاء أمر غير ما كنا فيه وكانت كندة تقوم
بأمر عمر بن سعد لانهم اخواله فاجتمعوا على عامر بن مسعود بن امية بن خلف بن وهب بن
حذافة الجمحى فخطب أهل الكوفة فقال ان لكل قوم اشربة ولذات فاطلبوها فى مظانها
وعليكم بما يحل ويحمد واكسروا اشرابكم بالماء وتواروا عنى بهذه الجدران فقال ابن همام

اشرب شرابك وانعم غير محسود * واكسره بالماء لا تعص ابن مسعود
ان الامير له فى الخمر مأربة * فاشرب هنيأ مريأ غير مرصود
من ذا يحرم ماء المزن خالطه * فى جوف خابية ماء العناقيد

البلاد عن هجوم العدو فلما كان ببعض اطراف البلاد صادف عمارة الافرنج فوقع بين الفريقين بعض مقاتلة ومناوشة
واصاب عدة مدافع
لبعض سفن العدو فاغرقها
ثم انجلى كل من الفريقين
نحو بلاده لمصادفة الشتاء
وفى هذه السنة أمر
السلطان بهدم البيوت
والحيطان الملاصقة لجامع
أيا صوفية بمدينة قسطنطينية
وكان الناس قد أكثروا
من البنيان حتى استتر
الجامع واعتم ونفذت
القاذورات الى داخل
الجامع فهدمت نحو أربعين
ذراعا وصار حول الجامع
مفازة لطيفة فصارت فى غاية
ما يكون من الحسن وأمر
السلطان بترميم الجامع
المذكور وأن يبنى منارتان
أخريان وامر ان يبنى
حواليه امدرستان جليلتان
فشرع فى ذلك وقضى
السلطان نحبه وفى هذه
السنة ورد الخبر بان عين
عرفة وصلت الى مكة
المشرفة وجرت على وجه
الارض فى أماكن متعددة
وكان من امرها انه كان
انهى الى السلطان سليمان
خان اسكنه الله غرف
الجنان ان عين حنين قد
ضعفت الى الغاية وان أهل
مكة فى ضيق عظيم بسبب
الماء فأمر باجراء عين عرفة
الى مكة فصرفوا فى ذلك
أموال الدنيا ولم يزالوا يباشرونها من ذلك العهد حتى تيسر مجيئها فى عهد ولده السلطان سليم خان وهذه نعمة

انى لاكره تشديد الرواة لنا * فى قعر خابية ماء العناقيد

ولما بايعه أهل الكوفة وكتبوا بذلك الى ابن الزبير اقره عليها وكان يلقب دحروجة الجعل وكان قصيرا فمكث ثلاثة أشهر من مهلك يزيد بن معاوية ثم قدم عليهم عبد الله بن يزيد الخطمى الانصارى على الصلاة وابراهيم بن محمد بن طلحة على الخراج من عند ابن الزبير واستعمل محمد ابن الاشعث بن قيس على الموصل فاجتمع لابن الزبير أهل الكوفة والبصرة ومن بالقبلة من العرب وأهل الجزيرة وأهل الشام الا أهل الاردن فى امارة عمر بن عبيد الله بن معمر وكان طاعون الجارف بالبصرة فماتت امه فما وجدوا لها من يحملها حتى استأجروا لها أربعة اعلاج فحملوها

(ذكر خلاف أهل الرى)

فى هذه السنة بعد موت يزيد خالف اهل الرى وكان عليهم الفرخان الرازى فوجه اليهم عامر ابن مسعود وهو امير الكوفة محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمى فلقيه أهل الرى فانهزم محمد فبعث اليهم عامر عتاب بن ورقاء الرياحى التميمى فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل الفرخان وانهزم المشركون وكان محمد بن عمير هذا مع على بصفين على تميم الكوفة ثم عاش بعد ذلك فلما ولى الحجاج الكوفة فارقها وسار الى الشام لكراهته ولاية الحجاج

(ذكر بيعة مروان بن الحكم)

فى هذه السنة بويع مروان بن الحكم بالشام وكان السبب فيها ان ابن الزبير لما بويع له بالخلافة ولى عبيد الله بن الزبير المدينة وعبد الرحمن بن جحدم الفهرى مصر واخرج بنى امية ومروان ابن الحكم الى الشام وعبد الملك بن مروان يومئذ ابن ثمان وعشرين سنة فلما قدم الحصين ابن نمير ومن معه الى الشام اخبر مروان بما كان بينه وبين ابن الزبير وقال له ولبنى أمية نراكم فى اختلاط فأقيموا أميركم قبل ان يدخل عليكم شأمكم فتكون فتنة عمياء صماء وكان من رأى مروان ان يسير الى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة فقدم ابن زياد من العراق وبلغه ما يريد مروان ان يفعل فقال له قد استحييت لك من ذلك انت كبير قريش وسيدها تمضى الى أبى خبيب فتبايعه يعنى ابن الزبير لانه كان يكنى بابنه خبيب فقال مافات شئ بعد فقام اليه بنو امية ومواليهم وتجمع اليه أهل اليمن فسار الى دمشق وهو يقول مافات شئ بعد فقدم دمشق والضحاك بن قيس قد بايعه أهلها على ان يصلى بهم ويقيم لهم امرهم حتى يجتمع الناس وهو يدعو الى ابن الزبير سرا وكان زفر بن الحرث الكلابى بقنسرين يبايع لابن الزبير والنعمان ابن بشير بحمص يبايع له أيضا وكان حسان بن مالك بن بحدل الكلبى بفلسطين عاملا لمعاوية ولابنه يزيد وهو يريد بنى امية فسار الى الاردن واستخلف على فلسطين روح بن زنباع الجذامى فثار ناتل بن قيس بروح فاخرجه من فلسطين وبايع لابن الزبير وكان حسان فى الاردن يدعو الى بنى أمية فقال لاهل الاردن ما شهادتكم على ابن الزبير وقتلى الحرة قالوا نشهد انه منافق وان قتلى الحرة فى النار قال فما شهادتكم على يزيد وقتلاكم بالحرة قالوا نشهد انه على الحق وان قتلاكم فى الجنة قال فانا اشهد لئن كان يزيد وشيعته على حق انهم اليوم على حق ولئن كان ابن الزبير وشيعته على باطل انهم اليوم عليه قالوا له صدقت نحن نبايعك على ان نقاتل من خالفك

جليلة لهذه الدولة حيث تيسر لهم هذا الامر ولم يتيسر لمن كان قبلهم من الخلفاء والملوك وكم سعوا فى هذا الامر فلم يقدروا عليه وفى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة خرجت عمارة عظيمة فى سفن واغربة وقلايين وشوانى مشحونة بالرجال وآلات الحرب صحبة الوزير سنان باشا وصحبة كاشف البحر على باشا قاصدين فتح قلعة حلق الوادى وتخليص مدينة تونس من أيدى الافرنج وقد مر ذكرها فى قصة بنى حفص الى ان آل الحال الى فتح القلعة والمدينة وتحصينها فلله الحمد والمنة وفى هذه السنة أنشأ السلطان حماما بدار السعادة على صفة قلوجة بروسة بحيث لم يبصر مثله فلما تم دخل السلطان الحمام المذكور فبينما هو يمشى اذ زلق قدمه فسقط سقطة عظيمة اسود منها جنبه الذى سقط عليه فلما برز من الحمام عرض ذلك على رئيس الاطباء محمد بن غرس الدين وكان جاهلا فعالجه ببعض ضمادات فلم ينجع وكان الواجب فصده من غير تأخير وكان أمر الله قدرا مقدورا ثم لم يلبث ان حم السلطان واشتد مرضه فلم ينجع الطب فيه وتوفى فى ثامن عشرى شعبان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة يوم الاثنين وقت الزوال واخفى موته أحد عشر يوما وشاع بين الناس فلم يتيقنوا موته حتى قدم ولده النجيب السلطان مراد خان

واطاع ابن الزبير على ان تجنبنا هذين الغلامين يعنون ابنى يزيد عبد الله وخالدا فانا نكره ان يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبى وكتب حسان الى الضحاك كتابا يعظم فيه حق بنى امية وحسن بلائهم عنده ويذم ابن الزبير وانه خلع خليفتين وأمره ان يقرأ كتابه على الناس وكتب كتابا آخر وسلمه الى الرسول واسمه باغضة وقال له ان قرأ كتابى على الناس والا فاقرأ هذا الكتاب عليهم وكتب حسان الى بنى أمية يأمرهم ان يحضروا ذلك فقدم باغضة فدفع كتاب الضحاك اليه وكتاب بنى أمية اليهم فلما كانت الجمعة صعد الضحاك المنبر فقال له باغضة اقرأ كتاب حسان على الناس فقال له الضحاك اجلس فقام اليه الثانية والثالثة وهو يقول له اجلس فاخرج باغضة الكتاب وقرأه على الناس فقال الوليد بن عتبة بن أبى سفيان صدق حسان وكذب ابن الزبير وشتمه وقيل كان الوليد قد مات بعد موت معاوية بن يزيد وقام يزيد بن أبى الغمس الغسانى وسفيان بن الابرد الكلبى فصدقا حسانا وشتما ابن الزبير وقام عمرو بن يزيد الحكمى فشتم حسانا واثنى على ابن الزبير فأمر الضحاك بالوليد ويزيد بن ابى الغمس وسفيان فحبسوا وجال الناس ووثب كلاب على عمرو بن يزيد الحكمى فضربوه ومزقوا ثيابه وقام خالد ابن يزيد فصعد مرقاتين من المنبر وسكن الناس ونزل الضحاك فصلى الجمعة ودخل القصر فجاءت كلاب فأخرجوا سفيان وجاءت غسان فاخرجوا يزيد وجاء خالد بن يزيد وأخوه عبد الله معهما اخوالهما من كلاب فأخرجوا الوليد بن عتبة وكان اهل الشام يسمون ذلك اليوم يوم جيرون الاول ثم خرج الضحاك الى المسجد فجلس فيه وذكر يزيد بن معاوية فسبه فقام اليه شاب من كلب فضربه بعصا فقام الناس بعضهم الى بعض فاقتتلوا قيس تدعو الى ابن الزبير ونصرة الضحاك وكلب تدعو الى بنى أمية ثم الى خالد بن يزيد لانه ابن اختهم ودخل الضحاك دار الامارة ولم يخرج من الغد الى صلاة الفجر وبعث الى بنى امية فاعتذر اليهم وانه لا يريد ما يكرهون وامرهم ان يكتبوا الى حسان ويكتب معهم ليسير من الاردن الى الجابية ويسيروا هم من دمشق فيجتمعوا معه بالجابية ويبايعوا الرجل من بنى امية فرضوا وكتبوا الى حسان وسار الضحاك وبنو امية نحو الجابية فأتاه ثور بن معن السلمى فقال دعوتنا الى ابن الزبير فبايعناك على ذلك وأنت تسير الى هذا الاعرابى من كلب تستخلف ابن أخته خالد بن يزيد فقال الضحاك فما الرأى قال الرأى ان تظهر ما كنتم وتدعو الى ابن الزبير فرجع الضحاك ومن معه من الناس فنزل بمرج راهط ودمشق بيده واجتمع بنو امية وحسان وغيرهم بالجابية فكان حسان يصلى بهم أربعين يوما والناس يتشاورون وكان مالك بن هبيرة السكونى يهوى خالد بن يزيد والحصين بن نمير يميل الى مروان فقال مالك للحصين هل نبايع هذا الغلام الذى نحن ولدنا اباه وقد عرفت منزلتنا من أبيه فانه يحملنا على رقاب العرب غدا يعنى خالدا فقال الحصين لا والله لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيها بصبى فقال مالك والله لئن استخلفت مروان ليحسدنك على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها ان مروان أبو عشيرة واخو عشيرة فان بايعتموه كنتم عبيدا لهم ولكن عليكم بابن اختكم فقال الحصين انى رأيت فى المنام قنديلا معلقا من السماء وان من يلى الخلافة يتناوله فلم ينله أحد الا مروان والله لنستخلفنه وقام روح بن زنباع الجذامى فقال أيها الناس انكم تذكرون عبد الله بن عمر وصحبته وقدمه فى الاسلام وهو كما

ليلة الاربعاء الثامن من رمضان بعد مامضى ثمان ساعات من الليل وكان الطالع اذذاك الجدى وكان السلطان لما توفى

أمر الوزير لرئيس الاطباء ان يتولى غسله وعدة من خواصه الطواشية وكفنوه وجعلوه فى تابوت من غير اشعار احد ووضعوه فى المكان الذى توفى فيه فلما وصل السلطان ولم يشعر به أحد وكان أكثر الناس من القول بموته وخيف الاضطراب من العسكر أخبر الوزير اركان الملك بان السلطان طيب وانه يعمل الموكب يوم الثلاثا فتأهبوا فلما كان يوم الثلاثا توجه الوزير وقضاة العسكر وسائر أركان الدولة الى الديوان ودخل الوزراء على السلطان كما كانوا يدخلون أولا للعرض فشاهدوه ميتا فى جوف التابوت فقال الوزير محمد باشا هذا سلطانكم قد مات وان الذى لا يموت الحى القيوم فترحموا عليه وخفضوا اعناقكم هذا وسلطانكم الجديد قد وصل فسلموا وافترحوا عليه وخرجوا فلما شاهد الناس منهم هذه الحالة تيقنوا بموت السلطان فلما كان صبيحة يوم الاربعا أذن المؤذنون على المنارات ونادى المنادون فى الاسواق بان السلطان سليم توفى الى رحمة الله تعالى وان سلطانكم السلطان مراد خان أيده الله تعالى وانه استقر على سرير الملك فذهب العلماء والكبراء الى دار السعادة

تذكرون

تذكرون ولكنه ضعيف وليس بصاحب أمة محمد الضعيف وتذكرون ابن الزبير وهو كما تذكرون انه ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه ابن ذات النطاقين ولكنه منافق قد خلع خليفتين يزيد وابنه معاوية وسفك الدماء وشق عصا المسلمين وليس المنافق بصاحب امة محمد واما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الاسلام صدع الا كان ممن يشعبه وهو الذي قاتل علي ابن أبي طالب يوم الجمل وانا ارى للناس ان يبايعوا الكبير ويستشيروا الصغير يعني بالكبير مروان وبالصغير خالد بن يزيد فاجتمع رأيهم على البيعة لمروان بن الحكم ثم لخالد بن يزيد ثم لعمرو ابن سعيد بن العاص من بعد خالد على ان امرة دمشق لعمرو وامرة حمص لخالد بن يزيد فدعا حسان خالدا فقال يا ابن أختي ان الناس قد أبوك لحداثة سنك واني والله ما اريد هذا الامر الا لك ولاهل بيتك وما ابايع مروان الا نظرا لكم فقال خالد بل عجزت عنا قال والله ما عجزت عنكم ولكن الرأي لك ما رأيت ثم بايعوا مروان لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين وقال مروان حين بويع له

لما رأيت الامر أمرا نهبا * سيرت غسان لهم وكلبا
والسكسكيين رجالا غلبا * وطيئا يأباه الا ضربا *
والقين يمشي في الحديد نكبا * ومن تنوخ مشمخرا صعبا
لا يأخذون الملك الا غصبا * فان دنت قيس فقل لا قربا

(خبيب بضم الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره باء موحدة)

(ذكر وقعة مرج راهط وقتل الضحاك والنعمان بن بشير)

ثم ان مروان لما بايعه الناس سار من الجابية الى مرج راهط وبه الضحاك بن قيس ومعه ألف فارس وكان قد استمد الضحاك النعمان بن بشير وهو على حمص فامده بشرحبيل بن ذي الكلاع واستمد أيضا زفر بن الحرث وهو على قنسرين فامده بأهل قنسرين وامده ناتل بأهل فلسطين فاجتمعوا عنده واجتمع على مروان كلب وغسان والسكاسك والسكون وجعل على ميمنته عمرو بن سعيد وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد وكان يزيد بن أبي الغمس الغساني مختفيا بدمشق لم يشهد الجابية فغلب على دمشق وأخرج عامل الضحاك بن قيس وغلب على الخزائن وبيت المال وبايع لمروان وامده بالاموال والرجال والسلاح فكان أول فتح على بني أمية وتحارب مروان والضحاك بمرج راهط عشرين ليلة واقتتلوا قتالا شديدا فقتل الضحاك قتله دحية بن عبد الله وقتل معه ثمانون رجلا من اشراف أهل الشام وقتل أهل الشام مقتلة عظيمة وقتلت قيس مقتلة لم يقتل مثلها في موطن قط وكان فيمن قتل هانئ بن قبيصة النميري سيد قومه كان مع الضحاك قتله وازع بن ذؤالة الكلبي فلما سقط جريحا قال

تعست ابن ذات النوف أجهز على امرئ * يرى الموت خيرا من فرار والزما
ولا تتركني بالحشاشة انني * صبور اذا ما النكس مثلك احجما *

فعاد اليه وازع فقتله وكانت الوقعة في المحرم سنة خمس وستين وقيل بل كانت في آخر سنة أربع وستين ولما رأى مروان رأس الضحاك ساءه ذلك وقال الآن حين كبرت سني ودق عظمي وصرت في مثل ظمء الحمار اقبلت بالكتائب اضرب بعضها ببعض ولما انهزم الناس من المرج

فسلموا عليه وعزوه بابنه وصلى عليه قبل صلاة الظهر في دار السعادة وهو أول سلطان صلى عليه بدار السعادة وهو شيء لم يسبق اليه وهو أول سلطان توفي بمدينة قسطنطينية وتقدم للصلاة عليه العالم الكامل أبو حامد المفتي باشارة من السلطان اليه ثم ذهبوا بالجنازة فوضعت تحت خيمة جعلوها في جنب أياصوفية لعدم تهيؤ القبر ثم عاد الناس الى دار السعادة لاجل الصلاة على أولاد السلطان سليم خان وكانوا خمسة اخوة خنقوا في ذلك اليوم على ما جرت به عوائدهم فصلوا عليهم بعد صلاة العصر ثم جاؤا بهم عند أبيهم ولما اصبح الصباح من يوم الخميس التاسع من رمضان حضر العلماء والوزراء والاعيان فدفنوا جميعهم في ذلك الموضع وكان رحمه الله شهما شجاعا ذكيا مائلا الى التقوى ووجوه الخير وكان مهيب الشكل جليل القدر صحيح العقيدة حنفي المذهب مواظبا على الصلوات الخمس وكان مع ذلك متهما بالميل الى اللهو والطرب والتوغل في التنعم وقد صح انه رجع في مدة مرضه قبل موته بشهرين (ومما يحكى) عن صفاء مشربه وحسن حاله انه لما انشأ العمارة الجديدة من الاغربة والسفن بعد وقعة الهزيمة وجهزها من البحر اخلص النية وتوضأ ودخل بيت خلوته فصلى فيه ما شاء الله وبكى وتضرع وخر ساجدا زمانا

لحقوا باجنادهم فانتهى أهل حمص اليها وعليها النعمان بن بشير فلما بلغه الخبر خرج هاربا بالليل ومعه امرأته نائلة بنت عمارة الكلبية وثقله وأولاده فتحير ليلته كلها واصبح أهل حمص فطلبوه وكان الذي طلبه عمرو بن الخلي الكلاعي فقتله ورد أهله والرأس معه وجاءت كلب من أهل حمص فأخذوا نائلة وولدها معها ولما بلغت الهزيمة زفر بن الحرث الكلابي بقنسرين هرب منها فلحق بقرقيسيا وعليها عياض الحرشي كان يزيد ولاه اياها فطلب منه ان يدخل الحمام ويحلف له بالطلاق والعتاق على انه لما يخرج من الحمام لا يقيم بها فاذن له فدخلها فغلب عليها وتحصن بها ولم يدخل حمامها فاجتمعت اليه قيس وهرب ناتل بن قيس الجذامي من فلسطين فلحق بابن الزبير بمكة واستعمل مروان بعده على فلسطين روح بن زنباع واستوثق الشام لمروان واستعمل عماله عليها وقيل ان عبيد الله بن زياد انما جاء الى بنى أمية وهم بتدمر ومروان يريد ان يسير الى ابن الزبير ليبايعه ويأخذ منه الامان لبنى امية فرده عن ذلك وأمره ان يسير باهل تدمر الى الضحاك فيقاتله ووافقه عمرو بن سعيد واشار على مروان بأن يتزوج ام خالد بن يزيد ليسقط من أعين الناس فتزوجها وهى فاختة ابنة أبي هاشم بن عتبة ثم جمع بنى أمية فبايعوه وبايعه اهل تدمر وسار الى الضحاك في جمع عظيم فخرج الضحاك اليه فتقاتلا فانهزم الضحاك ومن معه وقتل الضحاك وسار زفر بن الحرث الى قرقيسيا واجتمعت عليه قيس وصحبه في هزيمته الى قرقيسيا شابان من بنى سليم فجاءت خيل مروان تطلبهم فقال الشابان لزفر انج بنفسك فانا نحن نقتل فمضى زفر وتركهما فقتلا وقال زفر في ذلك

أريني سلاحي لا أبالك انني * اذا الحرب لا تزداد الا تماديا
أتاني عن مروان بالغيب انه * مقيد دمي أو قاطع من لسانيا
ففي العيش منجاة وفي الارض مهرب * اذا نحن رفعنا لهن المبانيا
فلا تحسبوني ان تغيبت غافلا * ولا تفرحوا ان جئتكم بلقائيا
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى * له ورق من تحته الشر باديا
وتمضي ولا يبقى على الارض دمنة * وتبقى حزازات النفوس كما هيا
لعمري لقد ابقت وقيعة راهط * لحسان صدعا بيننا متنائيا
فلم تر مني نبوة قبل هذه * فراري وتركي صاحبي ورائيا
عشية ادعو في القران فلا أرى * من الناس الا من علي ولا ليا
أيذهب يوم واحد ان اسأته * بصالح ايامي وحسن بلائيا
فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا * وتثأر من نسوان كلب نسائيا
ألا ليت شعري هل تقتين غارتي * تنوخا وحيي طيأ من شفائيا

فأجابه جواس بن القعطل

لعمري لقد ابقت وقيعة راهط * على زفر داء من الداء باقيا
مقيما ثوى بين الضلوع محله * وبين الحشا اعيا الطبيب المداويا
تبكي على قتلى سليم وعامر * وذبيان معذورا وتبكي البواكيا
دعا بالسلاح ثم أحجم اذ رأى * سيوف جناب والطوال المذاكيا

طويلا ثم أخذ المصحف فتفاءل فيما يؤل اليه حال العسكر المجهز للعدو فجاء أول المصحف بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله فاستبشر السلطان وحمد الله واثنى عليه وسكن ما به من الاضطراب وكانت مدة سلطنته ثمانية اعوام وخمسة أشهر وتسعة عشر يوما وكان مولده في أواخر رجب سنة ثلاثين وتسعمائة بالقسطنطينية

(وتولى الملك بعده ولده السلطان المعتصم بالله مراد خان بن السلطان سليم خان)

ولد في مدينة قسطنطينية سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وتاريخ ولادته خير الذهب ٩٥٣ بحساب الجمل وتربى في حجر السعادة واشتغل بالعلوم حتى حصلها ووفاق أكثر اسلافه العظام وله نظم في الالسن الثلاثة واشتغل بعلم التصوف ولم يصدر منه شيء من الكبائر وكان عمره حين جلس على سرير الملك ثلاثين سنة وكان أكبر همه قتال صاحب أذربيجان وخراسان من أولاد حيدر الصفوي فعين الوزير مصطفى باشا فاتح بلاد قبرس فتوجه في سنة ست وثمانين وتسعمائة بعسكر كثير الى بلاد الشرق فبنى قلعة قارص وشحنها بالمدافع والمكاحل

عليها كاسد الغاب تنبان نجدة * اذا شرعوا نحو الطوال العواليا

وقال عمرو بن الجلي الكلبي

بكى زفر القيسي من هلك قومه * بعبرة عين ما يجف سجومها

تبكي على قتلى أصيبت براهط * تجاوبها هام القفار وبومها

ابحي حمى للحي قيس براهط * وولت شلالا واستبيح حريمها

تبكيهم حران تجري دموعها * ترجي نزارا أن تؤب حلومها

فمت كمدا او عش ذليلا مهضما * بحسرة نفس لاتنام همومها

في أبيات (يزيد بن أبي الغمس بالسين المهملة وقيل بالشين المعجمة وكان قد ارتد عن الاسلام ودخل الروم مع جبلة بن الايهم ثم عاود الاسلام وشهد صفين مع معاوية وعاش الى أيام عبد الملك بن مروان ونائل بالنون والتاء المعجمة من فوق باثنتين)

(ذكر فتح مروان مصر)

فلما قتل الضحاك واصحابه واستقر الشام لمروان سار الى مصر فقدمها وعليها عبد الرحمن بن جحدم القرشي يدعو الى ابن الزبير فخرج الى مروان فيمن معه وبعث مروان عمرو بن سعيد من ورائه حتى دخل مصر فقيل لابن جحدم ذلك فرجع وبايع الناس مروان ورجع الى دمشق فلما دنا منه بلغه أن ابن الزبير قد بعث اليه أخاه مصعبا في جيش فارسل اليه مروان عمرو بن سعيد قبل ان يدخل الشام فقاتله فانهزم مصعب واصحابه وكان مصعب شجاعا ثم عاد مروان الى دمشق واستقر بها وقد كان الحصين بن نمير ومالك بن هبيرة قد اشترطا على مروان شروطا لهما ولخالد بن يزيد فلما توطن ملكه قال ذات يوم ومالك عنده ان قوما يدعون شروطا منهم عطارة مكحلة يعني مالكا وكان يتطيب ويتكحل فقال مالك هذا ولما تردي تهامة ويبلغ الحزام الطبيين فقال مروان مهلا يا أبا سليمان انما داعبناك فقال هو ذاك

(ذكر بيعة أهل خراسان سلم بن زياد وامر عبد الله بن خازم)

ولما بلغ سلم بن زياد وهو بخراسان موت يزيد كتم ذلك فقال ابن عرادة

يا أيها الملك المغلق بابه * حدثت أمور شأنهن عظيم

قتلى بجسرة والذين بكابل * ويزيد أغلق بابه المكتوم

أبني امية ان آخر ملككم * جسد بحوارين ثم مقيم

طرقت منيته وعند وساده * كوب وزق راعف مرثوم

ومرنة تبكي على نشوانه * بالصبح تقعد مرة وتقوم

فلما أظهر شعره اظهر سلم موت يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد ودعا الناس الى البيعة على الرضا حتى يستقيم أمر الناس على خليفة فبايعوه ثم نكثوا به بعد شهرين وكان محسنا اليهم محبوبا فيهم فلما خلعوه استخلف عليهم المهلب بن ابي صفرة ولما كان بسرخس لقيه سليمان بن مرثد أحد بني قيس بن ثعلبة بن ربيعة فقال له ضاقت عليك نزار حتى خلفت على خراسان رجلا من اليمن يعني المهلب وكان ازديا والازد من اليمن فولاه مرو الروذ والفارياب والطالقان والجوزجان وولى اوس بن ثعلبة بن زفر وهو صاحب قصر أوس بالبصرة هراة فلما وصل الى

وهي مدينة اسلامية فوجد فيها المساجد والجوامع ومزارات الاولياء وفيها مزار الشيخ العارف بالله أبي الحسن الخرقاني من كبراء الصوفية فلما استولى عليها الكفار اخربوها ثم سار الى تخوم بلاد العجم والكرج حتى وصل الى مكان يسمى جلدر من بلاد الشاه فحاصر هناك قلعة الكفار والكرج تسمى بكي قلعة فاستولى عليها ثم هجم عليه عسكر الشاه صحبة وزيره دقماق فبعث الوزير مصطفى باشا عسكرا الى قتاله فهزموهم وحصدوهم بالسيوف واستولوا على اموالهم وخيولهم ثم استولى الوزير المذكور هناك على عدة قلاع وشحنها بالرجال ثم سار حتى افتتح قاعدة تفليس من بلاد اورخان قاعدة مملكة الكرج وكان المسلمون افتتحوها قديما ثم غلب الكرج واستولوا عليها ولما فتحت مدينة تفليس ارسلت أم منوجهر الكرجي ملكة تلك البلاد ابنها الى الوزير بالطاعة ومعه مفاتيح ثمان قلاع من القلاع الستة عشر التي تملكها فرحب به الوزير وآمنه وعينه امرة تلك البلاد وذلك بعد ان اسلم منوجهر بين يدي الوزير ثم قام الوزير المذكور بعد ان نصب في تفليس أمير الامراء الى طرف شروان وهي شماخي وبث سراياه الى الاطراف وتمكن منها ثم ترك فيها الوزير عثمان باشا ابن ازدمر واليا بها فلما اقبل الشتاء توجه الوزير الى

نيسابور لقيه عبد الله بن خازم فقال من وليت خراسان فاخبره فقال اما وجدت فى المصر من تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل واليمن اكتب لى عهدا على خراسان فكتب له واعطاه مائة ألف درهم وسار ابن خازم الى مرو وبلغ خبره المهلب فاقبل واستخلف رجلا من بنى جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم فلما وصلها ابن خازم منعه الجشمى وجرت بينهما مناوشة فاصابت الجشمى رمية بحجر فى جبهته وتحاجزوا ودخلها ابن خازم ومات الجشمى بعد ذلك بيومين ثم سار ابن خازم الى سليمان بن مرثد بمرو الروذ فقاتله أياما فقتل سليمان ثم سار الى عمرو بن مرثد وهو بالطالقان فاقتتلوا طويلا فقتل عمرو بن مرثد وانهزم أصحابه فلحقوا بهراة بأوس بن ثعلبة ورجع ابن خازم الى مرو وهرب من كان بمرو الروذ من بكر بن وائل الى هراة وانضم اليها من كان بكور خراسان من بكر وكثر جمعهم وقالوا لاوس بن ثعلبة نبايعك على ان تسير الى ابن خازم وتخرج مضر من خراسان فأبى عليهم فقال له بنو صهيب وهم موالى بنى جحدم لا نرضى ان نكون نحن ومضر فى بلد واحد وقد قتلوا سليمان وعمرا ابنى مرثد فاما ان تبايعنا على هذا والا بايعنا غيرك فاجابهم فبايعوه فسار اليهم ابن خازم فنزل على واد بينه وبين هراة فاشار البكريون بالخروج من هراة وعمل خندق فقال أوس بل نلزم المدينة فانها حصينة ونطاول ابن خازم ليضجر ويعطينا ما نريد فابوا عليه فخرجوا وخندقوا خندقا وقاتلهم ابن خازم نحو سنة وقال له هلال الضبى انما تقاتل اخوتك وبنى أبيك فان نلت منهم الذى تريد فما فى العيش خير لو أعطيتهم شيأ يرضون به وأصلحت هذا الامر وقال والله لو خرجنا لهم من خراسان ما رضوا فقال هلال والله لا أقاتل معك انا ولا رجل أو نطيعنى حتى تعتذر اليهم قال فانت رسولى اليهم فأرضهم فاتى هلال أوس بن ثعلبة فناشده الله والقرابة فى نزار وان يحفظ ولاءها فقال هل لقيت بنى صهيب قال لا قال فالقهم قال فخرج فلقى جماعة من رؤساء أصحابه فاخبرهم ما أتى له فقالوا له هل لقيت بنى صهيب فقال لقد عظم أمر بنى صهيب عندكم فاتاهم فكلمهم فقالوا لولا انك رسول لقتلناك قال فهل يرضيكم شئ قالوا واحدة من اثنتين اما أن تخرجوا من خراسان واما ان تقيموا وتخرجوا لنا عن كل سلاح وكراع وذهب وفضة فرجع الى ابن خازم فقال ما عندك فاخبره فقال ان ربيعة لم تزل غضابا على ربها منذ بعث نبيه من مضر وأقام ابن خازم يقاتلهم فقال يوما لاصحابه قد طال مقامنا وناداهم يا معشر ربيعة أرضيتم من خراسان بخندقكم فاحفظهم ذلك فتنادوا للقتال فنهاهم أوس بن ثعلبة عن الخروج بجماعتهم وأن يقاتلوا كما كانوا يقاتلون فعصوه فقال ابن خازم لاصحابه اجعلوه يومكم فيكون الملك لمن غلب واذا لقيتم الخيل فاطعنوها فى مناخرها فاقتتلوا ساعة وانهزمت بكر بن وائل حتى انتهوا الى خندقهم وتفرقوا يمينا وشمالا وسقط الناس فى الخندق وقتلوا قتلا ذريعا وهرب أوس بن ثعلبة الى سجستان فمات بها أو قريبا منها وقتل من بكر يومئذ ثمانية آلاف وغلب ابن خازم على هراة واستعمل عليها ابنه محمدا وضم اليه شماس بن دثار العطاردى وجعل بكير بن وشاح الثقفى على شرطته ورجع ابن خازم الى مرو وأغارت الترك على قصر اسفاد وابن خازم على هراة وكان فيه ناس من الازد فحصروهم فارسلوا الى ابن خازم فوجه اليهم زهير بن حيان فى بنى تميم وقال له اياك ومناواة الترك اذا رأيتموهم فاحملوا عليهم فوافاهم فى يوم بارد فلما التقوا حمل عليهم فانهزمت الترك واتبعوهم حتى مضى عامة

طرف بلاد السلطان وشتى هنالك للاغارة فى الربيع على بلاد العجم ثم بلغه ان ارس خان صاحب شروان القديم قصد بنحو اثنى عشر الف عسكرى لقتال عثمان باشا فوقع بينهما قتال شديد فاتفق ان انتصر عثمان باشا وقتل ارس خان وغالب عسكره ثم وقع بينه وبين عسكر الشاه هنالك ما ينوف عن عشرين وقعة وكانت النصرة دائما فى جانب عثمان باشا وآخر ذلك ان عدل امام قولى بعسكر يقرب من ثلاثين الف مقاتل على ارض شروان فقاتل عثمان باشا مدة اربعة ايام ثم نزل نصر العثمانية وقتل غالب الشاهية وبنى عثمان باشا بعد هذه الوقعة فى شماخى حصارا عظيما فى دور سبعة آلاف ذراع بذراع البناء فى مدة اربعين يوما ثم ترك فيها جعفر باشا نائبا بها وبعد مدة قدم الى مدينة قسطنطينية وصار وزيرا اعظم وذلك بعد ان قاتل فى مسيره عدة امم اعترضوه بالحرب وغلب عليهم ثم لما وصل الى بلاد كفه بلغه ان خاقان التاتار اظهر العصيان على سلاطين آل عثمان فقاتله وانتصر عليه وقطع رأسه وفى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة بعث السلطان مراد خان وزيره سنان باشا الى قتال العجم فسار مع عسكر جرار ووصل الى حدود العجم وارسل اليه الشاه فى الصلح وبعث السلطان احد وزرائه يدعى ابرهيم خان بتحف سنية الليل

الليل فرجع زهير وقد يبست يده على رمحه من البرد فجعلوا يسخنون الشحم فيضعه على يده ودهنوه واوقدوا له نارا فانتفخت يده ثم رجع الى هراة فقال فى ذلك ثابت قطنة

فدت نفسى فوارس من تميم * على ما كان من ضنك المقام
بقصر الباهلى وقد أرانى * أمامى حين قل به المحامى
بسيفى بعد كسر الرمح فيهم * اذودهم بذى شطب حسام
أكر عليهم اليحموم كرا * ككر الشرب آنية المدام
فلولا الله ليس له شريك * وضربى قونس الملك الهمام
اذا فاضت نساء بنى دثار * أمام الترك بادية الخدام

(ذكر أمر التوابين)

قيل لما قتل الحسين ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة ودخل الكوفة تلاقت الشيعة بالتلاوم والمنادمة ورأت ان قد أخطأت خطأ كبيرا بدعائهم الحسين وتركهم نصرته واجابته حتى قتل الى جانبهم ورأوا انه لا يغسل عارهم والاثم عليهم الا قتل من قتله والقتل فيهم فاجتمعوا بالكوفة الى خمسة نفر من رؤساء الشيعة الى سليمان بن صرد الخزاعى وكانت له صحبة والى المسيب بن نجبة الفزارى وكان من اصحاب على والى عبد الله بن سعد بن نفيل الازدى والى عبد الله بن وال التيمى تيم بكر بن وائل والى رفاعة بن شداد البجلى وكانوا من خيار أصحاب على فاجتمعوا فى منزل سليمان بن صرد الخزاعى فبدأهم المسيب بن نجبة فقال بعد حمد الله اما بعد فانا ابتلينا بطول العمر والتعرض لانواع الفتن فنرغب الى ربنا أن لا يجعلنا ممن يقول له غدا اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فان أمير المؤمنين عليا قال العمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وليس فينا رجل الا وقد بلغه وقد كنا مغرمين بتزكية انفسنا فوجدنا الله كاذبين فى كل موطن من مواطن ابن بنت نبيه صلى الله عليه وسلم وقد بلغنا قبل ذلك كتبه ورسله واعذر الينا فسألنا نصره عودا وبدأ وعلانية فبخلنا عنه بانفسنا حتى قتل الى جانبنا لا نحن نصرناه بايدينا ولا جادلنا عنه بالسنتنا ولا قويناه باموالنا ولا طلبنا له النصرة الى عشائرنا فما عذرنا عند ربنا وعند لقاء نبينا وقد قتل فينا ولد حبيبه وذريته ونسله لا والله لا عذر دون أن تقتلوا قاتله والموالين عليه او تقتلوا فى طلب ذلك فعسى ربنا ان يرضى عنا عند ذلك ولا انا بعد لقائه امن عقوبته يا قوم ايها القوم ولوا عليكم رجلا منكم فانه لا بد لكم من امير تفزعون اليه وراية تحفون بها وقام رفاعة بن شداد وقال اما بعد فان الله قد هداك لاصوب القول وبدأت بارشد الامور بدعائك الى جهاد الفاسقين والى التوبة من الذنب العظيم فمسموع منك مستجاب الى قولك وقلت ولوا أمركم رجلا تفزعون اليه وتحفون برايته وقد رأينا مثل الذى رأيت فان تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضيا وفينا منتصحا وفى جماعتنا محبوبا وان رأيت ورأى أصحابنا ذلك ولينا هذا الامر شيخ الشيعة وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذا السابقة والقدم سليمان ابن صرد الخزاعى المحمود فى بأسه ودينه الموثوق بحزمه وتكلم عبد الله بن سعد بنحو ذلك واثنيا على المسيب وسليمان فقال المسيب قد أصبتم فولوا امركم سليمان بن صرد فتكلم سليمان فقال بعد حمد الله اما بعد فانى لخائف ان لا يكون أخرنا الى هذا الدهر الذى نكدت فيه المعيشة وعظمت

وهدايا جليلة وظن سنان باشا ان هذه الحالة مما تعجب السلطان ولم يقع كذلك بل لما عاد الوزير من سفره عزله السلطان واقام مقامه فرهاد باشا وفى سنة تسعين وتسعمائة احتفل السلطان بختان ولده النجيب السلطان محمد خان وصنع لذلك وليمة عظيمة بحيث لم يقع فى زمن من الازمان مثلها وامتدت الوليمة والفرجة واللهو والطرب مدة خمسة وأربعين يوما وكان جالسا يتفرج فى دار ابراهيم باشا بمحلة آط ميدانى وفى سنة احدى وتسعين وتسعمائة توجه الوزير فرهاد باشا الى بلاد العجم فسار وتوغل فى بلاد اذربيجان نحو سبعة أيام واستولى على مدينة روان وبنى عليها حصنا حصينا ونصب فيها يوسف باشا واليا وأميرا وفى هذه السنة خرج ابراهيم باشا من مدينة قسطنطينية الى الديار المصرية والشامية ليصلح منهما ما فسد وفى سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة سار فرهاد باشا بعسكر عظيم للغزو ببلاد الكرج فبنى هناك عدة قلاع وفى هذه السنة بعث السلطان الوزير الاعظم عثمان باشا بعساكر كثيرة الى قتال الاعجام فتوجه بعد ان شتى فى بلاد قسطمونى وسار فى سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ومعه من العساكر مالا يعلم عددهم الا الله تعالى وكان ذلك لمحبة الناس اليه لكرمه وشهامته وحسن تدبيره فعارضه الاعجام فى الطريق مرة اخرى

فيه الرزية وشمل فيه الجور وأولى الفضل من هذه الشيعة لما هو خير انا كنا نمد أعناقنا الى قدوم آل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم نمنيهم النصر ونحثهم على القدوم فلما قدموا ونينا وعجزنا وادهنا وتربصنا حتى قتل فينا ولد نبينا وسلالته وعصارته وبضعة من لحمه ودمه اذ جعل يستصرخ ويسأل النصف فلا يعطى اتخذه الفاسقون غرضا للنبل ودرية للرماح حتى أقصدوه وعدوا عليه فسلبوه انصف الا انهضوا فقد سخط عليكم ربكم ولا ترجعوا الى الحلائل والابناء حتى يرضى الله والله ما أظنه راضيا دون ان تناجزوا من قتله الا لا تهابون الموت فما هابه أحد قط الاذل وكونوا كبنى اسرائيل اذ قال لهم نبيهم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ففعلوا وجثوا على الركب ومدوا الاعناق حين علموا انهم لا ينجيهم من عظيم الذنب الا القتل فكيف بكم لو دعيتم الى مادعوا أحدوا السيوف وركبوا الاسنة وأعدوا لهم ما استطعتم من القوة ومن رباط الخيل حتى تدعوا وتستنفروا فقال خالد بن سعد بن نفيل اما أنا فوالله لو أعلم انه ينجينى من ذنبى ويرضى ربى عنى قتلى نفسى لقتلتها وأنا أشهد كل من حضر ان كل ما أصبحت أملكه سوى سلاحى الذى أقاتل به عدوى صدقة على المسلمين أقويهم به على قتال الفاسقين قال أبو المعتمر بن حنش بن ربيعة الكنانى مثل ذلك فقال سليمان حسبكم من أراد من هذا شيأ فليأت به عبد الله بن وال التيمى فاذا اجتمع عنده كل ما تريدون اخراجه جهزنا به ذوى الخلة والمسكنة من أشياعكم وكتب سليمان بن صرد الى سعد بن حذيفة بن اليمان يعلمه بما عزموا عليه ويدعوه الى مساعدتهم ومن معه من الشيعة بالمدائن فقرأ سعد بن حذيفة الكتاب على من بالمدائن من الشيعة فاجابوا الى ذلك فكتبوا الى سليمان بن صرد يعلمونه أنهم على الحركة اليه والمساعدة له وكتب سليمان أيضا كتابا الى المثنى بن مخربة العبدى بالبصرة مثل ما كتب الى سعد بن حذيفة فاجابه المثنى اننا معشر الشيعة حمدنا الله على ما عزمتم عليه ونحن موافوك ان شاء الله للاجل الذى ضربت وكتب فى أسفل الكتاب

تبصر كأنى قد أتيتك معلما * الا بابلغ الهادى أجش هذيم
طويل القرا نهد أحق مقلص * ملاح على فأس اللجام أزوم
بكل فتى لا يملأ الروع قلبه * محش لنار الحرب غير سؤم
أخى ثقة ينوى الاله بسعيه * ضروب بنصل السيف غير أثيم

فكان أول ما ابتدؤا به أمرهم بعد قتل الحسين سنة احدى وستين فما زالوا بجمع آلة الحرب ودعاء الناس فى السر الى الطلب بدم الحسين فكان يجيبهم النفر ولم يزالوا على ذلك الى ان هلك يزيد بن معاوية سنة أربع وستين فلما مات يزيد جاء الى سليمان أصحابه فقالوا قد هلك هذا الطاغية والامر ضعيف فان شئت وثبنا على عمرو بن حريث وكان خليفة ابن زياد على الكوفة ثم اظهرنا الطلب بدم الحسين وتتبعنا قتلته ودعونا الناس الى أهل هذا البيت المستأثر عليهم المدفوعين عن حقهم فقال سليمان بن صرد لا تعجلوا انى قد نظرت فيما ذكرتم فرأيت ان قتلة الحسين هم اشراف الكوفة وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه ومتى علموا ما تريدون كانوا أشد الناس عليكم ونظرت فيمن تبعنى منكم فعلمت انهم لو خرجوا لم يدركوا ثارهم ولم يشفوا نفوسهم وكانوا جزرا لعدوهم ولكن بثوا دعاتكم وادعوا الى أمركم ففعلوا واستجاب لهم

فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم دخل تبريز فى أواخر رمضان من السنة المذكورة واستقبله اهل تبريز بمصاحف ووجوه الناس فقابلهم الوزير بالالطاف ثم شرع اولا فى بناء القلعة فى مكان يسمى هشت بهشت وكان ذلك فى طرف المدينة ثم شرع فى بناء سور المدينة فأتم الجميع فى مدة خمسة وثلاثين يوما ثم ظهر من اهل تبريز بعض غدر فى امر العساكر فهجم عليهم العساكر وقتلوهم ونهبوا اموالهم ولم ينج منهم الا النساء والاطفال ومرض الوزير فى تلك المدة ثم لما تم أمر القلعة وسور المدينة وخنادقها خرج الوزير مع العسكر متوجهين الى بلاد الروم وذلك بعد ان ابقى فى المدينة نحو ثلاثين الف مقاتل صحبة امير الامراء جعفر باشا وشرط له ان يكون وزير السلطان فلما كان اليوم الرابع من مسيرهم اعترض للوزير حمزة ميرزا ابن شاه محمد خدابنده صاحب عراق العجم مع عسكر كثير فتهيأ الوزير لقتالهم وركب بغلته الشهباء وهو آخر ركوبه على الدابة فاستمر الحرب من غلس الصبح الى الظهر فلما رأى الوزير امتداد الامر امر الوزير برمى المدافع الكبار وكانت ثمانمائة مدفع فاصابت من عسكر الاروام وجيش الاعجام ماقدر الله اجله فانجلى الامر عن هزيمة العجم ثم نزل الوزير فى ذلك المحل وفتح ابواب وطاقه لاجل اعطاء الترقى

ناس

ناس كثير بعد هلاك يزيد ثم ان أهل الكوفة اخرجوا عمرو بن حريث وبايعوا لابن الزبير
وسليمان واصحابه يدعون الناس فلما مضت ستة اشهر بعد هلاك يزيد قدم المختار بن ابى عبيد
الكوفة فى النصف من رمضان وقدم عبد الله بن يزيد الانصارى أميرا على الكوفة من قبل
ابن الزبير لثمان بقين من رمضان وقدم ابراهيم بن محمد بن طلحة معه على خراج الكوفة فاخذ
المختار يدعو الناس الى قتال قتلة الحسين ويقول جئتكم من عند المهدى محمد ابن الحنفية
وزيرا أمينا فرجع اليه طائفة من الشيعة وكان يقول انما يريد سليمان ان يخرج فيقتل نفسه
ومن معه وليس له بصرة بالحرب وبلغ الخبر عبد الله بن يزيد بالخروج عليه بالكوفة فى هذه
الايام وقيل له ليحبسه وخوف عاقبة امره ان تركه فقال عبد الله ان هم قاتلونا قاتلناهم وان
تركونا لم نطلبهم ان هؤلاء القوم يطلبون بدم الحسين بن على فرحم الله هؤلاء القوم آمنون
فليخرجوا ظاهرين وليسيروا الى من قاتل الحسين فقد أقبل اليهم يعنى ابن زياد وانا لهم ظهير
هذا ابن زياد قاتل الحسين وقاتل اخياركم وامثالكم قد توجه اليكم وقد فارقوه على ليلة من
جسر منبج فالقتال والاستعداد اليه أولى من ان تجعلوا بأسكم بينكم فيقتل بعضكم بعضا
فيلقاكم عدوكم وقد ضعفتم وتلك امنيته وقد قدم عليكم أعدى خلق الله لكم من ولى عليكم
هو وابوه سبع سنين لا يقلعان عن قتل أهل العفاف والدين هو الذى من قبله اتيتم والذى قتل
من تنادون بدمه قد جاءكم فاستقبلوه بحدكم وشوكتكم واجعلوها به ولا تجعلوها بانفسكم
انى لكم ناصح وكان مروان قد سير ابن زياد الى الجزيرة ثم اذا فرغ منها سار الى العراق فلما
فرغ عبد الله بن يزيد من قوله قال ابراهيم بن محمد بن طلحة ايها الناس لا يغرنكم من السيف
والغشم مقالة هذا الداهن والله لئن خرج علينا خارج لنقتلنه ولئن استيقنا ان قوما يريدون
الخروج علينا لنأخذن الوالد بولده والمولود بوالده والحميم بالحميم والعريف بما فى عرافته حتى
يدينوا للحق ويذلوا للطاعة فوثب اليه المسيب بن نجبة فقطع عليه منطقه ثم قال يا ابن
الناكثين انت تهددنا بسيفك وغشمك انت والله أذل من ذلك انا لا نلومك على بغضنا وقد
قتلنا أباك وجدك واما انت أيها الامير فقد قلت قولا سديدا فقال ابراهيم والله لتقتلن وقد ادهن
هذا يعنى عبد الله بن يزيد فقال له عبد الله بن وال ما اعتراضك فيما بيننا وبين أميرنا ما أنت علينا
بامير انما أنت أمير هذه الجزية فاقبل على خراجك ولئن افسدت أمر هذه الامة فقد افسده
والداك وكانت عليهما دائرة السوء فشتمهم جماعة ممن مع ابراهيم فشاتموه فنزل الامير من على
المنبر وتهدده ابراهيم بانه يكتب الى ابن الزبير يشكوه فجاءه عبد الله فى منزله واعتذر اليه فقبل
عذره ثم ان اصحاب سليمان خرجوا يشترون السلاح ظاهرين ويتجهزون

* (ذكر فراق الخوارج عبد الله بن الزبير وما كان منهم) *

وفى هذه السنة فارق الخوارج الذين كانوا قدموا مكة عبد الله بن الزبير وكانوا قد قاتلوا معه
اهل الشام وكان سبب قدومهم عليه انهم لما اشتد عليهم ابن زياد بعد قتل ابى بلال اجتمعوا
فتذاكروا ذلك فقال لهم نافع بن الازرق ان الله قد انزل عليكم الكتاب وفرض عليكم الجهاد
واحتج عليكم وقد جرد اهل الظلم فيكم السيوف فاخرجوا بنا الى هذا الذى قد ثار بمكة فان كان
على رأينا جاهدنا معه وان يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت وكان عسكر الشام قد سار نحو

والعطية للعساكر فلما صار نصف الليل غلق ابواب الوطاق وانتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى فاقام مقامه سنان باشا امير
الامرا بمدينة وان فلما
رحلوا اعترضهم العدو يمينا
وشمالا ووقع بينهما مناوشة
فلما وصلوا الى حدود المملكة
العثمانية امام قلعة سلماس
هجم حمزة ميرزا المذكور فى
نحو ثلاثين الف راكب فوقع
بين العسكرين قتال كثير
حتى انجلى الحرب عن هزيمة
الاعجام بعد ان حصدهم
بالسيف فلما دخلوا مدينة
وان شقوا بطن الوزير عثمان
باشا وحشوه بالطيب وبعثوا
جسده فدفنوه بمدينة آمد
وكان أوصى بذلك وكان
الوزير المذكور رأى مناما
وهو بمدينة تبريز انه راكب
فرسا أبيض فالقاه الفرس الى
الارض وسقطت عمامته
عن رأسه فعرف انه يموت
من مرضه الذى اعتراه
واوصى بما اراد وكان الوزير
المذكور تقبل الله سعيه
المشكور من الشجاعة
بجانب عظيم كان تولى عدة
صناجق فى ابتداء حاله ثم
صار أمير الامراء ببلاد
الحبشة فسار حتى انتهى الى
تخوم ارض الحبشة فرأى
مكانا ينبت الذهب فيه فى
سفح جبل كما ينبت القصب
فوصل الى اقليم الميمون أى
القرود وقاتل مع امم كثيرة
مرات عديدة فكان النصر
له وفى سنة أربع وتسعين وتسعمائة جهز السلطان فرهاد باشا الوزير المذكور مع عساكر عظيمة الى بلاد العجم فوصلوا الى مدينة

ابن الزبير فسار الخوارج حتى قدموا على ابن الزبير فسر بقدمهم واخبرهم انه على مثل رايهم من غير تفتيش فقاتلوا معه اهل الشام حتى مات يزيد بن معاوية وانصرف اهل الشام ثم انهم اجتمعوا وقالوا ان الذى صنعتم امس لغير رأى تقاتلون مع رجل لا تدرون لعله ليس على مثل رايكم وقد كان امس يقاتلكم هو وابوه وينادي يا ثارات عثمان فاتوه واسألوه عن عثمان فان برئ منه كان وليكم وان ابى كان عدوكم فاتوه فسألوه فنظر فاذا اصحابه حوله قليل فقال انكم اتيتمونى حين اردت القيام ولكن روحوا العشية حتى اعلمكم فانصرفوا وبعث الى اصحابه فجمعهم حوله بالسلاح وجاءت الخوارج واصحابه حوله وعلى راسه وبأيديهم العمد فقال ابن الازرق لاصحابه ان الرجل قد أزمع خلافكم فتقدم اليه نافع بن الازرق وعبيدة بن هلال فقال عبيدة بعد حمد الله اما بعد فان الله بعث محمدا يدعو الى عبادته واخلاص الدين له فدعا الى ذلك فاجابه المسلمون فعمل فيهم بكتاب الله حتى قبضه الله واستخلف الناس أبا بكر واستخلف أبو بكر عمر فكلاهما عملا بكتاب الله وسنة نبيه ثم ان الناس استخلفوا عثمان فحمى الاحماء وآثر القربى واستعمل الغنى ورفع الدرة ووضع السوط ومزق الكتاب وضرب منكر الجور وآوى طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب السابقين بالفضل وحرمهم وأخذ فىء الله الذى افاءه عليهم فقسمه فى فساق قريش ومجان العرب فسارت اليه طائفة فقتلوه فنحن لهم أولياء ومن ابن عفان وأوليائه برآء فما تقول أنت يا ابن الزبير فقال قد فهمت الذى ذكرت به النبى صلى الله عليه وسلم فهو فوق ماذكرت وفوق ما وصفت وفهمت ماذكرت به أبا بكر وعمر وقد وفقت وأصبت وفهمت الذى ذكرت به عثمان وانى لا أعلم مكان أحد من خلق الله اليوم اعلم بابن عفان وأمره منى كنت معه حيث نقم عليه واستعتبوه فلم يدع شيأ الا اعتبهم ثم رجعوا اليه بكتاب له يزعمون انه كتبه يأمر فيه بقتلهم فقال لهم ما كتبته فان شئتم فهاتوا بينتكم فان لم تكن حلفت لكم فوالله ماجاؤه ببينة ولا استحلفوه ووثبوا عليه فقتلوه وقد سمعت ماعبته به فليس كذلك بل هو لكل خير أهل وانا اشهدكم ومن حضرنى انى ولى لابن عفان وعدو أعدائه فبرئ الله منكم وتفرق القوم فاقبل نافع بن الازرق الحنظلى وعبد الله بن الصفار السعدى وعبد الله بن اباض وحنظلة ابن بيهس وبنو الماحوز عبد الله وعبيد الله والزبير من بنى سليط بن يربوع وكلهم من تميم حتى أتوا البصرة وانطلق أبو طالوت من بنى بكر بن وائل وابو فديك عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة وعطية بن الاسود اليشكرى الى اليمامة فوثبوا بها مع أبي طالوت ثم اجمعوا بعد ذلك على نجدة ابن عامر الحنفى وتركوا أبا طالوت فاما نافع وأصحابه فانهم قدموا البصرة وهم على رأى أبي بلال واجتمعوا وتذاكروا فضيلة الجهاد فخرج نافع على ثلثمائة وذلك عند وثوب الناس بابن زياد وكسر الخوارج باب السجن وخرجوا واشتغل الناس عنهم بحرب الازد وربيعة وتميم فلما خرج نافع تبعوه واصطلح أهل البصرة على عبد الله بن الحرث فتجرد الناس للخوارج وأخافوهم فلحق نافع بالاهواز فى شوال سنة اربع وستين وخرج من بقى منهم بالبصرة الى ابن الازرق الا من لم يرد الخروج يومئذ منهم عبد الله بن الصفار وعبد الله بن اباض ورجال معهما على رأيهما ونظر نافع فرأى ان ولاية من تخلف عن الجهاد من الذين قعدوا من الخوارج لا تحل له وان من تخلف عنه لا نجاة له فقال لاصحابه ذلك ودعاهم الى البراءة منهم وانهم

تبريز وتحصنوا بقلعتها ورموا سورها وكانت الشاهية حاصروها مرارا عديدة ولم يروا من أخذها ثم بنى هنالك بين وان وبين تبريز قلعتين وشحنهما رجالا وسلاحا ولم يزل الوزير المذكور يشتى فى بلاد الروم ويرجع فى الصيف الى بلاد العجم حتى مهد البلاد التى اخذت من الكرج وبنى قلعة كورى ووصل الى بلاد قره باغ وكنجة وبنى هنالك حصنا على كنجة وحصنا على بردعه وقاتل صاحب قره باغ محمد خان فكسره وغنم امواله وعاد الى بلاد الروم وقد وقع فتح بلاد شروان فى هذه السنة لان امارات الفتح اتصال الممالك العثمانية بشروان واستمر القتال والحرب بينهما حال الى ان وقع الصلح بينهما وجعل حد لا يتعداه احد منهما وفى نهار الثلاثاء ثالث عشر ربيع الآخر سنة احدى بعد الالف وقعت الحادثة العظمى بمدينة قسطنطينية التى لم يسمع بمثلها فى سالف الدهر وكنت اذ ذاك هنالك وذلك ان العساكر من طائفة غرباء اليمين واليسار والسلحدارية وغيرهم اتفقوا ودخلوا الى ديوان السلطان بسبب ابطاء جوامكهم عن العادة وارسلوا يطلبون محمدا الشريف الدفترى يومئذ فامتنع السلطان من تسليمه لهم خوفا ان يقتلوه

ولم تزل قضاة العساكر يترددون لهؤلاء الجماعة لدفع هذه الفتنة فلم يقدروا فرجوهم واستمروا واقفين وعلى ماهم لا يحل

لا يحل لهم مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا يجوز قبول شهادتهم وأخذ علم الدين عنهم ولا يحل ميراثهم ورأى قتل الاطفال والاستعراض وان جميع المسلمين كفار مثل كفار العرب لا يقبل منهم الا الاسلام أو القتل فاجابه الى ذلك بعضهم وفارقه بعضهم وممن فارقه نجدة بن عامر وسار الى اليمامة فاطاعه الخوارج الذين بها وتركوا ابا طالوت فكتب نافع الى ابن اباض وابن الصفار يدعوهما ومن معهما الى ذلك فقرا ابن الصفار الكتاب ولم يقرأه على اصحابه خشية ان يتفرقوا ويختلفوا فاخذه ابن اباض فقرأه فقال قاتله الله أي رأي رأى صدق نافع لو كان القوم مشركين كان اصوب الناس رأيا وكانت سيرته كسيرته في المشركين ولكنه قد كذب فيما يقول ان القوم برآء من الشرك ولكنهم كفار بالنعم والاحكام ولا يحل لنا الا دماؤهم وما سوى ذلك فهو حرام علينا فقال له ابن الصفار برئ الله منك فقد قصرت وبرئ الله من ابن الازرق فقد غلا فقال الآخر برئ الله منك ومنه فتفرق القوم واشتدت شوكة ابن الازرق وكثرت جموعه واقام بالاهواز يجبي الخراج ويتقوى به ثم اقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر فبعث اليه عبد الله بن الحرث مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة من أهل البصرة (عبيس بالعين المهملة المضمومة والباء الموحدة والياء المثناة من تحت وبالسين المهملة وعبيدة بن هلال بضم العين المهملة والباء الموحدة)

(ذكر قدوم المختار الكوفة)

كانت الشيعة تسب المختار وتعيبه لما كان منه في أمر الحسن بن علي حين طعن في ساباط وحمل الى ابيض المدائن حتى كان زمن الحسين وبعث الحسين مسلم بن عقيل الى الكوفة كان المختار في قرية له تدعى لقفا فجاءه خبر ابن عقيل عند الظهر انه قد ظهر ولم يكن خروجه عن ميعاد كما سبق فاقبل المختار في مواليه فانتهى الى باب الفيل بعد المغرب وقد اقعد عبيد الله بن زياد عمرو بن حريث بالمسجد ومعه راية فوقف المختار لا يدري ما يصنع فبلغ خبره عمرا فاستدعاه وآمنه فحضر عنده فلما كان الغد ذكر عمارة بن الوليد بن عقبة أمره لعبيد الله فاحضره فيمن دخل وقال له انت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل قال لم افعل ولكني اقبلت ونزلت تحت راية عمرو فشهد له عمرو فضرب وجه المختار فشتر عينه وقال لولا شهادة عمرو لقتلتك ثم حبسه حتى قتل الحسين ثم ان المختار بعث الى عبد الله بن عمر بن الخطاب يسأله ان يشفع فيه وكان ابن عمر تزوج اخت المختار صفية بنت ابي عبيد فكتب ابن عمر الى يزيد يشفع فيه فارسل يزيد الى ابن زياد يأمره باطلاقه فاطلقه وأمره ان لا يقيم غير ثلاث فخرج المختار الى الحجاز فلقيه ابن العرق وراء واقصة فسلم عليه وسأله عن عينه فقال خبطها ابن الزانية بالقضيب فصارت كما ترى ثم قال قتلني الله ان لم اقطع انامله واعضاءه اربا اربا ثم سأله المختار عن ابن الزبير فقال انه عائذ بالبيت وانه يبايع سرا ولو اشتدت شوكته وكثرت رجاله لظهر فقال المختار انه رجل العرب اليوم وان اتبع رأيي اكفه أمر الناس ان الفتنة ارعدت وابرقت وكان قد انبعثت فاذا سمعت بمكان قد ظهرت به في عصابة من المسلمين اطلب بدم الشهيد المظلوم المقتول بالطف سيد المسلمين وابن بنت سيد المرسلين وابن سيدها الحسين بن علي فوربك لاقتلن بقتله عدة من قتل على دم يحيى بن زكريا ثم سار وابن العرق يعجب من قوله قال ابن العرق فوالله لقد رأيت ما ذكره وحدثت به

عليه فحصروهم حتى هجم عليهم من الداخل بعض الصبيان وساعدهم من وجد من الجاوشية وخدمة الديوان واستقروا بقصر يونس م بالحجارة التي رجموا بها فازدحموا عند خروجهم من الباب الوسطاني حتى تراكم بعضهم على بعض بين البابين وانسد الباب فكان الناس يمشون عليهم فقتل منهم ومن المتفرجين نحو من مائة وسبعة عشر انسانا فامر السلطان بالقاء أجسادهم في البحر وسلم الدفتردار المذكور وفي هذه السنة عين السلطان الوزير الاعظم سنان باشا لمحاربة كفار المجر وأرسل معه العسكر ففتح تلك السنة قلعة بسترين وقلعة طاجة وشتى بمدينة بلغراد وفي السنة الثانية فتح قلعة يانق وهي من أحصن القلاع واصعبها قد أحاط بها الماء وهي مدينة ماتت الملوك بحسرتها لحصانتها ومنعتها ومتانتها تنقطع الاطماع عن طلبها وتقصر العزائم عن فتحها لقوة سيبها وكان فتحها عند النصارى بمنزلة المحال لصعوبة مراقيها واستلامها مراميها وفتحها الله تعالى على يد الوزير الاعظم سنان باشا لطفا منه تعالى لا بضرب سيف ولا بطعن سنان ثم توفي السلطان مراد خان في تاسع جمادى الاولى سنة ثلاث بعد الالف وله من العمر خمسون سنة وكانت مدة ملكه عشرين سنة وثمانية أشهر وخلف عشرين ولدا ذكرا غير الاناث فلما استقر ولده الاكبر على سرير الملك أمر

الحجاج بن يوسف فضحك وقال لله دره أى رجل دينا ومسعر حرب ومقارع اعداء كان ثم قدم المختار على ابن الزبير فكتم عنه ابن الزبير أمره ففارقه وغاب عنه سنة ثم سأل عنه ابن الزبير فقيل انه بالطائف وانه يزعم انه صاحب الغضب ومبير الجبارين فقال ابن الزبير ماله قاتله الله لقد انبعث كذابا متكهنا ان يهلك الله الجبارين يكن المختار أولهم فهو فى حديثه اذ دخل المختار المسجد فطاف وصلى ركعتين وجلس فأتاه معارفه يحدثونه ولم يأت ابن الزبير فوضع ابن الزبير عليه عباس بن سهل بن سعد فأتاه وسأله عن حاله ثم قال له مثلك يغيب عن الذى قد اجتمع عليه الاشراف من قريش والانصار وثقيف ولم تبق قبيلة الا وقد اتاه زعيمها فبايع هذا الرجل فقال انى اتيته العام الماضى وكتم عنى خبره فلما استغنى عنى احببت ان اريه انى مستغن عنه فقال له العباس القه الليلة وانا معك فاجابه الى ذلك ثم حضر عند ابن الزبير بعد العتمة فقال المختار ابايعك على ان لا تقضى الامور دونى وعلى ان أكون أول داخل واذا ظهرت استعنت بى على افضل عملك فقال ابن الزبير ابايعك على كتاب الله وسنة رسوله فقال وشر غلمانى تبايعه على ذلك والله لا ابايعك ابدا الا على ذلك فبايعه فاقام عنده وشهد معه قتال الحصين بن نمير وأبلى احسن بلاء وقاتل اشد قتال وكان اشد الناس على أهل الشام فلما هلك يزيد بن معاوية واطاع أهل العراق ابن الزبير اقام عنده خمسة اشهر فلما رآه لا يستعمله جعل لا يقدم عليه احد من أهل الكوفة الا سأله عن حال الناس فاخبره هانى بن جبة الوداعى باتساق أهل الكوفة على طاعة ابن الزبير الا ان طائفة من الناس هم عدد أهلها لو كان لهم من يجمعهم على رأيهم اكل بهم الارض الى يوم فقال المختار انا أبو اسحق انا والله لهم ان اجمعهم على الحق والقى بهم ركبان الباطل واهلك بهم كل جبار عنيد ثم ركب راحلته نحو الكوفة فوصل الى نهر الحيرة يوم الجمعة فاغتسل ولبس ثيابه ثم ركب فرسه فمر بمسجد السكون وجبانة كندة لا يمر على مجلس الا سلم على أهله وقال ابشروا بالنصرة والفلج اتاكم ما تحبون ومر ببنى بدء فلقى عبيدة بن عمرو البدئى من كندة فسلم عليه وقال له ابشر بالنصر والفلج انك أبو عمرو على رأى حسن لن يدع الله لك معه اثما الا غفره لك ولا ذنبا الا ستره وكان عبيدة من اشجع الناس واشعرهم واشدهم تشيعا وحبا لعلى وكان لا يصبر عن الشراب فقال له بشرك الله بالخير فهل انت مبين لنا قال نعم القنى الليلة ثم سار فلقى هند فلقى اسمعيل بن كثير فرحب به وقال له القنى انت واخوك الليلة فقد اتيتكم بما تحبون ومر على حلقة من همدان فقال قد قدمت عليكم بما يسركم ثم اتى المسجد واستشرف له الناس فقام الى سارية فصلى عندها حتى اقيمت الصلاة وصلى مع الناس ثم صلى ما بين الجمعة والعصر ثم انصرف الى داره واختلف اليه الشيعة واتى اسمعيل بن كثير واخوه وعبيدة بن عمرو فسألهم فاخبروه خبر سليمان بن صرد وانه على المنبر فحمد الله ثم قال ان المهدى ابن الوصى بعثنى اليكم امينا ووزيرا ومنتخبا وأميرا وأمرنى بقتل الملحدين والطلب بدم أهل بيته والدفع عن الضعفاء فكونوا أول خلق الله اجابة فضربوا على يده وبايعوه وبعث الى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمان بن صرد وقال لهم نحو ذلك وقال لهم ان سليمان ليس له بصر بالحرب ولا تجربة بالامور وانما يريد ان يخرجكم فيقتلكم ويقتل نفسه وانا اعمل على مثال مثل لى وأمر بين لى أعز وليكم واقتل عدوكم واشفى صدوركم فاسمعوا قولى واطيعوا امرى ثم انتشروا وما زال بهذا ونحوه حتى

بخنق اخوته فخنقوهم وصلوا عليهم مع أبيهم ودفنوهم معه تجاه اياصوفيه وجلس على سرير الملك خليفة الله على كافة العباد وظله الشامل لجميع البلاد وهو سلطان هذا الزمان خلاصة خواقين آل عثمان

(السلطان المجاهد الغازى محمد خان ابن المرحوم السلطان مراد خان)

لا زال أمره ماضيا بلا مضارع ونافذا فى الاقطار بدون منازع جلس على سرير الملك نهار الجمعة وقت الضحى سادس عشر جمادى الاولى سنة ثلاث بعد الالف فهو امام عصرنا وغمام شامنا ومصرنا ففى ثامن يوم من جلوسه أمر بقتل ابراهيم باشا الشهير بدالى ابراهيم باشا الذى كان نائبا بديار بكر فظلم العباد واضعف البلاد وكان محبوسا فى احدى القلل البحرية وكان حبسه ابوه المرحوم السلطان مراد خان عليه الرحمة والرضوان بسبب انه ظلم العباد وقتل فى البلاد حتى ان الناس جلوا عن اماكنهم وخلوا من مساكنهم من ديار بكر فى ايامه وبرز أمره العالى باخراج كل من كان بدار السلطنة الجديدة من المساخر والجوارى وامهات

استمال طائفة من الشيعة وصاروا يختلفون اليه ويعظمونه وعظماء الشيعة مع سليمان لا يعدلون به أحدا وهو اثقل خلق الله على المختار وهو ينظر الى ما يصير أمر سليمان فلما خرج سليمان نحو الجزيرة قال عمر بن سعد وشبث بن ربعي ويزيد بن الحرث بن رويم لعبد الله بن يزيد الخطمي وابراهيم بن محمد بن طلحة ان المختار اشد عليكم من سليمان انما خرج يقاتل عدوكم وان المختار يريد ان يثب عليكم في مصركم فأوثقوه واسجنوه حتى يستقيم أمر الناس فاتوه فاخذوه بغتة فلما رآهم قال ما لكم فوالله ما ظفرت اكفكم فقال ابراهيم بن محمد بن طلحة لعبد الله شده كتافا ومشه حافيا فقال عبد الله ما كنت لافعل هذا برجل لم يظهر لنا غدره انما أخذناه على الظن فقال ابراهيم ليس هذا بعشك فادرجي ما هذا الذي بلغنا عنك يا ابن أبي عبيد فقال ما بلغك عني الا باطل وأعوذ بالله من غش كغش أبيك وجدك ثم حمل الى السجن غير مقيد وقيل بل كان مقيدا فكان يقول في السجن أما ورب البحار والنخيل والاشجار والمهامه والقفار والملائكة الابرار والمصطفين الاخيار لاقتلن كل جبار بكل لدن خطار ومهند بتار بجموع الانصار ليس بميل أغمار ولا بعزل اشرار حتى اذا أقمت عمود الدين ورأبت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وادركت ثأر النبيين لم يكبر علي زوال الدنيا ولم أحفل بالموت اذا أتى وقيل في خروج المختار الى الكوفة وسببه غير ما تقدم وهو ان المختار قال لابن الزبير وهو عنده اني لاعلم قوما لو ان لهم رجلا له فقه وعلم بما يأتي ويذر لاستخرج لك منهم جندا تقاتل بهم أهل الشام قال من هم قال شيعة علي بالكوفة قال فكن أنت ذلك الرجل فبعثه الى الكوفة فنزل ناحية منها يبكي على الحسين ويذكر مصابه حتى لقوه واحبوه فنقلوه الى وسط الكوفة وأتاه منهم بشر كثير فلما قوي أمره سار الى ابن مطيع

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله على المدينة فيها أخوه عبيدة بن الزبير وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى البصرة عمر بن عبيد الله بن عمر التيمي وعلى خراسان عبد الله بن خازم وفيها مات شداد بن أوس بن ثابت وهو ابن أخي حسان بن ثابت وفيها توفي المسور بن مخرمة بمكة في اليوم الذي ورد فيه خبر موت يزيد بن معاوية وكان سبب موته ان أصابته فلقة حجر منجنيق في جانب وجهه فمرض اياما ومات وفيها توفي أبو برزة الاسلمي بخراسان وفيها توفي الوليد بن عتبة بن أبي سفيان في قول وفي ايام يزيد مات أبو ثعلبة الخشني وقيل مات سنة خمس وسبعين له صحبة وفي أيامه أيضا مات عائذ بن عمرو المزني بالبصرة وشهد بيعة الرضوان وفي ايام ابن زياد بالكوفة مات قيس بن خرشة وهو صحابي وخبر موته عجيب مع ابن زياد لانه كان قوالا بالحق وفي أيامه مات نوفل بن معاوية بن عمرو الدؤلي وفي أيامه مات أبو خيثمة الانصاري شهد أحدا وذكره في تبوك مشهور وفي ايامه مات عتبان بن مالك وهو بدري وفي هذه السنة توفي شقيق بن ثور السدوسي

(ثم دخلت سنة خمس وستين)

(ذكر مسير التوابين وقتلهم)

لما أراد سليمان بن صرد الخزاعي الشخوص سنة خمس وستين بعث الى رؤس أصحابه فأتوه

اخونه وأرسلهم الى السرايا العتيقة وأمر لهم بما يكفيهم من الجوامك والرواتب وكانوا شيأ كثيرا فصاروا كان لم يكونوا شيأ مذكورا (ومن محاسنه) أنه وفى دين والده ومن جملة ما وفى ثمن خضروات المطبخ ثمانين ألف دينار ذهبا وقس على ذلك ما يناسبه ولما استقر على سرير الملك وجد الحرب قائمة بين المسلمين والكفرة على ساق ورأى ان يشاور العلماء والوزراء في قتال اجناد الشقاوة والشقاق احياء لسنة الجهاد وقطعا لدابر أهل الكفر والعناد فأشار الجميع بذلك وحسنوا له السير في هاتيك المسالك فنادى بالسير في الغزاة وعزم بنفسه على الجهاد في سبيل الله فنهض نهضة الاسد الضاري وأعاد ماء السلطنة الى ما كان له من المجاري وأخرج الاموال الكثيرة وابرز كل اسد باسل تخشى الاسود زئيره ووافقه في الجهاد شيخه سعد الدين وقال أيامك أسير حتى اخلص وجودي من الذنوب فانني بها أسير ففرح باستصحاب المذكور وعين له من المؤن ما يكفي الجمهور وخرج بعساكر مجرورة بالفتح المبين مصروفة الى

فلما أهل ربيع الآخر خرج فى وجوه أصحابه وكانوا تواعدوا للخروج تلك الليلة فلما أتى النخيلة
دار فى الناس فلم يعجبه عددهم فارسل حكيم بن منقذ الكندى والوليد بن عصير الكنانى فناديا
فى الكوفة يالثارات الحسين فكانا أول خلق الله دعا يالثارات الحسين فاصبح من الغد وقد
أتاه نحو مما فى عسكره ثم نظر فى ديوانه فوجدهم ستة عشر ألفا ممن بايعه فقال سبحان الله
ماوافانا من ستة عشر ألفا الا أربعة آلاف فقيل له ان المختار يثبط الناس عنك انه قد تبعه
ألفان فقال قد بقى عشرة آلاف أما هؤلاء بمؤمنين أما يذكرون الله والعهود والمواثيق فاقام
بالنخيلة ثلاثا يبعث الى من تخلف عنه فخرج اليه نحو من ألف رجل فقام اليه المسيب بن نجبة
فقال رحمك الله انه لا ينفعك الكاره ولا يقاتل معك الا من أخرجته النية فلا تنتظر أحدا وجد
فى أمرك قال نعم ما رأيت ثم قام سليمان فى أصحابه فقال أيها الناس من كان خرج يريد بخروجه
وجه الله والآخرة فذلك منا ونحن منه فرحمة الله عليه حيا وميتا ومن كان انما يريد الدنيا
فوالله ما يأتى فىء نأخذه وغنيمة نغنمها ما خلا رضوان الله وما معنا من ذهب ولا فضة ولا متاع
ما هو الا سيوفنا على عواتقنا وزاد قدر البلغة فمن كان ينوى هذا فلا يصحبنا فتنادى أصحابه
من كل جانب انا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا انما خرجنا نطلب التوبة والطلب بدم ابن بنت
رسول الله نبينا صلى الله عليه وسلم فلما عزم سليمان على المسير قال له عبد الله بن سعد بن نفيل انى
قد رأيت رأيا ان يكن صوابا فالله الموفق وان يكن ليس صوابا فمن قبلى انا خرجنا نطلب بدم
الحسين وقتلته كلهم بالكوفة منهم عمر بن سعد ورؤس الارباع والقبائل فاين نذهب من هنا
وندع الاوتار فقال أصحابه كلهم هذا هو الرأى فقال سليمان لكن انا لا أرى ذلك ان الذى قتله
وعبى الجنود اليه وقال لا امان له عندى دون ان يستسلم فامضى فيه حكمى هذا الفاسق ابن
الفاسق عبيد الله بن زياد فسيروا اليه على بركة الله فان يظهركم الله عليه رجونا ان يكون من
بعده أهون علينا منه ورجونا ان يدين لكم أهل مصركم فى عافية فينظرون الى كل من شرك فى
دم الحسين فيقتلونه ولا يغشون وان تستشهدوا فانما قاتلتم المحلين وما عند الله خير للابرار انى
لاحب ان تجعلوا جدكم بغير المحلين ولو قاتلتم أهل مصركم ما عدم رجل ان يرى رجلا قد قتل
أخاه وأباه وحميمه ورجلا يريد قتله فاستخيروا الله وسيروا وبلغ عبد الله بن يزيد وابراهيم بن
محمد بن طلحة خروج ابن صرد فاتياه فى اشراف أهل الكوفة ولم يصحبهم من شرك فى دم الحسين
خوفا منه وكان عمر بن سعد تلك الايام يبيت فى قصر الامارة خوفا منهم فلما أتياه قال عبد الله بن
يزيد ان المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يغشه وأنتم اخواننا وأهل بلدنا واحب اهل مصر خلقه
الله الينا فلا تفجعونا بانفسكم ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا أقيموا معنا حتى نتهيأ فاذا
سار عدونا الينا خرجنا اليه بجماعتنا فقاتلناه وجعل لسليمان وأصحابه خراج جوخى ان أقاموا
وقال ابراهيم بن محمد مثله فقال سليمان لهما قد محضتما النصيحة واجتهدتما فى المشورة فنحن بالله
وله ونسأل الله العزيمة على الرشد ولا نرانا الا سائرين فقال عبد الله فاقيموا حتى نعبى معكم جريدا
كثيفا فتلقوا عدوكم بجمع كثيف وكان قد بلغهم اقبال عبيد الله بن زياد من الشأم فى جنود
كثيرة فلم يقم سليمان فسار عشية الجمعة لخمس مضين من ربيع الآخر سنة خمس وستين فوصل دار
الاهواز وقد تخلف عنه ناس كثير فقال ما احب ان تخلفوا ولو خرجوا فيكم ما زادوكم

ذكر رجوع الكفار
بلطف الله المعين فوقعت
الصواعق فى هاتيك الديار
وعلموا انه قد وقع بهم البلاء
والدمار فتجهزوا بما يقدرون
عليه من العساكر وبرزوا
لجنود الاسلام بجندهم
الكافر وقد وصل السلطان
المذكور بعسكره المنصور
الى مدينة بلغراد ومنها
يتقرب الى معاقل الكفار
فى هاتيك البلاد ثم استمر
يتقدم بعساكره المنصورة
ورايته المنشورة الى ان
نزل على حصن عظيم يقال
له اكرى ومعناه الاعوج
وهو حصن مشهور بالمتانة
معروف عند الغزاة بالحصانة
قد قهر من نازله وغلب من
يحاوله وعلت شرفاته الى
مقارنة النجوم وما عهد
طائر هنالك يحوم ومع ذلك
فأبطال المسلمين قد ثبتوا
حتى كانهم فى مواقف حربهم
قد نبتوا الى ان اضمحل
عمرانها وتداعى بنيانها فعلم
أهلها انها صائرة الى الخراب
راجعة الى ان توصف
بالتباب فصاحوا الامان
الامان على سلامة الارواح
والابدان واعطاهم
السلطان امانا من المهالك
فخرجوا من حصن اكرى
وأعناقهم اليه ملتوية
واجسامهم الى مشاهدته
منحنية ودخل المسلمون اليها

الاخبالالان الله كره انبعاثهم فثبطهم واخصكم بفضل ذلك ثم ساروا فانتهوا الى قبر الحسين فلما وصلوا صاحوا صيحة واحدة فما رؤى أكثر باكيا من ذلك اليوم فترحموا عليه وتابوا عنده من خذلانه وترك القتال معه وأقاموا عنده يوما وليلة يبكون ويتضرعون ويترحمون عليه وعلى أصحابه وكان من قولهم عند ضريحه اللهم ارحم حسينا الشهيد ابن الشهيد المهدى ابن المهدى الصديق ابن الصديق اللهم انا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم واعداء قاتليهم وأولياء محبيهم اللهم انا خذلنا ابن بنت نبينا صلى الله عليه وسلم فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا فارحم حسينا وأصحابه الشهداء الصديقين وانا نشهدك أنا على دينهم وعلى ما قتلوا عليه وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وزادهم النظر اليه حنقا ثم ساروا بعد ان كان الرجل يعود الى ضريحه كالمودع له فازدحم الناس عليه أكثر من ازدحامهم على الحجر الاسود ثم ساروا على الانبار وكتب اليهم عبد الله بن يزيد كتابا منه يا قومنا لا تطيعوا عدوكم انتم فى أهل بلادكم خيار كلكم ومتى يصبكم عدوكم يعلموا انكم اعلام مصركم فيطمعهم ذلك فيمن وراءكم يا قومنا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا يا قوم ان أيدينا وأيديكم واحدة وعدونا وعدوكم واحد ومتى تجتمع كلمتنا على عدونا نظهر على عدونا ومتى تختلف تهن شوكتنا على من خالفنا يا قومنا لا تستغشوا نصحى ولا تخالفوا أمرى وأقبلوا حين يقرأ كتابى عليكم والسلام فقال سليمان وأصحابه قد أتانا هذا ونحن فى مصرنا فحين وطأنا أنفسنا على الجهاد ودنونا من أرض عدونا ما هذا برأى فكتب اليه سليمان يشكره ويثنى عليه ويقول ان القوم قد استبشروا ببيعهم انفسهم من ربهم وانهم قد تابوا من عظيم ذنبهم وتوجهوا الى الله وتوكلوا عليه ورضوا بما قضى الله عليهم فلما جاء الكتاب الى عبد الله قال استمات القوم أول خبر يأتيكم عنهم قتلهم والله ليقتلن كراما مسلمين ثم ساروا حتى انتهوا الى قرقيسيا على تعبية وبها زفر بن الحرث الكلابى قد تحصن بها منهم ولم يخرج اليهم فارسل اليه المسيب بن نجبة يطلب اليه أن يخرج اليه سوقا فأتى المسيب الى باب قرقيسيا فعرفهم نفسه وطلب الاذن على زفر فأتى هذيل بن زفر أباه فقال هذا رجل حسن الهيئة اسمه المسيب بن نجبة يستأذن عليك فقال أبوه أما تدرى يا بنى من هذا هذا فارس مضر الحمراء كلها اذا عد من اشرافها عشرة كان أحدهم هو وهو متعبد رجل ناسك له دين ايذن له فاذن له فلما دخل عليه اجلسه الى جانبه وسأله فعرفه المسيب حاله وما عزموا عليه فقال زفر انا لم نغلق أبواب المدينة الا لنعلم ايانا تريدون ام غيرنا وما بنا عجز عن الناس وما نحب قتالكم وقد بلغنا عنكم صلاح وسيرة جميلة ثم أمر ابنه فاخرج لهم سوقا وامر للمسيب بالف درهم وفرس فرد المال وأخذ الفرس وقال لعلى احتاج اليه اذا عرج فرسى وبعث زفر اليهم بخبز كثير وعلف ودقيق حتى استغنى الناس عن السوق الا ان كان الرجل يشترى سوطا أو ثوبا ثم ارتحلوا من الغد وخرج اليهم زفر يشيعهم وقال لسليمان انه قد سار خمسة أمراء من الرقة هم الحصين بن نمير وشرحبيل بن ذى الكلاع وادهم بن محرز وجبلة بن عبد الله الخثعمى وعبيد الله بن زياد فى عدد كثير مثل الشوك والشجر فان شئتم دخلتم مدينتنا وكانت أيدينا واحدة فاذا جاءنا هذا العدو قاتلناهم جميعا فقال سليمان قد طلب أهل مصرنا ذلك منا فأبينا عليهم قال زفر فبادروهم الى عين الوردة

أفواجا واشعلوا من نور الايمان فى ظلمة الكفر سراجا فلما تم ذلك جاء الخبر من جواسيس الاسلام أن الكفار مرادهم من المسلمين الانتقام فنهض اليهم السلطان فى جموعه قبل ان يقابلوه فى رجوعه فوقعت بينهم وقعة ما سمع بمثلها فى غابر الازمان ولم يحدث مثلها فى حوادث الحدثان فوقع بين الفريقين ودارت رحى الحرب بين العسكرين وكان عزم المسلمين قد فتر عن الكفار وضعفت القوى وتخاذلت الانصار فهجم الكفار على سرادق السلطان هجمة واحدة ودخلوا الى مخيمه بهمة ليست راقدة حتى ان علجا من الكفار دخل الى المخيم وركز رمحه فوق الخزينة وعندها خيم فرآه واحد من خواص السلطان فثار اليه ثورة الاسد الغضبان وضربه بالسيف فقده وقطع بحده قده وبعد ساعة أو ساعتين نادى على الكفار منادى الجن وسمعوا من هاتف الغيب كسر الكافرون من غير ريب وتراجعت الوزراء وأكابر الامراء خوفا على وجود السلطان من أصحاب النيران لانهم سمعوا دخولهم اليه وهجومهم عليه وفر غالب العسكر

وهي رأس عين فاجعلوا المدينة في ظهوركم ويكون الرستاق والماء والمادة في أيديكم وما بيننا
وبينكم فانتم آمنون منه فاطووا المنازل فوالله ما رأيت جماعة قط أكرم منكم فاني ارجو
أن تسبقوهم وان قاتلتموهم فلا تقاتلوهم في فضاء ترامونهم وتطاعنونهم فانهم أكثر منكم ولا
آمن أن يحيطوا بكم فلا تقفوا لهم فيصرعوكم ولا تصفوا لهم فاني لا أرى معكم رجالة ومعهم
الرجالة والفرسان بعضهم يحمي بعضا ولكن القوهم في الكتائب والمقانب ثم بثوها فيما بين
ميمنتهم وميسرتهم واجعلوا مع كل كتيبة أخرى الى جانبها فان حمل على احدى الكتيبتين
رحلت الاخرى فنفست عنها ومتى شاءت كتيبة ارتفعت ومتى شاءت كتيبة انحطت ولو كنتم
صفا واحدا فزحفت اليكم الرجالة فدفعتم عن الصف انتقض فكانت الهزيمة ثم ودعهم ودعا لهم
ودعوا له واثنوا عليه ثم ساروا واجدين فانتهوا الى عين الوردة فنزلوا غربيها وأقاموا خمسا
فاستراحوا وأراحوا واقبل أهل الشام في عساكرهم حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم
وليلة فقام سليمان في أصحابه وذكر الآخرة ورغب فيها ثم قال اما بعد فقد أتاكم عدوكم الذي
دأبتم اليه في السير آناء الليل والنهار فاذا لقيتموهم فاصدقوهم القتال واصبروا ان الله مع
الصابرين ولا يولينهم امرؤ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة ولا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا
على جريح ولا تقتلوا أسيرا من أهل دعوتكم الا ان يقاتلكم بعد ان تأسروه فان هذه كانت
سيرة علي في اهل هذه الدعوة ثم قال ان أنا قتلت فامير الناس مسيب بن نجبة فان قتل فالامير عبد
الله بن سعد بن نفيل فان قتل فالامير عبد الله بن وال فان قتل فالامير رفاعة بن شداد رحم الله
امرأ صدق ما عاهد الله عليه ثم بعث المسيب في اربعمائة فارس ثم قال سر حتى تلقى أول
عساكرهم فشن عليهم فان رأيت ما تحب والا رجعت واياك ان تنزل واحدا من أصحابك
أو تستقبل آخر حتى لا تجد منه بدا فسار يومه وليلته ثم نزل السحر فلما أصبحوا أرسل
أصحابه في الجهات ليأتوه بمن يلقون فأتوه باعرابي فسأله عن أدنى العساكر منه فقال ادنى
عسكر من عساكرهم منك عسكر شرحبيل بن ذي الكلاع وهو منك على رأس ميل وقد اختلف
هو والحصين ادعى الحصين أنه على الجماعة وأبى شرحبيل ذلك وهما ينتظران أمر ابن زياد فسار
المسيب ومن معه مسرعين فاشرفوا عليهم وهم غارون فحملوا في جانب عسكرهم فانهزم العسكر
واصاب المسيب منهم رجالا فاكثروا فيهم الجراح واخذوا الدواب وخلى الشاميون معسكرهم
وانهزموا فغنم منه اصحاب المسيب ما ارادوا ثم انصرفوا الى سليمان موفورين وبلغ الخبر ابن
زياد فسرح الحصين بن نمير مسرعا حتى نزل في اثني عشر ألفا فخرج أصحاب سليمان اليه لاربع
بقين من جمادى الاولى وعلى ميمنتهم عبد الله بن سعد وعلى ميسرتهم المسيب بن نجبة وسليمان في
القلب وجعل الحصين على ميمنته جبلة بن عبد الله وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنوي فلما
دنا بعضهم من بعض دعاهم أهل الشام الى الجماعة على عبد الملك بن مروان ودعاهم أصحاب
سليمان الى خلع عبد الملك وتسليم عبيد الله بن زياد اليهم وانهم يخرجون من بالعراق من أصحاب
ابن الزبير ثم يرد الامر الى أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فأبى كل منهم فحملت ميمنة سليمان على
ميسرة الحصين والميسرة أيضا على الميمنة وحمل سليمان في القلب على جماعتهم فانهزم اهل الشام
الى معسكرهم ومازال الظفر لاصحاب سليمان الى ان حجز بينهم الليل فلما كان الغد صبح الحصين

ولم يلاحظوا فزع اليوم
الاكبر فقال المولى سعد
الدين اثبت أيها الملك فانك
منصور بعون مولاك الذي
أعطاك وبالنعم أولاك
فركب السلطان جواده
فطلب من مولاه اسعافه
واسعاده وتضرع الى
مولاه بعدما تحقق ان لا
ناصر له سواه فما مضت
ساعة من النهار الا وقد هب
نسيم الانتصار وارتفع علم
الاسلام وانخفض اعلام
الكفر الى الرغام ولولا لطف
الله بهذه الدولة السعيدة
لتزلزلت قواعدها السديدة
ولكن ردها الله تعالى ردا
جميلا وما جعل عليها
للكافرين سبيلا ولعمري
انها دولة ترف ظلالها
ويظهر اعتمادها لمالفها
من اتباع الشرائع التي هي
الى دخول الجنة أقوى
الذرائع وكان السلطان
أعز أنصاره الرحمن عزل
ابراهيم باشا من الوزارة
العظمى وولى مكانه سنان
باشا ابن جغال فلما رجع الى
دار الملك قسطنطينية المحمية
اعاد الوزارة لابراهيم باشا
واعاده لمحاربة المجر ففتح في
تلك السنة حصن قنجه
واستقام حاله حتى أحبه
العساكر محبة عظيمة واستمر
يجاهد في سبيل الله الى ان
توفاه الله وولى مكانه حسن

جيش مع ابن ذى الكلاع ثمانية آلاف امدهم بهم عبيد الله بن زياد وخرج أصحاب سليمان
فقاتلوهم قتالا لم يكن أشد منه جميع النهار لم يحجز بينهم الا الصلاة فلما أمسوا انحاجزوا وقد كثرت
الجراح فى الفريقين وطاف القصاص على أصحاب سليمان يحرضونهم فلما أصبح اهل الشأم
اتاهم أدهم بن محرز الباهلى فى نحو من عشرة آلاف من ابن زياد فاقتتلوا يوم الجمعة قتالا شديدا
الى ارتفاع الضحى ثم ان أهل الشام كثروهم وتعطفوا عليهم من كل جانب ورأى سليمان مالقى
أصحابه فنزل ونادى عباد الله من أراد البكور الى ربه والتوبة من ذنبه فالىّ ثم كسر جفن سيفه
ونزل معه ناس كثير وكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه فقاتلوهم فقتلوا من أهل الشام مقتلة
عظيمة وجرحوا فيهم فاكثروا الجراح فلما رأى الحصين صبرهم وبأسهم بعث الرجالة ترميهم بالنبل
واكتنفهم الخيل والرجال فقتل سليمان رحمه الله رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع ثم وثب ثم وقع
فلما قتل سليمان أخذ الراية المسيب بن نجبة وترحم على سليمان ثم تقدم فقاتل بها ساعة ثم رجع
ثم حمل فعل ذلك مرارا ثم قتل رضى الله عنه بعد أن قتل رجالا فلما قتل أخذ الراية عبد الله بن
سعد بن نفيل وترحم عليهما ثم قرأ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا وحف به
من كان معه من الازد فبينما هم فى القتال أتاهم فرسان ثلاثة من سعد بن حذيفة يخبرون بمسيره
فى سبعين ومائة من أهل المدائن ويخبرون أيضا بمسير أهل البصرة مع المثنى بن مخربة العبدى
فى ثلثمائة فسر الناس فقال عبد الله بن سعد ذلك لو جاؤنا ونحن احياء فلما نظر الرسل الى
مصارع اخوانهم ساءهم ذلك واسترجعوا وقاتلوا معهم وقتل عبد الله بن سعد بن نفيل قتله
ابن أخى ربيعة بن مخارق وحمل خالد بن سعد بن نفيل على قاتل أخيه فطعنه بالسيف واعتنقه
الآخر فحمل أصحابه عليه فخلصوه بكثرتهم وقتلوا خالدا وبقيت الراية ليس عندها أحد فنادوا
عبد الله بن وال فاذا هو قد اصطلى الحرب فى عصابة معه فحمل رفاعة بن شداد فكشف أهل الشام
عنه فأتى فاخذ الراية وقاتل مليا ثم قال لاصحابه من أراد الحياة التى ليس بعدها موت والراحة
التى ليس بعدها نصب والسرور الذى ليس بعده حزن فليتقرب الى الله بقتال هؤلاء المحلين
الرواح الى الجنة وذلك عند العصر فحمل هو وأصحابه فقتلوا رجالا وكشفوهم ثم ان أهل الشام
تعطفوا عليهم من كل جانب حتى ردوهم الى المكان الذى كانوا فيه وكان مكانهم لا يؤتى الا من
وجه واحد فلما كان المساء تولى قتالهم ادهم بن محرز الباهلى فحمل عليهم فى خيله ورجله
فوصل ابن محرز الى ابن وال وهو يتلو ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية فغاظ ذلك
ادهم بن محرز فحمل عليه فضرب يده فابانها ثم تنحى عنه وقال انى أظنك وددت انك عند اهلك
قال ابن وال بئسما ظننت الله ما أحب ان يدك مكانها الا ان يكون لى من الاجر مثل ما فى يدى
ليعظم وزرك ويعظم اجرى فغاظه ذلك أيضا فحمل عليه وطعنه فقتله وهو مقبل ما يزول وكان
ابن وال من الفقهاء العباد فلما قتل أتوا رفاعة بن شداد البجلى وقالوا لتأخذ الراية فقال ارجعوا
بنا لعل الله يجمعنا ليوم شرهم فقال له عبد الله بن عوف بن الاحمر هلكنا والله لئن انصرفنا
ليركبن اكتافنا فلا نبلغ فرسخا حتى نهلك عن آخرنا وان نجا منا ناج أخذته العرب يتقربون به اليهم
فيقتل صبرا هذه الشمس قد قاربت الغروب فنقاتلهم على خيلنا فاذا غسق الليل ركبنا خيولنا
أول الليل وسرنا حتى نصبح ونسير على مهل ويحمل الرجل صاحبه وجريحه ونعرف الوجه الذى

باشا الشهير بالمشى فى الوزارة العظمى فذهب اسفر الجر فبعد مدة رجع ولم ينتج له حال مع وجود العساكر والابطال وتوفى المرحوم السلطان محمد خان عليه الرحمة والغفران نهار الاحد ثامن عشر رجب سنة اثنى عشرة وألف ومدة ملكه تسع سنين وشهران ويومان وله من العمر ثمان وثلاثون سنة وتولى مكانه بعده ولده

* (السلطان الاسعد والخاقان الامجد السلطان أحمد خان) *

ثبت الله قواعد سلطنته وجعل ملائكة السماء من انصاره واعوانه جلس على سرير الملك نهار الاثنين تاسع عشر رجب سنة اثنى عشرة وألف وهو ثانى يوم وفاة والده ولم يسبق لغيره ان يتسلطن وهو عند والده لان العادة المعروفة والطريقة المسلوكة المألوفة فى ملوك آل عثمان أدام الله دولتهم الى انقضاء الدوران انه اذا كبر ولدهم ولوه السنجق الشريف وأخرجوه من عندهم الى المقام المنيف وكان عمره حين جلوسه على كرسى الملك ما يقرب من خمس عشرة سنة فسار سيرة الاكابر من الملوك وتعجب الناس مما شاهدوه من

نأخذه فقال رفاعة نعم ما رأيت وأخذ الراية وقاتلهم قتالا شديدا ورام أهل الشام اهلا كهم قبل الليل فلم يصلوا الى ذلك لشدة قتالهم وتقدم عبد الله بن عزيز الكنانى فقاتل أهل الشام ومعه ولده محمد وهو صغير فنادى بنى كنانة من أهل الشام وسلم ولده اليهم ليوصلوه الى الكوفة فعرضوا عليه الامان فأبى ثم قاتلهم حتى قتل وتقدم كرب بن يزيد الحميرى عند المساء فى مائة من أصحابه فقاتلهم أشد قتال فعرض عليه وعلى أصحابه ابن ذى الكلاع الحميرى الامان قال قد كنا آمنين فى الدنيا وانما خرجنا نطلب أمان الآخرة فقاتلوهم حتى قتلوا وتقدم صخر بن هلال المزنى فى ثلاثين من مزينة فقاتلوا حتى قتلوا فلما أمسوا رجع اهل الشام الى معسكرهم ونظر رفاعة الى كل رجل قد عقر به فرسه وجرح فدفعه الى قومه ثم سار بالناس ليلته وأصبح الحصين لملتقيهم فلم يرهم فلم يبعث فى آثارهم وساروا حتى أتوا قرقيسيا فعرض عليهم زفر الاقامة فأقاموا ثلاثا فأضافهم ثم زودهم وساروا الى الكوفة ثم أقبل سعد بن حذيفة بن اليمان فى أهل المدائن فبلغ هيت فأتاه الخبر فرجع فلقى المثنى بن مخربة العبدى فى اهل البصرة بصدود فاخبره فأقاموا حتى أتاهم رفاعة فاستقبلوه وبكى بعضهم الى بعض وأقاموا يوما وليلة ثم تفرقوا فسار كل طائفة الى بلدهم ولما بلغ رفاعة الكوفة كان المختار محبوسا فارسل اليه اما بعد فرحبا بالعصبة الذين عظم الله لهم الاجر حين انصرفوا ورضى فعلهم حين قتلوا أما ورب البيت ما خطا خاط منكم خطوة ولا ربا ربوة الا كان ثواب الله له اعظم من الدنيا ان سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله وجعل روحه مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولم يكن بصاحبكم الذى به تنصرون انى أنا الامير المأمور والامين المأمون وقاتل الجبارين والمنتقم من اعداء الدين المقيد من الاوتار فاعدوا واستعدوا وابشروا أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدم اهل البيت والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين والسلام * وكان قتل سليمان ومن معه فى شهر ربيع الآخر ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل سليمان وانهزام أصحابه صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال اما بعد فان الله قد اهلك من رؤس أهل العراق ملقح فتنة ورأس ضلالة سليمان بن صرد ألا وان السيوف تركن رأس المسيب خذاريف وقد قتل الله منهم رأسين عظيمين ضالين مضلين عبد الله بن سعد الازدى وعبد الله بن وال البكرى ولم يبق بعدهم من عنده امتناع وفى هذا نظر فان أباه كان حيا قال اعشى همدان فى ذلك وهى مما يكتم ذلك الزمان

ألم خيال منك يا أم غالب * فحييت عنا من حبيب مجانب
ومازلت فى شجو ومازلت مقصدا * لهم عرانى من فراقك ناصب
فما أنس لا أنس انفتالك فى الضحى * الينا مع البيض الحسان الخراعب
تراءت لنا هيفاء مهضومة الحشا * لطيفة طى الكشح ريا الحقائب
مبتلة غرا رودى بهاتها * كشمس الضحى تنكل بين السحائب
فلما تغشاها السحاب وحوله * بدا حاجب منها وضنت بحاجب
فتلك النوى وهى الجوى لى والمنى * فاحبب بها من خلة لم تصاقب
ولا يبعد الله الشباب وذكره * وحب تصافى المعصرات الكواعب

حسن السلوك حتى كأنه تعلم سير الملوك من عالم الارواح وتكمل فى علمه وفهمه وعدله قبل التصور فى عالم الاشباح أذعنت له رقاب الاكاسرة ودانت لحكمه عرانين القياصرة فهو البدر الكامل فى السلطنة العلية الطالع فى مطالع أربعة عشر من ملوك العثمانية غرائب سلاطين الزمان دون مراتبه ومواكبهم تابعة فى النصر لمواكبه التجؤا الى بابه باذلين للطاعة وخدموه اختيارا منهم بقدر الاستطاعة وراسلوه طلبا للامان وان لم يكن بعضهم من أهل الايمان لازالت سلسلة سلطنته متسلسلة الى سلسلة انتهاء الدوران وارواح اسلافه متنزهة فى الروضة والرضوان وكانت الطغاة والبغاة فى زمانه قاموا واغبر استنشاقهم من غارات بلاد الاسلام راموا فخالطوا طاعة الملك العلام ونبذوا طاعة سلطان الاسلام واستحلوا من دماء المسلمين واعراضهم وأموالهم الحرام وكانوا قد تمكنوا فى بلاد اناطولى وقرمان وتملك بعضهم من ديار العرب الى حدود حوران فاجتمع عندهم من القبائل والشعوب أصناف وضروب

ويزداد ما احببته من عتابنا * لعابا وسقيا للخدين المقارب
فانى وان لم انسهن لذاكر * رويه مخباة كريم المناصب
توسل بالتقوى الى الله صادقا * وتقوى الاله خير تكساب كاسب
وخلى عن الدنيا فلم يلتبس بها * وتاب الى الله الرفيع المراتب
تخلى عن الدنيا وقال طرحتها * فلست اليها ماحييت بآيب
وما أنا فيما يكره الناس فقده * ويسعى له الساعون فيها براغب
توجهه نحو الثوية سائرا * الى ابن زياد فى الجموع الكتائب
بقوم هم وأهل التقية والنهى * مصاليت انجاد سراة مناجب
مضوا تاركى رأى ابن طلحة حسبة * ولم يستجيبوا للامير المخاطب
فساروا وهم مابين ملتمس التقى * وآخر مما جر بالامس تائب
فلاقوا بعين الوردة الجيش ناضلا * اليهم فحسوهم ببيض قواضب
يمانية تذرى الاكف وتارة * بخيل عتاق مقربات سلاهب
فجاءهم جمع من الشام بعده * جموع كموج البحر من كل جانب
فابرحوا حتى أبيدت سراتهم * فلم ينج منهم ثم غير عصائب
وغودر أهل الصبر صرعى فاصبحوا * تعاورهم ريح الصبا والجنائب
فاضحى الخزاعى الرئيس مجدلا * كان لم يقاتل مرة ويحارب
ورأس بنى شمخ وفارس قومه * شنوأة والتيمى هادى الكتائب
وعمرو بن بشر والوليد وخالد * وزيد بن بكر والحليس بن غالب
وضارب من همدان كل مشيع * اذا شد لم ينكل كريم المكاسب
ومن كل قوم قد اصيب زعيمهم * وذا حسب فى ذروة المجد ثاقب
أبوا غير ضرب يفلق الهام وقعه * وطعن باطراف الاسنة صائب
وان سعيدا يوم يدمر عامرا * لاشجع من ليث بدرب مواثب
فيا خير جيش بالعراق وأهله * سقيتم روايا كل أسحم ساكب
فلا يبعدن فرساننا وحماتنا * اذا البيض ابدت عن خدام الكواعب
وماقتلوا حتى اثاروا عصابة * تجلين نورا كالشموس الضوارب

وقيل قتل سليمان ومن معه فى شهر ربيع الآخر (الخزاعى الذى هو فى هذا الشعر هو سليمان ابن صرد الخزاعى ورأس بنى شمخ هو المسيب بن نجبة الفزارى وفارس شنوأة هو عبد الله بن سعد بن نفيل الازدى ازد شنوأة والتيمى هو عبد الله بن وال التيمى من تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل والوليد ابن عصير الكنانى وخالد هو خالد بن سعد بن نفيل أخو عبد الله * نجبة بالنون والجيم والباء الموحدة المفتوحات)

(ذكر بيعة عبد الملك وعبد العزيز ابنى مروان بولاية العهد)

فى هذه السنة أمر مروان بن الحكم بالبيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وكان السبب فى ذلك ان عمرو بن سعيد بن العاص لما هزم مصعب بن الزبير حين وجهه أخوه عبد الله الى فلسطين

بحيث لا يحصيه العد ولا يحصره الحد فشوا على ممالك الاسلام وأرادوا اطفاء نور الايمان من ظلمهم بظلام فادهشوا اسماعها وأمسكوا أهلها ومدوا الى ذخائرها النهب العام بعد ان قتلوا غالب الخواص والعوام فقتلوا الرجال واسروا النساء والاطفال وبعض أهل البلدان الذين أظهروا عدم الطاعة والايمان أمروا بهدمها والاحراق واعدام عينها على الاطلاق ولم يبق على طريقهم من الرعايا ديار ولا نافخ نار وانمحت من الوجود امهات الامصار وشملها البوار واما القرى والقصبات والرساتيق والمزدرعات فاكثر من ان تحصر وتضبط بحساب دفتر فابيد كله وأبير فالحكم لله العلى الكبير فانمحت مراسم نقوشها فهى خاوية على عروشها وانقطعت الطرقات مدة فلم يسلك الى بلاد الروم فيها نفس واحدة واما مافعله على باشا ابن جانبولاد فى الشام من النهب العام وتخريب البلاد فانه لما ولى نيابة حلب جمع كل شقى من القبائل والعشائر مقدار ما رام وطلب وتوجه الى الديار الشامية ليأخذ ثاره

رجع الى مروان وهو بدمشق قد غلب على الشام ومصر فبلغ مروان ان عمرا يقول ان الامر لى بعد مروان فدعا مروان حسان بن ثابت بن بحدل فاخبره انه يريد ان يبايع لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وأخبره بما بلغه عن عمرو فقال انا أكفيك عمرا فلما اجتمع الناس عند مروان عشيا قام حسان فقال انه قد بلغنا ان رجالا يتمنون امانى قوموا فبايعوا لعبد الملك وعبد العزيز من بعده فبايعوا عن آخرهم

(ذكر بعث ابن زياد وحبيش)

فى هذه السنة سير مروان بن الحكم بعثين أحدهما مع عبيد الله بن زياد الى الجزيرة ومحاربة زفر ابن الحرث بقرقيسيا واستعمله على كل ما يفتحه فاذا فرغ من الجزيرة توجه لقصد العراق وأخذه من ابن الزبير فلما كان بالجزيرة بلغه موت مروان وأتاه كتاب عبد الملك بن مروان يستعمله على ما استعمله عليه أبوه ويحثه على المسير الى العراق والبعث الآخر الى المدينة مع حبيش بن دلجة القينى فسار بهم حتى انتهى الى المدينة وعليها جابر بن الاسود بن عوف ابن أخى عبد الرحمن بن عوف من قبل ابن الزبير فهرب منه جابر ثم ان الحرث بن أبى ربيعة وهو أخو عمرو بن أبى ربيعة وجه جيشا من البصرة وكان واليا عليها لابن الزبير وجعل عليهم الحنيف بن السجف التميمى لحرب حبيش فلما سمع بهم حبيش سار اليهم من المدينة وأرسل عبد الله بن الزبير العباس بن سهل بن سعد الساعدى الى المدينة أميرا وأمره ان يسير فى طلب حبيش حتى يوافى الجند من أهل البصرة الذين عليهم الحنيف فأقبل عباس فى آثارهم حتى لحقهم بالربذة فقاتلهم حبيش فرماه يزيد بن سنان بسهم فقتله وكان معه يومئذ يوسف بن الحكم وابنه الحجاج وهما على جمل واحد وانهزم أصحابه فتحرز منهم خمسمائة بالمدينة فقال العباس بن سهل انزلوا على حكمى فنزلوا فقتلهم ورجع فل حبيش الى الشام ولما دخل يزيد بن سنان المدينة كان عليه ثياب بيض فاسودت مما مسحه الناس ومما صبوا عليه من الطيب

(ذكر موت مروان بن الحكم وولاية ابنه عبد الملك)

فى شهر رمضان من هذه السنة مات مروان بن الحكم وكان سبب موته ان معاوية بن يزيد لما حضرته الوفاة لم يستخلف احدا وكان حسان بن بحدل يريد ان يجعل الامر من بعده فى أخيه خالد بن يزيد وكان صغيرا وحسان خال ابيه يزيد فبايع حسان مروان بن الحكم وهو يريد ان يجعل الامر بعده لخالد فلما بايعه هو وأهل الشام قيل لمروان تزوج أم خالد وهى بنت ابى هاشم ابن عتبة حتى يصغر شأنه فلا يطلب الخلافة فتزوجها فدخل خالد يوما على مروان وعنده جماعة وهو يمشى بين صفين فقال مروان والله انك لاحمق فقال يا ابن الرطبة الاست تقصر به ليسقطه من اعين أهل الشام فرجع خالد الى امه فاخبرها فقالت له لا يعلمن ذلك منك الا انا انا أكفيكه فدخل عليها مروان فقال لها هل قال لك خالد فى شيأ قالت لا انه اشد لك تعظيما من ان يقول فيك شيأ فصدقها ومكث اياما ثم ان مروان نام عندها يوما فغطته بوسادة حتى قتلته فمات بدمشق وهو ابن ثلاث وستين سنة وقيل احدى وستين واراد عبد الملك قتل أم خالد فقيل له يظهر عند الخلق ان امرأة قتلت اباك فتركها ولما توفى مروان قام بامر الشام بعده ابنه عبد الملك وكان بمصر ابنه عبد العزيز بطاعة أخيه عبد الملك وكان عبد الملك ولد لسبعة أشهر فكان

الناس

من جماعة الينكجرية فلما بلغهم ذلك استقبلوه الى مدينة حماه ومعهم محمد باشا الطواشى نائب الشام وعامة الجيوش من العساكر فالتقى الجمعان وتلاطم البحران فما كان غير ساعة حتى دهمهم خلق ليس بهم لمقاومتهم طاقة فولوا على أدبارهم منهزمين وقالوا الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين فغنم الاشقياء اموالهم وأرزاقهم وخيمهم ودوابهم وكانت ساعة الله بها عليم مما شاهدوه من العذاب الاليم واستمر ابن جانبولاد فى أثرهم حتى وصل الى حدود الشام فاستقبله الامير فخر الدين بن معن بمن معه من الدروز وطائفة السكمانية فوصل الى البقاع وأناخ هنالك مدة وجعل يراسل طائفة الينكجرية وهم لا يتحركون بحركة فجعل يقدم رجلا ويؤخر أخرى حتى قوى قلبه بعض الاشقياء فنهض نهضة أنام منها الانام وقام قومة أقام بها ساعات القيام فتوجه نحو مدينة الشام فلما بلغ العساكر الشامية ذلك خرجوا الى أرض العراق ومعهم من العشائر والقبائل والعربان وعامة الرعايا ومشايخ البلدان بحيث لا يحصيهم الا الملك

الناس يذمونه لذلك قيل انه اجتمع عنده قوم من الاشرف فقال لعبيد الله بن زياد بن ظبيان
البكرى بلغنى انك لا تشبه اباك فقال بلى والله انى لاشبه به من الماء بالماء والفرات بالفرات
ولكن ان شئت اخبرتك بمن لم تنضجه الارحام ولم يولد بالتمام ولم يشبه الاخوال والاعمام
قال من ذاك قال سويد بن منجوف فلما خرج عبيد الله وسويد قال له سويد ماسرنى بمقالتك له حمر
النعم فقال عبيد الله وما سرنى والله باحتمالك اياى وسكوتك سودها

(ذكر صفته ونسبه واخباره)

هو مروان بن الحكم بن ابى العاص بن أمية بن عبد شمس وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان
ابن أمية من كنانة وكان مولده سنة اثنتين من الهجرة وكان أبوه قد اسلم عام الفتح ونفاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف لانه يتجسس عليه ورآه النبى صلى الله عليه وسلم يوما يمشى
ويتخلج فى مشيه كأنه يحكيه فقال له كن كذلك فما زال كذلك حتى مات ولما توفى رسول
الله صلى الله عليه وسلم كلم عثمان ابا بكر فى رده لانه عمه فلم يفعل فلما توفى أبو بكر وولى عمر
كلمه أيضا فى رده فلم يفعل فلما ولى عثمان رده وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنى ان
يرده الى المدينة فكان ذلك مما انكر الناس عليه وتوفى فى خلافة عثمان فصلى عليه وقد رويت
اخبار كثيرة فى لعنه ولعن من فى صلبه رواها الحافظ وفى اسانيدها كلام وكان مروان قصيرا
أحمر أوقص يكنى ابا الحكم وابا عبد الملك واعتق فى يوم واحد مائة رقبة وولى المدينة لمعاوية
مرات فكان اذا ولى يبالغ فى سب على واذا عزل وولى سعيد بن العاص كف عنه فسئل عنه محمد
ابن على الباقر وعن سعيد فقال كان مروان خيرا لنا فى السر وسعيد خيرا لنا فى العلانية وقد
أخرج حديث مروان فى الصحيح وكان الحسن والحسين يصليان خلفه ولا يعيدان الصلاة
وهو اول من قدم الخطبة فى صلاة العيد قبل الصلاة ولما مات بويع لولده عبد الملك بن مروان
فى اليوم الذى مات فيه وكان يقال له ولولده بنو الزرقاء يقول ذلك من يريد ذمهم وعيبهم وهى
الزرقاء بنت موهب جدة مروان بن الحكم لابيه وكانت من ذوات الرايات التى يستدل بها على
ثبوت البغاء فلهذا كانوا يذمون بها ولعل هذا كان منها قبل ان يتزوجها ابو العاص بن أمية
والد الحكم فانه كان من اشراف قريش ولا يكون هذا من امرأة له وهى عنده والله أعلم (حبيش
ابن دلجة بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة المفتوحة ثم الياء المثناة من تحت وآخره شين
معجمة ودلجة بفتح الدال واللام)

(ذكر مقتل نافع بن الازرق)

فى هذه السنة اشتدت شوكة نافع بن الازرق وهو الذى ينتسب اليه الازارقة من الخوارج
وكان سبب قوته اشتغال أهل البصرة واختلافهم بسبب مسعود بن عمرو وقتله وكثرت جموعه
واقبل نحو الجسر فبعث اليه عبد الله بن الحرث مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة فخرج اليه
فدفعه عن ارض البصرة حتى بلغ دولاب من ارض الاهواز فاقتتلوا هنالك وجعل مسلم بن عبيس
على ميمنته الحجاج بن باب الحميرى وعلى ميسرته حارثة بن بدر الغدانى وجعل ابن الازرق على
ميمنته عبيدة بن هلال وعلى ميسرته الزبير بن الماحوز التميمى واشتد قتالهم فقتل مسلم أمير
اهل البصرة وقتل نافع بن الازرق امير الخوارج فى جمادى الآخرة فأمر اهل البصرة عليهم

الديان فلما كان نهار
الاحد ثامن عشرى جمادى
الاولى اجتمع الفريقان
وامتزج البحران فما كان
غير ساعة من نهار حتى رأوا
ان لا طاقة لهم على القرار
ولم يكن لهم الا الفرار فتفرق
عنهم القبائل والعشائر
ورجع الى المدينة بعض
العساكر والغالب منهم
توجهوا نحو البلاد فوصل
ابن جانبولاد بمن معه الى
خيمهم واستولوا على
أموالهم وارزاقهم ونصب
خيمه بارض قرية المزة فلما
رأى أهل دمشق ما حل بهم
من البوار ودخل القلعة
نائبها محمد باشا الطواشى
فارا تحصن أسوار المدينة
واغلق أبوابها وعين ما يكفيه
من الرجال لحفظها وحراستها
وكان قاضيها بدر الموالى
وصدر العلماء الاعالى ابراهيم
افندى وصحبته أمير
الامراء الكرام حسن باشا
ومحمد باشا بن منصك
اليوسفى فكانوا يطوفون
داخل السور ويتفقدون
ليلا ونهارا الذى يحفظهم
من أمور فهجم جيش الاشقياء
فنهبوا محلة القبيبات
والميدان وسويقة المحروقة
الى ان وصلوا سوق ساروجا
ومحلة السودان حتى وصلوا
الى الصالحية فما ابقوا
شيأ لا صحابها فارسل ابن

الحجاج بن باب الحميرى وامرت الخوارج عبد الله بن الماحوز التميمى واقتتلوا فقتل عبد الله
والحجاج فامر اهل البصرة عليهم ربيعة بن الاجذم التميمى وامرت الخوارج عبيد الله بن
الماحوز التميمى ثم عادوا فاقتتلوا حتى امسوا وقد كره بعضهم بعضا وملوا القتال فبيناهم كذلك
متواقفون متحاجزون اذ جاءت الخوارج سرية مستريحة لم تشهد القتال فحملت على الناس
من ناحية عبد القيس فانهزم الناس وقتل أمير اهل البصرة ربيعة بعد ان قتل أيضا دغفل بن
حنظلة الشيبانى النسابة وأخذ الراية حارثة بن زيد فقاتل ساعة وقد ذهب الناس عنه فقاتل
وحمى الناس ومعه جماعة من أهل البصرة ثم اقبل حتى نزل بالاهواز وبلغ ذلك اهل البصرة
فافزعهم وبعث عبد الله بن الزبير الحرث بن ابى ربيعة وعزل عبد الله بن الحرث فاقبلت
الخوارج نحو البصرة

(ذكر محاربة المهلب الخوارج)

لما قربت الخوارج من البصرة أتى اهلها الاحنف بن قيس وسألوه ان يتولى حربهم فاشار
بالمهلب بن أبى صفرة لما يعلم فيه من الشجاعة والرأى والمعرفة بالحرب وكان قد قدم من عند ابن
الزبير وقد ولاه خراسان فقال الاحنف ماله هذا الامر غير المهلب فخرج اليه اشراف اهل
البصرة فكلموه فابى فكلمه الحرث بن ابى ربيعة فاعتذر بعهده على خراسان فوضع الحرث
واهل البصرة كتابا اليه عن ابن الزبير يامره بقتال الخوارج واتوه بالكتاب فلما قرأه قال والله
لا اسير اليهم الا ان تجعلوا لى ما غلبت عليه وتقطعونى من بيت المال ما اقوى به من معى فاجابوه
الى ذلك وكتبوا له به كتابا وارسلوا الى ابن الزبير فامضاه فاختار المهلب من اهل البصرة ممن
يعرف نجدته وشجاعته اثنى عشر الفا منهم محمد بن واسع وعبد الله بن رباح الانصارى ومعاويه
ابن قرة المزنى وأبو عمران الجونى وخرج المهلب الى الخوارج وهم عند الجسر الاصغر فحاربهم
وهو فى وجوه الناس واشرافهم فدفعهم عن الجسر ولم يكن بقى الا ان يدخلوا فارتفعوا الى
الجسر الاكبر فسار اليهم فى الخيل والرجال فلما رأوه وقد قاربهم ارتفعوا فوق ذلك ولما بلغ
حارثة بن زيد تأمير المهلب على قتال الازارقة قال لمن معه من الناس كربوا ودلبوا حيث شئتم
فاذهبوا واقبل بمن معه نحو البصرة فرده الحرث بن ابى ربيعة الى المهلب وركب حارثة فى سفينة
فى نهر دجيل يريد البصرة فاتاه رجل من تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه فصاح التميمى
بحارثة يستغيث به ليحمله معه فقرب السفينة الى شاطئ النهر وهو جرف فوثب التميمى اليها
فغاصت بجميع من فيها فغرقوا واما المهلب فانه سار حتى نزل بالخوارج وهم بنهر تيرى فتنحوا
عنه الى الاهواز فسير المهلب الى عسكرهم الجواسيس تأتيه باخبارهم فلما اتاه خبرهم سار
نحوهم واستخلف اخاه المعارك بن ابى صفرة على نهر تيرى فلما وصل الاهواز قاتلت الخوارج
مقدمته وعليهم ابنه المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة فجال اصحابه ثم عادوا فلما رأى الخوارج
صبرهم ساروا عن سوق الاهواز الى مناذر فسار يريدهم فلما قاربهم سير الخوارج جمعا عليهم
واقد مولى ابى صفرة الى نهر تيرى وبها المعارك فقتلوه وصلبوه وبلغ الخبر الى المهلب فسير ابنه
المغيرة الى نهر تيرى فانزل عمه المعارك ودفنه وسكن الناس واستخلف بها جماعة وعاد الى أبيه وقد
نزل سولاف وكان المهلب شديد الاحتياط والحذر لا ينزل الا فى خندق وهو على تعبية ويتولى

جانبولاد يطلب من اهلها
مائتين وخمسين الف غرش
حتى يرحل عنهم فاجتمع به
حسن باشا ولم يزل يتلطف
معه فى الكلام حتى ارضاه
بمائة وعشرين الف غرش
وكان يوسف باشا ابن سيفا
اذ ذاك بدمشق وكان
مقصوده ان يأخذ أهله
ويرحل تلك الليلة الى بلاده
فاجتمع به بدر الموالى ابراهيم
أفندى والاعيان ومنعوه
من السفر ما لم يعط ما هو
المراد فاعطاهم ذلك ورحل
ليلته نحو حصن الاكراد
فلما قبض المبلغ المذكور
ابن جانبولاد رحل من
ساعته مع من معه من
الرجال وكفى الله المؤمنين
القتال ولما حصل لبلاد
الاسلام هذه الوعكة
واندعكت اجسام رعاياها
أقوى دعكة بلغ ذلك
سلطان الاسلام ممن يثق به
من الخواص والعوام وأمر
عبده المقتدر بالقدرة الربانية
وزيره الاعظم الاعز بالعزة
السبحانية القائم بخدمة
العباد بطريق النصيحة
والسداد المشير بأنه أمير
البلاد وغفير العباد الباشا
مراد لازالت آيات جلاله
فى صحائف الايام مسطورة
ورايات اقباله فى صناجق
الاعلام منشورة وعين معه
من العساكر عددا كالرمال

الحرس بنفسه فلما نازل الخوارج بسولاف ركبوا ووقفوا له واقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان ثم حملت الخوارج حملة صادقة على المهلب واصحابه فانهزموا وقتل منهم وثبت المهلب وابلى ابنه المغيرة يومئذ بلاء حسنا ظهر فيه اثره ونادى المهلب اصحابه فعادوا اليه معهم جمع كثير نحو اربعة آلاف فارس فلما كان الغد اراد القتال بمن معه فنهاه بعض اصحابه لضعفهم وكثرة الجراح فيهم فترك القتال وسار وقطع دجيل ونزل بالعاقول وهو لا يؤتى الا من جهة واحدة وفي يوم سولاف يقول ابن قيس الرقيات

الا طرقت من آل مية طارقه * على انها معشوقة الدل عاشقه
تبيت وارض السوس بيني وبينها * وسولاف رستاق حمته الازارقه
اذا نحن شئنا صادفتنا عصابة * حرورية اضحت من الدين مارقه
اجادت الينا العسكرين كليهما * فباتت لنا دون اللحاف معانقه

وقال فيه بعض الخوارج

وكائن تركنا يوم سولاف منهم * اسارى وقتلى في الجحيم مصيرها

واكثر الشعراء فيه فلما وصل المهلب الى العاقول نزل فيه واقام ثلاثة ايام ثم ارتحل وسار نحو الخوارج وهم بسلى وسلبرى فنزل قريبا منهم وكان كثيرا ما يفعل اشياء يحدث بها الناس لينشطوا الى القتال فلا يرون لها اثرا حتى قال الشاعر

انت الفتى كل الفتى * لو كنت تصدق ما تقول

وسماه بعضهم الكذاب وبعض الناس يظن انه كذاب في كل حال وليس كذلك انما كان يفعل ذلك مكايدة للعدو فلما نزل المهلب قريبا من الخوارج وخندق عليه وضع المسالح وأذكى العيون والحرس والناس على راياتهم ومواقفهم وأبواب الخندق محفوظة فكان الخوارج اذا أرادوا بياته وغرته وجدوا أمرا محكما فرجعوا فلم يقاتلهم انسان كان أشد عليهم منه ثم ان الخوارج ارسلوا عبيدة بن هلال والزبير بن الماحوز في عسكر ليلا الى عسكر المهلب ليبيتوه فصاحوا بالناس عن يمينهم ويسارهم فوجدوهم على تعبية قد حذروا فلم ينالوا منهم شيأ وأصبح المهلب فخرج اليهم في تعبية وجعل الازد وتميما ميمنة وبكر بن وائل وعبد القيس ميسرة وأهل العالية في القلب وخرجت الخوارج وعلى ميمنتهم عبيدة بن هلال اليشكرى وعلى ميسرتهم الزبير بن الماحوز وكانوا أحسن عدة وأكرم خيلا من أهل البصرة لانهم مخروا الارض وجردوا ما بين كرمان الى الاهواز فالتقى الناس واقتتلوا أشد قتال وصبر الفريقان عامة النهار ثم ان الخوارج شدت على الناس شدة منكرة فاجفلوا وانهزموا لا يلوى أحد على احد حتى بلغت الهزيمة البصرة وخاف أهلها السباء واسرع المهلب حتى سبق المنهزمين الى مكان مرتفع ثم نادى الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثة آلاف اكثرهم من قومه من الازد فلما رآهم رضى عدتهم فخطبهم وحثهم على القتال ووعدهم النصر وأمرهم ان يأخذ كل رجل منهم عشرة احجار وقال سيروا بنا نحو عسكرهم فانهم الآن آمنون وقد خرجت خيلهم في طلب اخوانكم فوالله انى لارجوان لا يرجع اليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكرهم وتقتلوا اميرهم فاجابوه فاقبل بهم راجعا فما شعرت الخوارج الا والمهلب يقاتلهم في جانب عسكرهم فلقيهم عبد الله بن الماحوز

ومددا كالجبال ومعه من الآلات النارية والمدافع الرعدية كجبال النيران الحامية وجنود كالبحار الطامية فلما تكاملت الآلات والاسباب المتعلقة بالقتال نهض من مدينة اسكدار بعسكر كثير وجيش كبير وعزم صارم ورأى حازم في اسعد أوقات الحركات متوكلا على فائض الخير والبركات بنية اصلاح البلاد وقمع أهل الضلال والفساد نحو مدينة حلب الشهباء لما بلغه ان على باشا ابن جانبولاد الهب قلوب الخلق لهبا فسار نحوه فلما نزل في مرحلة الاوضع العساكر بين يدي مخيمه رؤسا كالتلال واسراء بعضهم على بعض كالجبال والاشقياء متباعدون عنه وهو لا يلتفت الى وجودهم واستمر الحال على هذا المنوال حتى وصل الى مدينة اذنة فبلغه ان ابن جانبولاد بعد ان وضع اثقاله بقلعة حلب وحصن أسوار البلد لئلا يصيبه النكد تأهب الى ملاقاة العساكر وأرسل جندا من أجناده لتحصين جبل بقراص ليمنعوا العساكر من المرور فلما رحل الوزير المذكور شكر الله سعيه المشكور من مدينة اذنة اعرض عن

والخوارج فرماهم أصحاب المهلب بالاحجار حتى اثخنوهم ثم طعنوهم بالرماح وضربوهم
بالسيوف فاقتتلوا ساعة فقتل عبد الله بن الماحوز وكثير من أصحابه وغنم المهلب عسكرهم
واقبل من كان فى طلب اهل البصرة راجعا وقد وضع المهلب لهم خيلا ورجالا تختطفهم
وتقتلهم وانكفؤا راجعين مذلولين مغلولين فارتفعوا الى كرمان وجانب اصبهان وقال بعض
الخوارج لما رأى قتال أصحاب المهلب بالحجارة

اتانا بأحجار ليقتلنا بها * وهل تقتل الاقران ويحك بالحجر

ولما فرغ المهلب منهم اقام مكانه حتى قدم مصعب بن الزبير على البصرة أميرا وعزل الحرث بن
ابى ربيعة وفى هذا اليوم يقول الصلتان العبدى

بسلى وسلبرا مصارع فتية * كرام وقتلى لم توسد خدودها

فلما قتل عبد الله بن الماحوز استخلف الخوارج الزبير بن الماحوز وكتب المهلب الى الحرث
ابن ابى ربيعة يعرفه ظفره فارسل الحرث الكتاب الى ابن الزبير بمكة ليقرأه على الناس هنالك
وكتب الحرث الى المهلب اما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه نصر الله وظفر المسلمين فهنيأ لك
يا أخا الازد شرف الدنيا وعزها وثواب الآخرة وفضلها فلما قرأ المهلب كتابه ضحك وقال اما
يعرفنى الا بأخى الازد ما هو الا اعرابى جاف وقيل ان عثمان بن عبيد الله بن معمر قاتل
الخوارج ونافع بن الازرق قبل مسلم فقتل عثمان وانهزم اصحابه بعد ان قتل من الخوارج خلق
كثير فسير اليهم من البصرة بعده حارثة بن زيد العبدانى فلما رآهم عرف انه لا طاقة له بهم فقال
لاصحابه كربنوا ودولبوا كيف شئتم فاذهبوا يعنى ما شئتم ثم سار بعده مسلم بن عبيس وقيل
ان المهلب لما دفع الخوارج من البصرة الى ناحية الاهواز اقام بقية سنته يجبى كور دجلة
ورزق أصحابه واتاه المدد من البصرة حتى بلغ أصحابه ثلاثين الفا فعلى هذا يكون هزيمة
الخوارج سنة ست وستين

(ذكر نجدة بن عامر الحنفى)

هو نجدة بن عامر بن عبد الله بن ساد بن المفرج الحنفى كان مع نافع بن الازرق ففارقه لاحداثه
فى مذهبه ما تقدم ذكره وسار الى اليمامة ودعا أبو طالوت الى نفسه فمضى الى الخضارم فنهبها
وكانت لبنى حنيفة فاخذها منهم معاوية بن أبى سفيان فجعل فيها من الرقيق ما عدتهم وعدة
ابنائهم ونسائهم اربعة آلاف فغنم ذلك وقسمه بين أصحابه وذلك سنة خمس وستين فكثر جمعه
ثم ان عيرا خرجت من البحرين وقيل من البصرة تحمل مالا وغيره يراد بها ابن الزبير فاعترضها
نجدة فأخذها وساقها حتى اتى بها ابا طالوت بالخضارم فقسمها بين اصحابه وقال اقتسموا هذا
المال وردوا هؤلاء العبيد واجعلوهم يعملون الارض لكم فان ذلك انفع فاقتسموا المال
وقالوا نجدة خير لنا من ابى طالوت فخلعوا ابا طالوت وبايعوا نجدة وبايعه ابو طالوت وذلك فى
سنة ست وستين ونجدة يومئذ ابن ثلاثين سنة ثم سار فى جمع الى بنى كعب بن ربيعة بن عامر بن
صعصعة فلقيهم بذى المجاز فهزمهم وقتلهم قتلا ذريعا وصبر كلاب وعطيف ابنا قرة بن هبيرة
القشيريان وقاتلا حتى قتلا وانهزم قيس بن الرقاد الجعدى فلحقه أخوه لابيه معاوية فسأله
ان يحمله ردفا فلم يفعل ورجع نجدة الى اليمامة فكثر اصحابه فصاروا ثلاثة آلاف ثم سار نجدة

الى

السلوك على بقراص وتوجه
نحو جبل قازقاشمرا ابن
جانبولاد الا والجيوش قد
أحاطت بالجنود كاحاطة
الاساور بالزنود وكان الحرب
والقتال نهار الثلاثاء
ثالث رجب سنة ست عشرة
وألف بارض مرج دابق
من أعمال قنسرين وكان
من الجانبين عسكر ضخم
كثير لا يعدون وجيش كبير
عرمرم لا يعدون واقتتل
الفريقان وامتزج البحران
وتصاول الاسود واختلط
الاعلام والبنود وارتجت
السماء بالعجاج والارض
بالفجاج والوزير المكرم
كالسيف الصارم والشجاع
الحازم قد أطال السجود
ومرغ وجهه على التراب
وهو يبكى ويتضرع ويطلب
النصر من الملك الوهاب
واستمر الحرب الى آخر
النهار فانتصرت العساكر
الاسلامية المحمدية
والجيوش الاحمدية فلم يبق
لابن جانبولاد مجال للقرار
فصوب عنان فرسه للفرار
فجعل الجيوش العثمانية
يطردونهم ويقتلونهم
ويأسرونهم فقتلوا من
عسكره ما تفرست المناوز
بجيشهم وأبدانهم وجرت
الشعاب والاودية بدمائهم
فوصلوا الى خيمهم واستولوا
على اموالهم وخيولهم

الى البحرين سنة سبع وستين فقالت الازد نجدة احب الينا من ولاتنا لانه ينكر الجور وولاتنا يجوزونه فعزموا على مسالمته واجتمعت عبد القيس ومن بالبحرين غير الازد على محاربته فقال بعض الازد نجدة اقرب اليكم منه الينا لانكم كلكم من ربيعة فلا تحاربوه وقال بعضهم لاندع نجدة وهو حرورى مارق تجرى علينا احكامه فالتقوا بالقطيف فانهزمت عبد القيس وقتل منهم جمع كثير وسبى نجدة من قدر عليه من اهل القطيف فقال الشاعر

نصحت لعبد القيس يوم قطيفها * وما نفع نصح قيل لا يتقبل

واقام نجدة بالقطيف ووجه ابنه المطرح فى جمع الى المنهزمين من عبد القيس فقاتلوه بالثوير فقتل المطرح بن نجدة وجماعة من اصحابه وارسل نجدة سرية الى الخط فظفر بأهله واقام نجدة بالبحرين فلما قدم مصعب بن الزبير الى البصرة سنة تسع وستين بعث اليه عبد الله بن عمير الليثى الاعور فى اربعة عشر الفا فجعل يقول اثبت نجدة فانا لانفر فقدم ونجدة بالقطيف فاتى نجدة عسكر ابن عمير وهو غافل فقاتلهم طويلا وافترقوا واصبح ابن عمير فهاله ما رأى فى عسكره من القتلى والجرحى وحمل عليهم نجدة فلم يلبثوا ان انهزموا فلم يبق عليهم نجدة وغنم ما فى عسكرهم واصاب جوارى فيهن ام ولد لابن عمير فعرض عليها ان يرسلها الى مولاها فقالت لا حاجة لى الى من فرعنى وتركنى وبعث نجدة ايضا بعد هزيمة ابن عمير جيشا الى عمان واستعمل عليهم عطية بن الاسود الحنفى وقد غلب عليها عباد بن عبد الله وهو شيخ كبير وابناه سعيد وسليمان يعشران السفن ويجبيان البلاد فلما اتاهم عطية قاتلوه فقتل عباد واستولى عطية على البلاد فاقام بها اشهرا ثم خرج منها واستخلف رجلا يكنى أبا القاسم فقتله سعيد وسليمان ابنا عباد واهل عمان ثم خالف عطية نجدة على ما نذكره ان شاء الله فعاد الى عمان فلم يقدر عليها فركب فى البحر واتى كرمان وضرب بها دراهم سماها العطوية واقام بكرمان فارسل اليه المهلب جيشا فهرب الى سجستان ثم الى السند فلقيه خيل المهلب بقندابيل فقتلته وقيل قتله الخوارج ثم بعث نجدة الى البوادى بعد هزيمة ابن عمير أيضا من يأخذ من أهلها الصدقة فقاتل اصحابه بنى تميم بكاظمة واعان أهل طويلع بنى تميم فقتلوا من الخوارج رجلا فارسل نجدة الى أهل طويلع من اغار عليهم وقتل منهم نيفا وثلاثين رجلا وسبى ثم انه دعاهم بعد ذلك فاجابوه فاخذ منهم الصدقة ثم سار نجدة الى صنعاء فى خف من الجيش فبايعه اهلها وظنوا ان وراءه جيشا كثيرا فلما لم يروا مددا يأتيه ندموا على بيعته وبلغه ذلك فقال ان شئتم اقلتكم بيعتكم وجعلتكم فى حل منها وقاتلتكم فقالوا لا نستقيل بيعتنا فبعث الى مخاليفها فاخذ منهم الصدقة وبعث نجدة ابا فديك الى حضرموت فجبى صدقات أهلها وحج نجدة سنة ثمان وستين وقيل سنة تسع وستين وهو فى ثمانمائة وستين رجلا وقيل فى الفى رجل وستمائة رجل وصالح ابن الزبير على ان يصلى كل واحد باصحابه ويقف بهم ويكف بعضهم عن بعض فلما صدر نجدة عن الحج سار الى المدينة فتأهب أهلها لقتاله وتقلد عبد الله بن عمر سيفا فلما كان نجدة بنخل اخبر بلبس ابن عمر السلاح فرجع الى الطائف واصاب بنتا لعبد الله بن عمرو بن عثمان كانت عند ظئر لها فضمها اليه فقال بعض اصحابه ان نجدة ليتعصب لهذه الجارية فامتحنوه فسأله بعضهم بيعها منه فقال قد اعتقت نصيبى منها فهى حرة قال فزوجنى اياها قال هى بالغ وهى املك بنفسها فانا استأمرها

واما ما كان من أمر ابن جانبولاد فانه فى بحر الحيرة سبح وعمل بقول من نجا برأسه فقد ربح فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها وأخذ من الاموال ما استخف حملها وتوجه الى بلاد الروم فالتجا الى العتبة العلية السلطانية فارسل يقول انه رجع وتاب عما فعله وقال أنا عبد من عبيد هذا الباب فقال السلطان عفا الله عما سلف ولو كان ذنبه يستحق به الخنق والتلف فولاه نيابة مدينة دمشوار من اعمال روم ايلى وفى نهار السبت سابع رجب دخل الوزير مدينة حلب وتسلم قلعتها من غير نكد ولا تعب واستولى على ما ادخره ابن جانبولاد من الذخائر ونفائس الاموال التى جمعها من العباد وأقام بها الى ان بلغه ان الشقى قره سعيد ومن معه من كل طريد وعنيد عليهم مقامع من حديد يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد عازمين على لقائه متع الله المسلمين ببقائه بمحاربة جيوش الموحدين فتوجه الى لقائهم فى سابع عشر شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة وتلاقيا نهار الثلاثاء ثالث عشر ربيع الآخر بأرض

فقام من مجلسه ثم عاد فقال قد استأمرتها فكرهت الزواج فقيل ان عبد الملك او عبد الله بن الزبير كتب اليه والله لئن احدثت فيها حدثا لاطأن بلادك وطأة لا يبقى معها بكرى وكتب نجدة الى ابن عمر يسأله عن اشياء فقال سلوا ابن عباس فسالوه ومساءلة ابن عباس مشهورة ولما سار نجدة من الطائف اتاه عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى فبايعه عن قومه ولم يدخل نجدة الطائف ولما قدم الحجاج الطائف لمحاربة ابن الزبير قال لعاصم ياذا الوجهين بايعت نجدة قال اى والله وذو عشرة اوجه اعطيت نجدة الرضا ودفعته عن قومى و بلدى واستعمل الحاروق وهو حراق على الطائف وتبالة والسراة واستعمل سعد الطلائع على ما يلى نجران ورجع نجدة الى البحرين فقطع الميرة عن اهل الحرمين منها ومن اليمامة فكتب اليه ابن عباس ان ثمامة بن اثال لما اسلم قطع الميرة عن اهل مكة وهم مشركون فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل مكة اهل الله فلا تمنعهم الميرة فجعلها لهم وانك قطعت الميرة عنا ونحن مسلمون فجعلها نجدة لهم ولم يزل عمال نجدة على النواحى حتى اختلف عليه أصحابه فطمع فيهم الناس فاما الحاروق فطالبوه بالطائف فهرب فلما كان فى العقبة فى طريقه لحقه قوم يطلبونه فرموه بالحجارة حتى قتلوه

(ذكر الاختلاف على نجدة وقتله وولاية ابى فديك)

ثم ان اصحاب نجدة اختلفوا عليه لاسباب نقموها منه فمنها ان أبا سنان حيا بن وائل أشار على نجدة بقتل من أجابه تقية فشتمه نجدة فهم بالفتك به فقال له نجدة كلف الله أحدا علم الغيب قال لا قال فانما علينا ان نحكم بالظاهر فرجع أبو سنان الى نجدة ومنها ان عطية بن الاسود خالف على نجدة وسببه ان نجدة سير سرية بحرا وسرية برا فاعطى سرية البحر اكثر من سرية البر فنازعه عطية حتى اغضبه فشتمه نجدة فغضب عليه والب الناس عليه وكلم نجدة فى رجل يشرب الخمر فى عسكره فقال هو رجل شديد النكاية على العدو وقد استنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمشركين وكتب عبد الملك الى نجدة يدعوه الى طاعته ويوليه اليمامة ويهدر له ما أصاب من الاموال والدماء فطعن عليه عطية وقال ما كاتبه عبد الملك حتى علم منه دهانا فى الدين وفارقه الى عمان ومنها ان قوما فارقوا نجدة واستتابوه فحلف ان لا يعود ثم ندموا على استتابته وتفرقوا ونقموا عليه أشياء أخر فخالف عليه عامة من معه وانحازوا عنه وولوا امرهم ابا فديك عبد الله ابن ثور احد بنى قيس بن ثعلبة واستخفى نجدة فارسل أبو فديك فى طلبه جماعة من اصحابه وقال ان ظفرتم به فجيئونى به وقيل لابى فديك ان لم تقتل نجدة تفرق الناس عنك فالح فى طلبه وكان نجدة مستخفيا فى قرية من قرى هجر وكان للقوم الذين اختفى عندهم جارية يخالف اليها راع لهم فاخذت الجارية من طيب كان مع نجدة فسألها الراعى عن أمر الطيب فاخبرته فاخبر الراعى اصحاب أبى فديك بنجدة فطلبوه فنذر بهم فاتى اخواله من بنى تميم فاستخفى عندهم ثم أراد المسير الى عبد الملك فاتى بيته ليعهد الى زوجته فعلم به الفديكية وقصدوه فسبق اليه رجل منهم فاعلمه فخرج وبيده السيف فنزل الفديكى عن فرسه وقال ان فرسى هذا لا يدرك فاركبه فلعلك تنجو عليه فقال ما احب البقاء ولقد تعرضت للشهادة فى مواطن ما هذا باحسنها وغشيه اصحاب أبى فديك فقتلوه وكان شجاعا كريما وهو يقول

وان جر مولانا علينا جريرة * صبرنا لها ان الكرام الدعائم

كوكسون من اعمال مدينة مرعش فتقابل العسكران وتلاطم البحران فاطلقوا بعد ان وضعت الحرب اوزارها المدافع الكبار فاظلم الافق فصار لها دوى فجفلت الخيل وهربت الغلمان فهزموهم وحصدوهم بالسيف فشق المطرود سعيد وتمزق جلده رفيقه ابن قلندر وهو حقيق بعيد ولم يزل الطارد والعسكر فى أعقابهم وقطع السيوف وطعن الرماح فى مناكبهم ورقابهم حتى خرجوا من حدود البلاد والتجؤا الى ملة الالحاد فاجتمعوا باشباههم من اهل الضلال وكفى الله المؤمنين القتال فصارت المملكة الاحمدية منهم مطهرة ويعد ظلامهم مبتسمة منورة ثم توجه الى قتال ابن الطويل فاجتمعا بارض يقال لها كل وارش تابع قضاء شروان فاجتمعا نهار الثلاثاء ثانى عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة فالتحم القتال وتكسرت النصال على النصال ولم ينج منهم الا من طول الله عمره وطردتهم عساكر الاسلام ونالوا منهم ما راموا من القتل والنهب وسائر المرام وما نجا كبيرهم الا بجهد جهيد فلحق برفقائه من ابن قلندر وقره سعيد فلما

ولما قتل نجدة سخط قتله قوم من اصحاب ابى فديك ففارقوه وثار به مسلم بن جبير فضربه اثنى عشر ضربة بسكين فقتل مسلم وحمل أبو فديك الى منزله فبرئ

(ذكر استعمال مصعب على المدينة)

فى هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه عبيدة بن الزبير عن المدينة واستعمل اخاه مصعبا وسبب ذلك ان عبيدة خطب الناس فقال لهم قد ترون ما صنع الله بقوم فى ناقة قيمتها خمسة دراهم فسمى مقوم الناقة فبلغ ذلك اخاه عبد الله فعزله واستعمل مصعبا

(ذكر بناء ابن الزبير الكعبة)

لما احترقت الكعبة حين غزا أهل الشام عبد الله بن الزبير ايام يزيد تركها ابن الزبير يشنع بذلك على اهل الشام فلما مات يزيد واستقر الامر لابن الزبير شرع فى بنائها فامر بهدمها حتى الحقت بالارض وكانت قد مالت حيطانها من حجارة المنجنيق وجعل الحجر الاسود عنده وكان الناس يطوفون من وراء الاساس وضرب عليها السور وادخل فيها الحجر واحتج بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حدثان عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على اساس ابراهيم وأزيد فيها الحجر فحفر ابن الزبير فوجد اساسا امثال الجمال فحركوا منها صخرة فبرقت بارقة فقال اقروها على أساسها وبنائها وجعل لها بابين يدخل من احدهما ويخرج من الآخر وقيل كانت عمارتها سنة اربع وستين

(ذكر الحرب بين ابن خازم وبنى تميم)

فى هذه السنة كانت الحرب بين ابن خازم السلمى وبنى تميم بخراسان وسبب ذلك ان من كان بخراسان من بنى تميم اعانوا ابن خازم على من بها من ربيعة وقد تقدم ذكر ذلك فلما صفت له خراسان جفا بنى تميم وكان قد جعل ابنه محمدا على هراة وجعل على شرطته بكير بن وشاح وضم اليه شماس بن دثار العطاردى وكانت ام محمد تميمية فلما جفا ابن خازم بنى تميم اتوا ابنه محمدا بهراة فكتب ابن خازم الى ابنه محمد والى بكير وشماس يأمرهم بمنعهم عن هراة فاما شماس فصار مع بنى تميم واما بكير فانه منعهم فاقاموا ببلاد هراة فارسل بكير الى شماس انى اعطيتك ثلاثين الفا فأعط كل رجل من بنى تميم ألفا على ان ينصرفوا فابوا عليه واقاموا يترصدون محمدا فخرج يتصيد فاخذوه وشدوه وثاقا وشربوا ليلتهم وجعلوا يبولون عليه كلما أرادوا البول فقال لهم شماس اما اذ بلغتم هذا منه فاقتلوه بصاحبيكما اللذين قتلهما بالسياط وكان قد ضرب رجلين من تميم بالسياط حتى ماتا فقاموا اليه ليقتلوه فنهاهم عنه حيان بن مشجعة الضبى والقى نفسه عليه فلم يقبلوا منه وقتلوا محمدا فشكر ابن خازم لحيان ذلك ولم يقتله فيمن قتل وكان الذى تولى قتل محمد رجلين اسم أحدهما عجلة واسم الآخر كسيب فقال ابن خازم بئس ما اكتسب كسيب لقومه ولقد عجل عجلة لقومه شرا واقبلت تميم الى مرو وأمروا عليهم الحريش بن هلال القريعى واجمع اكثرهم على قتال ابن خازم فقاتل الحريش بن هلال عبد الله بن خازم سنتين فلما طالت الحرب خرج الحريش فنادى ابن خازم وقال له طالت الحرب بيننا فعلام نقتل قومى وقومك ابرز الى فاينا قتل صاحبه صارت الارض له فقال له ابن خازم قد انصفت وبرز اليه فتضاربا وتصاولا تصاول الفحلين لا يقدر أحدهما على صاحبه ثم غفل ابن خازم فضربه الحريش على

إسرف هذا الشق وأخوه من قبله فى قتل الرجال ونهب الاموال وافتضاض البكور وانتهاك الستور من النساء المخدرات والكواعب الناهدات عاملهما الله بما يقتضيه عدلا وجلالا لا بما يرتضيه فضلا وجمالا فلما مهد البلاد ورجعت الى اوطانها العباد وامنت الطرقات وسكنت الدهماء وأمنت الشهباء توجه الوزير المذكور الى دار السلطنة ايدها الله تعالى وابدها وفى اثناء سنة ثمانى عشرة والف خرج الوزير الاعظم المذكور عامله الله بلطفه المشكور الى مدينة اسكدار ونصب خيمه هنالك واجتمع عليه العساكر ومقصوده تطهير الارض ممن بقى من الاشقياء والطغاة وهو يوسف باشا ورفقاه فاطاعوه وتشرفوا بتقبيل اقدامه راغبين ولاحسانه شاكرين

(الباب الثامن والاربعون فى ذكر دولة أق قوينلى وقائع قره قوينلى)

وهم طائفتان من التركمان وكانت مساكنهم القديمة بلاد تركستان ثم تحولوا منها فى زمن ارغون خان الملك الى بلاد اذربيجان ثم تحولت طائفة قره قوينلى

رأسه فالقى فروة رأسه على وجهه وانقطع ركاب الحريش وانتزع السيف ولزم ابن خازم عنق فرسه راجعا الى أصحابه ثم غاداهم القتال فمكثوا بذلك بعد الضربة اياما ثم مل الفريقان فتفرقوا ثلاث فرق فرقة الى نيسابور مع بحير بن ورقاء وفرقة الى ناحية أخرى وفرقة فيها الحريش الى مرو الروذ فاتبعه ابن خازم الى قرية تسمى الملحمة والحريش فى اثنى عشر رجلا وقد تفرقت عنه أصحابه وهم فى خربة فلما انتهى اليه ابن خازم خرج اليه فى اصحابه فحمل مولى لابن خازم على الحريش فضربه فلم يصنع شيأ فقال الحريش لرجل معه ان سيفى لا يصنع فى سلاحه شيأ فأعطنى خشبة فاعطاه عودا من عناب فحمل على المولى فضربه فسقط وقيذا ثم قال لابن خازم ماتريد منى وقد خليتك والبلاد قال انك تعود اليها قال لا اعود فصالحه على ان يخرج من خراسان ولا يعود الى قتاله فاعطاه ابن خازم أربعين ألفا وفتح له الحريش باب القصر فدخله ابن خازم وضمن له وفاء دينه وتحدثا طويلا وطارت قطنة عن الضربة التى برأس ابن خازم فاخذها الحريش ووضعها مكانها فقال له ابن خازم مسك اليوم ألين من مسك امس فقال الحريش معذرة الى الله واليك أما والله لولا ركابى انقطع لخالط السيف رأسك وقال الحريش فى ذلك

أزال عظم ذراعى عن مركبه * حمل الردينى فى الادلاج بالسحر
حولين ماأغمضت عينى بمنزلة * الا وكفى وساد لى على حجر
برى الحديد وسربالى اذا هجعت * عنى العيون مجال القالح الذكر

(بحير بن ورقاء بفتح الباء الموحدة والحاء المهملة المكسورة والحريش بالحاء والراء المهملتين والشين المعجمة)

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة وقع طاعون الجارف بالبصرة وعليها عبيد الله بن معمر فهلك به خلق كثير فماتت ام عبيد الله فلم يجدوا لها من يحملها حتى استأجروا من حملها وهو الامير وحج بالناس عبد الله ابن الزبير وكان على المدينة مصعب وعلى الكوفة ابن مطيع وعلى البصرة الحرث بن ربيعة المخزومى وعلى خراسان عبد الله بن خازم وفيها توفى عبد الله بن عمرو بن العاص السهمى وكان قد عمى آخر عمره وكانت وفاته بمصر وقيل توفى سنة ثمان وستين

(ثم دخلت سنة ست وستين)

(ذكر وثوب المختار بالكوفة)

فى هذه السنة رابع عشر ربيع الاول وثب المختار بالكوفة وأخرج عنها عبد الله بن مطيع عامل عبد الله بن الزبير وسبب ذلك ان سليمان بن صرد لما قتل قدم من بقى من أصحابه الكوفة فلما قدموا وجدوا المختار محبوسا قد حبسه عبد الله بن يزيد الخطمى وابراهيم بن محمد بن طلحة وقد تقدم ذكر ذلك فكتب اليهم من الحبس يثنى عليهم ويمنيهم الظفر ويعرفهم انه هو الذى أمره محمد بن على المعروف بابن الحنفية بطلب الثأر فقرأ كتابه رفاعة بن شداد والمثنى بن مخربة العبدى وسعد بن حذيفة بن اليمان ويزيد بن أنس وأحمر بن شميط الاحمسى وعبد الله بن شداد البجلى وعبد الله بن كامل فلما قرؤا كتابه بعثوا اليه ابن كامل يقولون له انا بحيث يسرك فان شئت ان نأتيك ونخرجك من الحبس فعلنا فاتاه فأخبره فسر بذلك وقال لهم انى أخرج فى ايامى

الى نواحى ارزنكان وسيواس واستفحل بها أمرهم وتحولت طائفة آق قوينلى الى ديار بكر واستولوا على الملك والسلطنة وأول من ظهر منهم وتأمر فى البلاد (علاء الدين طورعلى بك) التركمانى وكان قد تأمر فى حدود آمد وموصل ثم توفى وقام مقامه (فخر الدين قتلى بك) بن طورعلى ثم توفى وتولى بعده (قرا يلوك عثمان) وكان شجاعا وله مع الترك والعرب وقائع ولما تصرف تيمور فى البلاد وحضر معه الشام انتمى اليه ودخل فى طاعته ودله على مسالك الروم واستنابه تيمور فى بلاده وكان له من البلاد آمد وأرزنجان وماردين والرها وعامة ديار بكر ثم استولى على غير تلك البلاد وكانت له وقعة مع برسباى صاحب مصر قبل ان يلى الملك وهو يومئذ أمير طرابلس انكسر فيها برسباى وسبب هذه الوقعة انه غزا برسباى فى سلطنته بلاد آمد وكانت وقعة أخرى مع برهان الدين صاحب سيواس فقتل بها برهان الدين واستولى قرا يلوك على سيواس وفى سنة تسع وثمانمائة اقتتل قرا يلوك واسكندر بن قره يوسف وانهزم قرا يلوك فوقع فى خندق بارض ارزن

هذه وكان المختار قد أرسل الى ابن عمر يقول له انى قد حبست مظلوما ويطلب اليه ان يشفع
فيه الى عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة فكتب اليهما ابن عمر فى أمره فشفعاه
وأخرجاه من السجن وضمناه وحلفاه انه لا يبغيهما غائلة ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان
فان فعل فعليه ألف بدنة ينحرها عند الكعبة ومماليكه احرار ذكرهم وانثاهم فلما خرج نزل
بداره فقال لمن يثق به قاتلهم الله ما أحمقهم حين يرون انى أفى لهم اما حلفى بالله فانى اذا حلفت
على يمين فرأيت خيرا منها ان أكفر عن يمينى وخروجى عليهم خير من كفى عنهم واما هدى البدن
وعتق المماليك فهو اهون على من بصقة فوددت أن تم لى امرى ولا أملك بعده مملوكا أبدا ثم
اختلفت اليه الشيعة واتفقوا على الرضا به ولم يزل اصحابه يكثرون وأمره يقوى حتى عزل
ابن الزبير عبد الله بن يزيد الخطمى وابراهيم بن محمد بن طلحة واستعمل عبد الله بن مطيع على
عملهما بالكوفة فلقيه بحير بن رستان الحميرى عند مسيره الى الكوفة فقال له لا تسر الليلة فان
القمر بالناطح فلا تسر فقال له وهل نطلب الا النطح فلقى نطحا كما يريد فكان البلاء موكلا
بمنطقه وكان شجاعا وسار ابراهيم الى المدينة وكسر الخراج وقال كانت فتنة فسكت عنه ابن
الزبير وكان قدوم ابن مطيع فى رمضان لخمس بقين منه وجعل على شرطته اياس بن ابى مضارب
العجلى وأمره بحسن السيرة والشدة على المريب * ولما قدم صعد المنبر فخطبهم وقال اما بعد فان
أمير المؤمنين بعثنى على مصركم وثغوركم وأمرنى بجباية فيئكم وان لا أحمل فضل فيئكم عنكم
الا برضا منكم وان اتبع وصية عمر بن الخطاب التى أوصى بها عند وفاته وسيرة عثمان بن عفان
فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا على أيدى سفهائكم فان لم تفعلوا فلوموا أنفسكم
فوالله لاوقعن بالسقيم العاصى ولاقيمن درء الاصعر المرتاب فقام اليه السائب بن مالك
الاشعرى فقال اما حمل فيئنا برضانا فانا نشهد انا لا نرضى ان يحمل عنا فضله وان لا يقسم الا
فينا وان لا يسار فينا الا بسيرة على بن أبى طالب التى سار بها فى بلادنا هذه حتى هلك ولا حاجة لنا
فى سيرة عثمان فى فيئنا ولا فى أنفسنا ولا فى سيرة عمر بن الخطاب فينا وان كانت اهون السيرتين
علينا وقد كان يفعل بالناس خيرا فقال يزيد بن أنس صدق السائب وبر فقال ابن مطيع نسير
فيكم بكل سيرة أحببتموها ثم نزل وجاء اياس بن مضارب الى ابن مطيع فقال له ان السائب بن
مالك من رؤس أصحاب المختار فابعث الى المختار فليأتك فاذا جاءك فاحبسه حتى يستقيم أمر
الناس فان أمره قد استجمع له وكأنه قد وثب بالمصر فبعث ابن مطيع الى المختار زائدة بن
قدامة وحسين بن عبد الله البرسمى من همدان فقالا أجب الامير فعزم على الذهاب فقرأ زائدة
واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية فالقى المختار ثيابه وقال
ألقوا على قطيفة فقد وعكت انى لاجد بردا شديدا ارجعا الى الامير فأعلماه حالى فعادا الى ابن
مطيع فأعلماه فتركه ووجه المختار الى أصحابه فجمعهم حوله فى الدور وأراد ان يثب فى
الكوفة فى المحرم فجاء رجل من أصحابه من شبام وشبام حى من همدان وكان شريفا اسمه عبد
الرحمن بن شريح فلقى سعيد بن منقذ الثورى وسعر بن أبى سعر الحنفى والاسود بن جراد
الكندى وقدامة بن مالك الجشمى فقال لهم ان المختار يريد يخرج بنا ولا ندرى ارسله ابن
الحنفية أم لا فانهضوا بنا الى ابن الحنفية نخبره بما قدم علينا به المختار فان رخص لنا فى اتباعه

الروم فمات وكان بلغ من
العمر التسعين بل زاد عليها
فدفنوه هنالك ثم اخرجه
اسكندر المذكور من قبره
بعد ثلاثة أيام وحز رأسه
وأرسله الى القاهرة فنصب
رأسه على باب زويلة وفرح
أهل مصر بذلك لان الناس
كانوا فى خوف من جهته
لكثرة حروبه وشدة فتكه
فلما هلك ملك بعده ولده حمزة
بك وبقى ولده يعقوب فى
ارزن الروم وجهانكير بن
على بك بن عثمان شريكا
له فى الامر وفى سنة ثمان
وأربعين وثمانمائة توفى حمزة
بك المذكور وكان مثل
أبيه فى قبح سيرته وكثرة
شروره وفسقه وملك بعده
ولد أخيه
(جهانكير) بن على بك وفى
سنة خمس وخمسين وثمانمائة
وجه اخاه حسنا الطويل
صاحب العجم مع عسكره
فالتقى مع الشيخ حسن فقتله
وهذا أول ظهور حسن
الطويل وقتل جماعة من
عسكر جهان شاه وتأكدت
عداوته مع جهان شاه ثم
ان حسنا الطويل مازال
يطمع فى الملك حتى وثب
على آمد فأخذها بالحيلة
مع وجود جهانكير
المذكور وهو احسن هذه
الطائفة خيرا ودينا وعفة
وعدلا وفى سنة احدى

تبعناه وان نهانا عنه اجتنبناه فوالله ما ينبغي ان يكون شئ من الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا
قالوا له أصبت فخرجوا الى ابن الحنفية فلما قدموا عليه سألهم عن حال الناس فاخبروه عن حالهم
وما هم عليه وأعلموه حال المختار وما دعاهم اليه واستأذنوه فى اتباعه فلما فرغوا من كلامهم قال
لهم بعد ان حمد الله واثنى عليه وذكر فضيلة أهل البيت والمصيبة بقتل الحسين ثم قال لهم واما
ماذكرتم ممن دعاكم الى الطلب بدمائنا فوالله لوددت ان الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من
خلقه ولو كره لقال لا تفعلوا فعادوا وناس من الشيعة ينتظرونهم ممن اعلموه بحالهم وكان ذلك قد
شق على المختار وخاف ان يعودوا بامر يخذل الشيعة عنه فلما قدموا الكوفة دخلوا على المختار
قبل دخولهم الى بيوتهم فقال لهم ما وراءكم فقد فتنتم وارتبتم فقالوا له انا قد أمرنا بنصرك فقال
الله أكبر اجمعوا الى الشيعة فجمع من كان قريبا منهم فقال لهم ان نفرا قد أحبوا ان يعلموا
مصداق ما جئت به فرحلوا الى الامام المهدى فسألوه عما قدمت به عليكم فنبأهم انى وزيره
وظهيره ورسوله وأمركم باتباعى وطاعتى فيما ادعوكم اليه من قتال المحلين والطلب بدماء أهل
بيت نبيكم المصطفين فقام عبد الرحمن بن شريح واخبرهم بحالهم ومسيرهم وان ابن الحنفية
أمرهم بمظاهرته وموازرته وقال لهم ليبلغ الشاهد الغائب واستعدوا وتاهبوا وقام جماعة من
اصحابه فقالوا نحوا من كلامه فاستجمعت له الشيعة وكان من جملتهم الشعبى وابوه شراحيل فلما
تهيأ امره للخروج قال له بعض أصحابه ان أشراف أهل الكوفة مجمعون على قتالكم مع ابن
مطيع فان اجابنا الى امرنا ابراهيم بن الاشتر رجونا القوة على عدونا فانه فتى رئيس وابن رجل
شريف له عشيرة ذات عز وعدد فقال لهم المختار فالقوه وادعوه فخرجوا اليه ومعهم الشعبى
فاعلموه حالهم وسألوه مساعدتهم عليه وذكروا له ما كان أبوه عليه من ولاء على واهل بيته فقال
لهم انى قد أجبتكم الى الطلب بدم الحسين واهل بيته على ان تولونى الامر فقالوا له انت لذلك
أهل ولكن ليس الى ذلك سبيل هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدى وهو المأمور بالقتال وقد
امرنا بطاعته فسكت ابراهيم ولم يجبهم فانصرفوا عنه فاخبروا المختار فمكث ثلاثا ثم سار فى
بضعة عشر من أصحابه والشعبى وابوه فيهم الى ابراهيم فدخلوا عليه فالقى لهم الوسائد فجلسوا
عليها وجلس المختار معه على فراشه فقال له المختار هذا كتاب من المهدى محمد بن على أمير
المؤمنين وهو خير أهل الارض اليوم وابن خير أهلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله وهو
يسألك ان تنصرنا وتوازرنا قال الشعبى وكان الكتاب معى فلما قضى كلامه قال لى ادفع الكتاب
اليه فدفعه اليه الشعبى فقرأه فاذا فيه من محمد المهدى الى ابراهيم بن مالك الاشتر سلام عليك
فانى احمد الله اليك الذى لا اله الا هو اما بعد فانى قد بعثت اليكم وزيرى وأمينى الذى ارتضيته
لنفسى وأمرته بقتال عدوى والطلب بدماء اهل بيتى فانهض معهم بنفسك وعشيرتك ومن
اطاعك فانك ان تنصرنى واجبت دعوتى كانت لك بذلك عندى فضيلة ولك اعنة الخيل وكل
جيش غاز وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة واقصى بلاد الشام فلما فرغ من
قراءة الكتاب قال قد كتب الى ابن الحنفية قبل اليوم وكتبت فلم يكتب الى الا باسمه واسم ابيه
قال المختار ان ذلك زمان وهذا زمان قال فمن يعلم ان هذا كتابه فشهد جماعة ممن معه منهم زيد بن
انس واحمر بن شميط وعبد الله بن كامل وجماعتهم الا الشعبى فلما شهدوا تاخر ابراهيم عن صدر

الفراش

وستين وثمانمائة وقع بين
حسن الطويل صاحب
ديار بكر وبين جهان شاه
صاحب العراقين حروب
كثيرة انتصر فيها حسن
الطويل المذكور فقتله
وقتل أولاده وكثيرا من
عسكره واستولى على بلاد
العراق واذربيجان وفى سنة
ثلاث وسبعين وثمانمائة
قصد صاحب ماوراء النهر
الملك أبو سعيد بن مير شاه
ابن تيمور ان يسترد ما كان
لجهان شاه من البلاد من
حسن الطويل فقابله
بحدود اذربيجان فالتحم
الحرب بينهما الى ان قتل
خلقا كثيرا من عظماء
خراسان واسر الملك أبو سعيد
فى يد زينل بن حسن
الطويل ثم أمر بقتله فقتل
وارسل براسه الى صاحب
مصر فامر به صاحب مصر
فدفن اجلالا له لانه كان
من اكابر ملوك الاسلام
وارسل معه كتابا سلك فيه
طريقة الملوك وابرق فيه
وارعد وكان قبله
يتلطف بهم واستولى حسن
الطويل على ما كان بيد أبى
سعيد المذكور على ملك
سمرقند وغيره وفى سنة ست
وسبعين وثمانمائة وصل
يوسفجه بك بعسكر حسن
الطويل الى مدينة توقات
فنهبها وخرب اسواقها ثم

الفراش واجلس المختار عليه وبايعه ثم خرجوا من عنده وقال ابراهيم للشعبي قد رأيتك لم تشهد مع القوم أنت ولا ابوك افترى هؤلاء شهدوا على حق فقال له هؤلاء سادة القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب ولا يقول مثلهم الا حقا فكتب اسماءهم وتركها عنده ودعا ابراهيم عشيرته ومن اطاعه واقبل يختلف الى المختار كل عشية عند المساء يدبرون أمورهم واجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لاربع عشرة من ربيع الاول سنة ست وستين فلما كانت تلك الليلة عند المغرب صلى ابراهيم باصحابه ثم خرج يريد المختار وعليه وعلى أصحابه السلاح وقد أتى اياس ابن مضارب عبد الله بن مطيع فقال له ان المختار خارج عليك باحدى هاتين الليلتين وقد بعثت ابني الى الكناسة فلو بعثت فى كل جبانة عظيمة بالكوفة رجلا من اصحابك فى جماعة من أهل الطاعة لهاب المختار وأصحابه الخروج عليك فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى الى جبانة السبيع وقال اكفنى قومك ولا تحدثن بها حدثا وبعث كعب بن أبى كعب الخثعمى الى جبانة بشر وبعث زحر بن قيس الجعفى الى جبانة كندة وبعث عبد الرحمن بن مخنف الى جبانة الصائديين وبعث شمر بن ذى الجوشن الى جبانة سالم وبعث يزيد بن رويم الى جبانة المراد واوصى كلا منهم ان لا يؤتى من قبله وبعث شبث بن ربعى الى السبخة وقال اذا سمعت صوت القوم فوجه نحوهم وكان خروجهم الى الجبانين يوم الاثنين وخرج ابراهيم بن الاشتر يريد المختار ليلة الثلاثاء وقد بلغه ان الجبانين قد ملئت رجالا وان اياس بن مضارب فى الشرط قد أحاط بالسوق والقصر فاخذ معه من أصحابه نحو مائة دارع وقد لبسوا عليها الاقبية فقال له أصحابه تجنب الطريق فقال والله لامرن وسط السوق بجنب القصر ولارعبن عدونا ولاريتهم هوانهم علينا فسار على باب الفيل ثم على دار عمرو بن حريث فلقيهم اياس بن مضارب فى الشرط مظهرين السلاح فقال من أنتم فقال ابراهيم انا ابراهيم بن الاشتر فقال اياس ما هذا الجمع الذى معك وما تريد ولست بتاركك حتى آتى بك الامير فقال ابراهيم خل سبيلا قال لا افعل وكان مع اياس بن مضارب رجل من همدان يقال له أبو قطن وكان يكرمه وكان صديقا لابن الاشتر فقال له ابن الاشتر ادن منى يا أبا قطن فدنا منه وهو يظن ان ابراهيم يطلب منه ان يشفع فيه الى اياس فلما دنا منه أخذ رمحا كان معه وطعن به اياسا فى ثغرة نحره فصرعه وامر رجلا من قومه فاخذ رأسه وتفرق أصحاب اياس ورجعوا الى ابن مطيع فبعث مكانه ابنه راشد بن اياس على الشرط وبعث مكان راشد الى الكناسة سويد بن عبد الرحمن المنقرى أبا القعقاع بن سويد واقبل ابراهيم بن الاشتر الى المختار وقال له انا اتعدنا للخروج القابلة وقد جاء أمر لا بد من الخروج الليلة واخبره الخبر ففرح المختار بقتل اياس وقال هذا أول الفتح ان شاء الله تعالى ثم قال لسعيد بن منقذ قم فاشعل النيران فى الهوادى والقصب وارفعها وسر أنت يا عبد الله بن شداد فناد يا منصور أمت وقم أنت يا سفيان بن ليلى وأنت يا قدامة بن مالك فناديا يا لثارات الحسين ثم لبس سلاحه فقال له ابراهيم ان هؤلاء الذين فى الجبانين يمنعون أصحابنا من اتياننا فلو سرت الى قومى بمن معى ودعوت من أجابنى وسرت بهم فى نواحى الكوفة ودعوت بشعارنا لخرج الينا من أراد الخروج ومن أتاك حبسته عندك الى من معك فان عوجلت كان عندك من يمنعك الى ان آتيك فقال له افعل وعجل واياك ان تسير الى أميرهم تقاتله

ثم مسيره الى بلاد قرمان وكان بها السلطان مصطفى ابن السلطان محمد خان فاتح القسطنطينية فكبسه السلطان مصطفى وظفر به فاسره وقتل غالب عسكره ثم بعث به الى أبيه السلطان محمد خان كامر وفى سنة ثمان وسبعين وثمانمائة نهض كل من الملكين السلطان محمد خان وحسن الطويل الى قتال الآخر فالتقى العسكران بقرب مدينة باورد فوقع بينهما قتال شديد ثم نزل النصر للسلطان محمد خان فانهزم حسن الطويل وقتل ولده زينل على يد السلطان مصطفى كما ذكر فى محله وفى سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة توفى حسن الطويل فى ليلة عيد الفطر وخلف خمسة اولاد وهم خليل ميرزا وكان حاكم فارس ومقصود بك وكان حاكم بغداد ويعقوب ومسيح ويوسف وملك بعد أبيه (خليل بن حسن الطويل) بن على بك بن عثمان بن قطلو بك بن طور على التركمانى بعهد من أبيه اليه وكان أكبر أولاده وأحبهم اليه فملك جميع ما كان يملكه أبوه من البلاد الشرقية الا انه لم يتهن بالملك لانه لما تولى أخذ بالعنف والشدة وقتل كثيرا

ولا تقاتل احدا وانت تستطيع ان لا تقاتله الا ان يبدأك احد بقتال فخرج ابراهيم واصحابه
حتى اتى قومه واجتمع اليه جل من كان أجابه وسار بهم فى سكك المدينة ليلا طويلا وهو يتجنب
المواضع التى فيها الامراء الذين وضعهم ابن المطيع فلما انتهى الى مسجد السكون أتاه جماعة
من خيل زحر بن قيس الجعفى ليس عليهم أمير فحمل عليهم ابراهيم فكشفهم حتى ادخلهم جبانة
كندة وهو يقول اللهم انك تعلم انا غضبنا لاهل بيت نبيك وثرنا لهم فانصرنا على هؤلاء ثم رجع
ابراهيم عنهم بعد ان هزمهم ثم سار ابراهيم حتى اتى جبانة أثير فتنادوا بشعارهم فوقف فيها فاتاه
سويد بن عبد الرحمن المنقرى ورجا ان يصيبهم فيحظى بها عند ابن مطيع فلم يشعر به ابراهيم الا
وهو معه فقال ابراهيم لاصحابه يا شرطة الله انزلوا فانكم أولى بالنصر من هؤلاء الفساق الذين
خاضوا فى دماء أهل بيت نبيكم فنزلوا ثم حمل عليهم ابراهيم حتى أخرجهم الى الصحراء فانهزموا
فركب بعضهم بعضا وهم يتلاومون وتبعهم حتى ادخلهم الكناسة فقال لابراهيم أصحابه اتبعهم
واغتنم ما دخلهم من الرعب فقال لا ولكن نأتى صاحبنا يؤمن الله بنا وحشته ويعلم ما كان من
نصرنا له فيزداد هو وأصحابه قوة مع انى لا آمن ان يكون قد اوتى ثم سار ابراهيم حتى اتى باب
المختار فسمع الاصوات عالية والقوم يقتتلون وقد جاء شبث بن ربعى من قبل السبخة فعبى له
المختار يزيد بن انس وجاء حجار بن ابجر العجلى فجعل المختار فى وجهه احمر بن شميط فبينما الناس
يقتتلون اذ جاء ابراهيم من قبل القصر فبلغ حجارا وأصحابه ان ابراهيم قد اتاهم من ورائهم
فتفرقوا فى الازقة قبل ان يأتيهم وجاء قيس بن طهفة النهدى فى قريب من مائة وهو من أصحاب
المختار فحمل على شبث بن ربعى وهو يقاتل يزيد بن أنس فخلى لهم الطريق حتى اجتمعوا واقبل
شبث الى ابن مطيع وقال له اجمع الامراء الذين بالجبانين وجميع الناس ثم انفذ الى هؤلاء القوم
فقاتلهم فان امرهم قد قوى وقد خرج المختار وظهر واجتمع له أمره فلما بلغ قوله المختار خرج
فى جماعة من أصحابه حتى نزل فى ظهر دير هند فى السبخة وخرج أبو عثمان النهدى فنادى فى
شاكر وهم مجتمعون فى دورهم يخافون ان يظهروا لقرب كعب الخثعمى منهم وكان قد أخذ
عليهم افواه السكك فلما أتاهم أبو عثمان فى جماعة من أصحابه نادى يا لثارات الحسين يا منصور
امت أمت يا أيها الحى المهتدون ان أمين آل محمد ووزيرهم قد خرج فنزل دير هند وبعثنى اليكم
داعيا ومبشرا فاخرجوا رحمكم الله فخرجوا يتداعون يا لثارات الحسين وقاتلوا كعبا حتى
خلى لهم الطريق فاقبلوا الى المختار فنزلوا معه وخرج عبد الله بن قتادة فى نحو من مائتين فنزل
مع المختار وكان قد تعرض لهم كعب فلما عرف أنهم من قومه خلى عنهم وخرجت شبام وهم حى
من همدان من آخر ليلتهم فبلغ خبرهم عبد الرحمن بن سعيد الهمدانى فارسل اليهم ان كنتم
تريدون المختار فلا تمروا على جبانة السبيع فلحقوا بالمختار فتوافى الى المختار ثلاثة آلاف
وثمانمائة من اثنى عشر ألفا كانوا بايعوه فاجتمعوا له قبل الفجر فاصبح وقد فرغ من تعبيته وصلى
باصحابه بغلس وارسل ابن مطيع الى الجبانين فامر من بها ان يأتوا المسجد وأمر راشد بن اياس
فنادى فى الناس برئت الذمة من رجل لم يأت المسجد الليلة فاجتمعوا فبعث ابن مطيع شبث
ابن ربعى فى نحو ثلاثة آلاف الى المختار وبعث راشد بن اياس فى اربعة آلاف من الشرط فسار
شبث الى المختار فبلغه خبره وقد فرغ من صلاة الصبح فارسل من أتاه بخبرهم وأتى الى المختار ذلك

من الامراء وقتل أخاه وخلقا
كثيرا من أقاربه ومع ذلك
اشتغل باللهو والملاهى
وكانت الفتن قائمة فى اطراف
البلاد بسبب بعض الملوك
ولم يمكن احدا أن يعرض
عليه شيأ من ذلك لسوء
خلقه وشدة جبروته
فاتفقوا على خلعه وتولية
أخيه الملك الصغير (يعقوب
بك) صاحب ديار بكر فخلع
خليل واستولى يعقوب
بك على ملكه وكانت مدة
سلطنته ستة أشهر ونصف
شهر واستولى على سرير
الملك بعده اخوه يعقوب
المذكور وفى سنة تسع
وثمانين وثمانمائة بعث
يعقوب شاه عسكرا كثيرا
الى بلاد المشعشع فكسروه
كسرا شنيعا وكان المشعشع
يعد نفسه علويا ثم تغالى
حتى قال انتقلت روح على
ابن أبى طالب رضى الله
عنه الىّ واستفحل امره
واستولى على بلاد ابن علان
وفى سنة ثلاث وتسعين
وثمانمائة ظهر الشيخ حيدر
ابن الشيخ صفى الدين بن
جنيد الاردبيلى شيخ
الصوفية بعرته وهجم على
شروان شاه صاحب شماخى
فغلب عليه واستنجد
صاحب شماخى يعقوب
شاه المذكور وكان بينهما
علاقة المصاهرة فاستنجده

الوقت سعر بن أبى سعر الحنفى وهو من أصحابه لم يقدر على اتيانه الا تلك الساعة فرأى راشد بن اياس فى طريقه فاخبر المختار خبره أيضا فبعث المختار ابراهيم بن الاشتر الى راشد فى سبعمائة وقيل فى ستمائة فارس وستمائة راجل وبعث نعيم بن هبيرة اخا مصقلة بن هبيرة فى ثلثمائة فارس وستمائة راجل وأمره بقتال شبث بن ربعى ومن معه وأمرهما بتعجيل القتال وان لايستهدفا لعدوهما فانه أكثر منهما فتوجه ابراهيم الى راشد وقدم المختار يزيد بن انس فى موضع مسجد شبث بن ربعى فى تسعمائة أمامه فتوجه نعيم الى شبث فقاتله قتالا شديدا فجعل نعيم سعر بن أبى سعر على الخيل ومشى هو فى الرجالة فقاتلهم حتى اشرقت الشمس وانبسطت فانهزم أصحاب شبث حتى دخلوا البيوت فناداهم شبث وحرضهم فرجع اليه منهم جماعة فحملوا على أصحاب نعيم وقد تفرقوا فهزمهم وصبر نعيم فقتل وأسر سعر بن أبى سعر وجماعة من أصحابه فاطلق العرب وقتل الموالى وجاء شبث حتى أحاط بالمختار وكان قد وهن لقتل نعيم وبعث ابن مطيع يزيد ابن الحرث بن رويم فى ألفين فوقفوا فى أفواه السكك وولى المختار يزيد بن أنس خيله وخرج هو فى الرجالة فحملت عليه خيل شبث فلم يبرحوا مكانهم فقال لهم يزيد بن أنس يامعشر الشيعة انكم كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وارجلكم وتسمل أعينكم وترفعون على جذوع النخل فى حب أهل بيت نبيكم وأنتم مقيمون فى بيوتكم وطاعة عدوكم فما ظنكم بهؤلاء القوم اذا ظهروا عليكم اليوم والله لايدعون منكم عينا تطرف وليقتلنكم صبرا ولترون منهم فى اولادكم وازواجكم واموالكم ما الموت خير منه والله لاينجيكم منهم الا الصدق والصبر والطعن الصائب والضرب الدارك فتهيؤا للحملة فتيسروا ينتظرون أمره وجثوا على ركبهم واما ابراهيم بن الاشتر فانه لقى راشدا فاذا معه أربعة آلاف فقال ابراهيم لاصحابه لايهولنكم كثرة هؤلاء فوالله لرب رجل خير من عشرة والله مع الصابرين وقدم خزيمة بن نصر اليهم فى الخيل ونزل هو يمشى فى الرجالة وأخذ ابراهيم يقول لصاحب رايته تقدم برايتك امض بهؤلاء وبهؤلاء واقتتل الناس قتالا شديدا وحمل خزيمة بن نصر العبسى على راشد فقتله ثم نادى قتلت راشدا ورب الكعبة وانهزم أصحاب راشد واقبل ابراهيم وخزيمة ومن معهما بعد قتل راشد نحو المختار وارسل البشير الى المختار بقتل راشد فكبر هو وأصحابه وقويت نفوسهم ودخل أصحاب ابن مطيع الفشل وأرسل ابن مطيع حسان بن فائد بن بكر العبسى فى جيش كثيف نحو الفين فاعترض ابراهيم ليرده عن السبخة من أصحاب ابن مطيع فتقدم اليهم ابراهيم فانهزموا من غير قتال وتأخر حسان يحمى أصحابه فحمل عليه خزيمة فعرفه فقال يا حسان لولا القرابة لقتلتك فانج بنفسك فعثر به فرسه فوقع فابتدره الناس فقاتل ساعة فقال له خزيمة انت آمن فلا تقتل نفسك وكف عنه الناس وقال لابراهيم هذا ابن عمى وقد امنته فقال احسنت وأمر بفرسه فأحضر فاركبه وقال الحق باهلك واقبل ابراهيم نحو المختار وشبث بن ربعى محيط به فلقيه يزيد بن الحرث وهو على أفواه السكك التى تلى السبخة فاقبل الى ابراهيم ليصده عن شبث واصحابه فبعث ابراهيم اليه طائفة من أصحابه مع خزيمة بن نصر وسار نحو المختار وشبث فيمن بقى معه فلما دنا منهم ابراهيم حمل على شبث وحمل يزيد بن أنس فانهزم شبث ومن معه الى أبيات الكوفة وحمل خزيمة بن نصر على يزيد ابن الحرث فهزمه وازدحموا على افواه السكك وفوق البيوت واقبل المختار فلما انتهى الى افواه

على جسد آزبعسكر كثير كثيف فاوقعوا بجيدر المذكور فقتلوه واعادوا شروان شاه الى مقر ملك شماخى وفى سنة اربع وتسعين وثمانمائة تحيل يعقوب شاه بحيلة غريبة حتى استولى على بلاد ديار بكر ونزعها من يد الاكراد والتركمان وانتصر عليهم وفى سنة ست وتسعين وثمانمائة ماتت أم يعقوب شاه وكان موتها سببا لاختلاف حصل بين أهل هذا البيت وكان دأبها ان تجمع فى كل أسبوع اهل هذا البيت بمكان اعدته لهم وتتكلم بكل ما يناسب الحال التى فيها اتصال البعض الى البعض وانها لما ماتت انقطع هذا التدبير وتفرقت الكلمة فكان سببا ووسيلة لدس السم على يعقوب شاه بعد وفاة والدته بثمانية عشر يوما وأخيه ميرزا يوسف بك وكان وفاتهم فى نواحى قره باغ وكانت مدة ملك يعقوب شاه اثنتى عشرة سنة وشهرين وخلف ثلاثة اولاد وهم باى سنقر وحسن ومراد وتسلطن بعده اخوه (مسيح بك) ابن حسن الطويل فوقع بين الامراء خلاف الى أن آل الحال

السكك رمته الرماة بالنبل فصدوه عن الدخول الى الكوفة من ذلك الوجه ورجع الناس
من السبخة منهزمين الى ابن مطيع وجاء قتل راشد بن اياس فسقط في يده فقال له عمرو بن الحجاج
الزبيدي ايها الرجل لا تلق بيدك واخرج الى الناس واندبهم الى عدوك فان الناس كثير وكلهم
معك الا هذه الطائفة التي خرجت والله يخزيها وانا اول منتدب فانتدب معي طائفة ومع غيري
طائفة فخرج ابن مطيع فقام في الناس ووبخهم على هزيمتهم وأمرهم بالخروج الى المختار
وأصحابه ولما رأى المختار انه قد منعه يزيد بن الحرث من دخول الكوفة عدل الى بيوت مزينة
وأحمس وبارق وبيوتهم منفردة فسقوا أصحابه الماء ولم يشرب هو فانه كان صائما فقال أحمر بن
شميط لابن كامل اتراه صائما قال نعم قال لو افطر كان أقوى له قال انه معصوم وهو اعلم بما يصنع
فقال أحمر صدقت استغفر الله فقال المختار نعم المكان للقتال هذا فقال ابراهيم ان القوم قد
هزمهم الله وأدخل الرعب في قلوبهم سر بنا فوالله مادون القصر مانع فترك المختار هنالك كل شيخ
ضعيف ذي علة وثقلهم واستخلف عليهم اباعثمان النهدي وقدم ابراهيم امامه وبعث ابن مطيع
عمرو بن الحجاج في الفين فخرج عليهم فارسل المختار الى ابراهيم أن اطوه ولا تقم عليه فطواه واقام
وأمر المختار يزيد بن أنس ان يواقف عمرو بن الحجاج فمضى اليه وسار المختار في اثر ابراهيم ثم وقف
في موضع مصلى خالد بن عبد الله ومضى ابراهيم ليدخل الكوفة من نحو الكناسة فخرج اليه
شمر بن ذي الجوشن في الفين فسرح اليه المختار سعيد بن منقذ الهمداني فواقعه وارسل الى
ابراهيم يأمره بالمسير فسار حتى انتهى الى سكة شبث فاذا نوفل بن مساحق في الفين وقيل خمسة
آلاف وهو الصحيح وقد أمر ابن مطيع مناديا فنادى في الناس ان الحقوا بابن مساحق وخرج
ابن مطيع فوقف بالكناسة واستخلف شبث بن ربعي على القصر فدنا ابن الاشتر من ابن مطيع
فامر اصحابه بالنزول وقال لهم لا يهولنكم ان يقال جاء شبث وآل عتيبة بن النهاس وآل الاشعث
وآل يزيد بن الحرث وآل فلان فسمى بيوتات أهل الكوفة ثم قال ان هؤلاء لو وجدوا حر
السيوف لانهزموا عن ابن مطيع انهزام المعزى من الذئب ففعلوا ذلك وأخذ ابن الاشتر اسفل
قبائه فادخله في منطقته وكان القباء على الدرع فلم يلبثوا حين حمل عليهم ان انهزموا يركب
بعضهم بعضا على افواه السكك وازدحموا وانتهى ابن الاشتر الى ابن مساحق فاخذ بعنان
دابته ورفع السيف عليه فقال له يا ابن الاشتر انشدك الله هل بيني وبينك من احنة او تطلبني
بثار فخلى سبيله وقال اذكرها فكان يذكرها له ودخلوا الكناسة في آثارهم حتى دخلوا السوق
والمسجد وحصروا ابن مطيع ومعه الاشراف من الناس غير عمرو بن حريث فانه اتى داره ثم
خرج الى البر وجاء المختار حتى نزل جانب السوق وولى ابراهيم حصار القصر ومعه يزيد بن انس
واحمر بن شميط فحصروهم ثلاثا فاشتد الحصار عليهم فقال شبث لابن مطيع انظر لنفسك ولمن
معك فوالله ماعندهم غنى عنك ولا عن انفسهم فقال اشيروا علي فقال شبث الرأي ان تأخذ
لنفسك ولنا امانا وتخرج ولا تهلك نفسك ومن معك فقال ابن مطيع اني لاكره ان آخذ منه امانا
والامور لامير المؤمنين مستقيمة بالحجاز والبصرة قال فتخرج ولا يشعر بك أحد فتنزل بالكوفة
عند من تثق اليه حتى تلحق بصاحبك واشار بذلك عبد الرحمن بن سعيد واسماء بن خارجة وابن
مخنف واشراف الكوفة فأقام حتى أمسى وقال لهم قد علمت ان الذين صنعوا هذا بكم انهم

الى تولية علي بك ابن خليل
بك ابن حسن الطويل ثم
لم ينتظم به الامر أيضا حتى
اقاموا بايسنقر بن يعقوب
ابن حسن الطويل صبيا
صغيرا دون عشر سنين ثم وقع
بين الامراء عدة حروب
وتشاجر بسبب أن كل جماعة
منهم اختاروا واحدا من
أهل بيت الملك ومالوا اليه
وقتل جماعة منهم ثم اتفق
الامر أن قتل بايسنقر في
بعض الحروب بعد ان ملك
سنة وثمانية أشهر واستقر
على سرير الملك (رستم ميرزا)
ابن مقصود بن حسن
الطويل وكان رستم هذا
مغرما بحب النساء مغلوبا
لهن فاستولت كل واحدة
منهن على امور المملكة
واركانها فاختل نظام الملك
وارسلوا الى الروم يدعون
السلطان أحمد وكان قد
هرب من عمه يعقوب شاه
بعد قتل ابيه والتجأ الى
السلطان السعيد بايزيد خان
العثماني فصاهره السلطان
المذكور وزوجه ابنته
فوصل الى بلاد العجم وقتل
رستم المذكور بعد ان ملك
خمسة أعوام ونصف عام
واستولى مكانه (السلطان
أحمد ابن اوغورلي محمد بن
حسن الطويل) ورام أحمد
المذكور ان يجري في تلك
البلاد نواب الشرع

أرادلكم واخساؤكم وان اشرافكم واهل الفضل منكم سامعون مطيعون وانا مبلغ ذلك
صاحبي ومعلمه طاعتكم وجهادكم حتى كان الله الغالب على أمره فاثنوا عليه خيرا وخرج
عنهم واتى دار أبي موسى فجاء ابن الاشتر ونزل القصر ففتح اصحابه الباب وقالوا يا ابن الاشتر
آمنون نحن قال انتم آمنون فخرجوا فبايعوا المختار ودخل المختار القصر فبات فيه واصبح
اشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر وخرج المختار فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه فقال
الحمد لله الذي وعد وليه النصر وعدوه الخسر وجعله فيه الى آخر الدهر وعدا مفعولا وقضاء
مقضيا وقد خاب من افترى ايها الناس انا رفعت لنا راية ومدت لنا غاية فقيل لنا في الراية
ان ارفعوها وفي الغاية ان اجروا اليها ولا تعدوها فسمعنا دعوة الداعي ومقالة الواعي
فكم من ناع وناعية لقتلى في الواغية وبعدا لمن طغى وادبر وعصى وكذب وتولى
الا فادخلوا ايها الناس وبايعوا بيعة هدى فلا والذي جعل السماء سقفا مكفوفا والارض فجاجا
سبلا ما بايعتم بعد بيعة علي بن ابي طالب وآل علي اهدى منها ثم نزل ودخل عليه اشراف
الكوفة فبايعوه على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والطلب بدماء اهل البيت
وجهاد المحلين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا وكان ممن بايعه المنذر بن
حسان وابنه حسان فلما خرجا من عنده استقبلهما سعيد بن منقذ الثوري في جماعة من الشيعة
فلما رآوهما قالوا هذان والله من رؤس الجبارين فقتلوا المنذر وابنه حسان فنهاهم سعيد حتى
يأخذوا امر المختار فلم ينتهوا فلما سمع المختار ذلك كرهه واقبل المختار يمني الناس ويستجر مودة
الاشراف ويحسن السيرة وقيل له ان ابن مطيع في دار ابي موسى فسكت فلما امسى بعث له
بمائة الف درهم وقال تجهز بهذه فقد علمت مكانك وانك لم يمنعك من الخروج الا عدم النفقة
وكان بينهما صداقة ووجد المختار في بيت المال تسعة آلاف الف فأعطى اصحابه الذين قاتل
بهم حين حصر ابن مطيع في القصر وهم ثلاثة وخمسمائة لكل رجل منهم خمسمائة درهم
واعطى ستة آلاف من اصحابه اتوه بعدما احاط بالقصر واقاموا معه تلك الليلة وتلك الايام
الثلاثة مائتين مائتين واستقبل الناس بخير وجعل الاشراف جلساءه وجعل على شرطته
عبد الله بن كامل الشاكري وعلى حرسه كيسان ابا عمرة فقام ابو عمرة على رأسه ذات يوم وهو
مقبل على الاشراف بحديثه ووجهه فقال لابي عمرة بعض اصحابه من الموالي اما ترى ابا اسحق قد
اقبل على العرب ما ينظر الينا فسأله المختار عما قالوا له فاخبره فقال قل لهم لا يشق عليهم ذلك فانتم
مني وانا منكم وسكت طويلا ثم قرأ انا من المجرمين منتقمون فلما سمعوها قال بعضهم لبعض
أبشروا كانكم والله قد قتلتم يعني الرؤساء وكان أول راية عقدها المختار لعبد الله بن الحرث
اخي الاشتر على أرمينية وبعث محمد بن عمير بن عطارد على اذربيجان وبعث عبد الرحمن بن سعيد
ابن قيس على الموصل وبعث اسحق بن مسعود على المدائن وارض جوخى وبعث قدامة بن
أبي عيسى بن زمعة النصري حليف ثقيف على بهقباذ الاعلى وبعث محمد بن كعب بن قرظة على
بهقباذ الاوسط وبعث سعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان وأمره بقتال الاكراد واقامة
الطرق وكان ابن الزبير قد استعمل على الموصل محمد بن الاشعث بن قيس فلما ولي المختار وبعث
عبد الرحمن بن سعيد الى الموصل اميرا سار محمد عنها الى تكريت ينظر ما يكون من الناس ثم

وساسة الملك على ما شاهده
في الروم فلم يعجب ذلك امراء
تلك البلاد المطبوعين على
الظلم واراقة الدم فثقل عليهم
ذلك واتفقوا على خلعه
فارسلوا الى مراد بن يعقوب
شاه فجاء وقاتل أحمد ميرزا
وهزمه ثم ظفر به فقتله
وكانت مدة ملك أحمد كو
سنة ثم اتفق الامراء
والعساكر وارسلوا الى
الوند ميرزا ابن يوسف بن
حسن الطويل وكان في بعض
بلاد الاكراد ووعدوه
بالملك فحضر واجتمع عليه
الامراء والعساكر فقاتلوا
مراد ميرزا فكسروه
واستقر مكانه في سرير
تبريز ولما مضى من ملكه
مدة سنة واحدة خرج عليه
محمد ميرزا بن يوسف بك
وادعى الملك لنفسه واستقل
امره بعراق العجم فخرج
الوند لقتاله فلم يلبث ساعة
حتى انهزم الى طرف فارس
وتمكن بالملك (محمد ميرزا)
فعند ذلك خرج السلطان
مراد بن يعقوب شاه وكان
محبوسا وجلس على سرير
الملك وذلك بعد ان تمكن
محمد ميرزا من التخت ثم انه
التقى مع محمد ميرزا فقاتله
وهزمه ثم ظفر به فقتله ثم سار
منها الى ديار بكر وانتزعها
من ايدي اعمامه * وفي سنة
ثمان وتسعمائة قصد شاه

سار الى المختار فبايعه فلما فرغ المختار مما يريد صار يجلس للناس و يقضى بينهم ثم قال ان لى فيما
احاول لشغلا عن القضاء ثم اقام شريحا يقضى بين الناس ثم خافهم شريح فتمارض وكانوا
يقولون انه عثمانى وانه شهد على حجر بن عدى وانه لم يبلغ هانى بن عروة ما ارسله به وان عليا عزله
عن القضاء فلما بلغ شريحا ذلك منهم تمارض فجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ثم
ان عبد الله مرض فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائى

(ذكر قتل المختار قتلة الحسين عليه السلام)

وفى هذه السنة وثب المختار بمن بالكوفة من قتلة الحسين وكان سبب ذلك ان مروان بن
الحكم لما استوسق له الشام بعث جيشين أحدهما الى الحجاز عليه حبيش بن دلجة القينى وقد
ذكرنا أمره وقتله والجيش الآخر الى العراق مع عبيد الله بن زياد وقد ذكرنا ما كان من أمره
وامر التوابين وكان قد جعل لابن زياد ما غلب عليه وأمره ان ينهب الكوفة ثلاثا فاحتبس
بالجزيرة وبها قيس عيلان مع زفر بن الحرث على طاعة ابن الزبير فلم يزل عبيد الله بن زياد مشتغلا
بهم عن العراق نحو سنة فتوفى مروان وولى بعده ابنه عبد الملك بن مروان فأقر ابن زياد على
ما كان أبوه ولاه وأمره بالجد فى امره فلما لم يمكنه فى زفر ومن معه من قيس شئ أقبل الى الموصل
فكتب عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار الى المختار يخبره بدخول ابن زياد ارض الموصل وانه
قد تنحى له عن الموصل الى تكريت فدعا المختار يزيد بن أنس الاسدى وأمره ان يسير الى الموصل
فينزل بادانى أرضها حتى يمده بالجنود فقال له يزيد خلنى انتخب ثلاثة آلاف فارس وخلنى بما
توجهنى اليه فان احتجت كتبت اليك استمدك فأجابه المختار فانتخب له ثلاثة آلاف وسار عن
الكوفة وسار معه المختار والناس يشيعونه فلما ودعه قال له اذا لقيت عدوك فلا تناظرهم واذا
أمكنتك الفرصة فلا تؤخرها وليكن خبرك كل يوم عندى وان احتجت الى مدد فاكتب الى مع
انى ممدك وان لم تستمد لانه أشد لعضدك وارعب لعدوك ودعا له الناس بالسلامة ودعا لهم فقال
لهم سلوا الله لى الشهادة فوالله لئن فاتنى النصر لا تفوتنى الشهادة فكتب المختار الى عبد الرحمن
ابن سعيد أن خل بين يزيد وبين البلاد فسار يزيد الى المدائن ثم سار الى ارض جوخى والراذانات
الى ارض الموصل فنزل بباتلى وبلغ خبره ابن زياد فقال لابعثن الى كل ألف الفين فارسل ربيعة
ابن مخارق الغنوى فى ثلاثة الاف وعبد الله بن جملة الخثعمى فى ثلاثة آلاف فسار ربيعة قبل
عبد الله بيوم فنزل بيزيد بن أنس بباتلى فخرج يزيد بن انس وهو مريض شديد المرض راكب على
حمار يمسكه الرجال فوقف على اصحابه وعباهم وحثهم على القتال وقال ان هلكت فاميركم ورقاء
ابن العازب الاسدى فان هلك فاميركم عبد الله بن ضمرة العذرى فان هلك فاميركم سعر بن أبى
سعر الحنفى وجعل على ميمنته عبد الله وعلى ميسرته سعرا وعلى الخيل ورقاء ونزل هو فوضع
بين الرجال على سرير وقال قاتلوا عن أميركم ان شئتم أو فروا عنه وهو يأمر الناس بما يفعلون ثم
يغمى عليه ثم يفيق واقتتل الناس عند فلق الصبح يوم عرفة واشتد قتالهم الى ارتفاع الضحى
فانهزم أهل الشام وأخذ عسكرهم وانتهى أصحاب يزيد الى ربيعة بن مخارق وقد انهزم عنه
أصحابه وهو نازل ينادى يا أولياء الحق انا ابن مخارق انما تقاتلون العبيد الاباق ومن ترك الاسلام
وخرج منه فاجتمع اليه جماعة فقاتلوا معه فاشتد القتال ثم انهزم أهل الشام وقتل ربيعة بن

مخارق

اسمعيل ابن الشيخ حيدر الصفوى ببغداد وبها السلطان مراد المذكور وكانت قد ضعفت دولتهم جدا وقويت شوكة الاسماعيلية الاردبيلية جدا وكانوا قد استولوا على غالب بلادهم التى بأيديهم فلم يطق مراد المقاومة فترك بغداد وأتى الى الروم مستغيثا مستجيرا فلم ينل بها قبولا ثم ذهب والتجأ الى علاء الدولة بن ذى القادر وأخذ منه مددا وذهب الى بغداد واستردها واستقر على سريرها وكان اسمعيل مشغولا بحرب بعض الملوك ثم قضى اربه وهجم على مراد المذكور ببغداد وطرده عنها واستولى عليها واضمحل حال مراد ميرزا ولم يعلم له خبر وهو آخر من ملك عراق العجم من أهل هذا البيت

(الباب التاسع والاربعون فى ذكر دولة الغادرية ذوى الهمم العلية المرضية)

وهم طائفة من التركمان توطنوا فى نواحى البستان ومرعش ثم كثروا واستفحل امرهم حتى ملكوا مرعش والبستان وملطية وعينتاب وعزاز وخربوت وبهسنى ودارنده وقيرشهرى وقيصارية وحصن المنصور وقلعة

مخارق قتله عبد الله بن ورقاء الاسدى وعبد الله بن ضمرة العذرى فلم يسر المنهزمون غير ساعة
حتى لقيهم عبد الله بن جلة فى ثلاثة آلاف فرد معه المنهزمين ونزل بزيد بياتلى فباتوا الليلة هم
يتحارسون فلما أصبحوا يوم الاضحى خرجوا الى القتال فاقتتلوا قتالا شديدا ثم نزلوا فصلوا
الظهر ثم عادوا الى القتال فانهزم أهل الشام وترك ابن جلة فى جماعة فقاتل قتالا شديدا فحمل
عليه عبد الله بن قراد الخثعمى فقتله وحوى أهل الكوفة عسكرهم وقتلوا فيهم قتلا ذريعا
وأسروا منهم ثلثمائة أسير وامر يزيد بن أنس بقتلهم وهو بآخر رمق فقتلوا ثم مات آخر النهار
فدفنه أصحابه وسقط فى أيديهم وكان قد استخلف ورقاء بن عازب الاسدى فصلى عليه ثم قال
لاصحابه ماذا ترون انه قد بلغنى ان ابن زياد قد أقبل اليكم فى ثمانين ألفا وانما انا رجل منكم
فاشيروا على فانى لا أرى لنا باهل الشام طاقة على هذه الحال وقد هلك يزيد وتفرق عنا بعض من
معنا فلو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا لقالوا انما رجعنا عنهم لموت أميرنا ولم يزالوا لنا هائبين
وان لقيناهم اليوم كنا مخاطرين فان هزمونا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا اياهم بالامس فقالوا نعم
ما رأيت فانصرفوا فبلغ ذلك المختار وأهل الكوفة فارجف الناس بالمختار وقالوا ان يزيد قتل
ولم يصدقوا انه مات فدعا المختار ابراهيم بن الاشتر وأمره على سبعة آلاف وقال له سر فاذا
لقيت جيش يزيد بن أنس فانت الامير عليهم فارددهم معك حتى تلقى ابن زياد وأصحابه فتناجزهم
فخرج ابراهيم فعسكر بحمام أعين وسار فلما سار اجتمع أشراف الكوفة عند شبث بن ربعى
وقالوا والله ان المختار تأمر علينا بغير رضا منا ولقد آذانا والينا فحملهم على الدواب وأعطاهم
فيئنا وكان شبث شيخهم وكان جاهليا اسلاميا فقال لهم شبث دعونى حتى القاه فذهب اليه فلم
يدع شيأ انكروه الا ذكره له فاخذ لا يذكر خصلة الا قال له المختار انا أرضيهم فى هذه الخصلة
وآتى لهم كل ما أحبوا وذكر له الموالى ومشاركتهم فى الفىء فقال له ان أنا تركت مواليكم وجعلت
فيئكم لكم تقاتلون معى بنى أمية وابن الزبير وتعطونى على الوفاء عهد الله وميثاقه وما
أطمئن اليه من الايمان فقال شبث حتى أخرج الى أصحابى فاذكر لهم ذلك فخرج اليهم فلم
يرجع اليه وأجمع رأيهم على قتاله فاجتمع شبث بن ربعى ومحمد بن الاشعث وعبد الرحمن بن سعيد
ابن قيس وشمر حتى دخلوا على كعب بن أبى كعب الخثعمى فكلموه فى ذلك فاجابهم اليه
فخرجوا من عنده حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف الازدى فدعوه الى ذلك فقال لهم ان
اطعتمونى لم تخرجوا فقالوا له لم فقال لانى أخاف ان تتفرقوا وتختلفوا ومع الرجل شجعانكم
وفرسانكم مثل فلان وفلان ثم معه عبيدكم ومواليكم وكلمة هؤلاء واحدة ومواليكم أشد حنقا
عليكم من عدوكم فهم مقاتلوكم بشجاعة العرب وعداوة العجم وان انتظرتموه قليلا كفيتموه
بقدوم أهل الشام ومجىء أهل البصرة فيكفونه بغيركم ولم تجعلوا بأسكم بينكم فقالوا ننشدك الله
ان تخالفنا وتفسد علينا رأينا وما أجمعنا عليه فقال انما أنا رجل منكم فاذا شئتم فاخرجوا
فوثبوا بالمختار بعد مسير ابراهيم بن الاشتر وخرجوا بالجبانين كل رئيس بجبانة فلما بلغ المختار
خروجهم أرسل قاصدا مجدا الى ابراهيم بن الاشتر فلحقه وهو بساباط فأمره بالرجوع
والسرعة وبعث المختار اليهم فى ذلك أخبرونى ماذا تريدون فانى صانع كل ما أحببتم قالوا نريد
ان تعتزلنا فانك زعمت ان ابن الحنفية بعثك ولم يبعثك قال فارسلوا اليه وفدا من قبلكم وأرسل

الروم وبلاد سيس وفارس وضمانتى واودية عمق وكوند زلى وغير ذلك وهم يزعمون ان نسبهم ينتهى الى كسرى انوشروان العادل ملك فارس ويعرفون من بين التركمان بالشهامة والشجاعة واول من ظهر منهم (قرجا بن ذى الغادر) فى نواحى البستان تأمر بين قومه فلما توفى قام مقامه ابنه (خليل بن قرجا) بن ذى الغادر واستفحل أمره وكان من شانه ان مبارك شاه الطازى نائب البستان نازل خليلا المذكور ليقاتله فى سنة ثمانين وسبعمائة فانكسر خليل وتبعه عسكر مبارك شاه المذكور ثم عاد عليه خليل المذكور ومع طائفة من التركمان فكسروه وظفروا به فقتلوه وفى سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة جمع خليل واخوته جموعا كثيرة فوصلوا الى تبريز وخاف أهل حلب منهم فامر الملك الصالح صاحب مصر نائب حلب والشام بالمسير على التركمان فسار العسكر من حلب الى مرعش ثم الى البستان ثم الى ملطية والتركمان تفرقهم وتحصن بالجبال المنيعة ثم رجع التركمان فهزموا العسكر وشرعوا فى النهب وفى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة

أتانا اليه وفدا ثم انظروا فى ذلك حتى ينظر منزلكم وهو يريدان يريثهم بهذه المقالة حتى يقدم عليه ابراهيم بن الاشتر وأمر أصحابه فكفوا أيديهم وقد أخذ عليهم أهل الكوفة بأفواه السكك فلا يصل اليهم شئ الا القليل وخرج عبد الله بن سبيع فى الميدان فقاتله بنو شاكر قتالا شديدا فجاءه عقبة بن طارق الجشمى فقاتل معه ساعة حتى ردهم عنه ثم أقبل فنزل عقبة مع شمر ومعه قيس عيلان فى جبانة سلول ونزل عبد الله بن سبيع مع أهل اليمن فى جبانة السبيع ولما سار رسول المختار وصل الى ابن الاشتر عشية يومه فرجع ابن الاشتر بقية عشيته تلك الليلة ثم نزل حتى أمسى وأراحوا دوابهم قليلا ثم سار ليلته كلها ومن الغد فوصل العصر وبات ليلته فى المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة ولما اجتمع أهل اليمن بجبانة السبيع حضرت الصلوات فكره كل رأس من أهل اليمن ان يتقدمه صاحبه فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف هذا اول الاختلاف قدموا الرضى فيكم سيد القراء رفاعة بن شداد البجلى ففعلوا فلم يزل يصلى بهم حتى كانت الوقعة ثم ان المختار عبى أصحابه فى السوق وليس فيه بنيان فامر ابن الاشتر فسار الى مضر وعليهم شبث بن ربعى ومحمد بن عمير بن عطارد وهم بالكناسة وخشى ان يرسله الى أهل اليمن فلا يبالغ فى قتال قومه وسار المختار نحو أهل اليمن بجبانة السبيع ووقف عند دار عمرو بن سعيد وسرح بين يديه أحمر بن شميط البجلى وعبد الله بن كامل الشاكرى وأمر كلا منهما بلزوم طريق ذكره له يخرج الى جبانة السبيع وأمر اليهما أن شباما قد أرسلوا اليه يخبرونه انهم يأتون القوم من ورائهم فمضيا كما أمرهما فبلغ أهل اليمن مسيرهما فافترقوا اليهما واقتتلوا أشد قتال رآه الناس ثم انهزم أصحاب احمر بن شميط وأصحاب ابن كامل ووصلوا الى المختار فقال ما وراءكم قالوا هزمنا وقد نزل احمر بن شميط ومعه ناس من أصحابه وقال أصحاب ابن كامل ما ندرى ما فعل ابن كامل فاقبل بهم المختار نحو القوم حتى بلغ دار أبى عبد الله الجدلى فوقف ثم ارسل عبد الله بن قراد الخثعمى فى اربعمائة الى ابن كامل وقال له ان كان قد هلك فانت مكانه وقاتل القوم وان كان حيا فاترك عنده ثلثمائة من اصحابك وامض فى مائة حتى تأتى جبانة السبيع فتأتى أهلها من ناحية حمام قطن فمضى فوجد ابن كامل يقاتلهم فى جماعة من اصحابه قد صبروا معه فترك عنده ثلثمائة رجل وسار فى مائة حتى أتى مسجد عبد القيس وقال لاصحابه انى أحب ان يظهر المختار وأكره ان تهلك أشراف عشيرتى اليوم ووالله لان اموت احب الى من ان يهلكوا على يدى ولكن قفوا فقد سمعت ان شباما يأتونهم من ورائهم فلعلهم يفعلون ذلك ونعافى نحن منه فاجابوه الى ذلك فبات عند مسجد عبد القيس وبعث المختار مالك بن عمرو النهدى وكان شجاعا وعبد الله بن شريك النهدى فى أربعمائة الى أحمر بن شميط فانتهوا اليه وقد علاه القوم وكثروه فاشتد قتالهم عند ذلك واما ابن الاشتر فانه مضى الى مضر فلقى شبث بن ربعى ومن معه فقال لهم ابراهيم ويحكم انصرفوا فما أحب ان يصاب من مضر على يدى فابوا وقاتلوه فهزمهم وجرح حسان بن فائد العبسى فحمل الى أهله فمات فكان مع شبث وجاءت البشارة الى المختار بهزيمة مضر فارسل الى احمر بن شميط وابن كامل يبشرهما فاشتد امرهما فاجتمع شبام وقد رأسوا عليهم أبا القلوص ليأتوا اليمن من ورائهم فقال بعضهم لبعض لو جعلتم جدكم على مضر وربيعة لكان اصوب وأبو القلوص ساكت فقالوا ما تقول فقال قال الله

تعالى

قتل خليل بن قرجا ولده من العمر ستون سنة قتله بعض امراء التركمان فى جماعة بمواطأة صاحب مصر وارسل رأسه الى مصر فعند ذلك امر صاحب مصر نواب الشام بالتوجه الى قتال التركمان فوصلوا الى طنون ما بين مرعش والبستان فالتقى بهم سولى ابن قراجا بن ذى الغادر فكسرهم وقتل من جماعة صاحب مصر سودون العلائى نائب حماة وكذا نائب بهسنى فبلغ ذلك صاحب مصر فشق عليه ولم يزل يعمل الحيلة حتى دس على سولى بن قراجا من يقتله كما قتل أخاه فقتله رجل يقال له على خان ضربه بسكين فى خاصرته وهو نائم فى مكان بقرب مرعش وهرب القاتل وذلك فى سنة ثمانمائة ولما قتل توجه ولده الى الملك الظاهر فقرره مكان ابيه وكان ناصر الدين محمد بن خليل بن قرجا قد استقر فى الملك عوض عمه فوقع بينه وبين بن عمه الذى ولاه الملك الظاهر مقتلة عظيمة قتل فيها خلق كثير من التركمان وفى سنة ثنتين وعشرين وثمانمائة نرض الملك المؤيد شيخ صاحب

تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فساروا معه نحو أهل اليمن فلما خرجوا الى جبانة السبيع لقيهم على فم السكة الاعسر الشاكرى فقتلوه ونادوا فى الجبانة وقد دخلوها يا لثارات الحسين فسمعها يزيد بن عمير بن ذى مران الهمدانى فقال يا لثارات عثمان فقال لهم رفاعة بن شداد ما لنا ولعثمان لا اقاتل مع قوم يبغون دم عثمان فقال له ناس من قومه جئت بنا وأطعناك حتى اذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت انصرفوا ودعوهم فعطف عليهم وهو يقول شعر

انا ابن شداد على دين على * لست لعثمان بن اروى بولى

لاصلين اليوم فيمن يصطلى * بحر نار الحرب غير مؤتلى

فقاتل حتى قتل وكان رفاعة مع المختار فلما رأى كذبه أراد قتله غيلة قال فمنعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم من ائتمنه رجل على دمه فقتله فانا منه برىء فلما كان هذا اليوم قاتل مع اهل الكوفة فلما سمع يزيد بن عمير يقول يا لثارات عثمان عاد عنهم فقاتل مع المختار حتى قتل وقتل يزيد بن عمير بن ذى مران والنعمان بن صهبان الجرمى وكان ناسكا وقتل الفرات بن زحر بن قيس وجرح أبوه زحر وقتل عبد الله بن سعيد بن قيس وقتل عمر بن مخنف وقاتل عبد الرحمن ابن مخنف حتى جرح وحملته الرجال على أيديهم وما يشعر وقاتل حوله رجال من الازد وانهزم أهل اليمن هزيمة قبيحة وأخذ من دور الوادعيين خمسمائة أسير فأتى بهم المختار مكتفين فأمر المختار باحضارهم وعرضهم عليه وقال انظروا من شهد منهم قتل الحسين فأعلمونى فقتل كل من شهد قتل الحسين فقتل منهم مائتين وثمانية وأربعين قتيلا وأخذ أصحابه يقتلون كل من كان يؤذيهم فلما سمع المختار بذلك أمر باطلاق كل من بقى من الاسارى وأخذ عليهم المواثيق ان لا يجامعوا عليه عدوا ولا يبغوه وأصحابه غائلة ونادى منادى المختار من أغلق بابه فهو آمن الا من شرك فى دماء آل محمد صلى الله عليه وسلم وكان عمرو بن الحجاج الزبيدى ممن شهد قتل الحسين فركب راحلته وأخذ طريق واقصة فلم ير له خبر حتى الساعة وقيل أدركه أصحاب المختار وقد سقط من شدة العطش فذبحوه وأخذوا رأسه ولما قتل فرات بن زحر بن قيس أرسلت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجعفية وكانت امرأة الحسين الى المختار تسأله أن يأذن لها فى دفنه ففعل فدفنته وبعث المختار غلاما له يدعى زربى فى طلب شمر بن ذى الجوشن ومعه أصحابه فلما دنوا منه قال شمر لاصحابه تباعدوا عنى لعله يطمع فى فتباعدوا عنه فطمع زربى فيه ثم حمل عليه شمر فقتله وسار شمر حتى نزل ساتيدما ثم سار حتى نزل قرية يقال لها الكلتانية على شاطئ نهر الى جانب تل ثم ارسل الى أهل تلك القرية فاخذ منها علجا فضربه وقال امض بكتابى هذا الى مصعب بن الزبير فمضى العلج حتى دخل القرية وفيها ابو عمرة صاحب المختار وكان قد أرسله المختار الى تلك القرية ليكون مسلحة بينه وبين أهل البصرة فلقى ذلك العلج علجا آخر من تلك القرية فشكا اليه ما لقى من شمر فبينما هو يكلمه اذ مر به رجل من أصحاب أبى عمرة اسمه عبد الرحمن بن أبى الكنود فرأى الكتاب وعنوانه لمصعب بن الزبير من شمر فقال للعلج أين هو فاخبره فاذا ليس بينه وبينهم الا ثلاثة فراسخ قال فاقبلوا يسيرون اليه وكان قد قال لشمر أصحابه لو ارتحلت بنا من هذه القرية فانا نتخوف منها فقال كل هذا فزعا من الكذاب والله لا أتحول منها ثلاثة أيام ملأ الله قلوبهم رعبا فانهم لنيام اذ سمع وقع الحوافر

مصر نيابة قيسارية وطرابلس الى ناصر الدين المذكور مضافا الى نيابة البستان وفى هذه السنة كسر ناصر الدين محمد بن قرمان وابراهيم ابن رمضان على قيسارية كسرا منكرا قتل مصطفى ابن محمد بن قرمان فى المعركة وقبض على أبيه محمد بن قرمان فاعتقله وارسله مقيدا الى مصر مع رأس ولده صحبة ابنه داود بن ناصر الدين محمد فخلع عليه واكرم نزله وفى سنة ست وأربعين وثمانمائة توفى ناصر الدين وقرر صاحب مصر مكانه (ملك ارسلان ابن سليمان) وفى سنة سبعين وثمانمائة قدم ارسلان المذكور الى القاهرة فقتله صاحب مصر لكونه سلم بلاد خربوت لحسن الطويل وعين مكانه لاخيه شاه بداق بن سليمان واعتضد اخوه شاه سوار بك بسلطان الروم فاستولى على البستان ولما بلغ ذلك صاحب مصر أرسل لقتالهما كثيرا من العسكر فهزمهم شاه سوار وافناهم بالقتل وفى سنة خمس وتسعين وثمانمائة التقى شاه سوار بابن رمضان التركمانى صاحب اذنه فهزمه الى قلعة اياس وشاه سوار فى اثره فلما بلغ صاحب

فقالوا فى أنفسهم هذا صوت الدبى ثم اشتد فذهب أصحابه ليقوموا فاذا بالخيل قد أشرفت من
التل فكبروا واحاطوا بالابيات فولى أصحابه هاربين وتركوا خيولهم وقام شمر وقد اتزر ببرد
وكان ابرص فظهر بياض برصه من فوق البرد وهو يطاعنهم بالرمح وقد عجلوه عن لبس ثيابه
وسلاحه وكان أصحابه قد فارقوه فلما أبعدوا عنه سمعوا التكبير وقائلا يقول قتل الخبيث قتله
ابن ابى الكنود وهو الذى رأى الكتاب مع العلج والقيت جثته للكلاب قال وسمعته بعد ان
قاتلنا بالرمح ثم القاه وأخذ السيف فقاتلنا به وهو يرتجز شعر

نبهتم ليث عرين باسلا * جهما محياه يدق الكاهلا
لم يرنوما عن عدو ناكلا * الا كذا مقاتلا أو قاتلا
يبرحهم ضربا ويروى العاملا

واقبل المختار الى القصر من جبانة السبيع ومعه سراقة بن مرداس البارقى اسيرا فناداه شعر

امنن على اليوم يا خير معد * وخير من حل بتجر والجند * وخير من لبى وحيا وسجد

فارسله المختار الى السجن ثم احضره من الغد فاقبل اليه وهو يقول شعر

ألا أبلغ أبا اسحق انا * نزونا نزوة كانت علينا
خرجنا لانرى الضعفاء شيأ * وكان خروجنا بطرا وحينا
لقينا منهم ضربا طلحفا * وطعنا صائبا حتى انثنينا
نصرت على عدوك كل يوم * بكل كتيبة تنعى حسينا
كنصر محمد فى يوم بدر * ويوم الشعب اذ لاقى حنينا
فأسجح اذ ملكت فلو ملكنا * لجرنا فى الحكومة واعتدينا
تقبل توبة منى فانى * ساشكر اذ جعلت النقد دينا

قال فلما انتهى الى المختار قال أصلح الله الامير احلف بالله الذى لا اله الا هو لقد رأيت الملائكة
تقاتل معك على الخيول البلق بين السماء والارض فقال له المختار اصعد المنبر فاعلم الناس فصعد
فاخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به فقال له انى قد علمت انك لم تر شيأ وانما أردت ما قد عرفت ان لا اقتلك
فاذهب عنى حيث شئت لا تفسد على أصحابى فخرج الى البصرة فنزل عند مصعب وقال شعر

الا أبلغ أبا اسحق أنى * رأيت البلق دهما مصمتات
كفرت بوحيكم وجعلت نذرا * على قتالكم حتى الممات
أرى عينى مالم تبصراه * كلانا عالم بالترهات

وقتل يومئذ عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى وادعى قتله سعر بن أبى سعر وأبو الزبير
الشبامى وشبام من همدان ورجل آخر فقال ابن عبد الرحمن لابى الزبير الشبامى أتقتل أبى
عبد الرحمن سيد قومك فقرأ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله الآية وانجلت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلا من قومه وكان اكثر القتل ذلك
اليوم فى أهل اليمن وكانت الوقعة لست ليال بقين من ذى الحجة سنة ست وستين وخرج أشراف
الناس فلحقوا بالبصرة وتجرد المختار لقتلة الحسين وقال ما من ديننا ان نترك قتلة الحسين احياء
بئس ناصر آل محمد صلى الله عليه وسلم أنا اذا فى الدنيا انا اذا الكذاب كما سمونى وانى أستعين

بالله

مصر اهتم فى أمره فجهز
عسكرا ضخما الى قتاله
صحبتهم شاه بداق بن ذى
الغادر فوصلوا الى مدينة
البستان فهرب شاه سوار
فقبض عليه بالامان فاتى به
الى مصر فى السلسلة وامر
به صاحب مصر فصلب حيا
مكلبا بكلاليب من حديد
فى لوحى اكتافه وكان عمره
دون الخمسين سنة وكان
أديبا عاقلا ذا رأى وشجاعة
وضرب اسمه على سكة
الدراهم والدنانير ودعى له
على المنابر بمدينة البستان
وماوالاها من الممالك
واستقر فى الامرة شاه بداق
ابن سليمان الى أن غلب عليه
اخوه (علاء الدولة) بن
سليمان ثم لم يزل يضخم أمره
حتى ملك بلادا لم يملكها
آباؤه الاقدمون واستقر فى
الملك وبعد صيته واستولى
على مدينة سيس وطرسوس
ثم على مدينة آمد وسائر
بلاد ديار بكر وفى سنة
اثنتى عشرة وتسعمائة قصد
صاحب اذربيجان شاه
اسمعيل استرداد ديار بكر
من أيدى ذى الغادرية
فقتلوا منهم مقتلة عظيمة
وأسر بعض أولاد علاء
الدولة وقتل بعضهم
فى المعركة واستولى شاه
اسمعيل على آمد وغيرها

بالله عليهم فسموهم لى ثم ائتوهم حتى تقتلوهم فانى لا يسوغ لى الطعام والشراب حتى
أطهر الارض منهم فدل على عبد الله بن أسيد الجهنى ومالك بن بشير البدى وحمل بن مالك
المحاربى فبعث اليهم المختار فاحضرهم من القادسية فلما رآهم قال يا أعداء الله ورسوله أين
الحسين بن على أدوا الى الحسين قتلتم من أمرتم بالصلاة عليهم فقالوا رحمك الله بعثنا
كارهين فامنن علينا واستبقنا فقال لهم هلا مننتم على الحسين ابن بنت نبيكم فاستبقيتموه
وسقيتموه وكان البدى صاحب برنسه فأمر بقطع يديه ورجليه وترك يضطرب حتى مات وقتل
الآخرين وأمر بزياد بن مالك الضبعى وبعمران بن خالد القشيرى وبعبد الرحمن بن أبى
خشارة البجلى وبعبد الله بن قيس الخولانى فأحضروا عنده فلما رآهم قال يا قتلة الصالحين
وقتلة سيد شباب أهل الجنة قد أقاد الله منكم اليوم لقد جاءكم الورس فى يوم نحس وكانوا نهبوا
من الورس الذى كان مع الحسين ثم أمر بهم فقتلوا وأحضروا عنده عبد الله وعبد الرحمن ابنى
صلخت وعبد الله بن وهب بن عمرو الهمدانى وهو ابن عم اعشى همدان فأمر بقتلهم فقتلوا
وأحضر عنده عثمان بن خالد بن أسيد الدهمانى الجهنى وأبو أسماء بشر بن شميط القانصى
وكانا قد اشتركا فى قتل عبد الرحمن بن عقيل وفى سلبه فضرب أعناقهما وأحرقا بالنار ثم أرسل
الى خولى بن يزيد الاصبحى وهو صاحب رأس الحسين فاختفى فى مخرجه فدخل أصحاب المختار
يفتشون عليه فخرجت امرأته واسمها العيوف بنت مالك وكانت تعاديه منذ جاء برأس الحسين
فقالت لهم ما تريدون فقالوا لها أين زوجك قالت لا أدرى وأشارت بيدها الى المخرج فدخلوا
فوجدوه وعلى رأسه قوصرة فاخرجوه وقتلوه الى جانب أهله وأحرقوه بالنار

(ذكر مقتل عمر بن سعد وغيره ممن شهد قتل الحسين)

ثم ان المختار قال يوما لاصحابه لاقتلن غدا رجلا عظيم القدمين غائر العينين مترف الحاجبين
يسر قتله المؤمنين والملائكة المقربين وكان عنده الهيثم بن الاسود النخعى فعلم انه يعنى عمر بن
سعد فرجع الى منزله وأرسل الى عمر مع ابنه العريان يعرفه ذلك فلما قاله له قال جزى الله أباك
خيرا كيف يقتلنى بعد العهود والمواثيق وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة أكرم الناس على
المختار لقرابته بعلى وكلمه عمر بن سعد ليأخذ له أمانا من المختار ففعل وكتب له المختار أمانا
وشرط فيه ان لا يحدث وعنى بالحدث دخول الخلاء ثم ان عمر بن سعد خرج من بيته بعد عود
العريان عنه فاتى حمامه فاخبر مولى له بما كان منه وبأمانه فقال له مولاه وأى حدث أعظم مما
صنعت تركت أهلك ورحلك وأتيت الى ههنا ارجع ولا تجعل عليك سبيلا فرجع وأتى المختار
فاخبره بانطلاقه فقال كلا ان فى عنقه سلسلة سترده وأصبح المختار فبعث اليه أبا عمرة فاتاه وقال
أجب الامير فقام عمر فعثر فى جبة له فضربه أبو عمرة بسيفه فقتله وأخذ رأسه فاحضره عند
المختار فقال المختار لابنه حفص بن عمر وهو جالس عنده أتعرف من هذا قال نعم ولا خير
فى العيش بعده فامر به فقتل وقال المختار هذا بحسين وهذا بعلى بن الحسين ولا سواء والله
لو قتلت به ثلاثة ارباع قريش ما وفوا انملة من انامله وكان السبب فى تهيج المختار على قتله ان
يزيد بن شراحيل الانصارى اتى محمد بن الحنفية وسلم عليه وجرى الحديث الى أن تذاكروا
المختار فقال ابن الحنفية انه يزعم انه لنا شيعة وقتلة الحسين عنده على الكراسى يحدثونه فلما

الى ان أخذها منه
السلطان سليم خان بن بايزيد
خان فى سنة اثنتين وعشرين
وتسعمائة ولما توجه
السلطان المذكور لقتال
شاه اسمعيل وجاوز حدود
البستان أغار جماعة من
عسكر علاء الدولة صحبة
بعض أولاده على احمال
ذخائر عسكر السلطان
المبرور فأخذ منه شيأ كثيرا
فلم يلتفت اليهم السلطان
حتى عاد من غزو العجم
وشتى بمدينة اماسية وعين
جماعة من العسكر صحبة
سنان باشا الطواشى الى
قتال علاء الدولة واقتتل
الفريقان بقرب البستان
فانهزم عسكر علاء الدولة
وقتل هو وكان عمره أكثر
من تسعين سنة وعين مكانه
السلطان المبرور الامير
(على بك بن شاه سوار) بن
علاء الدولة وفى سنة ثمان
وعشرين وتسعمائة أرسل
السلطان فرهاد باشا الوزير
امامه فلما وصل بقرب
مدينة توقات أرسل الى
على بك يدعوه اليه ليدبر
معه فلما وصل اليه على بك
مع ابنيه البطل الصارم
صار وأرسلان وعدة أولاد
له قبض عليهم وأمر بخنقهم
فخنقوا ولم يبق منهم أحد
ودخلت بلادهم جميعا تحت

عادين بدا خبر المختار بذلك فقتل عمر بن سعد وبعث برأسه ورأس ابنه الى ابن الحنفية وكتب اليه يعلمه انه قد قتل من قدر عليه وانه فى طلب الباقين ممن حضر قتل الحسين قال عبد الله ابن شريك أدركت اصحاب الازدية المعلمة وأصحاب البرانس السود من أصحاب السوارى اذا مر بهم عمر بن سعد قالوا هذا قاتل الحسين وذلك قبل ان يقتله وقال ابن سيرين قال على لعمر ابن سعد كيف أنت اذا اقمت مقاما تخير فيه بين الجنة والنار فتختار النار ثم ان المختار أرسل الى حكيم بن طفيل الطائى وكان أصاب سلب العباس بن على ورمى الحسين بسهم وكان يقول تعلق سهمى بسرباله وما ضره فاتاه أصحاب المختار فاخذوه وذهب أهله فشفعوا بعدى بن حاتم فكلمهم عدى فيه فقالوا ذلك الى المختار فمضى عدى الى المختار ليشفع فيه وكان المختار قد شفعه فى نفر من قومه أصابهم يوم جبانة السبيع فقالت الشيعة انا نخاف ان يشفعه المختار فيه فقتلوه رميا بالسهام كما رمى الحسين حتى صار كأنه القنفذ ودخل عدى بن حاتم على المختار فأجلسه معه فشفع فيه عدى فقال المختار أتستحل ان تطلب فى قتلة الحسين فقال عدى انه مكذوب عليه قال اذا ندعه لك فدخل ابن كامل فاخبر المختار بقتله فقال ما اعجلكم الى ذلك الا أحضرتموه عندى وكان قد سره قتله فقال ابن كامل غلبتنى عليه الشيعة فقال عدى لابن كامل كذبت ولكن ظننت ان من هو خير منك سيشفعنى فقتلته فسبه ابن كامل فنهاه المختار عن ذلك وبعث المختار الى قاتل على بن الحسين وهو مرة بن منقذ من عبد القيس وكان شجاعا فأحاطوا بداره فخرج اليهم على فرسه وبيده رمحه فطاعنهم فضرب على يده وهرب منهم فنجا ولحق بمصعب بن الزبير وشلت يده بعد ذلك وبعث المختار الى زيد بن رقاد الجنبى كان يقول لقد رميت فتى منهم بسهم وكفه على جبهته يتقى النبل فاثبت كفه فى جبهته فما استطاع ان يزيل كفه عن جبهته وكان ذلك الفتى عبد الله بن مسلم بن عقيل وانه قال حين رميته اللهم انهم استقلونا واستذلونا فاقتلهم كما قتلونا ثم انه رمى الغلام بسهم آخر وكان يقول جئته وهو ميت فنزعت سهمى الذى قتلته به من جوفه ولم أزل انضنض الآخر عن جبهته حتى أخذته وبقى النصل فلما أتاه أصحاب المختار خرج اليهم بالسيف فقال لهم ابن كامل لا تطعنوه ولا تضربوه بالسيف ولكن ارموه بالنبل والحجارة ففعلوا ذلك به فسقط فاحرقوه حيا وطلب المختار سنان بن أنس الذى كان يدعى قتل الحسين فرآه قد هرب الى البصرة فهدم داره وطلب عبد الله بن عقبة الغنوى فوجده قد هرب الى الجزيرة فهدم داره وكان قد قتل منهم غلاما وطلب آخر من بنى أسد يقال له حرملة بن الكاهن كان قد قتل رجلا من أهل الحسين ففاته وطلب أيضا رجلا من خثعم اسمه عبد الله بن عروة الخثعمى كان يقول رميت فيهم باثنى عشر سهما ففاته ولحق بمصعب بن الزبير فهدم داره وطلب أيضا عمرو بن الصبيح الصدائى كان يقول لقد طعنت فيهم وجرحت وما قتلت منهم أحدا فاتى ليلا فأخذوا حضر عند المختار فامر باحضار الرماح وطعن بها حتى مات وأرسل الى محمد بن الاشعث وهو فى قرية له الى جنب القادسية فطلبوه فلم يجدوه وكان قد هرب الى مصعب فهدم المختار داره وبنى بلبنها وطينها دار حجر بن عدى الكندى كان زياد قد هدمها (بحير بن ريسان بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة شبام بكسر الشين المعجمة والباء الموحدة بطن من همدان وهمدان بسكون الميم وبالدال المهملة وسعر بكسر

فسبحان من لا يزول ملكه وكل شئ هالك الا وجهه

(الباب الخمسون فى ذكر الدولة الرمضانية ذوى المحاسن السنية)

وهم من طائفة التركمان الذين تغلبوا على بعض بلاد الروم واول من ظهر منهم واشتهر واستفحل أمره (احمد بن رمضان) وكان له من البلاد اذنه وسيس واياس وتوابعها ولى الامارة من قبل الثمانين وسبعمائة واستمر يشاقق العساكر الشامية تارة ويصالحونه اخرى وفى سنة ثمانين وسبعمائة سار تمربك نائب حلب بعساكر ضخمة على بلاد اذنه فنهب أموالهم وسبى نساءهم فانتهكت محارمهم فلما رجعوا أخذت التركمان عليهم مضيقا من طرف الجبل فقتلوا منهم غالب العسكر فلم ينج منهم الا الشارد النادر وامر وا تمربك نائب حلب وملكوا سيس واستعدوا لقتال أهل حلب ونهبها وفى سنة خمس وثمانين وسبعمائة تجمع عسكر الشام وحلب صحبة الامير يلبغا فساروا الى جهة التركمان فتواقعوا عند الجسر على الفرات

السين المهملة وأحمر بن شميط بالحاء المهملة والراء المهملة وشميط بالشين المعجمة وشبث بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة جبانة أثير بضم الهمزة وبالثاء المثلثة وبالياء المثناة من تحت وبالراء المهملة عتيبة بن النهاس بالعين المهملة وبالتاء المثناة من فوق ثم بالياء المثناة من تحت وبالباء الموحدة حسان بن فائد بالفاء)

* (ذكر بيعة المثنى العبدى للمختار بالبصرة) *

وفى هذه السنة دعا المثنى بن مخربة العبدى بالبصرة الى بيعة المختار وكان ممن شهد عين الوردة مع سليمان بن صرد ثم رجع فبايع للمختار فسيره الى البصرة يدعو بها اليه فقدم البصرة ودعا بها فاجابه رجال من قومه وغيرهم ثم أتى مدينة الرزق فعسكر عندها وجمعوا الميرة بالمدينة فوجه اليهم القباع أمير البصرة وعباد بن حصين وهو على شرطته وقيس بن الهيثم فى الشرط والمقاتلة فخرجوا الى السبخة ولزم الناس بيوتهم فلم يخرج احد وأقبل عباد فيمن معه فتواقفوا هو والمثنى فسار عباد نحو مدينة الرزق وترك قيسا مكانه فلما أتى عباد مدينة الرزق أصعد على سورها ثلاثين رجلا وقال لهم اذا سمعتم التكبير فكبروا ورجع عباد الى قيس وانشبوا القتال مع المثنى وسمع الرجال الذين فى دار الرزق التكبير فكبروا وهرب من كان بالمدينة وسمع المثنى التكبير من ورائهم فهرب فيمن معه فكف عنهم قيس وعباد ولم يتبعوهم وأتى المثنى قومه عبد القيس فارسل القباع عسكرا الى عبد القيس ليأتوه بالمثنى ومن معه فلما رأى زياد بن عمرو العتكى ذلك أقبل الى القباع فقال له لتردن خيلك عن اخواننا أو لنقاتلنهم فارسل القباع الاحنف بن قيس وعمر بن عبد الرحمن المخزومى ليصلحا بين الناس فاصلح الاحنف الامر على ان يخرج المثنى واصحابه عنهم فاجابوه الى ذلك واخرجوهم عنهم فسار المثنى الى الكوفة فى نفر يسير من أصحابه (مخربة بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء وكسرها ثم باء مفتوحة)

* (ذكر مكر المختار بابن الزبير) *

فلما أخرج المختار عامل ابن الزبير عن الكوفة وهو ابن مطيع سار الى البصرة وكره ان يأتى ابن الزبير مهزوما فلما استجمع للمختار أمر الكوفة أخذ يخادع ابن الزبير فكتب اليه قد عرفت مناصحتى اياك وجهدى على أهل عداوتك وما كنت أعطيتنى اذا أنا فعلت ذلك فلما وفيت لك لم تف بما عاهدتنى عليه فان ترد مراجعتى ومناصحتى فعلت والسلام وكان قصد المختار ان يكف ابن الزبير عنه ليتم أمره والشيعة لا يعلمون بشئ من أمره فأراد ابن الزبير ان يعلم أسلم هو أم حرب فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومى فولاه الكوفة وقال له ان المختار سامع مطيع فتجهز بما بين ثلاثين ألف درهم الى أربعين ألفا وسار نحو الكوفة وأتى الخبر الى المختار بذلك فدعا المختار زائدة بن قدامة وأعطاه سبعين ألف درهم وقال له هذا ضعف ما أنفق عمر بن عبد الرحمن فى طريقه اليها وأمره ان يأخذ معه خمسمائة فارس ويسير حتى يلقاه بالطريق ويعطيه النفقة ويأمره بالعود فان فعل والا فأره الخيل فاخذ زائدة بن قدامة المال وسار حتى لقى عمر فاعطاه المال وأمره بالانصراف فقال له ان امير المؤمنين قد ولانى الكوفة ولا بد من اتيانها فدعا زائدة الخيل وكان قد كمنها فلما رآها قد اقبلت أخذ المال وسار

فائدة كسر التركمان

واسر اخو احمد بن رمضان وابنه وامه فقتلهم يلبغا الناصرى ثم تجمع التركمان وواقعوا يلبغا عند اذنه فكسروه وقلعت عين الناصرى وجرح ولما كانت الفتنة الكبرى فى حدود الثمانمائة رجع تيمور الى العراق واستقرت قدم احمد فى الامرة ولم يزل فى ذلك الى ان مات فى أواخر سنة تسع عشرة وثمانمائة وكان شجاعا مهابا ثم اختلف أولاده بعده حتى استقر فى الامرة (داود بك بن رمضان) فاستمر الى ان توفى ثم قام مكانه ولده (محمود بك) فمات واستقر بعده اخوه (خليل بك) بن داود وكان شهما شجاعا عاقلا وقورا صاحب خيرات ومبرات بنى فى مدينة اذنة جامعا كبيرا للمحاسن جامعا وهو من نوادر الدنيا حسنا واتقانا ثم توفى فى حدود سنة ست عشرة وتسعمائة ففوض السلطان سليمان خان امرة ولاية اذنة وسيس وتوابعهما الى ولده النجيب (بيرى بك) ثم ولاه السلطان المبرور نيابة حلب ثم الشام ثم رده الى مكان أبيه وجده بطلبه ولم يزل بها الى ان مات فى حدود سنة سبعين وتسعمائة

نحو البصرة فاجتمع هو وابن مطيع فى امارة الحرث بن أبى ربيعة وذلك قبل وثوب المثنى بن مخربة
العبدى بالبصرة وقيل ان المختار كتب الى ابن الزبير انى اتخذت الكوفة دارا فان سوغتنى ذلك
وأمرت لى بألف ألف درهم سرت الى الشام فكفيتك ابن مروان فقال ابن الزبير الى متى أماكر
كذاب ثقيف ويماكرنى ثم تمثل شعر

عارى الجواعر من ثمود أصله * عبد ويزعم انه من يقدم

وكتب اليه والله ولا درهم

ولا أمترى عبد الهوان بدرتى * وانى لآتى الحتف مادمت أسمع

ثم ان عبد الملك بن مروان بعث عبد الملك بن الحرث بن أبى الحكم بن أبى العاص الى وادى
القرى وكان المختار قد وادع ابن الزبير ليكف عنه ليتفرغ لاهل الشام فكتب المختار الى
ابن الزبير قد بلغنى ان ابن مروان قد بعث اليك جيشا فان أحببت أمددتك بمدد فكتب اليه
ابن الزبير ان كنت على طاعتى فبايع لى الناس قبلك وعجل انفاذ الجيش ومرهم ليسيروا الى
من بوادى القرى من جند ابن مروان فليقاتلوهم والسلام فدعا المختار شرحبيل بن ورس
الهمدانى فسيره فى ثلاثة آلاف أكثرهم من الموالى وليس منهم من العرب الا سبعمائة رجل
وقال سر حتى تدخل المدينة فاذا دخلتها فاكتب الى بذلك حتى يأتيك أمرى وهو يريد
اذا دخلوا المدينة ان يبعث عليهم أميرا ثم يأمر ابن ورس بمحاصرة ابن الزبير بمكة وخشى ابن
الزبير أن يكون المختار انما يكيده فبعث من مكة عباس بن سهل بن سعد فى الفين وأمره ان
يستنفر الاعراب وقال له ان رأيت القوم على طاعتى والا فكايدهم حتى تهلكهم فاقبل عباس
ابن سهل حتى لقى ابن ورس بالرقيم وقد عبى ابن ورس أصحابه وأتى عباس وقد تقطع أصحابه
ورأى ابن ورس على الماء وقد عبى اصحابه فدنا منهم وسلم عليهم ثم قال لابن ورس سرا ألستم على
طاعة ابن الزبير قال بلى قال فسر بنا على عدوه الذى بوادى القرى فقال ابن ورس ما أمرت
بطاعتكم انما أمرت ان آتى المدينة فاذا أتيتها رأيت رأيى فقال له عباس ان كنتم فى طاعة ابن
الزبير فقد أمرنى أن أسيركم الى وادى القرى فقال لا أتبعك اقدم المدينة وأكتب الى صاحبى
فيأمرنى بامره فقال عباس رأيك أفضل وفطن لما يريد وقال أما انا فسائر الى وادى القرى
ونزل عباس أيضا وبعث الى ابن ورس بجزائر وغنم مسلخة وكانوا قد ماتوا جوعا فذبحوا
واشتغلوا بها واختلطوا على الماء وجمع عباس من اصحابه نحو ألف رجل من الشجعان وأقبل
نحو فسطاط ابن ورس فلما رآهم نادى فى اصحابه فلم يجتمع اليه مائة رجل حتى انتهى اليه عباس
واقتتلوا يسيرا فقتل ابن ورس فى سبعين من أهل الحفاظ ورفع عباس راية امان لاصحاب ابن
ورس فاتوها الا نحوا من ثلثمائة رجل مع سليمان بن حمير الهمدانى وعباس بن جعدة الجدلى
فظفر ابن سهل منهم بنحو من مائتين فقتلهم وافلت الباقون فرجعوا فمات أكثرهم فى الطريق
وكتب المختار بخبرهم الى ابن الحنفية يقول انى أرسلت اليك جيشا ليذلوا لك الاعداء ويحوزوا
البلاد فلما قاربوا الطيبة فعل بهم كذا وكذا فان رأيت ان أبعث الى المدينة جيشا كثيفا
وتبعث اليهم من قبلك رجلا حتى يعلموا انى فى طاعتك فافعل فانك ستجدهم بحقكم اعرف وبكم
اهل البيت أرأف منهم بآل الزبير والسلام فكتب اليه ابن الحنفية أما بعد فقد قرأت كتابك

وعرفت

وكان على جانب عظيم من
الصلاح وكان كثير الخيرات
والمبرات وقد بنى بمدينة
اذنة جامعا حسنا وعمارة
لطيفة يفرق منها الطعام
للفقراء وابناء السبيل
وبنى بها حماما وخانا وسوقا
وخلف ولدين درويش بك
وابراهيم بك ثم توفى
درويش بك بعد أبيه
بستة أشهر تقريبا وفوض
السلطان الامرة لاخيه
(ابراهيم بك) مكان أبيه
ثم توفى وتولى مكانه ولده
(محمد بك بن ابراهيم) فاما
قباد باشا فهو اخو بيرى
بك المقدم ذكره تولى امرة
طرابزون اولا ثم ولى أمير
الامراء بحلب فى حدود
سنة ست وستين وتسعمائة
ثم تولى مدينة وان فتوفى
بها وخلف ولدا اسمه سليمان
ولاه السلطان سليمان امرة
الكرك والشوبك ثم انتقل
الى امرة نابلس ثم الى بيت
المقدس وفعل فعلته التى
فعل ثم ولى أمير الامراء
بمدينة بغداد وكان سفاكا
فتاكا لا يصبر عن قتل
النفس عامله الله بما يستحق
وتولى نيابة مدينة دمشق
مدة شهرين فنزل قبل قتله
عبيده وهو نائم على فراشه
بداره التى انشأها بدمشق
فى محلة عيسى القارى

وعرفت تعظيمك لحقى وما تتوب به من سرورى وان أحب الامور كلها الى ما أطيع الله فيه فاطع الله ما استطعت وانى لو أردت القتال لوجدت الناس الى سراعا والاعوان لى كثيرا ولكن أعتزلكم واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وأمره بالكف عن الدماء

(ذكر حال ابن الحنفية مع ابن الزبير ومسير الجيش من الكوفة)

ثم ان ابن الزبير دعا محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وشيعته وسبعة عشر رجلا من وجوه أهل الكوفة منهم أبو الطفيل عامر بن واثلة له صحبة ليبايعوه فامتنعوا وقالوا لا نبايع حتى تجتمع الامة فاكثر الوقيعة فى ابن الحنفية وذمه فأغلظ له عبد الله بن هانئ الكندى وقال ائن لم يضرك الا تركنا بيعتك لا يضرك شئ وان صاحبنا يقول لو بايعتنى الامة كلها غير سعد مولى معاوية ما قبلته وانما عرض بذكر سعد لان ابن الزبير أرسل اليه فقتله فسبه عبد الله وسب أصحابه واخرجهم من عنده فاخبروا ابن الحنفية بما كان منهم فامرهم بالصبر ولم يلح عليهم ابن الزبير فلما استولى المختار على الكوفة وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفية خاف ابن الزبير أن يتداعى الناس الى الرضا به فالح عليه وعلى أصحابه فى البيعة له فحبسهم بزمزم وتوعدهم بالقتل والاحراق وأعطاه الله عهدا ان لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعدهم به وضرب لهم فى ذلك اجلا فاشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه أن يبعث الى المختار يعلمه حالهم فكتب الى المختار بذلك وطلب منه النجدة فقرأ المختار الكتاب على الناس وقال ان هذا مهديكم وصريح أهل بيت نبيكم قد تركوه ومن معه محصورا عليهم كما يحصر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق فى الليل والنهار لست أبا اسحق ان لم انصرهم نصرا مؤزرا وان لم أسرب الخيل فى اثر الخيل كالسيل يتلوه السيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل يعنى ابن الزبير وذلك ان أم خويلد أبى العوام زهرة بنت عمرو من بنى كاهل بن أسد بن خزيمة فبكى الناس وقالوا سرحنا اليه وعجل فوجه أبا عبد الله الجدلى فى سبعين راكبا من أهل القوة ووجه ظبيان بن عمارة أخا بنى تميم ومعه أربعمائة وبعث معه لابن الحنفية أربعمائة ألف درهم وسير أبا المعمر فى مائة وهانئ بن قيس فى مائة وعمير بن طارق فى أربعين ويونس بن عمران فى أربعين فوصل أبو عبد الله الجدلى الى ذات عرق فاقام بها حتى أتاه عمير ويونس فى ثمانين راكبا فبلغوا مائة وخمسين رجلا فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الرايات وهم ينادون يا لثارات الحسين حتى انتهوا الى زمزم وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم وكان قد بقى من الاجل يومان فكسروا الباب ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا خل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير فقال لهم انى لا أستحل القتال فى الحرم فقال ابن الزبير واعجبا لهذه الخشبية ينعون الحسين كأنى أنا قتلته والله لو قدرت على قتلته لقتلتهم وانما قيل لهم خشبية لانهم دخلوا مكة وبايديهم الخشب كراهة اشهار السيوف فى الحرم وقيل لانهم أخذوا الحطب الذى أعده ابن الزبير وقال ابن الزبير أتحسبون انى أخلى سبيلهم دون أن يبايع ويبايعون فقال الجدلى اى ورب الركن والمقام لتخلين سبيله أو لنجادلنك باسيافنا جدالا يرتاب منه المبطلون فكف ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة ثم قدم باقى الجند ومعهم المال حتى دخلوا المسجد الحرام فكبروا وقالوا يا لثارات الحسين فخافهم ابن الزبير وخرج محمد بن الحنفية ومن معه الى شعب على وهم يسبون ابن الزبير ويستأذنون

(الباب الحادى والخمسون فى ذكر دولة الدربندية ملوك شروان الباسقة الاغصان المشرقة اللمعان)

وأول من ملك من هذه الطائفة (الشيخ ابراهيم) الدربندى ونسبه على ما قيل يتصل بالملك كسرى أنوشروان وكان لهم الملك فى تلك البلاد الى أن أتى الله بالاسلام وكان الشيخ ابراهيم المذكور أبوه وعشائره من أهل الفلاحة يسكنون فى قرية من قرى شروان فاتفق أن تعصب أهل المملكة على من يسوسهم فاجتمعت كلمتهم على تقليد الملك الشيخ ابراهيم المذكور فساروا اليه بالمطايا السلطانية والركائب الملوكية فوجدوه قد حرث وتعب ونام فى طرف الحرث فنصبوا عليه خركاه ووقفوا له من بعيد كهيئة الملوك وحرمتهم ولم ينبهوه فلما انتبه سلموا عليه وبايعوه بالملك وجاؤا به الى المدينة وأجلسوه على سرير الملك وجعل يفتح البلاد ويعدل بين العباد ويؤلف القلوب ويحسن الى الناس حتى عظم ملكه وانتشر فى الآفاق فاذكره وهو من جملة الملوك الذين تحمد سيرتهم وفى سنة سبع وتسعين وسبعمائة قصد تيمور المسير الى دشت قبچاق وجعل

محمدا فيه فأبى عليهم فاجتمع مع محمد فى الشعب أربعة آلاف رجل فقسم بينهم المال وعزوا وامتنعوا فلما قتل المختار تضعضعوا واحتاجوا ثم ان البلاد استوثقت لابن الزبير بعد قتل المختار فارسل الى ابن الحنفية ادخل فى بيعتى والا نابذتك وكان رسوله عروة بن الزبير فقال ابن الحنفية بؤسا لاخيك ما ألجه فيما اسخط الله وأغفله عن ذات الله وقال لاصحابه ان ابن الزبير يريد أن يثور بنا وقد أذنت لمن احب الانصراف عنا فانه لا ذمام عليه منا ولا لوم فانى مقيم حتى يفتح الله بينى وبين ابن الزبير وهو خير الفاتحين فقام اليه أبو عبد الله الجدلى وغيره فأعلموه انهم غير مفارقيه وبلغ خبره عبد الملك بن مروان فكتب اليه يعلمه انه ان قدم عليه أحسن اليه وانه ينزل الى الشام ان أراد حتى يستقيم أمر الناس فخرج ابن الحنفية وأصحابه الى الشام وخرج معه كثير عزة وهو يقول شعر

هديت يا مهدينا ابن المهتدى * أنت الذى نرضى به ونرتجى

أنت ابن خير الناس من بعد النبى * أنت امام الحق لسنا نمترى

يا ابن على سر ومن مثل على

فلما وصل مدين بلغه غدر عبد الملك بعمرو بن سعيد فندم على اتيانه وخافه فنزل أيلة وتحدث الناس بفضل محمد وكثرة عبادته وزهده وحسن هديه فلما بلغ ذلك عبد الملك ندم على اذنه له فى قدومه بلده فكتب اليه انه لا يكون فى سلطانى من لم يبايعنى فارتحل الى مكة ونزل شعب أبى طالب فارسل اليه ابن الزبير يأمره بالرحيل عنه وكتب الى أخيه مصعب بن الزبير يأمره أن يسير نساء من مع ابن الحنفية فسير نساء منهن امرأة أبى الطفيل عامر بن واثلة فجاءت حتى قدمت عليه فقال الطفيل شعر

ان يك سيرها مصعب * فانى الى مصعب متعب

أقود الكتيبة مستلئما * كأنى أخو عزة أجرب

وهى عدة أبيات وألح ابن الزبير على ابن الحنفية بالانتقال الى مكة فاستأذنه أصحابه فى قتال ابن الزبير فلم يأذن لهم وقال اللهم ألبس ابن الزبير لباس الذل والخوف وسلط عليه وعلى أشياعه من يسومهم الذى يسوم الناس ثم سار الى الطائف فدخل ابن عباس على ابن الزبير وأغلظ له فجرى بينهما كلام كرهنا ذكره وخرج ابن عباس ايضا فلحق بالطائف ثم توفى فصلى عليه ابن الحنفية وكبر عليه أربعا وبقى ابن الحنفية حتى حصر الحجاج ابن الزبير فأقبل من الطائف فنزل الشعب فطلبه الحجاج ليبايع عبد الملك فامتنع حتى يجتمع الناس فلما قتل ابن الزبير كتب ابن الحنفية الى عبد الملك يطلب منه الامان له ولمن معه وبعث اليه الحجاج يأمره بالبيعة فأبى وقال قد كتبت الى عبد الملك فاذا جاءنى جوابه بايعت وكان عبد الملك كتب الى الحجاج يوصيه بابن الحنفية فتركه فلما قدم رسول ابن الحنفية وهو أبو عبد الله الجدلى ومعه كتاب عبد الملك بامانه وبسط حقه وتعظيم أهله حضر عند الحجاج وبايع لعبد الملك بن مروان وقدم عليه الشام وطلب منه أن لا يجعل للحجاج عليه سبيلا فأزال حكم الحجاج عنه وقيل ان ابن الزبير أرسل الى ابن عباس وابن الحنفية أن بايعا فقالا حتى يجتمع الناس على امام ثم نبايع فانك فى فتنة فعظم الامر بينهما وغضب من ذلك وحبس ابن الحنفية فى زمزم وضيق على ابن عباس

طريقه الى بلاد الشيخ ابراهيم المذكور فاستشار الشيخ ابراهيم قومه فى أمر تيمور وما يفعله قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فقال لا أجعل عسكرى عرضة للسيف ولا أترك رعيتى تحت سنابك الخيل ولا يكون ذلك ولا أقاتل ولكنى أتوجه اليه بنفسى وامتثل بين يديه سامعا مطيعا فان ردنى الى مكانى فهو غاية الامانى وان قتلنى فقد سلمت رعيتى من القتل والخسار والنهب والاسار ثم أمر بالتقادمات فجمعت وأذن للجيوش فتفرقت وأمر باقامة الخطبة باسم تيمور وبضرب السكة باسمه ثم حمل التقادم وورد عليه وتمثل بين يديه وكان من عادة الجغتاى فى تقديم الخدم أن يقدموا من كل جنس تسعة فقدم الشيخ ابراهيم المذكور من كل جنس من أصناف ما قدم من الهدايا والتحف وأنواع الغرائب والطرف تسعة ومن المماليك ثمانية فقال له المتسلمون لذلك وأين التاسع من المماليك فقال التاسع نفسى القانية فلما بلغ تيمور هذا الكلام أعجبه وحل من قلبه بمكان ومقام وقال له أنت ولدى وخليفتى فى هذه البلاد ومعتمدى وخلع عليه خلع الملوك ورده

في منزله وأراد احراقهما فارسل المختار جيشا كما تقدم فازال عنهما ضرر ابن الزبير فلما قتل المختار قوى عليهما ابن الزبير وقال لاتبايعاني فخرجا الى الطائف وأرسل ابن عباس ابنه عليا الى عبد الملك بالشام وقال لأن يربني بنو عمي أحب الي من أن يربني رجل من بني أسد يعني بني عمه بني أمية لانهم جميعهم من ولد عبد مناف ويعني برجل من بني أسد ابن الزبير فانه من بني أسد بن عبد العزى بن قصي ولما وصل علي بن عبد الله بن عباس الى عبد الملك سأله عن اسمه وكنيته فقال اسمي علي والكنية أبو الحسن فقال لا يجتمع هذا الاسم وهذه الكنية في عسكري أنت ابو محمد ولما وصل ابن عباس الى الطائف توفي به وصلى عليه ابن الحنفية

(ذكر الفتنة بخراسان)

في هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم من كان بخراسان من بني تميم بسبب قتلهم ابنه محمدا وقد تقدم ذكره فلما تفرقت بنو تميم بخراسان على ما تقدم أتى قصره قريبا عدة من فرسانهم ما بين السبعين الى الثمانين فولوا أمرهم عثمان بن بشر بن المحتفز المازني ومعه شعبة بن ظهير النهشلي وورد بن الفلق العنبري وزهير بن ذؤيب العدوي وجيهان بن مشجعة الضبي والحجاج بن ناشب العدوي ورقبة بن الحر في فرسان من تميم وشجعانهم فحاصرهم ابن خازم فكانوا يخرجون اليه فيقاتلونه ثم يرجعون الى القصر فخرج ابن خازم يوما في ستة آلاف وخرج اليه أهل القصر فقال لهم بشر ارجعوا فلن تطيقوه فحلف زهير بن ذؤيب بالطلاق انه لا يرجع حتى يعترض صفوفهم فاستبطن نهرا قد يبس فلم يشعر به أصحاب عبد الله حتى حمل عليهم فحطم أولهم على آخرهم واستدار وكر راجعا واتبعوه يصيحون به ولم يجسر أحد ينزل اليه حتى رجع الى موضعه فحمل عليهم فافرجوا له حتى رجع فقال ابن خازم لاصحابه اذا طاعنتم زهيرا فاجعلوا في رماحكم كلاليب ثم علقوها في سلاحه فخرج اليهم يوما فطاعنهم فاعلقوا فيه أربعة ارماح بالكلاليب فالتفت اليهم ليحمل عليهم فاضطربت أيديهم وخلوا رماحهم فعاد يجر اربعة أرماح حتى دخل القصر فارسل ابن خازم الى زهير يضمن له مائة ألف وميسان طعمة ليناصحه فلم يجبه فلما طال الحصار عليهم أرسلوا الى ابن خازم ليمكنهم من الخروج ليتفرقوا فقال لا الا على حكمي فاجابوا الى ذلك فقال زهير ثكلتكم أمهاتكم والله ليقتلنكم عن آخركم وان طبتم بالموت نفسا فموتوا كراما اخرجوا بنا جميعا فاما أن تموتوا كراما واما أن ينجو بعضكم ويهلك بعضكم وايم الله لئن شددتم عليهم شدة صادقة ليفرجن لكم فان شئتم كنت أمامكم وان شئتم كنت خلفكم فأبوا عليه فقال سأريكم ثم خرج هو ورقبة بن الحر وغلام تركي وابن ظهير فحملوا على القوم حملة منكرة فأفرجوا لهم فمضوا فاما زهير فرجع ونجا أصحابه فلما رجع زهير الى من بالقصر قال قد رأيتم اطيعوني قالوا انا نضعف عن هذا ونطمع في الحياة فقال لا اكون أعجزكم عند الموت فنزلوا على حكم ابن خازم فارسل اليهم فقيدهم وحملوا اليه رجلا رجلا فاراد أن يمن عليهم فأبى عليه ابنه موسى وقال له ان عفوت عنهم قتلت نفسي فقتلهم الا ثلاثة أحدهم الحجاج بن ناشب فشفع فيه بعض من معه فاطلقه والآخر جيهان بن مشجعة الضبي الذي ألقى نفسه على محمد بن عبد الله كما تقدم والآخر رجل من بني سعد من تميم وهو الذي رد الناس عن ابن خازم يوم لحقوه وقال انصرفوا عن فارس مضر وقال ولما ارادوا حمل زهير بن ذؤيب وهو مقيد أبى

الى بلاده مستبشرا ببلوغ الامنية وفي سنة احدى وعشرين وثمانمائة مات صاحب شروان الشيخ ابراهيم المذكور وتولى مكانه ولده الجليل (أولوسلطان خليل) ابن الشيخ ابراهيم فقصده قره يوسف التركماني بستة آلاف فارس فسار الى شماخي فواقعه بعسكر شروان فهزمه وقتل من عسكره أناسا كثيرة ومكث السلطان خليل في الملك مدة متطاولة مع ماله من الخير والعدل والنصر حتى توفي وتولى مكانه ولده الحسيب (شروان شاه) ابن خليل ابن الشيخ ابراهيم وفي أيامه ظهر الشيخ حيدر الصوفي الاردبيلي صاحب عراق العجم واستفحل أمره وجعل يركب في عشرة آلاف مقاتل فملك بعض البلاد ثم ظهر في سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة وحاصر بلاد شروان فاستنجد عليه صاحب شروان من صاحب العراق السلطان يعقوب بن حسن الطويل فانجده بجيش كثيف فسار الى قتال حيدر المذكور فقاتله وهزمه وظفر به فقتله وقتل عدة أولاده وكان شاه اسمعيل ابن حيدر مع أبيه في الوجبة فكان ممن كان فهم شروان شاه بقتله أيضا فشفع فيه

واعتمد على رمحه فوثب الخندق ثم اقبل الى ابن خازم يحجل فى قيوده فجلس بين يديه فقال له ابن خازم كيف شكرك ان اطلقتك واطعمتك ميسان قال لو لم تصنع بى الا حقن دمى لشكرتك فلم يمكنه ابنه موسى من اطلاقه فقال له ابوه ويحك نقتل مثل زهير من اقتال عدو المسلمين من لحمى نساء العرب فقال والله لو شركت فى دم اخى اقتلنك فأمر بقتله فقال زهير ان لى حاجة لا تقتلنى ويخلط دمى بدماء هؤلاء اللئام فقد نهيتهم عما صنعوا وامرتهم ان يموتوا كراما ويخرجوا عليكم مصلتين وايم الله لو فعلوا لاذعروا بنيك هذا وشغلوه بنفسه عن طلب ثار اخيه فأبوا ولو فعلوا ما قتل منهم رجل حتى يقتل رجالا فامر به ابن خازم فقتل ناحية فلما بلغ الحريش قتلهم قال

أعاذل انى لم ألم فى قتالهم * وقد عض سيفى كبشهم ثم صمما

أعاذل ما وليت حتى تبددت * رجال وحتى لم أجد متقدما

أعاذل افنانى السلاح ومن يطل * مقارعة الابطال يرجع مكلما

أعينى ان انزفتما الدمع فاسكبا * دما لازما لى دون ان تسكبا دما

أبعد زهير وابن بشر متابعا * وورد أرجى فى خراسان مغنما

أعاذل كم من يوم حرب شهدته * اكر اذا ما فارس السوء أحجما

يعنى زهير بن ذؤيب وابن بشر هو عثمان وورد بن الفلق

(ذكر مسير ابن الاشتر الى قتال ابن زياد)

وفى هذه السنة لثمان بقين من ذى الحجة سار ابراهيم بن الاشتر لقتال عبيد الله بن زياد وكان مسيره بعد فراغ المختار من وقعة السبيع بيومين وأخرج المختار معه فرسان أصحابه ووجوههم وأهل البصائر منهم ممن له تجربة وخرج معه المختار يشيعه فلما بلغ دير عبد الرحمن ابن أم الحكم لقيه أصحاب المختار معهم الكرسى يحملونه على بغل أشهب وهم يدعون الله له بالنصر ويستنصرونه وكان سادن الكرسى حوشب البرسمى فلما رآهم المختار قال

أما ورب المرسلات عرفا * لنقتلن بعد صف صفا * وبعد ألف قاسطين ألفا

ثم ودعه المختار وقال له خذ عنى ثلاثا خف الله عز وجل فى سر أمرك وعلانيتك وعجل السير واذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم ورجع المختار وسار ابراهيم فانتهى الى أصحاب الكرسى وهم عكوف عليه قد رفعوا أيديهم الى السماء يدعون الله فقال ابراهيم اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا هذه سنة بنى اسرائيل والذى نفسى بيده اذ عكفوا على عجلهم ثم رجعوا وسار الى قصده

(ذكر حال الكرسى الذى كان المختار يستنصر به)

قال الطفيل بن جعدة بن هبيرة أضقنا اضاقة شديدة فخرجت يوما فاذا جار لى زيات عنده كرسى ركبه الوسخ فقلت فى نفسى لو قلت للمختار فى هذا شيأ فأخذته من الزيات وغسلته فخرج عود نضار قد شرب الدهن وهو يبض قال فقلت للمختار انى كنت اكتمك شيأ وقد بدا لى أن اذكره لك ان أبى جعدة كان يجلس على كرسى عندنا ويروى ان فيه أثرا من على قال سبحان الله أخرته الى هذا الوقت ابعث به فاحضرته عنده وقد غشى فامر لى باثنى عشر ألفا ثم دعا الصلاة جامعة فاجتمع الناس فقال المختار انه لم يكن فى الامم الخالية أمر الا وهو كائن فى هذه الامة

مثله

بعض أمرائه وقال أيها الملك استبقه فانه منا لان أمه كانت بنت حسن بك الطويل فعفا عنه شروان شاه وطرده عن حوزة ملكه ونفاه فلما تخلص شاه اسمعيل من هذه الوقعة تغرب بوادى الحيرة ثم سار الى بلاد لاهجان وتعلم فيها الرفض ثم سار منها الى اذربيجان وهو دائما يدعو الخلق اليه فاجتمع عليه من أسافل الناس وأشرارهم خلق كثير فسار بهم فى سنة ست وتسعمائة الى طرف شروان ليأخذ بثار أبيه حيدر فخرج اليه شروان شاه فقاتله فانهزم فظفر به شاه اسمعيل فقتله واستولى على بلاد شروان ودخلها وجلس على سريرها ثم تركها بعد ان مكث مدة شهر ثم استولى الملك (غازى بك) ابن شروان شاه ابن خليل بك فلما مضى من ملكه ستة أشهر بغى عليه ولده السلطان محمود بن غازى فقتله واستولى على ملك أبيه وكان ظالما غشوما فاسقا وامتنع الناس عن طاعته وأرسلوا الى أخيه صاحب كيلان شيخ شاه ابن غازى فلما أحس السلطان محمود بقدوم شيخ شاه انهزم الى شاه اسمعيل صاحب اذربيجان فوصل شيخ شاه ورأى التخت خاليا فجلس

مثله وانه كان فى بنى اسرائيل التابوت وان هذا فينا مثل التابوت فكشفوا عنه وقامت السبئية فكبروا ثم لم يلبثوا ان أرسل المختار الجند لقتال ابن زياد وخرج بالكرسى على بغل وقد غشى فقتل أهل الشام مقتلة عظيمة فزادهم ذلك فتنة فارتفعوا حتى تعاطوا الكفر فندمت على ماصنعت وتكلم الناس فى ذلك تعيبه وقيل ان المختار قال لآل جعدة بن هبيرة وكانت أم جعدة ام هانئ أخت على بن أبى طالب لابويه ائتونى بكرسى على فقالوا والله ماهو عندنا فقال لتكونن حمقى اذهبوا فأتونى به قال فظنوا أنهم لايأتونه بكرسى الاقال هذا هو وقبله منهم فأتوه بكرسى وقبضه منهم وخرجت شبام وشاكر ورؤس أصحاب المختار وقد جعلوا عليه الحرير وكان اول من سدنه موسى بن أبى موسى الاشعرى كان يلم بالمختار لان أمه ام كلثوم بنت الفضل بن العباس فعتب الناس على موسى فتركه وسدنه حوشب البرسمى حتى هلك المختار وقال أعشى همدان فى ذلك شعر

شهدت عليكم انكم سبئية	وانى بكم ياشرطة الشرك عارف
فأقسم ما كرسيكم بسكينة	وان كان قد لفت عليه اللفائف
وان ليس كالتابوت فينا وان سعت	شبام حواليه ونهد وخارف
وانى امرؤ أحببت آل محمد	وتابعت وحيا ضمنته المصاحف
وبايعت عبد الله لما تتابعت	عليه قريش شمطها والغطارف

وقال المتوكل الليثى

أبلغ اباإسحق ان جئته	انى بكرسيكمو كافر
تنزو شبام حول أعواده	وتحمل الوحى له شاكر
محمرة أعينهم حوله	كأنهن الحامض الخاثر

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان على المدينة مصعب بن الزبير عاملا لاخيه عبد الله وعلى البصرة عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى لابن الزبير أيضا وكان بالكوفة المختار متغلبا عليها وبخراسان عبد الله بن خازم وفى هذه السنة توفى أسماء بن حارثة الاسلمى وله صحبة وهو من أصحاب الصفة وقيل بل مات بالبصرة فى امارة ابن زياد وتوفى جابر بن سمرة وهو ابن أخت سعد بن أبى وقاص وقيل مات فى امارة بشر بن هرون وتوفى أسماء بن خارجة بن حصن ابن حذيفة بن بدر الفزارى سيد قومه (حارثة بالحاء المهملة والثاء المثلثة)

(ثم دخلت سنة سبع وستين)

(ذكر مقتل ابن زياد)

ولما سار ابراهيم بن الاشتر من الكوفة أسرع السير ليلقوا ابن زياد قبل أن يدخل ارض العراق وكان ابن زياد قد سار فى عسكر عظيم من الشام فبلغ الموصل وملكها كما ذكرناه اولا فسار ابراهيم وخلف أرض العراق وأوغل فى ارض الموصل وجعل على مقدمته الطفيل بن لقيط النخعى وكان شجاعا فلما دنا من ابن زياد عبى اصحابه ولم يسر الاعلى تعبئة واجتماع الا أنه بعث الطفيل على الطلائع حتى بلغ نهر الخازر من بلاد الموصل فنزل بقرية بارشيا وأقبل ابن زياد

عليهم وأحسن السيرة وعدل بين الرعية وبعد ان مضى على ذلك مدة رجع السلطان محمود من بلاد العجم ومعه جماعة من العسكر فحاصر أخاه شيخ شاه بقلعة كلستان اكثر من ثلاثة أشهر فاتفق ان مملوكا من مماليك السلطان محمود ذبح مخدومه على فراشه تحت الليل وبعث برأسه الى أخيه شيخ شاه فسر به الشيخ شاه وأمر بالطبول فضربت وبالاعلام فنشرت ولما أصبحوا فتحوا ابواب القلعة وهجموا على الذين أتوا مددا فجعلوهم حصيدا وطريدا وشريدا ولم يتركوا منهم أحدا أبدا واستمر شيخ شاه فى الملك الى أن توفى فى حدود سنة خمس وعشرين وتسعمائة وكان ملكا دينا منصفا حسن السيرة محبا للعلوم والعلماء والمشايخ وخلف سبعة أولاد ذكور تسلطن منهم بعده ولده (خليل باد شاه) ودام فى الملك نحو عشرين سنة ولم يخلف من الاولاد من يصلح للملك فسلطنوا بعده ابن أخيه (شاه رخ بادشاه) ابن فرخ ميرزا ابن الشيخ شاه ابن شروان بن خليل بن شيخ ابراهيم وكان سنه خمس عشرة سنة وكان قد ضعفت فى زمانه شوكة الدربندية

اليه حتى نزل قريبا منهم على شاطئ الخازر وأرسل عمير بن الحباب السلمى وهو من أصحاب ابن
زياد الى ابن الاشتر أن القنى وكانت قيس كلها مضطغنة على ابن مروان من وقعة مرج راهط
وجند عبد الملك يومئذ كلب فاجتمع عمير وابن الاشتر فاخبره عمير انه على ميسرة ابن زياد وواعده
أن ينهزم بالناس فقال له ابن الاشتر ما رأيك أخندق على وأتوقف يومين أو ثلاثة فقال عمير
لا تفعل وهل يريدون الا هذا فان المطاولة خير لهم هم كثير أضعافكم وليس يطيق القليل الكثير
فى المطاولة ولكن ناجز القوم فانهم قد ملؤا منكم رعبا وان هم شاموا أصحابك وقاتلوهم يوما
بعد يوم ومرة بعد مرة أنسوا بهم واجترؤا عليهم فقال ابراهيم الآن علمت انك لى مناصح
وبهذا أوصانى صاحبى قال عمير أطعه فان الشيخ قد ضرسته الحرب وقاسى منها ما لم يقاسه أحد
واذا اصبحت فناهضهم وعاد عمير الى أصحابه واذكى ابن الاشتر حرسه ولم يدخل عينه غمض حتى
اذا كان السحر الاول عبى اصحابه وكتب كتائبه وامر أمراءه فجعل سفيان بن يزيد الازدى على
ميمنته وعلى بن مالك الجشمى على ميسرته وهو أخو الاحوص وجعل عبد الرحمن بن عبد الله
وهو أخو ابراهيم بن الاشتر لامه على الخيل وكانت خيله قليلة وجعل الطفيل بن لقيط على
الرجالة وكانت رايته مع مزاحم بن مالك فلما انفجر الفجر صلى الصبح بغلس ثم خرج فصف
أصحابه والحق كل أمير بمكانه ونزل ابراهيم يمشى ويحرض الناس ويمنيهم الظفر وسار بهم
رويدا فاشرف على تل عظيم مشرف على القوم واذا أولئك القوم لم يتحرك منهم احد فارسل
عبد الله بن زهير السلولى ليأتيه بخبر القوم فعاد اليه وقال له قد خرج القوم على دهش وفشل
لقينى رجل منهم وليس له كلام الا يا شيعة أبى تراب يا شيعة المختار الكذاب قال فقلت له الذى
بيننا أجل من الشتم وركب ابراهيم وسار على الرايات يحثهم ويذكرهم فعل ابن زياد بالحسين
وأصحابه وأهل بيته من السبى والقتل ومنع الماء وحرضهم على قتله وتقدم القوم اليه وقد جعل
ابن زياد على ميمنته الحصين بن نمير السكونى وعلى ميسرته عمير بن الحباب السلمى وعلى الخيل
شرحبيل بن ذى الكلاع الحميرى فلما تدانى الصفان حمل الحصين بن نمير فى ميمنة أهل الشام على
ميسرة ابراهيم فثبت له على بن مالك الجشمى فقتل ثم أخذ رايته قرة بن على فقتل فى رجال من
أهل البأس وانهزمت الميسرة فأخذ الراية عبد الله بن ورقاء بن جنادة السلولى ابن أخى
حبشى بن جنادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل المنهزمين فقال الى يا شرطة
الله فاقبل اليه اكثرهم فقال هذا أميركم يقاتل ابن زياد ارجعوا بنا اليه فرجعوا واذا ابراهيم
كاشف رأسه ينادى الى شرطة الله أنا ابن الاشتر ان خير فراركم كرار كم ليس مسيأ من أعتب
فرجع اليه اصحابه وحملت ميمنة ابراهيم على ميسرة ابن زياد وهم يرجون أن ينهزم عمير بن
الحباب كما زعم فقاتلهم عمير قتالا شديدا وأنف من الفرار فلما رأى ذلك ابراهيم قال لاصحابه
اقصدوا هذا السواد الاعظم فوالله لئن هزمناه لانجفل من ترون يمنة ويسرة انجفال طير
ذعرت فمشى أصحابه اليهم فتطاعنوا ثم صاروا الى السيوف والعمد فاضربوا بها مليا وكان
صوت الضرب بالحديد كصوت القصارين وكان ابراهيم يقول لصاحب رايته انغمس برايتك
فيهم فيقول ليس لى متقدم فيقول بلى فاذا تقدم شد ابراهيم بسيفه فلا يضرب رجلا الا صرعه
وكر ابراهيم الرجالة بين يديه كانهم الحملان وحمل أصحابه حملة رجل واحد واشتد القتال فانهزم

أصحاب

جدا وقويت دولة بنى حيدر
الصوفى وفى سنة خمس
عشرة وتسعمائة بعث شاه
طهماسب بن اسمعيل بن
حيدر الصوفى أخاه القاسب
ميرزا الى فتح شروان فانتزعها
من يد شاه رخ بادشاه فحاصر
القاسب مدينة شماخى
مدة سبعة أشهر ولم ينل
منها بطائل فلما طال أمر
الحصار نهض طهماسب
بنفسه فى جيش كثيف وارسل
الى صاحبها بالامان وبذل
الايمان ووعد بالاقطاعات
والمواهب وكانت كاذبة
فاغتر بظاهر ذلك شاه رخ
فخرج طائعا ولما وعده
طامعا فلم ير منه الاخلاف
ما وعد وشرط ثم أمر من
فى القلعة من كبار القوم
فقتل غالبهم وعين طهماسب
لاخيه القاسب امرة
شروان ورجع هو الى
تبريز واستصحب معه صاحب
شروان شاه رخ وكان يهينه
ويوقفه بين يديه كالعبد
واستخدمه فى نعله ثم غدر به
فقتله ثم ان برهان الدين على
سلطان وهو من أعمام شاه
رخ جمع جيشا كثيرا فسار
الى شروان لقتال القاسب
ميرزا فقاتله مرارا فلم يظفر
به وأتى الى الروم يستمد من
سلطانها المرحوم سليم خان
فاكرم نزله وقواه ببعض
العسكر فسار بهم الى أن

اصحاب ابن زياد وقتل من الفريقين قتلى كثيرة وقيل ان عمير بن الحباب أول من انهزم وانما
كان قتاله أولا تعذيرا فلما انهزموا قال ابراهيم انى قد قتلت رجلا تحت راية منفردة على شاطئ
نهر الخازر فالتمسوه فانى شممت منه رائحة المسك شرقت يداه وغربت رجلاه فالتمسوه فاذا هو
ابن زياد قتيلا بضربة ابراهيم فقد قدته بنصفين وسقط كما ذكر ابراهيم فاخذ رأسه وأحرقت
جثته وحمل شريك بن جدير التغلبى على الحصين بن نمير السكونى وهو يظنه عبيد الله بن زياد
فاعتنق كل واحد منهما صاحبه فنادى التغلبى اقتلونى وابن الزانية فقتلوا الحصين وقيل ان
الذى قتل ابن زياد شريك بن جدير وكان هذا شريك شهد صفين مع على وأصيبت عينه
فلما انقضت أيام على لحق شريك ببيت المقدس فأقام به فلما قتل الحسين عاهد الله تعالى ان ظهر
من يطلب بدمه ليقتلن ابن زياد أو ليموتن دونه فلما ظهر المختار للطلب بثار الحسين أقبل اليه
وسار مع ابراهيم بن الاشتر فلما التقوا حمل على خيل الشأم يهتكها صفا صفا مع أصحابه من
ربيعة حتى وصلوا الى ابن زياد وثار الرهج فلا تسمع الا وقع الحديد فانفجر عن الناس وهما
قتيلان شريك وابن زياد والاول أصح وشريك هو القائل

كل عيش قد أراه باطلا * غير ذكر الرمح فى ظل الفرس

قال وقتل شرحبيل بن ذى الكلاع الحميرى وادعى قتله سفيان بن يزيد الازدى وورقاء بن
عازب الاسدى وعبيد الله بن زهير السلمى وكان عيينة بن أسماء مع ابن زياد فلما انهزم أصحابه حمل
أخته هند بنت أسماء وكانت زوجة عبيد الله بن زياد فذهب بها وهو يرتجز

ان تصرمى حبالنا فربما * أرديت فى الهيجا الكمىّ المعلما

ولما انهزم أصحاب ابن زياد تبعهم أصحاب ابراهيم فكان من غرق اكثر ممن قتل وأصابوا
عسكرهم وفيه من كل شئ وأرسل ابراهيم البشارة الى المختار وهو بالمدائن وأنفذ ابراهيم عماله
الى البلاد فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله الى نصيبين وغلب على سنجار ودارا وما والاهما
من أرض الجزيرة فولى زفر بن الحرث قرقيسيا وحاتم بن النعمان الباهلى حران والرها
وسميساط وناحيتها وولى عمير بن الحباب السلمى كفرتوثا وطور عبدين وأقام ابراهيم بالموصل
وانفذ رأس عبيد الله بن زياد الى المختار ومعه رؤس قواده فألقيت فى القصر فجاءت حية دقيقة
فتخللت الرؤس حتى دخلت فى فم عبيد الله بن زياد ثم خرجت من منخره ودخلت فى منخره
وخرجت من فيه فعلت هذا مرارا أخرج هذا الترمذى فى جامعه وقال المغيرة أول من ضرب
الزيوف فى الاسلام عبيد الله بن زياد وقال بعض حجاب ابن زياد دخلت معه القصر حين قتل
الحسين فاضطرم فى وجهه نارا فقال بكمه هكذا على وجهه وقال لا تحدثن بهذا أحدا وقال
المغيرة قالت مرجانة لابنها عبيد الله بعد قتل الحسين يا خبيث قتلت ابن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا ترى الجنة أبدا وقال ابن مفرغ حين قتل ابن زياد

ان المنايا اذا مازرن طاغية * هتكن أستار حجاب وأبواب
أقول بعدا وسحقا عند مصرعه * لابن الخبيثة وابن الكودن الكابى
لا أنت زوحمت عن ملك فتمنعه * ولا متت الى قوم بأسباب
لا من نزار ولا من جذم ذى يمن * جلمود ذا ألقيت من بين ألهاب

وصل الى حدود شروان فرأى ان العدو قد تقوّى وتمكن من البلاد واكثر من العدد فانحاز الى طرف داغستان ومكث بها نحو ثلاثة أعوام فلما سار الملك الغازى السلطان سليمان خان فى سنة خمس وخمسين وتسعمائة لقتال طهماسب المذكور انتقل طهماسب الى أقصى بلاده فوجد برهان الدين غنيمة الفرصة فنزل عن مكانه واستولى على بلاد شروان وانتزعها من أيدى نواب طهماسب فبقى واليا بها مدة سنين ثم توفى ولم يترك من يصلح للملك فرجعت أولاده وعياله الى طرف بلاد داغستان خوفا من الشاهية واسترد طهماسب جميع بلاد شروان وخلف برهان الدين المذكور ولدين أحدهما خلف ميرزا توفى صغيرا والآخر أبو بكر ميرزا وهو الآن حىّ فى الجبل وكانت مدة تمكنه اكثر من عشرين سنة ثم انه اتصل الى حاكم التاتار دولة كراى خان وتزوج ابنته وأرسل يشفع فيه فقبل السلطان سليمان خان سؤله وعين له كل يوم وظيفة جليلة ولم يزل فى عزة مع صاحب الدشت حتى سار معه الى فتح شروان وتولى

لاتقبل الارض موتاهم اذاقبروا * وكيف تقبل رجسا بين أثواب
وقال سراقة البارقي يمدح ابراهيم بن الاشتر
أتاكم غلام من عرانين مذحج * جرى على الاعداء غير نكول
فيا ابن زياد بؤ بأعظم هالك * وذق حد ماضي الشفرتين صقيل
جزى الله خيرا شرطة الله انهم * شفوا من عبيد الله أمس غليلي
وقال عمير بن الحباب السلمي يذم جيش ابن زياد
وما كان جيش يجمع الخمر والزنا * محلا اذا لاقى العدو لينصرا

(ذكر ولاية مصعب بن الزبير البصرة)

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير الحرث بن أبي ربيعة وهو القباع عن البصرة واستعمل عليها أخاه مصعبا فقدمها مصعب متلثما ودخل المسجد وصعد المنبر فقال الناس أمير أمير وجاء الحرث بن أبي ربيعة وهو الامير فسفر مصعب لثامه فعرفوه وأمر مصعب الحرث بالصعود اليه فاجلسه تحته بدرجة ثم قام مصعب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون الى قوله من المفسدين فأشار بيده نحو الشام ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وأشار نحو الحجاز ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأشار نحو الكوفة وقال يا أهل البصرة بلغني انكم تلقبون أمراءكم وقد لقبت نفسي بالجزار

(ذكر مسير مصعب الى المختار وقتل المختار)

ولما هرب اشراف الكوفة من وقعة السبيع أتى جماعة منهم الى مصعب فأتاه شبث بن ربعي على بغلة قد قطع ذنبها وطرف أذنها وشق قباءه وهو ينادي يا غوثاه فرفع خبره الى مصعب فقال هذا شبث بن ربعي فأدخل عليه فأتاه أشراف الكوفة فدخلوا عليه وأخبروه بما اجتمعوا عليه وسألوه النصر لهم والمسير الى المختار معهم وقدم عليه محمد بن الاشعث ايضا واستحثه على المسير فأدناه مصعب وأكرمه لشرفه وقال لاهل الكوفة حين أكثروا عليه لا أسير حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة وكتب اليه وهو عامله على فارس يستدعيه ليشهد معهم قتال المختار فأبطأ المهلب واعتل بشيء من الخراج لكراهية الخروج فامر مصعب محمد بن الاشعث ان يأتي المهلب يستحثه فأتاه محمد ومعه كتاب مصعب فلما قرأه قال له أما وجد مصعب بريدا غيرك فقال ما أنا بريد لاحد غير أن نساءنا وأبناءنا وحرمنا غلبتنا عليهم عبيدنا فاقبل المهلب معه بجموع كثيرة وأموال عظيمة فقدم البصرة وأمر مصعب بالعسكر عند الجسر الاكبر وأرسل عبد الرحمن بن مخنف الى الكوفة فأمره أن يخرج اليه من قدر عليه وان يثبط الناس عن المختار ويدعوهم الى بيعة ابن الزبير سرا ففعل ودخل بيته مستترا ثم سار مصعب فقدم امامه عباد بن الحصين الحطمي التميمي وبعث عمر بن عبيد الله بن معمر على ميمنته والمهلب على ميسرته وجعل مالك بن مسمع على بكر ومالك بن المنذر على عبد القيس والاحنف بن قيس على تميم وزياد بن عمرو العتكي على الازد وقيس بن الهيثم على أهل العالية وبلغ الخبر المختار فقام

في

بهامشه الامرة حين الفتح البلاد الشروانية الوزير الاعظم مصطفى باشا وهو الآن هنالك والله أعلم

(الباب الثاني والخمسون في ذكر ملوك العجم من آل حيدر الصوفي الاردبيلي الاسماعيلي)

وأول من قام من هذه الطائفة وجمع العسكر (الشيخ جنيد) بن الشيخ ابراهيم بن خواجه علي بن الشيخ صدر الدين بن الشيخ صفي الدين بن جبرائيل قيل كان جنيد هذا من العلوية الحسينية الاسماعيلية والله أعلم بصحته وانه جمع طائفة من محبيه ومحبي آبائه فغزا الكرج وقاتلهم وغنم منهم شيأ كثيرا ثم ان ابنه الشيخ حيدر بن جنيد سلك مسلك أبيه في جمع العسكر ومباشرة الغزاة واجتمع عنده من العسكر نحو ستة آلاف أو اكثر فغزا الكرج واتخذ التاج من الجوخ الاحمر باثنتي عشرة رقعة وسمي بتاج الحيدرية ثم هجم على صاحب شروان ووقع بينهم ماحروب وانجلت عن انهزام الشيخ حيدر المذكور وقتله هو وأولاده سوى ولديه اسمعيل ويار علي فسارا الى طرف لاهجان فاجتمع عليهما من مريدة أبيهما فلما بلغ ذلك يعقوب

فى اصحابه فاعلمهم ذلك وندبهم الى الخروج مع أحمر بن شميط فخرج وعسكر بحمام أعين
ودعا المختار رؤس الارباع الذين كانوا مع ابن الاشتر فبعثهم مع احمر بن شميط فسار وعلى
مقدمته ابن كامل الشاكرى فوصلوا الى المذار وأتى مصعب فعسكر قريبا منه وعبى كل واحد
منهما جنده ثم تزاحفا فجعل ابن شميط بن كامل على ميمنته وعلى الميسرة عبد الله بن وهيب
الجشمى وجعل أبا عمرة مولى عرينة على الموالى فجاء عبد الله بن وهيب الجشمى الى ابن شميط
فقال له ان الموالى والعبيد أولو خور عند المصدوقة وان معهم رجالا كثيرا على الخيل وأنت
تمشى فمرهم فليمشوا معك فانى اتخوف ان يطيروا عليها ويسلموك وكان هذا غشا منه للموالى لما
كان لقى منهم بالكوفة فاحب ان كانت عليهم الهزيمة وان لا ينجو منهم أحد فلم يتهمه ابن شميط
ففعل ما اشار به فنزل الموالى معه وجاء مصعب وقد جعل عباد بن الحصين على الخيل فدنا عباد
من أحمر واصحابه وقال اناندعوكم الى كتاب الله وسنة رسوله والى بيعة المختار والى ان نجعل هذا
الامر شورى فى آل الرسول فرجع عباد فأخبر مصعبا فقال له ارجع فاحمل عليهم فرجع وحمل على
ابن شميط وأصحابه فلم ينزل منهم أحد ثم انصرف الى موقفه وحمل المهلب على ابن كامل فجال
بعضهم فى بعض فنزل ابن كامل فانصرف عنه المهلب ثم قال المهلب لاصحابه كروا عليهم كرة صادقة
فحملوا عليهم حملة منكرة فولوا وصبر ابن كامل فى رجال من همدان ساعة ثم انهزم وحمل عمر بن
عبيد الله على عبد الله بن أنس فصبر ساعة ثم انصرف وحمل الناس جميعا على ابن شميط فقاتل
حتى قتل وتنادوا يا معشر بجيلة وخثعم الصبر فناداهم المهلب الفرار اليوم انجى لكم علام
تقتلون أنفسكم مع هذه العبيد ثم قال والله ما ارى كثرة القتل اليوم الا فى قومى ومالت الخيل
على رجالة ابن شميط فانهزمت وبعث مصعب عبادا على الخيل فقال أيما أسير اخذته فاضرب
عنقه وسرح محمد بن الاشعث فى خيل عظيمة من أهل الكوفة فقال دونكم ثاركم فكانوا اشد
على المنهزمين من أهل البصرة لا يدركون منهزما الا قتلوه ولا يأخذون اسيرا فيعفون عنه فلم ينج
من ذلك الجيش الا طائفة أصحاب الخيل واما الرجالة فأبيدوا الا قليلا قال معاوية بن قرة المزنى
انتهيت الى رجل منهم فادخلت السنان فى عينه فاخذت اخضخض عينه به فقيل له أفعلت هذا
فقال نعم انهم كانوا عندنا احل دماء من الترك والديلم وكان معاوية هذا قاضى البصرة فلما فرغ
مصعب منهم أقبل حتى قطع من تلقاء واسط ولم يكن بنيت بعد فأخذ فى كسكر ثم حمل الرجال
اثقالهم والضعفاء فى السفن فاخذوا فى نهر خرشاد ثم خرجوا الى نهر قوسان ثم خرجوا الى
الفرات وأتى المختار خبر الهزيمة ومن قتل بها من فرسان أصحابه فقال ما من الموت بد وما من
ميتة أموتها أحب الى من ان أموت ميتة ابن شميط فعلموا انه ان لم يبلغ ما يريد يقاتل حتى يقتل
ولما بلغه ان مصعبا قد أقبل اليه فى البر والبحر سار حتى وصل السيلحين ونظر الى مجتمع الانهار نهر
الحيرة ونهر السيلحين ونهر القادسية ونهر يوسف فسكر الفرات فذهب ماؤها فى هذه الانهار
وبقيت سفن أهل البصرة فى الطين فلما رأوا ذلك خرجوا من السفن الى ذلك السكر فاصلحوه
وقصدوا الكوفة وسار المختار اليهم فنزل حروراء وحال بينهم وبين الكوفة وكان قد حصن
القصر والمسجد وادخل اليه عدة الحصار وأقبل مصعب وقد جعل على ميمنته المهلب وعلى
ميسرته عمر بن عبيد الله وعلى الخيل عباد بن الحصين وجعل المختار على ميمنته سليم بن يزيد

بيك صاحب تبريز فقبض
عليهما وحبسهما فى قلعة
اصطخر فكانا بها مدة حياة
يعقوب بيك فلما توفى يعقوب
بيك واستولى على ملكه
رستم ميرزا عفا عنهما
وأطلقهما وقال لهما
اذهبا فالزما قبرا بيكما وكونا
كانكما من زمرة الفقراء فلم
يزالا كذلك مدة حياة رستم
ميرزا فلما توفى رستم ميرزا
تولى مكانه (أحمد بيك) ابن
أوغورلو خافا من صولته
وشدة بأسه فهربا الى كيلان
والتجآ الى الملك الشريف
حسن خان فلما سمع أحمد بيك
بفرارهما والتجائهما الى
صاحب كيلان ارسل
يطلبهما منه فانكر صاحب
كيلان كونهما عنده فعين
جماعة من العلماء والاعيان
ليستحلفوه بالكلام المنزل
انهما ليسا فى أرضه فلما
تحقق ذلك سلك صاحب
كيلان مسلك الحيلة
واصطنع عريشا من
الاخشاب فى محل خفى ثم
أمر ابنى الشيخ حيدر فصعدا
عليه ولما قدم الذين بعثهم
أحمد ميرزا باستحلاف
صاحب كيلان بادر بالحلف
فحلف بالله العظيم والكلام
المنزل القديم انهما ليسا فى
أرضه ثم استمر اسمعيل
وأخوه يار على عند صاحب
كيلان حتى قتل أحمد بيك

الكندى وعلى ميسرته سعيد بن منقذ الهمدانى وعلى الخيل عمرو بن عبد الله النهدى وعلى
الرجالة مالك بن عبد الله النهدى وأقبل محمد بن الاشعث فيمن هرب من أهل الكوفة فنزل بين
مصعب والمختار فلما رأى ذلك المختار بعث الى كل جيش من أهل البصرة رجلا من أصحابه
وتدانى الناس فحمل سعيد بن منقذ على بكر وعبد القيس وهم فى ميمنة مصعب فاقتتلوا قتالا
شديدا فارسل مصعب الى المهلب احمل على من بازائك فقال ما كنت لاجزر الازد خشية أهل
الكوفة حتى أرى فرصتى وبعث المختار الى عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومى فحمل على من
بازائه وهم أهل العالية فكشفهم فانتهوا الى مصعب فجثا مصعب على ركبتيه وبرك الناس عنده
فقاتلوا ساعة وتحاجزوا ثم ان المهلب حمل فى أصحابه على من بازائه فحطموا أصحاب المختار حطمة
منكرة فكشفوهم وقال عبد الله بن عمرو النهدى وكان ممن شهد صفين اللهم انى على ما كنت
عليه بصفين اللهم ابرأ اليك من فعل هؤلاء لاصحابه وابرأ اليك من انفس هؤلاء يعنى أصحاب
مصعب ثم جالد بسيفه حتى قتل وانقضت أصحاب المختار كانهم اجمة قصب فيها نار وحمل مالك بن
عبد الله النهدى وهو على الرجالة ومعه نحو خمسين رجلا وذلك عند المساء على أصحاب ابن الاشعث
حملة منكرة فقتل ابن الاشعث وقتل عامة أصحابه وقاتل المختار على فم سكة شبث عامة ليلته
وقاتل معه رجال من أهل البأس وقاتلت معه همدان أشد قتال وتفرق الناس عن المختار
فقال له من معه أيها الامير اذهب الى القصر فجاء حتى دخله فقال له بعض أصحابه الم تكن
وعدتنا الظفر وانا سنهزمهم فقال اما قرأت فى كتاب الله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم
الكتاب فقيل ان المختار أول من قال بالبداء فلما أصبح مصعب اقبل يسير فيمن معه نحو السبخة
فمر بالمهلب فقال له المهلب يا له فتحا ما اهناه لولم يقتل محمد بن الاشعث قال صدقت ثم قال مصعب
للمهلب ان عبيد الله بن على بن أبى طالب قد قتل فاسترجع المهلب فقال مصعب قد كنت أحب
ان يشهد هذا الفتح أتدرى من قتله انما قتله من يزعم انه شيعة لابيه ثم نزل السبخة فقطع عنهم
الماء والمادة وقاتلهم المختار وأصحابه قتالا ضعيفا واجترأ الناس عليهم فكانوا اذا خرجوا
رماهم الناس من فوق البيوت وصبوا عليهم الماء القذر وكان أكثر معاشهم من النساء تأتى
المرأة متخفية ومعها القليل من الطعام والشراب الى أهلها ففطن مصعب بالنساء فمنعهن
فاشتد على المختار وأصحابه العطش وكانوا يشربون ماء البئر يعملون فيه العسل فكان ذلك
ما روى بعضهم ثم ان مصعبا أمر اصحابه فاقتربوا من القصر واشتد الحصار عليهم فقال لهم
المختار ويحكم ان الحصار لا يزيدكم الا ضعفا فانزلوا بنا فنقاتل حتى نقتل كراما ان نحن
قتلنا والله ما انا بآيس ان صدقتموهم أن ينصركم الله فضعفوا ولم يفعلوا فقال لهم اما انا فوالله
لا أعطى بيدى ولا احكمكم فى نفسى واذا خرجت فقتلت لم تزدادوا الا ضعفا وذلا فان نزلتم على
حكمهم وثبت اعداؤكم فقتلوكم وبعضكم ينظر الى بعض فتقولون ياليتنا أطعنا المختار ولو انكم
خرجتم معى كنتم ان اخطأتم الظفر متم كراما فلما رأى عبد الله بن جعدة بن هبيرة ما عزم عليه
المختار تدلى من القصر فلحق بناس من اخوانه فاختفى عندهم ثم ان المختار تطيب وتحنط
وخرج من القصر فى تسعة عشر رجلا منهم السائب بن مالك الاشعرى وكانت تحته عمرة بنت أبى
موسى الاشعرى فولدت له غلاما اسمه محمد فلما أخذ القصر وجد صبيا فتركوه فلما خرج المختار

وتولى مكانه (الوندميرزا)
خروج عند ذلك شاه اسمعيل
وأتى الى لاهجان وكان بها
شيعة من احباء والده
فهيجوه وشيعوه وعلموه
الرفض وعدوه بالنصر
وقالوا الآن نحن قليل
مستضعفون ولك احباء
فى بعض بلاد الروم وعرفوه
مكانهم فارحل اليهم واتفق
معهم فان أطاعوك
وتجمعوا عندك فات بهم
الينا فترى منا ما يسرك
وينشرح به صدرك فسار
شاه اسمعيل الى الروم
واستصحب بعضا من الخلق
معه وعاد الى لاهجان وفى
اواسط محرم سنة خمس
وتسعمائة توجه شاه اسمعيل
من لاهجان بطائفة من
العسكر وقصد بلاد
أذربيجان وغلب على
صاحبها الوندميرزا بن يوسف
ابن حسن الطويل وقتل
عدة ملوك منهم وهم اخواله
حتى استولى على بلاد
اذربيجان وسمى بالشاه
وخطب له على منابرها وهو
أول من تجبر وطغى من
هذه الطائفة وفى سنة ست
وتسعمائة قصد صاحب
شروان وقتله واستولى على
بلاده ثم سار الى ديار بكر
فقاتل صاحبها واستولى على
غالب بلاده وتوجه الى
العراق واستولى على بغداد

قال للسائب ماذا ترى قال ماترى أنت قال ويحك يا احمق انما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير قد وثب بالحجاز ورأيت ابن نجدة وثب باليمامة ومروان بالشام وكنت فيها كاحدهم الا انى قد طلبت بثار أهل البيت اذ نامت عنه العرب فقاتل على حسبك ان لم يكن لك نية فقال انا لله وانا اليه راجعون ما كنت أصنع ان أقاتل على حسبى ثم تقدم المختار فقاتل حتى قتل قتله رجلان من بنى حنيفة اخوان أحدهما طرفة والآخر طراف ابنا عبد الله بن دجاجة فلما كان الغد من قتله دعاهم بجير بن عبد الله المسلى ومن معه بالقصر الى مادعاهم المختار فأبوا عليه وامكنوا أصحاب مصعب من أنفسهم ونزلوا على حكمه فاخرجوهم مكتفين فاراد اطلاق العرب وقتل الموالى فأبى أصحابه عليه فعرضوا عليه فامر بقتلهم وعرض عليه بجير المسلى فقال لمصعب الحمد لله الذى ابتلانا بالاسر وابتلاك بان تعفو عنا هما منزلتان احداهما رضا الله والاخرى سخطه من عفا عفا الله عنه وزاده عزا ومن عاقب لم يأمن القصاص يا ابن الزبير نحن أهل قبلتكم وعلى ملتكم ولسنا تركا ولا ديلما فانما خالفنا اخواننا من أهل مصرنا فاما ان يكن اصبنا أو اخطأنا فاقتتلنا بيننا كما اقتتل اهل الشام بينهم ثم اجتمعوا وكما اقتتل أهل البصرة واصطلحوا واجتمعوا وقد ملكتم فاسجحوا وقد قدرتم فاعفوا فما زال بهذا القول حتى رق لهم الناس ومصعب وأراد ان يخلى سبيلهم فقام عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقال اتخلى سبيلهم اخترنا أو اخترهم وقام محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الهمدانى فقال مثله وقام اشراف الكوفة فقالوا مثله فامر بقتلهم فقالوا له يا ابن الزبير لا تقتلنا واجعلنا على مقدمتك الى أهل الشام غدا فما بكم عنا غنى فان قتلنا لم نقتل حتى نضعفهم لكم وان ظفرنا بهم كان ذلك لكم فابى عليهم فقال بجير المسلى لا تخلط دمى بدمائهم اذ عصونى فقتلهم وقال مسافر بن سعيد بن نمران الناعطى ما تقول يا ابن الزبير لربك غدا وقد قتلت أمة من المسلمين حكموك فى أنفسهم صبرا اقتلوا منا بعدة من قتلنا منكم ففينا رجال لم يشهدوا موطنا من حربنا يوما واحدا كانوا فى السواد وجباية الخراج وحفظ الطرق فلم يسمع منه وأمر بقتله ولما أراد قتلهم استشار مصعب الاحنف بن قيس فقال أرى ان تعفوا فان العفو أقرب للتقوى فقال اشراف أهل الكوفة اقتلهم وضجوا فقتلهم فلما قتلوا قال الاحنف ما ادركتم بقتلهم ثارا فليته لا يكون فى الآخرة وبالا وبعثت عائشة بنت طلحة امرأة مصعب اليه فى اطلاقهم فوجدهم الرسول قد قتلوا وأمر مصعب بكف المختار ابن أبى عبيد فقطعت وسمرت بمسمار الى جانب المسجد فبقيت حتى قدم الحجاج فنظر اليها وسأل عنها فقيل هذا كف المختار فامر بنزعها وبعث مصعب عماله على الجبال والسواد وكتب الى ابراهيم بن الاشتر يدعوه الى طاعته ويقول له ان أطعتنى فلك الشام وأعنة الخيل وما غلبت عليه من أرض المغرب ما دام لآل الزبير سلطان وأعطاه عهد الله على ذلك وكتب عبد الملك بن مروان الى ابن الاشتر يدعوه الى طاعته ويقول ان أنت اجبتنى فلك العراق فاستشار ابراهيم أصحابه فاختلفوا فقال ابراهيم لو لم أكن اصبت ابن زياد واشراف الشام لاجبت عبد الملك مع انى لا اختار على اهل مصرى وعشيرتى غيرهم فكتب الى مصعب بالدخول معه فكتب اليه مصعب أن اقبل فاقبل اليه بالطاعة فلما بلغ مصعبا اقباله اليه بعث المهلب على عمله بالموصل والجزيرة وارمينية واذربيجان ثم ان مصعبا دعا ام ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار وعمرة بنت النعمان بن

واستولى على جميع العراق وعدى على صاحب خراسان وماوراء النهر يشبك خان بن اوزبك خان فكسره وقتله وجعل جمجمة رأسه مثل القدح فكان يشرب منه الخمر مدة حياته وتيسر له فتح بلاد خراسان وفى سنة عشرين وتسعمائة وقع بينه وبين المرحوم السلطان سليم خان قتال شديد كما مر آنفا وتوفى فى سنة ثلاثين وتسعمائة وكان عمره الى يوم وفاته ثمانيا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ومدة ملكه أربع وعشرون سنة وكان مقداما شجيعا باسلا وكان مشغولا باللعب والملاهى وترك عدة أولاد وتولى الملك أكبرهم (شاه طهماسب) وكان فيه من الرأى وحسن التدبير والحزم ما لا مزيد عليه وكان شفوقا على الرعية مراعيا لأحوال المملكة وقد وقع بينه وبين سلطان الروم وقهرمان القروم السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان وقائع آل ذلك الى انهزامه وأخذ غالب بلاده ووقع بينه وبين اوزبك خان وقائع وحروب يطول شرحها حتى توفى فى سابع صفر سنة أربع وثمانين وتسعمائة مسموما سمته زوجته أم حيدر فى النورة

بشير الانصارية امرأته الاخرى فاحضرهما وسألهما عن المختار فقالت أم ثابت نقول فيه بقولك أنت فاطلقها وقالت عمرة رحمها الله كان عبد الله صالحا فحبسها وكتب الى أخيه عبد الله ابن الزبير انها تزعم انه نبي فأمره بقتلها فقتلت ليلا بين الكوفة والحيرة قتلها بعض الشرط ضربها ثلاث ضربات بالسيف وهي تقول يا أبتاه يا عترتاه فرفع رجل يده فلطم القاتل وقال يا ابن الزانية عذبتها ثم تشحطت فماتت فتعلق الشرطي بالرجل وحمله الى مصعب فقال خلوه فقد رأى امرا فظيعا فقال عمرو بن أبي ربيعة المخزومي في ذلك

ان من أعجب العجائب عندي * قتل بيضاء حرة عطبول

قتلت هكذا على غير جرم * ان لله درها من قتيل

كتب القتل والقتال علينا * وعلى المحصنات جر الذيول

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري في ذلك أيضا

أتى راكب بالامر ذى النبا العجب * بقتل ابنة النعمان ذى الدين والحسب

بقتل فتاة ذات دل ستيرة * مهذبة الاخلاق في الخيم والنسب

مطهرة من نسل قوم أكارم * من المؤثرين الخير في سالف الحقب

خليل النبي المصطفى ونصيره * وصاحبه في الحرب والضرب والكرب

أتاني بان الملحدين توافقوا * على قتلها لا أحسنوا القتل والسلب

فلا هنأت آل الزبير معيشة * وذاقوا لباس الذل والخوف والحرب

كانهم اذ أبرزوها وقطعت * بأسيافهم فازوا بمملكة العرب

ألم تعجب الاقوام من قتل حرة * من المحصنات الدين محمودة الادب

من الغافلات المؤمنات برية * من الذم والبهتان والشك والكذب

علينا دبات القتل والبأس واجب * وهن العفاف في الحجال وفي الحجب

على دين اجداد لها وابوة * كرام مضت لم تخز اهلا ولم ترب

من الخفرات لا خروج بزنة * ولا دمية تبغي على جارها الجنب

ولا الجار ذى القربى ولم تدر ما الخنا * ولم تزدلف يوما بسوء ولم تجب

عجبت لها اذ كتفت وهي حية * الا ان هذا الخطب من أعجب العجب

وقيل ان المختار انما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مصعب البصرة وان مصعبا لما سار اليه فبلغه مسيره ارسل اليه أحمر بن شميط وأمره ان يواقعه بالمذار وقال ان الفتح بالمذار لانه بلغه ان رجلا من ثقيف يفتح عليه بالمذار فتح عظيم فظن انه هو وانما كان ذلك للحجاج في قتال عبد الرحمن بن الاشعث وأمر مصعب عبادا الحطمي بالمسير الى جمع المختار فتقدم وتقدم معه عبيد الله بن علي بن أبي طالب وبقي مصعب على نهر البصريين وخرج المختار في عشرين ألفا وزحف مصعب ومن معه فوافوه مع الليل فقال المختار لاصحابه لا يبرحن أحد منكم حتى يسمع مناديا ينادي يا محمد فاذا سمعتموه فاحملوا فلما طلع القمر أمر مناديا فنادى يا محمد فحملوا على اصحاب مصعب فهزموهم وأدخلوهم عسكرهم فلم يزالوا يقاتلونهم حتى أصبحوا وأصبح المختار وليس عنده احد وأصحابه قد داوغلوا في أصحاب مصعب فانصرف المختار منهزما حتى دخل قصر

وكان متحرزا في ماكله ومشربه من هذه الجهة فاتفق ان دخل الحمام فتنور فجعل السم في النورة فتقطعت مذاكيره فدعا ابنه حيدرا فقال لم فعلت بي هذا يا حيدر ولم عجلت على هب انك ملكت ووصلت الى ما رمت فهل تتمتع بعدى فلما مات أخذت بنته بيرى خان خاتم أخيها حيدر فقالت يا أخي ادخل الى الخزانة وانظر الى ما فيها فان الملك لا يتم الا بالمال وكانت دست فيها رجالا مسلحين فهجموا عليه فقتلوه وأخرجت جنازته مع جنازة أبيه طهماسب وكانت مدة ملك طهماسب المذكور أربعا وخمسين سنة ثم ركبت بيرى خان وسارت الى أخيها اسمعيل وكان محبوسا في قلعة الموت مدة حياة أبيه وهي خمس وعشرون سنة وكانت هي واسمعيل من أب واحد وأم واحدة فعمدت اليه فاخرجته وفوضت الامر اليه جميعا ثم ان اسمعيل قتلها ولم يمهلها وكان اسمعيل المذكور شعبانا ثم صار سنيا وسببه ان ذات يوم ضاق صدره وهو محبوس فاراد ان يقتل نفسه فغلب عليه النوم فرأى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه الاربعة

الكوفة وجاء أصحابه حين اصبحوا فوقفوا مليا فلم يروا المختار فقالوا قد قتل فهرب منهم من
أطاق الهرب فاختفوا بدور الكوفة وتوجه منهم نحو القصر ثمانية آلاف فوجدوا المختار في
القصر قد خلوا عليه وكانوا قد قتلوا تلك الليلة من أصحاب مصعب خلقا كثيرا منهم محمد بن
الاشعث واقبل مصعب فاحاط بالقصر وحاصرهم أربعة أشهر يخرج المختار كل يوم فيقاتلهم
في سوق الكوفة فلما قتل المختار بعث من في القصر يطلب الامان فأبى مصعب فنزلوا على حكمه
فقتل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك وسائرهم من العجم وكان عدة القتلى ستة آلاف رجل ولما
قتل المختار كان عمره سبعا وستين سنة وكان قتله لاربع عشرة خلت من رمضان سنة سبع وستين
قيل ان مصعبا لقي ابن عمر فسلم عليه وقال له أنا ابن أخيك مصعب فقال له ابن عمر أنت القاتل
سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة غير ما بدا لك فقال مصعب انهم كانوا كفرة فجرة فقال
والله لو قتلت عدتهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفا وقال ابن الزبير لعبد الله بن عباس ألم
يبلغك قتل الكذاب قال ومن الكذاب قال ابن أبي عبيد قال قد بلغني قتل المختار قال كأنك
نكرت تسميته كذابا ومتوجع له قال ذاك رجل قتل قتلتنا وطلب ثارنا وشفى غليل صدورنا
وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة وقال عروة بن الزبير لابن عباس قد قتل الكذاب المختار وهذا
رأسه فقال ابن عباس قد بقيت لكم عقبة كؤد فان صعدتموها فانتم أنتم والا فلا يعني عبد الملك
ابن مروان وكانت هدايا المختار تأتي ابن عمر وابن الحنفية فيقبلانها وقيل رد ابن عمر هديته

(ذكر عزل مصعب بن الزبير وولاية حمزة بن عبد الله بن الزبير)

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا عن العراق بعد ان قتل المختار وولى مكانه
ابنه حمزة بن عبد الله وكان حمزة جوادا مخلطا يجود احيانا حتى لا يدع شيأ يملكه ويمنع احيانا
ما لا يمنع مثله وظهر منه بالبصرة خفة وضعف فيقال انه ركب يوما فرأى فيض البصرة فقال ان
هذا الغدير ان رفقوا به ليكفينهم ضيعتهم فلما كان بعد ذلك رآه جازرا فقال قد قلت لو رفقوا به
لكفاهم وظهر منه غير ذلك فكتب الاحنف الى أبيه وسأله ان يعزله عنهم ويعيد مصعبا فعزله
فاحتمل مالا كثيرا من مال البصرة فعرض له مالك بن مسمع فقال له لا ندعك تخرج بعطايانا
فضمن له عبيد الله بن عبد الله العطاء فكف عنه وشخص حمزة بالمال وأتى المدينة فاودعه
رجالا فجحدوه الا رجلا واحدا فوفى له وبلغ ذلك اباه فقال أبعده الله اردت ان أباهي به بني
مروان فنكص وقيل ان مصعبا أقام بالكوفة سنة بعد قتل المختار معزولا عن البصرة عزله
أخوه عبد الله واستعمل عليها ابنه حمزة ثم ان مصعبا وفد على أخيه عبد الله فرده على البصرة
وقيل بل انصرف مصعب الى البصرة بعد قتل المختار واستعمل على الكوفة الحرث بن ابي
ربيعة فكانتا في عمله فعزله أخوه عن البصرة واستعمل ابنه حمزة ثم عزل حمزة بكتاب الاحنف
وأهل البصرة ورد مصعبا

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس عبد الله بن الزبير وكان عامله على الكوفة والبصرة من تقدم ذكره وكان على قضاء
الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وبالشام عبد الملك بن
مروان وبخراسان عبد الله بن خازم * وفي هذه السنة مات الاحنف بن قيس بالكوفة مع

رضوان الله عليهم أجمعين
فاقبل نحو علي بن أبي
طالب كرم الله وجهه ليظهر
له المحبة فاعرض عنه الامام
ولم يلتفت اليه فسأله عن
سبب اعراضه فقال له
الامام لبغضك لابي بكر
فأقبل نحو الصديق واعتذر
عنده وقبل رجليه وتاب
ورجع عن بغضه اياه فبشره
الصديق بالفرج من هذا
المضيق بعد سنتين وعين له في
شهر كذا ويوم كذا وأخبره
بان يأتيه رجل يخبره بموت
أبيه ويدعوه الى الملك
وأوصاه بان لا يجتمع بذلك
الرجل ولا يلتفت الى كلامه
ثم بعد ذلك يأتيه رجل آخر
في ذلك اليوم بعد الظهر
فيجتمع بذلك الرجل
ويصدق كلامه ويتوجه
معه فلما توفي والده وتولى
الملك حيدر ارسل من يقتله
فلما قتل حيدر في تلك
الساعة أرسلت اليه اخته
فصدق كلامها وخرج
واستولى على سرير الملك
ورجع عن اعتقاده وصار
من أهل السنة والجماعة
وقتل غالب الروافض
وكان متجبرا متعاظما الى
الغاية فتحجب عن الخلق
على خلاف قاعدة اسلافه
وفوض الامر الى وكيله
وهو الوزير الاعظم عندهم
فكل من له حاجة يعرضها

مصعب وقيل مات سنة احدى وسبعين بالكوفة لما سار مصعب الى قتال عبد الملك بن مروان وقتل هبيرة بن مريم مولى الحسين بن على بالخازر وهو من أصحاب المختار وثقات المحدثين * وفيها توفى جنادة بن أبى أمية وادرك الجاهلية وليست له صحبة وقتل مصعب عبد الرحمن وعبد الرب ابنى حجر بن عدى وعمران بن حذيفة بن اليمان قتلهم صبرا بعد قتل المختار و بعد قتل أصحابه

(ثم دخلت سنة ثمان وستين)

(ذكر عزل حمزة وولاية مصعب البصرة)

وفى هذه السنة رد عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا الى العراق وسببه ان الاحنف رأى من حمزة ابن عبد الله اختلاطا وحمقا فكتب الى أبيه فعزله ورد مصعبا واستعمل على الكوفة الحرث ابن أبى ربيعة وقيل كان سبب عزله حمزة انه قصر بالاشراف وبسط يده ففزعوا الى مالك بن مسمع فضرب خيمته على الجسر ثم أرسل الى حمزة الحق بابيك واخرجه عن البصرة فقال العديل العجلى

اذا ما خشينا من أمير ظلامة * دعونا أبا سفيان يوما فعسكرا

(ذكر حروب الخوارج بفارس والعراق)

فى هذه السنة استعمل مصعب عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس وولاه حرب الازارقة وكان المهلب على حربهم ايام مصعب الاولى وايام حمزة بن عبد الله بن الزبير فلما عاد مصعب أراد ان يولى المهلب بلاد الموصل والجزيرة وارمينية ليكون بينه و بين عبد الملك بن مروان فكتب اليه وهو بفارس فى القدوم عليه فقدم واستخلف على عمله ابنه المغيرة ووصاه بالاحتياط وقدم البصرة فعزله مصعب عن حرب الخوارج وبلاد فارس واستعمل عليها عمر بن عبيد الله بن معمر فلما سمع الخوارج به قال قطرى بن الفجاءة قد جاءكم شجاع وهو شجاع و بطل وجاء يقاتل لدينه وملكه بطبيعة لم أر مثلها لاحد ما حضر حربا الا كان أول فارس يقتل قرنه وكان الخوارج قد استعملوا عليهم بعد قتل عبيد الله بن الماحوز الزبير بن الماحوز على ماذكرناه سنة خمس وستين فجاءت الخوارج الى اصطخر فقدم اليهم عمر ابنه عبيد الله فى خيل فاقتتلوا فقتل عبيد الله بن عمر وأراد الزبير بن الماحوز قتال عمر فقال له قطرى ان عمر موتور فلا تقاتله فابى فقاتله فقتل من فرسان الخوارج تسعون رجلا وطعن عمر صالح بن مخارق فشتر عينه وضرب قطريا على جبينه ففلقه وانهزمت الخوارج وسار والى سابور فنهاد عمر والقيهم بها ومعه مجاعة بن سعر فقتل مجاعة بعمود كان معه اربعة عشر رجلا من الخوارج وكاد عمر يهلك فى هذه الوقعة فدافع عنه مجاعة فوهب له عمر تسعمائة ألف درهم فقيل فى ذلك

قد ذدت عادية الكتيبة عن فتى * قد كاد يترك لحمه اقطاعا

وظهر عليهم فساروا وقطعوا قنطرة بينهم ما يمتنع من طلبهم وقصدوا نحو اصبهان فاقاموا عندها حتى قووا واستعدوا ثم اقبلوا حتى مروا بفارس وبها عمر فقطعوها فى غير الموضع الذى هم به اخذوا على سابور ثم على أرجان حتى أتوا الاهواز فقال مصعب العجب لعمر قطع هذا العدو الذى هو بصدد محاربته أرض فارس فلم يقاتلهم ولو قاتلهم وفر كان اعذر له وكتب اليه يا ابن معمر ما انصفتنى تجبى الفئ وتحيد عن العدو قفا كفنى أمرهم فسار عمر من فارس

الى الوكيل فيرفعه الوكيل اليه وكان يرجى منه حالات كثيرة من الشجاعة والشهامة وكان يخاف منه أهل البلاد فلما تولى الملك صار اجبن الخلق وعجز عن ضبط المملكة وكان أخوه محمد خدابنده بخراسان ما أطاعه وكذلك أكثر القبائل هنالك وكان عمره جاوز خمسين سنة وتوفى فى ثالث عشر رمضان سنة خمس وثمانين وتسعمائة مسموما لانه كان يتعاطى أكل الترياق ويبالغ فيه فسموه فى الترياق فمات وقيل هجم عليه خواص ملكه فى صورة النساء فقتلوه لانه كان متغضبا على عسكر أبيه حيث يزعم انهم صاروا سببا لحبسه فشرع فى قتلهم حتى بلغ من قتل ثلاثين الفا وكان يقول اذا تجدد رأس الخيمة ينبغى ان تجدد الاطناب أيضا فأبغضوه وملوا منه ثم تولى الملك بعده أخوه الكبير صاحب خراسان (محمد خدابنده) بن طهماسب فلما بلغه موت أخيه قدم من خراسان الى قزوين واستقر على سرير الملك وكان يرجى منه الخير والعدل ثم ظهر منه ما يخالف ذلك وطغى وتجبر عن قبول الهدنة بينه وبين السلطان

فى اثرهم مجدا يرجوان يلحقهم قبل ان يدخلوا العراق وخرج مصعب فعسكر عند الجسر الاكبر
وعسكر الناس معه وبلغ الخوارج وهم بالاهواز اقبال عمر اليهم وان مصعبا قد خرج من البصرة
اليهم فقال لهم الزبير بن الماحوز من سوء الرأى وقوعكم بين هاتين الشوكتين انهضوا بنا الى
عدونا نلقهم من وجه واحد فسار بهم فقطع بهم أرض جوخى والنهروانات فاتى المدائن وبها
كردم بن مرثد الفزارى فشنوا الغارة على أهل المدائن يقتلون الرجال والنساء والولدان
ويشقون اجواف الحبالى فهرب كردم وأقبلوا الى ساباط ووضعوا السيف فى الناس يقتلون
وارسلوا جماعة الى الكرخ فلقوا أبا بكر بن مخنف فقاتلهم قتالا شديدا فقتل أبو بكر وانهزم
أصحابه وافسد الخوارج فى الارض فأتى أهل الكوفة أميرهم وهو الحرث بن أبى ربيعة ولقبه
القباع فصاحوا به وقالوا اخرج فان العدو قد أطلنا ليست له بقية فخرج حتى نزل النخيلة
فاقام اياما فوثب اليه ابراهيم بن الاشتر فحثه على المسير فسار حتى نزل دير عبد الرحمن فاقام به
حتى دخل اليه شبث بن ربعى فأمره بالمسير فلما رأى الناس بطء مسيره رجزوا به فقالوا

سار بنا القباع سيرا نكرا * يسير يوما ويقيم شهرا

فسار من ذلك المكان فكان كلما نزل منزلا أقام به حتى يصيح به الناس فبلغ الفرات فى بضعة
عشر يوما فاتاها وقد انتهى اليها الخوارج فقطعوا الجسر بينهم وبينه واخذوا رجلا اسمه
سماك بن يزيد ومعه بنت له فاخذوها ليقتلوها فقالت لهم يا أهل الاسلام ان أبى مصاب فلا
تقتلوه وأما أنا فجارية والله ما أتيت فاحشة قط ولا آذيت جارة لى ولا تطلعت ولا تشرفت قط فلما
أرادوا قتلها سقطت ميتة فقطعوها بأسيافهم وبقى سماك معهم حتى اشرفوا على الصراة
فاستقبل أهل الكوفة فناداهم اعبروا اليهم فانهم قليل خبيث فضربوا عنقه وصلبوه فقال
ابراهيم بن الاشتر للحرث اندب معى الناس حتى أعبر الى هؤلاء الكلاب فأجيئك برؤسهم فقال
شبث واسماء بن خارجة ويزيد بن الحرث ومحمد بن عمير وغيرهم أصلح الله الامير دعهم فليذهبوا
وكانهم حسدوا ابراهيم فلما رأى الخوارج كثرة الناس قطعوا الجسر واغتنم ذلك الحرث
فتحبس ثم جلس للناس فقال اما بعد فان أول القتال الرمية بالنبل واشراع الرماح والطعن
ثم الطعن شزرا ثم السلة آخر ذلك كله فقال له رجل قد أحسن الامير الصفة ولكن متى نصنع
هذا وهذا النهر بيننا وبينهم فمر بهذا الجسر فليعقد ثم عبرنا اليهم فان الله سيريك ما تحب فعقد
الجسر وعبر الناس فطارد الخوارج حتى أتوا المدائن وطاردت بعض خيلهم عند الجسر طرادا
ضعيفا فرجعوا فاتبعهم الحرث عبد الرحمن بن مخنف فى ستة آلاف ليخرجهم من أرض
الكوفة وقال له اذا وقعوا فى أرض البصرة فاتركهم فسار عبد الرحمن يتبعهم حتى وقعوا
فى أرض اصبهان فرجع عنهم ولم يقاتلهم وقصدوا الرى وعليها يزيد بن الحرث بن رويم الشيبانى
فقاتلهم فأعان أهل الرى الخوارج فقتل يزيد وهرب ابنه حوشب ودعاه أبوه ليدفع عنه فلم
يرجع فقال بعضهم

فلو كان حرا حوشب ذا حفيظة * رأى ما رأى فى الموت عيسى بن مصعب

يعنى ان عيسى بن مصعب لم يفر عن أبيه بل قاتل عنه معه حتى قتل وقال بشر بن مروان يوما
وعنده حوشب هذا وعكرمة بن ربعى من يدلنى على فرس جواد فقال عكرمة فرس حوشب

مرادخان أيده الله تعالى
واستقر على قاعدة أخيه من
الخلاف ووقوع النزاع
والقتال بين الفئتين وآل
ذلك الى دخول وهجوم
عساكر الروم الى بلاد
العجم وعاثوا فيها نهبا
وتخريبا وسبيا وقتلا كما
مر آنفا وانجلى الامر عن
استيلائهم على غالب بلاد
العجم والآن وقع الصلح
بينهما ولله الحمد وكان محمد
خدابنده هذا أعمى لا يبصر
شيأ ولذلك أخره أخوه شاه
اسمعيل عن القتل مع انه
قتل من يصلح للسلطنة من
أولاد طهماسب فاقتضت
الحكمة الربانية انه تسلطن
سنين عديدة وتولى الملك
بعده (شاه عباس) بن
خدابنده وهو اليوم
صاحب بلاد العجم

(الباب الثالث والخمسون فى ذكر دولة الازبكية والدوحة اليشبكية)

ملوك ماوراء النهر وخراسان
فهو (أوزبك) بن طقطاى
القاآن بن القاآن صاحب
بلاد اوزبك ومملكته
من بحر القسطنطينية الى
نهر أرس مسافة ثمانمائة
فرسخ وعرضها من باب
الابواب مدينة بلغار نحو
ستمائة فرسخ ولكن أكثر
ذلك مراعى وقرى ولها

فانه نجا عليه يوم الرى وقال بشر أيضا يوما من يدلنى على بغلة قوية الظهر فقال حوشب بغلة
واصل بن مسافر كان عكرمة يتهم بامرأة واصل فتبسم بشر وقال لقد انتصفت ولما فرغ
الخوارج من الرى انحطوا الى أصبهان فحاصروها وبها عتاب بن ورقاء فصبر لهم وكان يقاتلهم
على باب المدينة ويرمون من السور بالنبل والحجارة وكان مع عتاب رجل من حضرموت يقال له
أبو هريرة فكان يحمل عليهم ويقول

كيف ترون يا كلاب النار * شد أبي هريرة الهرار
يهركم بالليل والنهار * يا ابن أبي ماحوز والاشرار
* كيف ترى حربي على المضمار *

فلما طال ذلك على الخوارج كمن له رجل منهم ذات يوم فضربه بالسيف على حبال عاتقه فصرعه
فاحتمله أصحابه وداووه حتى برأ وخرج اليهم على عادته ثم ان الخوارج أقامت عليهم أشهرا حتى
نفدت اطعمتهم واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد الشديد فقال لهم عتاب أيها الناس قد نزل
بكم من الجهد ما ترون وما بقى الا ان يموت أحدكم على فراشه فيدفنه أخوه ان استطاع ثم يموت
هو فلا يجد من يدفنه ولا يصلى عليه والله ما أنتم بالقليل وانكم الفرسان الصلحاء فاخرجوا بنا الى
هؤلاء وبكم قوة وحياة قبل ان تضعفوا عن الحركة من الجهد فوالله انى لارجو ان صدقتموهم
أن تظفروا بهم فاجابوه الى ذلك

(ذكر قتل ابن الماحوز وامارة قطرى بن الفجاءة)

لما أمر عتاب أصحابه بقتال الخوارج وأجابوه الى ذلك جمع الناس وأمرهم بطعام كثير ثم خرج
حين أصبح فأتى الخوارج وهم آمنون فحملوا عليهم فقاتلوهم حتى أخرجوهم من عسكرهم
وانتهوا الى الزبير بن الماحوز فنزل فى عصابة من أصحابه فقاتل حتى قتل وانحازت الازارقة
الى قطرى بن الفجاءة المازنى وكنيته أبو نعامة فبايعوه وأصاب عتاب وأصحابه من عسكره
ما شاؤا وجاء قطرى فنزل فى عسكر الزبير ثم سار عن اصبهان وتركها وأتى ناحية كرمان وأقام بها
حتى اجتمعت اليه جموع كثيرة وجبى المال وقوى ثم أقبل الى اصبهان ثم أتى الى أرض الاهواز
فاقام بها والحرث بن أبى ربيعة عامل مصعب على البصرة فكتب الى مصعب يخبره بالخوارج
وانهم ليس لهم الا المهلب فبعث الى المهلب وهو على الموصل والجزيرة فامره بقتال الخوارج
وبعث الى الموصل ابراهيم بن الاشتر وجاء المهلب الى البصرة وانتخب الناس وسار بهم نحو
الخوارج ثم اقبلوا اليه حتى التقوا بسولاف فاقتتلوا بها ثمانية أشهر اشد قتال رآه الناس

(ذكر حصار الرى)

وفيها أمر مصعب عتاب بن ورقاء الرياحى عامله على اصبهان بالمسير الى الرى وقتال أهلها
لمساعدتهم الخوارج على يزيد بن الحرث رويم وامتناعهم من مدينتهم فسار اليهم عتاب
فنازلهم وقاتلهم وعليهم الفرخان والح عليهم عتاب بالقتال ففتحها عنوة وغنم ما فيها وافتتح سائر
قلاع نواحيها وفيها كان بالشام قحط شديد حتى انهم لم يقدروا من شدته على الغزو وفيها عسكر
عبد الملك بن مروان ببطنان وهو قريب قنسرين وشتى بها ثم رجع الى دمشق

(ذكر خبر عبيد الله بن الحر ومقتله)

في

فى ايديهم ما ينيف على المائة
سنة وكان أوزبك خان ذا
بأس شديد وعبادة فى
المحراب وللاسلام وحسن
اسلامه اسلم غالب رعيته
ولم يلبس سراقوجا ولا شيأ
من شعارهم ولا رغب فى
درههم ولا فى دينارهم
وكان يستعمل حياصة من
فولاذ من غير ذهب وكان
يؤثر الفقراء ويحبهم ويتردد
الى بعض مشايخ الصوفية
وكان السلطان الملك
الناصر قد خطب ابنته أو
اخته فأجابه الى ذلك وجهزها
فى البحر الى الاسكندرية
وتوجه القاضى كريم الدين
لتلقيها الى الاسكندرية
وعمل لها ضيافة فى الميدان
تحت القلعة وبعد ذلك
طلعت الى القلعة وجرى
من امرها ما جرى ولم يزل
القاآن اوزبك على حاله الى
ان خانته امدفر وامتلأ فمه
وعينه من العفر وكانت
وفاته سنة اثنتين واربعين
وسبعمائة ومدة ملكه
اثنتا عشرة سنة هذا
ما وصل الينا من اخباره
(واما نسب خان) بن برق
خان بن ابى الخير فينتهى
نسبه الى اوزبك خان ابن
طقطاى بن طغرلجه بن
تقوقا آن بن بابوى بن
جوجى بن جنكزخان وكان
بدو حاله فى بلاد

فى هذه السنة قتل عبيد الله بن الحر الجعفى وكان من خيار قومه صلاحا وفضلا واجتهادا فلما قتل عثمان ووقعت الحرب بين على ومعاوية قصد معاوية فكان معه لمحبته عثمان وشهد معه صفين هو ومالك بن مسمع وأقام عبيد الله عند معاوية وكان له زوجة بالكوفة فلما طالت غيبته زوجها أخوها رجلا يقال له عكرمة بن الخبيص وبلغ ذلك عبيد الله فاقبل من الشام فخاصم عكرمة الى على فقال له ظاهرت علينا عدونا فغلت فقال له ايمنعنى ذلك من عدلك قال لا فقص عليه قصته فرد عليه امرأته وكانت حبلى فوضعها عند من يثق اليه حتى وضعت فالحق الولد بعكرمة ودفع المرأة الى عبيد الله وعاد الى الشام فاقام به حتى قتل على فلما قتل اقبل الى الكوفة فاتى اخوانه فقال ما أرى احدا ينفعه اعتزاله كنا بالشام فكان من أمر معاوية كيت وكيت فقالوا وكان من أمر على كيت وكيت وكانوا يلتقون بذلك فلما مات معاوية وقتل الحسين بن على لم يكن عبيد الله فيمن حضر قتله يغيب عن ذلك تعمدا فلما قتل جعل ابن زياد يتفقد الاشراف من أهل الكوفة فلم ير عبيد الله بن الحر ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه فقال له أين كنت يا ابن الحر قال كنت مريضا قال مريض القلب أم مريض البدن فقال اما قلبى فلم يمرض واما بدنى فقد من الله على بالعافية فقال ابن زياد كذبت ولكنك كنت مع عدونا فقال لو كنت معه لرؤى مكانى وغفل عنه ابن زياد فخرج فركب فرسه ثم طلبه ابن زياد فقالوا ركب الساعة فقال على به فاحضر الشرط خلفه فقالوا اجب الامير فقال ابلغوه عنى انى لا آتيه طائعا ابدا ثم اجرى فرسه واتى منزل احمد بن زياد الطائى فاجتمع اليه اصحابه ثم خرج حتى اتى كربلاء فنظر الى مصارع الحسين ومن قتل معه فاستغفر لهم ثم مضى الى المدائن وقال فى ذلك

يقول أمير غادر وابن غادر * الا كنت قاتلت الحسين بن فاطمه
ونفسى على خذلانه واعتزاله * وبيعة هذا الناكث العهد لائمه
فيا ندمى ان لا أكون نصرته * الا كل نفس لا تسدد نادمه
وانى لانى لم أكن من حماته * لذو حسرة ان لا تفارق لازمه
سقى الله أرواح الذين تبادروا * الى نصره سحا من الغيث دائمه
وقفت على أجداثهم ومحالهم * فكاد الحشا ينقض والعين ساجمه
لعمرى لقد كانوا مصاليت فى الوغى * سراعا الى الهيجا حماة خضارمه
تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم * باسيافهم آساد غيل ضراغمه
فان يقتلوا فى كل نفس بقية * على الارض قد اضحت لذلك واجمه
وما ان رأى الراؤن أفضل منهم * لدى الموت سادات وزهر قماقمه
يقتلهم ظلما ويرجو ودادنا * فدع خطة ليست لنا بملائمه
لعمرى لقد راغمتمونا بقتلهم * فكم ناقم منا عليكم وناقمه
اهم مرارا ان اسير بجحفل * الى فئة زاغت عن الحق ظالمه
فكفوا والا ذدتكم فى كتائب * أشد عليكم من زحوف الديالمه

وأقام ابن الحر بمنزلة على شاطئ الفرات الى ان مات يزيد ووقعت الفتنة فقال ما أرى قرشيا ينصف اين ابناء الحرائر فاتاه كل خليع ثم خرج الى المدائن فلم يدع مالا قدم به للسلطان الا أخذ

تركستان ثم وصل الى خدمة السلطان أحمد ميرزا ابن السلطان أبى سعيد حاكم ماوراء النهر فوقع بينهما منافرة آلت الى مفارقته ثم رجع الى تركستان وجمع العساكر وهجم على السلطان أحمد ميرزا المذكور وأخذ بعض بلاده ولما مات السلطان حسين ميرزا حاكم خراسان وقعت المخالفة بين أولاده فهجم عليهم واستولى على بلاد خراسان وفى سنة ست وتسعمائة جمع الجموع الشاه اسمعيل وحاربه عند مدينة مرو فقتل يشبك المذكور وجعل جمجمة رأسه مثل القدح فكان يشرب فيه الخمر مدة حياته وكان يشبك نقاشا ماهرا وكان حسن الخط ولما قتل يشبك خان هجم عبيد الله خان ابن السلطان محمود ابن أخى يشبك خان المذكور وتحارب مع الشاه اسمعيل وانتصف منه وهذا ما انتهى الينا من اخبارهم

(الباب الرابع والخمسون فى ذكر السلاطين المتقدمين والاساطين المقدمين وفيه عدة فصول)

(الفصل الاول فى ذكر ملوك الفرس الاولى والثانية وسيرهم المتوافقة والمتباينة)

منه عطاءه وعطاء أصحابه ويكتب لصاحب المال بذلك ثم جعل ينقص الكور على مثل ذلك الا انه لم يتعرض لمال أحد ولا ذمة فلم يزل كذلك حتى ظهر المختار وجمع مايعمل فى السواد فاخذ امرأته فحبسها فاقبل عبيد الله فى اصحابه الى الكوفة فكسر باب السجن واخرجها واخرج كل امرأة فيه وقال فى ذلك

الم تعلمى ياام توبة اننى * انا الفارس الحامى حقائق مذحج
وانى صبحت السجن فى سورة الضحى * بكل فتى حامى الذمار مدجج
فما ان برحنا السجن حتى بدالنا * جبين كقرن الشمس غير مشنج
وخد اسيل عن فتاة حبيبة * الينا سقاها كل دان مثجج
فما العيش الا ان ازورك آمنا * كعادتنا من قبل حربى ومخرجى
ومازلت محبوسا لحبسك واجما * وانى بما تلقين من بعده شجى

وهى طويلة وجعل يعبث بعمال المختار واصحابه فأحرقت همدان داره ونهبوا ضيعته فسار عبيد الله الى ضياع همدان فنهبها جميعها وكان يأتى المدائن فيمر بعمال جوخى فيأخذ مامعهم من المال ثم يميل الى الجبل فلم يزل على ذلك حتى قتل المختار وقيل انه بايع المختار بعد امتناع واراد المختار ان يسطو به فامتنع لاجل ابراهيم بن الاشتر ثم سار مع ابن الاشتر الى الموصل ولم يشهد معه قتال ابن زياد اظهر المرض ثم فارق ابن الاشتر واقبل فى ثلثمائة الى الانبار فاغار عليها واخذ مافى بيت مالها فلما فعل ذلك امر المختار بهدم داره واخذ امرأته ففعل ماتقدم ذكره وحضر مع مصعب قتال المختار وقتله فلما قتل المختار قال الناس لمصعب فى ولايته الثانية انا لانأمن ان يثب ابن الحر بالسواد كما كان يفعل بابن زياد والمختار فحبسه فقال

فمن مبلغ الفتيان ان اخاهم * اتى دونه باب شديد وحاجبه
بمنزلة ماكان يرضى بمثلها * اذا قام عنته كبول تجاذبه
على الساق فوق الكعب اسود صامت * شديد يدانى خطوه ويقاربه
وما كان ذا من عظم جرم جرمته * ولكن سعى الساعى بما هو كاذبه
وقد كان فى الارض العريضة مسلك * وأى امرئ ضاقت عليه مذاهبه

وقال

بأى بلاء أم بأية نعمة * تقدم قبلى مسلم والمهلب

يعنى مسلم بن عمرو والد قتيبة والمهلب بن ابى صفرة وكلم عبيد الله قوما من وجوه مذحج ليشفعوا له الى مصعب وارسل الى فتيان مذحج وقال البسوا السلاح واستروه فان شفعهم مصعب فلا تعترضوا لاحد وان خرجوا ولم يشفعهم فاقصدوا السجن فانى ساعينكم من داخل فلما شفع أولئك النفر فيه شفعهم مصعب واطلقه فأتى منزله وأتاه الناس يهنونه فقال لهم ان هذا الامر لايصلح الا بمثل الخلفاء الماضين الاربعة ولم نرلهم فينا شبيها فنلقى اليه أزمتنا فان كان من عز بز فعلام نعقد فى اعناقنا بيعة وليسوا باشجع منا لقاء ولا اعظم مناعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاطاعة لمخلوق فى معصية الله تعالى وكلهم عاص مخالف قوى الدنيا ضعيف الآخرة فعلام تستحل حرمتنا ونحن أصحاب النخيلة والقادسية وجلولاء ونهاوند نلقى الاسنة بنحورنا والسيوف بجباهنا ثم لايعرف حقنا وفضلنا فقاتلوا عن حريمكم فانى

انفق المحققون من أصحاب التواريخ ان اول ملوك الفرس أربع طبقات الاولى الفيشدادية والثانية الكيانية والثالثة الاشغانية والرابعة الساسانية وهم الاكاسرة وكانت قاعدة ملكهم المدائن بالعراق ومدة ملكهم أربعة آلاف ومائة واحدى وثمانون سنة وشهور وهؤلاء من نسل كيومرث أولهم كيومرث وآخرهم يزدجرد المقتول فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه (الطبقة الاولى) الفيشدادية لكل واحد منهم يقال فيشداد ومعناه أول سيره العدل وهذه الطبقة قديمة وقد نقل ان سلاطين الدنيا صنفان الصنف الاول قبل نبينا والصنف الثانى بعد ظهور الاسلام وفى سير الملوك للغزالى رحمه الله ان آدم عليه السلام لما كثرت أولاده وبلغ حدهم أربعين ألفا اختار من جميعهم اثنين احدهما شيث عليه السلام والآخر كيومرث فولى شيثا لحفظ أمور الدين والآخرة وجعله ولى عهده واعطاه أربعين صحيفة وولى كيومرث لحفظ أمور نظام الدين والسياسة وتعمير

قد قلبت لكم ظهر المجن واظهرت لهم العداوة ولا قوة الا بالله وخرج عن الكوفة وحاربهم
واغار فارسل اليه مصعب سيف بن هانئ المرادى فعرض عليه خراج بادوريا وغيرها ويدخل
فى الطاعة فلم يجب الى ذلك فبعث اليه مصعب الابرد بن قرة الرياحى فقاتله فهزمه عبيد الله
وضربه على وجهه فبعث اليه أيضا حريث بن يزيد فقتله عبيد الله فبعث اليه مصعب الحجاج
ابن جارية الخثعمى ومسلم بن عمرو فلقياه بنهر صرصر فقاتلهما فهزمهما فارسل اليه مصعب
يدعوه الى الامان والصلة وان يوليه أى بلد شاء فلم يقبل وأتى نرسى ففر دهقانها بمال الفلوجة
فتبعه ابن الحر حتى مر بعين تمر وعليها بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيبانى فالتجأ اليهم الدهقان
فخرجوا الى عبيد الله فقاتلوه وافاهم الحجاج بن جارية الخثعمى فحمل على عبيد الله فأسره
عبيد الله واسر أيضا بسطام بن مصقلة وناسا كثيرا وبعث ناسا من اصحابه فأخذوا المال الذى
مع الدهقان واطلق الاسرى ثم ان عبيد الله أتى تكريت فاقام يجبى الخراج فبعث اليه مصعب
الابرد بن قرة الرياحى والجون بن كعب الهمدانى فى الف وامدهم المهلب بيزيد بن المغفل
فى خمسمائة فقال لعبيد الله رجل من أصحابه قد أتاك جمع كثير فلا تقاتلهم فقال

يخوفنى بالقتل قومى وانما * أموت اذا جاء الكتاب المؤجل
لعل القنا تدلى باطرافها الغنى * فنحيى كراما نجتدى ونؤمل
ألم تران الفقر يزرى باهله * وان الغنى فيه العلى والتجمل
وانك الا تركب الهول لاتنل * من المال ماير ضى الصديق ويفضل

وقاتلهم عبيد الله يومين وهو فى ثلثمائة ولما كان عند المساء تحاجزوا وخرج عبيد الله من
تكريت وقال لاصحابه انى سائر بكم الى عبد الملك بن مروان فتجهزوا وقال انى خائف ان
اموت ولم اذعر مصعبا واصحابه وسار نحو الكوفة فبلغ كسكر فاخذ بيت مالها ثم أتى الكوفة
فنزل بحمام جرير فبعث اليه مصعب عمر بن عبيد الله بن معمر فقاتله فخرج الى دير الاعور فبعث
اليه مصعب حجار بن ابجر فانهزم حجار فشتمه مصعب وضم اليه الجون بن كعب الهمدانى وعمر
ابن عبيد الله بن معمر فقاتلوه باجمعهم وكثرت الجراحات فى عسكر عبيد الله بن الحر وعقرت
خيولهم وانهزم حجار ثم رجع فاقتتلوا قتالا شديدا حتى امسوا وخرج ابن الحر من الكوفة
وكتب مصعب الى يزيد بن الحرث بن رويم الشيبانى وهو بالمدائن يأمره بقتال ابن الحر فقدم
ابنه حوشبا فلقيه بباجسرى فهزمه عبيد الله وقتل فيهم واقبل ابن الحر الى المدائن فتحصنوا منه
فخرج عبيد الله فوجه اليه الجون بن كعب الهمدانى وبشر بن عبد الله الاسدى فنزل الجون
بجولايا وقدم بشر الى تامرا فلقى ابن الحر فقتله ابن الحر وهزم أصحابه ثم اتى الجون بن كعب
بجولايا فخرج اليه عبد الرحمن بن عبد الله فقتله ابن الحر وهزم اصحابه وخرج اليه بشير بن عبد
الرحمن بن بشير العجلى فقاتله بسوراء قتالا شديدا فرجع عنه بشير وأقام ابن الحر بالسواد يغير
ويجبى الخراج ثم لحق بعبد الملك بن مروان فلما صار اليه أكرمه واجلسه معه على السرير
وأعطاه مائة ألف درهم واعطى أصحابه مالا فقال له ابن الحر وجه معى جندا أقاتل بهم مصعبا
فقال له سر باصحابك وادع من قدرت عليه وانا ممدك بالرجال فسار باصحابه نحو الكوفة فنزل
بقرية الى جانب الانبار فاستأذنه اصحابه فى اتيان الكوفة فأذن لهم وأمرهم ان يخبروا أصحابه

العالم وكانت مدة ملك
كيومرت مائتى سنة وثلاثا
وعشرين سنة وعمره ألف
سنة وكان فى عهد آدم عليه
السلام ولما مات بقيت
الدنيا بغير ملك زمانا طويلا
وقد نقل عنه اشياء يأباها
العقل واختلفوا فى مدة
ملك البيشداديه وحروبهم
فاوردنا منها ما يقرب الى
الذهن صحته وهم تسعة
أنفار أولهم (هوشنج) تولى
الملك بعد وفاة كيومرث فى
عهد آدم عليه السلام وهو
اول من رتب الملك ونظم
الاعمال ووضع الخراج وكان
ملكه اربعين سنة وهو الذى
بنى بابل والسوس وكان
فاضلا محمود السيرة والسياسة
ونزل الهند وتنقل فى البلاد
وعقد على رأسه التاج
وجلس على سرير الملك كذا
ذكره صاحب المختصر فى
اخبار البشر وفى نظام
التواريخ ان اول الملوك
كيومرث وهو الذى ابتنى
مدينة اصطخر ومدينة
دماوند وهو أول من بنى
وسكن الدور وكانوا قبل
ذلك يسكنون الكهوف
والمغار وكان ملكه قريبا
من مائتين وأربعين سنة
وعمره ألف سنة كامر وملك
بعده (طهمورث) وهو سبط

بقدومه ليضربوا اليه فبلغ ذلك القيسية فأتوا الحرث بن ابى ربيعة عامل ابن الزبير بالكوفة فسألوه ان يرسل معهم جيشا يقاتلون عبيد الله ويغتنمون الفرصة فيه بتفرق اصحابه فبعث معهم جيشا كثيفا فساروا والقوا ابن الحر فقال لابن الحر أصحابه نحن نفر يسير وهذا الجيش لا طاقة لنا به فقال ما كنت لادعهم وحمل عليهم وهو يقول

يا لك يوما فات فيه نهبى * وغاب عنى ثقتى وصحبى

ثم عطفوا عليه فكشفوا أصحابه وحاولوا أن يأسروه فلم يقدروا على ذلك وأذن لاصحابه فى الذهاب فذهبوا فلم يعرض لهم أحد وجعل يقاتل وحده فحمل عليه رجل من باهلة يكنى أبا كدية فطعنه وجعلوا يرمونه ويكثبون عليه ولا يدنون منه وهو يقول أحذه نبل ام مغازل فلما اثخنته الجراح خاض الى معبر هناك فدخله ولم يدخل فرسه فركب السفينة ومضى به الملاح حتى توسط الفرات فاشرفت عليه الخيل وكان معه فى السفينة نبط فقالوا لهم ان فى السفينة طلبة أمير المؤمنين فان فاتكم قتلناكم فوثب ابن الحر ايرمى نفسه فى الماء فوثب اليه رجل عظيم الخلق فقبض على يديه وجراحاته تجرى دما وضربه الباقون بالمجاذيف فلما رأى انه يقصد به نحو القيسية قبض على الذى معه وألقى نفسه معه فى الماء فغرقا وقيل فى قتله انه كان يغشى مصعب بن الزبير بالكوفة فرآه يقدم عليه غيره فكتب الى عبد الله بن الزبير قصيدة يعاتب فيها مصعبا ويخوفه مسيره الى ابن مروان يقول فيها

ابلغ أمير المؤمنين رسالة * فلست على رأى قبيح اواربه
افى الحق ان اجفى ويجعل مصعب * وزيراه من كنت فيه احاربه
فكيف وقد آتيتكم حق بيعتى * وحقى يلوى عندكم واطالبه
وابليتكم مالا يضيع مثله * وآسيتكم والامر صعب مراتبه
فلما استنار الملك وانقادت العدى * وادرك من ملك العراق رغائبه
جفا مصعب عنى ولو كان غيره * لاصبح فيما بيننا لا اعاتبه
لقد رابنى من مصعب ان مصعبا * ارى كل ذى غش لنا هو صاحبه
وما انا ان حلأتمونى بوارد * على كدر قد غص بالماء شاربه
وما الامرء الا الذى الله سائق * اليه وما قد خط فى الزبر كاتبه
اذا قمت عند الباب ادخل مسلما * فيمنعنى ان ادخل الباب حاجبه

فحبسه مصعب وله معه معاتبات من الحبس ثم انه قال قصيدة يهجو فيها قيس عيلان منها

الم تر قيسا قيس عيلان برقعت * لحاها وباعت نبلها بالمغازل

فارسل زفر بن الحرث الكلابى الى مصعب انى قد كفيتك قتال ابن الزرقاء يعنى عبد الملك ابن مروان وابن الحر يهجو قيسا ثم ان نفرا من بنى سليم أسروا ابن الحر فقال انما قلت

الم تر قيسا قيس عيلان اقبلت * وسارت الينا فى القنا والقبائل

فقتله رجل منهم يقال له عياش

(ذكر عدة حوادث)

قيل فى هذه السنة وافى عرفات أربعة ألوية لواء لابن الحنفية واصحابه ولواء لابن الزبير واصحابه

ولواء

هوشنج ملك الاقاليم السبعة وسلك سيرة جده وهو اول من أمر بالصوم وسبب ذلك انه ظهر الغلاء والقحط فى زمانه فامر الاغنياء بطعام واحد بعد غروب الشمس وبامساكهم فى النهار شفقة على الفقراء وايثارا عليهم بالطعام وهو اول من كتب بالفارسية وكان مطيعا لاوامر الله تعالى وكانت مدة ملكه نحو اربعين سنة ثم هلك وملك بعده (الملك جمشيد) معناه شعاع الشمس سمى بذلك لوضاءة وجهه وهو اخو طهمورث لابويه وملك جمشيد ايضا الاقاليم السبعة وسلك السيرة الصالحة المتقدمة وزاد عليها وهو اول من استخرج الحرير من دوده تعلمه من الجن وكانوا مسخرين له كذا فى زبدة التواريخ ورتب الناس على طبقات كالحجاب والكتاب واحدث النيروز وجعله عيدا يتنعم الناس فيه ثم بعد ذلك بدل سيرته الصالحة بأن اظهر التكبر والجبروت على وزرائه وقواده وآثر اللذات وترك كثيرا من السياسات التى كان يتولاها بنفسه وعمل بيوراسب وكان من جملة عماله باستيحاش الناس من

ولواء لبني امية ولواء لنجدة الحروري ولم يجر بينهم حرب ولا فتنة وكان اصحاب ابن الحنفية اسلم الجماعة وكان العامل لابن الزبير على المدينة هذه السنة جابر بن الاسود بن عوف الزهري وعلى البصرة والكوفة مصعب اخوه وعلى قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم وكان عبد الملك بن مروان بالشام مشاققا لابن الزبير ومات عبد الله بن عباس سنة ثمان وستين وعمره اربع وسبعون سنة وقيل غير ذلك وفيها مات عدي بن حاتم الطائي وقيل سنة ست وستين وعمره مائة وعشرون سنة ومات ابو واقد الليثي واسمه الحرث بن مالك وفيها توفي ابو شريح الخزاعي واسمه خويلد بن عمرو وهو الكعبي (شريح بالشين المعجمة) وعبد الرحمن بن حاطب بن ابي بلتعة وقيل انه ولد زمن النبي صلى الله عليه وسلم (حاطب بالحاء المهملة وبلتعة بالباء الموحدة والتاء المثناة من فوق والعين المهملة المفتوحات)

ثم دخلت سنة تسع وستين

(ذكر قتل عمرو بن سعيد الاشدق)

في هذه السنة خالف عمرو بن سعيد عبد الملك بن مروان وغلب على دمشق فقتله وقيل كانت هذه الحادثة سنة سبعين وكان السبب في ذلك أن عبد الملك بن مروان اقام بدمشق بعد رجوعه من قنسرين ماشاء الله ان يقيم ثم سار يريد قرقيسيا وبها زفر بن الحرث الكلابي وكان عمرو بن سعيد مع عبد الملك فلما بلغ بطنان حلب رجع عمرو ليلا ومعه حميد بن حريث الكلبي وزهير بن الابرد الكلبي فاتى دمشق وعليها عبد الرحمن بن ام الحكم الثقفي قد استخلفه عبد الملك فلما بلغه رجوع عمرو بن سعيد هرب عنها ودخلها عمرو فغلب عليها وعلى خزائنه وهدم دار ابن ام الحكم واجتمع الناس اليه فخطبهم ومناهم ووعدهم واصبح عبد الملك وقد فقد عمرا فسأل عنه فاخبر خبره فرجع الى دمشق فقاتله اياما وكان عمرو اذا أخرج حميد بن حريث على الخيل اخرج اليه عبد الملك سفيان بن الابرد الكلبي واذا أخرج عمرو زهير بن الابرد أخرج اليه عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل ثم ان عبد الملك وعمرا اصطلحا وكتبا بينهما كتابا وامنه عبد الملك فخرج عمرو في الخيل الى عبد الملك فاقبل حتى اوطأ فرسه أطناب عبد الملك فانقطعت وسقط السرادق ثم دخل على عبد الملك فاجتمعا ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس فلما كان بعد دخول عبد الملك باربعة أيام ارسل الى عمرو ان ائتني وقد كان عبد الملك استشار كريب بن ابرهة الحميري في قتل عمرو فقال لا ناقة لي في هذا ولا جمل في مثل هذا هلكت حمير فلما اتى الرسول عمرا يدعوه صادف عنده عبد الله بن يزيد بن معاوية فقال لعمرو يا ابا أمية انت احب الي من سمعي ومن بصري وارى لك ان لا تأتيه فقال عمرو ولم قال لان تبيعا ابن امرأة كعب الاحبار قال ان عظيما من ولد اسمعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق ثم يخرج منها فلا يلبث ان يقتل فقال عمرو والله لو كنت نائما ما انتبهني ابن الزرقاء ولا اجترأ علي اما اني رأيت عثمان البارحة في المنام فالبسني قميصه وكان عبد الله بن يزيد زوج ابنة عمرو ثم قال عمرو للرسول انا رائح العشية فلما كان العشاء لبس عمرو درعا ولبس عليها القباء وتقلد سيفه وعنده حميد بن حريث الكلبي فلما نهض متوجها عثر بالبساط فقال له حميد والله لو اطعتني لم تأته وقالت له امرأته الكلبية كذلك فلم

بجشيد ونشكر خواصه عليه فقصده بعد ان كثرت اتباعه وقويت شوكته وهرب جمشيد وتبعه بيوراسب حتى ظفر به فقتله بأن وضعه بين دفتين ونشره بمنشار ثم ملك (بيوراسب الضحاك) وكان يقال له الدهاك ومعناه عشر آفات فلما عرب قيل الضحاك وملك الارض كلها وسار فيها بالجور والعسف وبسط يده بالقتل وسن الاعشار والمكوس واتخذ المغنين والملهين ويقال انه هو النمرود لعنه الله وكان اول من سن الصلب والقطع وكان على منكبه سلعتان ويدعي انهما حيتان تضطربان اذا جاعتا فلا تسكنان حتى تطعما بدماغ انسان وكان يذبح لهما كل يوم رجلين من الذين كانوا يستحقون القتل فلما تم من كان في سجنه امر بأن يجمع من العامة من كان مجرما وغير مجرم وكانوا يقرعون القرعة على اهل الامصار والقرى فمن وقع عليه أخذوه فلم تزل الناس في هذا البلاء نحوا من خمسمائة سنة حتى اراد الله اهلاكه وكان لرجل حداد من اهل اصبهان يقال له كابي

يلتفت ومضى فى مائة من مواليه وقد جمع عبد الملك عنده بنى مروان فلما بلغ الباب اذن له
فدخل فلم يزل أصحابه يحبسون عند كل باب حتى بلغ قاعة الدار وما معه الا وصيف له فنظر
عمرو الى عبد الملك واذا حوله بنو مروان وحسان بن بحدل الكلبي وقبيصة بن ذؤيب الخزاعى
فلما رأى جماعتهم احس بالشر فالتفت الى وصيفه وقال انطلق الى أخى يحيى فقل له يأتينى فلم يفهم
الوصيف فقال له لبيك فقال عمرو اعزب عنى فى حرق الله وناره واذن عبد الملك لحسان وقبيصة
فقاما فلقيا عمرا فى الدار فقال عمرو لوصيفه انطلق الى يحيى فمره ان يأتينى فقال لبيك فقال عمرو
اعزب عنى فلما خرج حسان وقبيصة أغلقت الابواب ودخل عمرو فرحب به عبد الملك وقال
ههنا ههنا يا أبا أمية فاجلسه معه على السرير وجعل يحادثه طويلا ثم قال يا غلام خذ السيف
عنه فقال عمرو انا لله يا امير المؤمنين فقال عبد الملك اتطمع ان تجلس معى متقلدا سيفك فاخذ
السيف عنه ثم تحدثا ثم قال له عبد الملك يا أبا أمية انك حيث خلعتنى آليت بيمين ان انا ملأت
عينى منك وانا مالك لك ان أجعلك فى جامعة فقال له بنو مروان ثم تطلقه يا أمير المؤمنين قال نعم
وما عسيت ان اصنع بابى امية فقال بنو مروان ابر قسم امير المؤمنين فقال عمرو قد ابر الله قسمك
يا أمير المؤمنين فاخرج من تحت فراشه جامعة وقال يا غلام قم فاجمعه فيها فقام الغلام فجمعه
فيها فقال عمرو اذكرك الله يا امير المؤمنين ان تخرجنى فيها على رؤس الناس فقال عبد الملك
أمكرا يا أبا أمية عند الموت لا والله ما كنا لنخرجك فى جامعة على رؤس الناس ثم جذبه جذبة
أصاب فمه السرير فكسر ثنيته فقال عمرو اذكرك الله يا أمير المؤمنين كسر عظم منى فلا تركب
ما هو أعظم من ذلك فقال له عبد الملك والله لو اعلم انك تبقى علىّ اذا أبقيت عليك وتصلح قريش
لاطلقتك ولكن ما اجتمع رجلان فى بلدة قط على ما نحن عليه الا اخرج أحدهما صاحبه فلما
رأى عمرو انه يريد قتله قال اغدرا يا ابن الزرقاء وقيل ان عمرا لما سقطت ثنيتاه جعل يمسهما
فقال عبد الملك يا عمرو أرى ثنيتيك قد وقعتا منك موقعا لا تطيب نفسك لى بعدها وأذن المؤذن
العصر فخرج عبد الملك يصلى بالناس وأمر أخاه عبد العزيز ان يقتله فقام اليه عبد العزيز
بالسيف فقال عمرو أذكرك الله والرحم ان تلى قتلى ليقتلنى من هو أبعد رحما منك فالقى السيف
وجلس وصلى عبد الملك صلاة خفيفة ودخل وغلقت الابواب ورأى الناس عبد الملك حين
خرج وليس معه عمرو فذكروا ذلك ليحيى بن سعيد فاقبل فى الناس ومعه ألف عبد لعمرو وناس
من اصحابه كثير فجعلوا يصيحون بباب عبد الملك اسمعنا صوتك يا ابا أمية فاقبل مع يحيى حميد بن
حريث وزهير بن الابرد فكسروا باب المقصورة وضربوا الناس بالسيوف وضرب الوليد بن
عبد الملك على رأسه واحتمله ابراهيم بن عربى صاحب الديوان فادخله بيت القراطيس ودخل
عبد الملك حين صلى فرأى عمرا بالحياة فقال لعبد العزيز ما منعك ان تقتله فقال انه ناشدنى الله
والرحم فرققت له فقال له اخزى الله امك البوالة على عقبيها فانك لم تشبه غيرها ثم اخذ عبد الملك
الحربة فطعن بها عمرا فلم تجز ثم ثنى فلم تجز فضرب بيده على عضده فرأى الدرع فقال ودرع ايضا
ان كنت لمعدا فأخذ الصمصامة وامر بعمرو فصرع وجلس على صدره فذبحه وهو يقول

يا عمرو ان لا تدع شتمى ومنقصتى * اضرب بك حيث تقول الهامة اسقونى

وانتفض عبد الملك رعدة فحمل عن صدره فوضع على سريره وقال ما رأيت مثل هذا قط

قتله

الحداد اربعون ولدا ولم
يزالوا يذبحون من اولاده
حتى لم يبق له سوى ولد واحد
فلما أرادوا ذبح ذلك الولد
اخذ كابى المذكور عصا
طويلة وعلق بطرفها الجلد
الذى يستتر به عند شغله
ويتوقى به النار ورفعه
وصاح فى الناس ودعاهم الى
المجاهدة مع الضحاك فاجتمع
عنده خلق كثير وبقى ذلك
العلم معظما عند الفرس
ورصعوه بالجوهر وسموه
درفش كابيان وجعلوه علمهم
الاكبر الذى يتبركون به
وهو الذى صار الى المسلمين
فى وقعة القادسية وكانت
الفرس لا ينشرونه الا فى أمور
عظيمة ولما قوى أمر كابى
قصد الضحاك فهرب منه
الضحاك وسأل الناس كابى
ان يتملك عليهم فابى لكونه
ليس من بيت الملك فامرهم
ان يملكوا أحدا من ولد
جمشيد وكان (افريدون) بن
اتقيان من أولاد جمشيد
كان رجلا جسيما مليحا
وهو من بقية العمالقة
مقدار قامته سبعة ارماح
وعرض صدره رمح وكان
مستخفيا من الضحاك
فاستبشر الناس به وولوه
الامر مكان الضحاك وكان

قتله صاحب دنيا ولا طالب آخرة ودخل يحيى ومن معه على بنى مروان ومن كان من مواليهم فقاتلوا يحيى واصحابه وجاء عبد الرحمن بن ام الحكم الثقفى فدفع اليه الرأس فالقاه الى الناس وقام عبد العزيز بن مروان واخذ المال فى البدر فجعل يلقيها الى الناس فلما رأى الناس الرأس والاموال تفرقوا وانتهبوا ثم امر عبد الملك بتلك الاموال فجبيت حتى عادت الى بيت المال وقيل ان عبد الملك انما امر بقتل عمرو حين خرج الى الصلاة غلامه ابن الزعيزعة فقتله والقى رأسه الى الناس ورمى يحيى بصخرة فى رأسه واخرج عبد الملك سريره الى المسجد وخرج وجلس عليه وفقد الوليد ابنه فقال والله وان كانوا اقتلوه لقد ادركوا ثارهم فاتاه ابراهيم ابن عربى الكنانى فقال الوليد عندى وقد جرح وليس عليه بأس واتى عبد الملك بيحيى بن سعيد وامر به ان يقتل فقام اليه عبد العزيز بن مروان فقال جعلت فداك يا امير المؤمنين اتراك قاتلا بنى امية فى يوم واحد فامر بيحيى فحبس واراد قتل عنبسة بن سعيد فشفع فيه عبد العزيز ايضا واراد قتل عامر بن الاسود الكلبى فشفع فيه عبد العزيز وامر ببنى عمرو بن سعيد فحبسوا ثم اخرجهم مع عمهم يحيى فالحقهم بمصعب بن الزبير ثم بعث عبد الملك الى امرأة عمرو الكلبية ابعثى الى كتاب الصلح الذى كتبته لعمرو فقالت لرسوله ارجع فاعلمه ان ذلك الصلح معه فى اكفانه ليخاصمك عند ربه وكان عبد الملك وعمرو يلتقيان فى النسب فى امية هذا عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابى العاص بن امية وذاك عمرو بن سعيد بن العاص بن امية وكانت ام عمرو ام البنين بنت الحكم عمة عبد الملك فلما قتل عبد الملك مصعبا واجتمع الناس عليه دخل اولاد عمرو على عبد الملك وهم اربعة امية وسعيد واسمعيل ومحمد فلما نظر اليهم قال لهم انكم اهل بيت لم تزالوا ترون لكم على جميع قومكم فضلا لم يجعله الله لكم وان الذى كان بينى وبين ابيكم لم يكن حديثا ولكن كان قديما فى انفس اوليائكم على اوليائنا فى الجاهلية فاقطع بامية وكان اكبرهم فلم يقدر ان يتكلم فقام سعيد بن عمرو وكان الاوسط فقال يا امير المؤمنين ما تبغى علينا امرا كان فى الجاهلية وقد جاء الله بالاسلام فهدم ذلك ووعد جنة وحذر نارا واما الذى كان بينك وبين عمرو فانه كان ابن عمك وانت اعلم بما صنعت وقد وصل عمرو الى الله وكفى بالله حسيبا ولعمرى لئن اخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الارض خير لنا من ظهره فرق لهم عبد الملك وقال ان اباكم خيرنى بين ان يقتلنى او اقتله فاخترت قتله على قتلى واما انتم فما ارغبنى فيكم واوصلنى لقرابتكم واحسن جائزتهم ووصلهم وقربهم وقيل ان خالد بن يزيد قال لعبد الملك ذات يوم عجبت كيف اصبت غرة عمرو فقال عبد الملك

ادنيته منى ليسكن روعه * واصول صولة حازم متمكن

غضبا ومحمية لدينى انه * ليس المسئ سبيله كالمحسن

وقيل انما خلع عمرو وقتله حين سار عبد الملك نحو العراق لقتال مصعب فقال له عمرو انك تخرج الى العراق وقد كان ابوك جعل لى هذا الامر بعده وعلى ذلك قاتلت معه فاجعل هذا الامر لى بعدك فلم يجبه عبد الملك الى ذلك فرجع الى دمشق وكان من قتله ما تقدم وقيل بل كان عبد الملك قد استخلف عمرا على دمشق فخالفه وتحصن بها والله اعلم ولما سمع عبد الله بن الزبير بقتل عمرو قال ان ابن الزرقاء قتل لطيم الشيطان وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون

كابى أحد اعوانه فلما استولى افريدون على منازل الضحاك وجلس على سرير الملك تبع الضحاك مدة ثم أسره بدماوند فلما مثل بين يديه سأله كيف قتل جدته جمشيد قال وضعته بين دفتين وأمرت بنشره فعند ذلك غضب وأمر بأن يضعوا عمودا من حديد على فم بئر ويربطوا رجليه فى العمود ويعلقوه منكوسا ويبنوا على فم البئر ففعلوا كما أمر واحدثوا المهرجان يوم قتله وكان ابراهيم الخليل عليه السلام فى أواخر أيام الضحاك وكان نمروذ عاملا من عماله استعمله على السواد وما اتصل به يمنة ويسرة وكانت مدة ملك الضحاك الف سنة ولما ملك افريدون سار فى الناس باحسن سيرة ورد جميع ما اغتصبه الضحاك على اصحابه وكان مؤثرا للعلم واهله وكان عارفا بعلم الطب والفلسفة والنجوم وكان لافريدون ثلاثة اولاد فقسم الارض بينهم اثلاثا خوفا من تفرق الميثاق بعده احدهم ايرج فجعل له العراق والهند والحجاز وجعله صاحب التاج والسرير وفوض اليه الولاية على اخويه

وبلغ ذلك ابن الحنفية فقال ومن نكث فانما ينكث على نفسه يرفع له يوم القيامة لواء على قدر غدرته

(ذكر عصيان الجراجمة بالشأم)

لما امتنع عمرو بن سعيد على عبد الملك خرج أيضا قائد من قواد الضواحي في جبل اللكام واتبعه خلق كثير من الجراجمة والانباط واباق عبيد المسلمين وغيرهم ثم سار الى لبنان فلما فرغ عبد الملك من عمرو ارسل الى هذا الخارج عليه فبذل له كل جمعة الف دينار فركن الى ذلك ولم يفسد في البلاد ثم وضع عليه عبد الملك سحيم بن المهاجر فتلطف حتى وصل اليه متنكرا فاظهر له ممالأته وذم عبد الملك وشتمه ووعده ان يدله على عوراته وماهو خير له من الصلح فوثق اليه ثم ان سحيما عطف عليه وعلى اصحابه وهم غارون غافلون بجيش معه والى عبد الملك وبني امية وجند من ثقات جنده وشجعانهم كان اعدهم بمكان خفي قريب وأمر فنودي من اتانا من العبيد يعني الذين كانوا معه فهو حر ويثبت في الديوان فانفض اليه خلق كثير منهم فكانوا ممن قاتل معه فقتل الخارج ومن اعانه من الروم وقتل نفر من الجراجمة والانباط ونادى المنادي بالامان فمن بقي منهم فتفرقوا في قراهم وسد الخلل وعاد الى عبد الملك ووفى للعبيد

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قتل زهير بن قيس امير افريقية وقد ذكرنا ذلك سنة اثنتين وستين وفيها حكم رجل من الخوارج في وسط سيفه وكانوا جماعة فامسك الله ايديهم فقتل ذلك الرجل عند الجمرة وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان على البصرة والكوفة له اخوه مصعب وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم وفيها توفي ابو الاسود الدؤلي وله خمس وثمانون سنة

(ثم دخلت سنة سبعين)

في هذه السنة اجتمعت الروم واستجاشوا على من بالشام فصالح عبد الملك ملكهم على ان يؤدي اليه كل جمعة الف دينار خوفا منه على المسلمين وفيها شخص مصعب الى مكة في قول بعضهم ومعه اموال كثيرة ودواب كثيرة فقسمها في قومه وغيرهم ونحر بدنا كثيرة وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عماله فيها من تقدم ذكرهم

(ذكر يوم الجفرة)

وفي هذه السنة سار عبد الملك بن مروان يريد مصعبا فقال له خالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد ان وجهتني الى البصرة واتبعتني خيلا يسيرة رجوت ان اغلب لك عليها فوجهه عبد الملك فقدمها مستخفيا في خاصته حتى نزل على عمرو بن أصمع وقيل نزل على علي بن اصمع الباهلي فارسل عمرو الى عباد بن الحصين وهو على شرطة ابن معمر وكان مصعب قد استخلفه على البصرة ورجا ابن اصمع ان يبايعه عباد بن الحصين وقال له اني قد اجرت خالدا واحببت ان تعلم ذلك لتكون ظهرا لي فوافاه الرسول حين نزل عن فرسه فقال عباد قل له والله لا اضع لبد فرسي حتى آتيك في الخيل فقال ابن اصمع لخالد ان عبادا يأتينا الساعة ولا اقدر ان امنعك منه فعليك بمالك بن مسمع فخرج خالد يركض قد اخرج رجليه من الركابين حتى اتى مالكا فقال اجرني

فاجاره

والثاني سلم وجعل له الروم وبلاد الشام ومصر والمغرب والثالث تور وجعل له الصين والترك والمشرق جميعه فلما مات افريدون وثب تور وسلم على ايرج فقتلاه واقتسما بلاده وملكا الارض ثم نشأ ابن ابن لايرج المقتول يقال له (منوجهر) بن ايران بن ايرج فحقد على عمي أبيه وجمع العسكر وتغلب على ملك جده ايرج فقوي امره وكان موصوفا بالعدل والاحسان في مملكته ويقال انه أول من حفر الخنادق وجمع آلة الحرب واول من وضع الدهقنة وجعل لكل قرية دهقانا ولما قوي منوجهر المذكور قتل عمي أبيه تور وسلم واخذ ثاره منهما ثم نشأ من ولد تور ابن افريدون المذكور (افراسياب) واليه تنسب الترك فجمع العسكر وحارب منوجهر المذكور وحاصره بطبرستان ثم اصطلحا وضربا بينهما حدا لا يتجاوزه أحد منهما وهو نهر بلخ وكان تغلب افراسياب المذكور على مملكة فارس في ايام منوجهر اثنتي عشرة سنة واكثر الفساد واخرب البلاد وطم الانهار فقحط

فاجاره وارسل الى بكر بن وائل والازد فكان أول راية اتته راية بنى يشكر وأقبل عباد فى الخيل فتواقفوا ولم يكن بينهم قتال فلما كان الغد عدوا الى جفرة نافع بن الحرث ومع خالد رجال من تميم منهم صعصعة بن معاوية وعبد العزيز بن بشر ومرة بن محكان وغيرهم وكان أصحاب خالد جفرية ينتسبون الى الجفرة واصحاب ابن معمر زبيرية وكان من أصحاب خالد عبيد الله بن أبي بكرة وحمران بن أبان والمغيرة بن المهلب ومن الزبيرية قيس بن الهيثم السلمى ووجه مصعب زحر بن قيس الجعفى مددا لابن معمر فى ألف ووجه عبد الملك عبيد الله بن زياد بن ظبيان مددا لخالد فارسل عبيد الله الى البصرة من يأتيه بالخبر فعاد اليه فاخبره بتفرق القوم فرجع الى عبد الملك فاقتتلوا أربعة وعشرين يوما وأصيبت عين مالك بن مسمع وضجر من الحرب ومشت بينهم السفراء فاصطلحوا على ان يخرج خالد من البصرة فاخرجه مالك ثم لحق مالك بالنباج وكان عبد الملك قد رجع الى دمشق فلم يكن لمصعب همة الا البصرة وطمع ان يدرك بها خالدا فوجده قد خرج فسخط مصعب على ابن معمر وأحضر أصحاب خالد فشتمهم وسبهم فقال لعبيد الله بن أبي بكرة يا ابن مسروح انما أنت ابن كلبة تعاورها الكلاب فجاءت باحمر واصفر وأسود من كل كلب بما يشبهه وانما كان أبوك عبدا نزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ثم ادعيتم ان أبا سفيان زنى بامكم و والله لئن بقيت لالحقنكم بنسبكم ثم دعا حمران فقال له انما أنت ابن يهودية علج نبطى سبيت من عين التمر وقال للحكم بن المنذر بن الجارود ولعبد الله بن فضالة الزهرانى ولعلى بن اصمع ولعبد العزيز بن بشر وغيرهم نحو هذا من التوبيخ والتقريع وضربهم مائة مائة وحلق رؤسهم ولحاهم وهدم دورهم وصهرهم فى الشمس ثلاثا وحملهم على طلاق نسائهم وجمر أولادهم فى البعوث وطاف بهم فى أقطار البصرة وأحلفهم ان لا ينكحوا الحرائر وهدم دار مالك بن مسمع واخذ ما فيها فكان مما أخذ جارية ولدت له عمرو بن مصعب واقام مصعب بالبصرة ثم شخص الى الكوفة فلم يزل بها حتى خرج الى حرب عبد الملك بن مروان (المغيرة بضم الميم وبالغين والراء خالد بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين والجفرة بضم الجيم وسكون الفاء) وفى هذه السنة مات عاصم بن عمر بن الخطاب وهو جد عمر بن عبد العزيز لامه وولد قبل موت النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين

(ذكر مقتل عمير بن الحباب بن جعدة السلمى)

فى هذه السنة قتل عمير بن الحباب بن جعدة السلمى ونحن نذكر سبب الحرب بين قيس وتغلب حتى آل الامر الى قتل عمير وكان سبب ذلك انه لما انقضى أمر مرج راهط وسار زفر بن الحرث الكلابى الى قرقيسيا على ما ذكرناه وبايع عمير مروان بن الحكم وفى نفسه ما فيها بسبب قتل قيس بالمرج فلما سير مروان بن الحكم عبيد الله بن زياد الى الجزيرة والعراق كان عمير معه فلقوا سليمان بن صرد بعين الوردة وسار عبيد الله الى قرقيسيا لقتال زفر فثبطه عمير واشار عليه بالمسير الى الموصل قبل وصول جيش المختار اليها فسار اليها والتقى ابراهيم بن الاشتر بالخازر فمال عمير معه فانهزم جيش عبيد الله وقتل هو فاتى عمير قرقيسيا وصار مع زفر فجعلا يطلبان كلبا واليمانية بمن قتلوا من قيس وكان معهما قوم من تغلب يقاتلون معهما ويدلونهما وشغل عبد الملك عنهما بمصعب وتغلب عمير على نصيبين ثم انه مل المقام بقرقيسيا فاستأمن الى عبد الملك فآمنه ثم غدر به

الناس ثم ظهر (زوا) بن طهماسب وقيل زاب وهو من أولاد منوجهر فتنازع اليه الناس وطرد افراسياب عن مملكة فارس حتى رده الى بلاد الترك بعد حروب كثيرة وسار زاب المذكور باحسن سيرة حتى عمر البلاد واصلح ما كان أخربه من البلاد ووضع عن الناس الخراج سبع سنين فعمرت البلاد واستخرج للسواد نهرا وسماه الزاب وبنى على حافته مدينة وهى التى تسمى المدينة العتيقة ونقل اليها أنواع الرياحين والاشجار وهذا أول من اتخذ انواع الاطعمة وقسم الغنائم على جيوشه وكانت مدة ملكه ثلاث سنين وكان لزاب بن طهماسب المذكور وزير يقال له كرشاسب من اولاد نوذر بن افريدون تولى الملك ويقال انهما اشتركا فى الملك وكان مسكنه ببابل ومدة ملكه عشرون سنة وبعض المؤرخين لم يذكره فى الملوك وهو آخر من تولى من طائفة الفيشدادية *(الطبقة الثانية الكيانية)* ولما هلك كرشاسب ملك بعده (كيقباذ) بن زاب وهو أول ملوك الكيانية سلك سيرة أبيه فى الخير وعمارة البلاد

خدمه عند مولاه الريان فسقاه عمير ومن معه من الحرس خمرا حتى أسكرهم وتسلق في السلم
من حبال وخرج من الحبس وعاد الى الجزيرة ونزل على نهر البليخ بين حران والرقة فاجتمعت
اليه قيس فكان يغير بهم على كلب واليمانية وكان من معه يتأوون جوارى تغلب ويسخرون
مشايخهم من النصارى فهاج ذلك بينهم شرا لم يبلغ الحرب وذلك قبل مسير عبد الملك الى مصعب
وزفر ثم ان عميرا أغار على كلب ثم رجع فنزل على الخابور وكانت منازل تغلب بين الخابور
والفرات ودجلة وكانت بحيث نزل عمير امرأة من تميم ناكحة في تغلب يقال لها أم دويل فاخذ
غلام من بنى الحريش اصحاب عمير عنزا من غنمها فشكت الى عمير فلم يمنع منها فاخذوا الباقى
فمانعهم قوم من تغلب فقتل رجل منهم يقال له مجاشع التغلبى وجاء دويل فشكت امه اليه وكان
فارسا من فرسان تغلب ففارق في قومه وجعل يذكرهم ماتصنع بهم قيس ويشكو اليهم ما أخذ من
غنم امه فاجتمع منهم جماعة وأمروا عليهم شعيث بن مليك التغلبى واغاروا على بنى الحريش
ومعهم قوم من نمير فقتل فيهم التغلبيون واستاقوا ذودا لامرأة منهم يقال لها أم الهيثم
فمانعهم القيسيون فلم يقدروا على منعهم فقال الاخطل

فان تسألونا بالحريش فاننا * منينا بنوك منهم وفجور
غداة تحامتنا الحريش كأنها * كلاب بدت أنيابها الهرير
وجاؤا بجمع ناصرى ام هيثم * فما رجعوا من ذودها ببعير

(يوم ماكسين)

ولما استحكم الشر بين قيس وتغلب وعلى قيس عمير وعلى تغلب شعيث غزا عمير بنى تغلب
وجماعتهم بماكسين من الخابور فاقتتلوا قتالا شديدا وهى اول وقعة لهم فقتل من بنى تغلب
خمسمائة وقتل شعيث وكانت رجله قطعت فقاتل حتى قتل وهو يقول

قد علمت قيس ونحن نعلم * ان الفتى يقتل وهو أجذم

(يوم الثرثار الاول)

والثرثار نهر أصل منبعه شرقى مدينة سنجار وبالقرب من قرية يقال لها اسرق ويفرغ في دجلة
بين الكحيل ورأس الايل من عمل الفرج لما قتل بماكسين من ذكرنا استمدت تغلب وحشدت
واجتمعت اليها النمر بن قاسط واتاها المشمر بن الحرث الشيبانى وكان من ساداتهم بالجزيرة
واتاها عبيد الله بن زياد بن ظبيان منجدا لهم على قيس فلذلك حقد عليه مصعب بن الزبير حتى
قتل اخاه النابى بن زياد واستنجد عمير تميما واسدا فلم ينجده منهم أحد فالتقوا على الثرثار وقد
جعلت تغلب عليها بعد شعيث زياد بن هوبر ويقال يزيد بن هوبر التغلبى فاقتتلوا قتالا شديدا
فانهزمت قيس وقتلت تغلب ومن معها منهم مقتلة عظيمة وبقروا بطون ثلاثين امرأة من بنى
سليم وقالت ليلى بنت الحرث التغلبية وقيل هى للاخطل

لما رأونا والصليب طالعا * ومارسرجيس وسما ناقعا
والخيل لا تحمل الا دارعا * والبيض في أيماننا قواطعا
خلوا لنا الثرثار والمزارعا * وحنطة طيسا وكرما يانعا

(يوم الثرثار الثاني)

وجرت بينه وبين الترك حروب كثيرة وكان مقيما بقرب نهر بلخ وهو نهر جيحون يمنع الترك عن العبور الى ارض فارس وقيل كان في زمانه من الانبياء حزقيل والياس واليسع وشمويل عليهم السلام ثم هلك كيقباذ بعد ان ملك مائة وعشرين سنة وقام مقامه بعده ابن ابنه (كيكاوس) بن كيبيه بن كيقباد المذكور فشدد على اعدائه وقتل خلقا كثيرا من عظماء البلاد وسكن مدينة بلخ وولد له فيها ولد بديع في الجمال وكان يفتن بحسنه فسماه سياوش ثم انه سلمه الى رستم الشديد الذى كان نائبا على سجستان فرباه رستم وادبه حتى صار في نهاية الادب والفروسية ولما قدم به الى ابيه امتحنه فاعجبه ثم انه كان لابيه الملك زوجة بارعة الجمال يقال لها آب رخ يقال انها ابنة افراسياب ملك الترك وهى غير ام سياوش فعشقت سياوش وأرادت منه المواصلة فابى سياوش وقال معاذ الله انه أبى ومولاى لا اخونه في أهله فلما ثابت المرأة واستشعرت من سياوش انه ينم بها الى الملك قصدت اهلاكه فذكرته عند الملك بسوء حتى تنفر الملك عنه فرام

ثم ان قيسا تجمعت واستمدت واستعدت وعليها عمير بن الحباب واتاهم زفر بن الحرث من
قرقيسيا وكان رئيس بني تغلب والنمر ومن معهما ابن هوبر فالتقوا بالثرثار واقتتلوا اشد قتال
اقتتلها الناس وانهزمت بنو عامر وكانت على مجنبة قيس وصبرت سليم واعصر حتى انهزمت
تغلب ومن معها وقتل ابنا عبد يشوع وغيرهما من اشراف تغلب فقال عمير بن الحباب

فدا لفوارس الثرثار نفسي * وما جمعت من أهل ومال
وولت عامر عنا فاجلت * وحولي من ربيعة كالجبال
اكافحهم بهم من سليم * واعصر كالمصاعيب النهال

وقال زفر بن الحرث

الا من مبلغ عني عميرا * رسالة ناصح وعليه زاري
اتترك حي ذي يمن وكلبا * وتجعل جدنابك في نزار
كمعتمد على احدى يديه * فخانته بوهن وانكسار

(يوم الفدين)

واغار عمير بن الحباب على الفدين وهي قرية على الخابور وقتل من بها من بني تغلب فهزمهم فقال
نفيع بن صفار المحاربي

لو تسأل الارض الفضاء عليكم * شهد الفدين بهلككم والصور

والصور قرية من الفدين

(يوم السكير)

وهو على الخابور يسمى سكير العباس ثم اجتمعوا والتقوا بالسكير وعلى قيس عمير بن الحباب وعلى
تغلب والنمر يزيد بن هوبر فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت تغلب والنمر وهرب عمير بن جندل وهو
من فرسان تغلب فقال عمير بن الحباب

وافلتنا يوم السكير ابن جندل * على سابح عوج اللبان مثابر
ونحن كررنا الخيل قدما شوازبا * دقاق الهوادي داميات الدوائر

وقال ابن صفار

صبحنا كم بهن على سكير * ولاقيتم هنالك الاقورينا

(يوم المعارك)

والمعارك بين الحضير والعتيق من أرض الموصل اجتمعت تغلب بهذا المكان فالتقوا هم وقيس
فاقتتلوا به واشتد قتالهم فانهزمت تغلب وقال ابن صفار

ولقد تركنا بالمعارك منكم * والحضر والثرثار اجسادا جثا

فيقال ان يوم المعارك والحضر واحد هزموهم الى الحضر وقتلوا منهم بشرا كثيرا وقال بعضهم
هما يومان كانا لقيس والله أعلم والتقوا أيضا بلبي فوق تكريت من أرض الموصل فتناصفوا
فقيس تقول كان الفضل لنا وتغلب تقول كان الفضل لنا

(يوم الشرعبية)

ثم التقوا بالشرعبية وعلى قيس عمير بن الحباب وعلى تغلب وألفافها ابن هوبر فكان بينهم

اهلاكا في يد العدو وتخوفا
من لحوق العار في قتل ولده
فكتب الى رستم في ذلك
وأرسله في جيش كثيف
فلما التقى سياوش بالعدو
وانتظم الصلح بينهما من غير
حرب كتب سياوش الى ابيه
يخبره بأمر الصلح فلم يرض
بذلك فرأى سياوش نقض
العهد عارا عليه فامتنع من
انفاذ أمر ابيه واجمع على
الفرار الى افراسياب فلحق
به بعد ان أخذ منه على
نفسه الامان فاكرمه
افراسياب وزوجه ابنته
حتى اذا حبلت البنت من
سياوش عدا افراسياب
على سياوش فقتله خوفا منه
على كرسيه لميل الناس اليه
واجتهد افراسياب في اسقاط
الولد فلم يمكن وأمر قيران وهو
اكبر امرائه وهو الذي
استأمن لسياوش من
افراسياب ان تكون ابنته
عنده حتى اذا وضعت الحمل
قتل الولد فلما ظهر الولد امتنع
قيران من قتله وستر أمره
فكان عند قيران حتى بلغ
أشده فلما سمع كيكاوس بقتل
ابنه سياوش وانه ولد له ولد
من بنت افراسياب تحيل في
ذلك وارسل قوما شطارا في
زي التجار بالمال وأمرهم
بسرقة ابن سياوش وزوجته
فسرقوهما واحضروهما

قتال شديد قتل يومئذ عمار بن المهزم السلمى وكان لتغلب على قيس قال الاخطل

واقد بكى الجحاف لما أوقعت * بالشرعبية اذ رأى الاهوالا

يعنى أوقعت الخيل والشرعبية من بلاد تغلب والشرعبية أيضا بلاد منبج فبعضهم يقول ان هذه الوقعة كانت ببلاد منبج وذلك خطأ

(يوم البليخ)

واجتمعت تغلب وسارت الى البليخ وهنالك عمير فى قيس والبليخ نهر بين حران والرقة فالتقوا وانهزمت تغلب وكثر القتل فيها وبقرت بطون النساء كما فعلوا يوم الثرثار فقال ابن صفار

رزق الرماح ووقع كل مهند * زلزلن قلبك بالبليخ فزالا

(يوم الحشاك ومقتل عمير بن الحباب السلمى وابن هوبر التغلبى)

لما رأت تغلب الحاح عمير بن الحباب عليها اجتمعت حاضرتها وباديتها وساروا الى الحشاك وهو تل قريب من الشرعبية والى جنبه براق ودلف اليه عمير فى قيس ومعه زفر بن الحرث الكلابى وابنه الهذيل بن زفر وعلى تغلب ابن هوبر واقتتلوا عند تل الحشاك أشد قتال وابرحه حتى جن عليهم الليل ثم تفرقوا واقتتلوا من الغد الى الليل ثم تحاجزوا وأصبحت تغلب فى اليوم الثالث فتعاقدوا ان لا يفروا فلما رأى عمير جدهم وان نساءهم معهم قال لقيس يا قوم أرى لكم ان تنصرفوا عن هؤلاء فانهم مستقتلون فاذا اطمأنوا وساروا الى سرحهم وجهنا الى كل قوم منهم من يغير عليهم فقال له عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلى قتلت فرسان قيس امس واول امس ثم ملئ سحرك وجبنت ويقال ان عيينة بن أسماء بن خارجة الفزارى قال له ذلك وكان أتاه منجدا فغضب عمير وقال كانى بك وقد حمى الوغى أول فار فنزل عمير وجعل يقاتل رجلا وهو يقول

انا عمير وأبو المغلس * قد أحبس القوم بضنك فاحبس

وانهزم زفر يومئذ وهو اليوم الثالث فلحق بقرقيسيا وذلك انه بلغه ان عبد الملك بن مروان قد عزم على الحركة اليه بقرقيسيا فبادر للتأهب وقيل انه ادعى ذلك حين فر اعتذارا وانهزمت قيس وركبت تغلب ومن معها اكتافهم وهم يقولون اما تعلمون ان تغلب تغلب وشد على عمير جميل ابن قيس من بنى كعب بن زهير فقتله وقيل بل تعاوى على عمير غلامان من بنى تغلب فرمياه بالحجارة وقد أعيياه فاثخناه وكر عليه ابن هوبر فقتله واصابت ابن هوبر يومئذ جراحة فلما انقضت الحرب اوصى بنى تغلب بان يولوا أمرهم مراد بن علقمة الزهيرى وقيل خرج ابن هوبر فى اليوم الثانى من أيامهم هذه الثلاثة واوصى انهم يولوا أمرهم مرادا ومات من ليلته وكان مراد رئيسهم فى اليوم الثالث فعباهم على راياتهم وأمر كل بنى أب ان يجعلوا نساءهم خلفهم فلما أبصرهم عمير قال ما تقدم ذكره قال الشاعر

أرقت بأثناء الفرات وشفنى * نوائح أبكاها قتيل ابن هوبر

ولم تظلمى ان نحت أم مغلس * قتيل النصارى فى نوائح حسر

وقال بعض الشعراء ينكر قتل ابن هوبر عميرا

وان عميرا يوم لاقته تغلب * قتيل جميل لا قتيل ابن هوبر

وكثر القتل يومئذ فى بنى سليم وغنى خاصة وقتل من قيس أيضا يومئذ بشر كثير وبعثت بنو تغلب

وكان اسم الولد المذكور كيخسرو وكان كيكاوس عقيما فقرر الملك لولد ولده (كيخسرو) المذكور ولما ملك كيخسرو وقوى أمره قصد ملك الترك افراسياب طالبا بالثار أبيه سياوش فجرت بينهما حروب كثيرة وظفر كيخسرو بجده افراسياب واوثقه فى حديد ثقيل ووبخه على غدره بأبيه ثم ذبحه وقد غنم غنائم عظيمة فلما استقر فى الملك مدة تزهد وخرج عن الدنيا وترك الملك وعين مكانه اعظم قواده (بهراسب) وفقد كيخسرو وكانت مدة ملكه ستين سنة وكان ذلك فى ايام سليمان بن داود عليهما السلام ثم ملك بعده (بهراسب) ويقال انه ابن أخى كيكاوس فاتخذ سريرا من ذهب مرصعا بالجوهر وكان يجلس عليه وبنيت له بأرض خراسان مدينة بلخ الحسنا وسكنها لقتال الترك وكان بختنصر عاملا من جانبه على العراق والاهواز وعلى الروم وتولى سبعا وخمسين سنة وسبب تسميته بختنصر انه وجد وهو رضيع عند صنم اسمه نصر ولم يعلم له أبوان وكلبة ترضعه اسمها بخت فسمى باسمهما فلما هلك بختنصر بعد ما مسخ تولى

رأس عمير بن الحباب الى عبد الملك بن مروان بدمشق فأعطى الوفد وكساهم فلما صالح عبد الملك زفر بن الحرث واجتمع الناس عليه قال الاخطل

بنى أمية قد ناضلت دونكم * أبناء قوم هم آووا وهم نصروا
وقيس عيلان حتى اقبلوا رقصا * فبايعوا لك قسرا بعد ما قهروا
ضجوا من الحرب اذ عضت غواربهم * وقيس عيلان من اخلاقها الضجر

فى أبيات كثيرة فلما قتل عمير بن الحباب وقف رجل على أسماء بن خارجة الفزارى بالكوفة فقال قتلت بنو تغلب عمير بن الحباب فقال لا بأس انما قتل الرجل فى ديار القوم مقبلا غير مدبر ثم قال

يدى رهن على سليم بغارة * تشيب لها اصداغ بكر بن وائل
وتترك أولاد الفدوكس عالة * يتامى ايامى نهرة للقبائل

(يوم الكحيل)

وهو من أرض الموصل فى جانب دجلة الغربى وسببه انه لما قتل عمير بن الحباب السلمى اتى تميم بن عمير زفر بن الحرث فسأله ان يطلب له بثاره فامتنع فقال الهذيل بن زفر لابيه والله لئن ظفرت بهم تغلب ان ذلك لعار عليك ولئن ظفروا بتغلب وقد خذلتهم ان ذلك لاشد فاستخلف زفر على قرقيسيا اخاه أوس بن الحرث وعزم على ان يغير على بنى تغلب ويغزوهم فوجه خيلا الى بنى فدوكس بطن من تغلب فقتل رجالهم واستبيحت أموالهم ونساؤهم حتى لم يبق غير امرأة واحدة استجارت فاجارها يزيد بن حمران ووجه زفر بن الحرث ابنه الهذيل فى جيش الى بنى كعب بن زهير فقتل فيهم قتلا ذريعا وبعث زفر أيضا مسلم بن ربيعة العقيلى الى قوم تغلب مجتمعين فاكثر فيهم القتل ثم قصد زفر بنى تغلب وقد اجتمعوا بالعقيق من أرض الموصل فلما احست به ارتحلت تريد عبور دجلة فلما صارت بالكحيل لحقهم زفر فى القيسية فاقتتلوا قتالا شديدا وترجل أصحاب زفر أجمعون وبقى زفر على بغل له فقتلوهم ليلتهم وبقروا بطون نسائهم وغرق فى دجلة أكثر ممن قتل بالسيف فاتى فلهم لبى فوجه زفر ابنه الهذيل فاوقع بهم الا من عبر فنجا وأسر زفر منهم مائتين فقتلهم صبرا فقال زفر

الا يا عين بكى بانسكاب * وبكى عاصما وابن الحباب
فان تك تغلب قتلت عميرا * ورهطا من غنى فى الحراب
فقد أفنى بنى جشم بن بكر * ونمرهم فوارس من كلاب
قتلنا منهم مائتين صبرا * وما عدلوا عمير بن الحباب

وقال ابن صفار المحاربى

ألم تر حربنا تركت حبيبا * محالفها المذلة والصغار
وقد كانوا أولى عز فأضحوا * وليس لهم من الذل انتصار

وأسر القطامى التغلبى فى يوم من أيامهم وأخذ ماله فقام زفر بامره حتى رد عليه ماله ووصله فقال فيه

انى وان كان قومى ليس بينهم * وبين قومك الا ضربة الهادى
مثن عليك بما اوليت من حسن * وقد تعرض لى من مقتل بادى

(حبيب الذى فى الشعر هو بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وهو فى نسب بنى تغلب)

مكانه ابنه اولاق سنة واحدة ثم قتل وتولى مكانه ابنه بلطاش سنتين ثم قتل وانقرضت به ذرية بختنصر وقد ذكرت قصته فى ذكر ارمياء عليه السلام وكان بهراسب المذكور رشيد القمع للملوك وكانت ملوك الروم والعرب والهند يؤدون اليه الاتاوة فى كل سنة ويقرون له انه ملك الملوك هيبة له ثم انه كبر سنه واحس بالضعف فتنسك وفارق الملك واشتغل بالعبادة واستخلف ابنه (كيشاسب) وقيل اسمه بشتاسف ولما تولى غضب على بختنصر بسبب تخريبه البلاد وقتله العباد فعزله وعين اقطاعه الى أمير عظيم يقال له كورس ثم أمر باطلاق اسارى بنى اسرائيل فجهزهم الى بيت المقدس وظهر فى ايامه زرادشت الحكيم وهو مؤلف كتاب دين المجوس وكان من تلامذة عزير النبى عليه السلام سمعه وقرأ عليه ثم خالفه فدعا عليه عزير عليه السلام فتجذم ثم الف كتابه المذكور فى اثنى عشر مجلدا كل مجلد فى جلد ثور فحمله عجلة واحدة اباح فى كتابه تزويج الام والاخت وأحل شرب الخمر وأمر بعبادة النيران فتوقف

(يوم البشر)

لما استقر الامر لعبد الملك واجتمع المسلمون عليه قدم عليه الاخطل الشاعر التغلبي وعنده الجاف بن حكيم السلمي فقال له عبد الملك أتعرف هذا يا أخطل قال نعم هذا الذى أقول فيه

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر * بقتلى أصيبت من سليم وعامر

وانشد القصيدة حتى فرغ منها وكان الجحاف يأكل رطبا فجعل النواية تساقط من يده غيظا وأجابه وقال بلى سوف نبكيهم بكل مهند * ونبكى عميرا بالرماح الشواجر

ثم قال يا ابن النصرانية ما كنت أظن ان تجترئ على بمثل هذا فارعد الاخطل من خوفه ثم قام الى عبد الملك وامسك ذيله وقال هذا مقام العائذ بك وانا لك جار ثم قام الجحاف ومشى وهو يجر ثوبه ولا يعقل به فتلطف لبعض كتاب الديوان حتى اختلق له عهدا على صدقات تغلب وبكر بالجزيرة وقال لاصحابه ان أمير المؤمنين قد ولانى هذه الصدقات فمن اراد اللحاق بى فليفعل ثم سار حتى أتى رصافة هشام فاعلم أصحابه ما كان من الاخطل اليه وانه افتعل كتابا وانه ليس بوال فمن كان أحب ان يغسل عنى العار وعن نفسى فليصحبنى فانى قد أقسمت ان لا اغسل رأسى حتى أوقع فى بنى تغلب فرجعوا عنه غير ثلثمائة قالوا له نموت بموتك ونحيا بحياتك فسار ليلته حتى صبح الرحوب وهو ماء لبنى جشم بن بكر من تغلب فصادف عليه جماعة عظيمة منهم فقتل فيهم مقتلة عظيمة وأسر الاخطل وعليه عباءة وسخة فظنه الذى أسره عبدا فسأله من هو فقال عبد فاطلقه فرمى بنفسه فى جب وخاف ان رآه من يعرفه ان يقتله فلما انصرف الجحاف خرج من الجب واسرف الجحاف فى القتل وبقر البطون عن الاجنة وفعل امرا عظيما فلما عاد عنهم قدم الاخطل على عبد الملك فانشده قوله

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة * الى الله منها المشتكى والمعول

ثم هرب الجحاف فطلبه عبد الملك فلحق ببلاد الروم وقال بعد وقعة البشر يخاطب الاخطل

أبا مالك هل لمتنى أو حضضتنى * على القتل أم هل لامنى كل لائم
ألم أفنكم قتلا واجدع انوفكم * بفتيان قيس والسيوف الصوارم
بكل فتى ينعى عميرا بسيفه * اذا اعتصمت ايمانهم بالقوائم
فان تطردونى تطردونى وقد جرى * بى الورد يوما فى دماء الاراقم
نكحت بسيفى فى زهير ومالك * نكاح اغتصاب لا نكاح دراهم

فى أبيات ولم يزل الجحاف يتردد فى بلاد الروم من طرابزندة الى قالقيلا وبعث الى بطانة عبد الملك من قيس حتى اخذوا له الامان فامنه عبد الملك فقدم عليه فالزمه ديات من قتل واخذ منه الكفلاء وسعى فيها فاتى الحجاج من الشام فطلب منه فقال له متى عهدتنى خاتنا فقال له ولكنك سيد قومك ولك عمالة واسعة فقال لقد الهمت الصدق فاعطاه مائة ألف درهم وجمع الديات فاوصلها ثم تنسك بعد وصلح ومضى حاجا فتعلق باستار الكعبة وجعل ينادى اللهم اغفر لى وما اظن تفعل فسمعه محمد بن الحنفية فقال يا شيخ قنوطك شر من ذنبك وقيل ان سبب عوده كان ان الجحاف أكرمه ملك الروم وقربه وعرض عليه النصرانية ويعطيه ما شاء فقال ما اتيتك رغبة عن الاسلام واتى الروم تلك السنة عساكر المسلمين صائفة فانهزم المسلمون واخبر واعبد الملك

كيشاسب عن الدخول فى دينه ثم صدقه فدخل فى دينه وجرى بين كيشاسب وبين خرزاسب ملك الترك حروب عظيمة قتل بينهما فيها خلق كثير بسبب دخوله فى دين زرادشت وكان لكيشاسب ولد يقال له اسفنديار هلك فى حياة أبيه وخلف ولدا يقال له اردشير بهمن فلما ولى (اردشير بهمن) المذكور انبسطت يده وتناول الممالك حتى ملك الاقاليم السبعة وراعى وجوه بنى اسرائيل واحسن اليهم وكان كريما متواضعا علامة كتبه من اردشير بهمن عبد الله وخادمه والسائس لامركم وغزا رومية فى ألف ألف مقاتل ومعنى بهمن بالعربية الحسن النية وكان أردشير بهمن متزوجا بابنته جمانى وذلك حلال فى دين المجوس فتوفى بهمن وهى حاملة منه بدارا ب وكانت قد سألت بهمن ان يعقد التاج على ما فى بطنها ويخرج ابنه ساسان من الملك فاجابها بهمن الى ذلك واوصى اكابر دولته ففعلوا ذلك وعظم على ساسان تولية اخته فلحق باصطخر وتزهد وتجرد من حلية الملك واتخذ غنما وتولى رعيها بنفسه وساسان المذكور هو ابو الاكاسرة

انهم هزمهم الحجاف فارسل اليه عبد الملك يؤمنه فسار وقصد البشر وبه حي من بشر وقد لبس اكفانه وقال قد جئت اليكم اعطى القود من نفسي وأراد شبابهم قتله فنهاهم شيوخهم فغفر عنه وحج فسمعه عبد الله بن عمر وهو يطوف ويقول اللهم اغفر لي وما أظنك تفعل فقال ابن عمر لو كنت الحجاف مازدت على هذا قال فانا الحجاف

(ثم دخلت سنة احدى وسبعين)

(ذكر مقتل مصعب وملك عبد الملك العراق)

في هذه السنة قتل مصعب بن الزبير في جمادى الآخرة واستولى عبد الملك بن مروان على العراق وسبب ذلك ان عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو بن سعيد بن العاص كما تقدم ذكره وضع السيف فقتل من خالفه فصفاله الشام فلما لم يبق له مخالف فيه اجمع المسير الى مصعب بن الزبير بالعراق فاستشار أصحابه في ذلك فاشار يحيى بن الحكم بن ابي العاص عمه بان يقنع بالشام ويترك ابن الزبير والعراق وكان يقول عبد الملك من أراد صواب الرأي فليخالف يحيى وقال بعضهم ان العام جدب وقد غزوت سنتين فلم تظفر فاقم عامك هذا فقال عبد الملك الشام بلد قليل المال ولا آمن نفاده وقد كتب كثير من اشراف العراق يدعونني اليهم وقال أخوه محمد بن مروان الرأي ان تطلب حقك وتسير الى العراق فاني ارجوان الله ينصرك وقال بعضهم الرأي ان تقيم وتبعث بعض أهلك وتمده بالجنود فقال عبد الملك انه لا يقوم بهذا الامر الا قرشي له رأي ولعلي ابعث من له شجاعة ولا رأي له واني بصير بالحرب شجاع بالسيف ان احتجت اليه ومصعب شجاع من بيت شجاعة ولكنه لا علم له بالحرب يحب الخفض ومعه من يخالفه ومعي من ينصح لي فلما عزم على المسير ودع زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية فبكت وبكى جواريها لبكائها فقال قاتل الله كثير عزة لكانه يشاهدنا حين يقول

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها عقد در يزينها
نهته فلما لم تر النهي عاقه * بكت وبكى مما عناها قطينها

وسار عبد الملك الى العراق فلما بلغ مصعبا مسيره وهو بالبصرة أرسل الى المهلب وهو يقاتل الخوارج يستشيره وقيل بل أحضره عنده فقال لمصعب اعلم ان أهل العراق قد كاتبوا عبد الملك وكاتبهم فلا تبعدني عنك فقال له مصعب ان أهل البصرة قد أبوا ان يسيروا حتى اجعلك على قتال الخوارج وهم قد بلغوا سوق الاهواز وانا أكره اذ سار عبد الملك الي ان لا اسير اليه فاكفني هذا الثغر فعاد اليهم وسار مصعب الى الكوفة ومعه الاحنف فتوفي بالكوفة واحضر مصعب ابراهيم بن الاشتر وكان على الموصل والجزيرة فلما حضر عنده جعله على مقدمته وسار حتى نزل باخمرا وهي قريب من اوانا وهي من مسكن فعسكر هنالك وسار عبد الملك وعلى مقدمته أخوه محمد بن مروان وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فنزلوا بقرقيسيا وحصر وازفر بن الحرث الكلابي ثم صالحهم على ما نذكره ان شاء الله تعالى وسير زفر ابنه الهذيل مع عبد الملك وكان معه ثم لحق بمصعب بن الزبير فلما اصطلحا سار عبد الملك ومن معه فنزلوا بمسكن قريبا من عسكر مصعب وبين العسكرين ثلاثة فراسخ ويقال فرسخان وكتب عبد الملك الى أهل العراق من كاتبه ومن لم يكاتبه وبذل لجميعهم اصبهان طعمة وقيل ان كل من كاتبه طلب منه امرة اصبهان فقال اي

وساست (جاني) المذكورة بعده أحسن سياسة ثم وضعت ولدا سمته داراب وهو ابنها وأخوها وكانت جاني صاحبة رأي وتدبير وعقل وحزم ولم تزل قائمة بأمر الملك ضابطة له واغزت الروم جيشا وظفرت فقمعت الاعداء واشغلتهم عن التطرق الى شئ من بلادها وكان ملكها سبع عشرة سنة ولما بلغ داراب رشده عزلت جاني نفسها وتولى (داراب بن بهمن) الملك فضبطه بشجاعة وحسن سياسة وكان صاحب العزيمة والفزع وولد له ولد سماه داراب باسمه وكانت مدة ملكه اثنتي عشرة سنة وتولى الملك بعده ابنه (داراب بن داراب) وكان حقودا ظالما فتنفرت منه قلوب الخاصة والعامة وفي زمنه تملك الاسكندر بن فيلقوس المشهور مملكة فارس لانه عرف بوحشة خواطر أصحاب داراب منه فقصده بجيشه فلحق بالاسكندر لما دنا من داراب بعض من يختص بدراب وشكوا اليه من داراب وشجعوه عليه وطال بينهما القتال وذكر الشيخ جمال الدين بن الجوزي في شرح القصيدة العبدونية ان الاسكندر ذا القرنين

شيء اصبهان هذه حتى كلهم يطالبها فكل منهم اخفى كتابه الا ابراهيم بن الاشتر فانه أحضر كتابه
عند مصعب مختوما فقرأه مصعب فاذا هو يدعوه الى نفسه و يجعل له ولاية العراق فقال له
مصعب أتدرى ما فيه قال لا قال يعرض عليك كذا وكذا وان هذا لما يرغب فيه فقال ابراهيم
ما كنت لأتقلد الغدر والخيانة و والله ما عند عبد الملك من أحد من الناس بأيأس منه منى
ولقد كتب الى اصحابك كلهم مثل الذى كتب الى فاطعنى واضرب اعناقهم قال اذا لا يناصحنى
عشائرهم قال فاوقرهم حديدا وابعث بهم الى ابيض كسرى واحبسهم هناك ووكل بهم من ان
غلبت وتفرقت عشائرهم عنك ضرب رقابهم وان ظهرت مننت على عشائرهم باطلاقهم فقال
انى لفى شغل عن ذلك فرحم الله أبا بحر يعنى الاحنف بن قيس ان كان ليحذرنى غدر أهل العراق
ويقول هم كالمومسة تريد كل يوم بعلا وهم يريدون كل يوم أميرا فلما رأى قيس بن الهيثم ما عزم
أهل العراق عليه من الغدر بمصعب قال لهم ويحكم لا تدخلوا أهل الشام عليكم فوالله لئن
يطعموا بعيشكم ليضيقن عليكم منازلكم والله لقد رأيت سيد أهل الشام على باب الخليفة
يفرح ان ارسله فى حاجة ولقد رأيتنا فى الصوائف وان زاد أحدنا على عدة اجمال وان الرجل
من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلفه فلم يسمعوا منه فلما تدانى العسكران أرسل عبد الملك
الى مصعب رجلا من كلب وقال له أقرئ ابن أختك السلام وكانت أم مصعب كلبية وقل له يدع
دعاءه الى أخيه وادع دعائى الى نفسى ويجعل الامر شورى فقال له مصعب قل له السيف بيننا
فقدم عبد الملك اخاه محمدا وقدم مصعب ابراهيم بن الاشتر فالتقيا فتناوش الفريقان فقتل
صاحب لواء محمد وجعل مصعب يمد ابراهيم فازال محمدا عن موقفه فوجه عبد الملك عبد الله بن
يزيد الى اخيه محمد فاشتد القتال فقتل مسلم بن عمرو الباهلى والد قتيبة وهو من اصحاب مصعب
وامد مصعب ابراهيم بعتاب بن ورقاء فساء ذلك ابراهيم وقال قد قلت له لا تمدنى بعتاب وضربائه
وانا لله وانا اليه راجعون فانهزم عتاب بالناس وكان قد كاتب عبد الملك وبايعه فلما انهزم صبر
ابن الاشتر فقتل قتله عبيد بن ميسرة مولى بنى عذرة وحمل رأسه الى عبد الملك وتقدم أهل الشام
فقاتلهم مصعب وقال لقطن بن عبد الله الحارثى قدم خيلك أبا عثمان فقال اكره ان تقتل مذحج
فى غير شىء فقال لحجار بن أبجر يا أبا أسيد قدم خيلك قال الى هؤلاء الانتان قال ما تتأخر اليه انتن
فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد مثل ذلك فقال ما فعل أحد هذا فافعله فقال مصعب
يا ابراهيم ولا ابراهيم لى اليوم ثم التفت فرأى عروة بن المغيرة بن شعبة فاستدناه فقال له اخبرنى
عن الحسين بن على كيف صنع بامتناعه عن النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب فاخبره
فقال

الا ان الالى بالطف من آل هاشم * تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

قال عروة فعلمت انه لا يبرح حتى يقتل ثم دنا محمد بن مروان من مصعب وناداه انا ابن عمك محمد
ابن مروان فاقبل أمان أمير المؤمنين فقال أمير المؤمنين بمكة يعنى أخاه عبد الله بن الزبير قال فان
القوم خاذلوك فابى ما عرض عليه فنادى محمد عيسى بن مصعب بن الزبير له فقال له مصعب
أنظر ما يريد منك فدنا منه فقال له انى لك ولابيك ناصح ولكما الامان فرجع الى ابيه فاخبره فقال
انى أظن القوم يفون لك فان احببت ان تأتيهم فافعل فقال لا تتحدث نساء قريش انى خذلتك
ورغبت بنفسى عنك قال فاذهب أنت ومن معك الى عمك بمكة فاخبره بما صنع اهل العراق

ودعنى

قد منع داراب من حمل
الجزية التى كانت تعطيها
الملوك بزمانه وكانت الملوك
تحمل الجزية فى كل سنة
وتؤديها الى ملك فارس
وذلك مائة بيضة ذهبا وزن
كل بيضة ألف مثقال فلما
أظهر الاسكندر منع ذلك
وهو ان يؤدى الى ملوك
فارس ما كان غيره يحمله
فخرج داراب لقتاله فالتقيا
بنصيبين من بلاد الجزيرة
فاقتتلا سنة كاملة وكان
داراب قد ملّه قومه واحبوا
الراحة منه فلحق كثير منهم
بالاسكندر واطلعوه على
عورته وقووه عليه ثم وثب
على داراب حاجباه فقتلاه
وتقربا برأسه الى الاسكندر
فامر الاسكندر بقتلهما
وقال هذا جزاء من يتجرأ
على استاذه وصار ملك داراب
الى الاسكندر بن فيلقوس
اليونانى وفى شرح رسالة
ابن زيدون ان الاسكندر لما
امتنع من ارسال الاتاوة
لداراب بعث اليه كرة
وصولجانا وخرقة فيها سمسم
وقال أنت صبى فالعب بهذه
الكرة فان أديت الاتاوة
والا بعثت اليك بجنود عدد
هذا السمسم واتيت بك فى
وثاق فكتب اليه الاسكندر
امابعد فقد تيمنت بالكرة
والصولجان فان

ودعني فاني مقتول فقال لا اخبر عنك قريشا أبدا ولكن يا ابت الحق بالبصرة فانهم على الطاعة
أو الحق بامير المؤمنين فقال مصعب لا تتحدث قريش أني فررت وقال لابنه عيسى تقدم اذن
احتسبك فتقدم ومعه ناس فقتل وقتلوا وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأس عيسى فحمل عليه
مصعب فقتله وشد على الناس فانفرجوا له وعاد ثم حمل ثانية فانفرجوا له وبذل له عبد الملك
الامان وقال انه يعز علي أن تقتل فاقبل اماني ولك حكمك في المال والعمل فابى وجعل يضارب
فقال عبد الملك هذا والله كما قال القائل

ومدجج كره الكماة نزاله * لا ممعن هربا ولا مستسلما

ودخل مصعب سرادقه فتحنط ورمى السرادق وخرج فقاتل فاتاه عبيد الله بن زياد بن ظبيان
فدعاه الى المبارزة فقال له يا كلب اعزب مثلي يبارز مثلك وحمل عليه مصعب فضربه على البيضة
فهشمها وجرحه فرجع وعصب رأسه وترك الناس مصعبا وخذلوه حتى بقي في سبعة انفس
وأثخن مصعب بالرمي وكثرت الجراحات فيه فعاد الى عبيد الله بن زياد بن ظبيان فضربه مصعب
فلم يصنع شيأ لضعفه بكثرة الجراحات وضربه ابن ظبيان فقتله وقيل بل نظر اليه زائدة بن قدامة
الثقفي فحمل عليه فطعنه وقال يا لثارات المختار فصرعه وأخذ عبيد الله بن زياد رأسه وحمله الى
عبد الملك فألقاه بين يديه وانشد

نعاطي الملوك الحق ما قسطوا لنا * وليس علينا قتلهم بمحرم

فلما رأى عبد الملك الرأس سجد قال ابن ظبيان لقد هممت ان اقتل عبد الملك وهو ساجد فأكون
قد قتلت ملكي العرب وارحت الناس منهما وقال عبد الملك لقد هممت ان أقتل ابن ظبيان
فأكون قد قتلت أفتك الناس بأشجع الناس وأمر عبد الملك لابن ظبيان بألف دينار فقال لم
اقتله على طاعتك وانما قتلته على قتل أخي النابي بن زياد ولم يأخذ منها شيأ وكان قتل مصعب
بدير الجاثليق عند نهر دجيل فأمر عبد الملك به وبابنه عيسى فدفنا وقال كانت الحرمة بيننا
قديمة ولكن الملك عقيم وكان سبب قتل النابي أنه قطع الطريق هو ورجل من بني نمير فأحضرا
عند مطرف بن سيدان الباهلي صاحب شرطة مصعب فقتل النابي وضرب النميري وأطلقه
فجمع عبيد الله جمعا وقصد مطرفا بعد أن عزله مصعب عن شرطته وولاه الاهواز وسار عبيد الله
الى المطرف فقتله فبعث مصعب مكرم بن مطرف في طلب عبيد الله فسار حتى بلغ عسكر مكرم
فنسب اليه ولم يلق عبيد الله كان قد لحق بعبد الملك وقيل في قتله غير ذلك فلما أتى عبد الملك
برأس مصعب نظر اليه وقال متى تغذو قرشية مثلك وكانا يتحدثان الى حبي وهما بالمدينة فقيل
لها اقتل مصعب فقالت تعس قاتله فقيل قتله عبد الملك بن مروان فقالت وابأبي القاتل والمقتول
ثم دعا عبد الملك بن مروان جند العراق الى بيعته فبايعوه وسار حتى دخل الكوفة فأقام
بالنخيلة أربعين يوما وخطب الناس بالكوفة فوعد المحسن وتوعد المسيء فقال ان الجامعة
التي وضعت في عنق عمرو بن سعيد عندي والله لا اضعها في عنق رجل فانتزعها الا صعدا
لا افكها عنه فكا فلا يبقين امرؤ الا على نفسه ولا يولغن دمه والسلام ودعا الناس الى البيعة
فبايعوه فحضرت قضاعة فقال لهم كيف سلمتم وأنتم قليل مع مضر فقال عبد الله بن يعلى النهدي
نحن أعز منهم وامنع بك وبمن معك منا فجاءت مذحج فقال ما أرى لاحد مع هؤلاء بالكوفة شيأ

والصولجان فان الدنيا مثل
الاكرة وسألعب بها وأضيف
ملكك الى ملكي واما
السمسم فقد تيمنت أيضا به
فانه بعيد من الحرافة والمرارة
واما الدجاجة التي كانت
تبيض ذلك البيض فقد
ذبحتها وأكلت لحمها فغضب
دارا وسار اليه بجموعه
فصار من أمره ما صار والله
أعلم (الطبقة الثالثة
الاشغانية) وهم ملوك
الطوائف وكان من أمرهم
ان الاسكندر لما غلب على
الفرس واسر ملوكهم
وعظماءهم قتل منهم جماعة
واراد قتل الباقين عن
آخرهم فمنعه ارسطاليس
وقال له الراي ان تملك عدة
منهم على الفرس فيقع بينهم
التشاجر والتباغض فلا
يجتمعون فتأمن اليونان
غائلتهم فمال الاسكندر الى
ذلك وملك من كبار الفرس
عشرين ملكا على الفرس
وهم المسمون بملوك
الطوائف واستمر بهم الحال
على ذلك نحو خمسمائة
واثنتي عشرة سنة حتى قام
اردشير بن بابك وجمع ملك
الفرس ولم يبق منهم ملك
غيره وكانت عدة ملوك
الطوائف تزيد على تسعين
ملكا ولم يؤرخ في مبتدا
امرهم اسماؤهم ولا عدد

ثم جاءت جعفى فقال ائتونى بابن اختكم يعنى يحيى بن سعيد وكانت امه مذحجية فقالوا هو آمن فقال وتشترطون أيضا فقال رجل منهم انا ما نشترط جهلا بحقك ولكنا نتسحب عليك تسحب الولد على الوالد فقال نعم انتم الحى ان كنتم لفرسانا فى الجاهلية ليحضر فهو آمن فأتوه به فبايعه ثم أتته عدوان فقدموا بين أيديهم رجلا جميلا وسيما فقال عبد الملك

عذير الحى من عدوا * ن كانوا حية الارض

بغى بعضهم بعضا * فلم يرعوا على بعض

ومنهم كانت السادا * ت والموفون بالقرض

ثم أقبل على ذلك الرجل الجميل فقال ايه فقال لا أدرى فقال معبد بن خالد الجدلى وكان خلفه

ومنهم حكم يقضى * فلا ينقض ما يقضى

ومنهم من يجيز الحج بالسنة والفرض

وهم من ولدوا اسنوا * لسير النسب المحض

فأقبل عبد الملك على ذلك الجميل فقال من هو فقال لا أدرى فقال معبد من ورائه هو ذو الاصبع فأقبل على الجميل فقال لم تسمى ذا الاصبع فقال لا أدرى فقال معبد لان حية نهشت اصبعه فقطعتها فأقبل على الجميل فقال ما كان اسمه قال لا أدرى فقال معبد حرثان بن الحرث فقال للجميل من أيكم هو قال لا ادرى فقال معبد من بنى ناج ثم قال للجميل كم عطاؤك قال سبعمائة قال لمعبد كم عطاؤك قال ثلاثمائة فقال الكاتبه اجعل معبدا فى سبعمائة وانقص من عطاء هذا أربعمائة ففعل ثم جاءت كندة فنظر الى عبد الله بن اسحق بن الاشعث فاوصى به أخاه بشر بن مروان وأقبل دواد بن قحذم فى جمع كثير من بكر بن وائل عليهم الاقبية الداودية وبه سميت فجلس مع عبد الملك على سريره فاقبل عليه عبد الملك ثم نهض ونهضوا معه فقال عبد الملك هؤلاء الفساق لولا أن صاحبهم جاءنى ما اعطانى أحد منهم طاعة ثم ولى قطن بن عبد الله الحارثى الكوفة ثم عزله فاستعمل أخاه بشر بن مروان ثم استعمل محمد بن عمير الهمدانى على همذان ويزيد بن رويم على الرى ولم يف لاحد شرط له اصبهان وقال على بهؤلاء الفساق الذين امحلوا الشام وافسدوا العراق فقيل قد أجارهم رؤساء عشائرهم فقال وهل يجير على أحد وكان عبد الله بن يزيد بن أسد والد خالد القسرى قد لجأ الى على بن عبد الله بن عباس ولجأ اليه أيضا يحيى ابن معيوف الهمدانى ولجأ الهذيل بن زفر بن الحرث وكان مع عبد الملك على ماذكره عمرو بن يزيد الحكمى الى خالد بن يزيد فآمنهم عبد الملك فظهروا واصطنع عمرو بن حريث لعبد الملك طعاما كثيرا وأمر به الى الخورنق واذن اذنا عاما فدخل الناس وأخذوا مجالسهم فدخل عمرو ابن حريث فاجلسه معه على سريره ثم جاءت الموائد فأكلوا فقال عبد الملك ما الذ عيشنا لو دام ولكنا كما قال الاول

وكل جديد يا اميم الى بلى * وكل امرئ يوما يصير الى كان

فلما فرغوا من الطعام طاف عبد الملك فى القصر وعمرو بن حريث معه وهو يسأله لمن هذا البيت ومن بنى هذا البيت وعمرو يخبره فقال عبد الملك

اعمل على مهل فانك ميت * واكدح لنفسك أيها الانسان

فكأن ما

ملوكهم فانهم كانوا ملوكا صغارا فى الاطراف ولم يشتهر منهم الا الاشغانية فضبط أصحاب السير والتواريخ ايامهم وعدد ملوكهم واساميهم فاول من اشتهر منهم (اشغا بن اشغان) ويقال اشك بن اشكان وكان أول ملك اشغا المذكور لمضى مائتين وأربعين سنة من غلبة الاسكندر وكان ملكه عشر سنين ثم ملك بعده (شاربور بن اشغان) ستين سنة وكان مولد المسيح عليه السلام فى بضع وأربعين سنة خلت من ملك شابور فلما هلك ملك بعده (جور ابن اشغان) وقيل جودرز عشر سنين فلما هلك ملك بعده (بيزن الاشغانى) احدى وعشرين سنة وهلك ثم ملك بعده (جودرزد الاشغانى) تسع عشرة سنة وهلك ثم ملك بعده (ترسى الاشغانى) أربعين سنة وقال يوم ملك انى محب ومكرم من انفذ امرى وهلك ثم ملك بعده (هرمز الاشغانى) تسع عشرة سنة وقال يوم ملك يا معشر الناس اجتنبوا الذنوب كيلا تذلوا بالمعاذير ثم هلك وملك بعده (اردوان الاشغانى) اثنتى عشرة سنة وهلك لمضى اربعمائة وسبع

فكأن ماقد كان لم يك اذ مضى * وكأن ماهو كائن قد كان

ولما بلغ عبد الله بن خازم مسيره مصعب اقتال عبد الملك قال أمعه عمر بن عبيد الله بن معمر قيل لا استعمله على فارس قال امعه المهلب قيل لا استعمله على الخوارج قال امعه عباد بن الحصين قيل استخلفه على البصرة قال وأنا بخراسان

خذينى فجرينى جعار وأبشرى * بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

ولما قتل مصعب بعث عبد الملك رأسه الى الكوفة أوحمله معه اليها ثم بعث به الى أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر فلما رآه وقد قطع السيف انفه قال رحمك الله اما والله لقد كنت من أحسنهم خلقا واشدهم بأسا واسخاهم نفسا ثم سيره الى الشام فنصب بدمشق وأرادوا ان يطوفوا به فى نواحى الشام فأخذته عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجة عبد الملك بن مروان وهى أم يزيد بن عبد الملك فغسلته ودفنته وقالت اما رضيتم بما صنعتم حتى تطوفوا به فى المدن هذا بغى وكان عمر مصعب حين قتل ستا وثلاثين سنة قال يوما عبد الملك لجلسائه من أشد الناس قالوا امير المؤمنين قال اسلكوا غير هذا الطريق قالوا عمير بن الحباب قال قبح الله عميرا الص ثوب ينازع عليه اعز عنده من نفسه ودينه قالوا فشبيب قال ان للحرورية اطريقا قالوا فمن قالوا مصعب كان عنده عقيلتا قريش سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة ثم هو أكثر الناس مالا جعلت له الامان وولاية العراق وعلم انى سأفى له للمودة التى كانت بيننا فحمى انفا وأبى وقاتل حتى قتل فقال رجل كان مصعب يشرب النبيذ قال كان ذلك قبل ان يطلب المروأة فاما مذ طلبها فلو علم ان الماء ينقص مروأته ماذاقه قال الاقيشر الاسدى

حمى انفه ان يقبل الضيم مصعب * فمات كريما لم تذم خلائقه
ولو شاء أعطى الضيم من رام هضمه * فعاش ملوما فى الرجال طرائقه
ولكن مضى والبرق يبرق خاله * يشاوره مرا ومرا يعانقه
فولى كريما لم تنله مذمة * ولم يك رغدا تطيبه نمارقه

وقال عرفجة بن شريك

مالابن مروان اعمى الله ناظره * ولا أصاب رغيبات ولا نفلا
يرجو الفلاح ابن مروان وقد قتلت * خيل ابن مروان حرا ماجدا بطلا
يا ابن الحوارى كم من نعمة لكم * لو رام غيركم أمثالها شغلا
حملتم فحملتم كل معضلة * ان الكريم اذا حملته حملا

وقال عبد الله بن الزبير الاسدى فى ابراهيم بن الاشتر (هذا الزبير بفتح الزاى وكسر الباء)

سأبكى وان لم تبك فتيان مذحج * فتاها اذا الليل التمام تأوبا
فتى لم يكن فى مرة الحرب جاهلا * ولا بمطيع فى الوغى من تهيبا
ابان انوف الحى قحطان قتله * وانف نزار قد أبان فأوعبا
فمن يك امسى خائنا لاميره * فما خان ابراهيم فى الموت مصعبا

وحين قتل مصعب كان المهلب يحارب الازارقة بسولاف بلد بفارس على شاطئ البحر ثمانية أشهر فبلغ قتله الازارقة قبل المهلب فصاحوا باصحاب المهلب ماقولكم فى مصعب قالوا أمير هدى

وثلاثين سنة ثم ملك بعده (خسرو الاشغانى) أربعين سنة وقال يوم ملك تسطع نارى مادامت مضطرمة ثم هلك وملك بعده (بلاش الاشغانى) اربعا وعشرين سنة ثم ملك بعده (اردوان الاصغر) ثلاث عشرة سنة وظهر امر أردشير بن بابك وقتل اردوان وغيره من الاردوانيين واجتمع له ملك جميع الطوائف فيكون انقضاء ملك اردوان لمضى خمسمائة واثنتى عشرة سنة للاسكندر (الطبقة الرابعة الساسانية) وهم الاكاسرة أولهم (اردشير ابن بابك) وهو ولد ساسان بن ازدشير بهمن المقدم ذكره وساسان المذكور هو الذى تزهد لما اخرجه أبوه من الملك وجعل له دارا قبل ولادته حسبما تقدم وعدة ملوك الساسانية من اردشير الى يزدجرد المقتول فى زمن عثمان رضى الله عنه ثلاثون ملكا منهم امرأتان وقيل اثنان وثلاثون واردشير هذا هو أبو الملوك الساسانية جميعا وكان شجاعا عارفا طويل الفكر وكان ينزل اصطخر وكتب الى ملوك الطوائف يدعوهم الى الاختلاع فمنهم من اقر له بالطاعة ومنهم من تربص

وهو ولينا فى الدنيا والآخرة ونحن أولياؤه قالوا فما قولكم فى عبد الملك قالوا ذاك ابن اللعين نحن نبرأ الى الله منه وهو أحل دما منكم قالوا فان عبد الملك قتل مصعبا وستجعلون غدا عبد الملك امامكم فلما كان الغد سمع المهلب وأصحابه قتل مصعب فبايع المهلب الناس لعبد الملك ابن مروان فصاح بهم الخوارج يا أعداء الله ما تقولون فى مصعب قالوا يا أعداء الله لا نخبركم وكرهوا ان يكذبوا أنفسهم قالوا وما قولكم فى عبد الملك قالوا خليفتنا ولم يجدوا ابدا اذ بايعوه ان يقولوا ذلك قالوا يا أعداء الله أنتم بالامس تبرؤن منه فى الدنيا والآخرة وهو اليوم امامكم وقد قتل أميركم الذى كنتم تولونه فايهما المهتدى وأيهما المبطل قالوا يا أعداء الله رضينا بذلك اذ كان يتولى أمرنا ويرتضى بهذا قالوا الا والله ولكنكم اخوان الشياطين وعبيد الدنيا وأما عبد الله ابن الزبير فلما انتهى اليه قتل أخيه مصعب قام فى الناس فخطبهم فقال الحمد لله الذى له الخلق والامر يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء الا وانه لم يذلل الله من كان الحق معه وان كان فردا ولم يعزز من كان وليه الشيطان وان كان الناس معه طرا الا وانه قد أتانا من العراق خبر احزننا وأفرحنا أتانا قتل مصعب رحمه الله وأما الذى أفرحنا فعلمنا أن قتله له شهادة واما الذى أحزننا فان لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة يرعوى بعدها ذوو الرأى الجميل الى الصبر وكريم العزاء وما مصعب الا عبد من عبيد الله وعون من اعوانى الا وان أهل العراق أهل الغدر والنفاق اسلموه وباعوه بأقل الثمن فان يقتل فه والله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبى العاص والله ما قتل رجل منهم فى زحف فى الجاهلية ولا فى الاسلام ولا نموت الا قعصا بالرماح وتحت ظلال السيوف الا انما الدنيا عارية من الملك الاعلى الذى لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه فان تقبل لا آخذها اخذ البطر وان تدبر لم أبك عليها بكاء الضرع المهين أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم (حجار بن ابجر بفتح الحاء المهملة وتشديد الجيم وكنيته أبو أسيد بضم الهمزة وفتح السين وحبى بضم الحاء المهملة وبالباء الموحدة المشددة الممالة وآخره ياء مثناة من تحتها وعبد الله بن خازم بالخاء المعجمة والزاى)

(ذكر ولاية خالد بن عبد الله البصرة)

وفى هذه السنة تنازع ولاية البصرة حمران بن أبان وعبيد الله بن أبى بكرة فقال ابن أبى بكرة أنا أعظم منك كنت انفق على أصحاب خالد يوم الجفرة فقيل لحمران انك لا تقوى على ابن أبى بكرة فاستعن بعبد الله بن الاهتم فاستعان به فغلب على البصرة وعبد الله على شرطها وكان لحمران منزلة عند بنى أمية وكانت هذه المنازعة بعد قتل مصعب فلما استولى عبد الملك على العراق بعد قتله استعمل على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فوجه خالد عبيد الله بن أبى بكرة اليها خليفة له فلما قدم على حمران قال قد جئت لا جئت فكان عبيد الله عليها حتى قدم خالد ولما فرغ عبد الملك من أمر العراق عاد الى الشام

(ذكر أمر عبد الملك وزفر بن الحرث)

قد ذكرنا فى وقعة راهط مسير زفر الى قرقيسيا واجتماع قيس عليه والسبب فى استيلائه عليها وما كان منه بعد ذلك وكان على بيعة ابن الزبير وفى طاعته فلما مات مروان بن الحكم وولى ابنه عبد الملك كتب الى أبان بن عقبة بن أبى معيط وهو على حمص يأمره ان يسير الى زفر فسار اليه

وعلى

حتى قدم عليه ومنهم من عصاه فلما غلب عليهم لم يبق أحد منهم الا من اخفى نفسه وكان قد أخذ فى جملة من اخذ منهم ابنة الملك تخجل البدر عند الكمال والشمس قبل الزوال فلما رآها قال لها انت من بنات ملوكهم قالت بل من خدمهم وكان اردشير قتل اباها وأخاها فاتخذها لنفسه واصطفاها فحملت منه فلما علمت بالحمل اشهرت نفسها وقالت أنا ابنة الملك فخاف اردشير من ضررها ان لا تتذكر قتلاها فيستولى طلب الثار عليها فامر شيخا من رجاله يقال له جندبان بأن يودعها بطن الارض اشارة الى قتلها فحملها الى منزله ووقع فى صعب الامر ومشكله ثم تدبر فى المآل ونادته ربة الحجال مهلا أيها الناصح المشير ذو الراى والتدبير هبنى انا اخطأت وعن مرضاة الملك ابطأت فما ذنب الذى فى بطنى المودع من الملك ولم يجن فامهلنى الى ان اضع ثم تهلك الام ويبقى التبع وانه لا بد اذا برد قلبه وخمد كربه يطالبك بالفرع ان لم يطلب الاصل وبعد القطع لا يمكن الوصل فرأى الشيخ المشير الرأى فى إلتا خسير فعمل لها سربا

وعلى مقدمته عبد الله بن زميت الطائى فواقع عبد الله زفر قبل وصول أبان وكثر فى اصحابه القتل فقتل منهم ثلثمائة فلامه أبان على عجلته وأقبل ابان فواقع زفر فقتل ابنه وكيع بن زفر وادركت طيئ ثقل زفر ونساءه فاستوهب محمد بن حصين بن غير النساء والحقهن بزفر بقرقيسيا فقال زفر

علقن بحبل من حصين لوانه * تغيب حالت دونهن المصائر

أبوكم أبونا فى القديم واننى * لغابركم فى آخر الدهر شاكر

وكان يقال لزفر انه من كندة ثم ان عبد الملك لما اراد المسير الى مصعب سار الى قرقيسيا فحصر زفر فيها ونصب عليها المجانيق فأمر زفر آتيا ينادى فى عسكر عبد الملك لم نصبتم علينا المجانيق قال لنثلم ثلمة نقاتلكم عليها فقال زفر قولوا لهم فانا لا نقاتلكم من وراء الحيطان ولكنا نخرج اليكم وثلمت المنجنيق من المدينة برجا مما يلى حريث بن بحدل فقال زفر

لقد تركتنى منجنيق ابن بحدل * احيد عن العصفور حين يطير

وكان خالد بن يزيد بن معاوية مجدا فى قتالهم فقال رجل من أصحاب زفر من بنى كلاب لاقولن لخالد كلاما يعود عما يصنع فلما كان الغد خرج خالد للمعاربة فقال له الكلابى

ماذا ابتغاء خالد وهمه * اذ سلب الملك ونيكت أمه

فاستحيا وعاد ولم يرجع يقاتلهم وقالت كلب لعبد الملك انا اذا القينا زفر انهزمت القيسية الذين معك فلا تخلطهم معنا ففعل فكتبت القيسية على نبلها انه ليس بقاتلكم غدا مضرى ورموا النبل الى قرقيسيا فلما أصبح زفر دعا ابنه الهذيل وبه كان يكنى وقيل كان يكنى ابا الكوثر فقال اخرج اليهم فشد عليهم شدة لا ترجع حتى تضرب فسطاط عبد الملك والله لئن رجعت دون ان تطأ أطناب فسطاطه لاقتلنك فجمع الهذيل خيله وحمل عليهم فصبروا قليلا ثم انكشفوا وتبعهم الهذيل بخيله حتى وطئوا اطناب الفسطاط وقطعوا بعضها ثم رجعوا واقبل زفر رأس الهذيل وقال لا يزال عبد الملك يحبك بعدها أبدا فقال الهذيل والله لو شئت ان ادخل الفسطاط لفعلت فقال زفر

ألا لا ابالى من أتاه حمامه * اذا ما المنايا عن هذيل تجلت

تراه أمام الخيل أول فارس * ويضرب فى أعجازها ان تولت

ولما ثلم برج قرقيسيا قال لعبد الملك بعض أهله لو قاتلتهم بقضاعة لكفتهم ففعل وقاتلهم فلما كان عند المساء انكشفت قضاعة وكثر القتل فيهم واقبل روح بن زنباع الجذامى الى برج منها فسأل أهله وقال نشدتكم الله كم قتلنا منكم قالوا والله لم يقتل منا أحد ولم يجرح الا رجل واحد ولا بأس عليه ثم قالوا انشدك الله كم قتل منكم قال عدة فرسان وجرحتم ما لا يحصى فلعن الله ابن بحدل ورجع روح الى عبد الملك وقال ان ابن بحدل عنيك الباطل فاعرض عن هذا الرجل وكان رجل من كلب يقال له الذيال يخرج فيسب زفر فيكثر فقال زفر للهذيل ابنه أو لبعض أصحابه اما تكفينى هذا قال انا أجيئك به فدخل عسكر عبد الملك ليلا فجعل ينادى من يعرف بغلا من صفته كذا وكذا حتى انتهى الى خباء الرجل وقد عرفه فقال الرجل رد الله عليك ضالتك فقال يا عبد الله انى قد عييت فلو أذنت لى فاسترحت قليلا قال ادخل فدخل

تحت الارض وجعلها امة ثم عمد الى مذاكيره فجبها ووضعها فى حق وختم عليه ورجع الى الملك وقال قد أودعتها بطن الارض ودفع اليه الحق وقال ان لى فيه وديعة وتضرع اليه ان يرفعها له واقامت الجارية الى ان أخذت مدتها النهاية فوضعت ولدا ذكرا غصن بان مثمر اقمرا فسماه ذلك الشيخ سابور واقام بتربيته واصلاح رضاعه واغذيته الى ان بلغ سبع سنين وهو كبدر الافق المبين فركب كسرى ازدشير فى بعض الاوقات وخرج يصطاد فى بعض الجهات فتبدد العسكر وصار كالحج اذا انفر ووقع ازدشير فى ناحية منفردا فصادف غزالين يسوقان ولدا فهجم عليهما فلما قصدهما تركا ولدهما ففوق السهم الخفيف نحو الخشف الضعيف فلما رأت امه السهم داخلها الوله والوهم فقصدت للسهم دون ولدها واستقبلت نصل كبد القوس بكبدها فاراد اطلاق السهم من الكبد ليصيب به مرام الولد فاعترضه الفحل بصدره وتلقاه دون نحرها وجعل نفسه وقاية لام ولده وفداها بروحه وجسده فتذكر

والرجل وحده في خبائه فرمى بنفسه ونام صاحب الخباء فقام اليه فايقظه وقال والله لئن
تكلمت لاقتلنك فقلت أو سالت فما ذا ينفعك قتلي اذا قتلت أنت ولئن سكت وجئت معي الى
زفر فلك عهد الله وميثاقه ان اردك الى عسكرك بعد ان يصلك زفر ويحسن اليك فخرجا وهو
ينادي من دل على بغل من صفته كذا وكذا حتى أتى زفر والرجل معه فاعلمه انه قد أمنه فوهب
له زفر دنانير وحمله على رحالة النساء وألبسه ثيابهن وبعث معه رجالا حتى دنوا من عسكر عبد
الملك فنادوا هذه جارية قد بعث بها زفر الى عبد الملك وانصرفوا فلما نظر اليه أهل العسكر عرفوه
واخبروا عبد الملك الخبر فضحك وقال لا يبعد الله رجالا نصر والله ان قتلهم لذل وان تركهم
لحسرة وكف الرجل فلم يعد بسبب زفر وقيل انه هرب من العسكر ثم ان عبد الملك أمر أخاه محمدا
ان يعرض على زفر وابنه الهذيل الامان على انفسهما ومن معهما ومالهم وان يعطيا ما احبا
ففعل محمد ذلك فأجاب الهذيل وكلم أباه وقال له لو صالحت هذا الرجل فقد أطاعه الناس وهو خير
لك من ابن الزبير فاجاب على ان له الخيار في بيعته سنة وان ينزل حيث شاء ولا يعين عبد الملك على
قتال ابن الزبير فبينما الرسل تختلف بينهما اذ جاءه رجل من كلب فقال قد هدم من المدينة أربعة
ابراج فقال عبد الملك لا اصالحهم وزحف اليهم فهزموا أصحابه حتى ادخلوهم عسكرهم فقال
اعطوهم ما أرادوا فقال زفر لو كان قبل هذا لكان احسن واستقر الصلح على أمان الجميع ووضع
الدماء والاموال وان لا يبايع عبد الملك حتى يموت ابن الزبير للبيعة له في عنقه وان يعطى
مالا يقسمه في أصحابه وخاف زفر ان يغدر به عبد الملك كما غدر بعمرو بن سعيد فلم ينزل اليه فأرسل
اليه بقضيب النبي صلى الله عليه وسلم امانا له فنزل اليه فلما دخل عليه اجلسه معه على سريره
فقال ابن عضاة الاشعري أنا كنت احق بهذا المجلس منه فقال زفر كذبت هنالك انى عاديت
فضررت وواليت فنفعت ولما رأى عبد الملك قلة من مع زفر قال لو علمت انه في هذه القلة
لحاصرته أبدا حتى نزل على حكمي فبلغ قوله زفر فقال ان شئت رجعنا ورجعت فقال بل نفي لك
يا أبا الهذيل وقال له عبد الملك يوما بلغني انك من كندة فقال وما خير من لا يتقى حسدا ولا يدعى
رغبة وتزوج مسلمة بن عبد الملك الرباب بنت زفر فكان يؤذن لاخويها الهذيل والكوثر في
أول الناس وأمر زفر ابنه الهذيل ان يسير مع عبد الملك الى قتال مصعب وقال له أنت لا عهد
عليك فسار معه فلما قارب مصعبا هرب اليه وقاتل مع ابن الاشتر فلما قتل ابن الاشتر اختفى
الهذيل بالكوفة حتى استؤمن له من عبد الملك فأمنه كما تقدم

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة افتتح عبد الملك قيسارية في قول الواقدي وفيها نزع ابن الزبير جابر بن الاسود بن
عوف عن المدينة واستعمل عليها طلحة بن عبد الله بن عوف وهو آخر وال كان له على المدينة
حتى أتاه طارق بن عمرو مولى عثمان فهرب طلحة وأقام طارق بها حتى سار الى مكة لقتال ابن
الزبير وفي امارة مصعب مات براء بن عازب بالكوفة ويزيد بن مفرغ الحميري الشاعر بها أيضا
وعبد الله بن أبي حدرد الاسلمي شهد الحديبية وخيبر وفي ايامه مات شتير بن شكل القيسي
الكوفي وهو من اصحاب علي وابن مسعود (شتير بضم الشين المعجمة وفتح التاء فوقها نقطتان
وبعدها ياء تحتها نقطتان وشكل بفتح الشين المعجمة والكاف وآخره لام)

ازدشير ولده وامه وضاعف حزنه عليهما همه وغمه ثم فاضت دموع عينيه فرمى القوس والسهم من يده ورجع متفكرا وعلى ما فرط منه متحسرا ودعا الشيخ وذكر له ذلك النكد وما رآه من الغزالين والولد وتحرق على فقد ظبيته وتأرق لمصاب فلذة كبده ولم يكن له ولد ولا من يرث الملك بعده احد ثم دعا له الشيخ وانصرف وعبى حملا من الهدايا والتحف والبس ابن الملك الفاخر ملبوس وجهز امه كما يجهز العروس واقبل بهما اليه وعرض كل ذلك عليه وقال متعك الله بهما ومتعهما بك فسر صدر ازدشير بذلك وانشرح واغمى عليه من شدة الفرح فدعا الشيخ بالحق المودع عند الملك ففض خاتمه فاذا فيه مذاكير الشيخ وكتاب يقول فيه لما أمرني الملك بقتل المرأة التي علقت من ملك الملوك ازدشير لم ار أن ابطل زرع الملك الطيب فاودعتها بطن الارض كما امرني فبريت اليه من نفسي لئلا يجد عائب الى عيبنا سبيلا فاعجب الملك منه ذلك وافاض عليه خلع الانعام والرضا والاكرام فعند ذلك

(ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين)

(ذكر أمر الخوارج)

لما استقر عبد الملك بالكوفة بعد قتل مصعب استعمل خالد بن عبد الله على البصرة فلما قدمها خالد كان المهلب يحارب الازارقة فجعله على خراج الاهواز ومعونتها وسير أخاه عبد العزيز بن عبد الله الى قتال الخوارج وسير معه مقاتل بن مسمع فخرجا يطلبان الازارقة فاتت الخوارج من ناحية كرمان الى دارابجرد وأرسل قطرى بن الفجاءة المازنى مع صالح بن مخارق تسعمائة فارس فأقبل يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير مهلا على غير تعبية فانهزم بالناس ونزل مقاتل بن مسمع حتى قتل وانهزم عبد العزيز وأخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود فأقيمت فيمن يزيد فبلغت قيمتها مائة ألف فجاء رجل من قومها من رؤس الخوارج فقال تنحوا هكذا ما أرى هذه المشركة الا قد فتنتكم وضرب عنقها ولحق بالبصرة فرآه آل المنذر فقالوا والله ماندرى أنحمدك أم نذمك فكان يقول ما فعلته الا غيرة وحمية وانتهى عبد العزيز الى رامهرمز وأتى المهلب خبره فارسل اليه شيخا من الازد وقال له ان كان منهزما فعزه فاتاه الرجل فرآه نازلا فى نحو ثلاثين فارسا كئيبا حزينا فابلغه الرسالة وعاد الى المهلب بالخبر فارسل المهلب الى أخيه خالد بن عبد الله يخبره بهزيمته فقال للرسول كذبت فقال والله ما كذبت فان كنت كاذبا فاضرب عنقى وان كنت صادقا فاعطنى جبتك ومطرفك قال قد رضيت من الخطر العظيم بالخطر اليسير وحبسه وأحسن اليه حتى صح خبر الهزيمة قال ابن قيس الرقيات فى هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم * وتركتهم صرعى بكل سبيل
من بين ذى عطش يجود بنفسه * وملحب بين الرجال قتيل
هلا صبرت مع الشهيد مقاتلا * اذ رحت منتكث القوى باصيل
وتركت جيشك لا امير عليهم * فارجع بعار فى الحياة طويل
ونسيت عرسك اذ تقاد سبية * تبكى العيون برنة وعويل

فكتب خالد الى عبد الملك يخبره بذلك فكتب اليه عبد الملك قد عرفت ذلك وسألت رسولك عن المهلب فاخبرنى انه عامل على الاهواز فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك اعرابيا من أهل مكة على القتال وتدع المهلب يجبى الخراج وهو الميمون النقيبة المقاسى للحرب ابنها وابن ابنائها ارسل الى المهلب يستقبلهم وقد بعثت الى بشر بالكوفة ليمدك بجيش فسر معهم ولا تعمل فى عدوك برأى حتى يحضره المهلب والسلام وكتب عبد الملك الى بشر أخيه بالكوفة يأمره بانفاذ خمسة آلاف مع رجل يرضاه لقتال الخوارج فاذا قضوا غزوتهم ساروا الى الرى فقاتلوا عدوهم وكانوا امسلحة فبعث بشر خمسة آلاف وعليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فكتب له عهدا على الرى عند الفراغ من قتاله وخرج خالد بأهل البصرة حتى قدم الاهواز وقدمها عبد الرحمن ابن محمد فى أهل الكوفة وجاءت الازارقة حتى دنوا من الاهواز فقال المهلب لخالد انى أرى ههنا سفنا كثيرة فضمها اليك فانهم سيحرقونها فلم يمض الا ساعة حتى ارسلوا اليها فاحرقوها وجعل خالد المهلب على ميمنته وعلى ميسرته داود بن قحذم من بنى قيس بن ثعلبة ومر المهلب على عبد

امر الملك ازدشير بعقد التاج لولده وكان لسانهم الفهلوى وهى من اللغات التى لم يبق لها مترجم وكان ازدشير من اهل العقل والمعرفة وله اشياء رتبها واقتدى بها المتأخرون من الملوك وكان قد رتب أصحابه على ثلاث طبقات الطبقة الاولى على نحو من عشرة اذرع مجلسهم من مجلسه وهم بطانته وندماؤه ومحدثوه من اهل الشرف والعلم والطبقة الثانية على نحو من عشرة اذرع من هؤلاء وهم وجوه المرازبة والطبقة الثالثة على مقدار عشرة اذرع من الثانية وكان يقول ما من شئ اضر على نفس ملك او رئيس من معاشرة سخيف او مخالطة لئيم كما ان الريح اذا مرت بطيب حملت طيبا تحيا به النفوس وكان مدة ملك ازدشير اربع عشرة سنة وعشرة اشهر ثم ملك بعده ابنه (سابور) المقدم ذكره احدى وثلاثين سنة وكان جميل الصورة حازما وظهر فى ايامه مانى الزنديق وادعى النبوة وتبعه خلق كثير وكان جمع له كتب فلسفة لليونانيين ونقلها الى اللغة الفارسية فرجع سابور عن مذهب المجوسية الى مذهب

الرحمن بن محمد ولم يخندق عليه فقال ما يمنعك من الخندق فقال هم اهون على من ضرط الجمل
قال لا يهونوا عليك فانهم سباع العرب ولم يبرح المهلب حتى خندق عبد الرحمن عليه فأقاموا
نحوا من عشرين ليلة ثم زحف خالد اليهم بالناس فرأوا أمراهالهم من كثرة الناس فكثرت عليهم
الخيل وزحفت اليهم فانصرفوا كانهم على حامية وهم مولون لا يرون طاقة بقتال جماعة الناس
فأرسل خالد داود بن قحذم فى آثارهم وانصرف خالد الى البصرة وسار عبد الرحمن الى الرى وأقام
المهلب بالاهواز وكتب خالد الى عبد الملك بذلك فلما وصل كتابه الى عبد الملك كتب الى أخيه
بشر يأمره ان يبعث أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة مع رجل بصير بالحرب الى فارس
فى طلب الازارقة ويأمر صاحبه بموافقة داود بن قحذم ان اجتمعا فبعث بشر عتاب بن ورقاء فى
أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة فساروا حتى لقوا داود فاجتمعوا ثم اتبعوا الخوارج
حتى هلكت خيول عامتهم واصابهم الجوع والجهد ورجع عامة الجيشين مشاة الى الاهواز
وفى هذه السنة كان خروج ابى فديك الخارجى وهو من بنى قيس بن ثعلبة فغلب على البحرين
وقتل نجدة بن عامر الحنفى فاجتمع على خالد بن عبد الله نزول قطرى الاهواز وأمر ابى فديك
فبعث اخاه امية بن عبد الله فى جند كثيف الى ابى فديك فهزمه ابو فديك واخذ جارية له فاتخذها
لنفسه فكتب خالد الى عبد الملك بذلك

(ذكر قتل عبد الله بن خازم)

ولما قتل مصعب كان ابن خازم يقاتل بحير بن ورقاء الصريمى التميمى بنيسابور فكتب عبد الملك
الى ابن خازم يدعوه الى البيعة له ويطعمه خراسان سبع سنين وارسل الكتاب مع سوادة بن اشيم
النميرى وقيل مع مكمل الغنوى فقال ابن خازم لولا ان اضرب بين سليم وعامر لقتلتك ولكن كل
كتابك فاكله وقيل بل كان الكتاب مع سوادة بن عبيد الله النميرى وقيل مع مكمل الغنوى
فقال له ابن خازم انما بعثك ابو الذبان لانك من غنى وقد علم انى لا اقتل رجلا من قيس ولكن كل
كتابه وكتب عبد الملك الى بكير بن وشاح وكان خليفة ابن خازم على مرو بعهده على خراسان
ووعده ومناه فخلع بكير عبد الله بن الزبير ودعا الى عبد الملك فاجابه أهل مرو وبلغ ابن خازم
فخاف ان يأتيه بكير فيجتمع عليه اهل مرو واهل نيسابور فترك بحيرا واقبل الى مرو يريد ابنه
بترمذ فاتبعه بحير فلحقه بقرية على ثمانية فراسخ من مرو فقاتله ابن خازم فقتل ابن خازم وكان
الذى قتله وكيع بن عمرو القريعى اعتوره وكيع وبحير بن ورقاء وعمار بن عبد العزيز فطعنوه
فصرعوه وقعد وكيع على صدره فقتله فقال بعض الولاة لوكيع كيف قتلته قال غلبته بفضل
القناة فلما صرع قعدت على صدره فلم يقدر أن يقوم وقلت يالثارات دويلة وهو اخو وكيع لامه
قتل فى بعض تلك الحروب قال وكيع فتنخم فى وجهى وقال لعنك الله أتقتل كبش مضر باخيك
وهو لا يساوى كفا من نوى او قال من تراب قال فما رأيت اكثر ريقا منه على تلك الحال عند
الموت وبعث بحير ساعة قتل ابن خازم الى عبد الملك يخبره بقتله ولم يبعث بالراس وبعث بحير بكير
ابن وشاح فى اهل مرو فوافاهم حين قتل ابن خازم فاراد اخذ الراس وانفاذه الى عبد الملك فمنعه
بحير فضربه بكير بعمود وحبسه وسير الراس الى عبد الملك وكتب اليه يخبره انه هو الذى قتله فلما
قدم الراس دعا عبد الملك برسول بحير وقال ما هذا قال لا ادرى وما فارقت القوم حتى قتل ابن

مانى والقول بالنور والبراءة
من الظلمة ثم عاد بعد ذلك
الى دين المجوسية ولحق مانى
بارض الهند لاسباب
اوجبت ذلك ثم ملك بعده
ابنه (هرمز بن سابور) سنة
واحدة وستة اشهر وكان
عظيم الخلق شديد القوة
وكان يلقب هرمز البطل
اشجاعته وبنى مدينة
هرمز من كور الاهواز ثم
ملك بعده ابنه (بهرام بن
هرمز) ثلاث سنين وثلاثة
اشهر وكانت له حروب مع
ملوك الشرق واتبع سيرة
آبائه فى حسن السياسة
والرفق بالرعية ويقال انه
اتاه مانى يعرض عليه
مذهبه فصلبه على باب من
ابواب المدينة وقتل الرؤساء
من اصحابه ثم ملك بعده
ابنه (بهرام بن بهرام)
سبع عشرة سنة فاقبل فى
اول ملكه على القصف
واللهو والنزهة والصيد
لا يفكر فى ملكه ولا رعيته
واقطع الضياع لخواصه
وخدمه فخربت البلاد
وقل ما فى بيوت الاموال
وكان تدبير الملك مفوضا
الى وزرائه فلما ان كان فى
بعض الايام ركب الى بعض
نزهاته وصيده جنح
الليل وهو يسير نحو
المدائن وكانت ليلة قمراء

خازم وقيل ان ابن خازم انما قتل بعد قتل عبد الله بن الزبير وان عبد الملك أنفذ اليه رأس ابن الزبير ودعاه الى نفسه فغسل الرأس وكفنه وبعثه الى أهله بالمدينة واطعم الرسول الكتاب وقال لولا انك رسول لقتلتك وقيل بل قطع يديه ورجليه وقتله وحلف ان لا يطيع عبد الملك أبدا (بحير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة)

(ذكر عدة حوادث)

كان العامل على المدينة طارقا لعبد الملك وعلى الكوفة بشر بن مروان وعلى قضائها عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة وعلى البصرة خالد بن عبد الله وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى خراسان في قول بعضهم بكير بن وشاح وفي قول بعضهم عبد الله بن خازم وفي هذه السنة مات عبيدة السلماني وهو من أصحاب علي (عبيدة بفتح العين وكسر الباء الموحدة)

(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين)

(ذكر قتل عبد الله بن الزبير)

لما بويع عبد الملك بالشام بعث الى المدينة عروة بن أنيف في ستة آلاف من أهل الشام وأمره ان لا يدخل المدينة وان يعسكر بالعرصة وكان عامل عبد الله بن الزبير على المدينة الحرث بن حاطب بن الحرث بن معمر الجمحي فهرب الحرث وكان ابن أنيف يدخل ويصلي بالناس الجمعة ثم يعود الى معسكره فأقام شهرا ولم يبعث اليهم ابن الزبير أحدا وكتب اليه عبد الملك بالعود اليه فعاد هو ومن معه وكان يصلي بالناس بعده عبد الرحمن بن سعد القرظي ثم عاد الحرث الى المدينة وبعث ابن الزبير سليمان بن خالد الزرقي الانصاري وكان رجلا صالحا عاملا على خيبر وفدك فنزل في عمله فبعث عبد الملك عبد الواحد بن الحرث بن الحكم وقيل اسمه عبد الملك وهو أصح في أربعة آلاف فسار حتى نزل وادي القرى وسير سرية عليها أبو القمقام في خمسمائة الى سليمان فوجدوه قد هرب فطلبوه فادركوه فقتلوه ومن معه فاغتم عبد الملك بن مروان بقتله وقال قتلوا رجلا مسلما صالحا بغير ذنب وعزل ابن الزبير الحرث واستعمل مكانه جابر بن الاسود بن عوف الزهري فوجه جابر أبا بكر بن أبي قيس في ستمائة فارس وأربعين فارسا الى خيبر فوجدوا أبا القمقام ومن معه مقيمين بفدك يعسفون الناس فقاتلوهم فانهزم أصحاب أبي القمقام وأسر منهم ثلاثون رجلا فقتلوا صبرا وقيل بل قتل الخمسمائة أو أكثرهم ووجه عبد الملك طارق بن عمرو مولى عثمان وأمره ان ينزل بين أيلة ووادي القرى ويمنع عمال ابن الزبير من الانتشار ويسد خللا ان ظهر له فوجه طارق الى أبي بكر خيلا فاقتتلوا فأصيب أبو بكر في المعركة وأصيب من أصحابه أكثر من مائتي رجل وكان ابن الزبير قد كتب الى القباع ايام كان عامله على البصرة يأمره ان يرسل اليه الفي فارس ليعينوا عامله على المدينة فوجه اليه الفي رجل فلما قتل أبو بكر أمر ابن الزبير جابر بن الاسود ان يسير جيش البصرة الى قتال طارق فسار البصريون عن المدينة وبلغ طارقا الخبر فسار نحوهم فالتقوا فقتل مقدم البصريين وقتل أصحابه قتلا ذريعا وطلب طارق مدبرهم وأجهز على جريحهم ولم يستبق أسيرهم ورجع طارق الى وادي القرى وكان عامل ابن الزبير بالمدينة جابر بن الاسود وعزل ابن الزبير جابرا واستعمل طلحة بن عبيد الله بن عوف الذي يعرف بطلحة الندى سنة سبعين فلم يزل على المدينة

فدعا بالموبذان لامر خطر له فجعل يحادثه فانتهى بهم المسير الى خرابات كانت من أمهات القرى قد خربت في ملكه لا انيس بها الا البوم واذا بوم يصيح وآخر يجاوبه من بعض تلك الخرابات فقال الملك هل ترى أحدا من الناس أعطي فهم كلام هذا الطائر فقال الموبذان أنا أيها الملك ممن خصه الله بفهم ذلك فاستفهمه الملك عما يقول فقال هذا بوم ذكر يخاطب بومة أنثى وهو يقول لها متعيني نفسك حتى يخرج من بيننا أولاد يسبحون الله تعالى ويبقى لنا في العالم عقب يذكرون الله تعالى ويكثرون ذكرنا والترحم علينا فاجابته البومة ان الذي دعوتني اليه هو الحظ الاكبر والنصيب الاوفر الا اني أشترط عليك خصالا ان أنت أعطيتنيها أجبتك الى ذلك فقال لها الذكر وما تطلبينه مني قالت ان تعطيني من خرابات أمهات الضياع عشرين قرية مما قد خرب في ايام هذا الملك السعيد فقال له الملك وما الذي قال لها الذكر قال الموبذان كان من قوله لها ان دامت ايام هذا الملك

حتى أخرجه طارق فلما قتل عبد الملك مصعبا وأتى الكوفة وجه منها الحجاج بن يوسف الثقفى فى الفين وقيل فى ثلاثة آلاف من أهل الشام لقتال عبد الله بن الزبير وكان السبب فى تسييره دون غيره انه قال لعبد الملك قد رأيت فى المنام انى أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته فابعثنى اليه وولنى قتاله فبعثه وكتب معه امانا لابن الزبير ومن معه ان أطاعوا فسار فى جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين ولم يعرض للمدينة ونزل الطائف وكان يبعث الخيل الى عرفة ويبعث ابن الزبير أيضا فيقتتلون بعرفة فتنهزم خيل ابن الزبير فى كل ذلك وتعود خيل الحجاج بالظفر ثم كتب الحجاج الى عبد الملك يستأذنه فى دخول الحرم وحصر ابن الزبير ويخبره بضعفه وتفرق اصحابه ويستمده فكتب عبد الملك الى طارق يأمره باللحاق بالحجاج فقدم المدينة فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وأخرج عامل ابن الزبير عنها وجعل عليها رجلا من أهل الشام اسمه ثعلبة فكان ثعلبة يخرج المخ وهو على منبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم يأكله ويأكل عليه التمر ليغيظ أهل المدينة وكان مع ذلك شديدا على أهل الزبير وقدم طارق على الحجاج بمكة فى سلخ ذى الحجة فى خمسة آلاف وأما الحجاج فانه قدم مكة فى ذى القعدة وقد أحرم بحجة فنزل بئر ميمون وحج بالناس تلك السنة الحجاج الا انه لم يطف بالكعبة ولا سعى بين الصفا والمروة منعه ابن الزبير من ذلك فكان يلبس السلاح ولا يقرب النساء ولا الطيب الى ان قتل ابن الزبير ولم يحج ابن الزبير ولا أصحابه لانهم لم يقفوا بعرفة ولم يرموا الجمار ونحر ابن الزبير بدنه بمكة ولما حصر الحجاج ابن الزبير نصب المنجنيق على أبى قبيس ورمى به الكعبة وكان عبد الملك ينكر ذلك ايام يزيد ابن معاوية ثم أمر به فكان الناس يقولون خذل فى دينه وحج ابن عمر تلك السنة فأرسل الى الحجاج ان اتق الله واكفف هذه الحجارة عن الناس فانك فى شهر حرام وبلد حرام وقد قدمت وفود الله من اقطار الارض ليؤدوا فريضة الله ويزدادوا خيرا وان المنجنيق قد منعهم عن الطواف فاكفف عن الرمى حتى يقضوا ما يجب عليهم بمكة فبطل الرمى حتى عاد الناس من عرفات وطافوا وسعوا ولم يمنع ابن الزبير الحاج من الطواف والسعى فلما فرغوا من طواف الزيارة نادى منادى الحجاج انصرفوا الى بلادكم فانا نعود بالحجارة على ابن الزبير الملحد وأول ما رمى بالمنجنيق الى الكعبة ارعدت السماء وابرقت وعلا صوت الرعد على الحجارة فاعظم ذلك أهل الشام وأمسكوا أيديهم فاخذ الحجاج حجارة المنجنيق بيده فوضعها فيه ورمى بها معهم فلما اصبحوا جاءت الصواعق فقتلت من أصحابه اثنى عشر رجلا فانكسر أهل الشام فقال الحجاج يا أهل الشام لا تنكروا هذا فانى ابن تهامة وهذه صواعقها وهذا الفتح قد حضر فابشروا فلما كان الغد جاءت الصاعقة فاصابت من أصحاب ابن الزبير عدة فقال الحجاج الا ترون انهم يصابون وانتم على الطاعة وهم على خلافها وكانت الحجارة تقع بين يدى ابن الزبير وهو يصلى فلا ينصرف وكان أهل الشام يقولون

يا ابن الزبير طالما عصيكا * وطالما عنيتنا اليكا * لتجزين بالذى أتيكا

يعنون عصيت وأتيت وقدم عليه قوم من الاعراب فقالوا قدمنا للقتال معك فنظر فاذا مع كل امرئ منهم سيف كأنه شفرة وقد خرج من غمده فقال يا معشر الاعراب لا قربكم الله فوالله ان سلاحكم لرث وان حديثكم لغث وانكم لقتال فى الجدب أعداء فى الخصب فتفرقوا ولم يزل

القتال

السعيد أقطعتك مما يخرب ألف قرية فانتصب نعين بها قالت فى اجتماعنا ظهور النسل وكثرة الولد فنقطع كل ولد من أولادنا قرية من هذه الخرابات قال لها الذكر هذا أسهل أمر اردتيه وايسر شئ طلبتيه منى وقدمت لك الوعد وانا ملىء ثقة بذلك فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذان عمل فى نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته وخلا بالموبذان فقال ايها الملك ان الملك لا يتم الا بالشريعة ولا قوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قيام للرجال الا بالمال ولا سبيل للمال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين البرية نصبه الرب وجعل قيما وهو الملك فلما سمع الملك ذلك اقام فى موضعه ثلاثة ايام واحضر الوزراء والكتاب وارباب الدواوين فانتزعت الضياع من ايدى الصناع من الخاصة والحاشية وردت الى اربابها وحملوا على رسومهم السالفة فانتظم ملكه حتى كانت ايامه تدعى بالاعياد لما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل وكانت الفرس تهتدى إلى

القتال بينهم دائما فغلت الاسعار عند ابن الزبير وأصاب الناس مجاعة شديدة حتى ذبح فرسه
وقسم لحمها فى أصحابه وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم والمد الذرة بعشرين درهما وان بيوت
ابن الزبير لمملوءة قمحا وشعيرا وذرة وتمرا وكان أهل الشام ينتظرون فناء ما عنده وكان يحفظ ذلك
ولا ينفق منه الا ما يمسك الرمق ويقول أنفس أصحابى قوية مالم يفن فلما كان قبيل مقتله تفرق
الناس عنه وخرجوا الى الحجاج بالامان خرج من عنده نحو عشرة آلاف وكان ممن فارقه ابناه
حمزة وخبيب أخذا لانفسهما امانا فقال عبد الله لابنه الزبير خذ لنفسك أمانا كما فعل أخواك
فوالله انى لاحب بقاءكم فقال ما كنت لارغب بنفسى عنك فصبر معه فقتل ولما تفرق اصحابه
عنه خطب الحجاج الناس وقال قد ترون قلة من مع ابن الزبير وما هم عليه من الجهد والضيق
ففرحوا واستبشروا وتقدموا فملؤا ما بين الحجون الى الابواء فدخل على أمه فقال يا أماه
قد خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى ولم يبق معى الا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة
والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت أعلم بنفسك ان كنت تعلم انك على حق
واليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك يتلاعب بها غلمان بنى أمية وان
كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن قتل معك وان قلت كنت على
حق فلما وهن أصحابى ضعفت فهذا ليس فعل الاحرار ولا أهل الدين كم خلودك فى الدنيا القتل
أحسن فقال يا اماه أخاف ان قتلنى أهل الشام أن يمثلوا بى ويصلبونى قالت يا بنى ان الشاة لا تتألم
بالسلخ فامض على بصيرتك واستعن بالله فقبل رأسها وقال هذا رأيى والذى خرجت به دائبا
الى يومى هذا ما ركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعانى الى الخروج الا الغضب لله
وان تستحل حرماته ولكنى أحببت ان أعلم رأيك فقد زدتنى بصيرة فانظرى يا اماه فانى مقتول
فى يومى هذا فلا يشتد حزنك وسلمى الامر الى الله فان ابنك لم يتعمد ايثار منكر ولا عملا بفاحشة
ولم يجر فى حكم الله ولم يغدر فى أمان ولم يتعمد ظلم مسلم أو معاهد ولم يبلغنى ظلم عن عمالى فرضيت
به بل أنكرته ولم يكن شئ آثر عندى من رضا ربى اللهم لا أقول هذا تزكية لنفسى ولكنى
أقوله تعزية لامى حتى تسلو عنى فقالت أمه لارجو ان يكون عزائى فيك جميلا ان تقدمتنى
احتسبتك وان ظفرت سررت بظفرك اخرج حتى أنظر الى ما يصير أمرك فقال جزاك الله خيرا
فلا تدعى الدعاء لى قالت لا أدعه لك أبدا لمن قتل على باطل فقد قتلت على حق ثم قالت اللهم ارحم
طول ذلك القيام فى الليل الطويل وذلك النحيب والظمأ فى هواجر مكة والمدينة وبره بابيه
وبى اللهم قد سلمته لامرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبنى فيه ثواب الصابرين الشاكرين
فتناول يديها ليقبلهما فقالت هذا وداع فلا تبعد فقال لها جئت مودعا لانى أرى هذا آخر ايامى
من الدنيا قالت امض على بصيرتك وادن منى حتى اودعك فدنا منها فعانقها وقبلها فوقعت يدها
على الدرع فقالت ما هذا صنيع من يريد ما تريد فقال ما لبسته الا لاشد منك قالت فانه لا يشد
منى فنزعها ثم درج كمه وشد أسفل قميصه وجبة خز تحت أثناء السراويل وأدخل أسفلها تحت
المنطقة وأمه تقول له البس ثيابك مشمرة فخرج وهو يقول

انى اذا اعرف يومى أصبر * وانما يعرف يومه الحر * اذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فسمعته فقالت تصبر ان شاء الله أبواك أبو بكر والزبير وأمك صفية بنت عبد المطلب فحمل على

الكعبة اموالا وجواهر
وقد كان ساسان اهدى
غزالين من ذهب وجواهر
وسيوفا وذهبا كثيرا
فقذفه فى زمزم فوصل
ذلك لعبد المطلب ثم ملك
بعده (بهرام بن بهرام بن
بهرام) فكان مدة ملكه
أربع سنين واربعة اشهر
وسلك سبيل آبائه من العدل
والسياسة وهو الذى
يقول له شهنشاه ثم ملك بعده
اخوه (نرسى بن بهرام)
تسع سنين ثم ملك بعده
ابنه (هرمز بن نرسى) تسع
سنين ايضا ولما مات هرمز
لم يكن له ولد وكانت بعض
نسائه حاملا فعقد التاج
على ما فى بطنها فولدت ولدا
سموه (سابور) فلما اشتد
ظهرت منه نجابة عظيمة
من صباه فكان اول ما ظهر
منه انه سمع ضجيج الناس
بسبب الزحمة على الجسر
الذى على دجلة بالمدائن
فقال ما هذه الجلبة فقيل
بسبب زحام المارين على
الجسر فامر ان يعمل الى
جانب الجسر جسر آخر
يكون احد الجسرين
للخارجين والآخر للداخلين
فعملوه وزال الزحام وكان
سنه اذ ذاك خمس سنين
فتعجب الناس من نجابته
وفى ايام صباه طمعت

أهل الشام حملة منكرة فقتل منهم ثم انكشف هو وأصحابه وقال له بعض أصحابه لو لحقت
بموضع كذا فقال بئس الشيخ انا اذا في الاسلام لئن أوقعت قوما فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم
ودنا أهل الشام حتى امتلأت منهم الابواب وكانوا يصيحون به يا ابن ذات النطاقين فيقول
* وتلك شكاة ظاهر عنك عارها * وجعل أهل الشام على أبواب المسجد رجلا من أهل كل بلد
فكان لاهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة ولاهل دمشق باب بني شيبة ولاهل الاردن
باب الصفا ولاهل فلسطين باب بني جمح ولاهل قنسرين باب بني تميم وكان الحجاج وطارق من
ناحية الابطح الى المروة فمرة يحمل ابن الزبير في هذه الناحية ومرة في هذه الناحية فكأنه أسد
في أجمة ما يقدم عليه الرجال يعدو في أثر القوم حتى يخرجهم ثم يصيح أبا صفوان ويل أمه فتحا
لو كان له رجال أو كان قرني واحدا كفيته فيقول أبو صفوان عبد الله بن صفوان بن أمية بن
خلف اي والله والف فلما رأى الحجاج ان الناس لا يقدمون على ابن الزبير غضب وترجل وأقبل
يسوق الناس ويصمد بهم صمد صاحب علم ابن الزبير وهو بين يديه فتقدم ابن الزبير على صاحب
علمه وضاربهم فانكشفوا وعرج وصلى ركعتين عند المقام فحملوا على صاحب علمه فقتلوه عند
باب بني شيبة وصار العلم بايدي أصحاب الحجاج فلما فرغ من صلاته تقدم فقاتل بغير علم فضرب
رجلا من أهل الشام وقال خذها وانا ابن الحواري وضرب آخر وكان حبشيا فقطع يده وقال
اصبر أبا حمة اصبر ابن حام وقاتل معه عبد الله بن مطيع وهو يقول

انا الذي فررت يوم الحره * والحر لا يفر الا مره * واليوم أجزي فرة بكره

وقاتل حتى قتل وقيل انه أصابته جراح فمات منها بعد أيام وقال ابن الزبير لاصحابه وأهله يوم
قتل بعد صلاة الصبح اكشفوا وجوهكم حتى أنظر اليكم وعليهم المغافر ففعلوا فقال يا آل الزبير
لو طبتم لي نفسا عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلمنا في الله فلا يرعكم وقع السيوف فان
ألم الدواء للجراح أشد من ألم وقعها صونوا سيوفكم كما تصونوا وجوهكم غضوا أبصاركم من
البارقة وليشغل كل امرئ قرنه ولا تسألوا عني فمن كان سائلا عني فاني في الرعيل الاول احملوا
على بركة الله ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون فرمى بآجرة رماه رجل من السكون فأصابته
في وجهه فارعش لها ودمي وجهه فلما وجد الدم على وجهه قال

فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وقاتلهم قتالا شديدا فتعاودوا عليه فقتلوه يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة وله ثلاث وسبعون
سنة وتولى قتله رجل من مراد وحمل رأسه الى الحجاج فسجد ووفد السكوني والمرادي الى عبد
الملك بالخبر فاعطى كل واحد منهما خمسمائة دينار وسار الحجاج وطارق حتى وقفا عليه فقال طارق
ما ولدت النساء اذكر من هذا فقال الحجاج أتمدح مخالف أمير المؤمنين قال نعم هو أعذر لنا ولولا
هذا لما كان لنا عذر انا محاصروه وهو منذ سبعة أشهر وهو في غير جند ولا حصن ولا منعة فينتصف
منا بل يفضل علينا فبلغ كلامهما عبد الملك فصوب طارقا ولما قتل ابن الزبير كبر أهل الشام فرحا
بقتله فقال ابن عمر انظروا الى هؤلاء ولقد كبر المسلمون فرحا بولادته وهؤلاء يكبرون فرحا بقتله
وبعث الحجاج برأسه ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم الى المدينة ثم
ذهب بهما الى عبد الملك بن مروان وأخذ جثته فصلبها على الثنية اليمنى بالحجون فأرسلت اليه

اسماء

العرب في بلاده واخربوها
فلما بلغ من العمر ست عشرة
سنة انتخب من فرسان
عسكره عدة كثيرة وسار
بهم الى العرب وهم من
ولد اياد بن نزار وملكهم
يومئذ الحرث الاغر
الايادي وكانوا يصيفون
بالجزيرة ويشتون بالعراق
وقتل من وجد منهم ووصل
الى الحسا والقطيف وشرع
يقتل ولا يقبل فداء ثم سار الى
اليمامة وسفك بها الدماء
ولم يترك بها للعرب الا غوره
ولا بئرا الا طمها فعمهم
القتل فما افلت منهم الا نفر
لحقوا بارض الروم وصار
ينزع اكتاف العرب حتى
نزع فيما قيل كتف سبعين
ألف رجل فلذلك سمي
سابور ذو الاكتاف وصار
لقبا عليه وقد اتى في مسيره
على بلاد البحرين وفيها
يومئذ بنو تميم فامعن في قتلهم
وشيخها يومئذ عمرو بن تميم
ابن مر وله من العمر ثلثمائة
سنة وكان يعلق في عمود
البيت في قفة قد اتخذت له
فلما سمعوا بمسير سابور اليهم
رحلوا وارادوا حمله معهم
فابى عليهم الا ان يتركوه في
ديارهم وقال انا هالك اليوم
اوغدا ولعل الله ينجيكم من
صولة هذا الملك فخلوا عنه
وتركوه فاصبحت خيل

أسماء قاتلك الله على ماذا اصلبته قال استبقت انا وهو الى هذه الخشبة وكانت له فاستأذنته
فى تكفينه ودفنه فأبى ووكل بالخشبة من يحرسها وكتب الى عبد الملك يخبره بصلبه فكتب اليه
يلومه ويقول الا خليت بينه وبين أمه فاذن لها الحجاج فدفنته بالحجون فمر به عبد الله بن عمر فقال
السلام عليك يا أبا خبيب أما والله لقد كنت انهاك عن هذا ولقد كنت صواما قواما وصولا
للرحم أما والله ان قوما أنت شرهم لنعم القوم وكان ابن الزبير قبل قتله بقى أياما يستعمل الصبر
والمسك لئلا ينتن فلما صلب ظهرت منه رائحة المسك فقيل ان الحجاج صلب معه كلبا ميتا فغلب
على ريح المسك وقيل بل صلب معه سنورا ولما قتل عبد الله ركب أخوه عروة ناقة لم ير مثلها
فسار الى عبد الملك فقدم الشام قبل وصول رسل الحجاج بقتل عبد الله فاتى باب عبد الملك
فاستأذن عليه فاذن له فلما دخل سلم عليه بالخلافة فرد عليه عبد الملك ورحب به وعانقه وأجلسه
على السرير فقال عروة

متت بارحام اليك قريبة * ولا قرب للارحام مالم تقرب

ثم تحدثا حتى جرى ذكر عبد الله فقال عروة انه كان فقال عبد الملك وما فعل قال قتل فخر ساجدا
فقال عروة ان الحجاج صلبه فهب جثته لامه قال نعم وكتب الى الحجاج يعظم صلبه وكان الحجاج
لما فقد عروة كتب الى عبد الملك يقول له ان عروة كان مع أخيه فلما قتل عبد الله أخذ مالا
من مال الله فهرب فكتب اليه عبد الملك انه لم يهرب ولكنه أتانى مبايعا وقد أمنته وحللته
مما كان وهو قادم عليك فاياك وعروة وعاد عروة الى مكة وكانت غيبته عنها ثلاثين يوما فانزل
الحجاج جثة عبد الله عن الخشبة وبعث به الى أمه فغسلته فلما أصابه الماء تقطع فغسلته عضوا
عضوا فاستمسك وصلى عليه عروة ودفنته وقيل ان عروة لما كان غائبا عند عبد الملك كتب اليه
الحجاج وعاوده فى انفاذ عروة اليه فهم عبد الملك بانفاذه فقال عروة ليس الذليل من قتلتموه
ولكن الذليل من ملكتموه وليس بملوم من صبر فمات ولكن الملوم من فر من الموت فسمع منه
هذا الكلام فقال عبد الملك يا أبا عبد الله لن تسمع منا شيأ تكرهه وان عبد الله لم يصل عليه
أحد منعه الحجاج من الصلاة عليه وقال انما أمر أمير المؤمنين بدفنه وقيل صلى عليه غير عروة
والذى ذكره مسلم فى صحيحه ان عبد الله بن الزبير ألقى فى مقابر اليهود وعاشت أمه بعده قليلا
وماتت وكانت قد أضرت وهى أم عروة أيضا فلما فرغ الحجاج من أمر ابن الزبير دخل مكة
فبايعه أهلها لعبد الملك بن مروان وأمر بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وسار الى
المدينة وكان عبد الملك قد استعمله على مكة والمدينة فلما قدم المدينة أقام بها شهرا أو شهرين
فاساء الى أهلها واستخف بهم وقال أنتم قتلة أمير المؤمنين عثمان وختم أيدى جماعة من الصحابة
بالرصاص استخفافا بهم كما يفعل باهل الذمة منهم جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وسهل بن سعد
ثم عاد الى مكة فقال حين خرج منها الحمد لله الذى أخرجنى من أم نتن أهلها أخبث بلد وأغشه
لامير المؤمنين وأحسدهم له على نعمة الله والله لولا ما كانت تأتينى كتب أمير المؤمنين فيهم
لجعلتها مثل جوف الحمار أعوادا يعودون بها ورمة قد بليت يقولون منبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ جابر بن عبد الله قوله فقال ان وراءه
ما يسوءه قد قال فرعون ما قال ثم أخذه الله بعد ان أنظره وقيل ان ولاية الحجاج المدينة وما فعله

سابور فى الديار فلم يجدوا
احدا فلما سمع عمرو صهيل
الخيل وهمهمة الرجال اقبل
يصيح بصوت ضعيف فنظروا
الى قفة معلقة فى شجرة
فاخذوه وجاؤا به الى سابور
فلما وضع بين يديه نظر الى
دلائل الهرم ومرور الايام
عليه ظاهرة فقال له سابور
من انت ايها الشيخ الفانى
قال انا عمرو بن تميم وقد
بلغت من العمر ما ترى وقد
هرب الناس منك لاسرافك
فى القتل وانا اسالك عن
أمر ان انت أذنت لى فيه
فقال له سابور قل يسمع فقال
ما الذى حملك على قتل رعيتك
من رجال العرب فقال
اقتلهم لما ارتكبوا
فى بلادى وأهل مملكتى
فقال عمرو فعلوا ذلك ولست
عليهم بقيم فلما ملكت
رجعوا عما كانوا عليه من
الفساد هيبة لك قال سابور
واقتلهم أيضا لانا نجد فى
مخزون علمنا وباخبار أوائلنا
ان العرب ستدال علينا قال
عمرو وهذا أمر تظنه أم
تحققه قال بل اتحققه ولابد
ان يكون ذلك قال عمرو
فان كنت تعلم ذلك فلم تسىء
الى العرب والله لئن تبقى
العرب وتحسن اليهم
ليكافئون قومك عند ادالة
الدولة لهم باحسانك اليهم

باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سنة أربع وسبعين في صفر (خبيب بن عبد الله
ابن الزبير بضم الخاء المعجمة وبياءين موحدتين بينهما ياء مثناة من تحت وكان عبد الله يكنى به
وبابي بكر ايضا)

(ذكر عمر ابن الزبير وسيرته)

كان له من العمر حين قتل اثنتان وسبعون سنة وكانت خلافته تسع سنين لانه بويع له سنة
أربع وستين وكانت له جمة مفروقة طويلة قال يحيى بن وثاب كان ابن الزبير اذا سجد وقعت
العصافير على ظهره تظنه حائطا لسكونه وطول سجوده وقال غيره قسم عبد الله الدهر ثلاث
حالات فليلة قائم حتى الصباح وليلة راكع حتى الصباح وليلة ساجد حتى الصباح وقيل أول
ما علم من همة ابن الزبير انه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان وهو صبي فمر به رجل فصاح عليهم
ففروا ومشى ابن الزبير القهقرى وقال يا صبيان اجعلوني أميركم وشدوا بنا عليه ففعلوا ومر
به عمر بن الخطاب وهو يلعب ففر الصبيان ووقف هو فقال له عمر مالك لم تفر معهم فقال لم أجرم
فاخافك ولم يكن الطريق ضيقة فاوسع لك وقال قطن بن عبد الله كان ابن الزبير يواصل من
الجمعة الى الجمعة قال خالد بن أبي عمران كان ابن الزبير يفطر في الشهر ثلاثة أيام ومكث أربعين
سنة لم ينزع ثيابه عن ظهره وقال مجاهد لم يكن باب من أبواب العبادة يعجز عنه الناس
الا تكلفه ابن الزبير ولقد جاء سيل طبق البيت فجعل ابن الزبير يطوف سباحة قال هشام
ابن عروة كان أول ما أفصح به عمي عبد الله بن الزبير وهو صغير السيف فكان لا يضعه من يده
فكان الزبير يقول والله ليكونن لك منه يوم وايام قال ابن سيرين قال ابن الزبير ما شيء كان
يحدثنا به كعب الا وقد جاء على ما قال الا قوله فتى ثقيف يقتلني وهذا رأسه بين يدي يعني المختار
قال ابن سيرين ولا يشعر ابن الزبير ان الحجاج قد خبئ له وقال عبد العزيز بن أبي جميلة الانصاري
ان ابن عمر مر بابن الزبير وهو مصلوب بعد قتله فقال رحمك الله أبا خبيب انك كنت صواما
قواما ولقد أفلحت قريش ان كنت شرها وكان الحجاج قد صلبه ثم ألقاه في مقابر اليهود وأرسل
الى امه يستحضرها فلم تحضر فارسل اليها لتأتيني أو لابعثن اليك من يسحبك بقرونك فلم تأته
فقام اليها فلما حضر قال لها كيف رأيتني صنعت بعبد الله قالت رأيتك أفسدت على ابني دنياه
وأفسد عليك آخرتك أما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ان في ثقيف كذابا ومبيرا
فأما الكذاب فقد رأيناه تعني المختار وأما المبير فانت هو وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم في
صحيحه وقال ابن الزبير لعبد الله بن جعفر أتذكر يوم لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت
فاخذ بني فاطمة فقال نعم فحملنا وتركك ولو علم انه يقول له هذا ما سأله

(ذكر ولاية محمد بن مروان الجزيرة وارمينية)

وفي هذه السنة استعمل عبد الملك أخاه محمدا على الجزيرة وأرمينية فغزا منها وأثخن العدو
وكانت بحيرة الطريخ التي بارمينية مباحة لم يعرض لها أحد بل يأخذ منها من شاء فمنع من
صيدها وجعل عليها من يأخذه ويبيعه ويأخذ ثمنه ثم صارت بعده لابنه مروان ثم أخذت منه
لما انتقلت الدولة عنهم وهي الى الآن على هذه الحال من الحجر ومن سن سنة سيئة كان عليه
وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من أوزارهم شيء وهذا الطريخ

من

وان أنت طالت بك المدة
كانوك عند مصير الامر
اليهم فيبقون عليك فقال
سابور الرأي ما قلت ولقد
صدقت ونصحت فرفع السيف
وانكف عن قتلهم ويقال
ان عمر ابقي بعد ذلك ثمانين
سنة وفي سلوان المطاع ان
سابور لما أراد ان يدخل
بلاد الروم متنكرا نهاه
نصحاؤه وحذروه فلم يسمع
كلامهم فسار واستصحب
وزيرا كان له ولابيه من
قبله وكان شيخا داهيا
وسدادورأى عالما بالديانات
واللغات والمكايد فتوجها
معا نحو الشام فتزيا الوزير
بزي الرهبان وتكلم بلسان
الجلالقة وتحرف بصناعة
الطب الجراحي وكان معه
الدهن الصيني اذا دهنت
به الجراحات برئت واندملت
في الحال ولا يأخذ على تلك
المداواة اجرا فانتشر صيته
في البلاد فلما طافا بلاد الشام
وقصدا القسطنطينية
فقدماها فصادفا وليمة
لقيصر وقد اجتمع بها
الخاص والعام فدخلاها
في جملتهم وجلسا على
موائدهم وقد كان قيصر
قد امر مصورا فصور صورة
سابور على أوانيه والستائر
والابواب وكان في المجلس
رجل من حكماء الروم

من عجائب الدنيا الان سمك صغيرله كل سنة موسم يخرج من هذه البحيرة فى نهر يصب اليها كثيرا
يؤخذ بالايدى والالات المصنوعة له فاذا انقضى موسمه لايوجد منه شئ

(ذكر قتل أبي فديك الخارجى)

قد ذكرنا سنة اثنتين وسبعين قتل نجدة بن عامر الخارجى وطاعة أصحابه أبا فديك وثبات قدم أبي فديك الى الآن فامر عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر ان يندب الناس من أهل الكوفة والبصرة ويسير الى قتاله فندبهم وانتدب معه عشرة آلاف فاخرج لهم أرزاقهم ثم سار بهم وجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله وأهل البصرة على الميسرة وعليهم عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وهو ابن أخى عمر وجعل خيله فى القلب وساروا حتى انتهوا الى البحرين فالتقوا واصطفوا للقتال فحمل أبو فديك واصحابه حملة رجل واحد فكشفوا ميسرة عمر حتى أبعدوا الى المغيرة بن المهلب ومجاعة بن عبد الرحمن وفرسان الناس فانهم مالوا الى صف أهل الكوفة بالميمنة وجرح عمر بن موسى فلما رأى أهل الميسرة أهل الميمنة لم ينهزموا رجعوا وقاتلوا وماعليهم أمير لان أميرهم عمر بن موسى كان جريحا فحملوه معهم واشتد قتالهم حتى دخلوا عسكر الخوارج وحمل أهل الكوفة من الميمنة ومن معهم من أهل الميسرة حتى استباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فديك وحصروا اصحابه بالمشقر فنزلوا على الحكم فقتل منهم نحو ستة آلاف وأسر ثمانمائة ووجدوا جارية عبد الله بن أمية حبلى من أبي فديك وعادوا الى البصرة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولاها أخاه بشرا فى قول بعضهم فاجتمع له المصران الكوفة والبصرة فسار بشر الى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث وفيها اغزا محمد بن مروان الروم صائفة فهزمهم وفيها كانت وقعة عثمان بن الوليد بالروم من ناحية ارمينية فى أربعة آلاف والروم فى ستين ألفا فهزمهم وأكثر القتل فيهم وحج بالناس هذه السنة الحجاج وكان على مكة واليمن واليمامة وكان على الكوفة والبصرة فى قول بعضهم بشر بن مروان وقيل كان على الكوفة بشر وعلى البصرة خالد بن عبد الله وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحرث وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان بكير بن وشاح وفى هذه السنة مات عبد الله بن عمر بمكة ودفن بذى طوى وقيل بفخ وكان سبب موته ان الحجاج أمر بعض أصحابه فضرب ظهر قدمه بزج رمح مسموم فمات منها وعاده الحجاج فى مرضه فقال من فعل بك هذا قال أنت لانك أمرت بحمل السلاح فى بلد لايحل حمله فيه وكان موته بعد ابن الزبير بثلاثة أشهر وقيل غير ذلك وكان عمره سبعا وثمانين سنة وفيها مات سلمة بن الاكوع وأبو سعيد الخدرى ورافع بن خديج ومالك بن مسمع أبو غسان البكرى وقيل مات سنة أربع وستين وولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى سلم بن زياد بن أبيه قبل بشر بن مروان واسماء بنت أبي بكر بعد ابنها بقليل وكانت قد عميت وكانت مطلقة من الزبير قيل ان ابنها عبد الله قال له مثلى لايوطأ أمه فطلقها وفيها مات عوف بن مالك الاشجعى وكان اول مشاهده خيبر ومعاوية ابن حديج قبل ابن عمر بيسير وفيها مات معبد بن خالد الجهنى وهو ابن ثمانين سنة وله صحبة وفيها

ودهاتهم وقعت عينه على سابور فانكره وجعل يتأمل شخصه فرأى عليه مخايل الرياسة وتأمل صورة سابور فى كأس كانت بيده فتحقق انه سابور فعند ذلك نقر الحكيم جامه الذى بيده ووضعه على اذنه فقال له قيصر ماذا تسمع ايها الحكيم فقال يعلم الملك ان الجام يقول لى ان صاحب هذه الصورة التى عليه حاضر معنا فى مجلسنا هذا وبحثوا عنه فعرفوه وعرض ذلك على قيصر فقبض عليه فلما مثل بين يديه سأله عن خبره فقال أنا من اساورة سابور وهربت منه لامر خفته فلم يقبل ذلك منه وقدم الى السيف فاقر بنفسه فعملت له من جلود البقر صورة بقرة كاعظم مايكون من البقر تسع طاقات واتخذ له باب من أعلاها فى ظهر الصورة يدخل اليها ويخرج منها وجعل من أسفلها موضع المبال فامر بسابور فجعلت يداه الى عنقه بسلسلة من الذهب بحيث يتناول مايصلحه من طعام وغيره فسار قيصر فى جنوده وقد عزم على خراب بلاد الفرس وحمل معه تلك الصورة التى سجن فيها سابور بعد ان وكل عليها مائة رجل من ذوى الباس

قتل عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله مع ابن الزبير وهو ابن أخي طلحة بن عبيد الله وله صحبة
(رافع بن خديج بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة ومعاوية بن حديج بضم الحاء وفتح
الدال المهملتين وآخره جيم)

(ثم دخلت سنة أربع وسبعين)

في هذه السنة عزل عبد الملك طارقا عن المدينة واستعمل عليها الحجاج فاقام بها شهرا وفعل
بالصحابة ما تقدم ذكره وخرج عنها معتمرا وفيها هدم الحجاج بناء الكعبة الذي كان ابن الزبير
بناه وأعادها الى البناء الاول وأخرج الحجر منها وكان عبد الملك يقول كذب ابن الزبير على عائشة
في ان الحجر من البيت فلما قيل له قال غير ابن الزبير انها روت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال وددت اني تركته وما يحمل وفيها استقضى عبد الملك ابا ادريس الخولاني

(ذكر ولاية المهلب حرب الازارقة)

لما استعمل عبد الملك أخاه بشرا على البصرة سار اليها فاتاه كتاب عبد الملك يأمره ان يبعث
المهلب الى حرب الازارقة في أهل البصرة ووجوههم وكان ينتخب منهم من أراد ان يتركه
وراءه في الحرب وأمره ان يبعث من أهل الكوفة رجلا شريفا معروفا بالبأس والنجدة
والتجربة في جيش كثيف الى المهلب وأمرهم ان يتبعوا الخوارج أين كانوا حتى يهلكوهم
فارسل المهلب جديع بن سعيد بن قبيصة وامره أن ينتخب الناس من الديوان وشق على بشر
ان امرة المهلب جاءت من عبد الملك فاوغرت صدره عليه حتى كانه اذنب اليه فدعا عبد الرحمن
ابن مخنف فقال له قد عرفت منزلتك عندي وقد رأيت ان أوليك هذا الجيش الذي أسيره من
الكوفة للذي عرفته منك فكن عند أحسن ظني بك وانظر الى هذا كذا كذا يقع في المهلب
فاستبد عليه بالامر ولا تقبلن له مشورة ولا رأيا وتنقصه قال عبد الرحمن فترك أن يوصيني
بالجيش وقتال العدو والنظر لاهل الاسلام وأقبل يغريني بابن عمي كاني من السفهاء ما رأيت
شخصا مثلي طمع منه في مثل هذا قال فلما رأى اني است بنشيط الى جوابه قال لي مالك قلت
أصلحك الله وهل يسعني الا انفاذ أمرك فيما أحببت وكرهت وسار المهلب حتى نزل رامهرمز
فلقي بها الخوارج فخندق عليه وأقبل عبد الرحمن في أهل الكوفة ومعه بشر بن جرير ومحمد بن
عبد الرحمن بن سعيد بن قيس واسحق بن محمد بن الاشعث وزحر بن قيس فسار حتى نزل على ميل
من المهلب حيث يتراءى العسكران برامهرمز فلم يلبث العسكر حتى أتاهم نعي بشر بن
مروان توفي بالبصرة فتفرق ناس كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة واستخلف بشر على
البصرة خالد بن عبد الله بن خالد وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حريث وكان الذين انصرفوا
من أهل الكوفة زحر بن قيس واسحق بن محمد بن الاشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد فاتوا
الاهواز فاجتمع بها ناس كثير فبلغ ذلك خالد بن عبد الله فكتب اليهم يأمرهم بالرجوع الى
المهلب وتهددهم ان لم يفعلوا بالضرب والقتل ويحذرهم عقوبة عبد الملك فلما قرأ الرسول من
الكتاب عليهم سطرا أو سطرين قال زحر أوجز فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناس اليه وأقبل
زحر ومن معه حتى نزلوا الى جانب الكوفة وأرسلوا الى عمرو بن حريث ان النفر لما بلغهم وفاة
الامير تفرقوا فاقبلنا الى مصرنا وأحببنا أن لا ندخل الا باذن الامير فكتب اليهم ينكر عليهم

عودهم

والقوة يحفظونها ويحملونها
دولا بينهم فاذا نزل العسكر
ضربت حواليها قباب
الحرس وجعل المطران
رئيسا عليهم فقدم وزير
سابور على المطران في صورة
راهب طبيب وصاحبه
فعرف له حقه وانزله عنده
وجعل زمام أمره ونهيه
بيده وهو في كل ليلة يجتمع
المطران باخبار طريقة رافعا
صوته ليسمع سابور حديثه
ويتسلى بذلك ويدس في
احاديثه ما يحب ان يعلمه
سابور ويفطن له من الاسرار
وكان سابور يجد لذلك
أعظم راحة ولم يزل قيصر
سائرا بجنوده حتى وصل الى
أرض فارس فافتتح المدن
وشن الغارات وعقر النخل
حتى انتهى الى مدينة
جنديسابور وهي دار الملك
لسابور وقد تحصن بها وجوه
فارس فنزل عليها ونصب
المجانيق فلما كانت الليلة
القابلة تلطف وزير سابور
حتى دخل على الطباخ
فالقى في جميع الاطعمة
سما فلما أكلوا استمروا
صرعى في مضاجعهم فبادر
الوزير بفتح باب الصورة
عن سابور واستخرجه
وازال الجامعة من عنقه
وتلطف حتى أخرجه من
عسكر قيصر وقصد نحو

عودهم و يأمرهم بالرجوع الى المهلب ولم يأذن لهم فى دخول الكوفة فانتظروا الليل ثم دخلوا
الى بيوتهم فاقاموا حتى قدم الحجاج اميرا

(ذكر عزل بكير عن خراسان وولاية أمية بن عبد الله بن خالد)

فى هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وساج عن خراسان وولاها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد
وكانت ولاية بكير سنتين وكان سبب عزله ان تميما اختلفت بها فصارت مقاعس والبطون
يتعصبون لبحير و يطلبون بكيرا وصارت أوف والابناء يتعصبون لبكير وكل هذه بطون من بنى
تميم فخاف أهل خراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد و يقهرهم المشركون فكتبوا الى عبد
الملك بذلك وانها لا تصلح الا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه فاستشار عبد
الملك فيمن يوليه فقال امية يا أمير المؤمنين تداركهم برجل منك قال لولا انهزامك عن أبى فديك
كنت لها قال يا أمير المؤمنين والله ما انهزمت حتى خذلنى الناس ولم أجد مقاتلا فرأيت ان
انحيازى الى فئة أفضل من تعرض عصبة بقيت من المسلمين للهلكة وقد كتب اليك خالد بن
عبد الله بعذرى وقد علم الناس ذلك فولاه خراسان وكان عبد الملك يحبه فقال الناس ما رأينا
أحدا عوض من هزيمة ما عوض امية فلما سمع بكير بمسيره ارسل الى بحير وهو فى حبسه وقد
تقدم ذكر ذلك فى مقتل ابن خازم يطلب منه الصلح فامتنع بحير وقال ظن بكير أن خراسان
تبقى له فى الجماعة ومشت السفراء بينهم فأبى ذلك بحير فدخل عليه ضرار بن حصين الضبى فقال
أراك أحمق يرسل اليك ابن عمك يعتذر اليك وأنت أسيره والسيف بيده ولو قتلك ما حبقت فلا
تقبل منه اقبل الصلح واخرج وأنت على رأس امرك فقبل منه وصالح بكيرا فارسل اليه بكير
باربعين ألفا وأخذ عليه ان لا يقاتله وخرج بحير فأقام يسأل عن مسير أمية فلما بلغه انه قد قارب
نيسابور سار اليه ولقيه بها فأخبره عن خراسان وما يحسن به طاعة اهلها ورفع على بكير
أموالا أخذها وحذره غدره وسار معه حتى قدم مرو وكان أمية كريما ولا يعرض لبكير
ولا لعماله وعرض عليه شرطته فابى فولاها بحير بن ورقاء فلام بكيرا رجال من قومه فقال
كنت بالامس أميرا تحمل الحراب بين يدى فاصير اليوم أحمل الحربة ثم خير أمية بكيرا ان
يوليه ما شاء من خراسان فاختار طخارستان قال فتجهز لها فانفق مالا كثيرا فقال بحير لامية
ان أتى طخارستان خلعك وحذره فلم يوله (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين و بحير بفتح الباء
الموحدة وكسر الحاء)

(ذكر ولاية عبد الله بن أمية سجستان)

لما وصل أمية بن عبد الله الى كرمان استعمل ابنه عبد الله على سجستان فلما قدمها غزا رتبيل
الذى ملك بعد المقتول الاول وكان رتبيل هائبا للمسلمين فلما وصل عبد الله الى بست أرسل
رتبيل يطلب الصلح و بذل ألف ألف و بعث اليه بهدايا ورقيق فابى عبد الله قبول ذلك وقال ان
ملأ لى هذا الرواق ذهبا والا فلا صلح وكان غرا فخلى له رتبيل البلاد حتى أوغل فيها وأخذ عليه
الشعاب والمضايق فطلب أن يخلى عنه وعن المسلمين ولا يأخذ منه شيأ فابى رتبيل وقال بل يأخذ
ثلثمائة ألف درهم صلحا و يكتب لنا به كتابا ولا يغزو بلادنا ما كنت أميرا ولا يحرق ولا يخرب
ففعل و بلغ ذلك عبد الملك فعزله

المدينة وهم يتحارسون على
سورها فراطنهم بالفارسية
فعرفوهما ورفعوهما
اليهم بالحبال فلما دخل
سابور المدينة فتح خزائن
السلاح وخرج على الروم
فكبسهم وهم غافلون
مطمئنون فظفر بقيصر
فاسره واحتوى على خزائنه
ولم ينج من جنوده الا القليل
وفى ذلك يقول الحرث
هم ملكوا جميع الناس طرا
وهم رتقوا هرقلا بالسواد
وهم قتلوا أبا قابوس غصبا
وهم اخذوا البسيطة من
اياد ثم أمر سابور قيصر
ومن معه من الاسارى أن
يغرسوا بالعراق الزيتون
بدلا عما عقروه من النخل
ولم يكن يعهد بالعراق
الزيتون قبل ذلك وأمر أن
يعمر ما أخربه من البلاد
من تراب بلده حتى يطلقه
فامر قيصر رعيته بنقل
التراب من بلادهم الى
فارس فلم يزل قيصر فى اسره
حتى أتم ما غرس وعمر ما خرب
وأطلق ما كان فى أسره من
الفرس ثم أطلقه بعد ان
قال له خذ اهبتك واستعد
عدتك فانى غاز أرضك عن
قريب وقد كانت ملوك
الساسانية تسكن بطيسفون
غربى المدائن فسكن سابور

(ذكر ولاية حسان بن النعمان افريقية)

قد ذكرنا ولاية زهير بن قيس سنة اثنتين وستين وكان قتله سنة تسع وستين فلما علم عبد الملك قتله عظم عليه وعلى المسلمين وأهمه ذلك وشغله عن افريقية ما كان بينه وبين ابن الزبير فلما قتل ابن الزبير واجتمع المسلمون عليه جهز جيشا كثيرا واستعمل عليهم وعلى افريقية حسان بن النعمان الغساني وسيرهم اليها في هذه السنة فلم يدخل افريقية قط جيش مثله فلما ورد القيروان تجهز منها وسار الى قرطاجنة وكان صاحبها أعظم ملوك افريقية ولم يكن المسلمون قط حاربوها فلما وصل اليها رأى بها من الروم والبربر ما لا يحصى كثرة فقاتلهم وحصرهم وقتل منهم كثيرا فلما رأوا ذلك اجتمع رأيهم على الهرب فركبوا في مراكبهم وسار بعضهم الى صقلية وبعضهم الى الاندلس ودخلها حسان بالسيف فسبى ونهب وقتلهم قتلا ذريعا وأرسل الجيوش فيما حولها فأسرعوا اليه خوفا فأمرهم فهدموا من قرطاجنة ما قدروا عليه ثم بلغه ان الروم والبربر قد اجتمعوا له في صطفورة وبنزرت وهما مدينتان فسار اليهم وقاتلهم ولقي منهم شدة وقوة فصبر لهم المسلمون فانهزمت الروم وكثر القتل فيهم واستولوا على بلادهم ولم يترك حسان موضعا من بلادهم الا وطئه وخافه أهل افريقية خوفا شديدا ولجأ المنهزمون من الروم الى مدينة باجة فتحصنوا بها وتحصن البربر بمدينة بونة فعاد حسان الى القيروان لان الجراح قد كثرت في أصحابه فأقام بها حتى صحوا

(ذكر تخريب افريقية)

لما صلح الناس قال حسان دلوني على أعظم من بقي من ملوك افريقية فدلوه على امرأة تملك البربر تعرف بالكاهنة وكانت تخبرهم بأشياء من الغيب ولهذا سميت الكاهنة وكانت بربرية وهي بجبل أوراس وقد اجتمع حولها البربر بعد قتل كسيلة فسأل أهل افريقية عنها فعظموا محلها وقالوا له ان قتلتها لم تختلف البربر بعدها عليك فسار اليها فلما قاربها هدمت حصن باغاية ظنا منها انه يريد الحصون فلم يعرج حسان على ذلك وسار اليها فالتقوا على نهر نيني واقتتلوا أشد قتال رآه الناس فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير وانهزم حسان وأسر جماعة كثيرة أطلقتهم الكاهنة سوى خالد بن يزيد القيسي وكان شريفا شجاعا فاتخذته ولدا وسار حسان حتى فارق افريقية وأقام وكتب الى عبد الملك يعلمه الحال فأمره عبد الملك بالمقام الى أن يأتيه أمره فأقام بعمل برقة خمس سنين فسمي ذلك المكان قصور حسان الى الآن وملكت الكاهنة افريقية كلها وأساءت السيرة في أهلها وعسفتهم وظلمتهم ثم سير اليه عبد الملك الجنود والاموال وأمره بالمسير الى افريقية وقتال الكاهنة فأرسل حسان رسولا سرا الى خالد بن يزيد وهو عند الكاهنة بكتاب يستعلم منه الامور فكتب اليه خالد جوابه في رقعة يعرفه تفرق البربر ويأمره بالسرعة وجعل الرقعة في خبزة وعاد الرسول فخرجت الكاهنة ناشرة شعرها تقول ذهاب ملكهم فيما يأكل الناس فطلب الرسول فلم يوجد فوصل الى حسان وقد احترق الكتاب بالنار فعاد الى خالد وكتب اليه بما كتب أولا وأودعه قربوس السرج فسار حسان فلما علمت الكاهنة بمسيره اليها قالت ان العرب يريدون البلاد والذهب والفضة ونحن انما نريد المزارع والمراعي ولا أرى الا أن أخرب افريقية حتى ييأسوا منها وفرقت أصحابها ليخربوا البلاد فخربوها

وهدموا

في الجانب الشرقي وبني هناك الايوان المعروف بايوان كسرى الباقي آثاره الى هذه الغاية واستقر الايوان في ملكه حتى مات بعد اثنتين وسبعين سنة وهي مدة ملكه ومدة عمره ثم ملك بعده أخوه (اردشير ابن هرمز) اربع سنين بوصية له من سابور بالملك لان ابن سابور يومئذ كان صغيرا فخلع وملك بعده (سابور بن سابور) وسلك سيرة أبيه وكانت له حروب كثيرة مع اياد بن نزار وغيرها من العرب فسقط عليه فسطاط كان منصوبا عليه فمات من ذلك ثم ملك بعده أخوه (بهرام بن سابور) وهو الذي يدعى كرمان شاه لانه كان على كرمان وسلك السيرة الحسنة وملك احدى عشرة سنة فوثب عليه جماعة من الفرس فقتلوه فلما هلك ملك بعده ابنه (يزدجرد بن بهرام) المعروف بالاثيم وكان فظا غليظا لئيم الاخلاق فسلك أقبح سيرة فاجتمع الناس ودعوا الله عليه وذكروا انه تقبل الله دعاءهم وذكروا انهم رأوا فرسا اقبل بشدة عدو حتى وقف على بابه فتعجب الناس من

وهدموا الحصون ونهبوا الاموال وهذا هو الخراب الاول لافريقية فلما قرب حسان من البلاد لقيه جمع من أهلها من الروم يستغيثون من الكاهنة ويشكون اليه منها فسره ذلك وسار الى قابس فلقيه اهلها بالاموال والطاعة وكانوا قبل ذلك يتحصنون من الامراء وجعل فيها عاملا وسار الى قفصة ليتقرب الطريق فأطاعه من بها واستولى عليها وعلى قسطيلية ونفزاوة وبلغ الكاهنة قدومه فأحضرت ولدين لها وخالد بن يزيد وقالت لهم انى مقتولة فامضوا الى حسان وخذوا لانفسكم منه امانا فساروا اليه وبقوا معه وسار حسان نحوها فالتقوا واقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل حتى ظن الناس انه الفناء ثم نصر الله المسلمين وانهزم البربر وقتلوا قتلا ذريعا وانهزمت الكاهنة ثم ادركت فقتلت ثم ان البربر استأمنوا الى حسان فامنهم وشرط عليهم ان يكون منهم عسكر مع المسلمين عدتهم اثنا عشر الفا يجاهدون العدو فاجابوه الى ذلك فجعل على هذا العسكر ابنى الكاهنة ثم فشا الاسلام فى البربر وعاد حسان الى القيروان فى رمضان من تلك السنة واقام لا ينازعه احد الى ان توفى عبد الملك فلما ولى الوليد بن عبد الملك ولى افريقية عمه عبد الله بن مروان فعزل عنها حسانا واستعمل موسى بن نصير سنة تسع وثمانين على ما نذكره ان شاء الله وقد ذكر الواقدى أن الكاهنة خرجت غضبا لقتل كسيلة وملكت افريقية جميعها وعملت باهلها الافاعيل القبيحة وظلمتهم الظلم الشنيع ونال من بالقيروان من المسلمين اذى شديد بعد قتل زهير بن قيس سنة سبع وستين فاستعمل عبد الملك على افريقية حسان بن النعمان فسار فى جيوش كثيرة وقصد الكاهنة فاقتتلوا فانهزم المسلمون وقتل منهم جماعة كثيرة وعاد حسان منهزما الى نواحى برقة فاقام بها الى سنة اربع وسبعين فسير اليه عبد الملك جيشا كثيفا وأمره بقصد الكاهنة فسار اليها وقاتلها فهزمها وقتلها وقتل أولادها وعاد الى القيروان وقيل انه لما قتل الكاهنة عاد من فوره الى عبد الملك واستخلف على افريقية رجلا اسمه أبو صالح اليه ينسب فحص صالح

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة الحجاج بن يوسف وكان على قضاء المدينة عبد الله بن قيس بن مخرمة وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وقيل ان عبد الملك اعتمر هذه السنة ولا يصح وفيها غزا محمد بن مروان الروم صائفة فبلغ اندولية وفيها مات جابر بن سمرة السوائى فى امارة بشر بن مروان بالكوفة وفى امارته أيضا مات أبو جحيفة بالكوفة وفيها مات عمرو بن ميمون الاودى وقيل سنة خمس وسبعين وكان قد أدرك الجاهلية وهو من المعمرين وفيها مات عبد الله بن عتبة بن مسعود وكان من عمال عمر وقيل مات سنة ثلاث وسبعين وفيها مات عبد الرحمن بن عثمان التيمى وله صحبة وفيها مات محمد بن حاطب بن الحرث الجمحى وكان مولده بارض الحبشة وأتى به النبى صلى الله عليه وسلم وفيها مات ابو سعيد بن معلى الانصارى وفيها مات أوس بن ضمعج الكوفى (ضمعج بالضاد المعجمة والجيم)

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين)

فى هذه السنة غزا محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قبل مرعش

(ذكر ولاية الحجاج بن يوسف العراق)

حسنه فأخبروه بذلك فنظر اليه فاعجبه وأمر باسراجه والجامه فلما أسرج مسح وجهه وناصيته واستدار حوله فرفسه رفسة أصاب بها كبده فقتله ثم هرب الفرس فلم يعلم أحد أين ذهب وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ثم ملك بعده ابنه (بهرام جور بن يزدجرد) وكان أبوه يزدجرد سلمه للنعمان بن امرئ القيس أحد ملوك اليمن من العرب وهو صاحب الخورنق ليربيه ويعلمه الفروسية فلما مات أبوه تولى الملك شخص يسمى كسرى من ولد اردشير فلما بلغ ذلك بهرام جور انتصر بالنعمان ووقع بينهما مراسلات كثيرة وآخر الامر اصطلحا على ان يجعلا التاج بين اسدين شبلين فمن تناوله فهو الملك فلما حضر كلاهما الموعد دخل بهرام ووثب على أحد الاسدين فعصره بفخذيه ثم تناول الاسد الآخر من اذنه فلم يزل يضرب رأس أحدهما بالآخر حتى قتلهما فأخذ التاج ولبسه واستقر على سرير الملك وكان عادلا عاقلا ذا شغف بالقتال صؤلا على اعدائه وكان

فى هذه السنة ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق دون خراسان وسجستان فارسل اليه
عبد الملك بعهده على العراق وهو بالمدينة وأمره بالمسير الى العراق فسار فى اثنى عشر راكبا
على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجأة وقد كان بشر بعث المهلب الى الخوارج
فبدأ الحجاج بالمسجد فصعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء فقال على بالناس فحسبوه وأصحابه
خارجية فهموا به وهو جالس على المنبر ينتظر اجتماعهم فاجتمع الناس وهو ساكت قد أطال
السكوت فتناول محمد بن عمير حصباء وأراد أن يحصبه بها وقال قاتله الله ما أغباه وأذمه والله
لانى لاحسب خبره كروائه فلما تكلم الحجاج جعلت الحصباء تنتثر من يده وهو لا يعقل به قال ثم
كشف الحجاج عن وجهه وقال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

أما والله انى لاحمل الشر محمله وآخذه بفعله وأجزيه بمثله وانى لارى رؤسا قد اينعت وقد حان
قطافها انى لانظر الى الدماء بين العمائم واللحى قد شمرت عن ساقها تشميرا

هذا اوان الحرب فاشتدى زيم * قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعى ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

ثم قال

قد لفها الليل بعصلبى * اروع خراج من الدوى * مهاجر ليس باعرابى
ليس اوان بكرة الخلاط * جاءت به والقلص الاعلاط * تهوى هوى سائق الغطاط

انى والله يا أهل العراق ما أغمز بتغماز التين ولا يقعقع لى بالشنان ولقد فررت عن ذكا
وجريت الى الغاية القصوى ثم قرأ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها
رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون
وأنتم أولئك وأشباه أولئك ان أمير المؤمنين عبد الملك نثر كنانته فعجم عيدانها فوجدنى أمرها
عودا وأصلبها مكسرا فوجهنى اليكم ورمى بى فى نحوركم فانكم اهل بغى وخلاف وشقاق
ونفاق فانكم طالما أوضعتم فى الشر وسننتم سنن الغى فاستوثقوا واستقيموا فوالله لاذيقنكم
الهوان ولامرينكم به حتى تدروا ولالحونكم لحو العود ولاعصبنكم عصب السلمة حتى تذلوا
ولاضربنكم ضرب غرائب الابل حتى تذروا العصيان وتنقادوا ولاقرعنكم قرع المروة حتى
تلينوا انى والله ما اعد الا وفيت ولا أخلق الا فريت فاياى وهذه الجماعات فلا يركبن رجل الا
وحده أقسم بالله لتقبلن على الانصاف ولتدعن الارجاف وقيلا وقالا وما تقول وما يقول
وأخبرنى فلان أو لادعن لكل رجل منكم شغلا فى جسده فيم أنتم وذاك والله لتستقيمن على
الحق أو لاضربنكم بالسيف ضربا يدع النساء أيامى والولدان يتامى حتى تذروا السمهى
وتقلعوا عن هواها الا انه لو ساغ لاهل المعصية معصيتهم ما جبى فئ ولا قوتل عدو ولعطلت
الثغور ولولا انهم يغزون كرها ما غزوا طوعا وقد بلغنى رفضكم المهلب واقبالكم على مصركم
عاصين مخالفين وانى أقسم بالله لا أجد أحدا من عسكره بعد ثلاثة الا ضربت عنقه وانهبت
داره ثم أمر بكتاب عبد الملك فقرئ على أهل الكوفة فلما قال القارئ أما بعد سلام عليكم فانى
أحمد الله اليكم قال له اقطع ثم قال يا عبيد العصا يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا يرد راد منكم

السلام

يقول الشعر بالعربية ومما
حفظ من شعره يوم ظفر
بخاقان ملك الترك

اقول له لما فضضت جموعه
كأنك لم تسمع بصولات بهرام
وأنى حامى ملك فارس كلها
وما خير ملك لا يكون له حام

وله اشعار كثيرة بالعربية
والفارسية اعرضنا عن
ذكرها طلبا للايجاز وكان
على خاتمه مكتوب بالافعال
تعظم الاخطار ويقال انه
دخل ارض الهند متنكرا
فمكث حينا لا يعرف حتى
بلغه ان فيلا هائجا بموضع
قد قطع الطريق واهلك
الناس فسألهم ان يدلوه
عليه فرفع امره الى الملك
فارسل معه من يدله فلما
انتهى اليه صعد الى شجرة
لينظر ما يصنع بهرام مع
الفيل فلما رآه الفيل اقبل
اليه فجعل بهرام يرميه
بالنبل وينبت النشاب بين
عينيه ثم دنا واخذ بخرطوم
الفيل وجذبه جذبة خر منها
ميتا ثم احتز رأسه واتى به
الى الملك فحباه الملك واحسن
اليه ثم ان ملكا من اعداء
ذلك الملك اقبل نحو بلاد
الملك الذى بهرام عنده
فجزع ذلك الملك منه من
كثرة جنود الآتى نحوه
فقال بهرام له لا يهولنك

السلام اما والله لأؤدبنكم غير هذا الادب ثم قال للقارئ اقرأ فلما قرأ السلام عليكم قالوا باجمعهم سلام الله على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ثم دخل منزله لم يزد على ذلك ثم دعا العرفاء وقال الحقوا الناس بالمهلب وأتونى بالبراءة بموافاتهم ولا تغلقن ابواب الجسر ليلا ولا نهارا حتى تنقضى هذه المدة (تفسير هذه الخطبة) قوله انا ابن جلا فابن جلا هو الصبح لانه يجلو الظلمة وقوله فاشتدى زيم هو اسم للحرب والحطم الذى يحطم كل ما مر به والوضم ما وقى به اللحم عن الارض والعصلبى الشديد والاعلاط من الابل التى لا ارسان عليها وقوله فعجم عيدانها اى عضها واختبرها وقوله لاعصبنكم عصب السلمة فالعصب القطع والسلم شجر من العضاه وقوله لا اخلق الا فريت فالخلق التقدير ويقال فريت الاديم اذا اصلحته والسمهى الباطل واصله ماتسميه العامة مخاط الشيطان والعطاط بضم العين وقيل بفتحها ضرب من الطير فلما كان اليوم الثالث سمع تكبيرا فى السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال يا اهل العراق واهل الشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق انى سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذى يراد به وجه الله ولكنه التكبير الذى يراد به الترهيب وقد عرفت انها عجاجة تحتها قاصف يابنى اللكيعة وعبيد العصا وابناء الايامى ألا يربع رجل منكم على ظلعه ويحسن حقن دمه ويعرف موضع قدمه فاقسم بالله لأوشك ان اوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها وادبا لما بعدها فقام عمير بن ضابئ الحنظلى التميمى فقال أصلح الله الامير انا فى هذا البعث وانا شيخ كبير عليل وابنى هذا اشب منى فقال الحجاج هذا خير لنا من ابيه ثم قال ومن انت قال انا عمير بن ضابئ قال اسمعت كلامنا بالامس قال نعم قال ألست الذى غزا عثمان بن عفان قال بلى قال يا عدو الله افلا الى عثمان بعثت بدلا وما حملك على ذلك قال انه حبس أبى وكان شيخا كبيرا قال او لست القائل

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

انى لاحسب أن فى قتلك صلاح المصرين وأمر به فضربت رقبته وأنهب ماله وقيل ان عنبسة ابن سعيد بن العاص قال للحجاج أتعرف هذا قال لا قال هذا أحد قتلة عثمان فقال الحجاج أى عدو الله أفلا الى أمير المؤمنين بعثت بديلا ثم أمر به فضربت عنقه وأمر مناديا فنادى الا ان عمير بن ضابئ أتى بعد ثلاثة وكان سمع النداء فامرنا بقتله الا ان ذمة الله بريئة ممن لم يأت الليلة الى جند المهلب فخرج الناس فازدحموا على الجسر وخرج العرفاء الى المهلب وهو برامهرمز فاخذوا كتبه بالموافاة فقال المهلب قدم العراق اليوم رجل ذكر اليوم قوتل العدو فلما قتل الحجاج عميرا لقى ابراهيم بن عامر الاسدى عبد الله بن الزبير فسأله عن الخبر فقال

أقول لابراهيم لما لقيته * أرى الامر أضحى منصبا متشعبا

تجهز وأسرع فالحق الجيش لا أرى * سوى الجيش الا فى المهالك مذهبا

تخير فاما أن تزور ابن ضابئ * عميرا واما أن تزور المهلبا

هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من الثلج أشهبا

فحال ولو كانت خراسان دونه * رآها مكان السوق أوهى أقربا

فكائن ترى من مكره الغزو مسمرا * تحمم حنو السرج حتى تحنبا

(تحمم أى لزمه حتى صار كالحميم وتحنب اعوج والزبير ههنا بفتح الزاى وكسر الباء قيل وكان

امره فركب بهرام وقال لاساورة الهند احرسوا ظهرى وانظروا الى عملى وكانوا قوما لا يعرفون الرمى وأكثرهم رجالة فحمل عليهم حملة هزمهم ثم جعل يضرب الرجل فيقطعه نصفين ويأتى الفيل فيضرب مشفره ويكبه على أم راسه ويتناول من عليه فيقتله ويأخذ الفارس فيذبحه على قربوس سرجه ويتناول الرجلين فيضرب أحدهما بالآخر فيموتان معا ويرمى فلا تقع له نشابة فى الارض فولوا منهزمين وحمل أصحابه الذين كانوا معه يحرسون ظهره عليهم فاكثروا القتل فيهم فانكحه ملك الهند ابنته واقطعه من بلاده جانبا كبيرا ثم انصرف بهرام الى مملكته ولم يزل تحمل اليه أموال تلك البلاد وذكر فى زهرة الادب ان بهرام جور خرج يوما متصيدا فعن له حمار وحش فاتبعه حتى صرعه وقد انفرد عن أصحابه فنزل عن فرسه يريد ذبحه ومر براع فقال له امسك لى فرسى وتشاغل بذبح الحمار وحانت منه التفاتة فرأى الراعى يقلع جوهر عذار فرسه وكان العذار ياقوتا

قدوم الحجاج فى شهر رمضان فوجه الحكم بن ايوب الثقفى على البصرة أميرا وأمره أن يشتد على خالد بن عبد الله فبلغ خالدا الخبر فخرج عن البصرة فنزل الجلحاء وشيعه أهل البصرة فقسم فيهم ألف ألف فكان الحجاج أول من عاقب بالقتل على التخلف عن الوجه الذى يكتب اليه قال الشعبى كان الرجل اذا اخل بوجهه الذى يكتب اليه زمن عمر وعثمان وعلى نزعت عمامته ويقام للناس ويشهر امره فلما ولى مصعب قال ماهذا بشئ واضاف اليه حلق الرؤس واللحى فلما ولى بشر بن مروان زاد فيه فصار يرفع الرجل عن الارض ويسمر فى يديه مسماران فى حائط فربما مات وربما خرق المسمار كفه فسلم فقال شاعر

لولا مخافة بشر او عقوبته * وان يلوط فى كفى مسمار

اذا لعطلت ثغرى ثم زرتكم * ان المحب لمن يهواه زوار

فلما كان الحجاج قال هذا لعب اضرب عنق من يخل مكانه من الثغر

(ذكر ولاية سعيد بن اسلم السند وقتله)

فى هذه السنة استعمل عبد الملك على السند سعيد بن اسلم بن زرعة فخرج عليه معاوية ومحمد ابنا الحرث العلافيان فقتلاه وغلبا على البلاد فارسل الحجاج مجاعة بن سعر التميمى الى السند فغلب على ذلك الثغر وغزا وفتح اماكن من قنداييل ومات مجاعة بعد سنة بمكران فقيل فيه

ما من مشاهدك التى شاهدتها * الا يزيدك ذكرها مجاعا

(ذكر وثوب أهل البصرة بالحجاج)

فى هذه السنة خرج الحجاج من الكوفة الى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فلما قدم البصرة خطبهم بمثل خطبته بالكوفة وتوعد من رآه منهم بعد ثلاثة ولم يلحق بالمهلب فاتاه شريك بن عمرو اليشكرى وكان به فتق وكان أعور ويضع على عينه قطعة كرسفة فلقب ذا الكرسفة فقال أصلح الله الامير ان بى فتقا وقد رآه بشر بن مروان فعذرنى وهذا عطائى مردود فى بيت المال فامر به فضربت عنقه فلم يبق بالبصرة أحد من عسكر المهلب الا لحق به فقال المهلب لقد أتى العراق رجل ذكر وتتابع الناس مزدحمين اليه حتى كثر جمعه ثم سار الحجاج الى رستقاباذ وبينها وبين المهلب ثمانية عشر فرسخا وانما أراد أن يشد ظهر المهلب وأصحابه بمكانه فقام برستقاباذ خطيبا حين نزلها فقال يا أهل المصرين هذا المكان والله مكانكم شهرا بعد شهر وسنة بعد سنة حتى يهلك الله عدوكم هؤلاء الخوارج المطلين عليكم ثم انه خطب يوما فقال ان الزيادة التى زادكم اياها ابن الزبير انما هى زيادة مخسر باطل ملحد فاسق منافق ولسنا نجيزها وكان مصعب قد زاد الناس فى العطاء مائة مائة فقال عبد الله بن الجارود انها ليست بزيادة ابن الزبير انما هى زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أنفذها وأجازها على يد أخيه بشر فقال له الحجاج ما أنت والكلام لتحسنن حمل رأسك أو لاسلبنك اياه فقال ولم انى لك لناصح وان هذا القول من ورائى فنزل الحجاج ومكث أشهرا لايذكر الزيادة ثم اعاد القول فيها فرد عليه ابن الجارود مثل رده الاول فقام مصقلة بن كرب العبدى ابو رقبة بن مصقلة المحدث عنه فقال انه ليس للرعية أن ترد على راعيها وقد سمعنا ما قال الامير فسمعا وطاعة فيما احببنا وكرهنا فقال له عبد الله بن الجارود يا ابن الجرمقانية ما انت وهذا ومتى كان مثلك يتكلم وينطق فى مثل هذا وافى الوجوه

أمر فحول بهرام جور وجهه عنه وقال فى نفسه تأمل العيب عيب وعقوبة من لايستطيع الدفاع عن نفسه سفه والعفو من أفعال الملوك وسرعة العقوبة من أفعال العامة فلما رجع الى العسكر قال له الوزير أيها الملك السعيد انى أرى جوهر عذار فرسك مقلعا فتبسم وقال أخذه من لايرده ورآه من لاينم عليه فمن وجد منكم صاحبنا فلايطالبه وكان مغرما بالصيد فبنى منارة من قرون الظباء وحوافر حمر الوحش وفى أواخر حاله انه كان كلما اصطاد حمار وحش دمغ اذنه وأطلقه وآخر أمره انه هلك بان خرج للصيد وامعن فى طرد الوحش حتى توحل فى سبخة هو وفرسه وكانت مدة ملكه ثلاثا وعشرين سنة واحد عشر شهرا ثم ملك بعده ولده (يزدجرد بن بهرام) فسار سيرة أبيه وقمع الاعداء وعمر البلاد واحضر حين ملك رجلا فاضلا من حكماء عصره فقال له أيها الفاضل ما صلاح الملك فقال الرفق بالرعية وأخذ الحق منهم من غير مشقة والتودد اليهم بالعدل وانصاف المظلوم

عبد الله بن الجارود فصوبوا رأيه وقوله وقال الهذيل بن عمران البرجمي وعبد الله بن حكيم بن
زياد المجاشعي وغيرهما لمن معك واعوانك ان هذا الرجل غير كاف حتى ينقصنا هذه الزيادة
فهلم نبايعك على اخراجه من العراق ثم نكتب الى عبد الملك نسأله ان يولي علينا غيره فان ابى
خلعناه فانه هائب لنا مادامت الخوارج فبايعه الناس سرا واعطوه المواثيق على الوفاء واخذ
بعضهم على بعضهم العهود وبلغ الحجاج ماهم فيه فاحرز بيت المال واحتاط فيه فلما تم لهم
امرهم اظهروه وذلك في ربيع الآخر سنة ست وسبعين واخرج عبد الله بن الجارود عبد
القيس على راياتهم وخرج الناس معه حتى لقي الحجاج وليس معه الا خاصته واهل بيته فخرجوا
قبل الظهر وقطع ابن الجارود ومن معه الجسر وكانت خزائن الحجاج والسلاح من ورائه فارسل
الحجاج اعين صاحب حمام اعين بالكوفة الى ابن الجارود يستدعيه اليه فقال ابن الجارود
ومن الامير لا ولا كرامة لابن ابي رغال ولكن ليخرج عنا مذموما مدحورا والا قاتلناه فقال
اعين فانه يقول لك اتطيب نفسا بقتلك وقتل اهل بيتك وعشيرتك والذي نفسي بيده لئن لم
تأتني لادعن قومك عامة واهلك خاصة حديثا للغابرين وكان الحجاج قد حمل اعين هذه الرسالة
فقال ابن الجارود لولا أنك رسول لقتلتك يا ابن الخبيثة وامر فوجئ في عنقه واخرج واجتمع
الناس لابن الجارود فاقبل بهم زحفا نحو الحجاج وكان رأيهم ان يخرجوه عنهم ولا يقاتلوه فلما
صاروا اليه نهبوه في فسطاطه واخذوا ما قدروا عليه من متاعه ودوابه وجاء اهل اليمن فاخذوا
امرأته ابنة النعمان بن بشير وجاءت مضر فاخذوا امرأته الاخرى ام سلمة بنت عبد الرحمن بن
عمرو اخي سهيل بن عمرو فخافه السفهاء ثم ان القوم انصرفوا عن الحجاج وتركوه فاتاه قوم
من اهل البصرة فصاروا معه خائفين من محاربة الخليفة فجعل الغضبان بن القبعثري الشيباني
يقول لابن الجارود تعش بالجدي قبل أن يتغدى بك أما ترى من قد أتاه منكم ولئن أصبح
ليكثرن ناصره وليضعفن منكم فقال قد قرب المساء ولكنا نعاجله بالغداة وكان مع الحجاج
عثمان بن قطن وزياد بن عمرو العتكي وكان زياد على شرطة البصرة فقال لهما ماتريان فقال
زياد ان آخذ لك من القوم أمانا وتخرج حتى تلحق بأمير المؤمنين فقد ارفض أكثر الناس عنك
ولا أرى لك أن تقاتل بمن معك فقال عثمان بن قطن الحارثي لكني لا أرى ذلك ان أمير المؤمنين
قد شركك في أمره وخلطك بنفسه واستنصحك وسلطك فسرت الى ابن الزبير وهو أعظم
الناس خطرا فقتلته فولاك الله شرف ذلك وسناه وولاك أمير المؤمنين الحجاز ثم رفعك فولاك
العراقين فحيث جريت الى المدى وأصبت الغرض الاقصى تخرج على قعود الى الشام والله لئن
فعلت لا نلت من عبد الملك مثل الذي أنت فيه من سلطان ابدا وليتضعن شأنك ولكني أرى أن
نمشي بسيوفنا معك فنقاتل حتى نلقى ظفرا أو نموت كراما فقال له الحجاج الرأي ما رأيت
وحفظ هذا لعثمان وحقد على زياد بن عمرو وجاء عامل بن مسمع الى الحجاج فقال اني قد
اخذت لك أمانا من الناس فجعل الحجاج يرفع صوته ليسمع الناس ويقول والله لا أومنهم أبدا
حتى يأتوا بالهذيل وعبد الله بن حكيم وارسل الى عبيد بن كعب النميري يقول هلم الي فامنعني
فقال قل له ان اتيتني منعتك فقال لا ولا كرامة وبعث الى محمد بن عمير بن عطارد كذلك فاجابه
مثل الجواب الاول فقال لا ناقتي في هذا ولا جملي وأرسل الى عبد الله بن حكيم المجاشعي فاجابه

الملك قال وزراؤه واعوانه
ان صلحوا اصلح وان فسدوا
فسد فسار سيرة حسنة
وكانت مدة ملكه ثمانية
عشرة سنة وأربعة أشهر
فهلك وخلف ولدين
أحدهما هرمز والآخر
فيروز فتنازعا في الملك بعده
فملك (هرمز) وهو أصغر
الولدين لكونه كان حاضرا
عند أبيه حين الوفاة وكان
أخوه الكبير فيروز غائبا في
بلاد سجستان فلما بلغ فيروز
موت أبيه وتولية أخيه
هرمز هرب الى خنشوار
ملك الهياطلة وهم اهل
البلاد التي بين خراسان وبين
الترك وهي بلاد طخارستان
واستعان بملكهم على رد
ملك ابيه اليه واستخلاصه من
أخيه هرمز فاقتتلا في الري
وظفر فيروز باخيه فسجنه
وكانت أمهما واحدة فملك
(فيروز) وقتل اخاه ثم انه غزا
خنشوار ملك الهياطلة حتى
أخذه أسيرا ثم عاهده أن
يطلقه ولا يغزوه ابدا فاطلقه
فاخذته الحمية فغزاه ثانية
فظفر به فقتله وظهر في
ايامه غلاء شديد وغارت
الاعين والمياه حتى سيحون
وجيحون والفرات ويبس
النبات وهلك الوحش ودام

كذلك أيضا ومرّ عباد بن الحصين الحبطي بابن الجارود وابن الهذيل وعبد الله بن حكيم وهم
يتناجون فقال أشركوني في نجواكم فقالوا هيهات ان يدخل في نجوانا أحد من بني الحبط فغضب
وصار الى الحجاج في مائة رجل فقال له الحجاج ما ابالي من تخلف بعدك وسعى قتيبة بن مسلم في
قومه في بني أعصر وقال لا والله لا ندع قيسا يقتل ولا ينهب ماله يعني الحجاج واقبل الى الحجاج
وكان الحجاج قد يئس من الحياة فلما جاءه هؤلاء اطمأن ثم جاءه سبرة بن علي الكلابي وسعيد بن
أسلم بن زرعة الكلابي فسلم فادناه منه وأتاه جعفر بن عبد الرحمن بن مخنف الازدي وارسل اليه
مسمع بن مالك بن مسمع ان شئت أتيتك وان شئت أقمت وثبطت الناس عنك فقال أقم وثبط
الناس عني فلما اجتمع الى الحجاج جمع يمنع بمثلهم خرج فعبى أصحابه وتلاحق الناس به فلما أصبح
اذ حوله نحو ستة آلاف وقيل غير ذلك فقال ابن الجارود لعبيد الله بن زياد بن ظبيان ما الرأى
قال تركت الرأى امس حين قال لك الغضبان تعش بالجدي قبل أن يتغدى بك وقد ذهب الرأى
وبقي الصبر فدعا ابن الجارود بدرع فلبسها مقلوبة فتطير وحرض الحجاج أصحابه وقال
لا يهولنكم ما ترون من كثرتهم وتزاحف القوم وعلى ميمنة ابن الجارود الهذيل بن عمران وعلى
ميسرته عبد الله بن زياد بن ظبيان وعلى ميمنة الحجاج قتيبة بن مسلم ويقال عباد بن الحصين
وعلى ميسرته سعيد بن أسلم فحمل ابن الجارود في أصحابه حتى جاز أصحاب الحجاج فعطف
الحجاج عليه ثم اقتتلوا ساعة وكاد ابن الجارود يظفر فأتاه سهم غرب فاصابه فوقع ميتا ونادى
منادي الحجاج بامان الناس الا الهذيل وعبد الله بن حكيم وأمر ان لا يتبع المنهزمون وقال
الاتباع من سوء الغلبة فانهزم عبيد الله بن زياد بن ظبيان وأتى سعيد بن عباد بن الجلندى
الازدي بعمان فقيل لسعيد انه رجل فاتك فاحذره فلما جاءه البطيخ بعث اليه بنصف بطيخة
مسمومة وقال هذا اول شئ جاءنا من البطيخ وقد اكلت نصف بطيخة وبعثت بنصفها اليك فاكلها
عبيد الله فاحس بالشر فقال أردت أن اقتله فقتلني وحمل رأس ابن الجارود وثمانية عشر رأسا
من وجوه اصحابه الى المهلب فنصبت ليراها الخوارج وييأسوا الاختلاف وحبس الحجاج
عبيد بن كعب ومحمد بن عمير حيث قالوا للحجاج تأتينا امنك وحبس الغضبان بن القبعثرى
وقال له انت القائل تعش بالجدي قبل ان يتغدى بك فقال ما نفعت من قيلت له ولا ضرت
من قيلت فيه فكتب عبد الملك الى الحجاج باطلاقه وقتل مع ابن الجارود عبد الله بن انس
ابن مالك الانصاري فقال الحجاج ولا ارى انسا يعين علي فلما دخل البصرة اخذ ماله فحين دخل
عليه انس قال لا مرحبا ولا اهلا بك يا ابن خبيثة شيخ ضلالة جوال في الفتن مرة مع ابي تراب
ومرة مع ابن الزبير ومرة مع ابن الجارود أما والله لاجردنك جرد القضيب ولاعصبنك عصب
السلمة ولاقلعنك قلع الصمغة فقال انس من يعني الامير قال اياك اعني اصم الله صداك فرجع
انس فكتب الى عبد الملك كتابا يشكو فيه الحجاج وما صنع به فكتب عبد الملك الى الحجاج اما بعد
يا ابن ام الحجاج فانك عبد طمت بك الامور فعلوت فيها حتى عدوت طورك وجاوزت قدرك
يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب لاغمزنك غمزة كبعض غمزات الليوث الثعالب ولاخبطنك خبطة
تود لها انك رجعت في مخرجك من بطن امك اما تذكر حال آبائك في الطائف حيث كانوا ينقلون
الحجارة على ظهورهم ويحتفرون الآبار بايديهم في اوديتهم ومياههم أما نسيت حال آبائك

ذلك مدة سبع سنين وبعد
ذلك ارسل الله المطر وعادت
الاكوان الى احسن ما كان
وكان ملكه سبعا وعشرين
سنة وتنازع في الملك ابناه
قباذ وبلاش فغلب بلاش
على أخيه ثم ملك (بلاش)
وكان حسن السيرة الى ان
هلك بعد أربع سنين وكان
قباذ قد سار الى خاقان
ملك الترك يستمده على أخيه
فمطله في ذلك أربع سنين ثم
وجه معه جيشا فلما قدم
المدائن وجد اخاه قد هلك
فملك عليهم (قباذ) المذكور
وكان ضعيفا مهينا في ملكه
وفي أيامه ظهر مزدق
الزنديق وتفسير مزدق
جديد الملك واليه تضاف
المزدقية ادعى النبوة وأمر
الناس بالتساوي في الاموال
وأن يشتركوا في النساء
لانهم اخوة لاب وام آدم
وحواء ودخل قباذ في دينه
فشق ذلك على الناس وعظم
عليهم وأجمعوا على خلع
قباذ وانضم الى مزدق
جماعة وقالوا نحن نقسم
الناس ونرد

في

فى اللؤم والدناءة فى المروأة والخلق وقد بلغ أمير المؤمنين الذى كان منك الى انس بن مالك جرأة واقداما وأظنك اردت أن تسبر ما عند امير المؤمنين فى امره فتعلم انكاره ذلك واغضاءه عنك فان سوغك ما كان منك مضيت عليه قدما فعليك لعنة الله من عبد اخفش العينين اصك الرجلين ممسوح الجاعرتين ولولا ان امير المؤمنين يظن ان الكاتب كثر فى الكتاب عن الشيخ الى أمير المؤمنين فيك لارسل من يسحبك ظهرا لبطن حتى يأتى بك انسا فيحكم فيك فأكرم أنسا واهل بيته واعرف له حقه وخدمته رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تقصرن فى شئ من حوائجه ولا يبلغن امير المؤمنين عنك خلاف ما تقدم فيه اليك من أمر انس وبره واكرامه فيبعث اليك من يضرب ظهرك ويهتك سترك ويشمت بك عدوك والقه فى منزله متنصلا اليه وليكتب الى أمير المؤمنين برضاه عنك ان شاء الله والسلام وبعث بالكتاب مع اسمعيل بن عبد الله مولى بنى مخزوم فأتى اسمعيل أنسا بكتاب أمير المؤمنين اليه فقرأه وأتى الحجاج بالكتاب اليه فجعل يقرؤه ووجهه يتغير ويتمعر وجبينه يرشح عرقا ويقول يغفر الله لامير المؤمنين ثم اجتمع بانس فرحب به الحجاج واعتذر اليه وقال أردت أن يعلم اهل العراق اذ كان من ابنك ما كان اذ بلغت منك ما بلغت انى اليهم بالعقوبة أسرع فقال أنس ما شكوت حتى بلغ منى الجهد وحتى زعمت انا الاشرار وقد سمانا الله الانصار وزعمت انا أهل النفاق ونحن الذين تبوؤا الدار والايمان وسيحكم الله بيننا وبينك فهو أقدر على التغيير لا يشبه الحق عنده الباطل ولا الصدق الكذب وزعمت أنك اتخذتنى ذريعة وسلما الى مساءة أهل العراق باستحلال ما حرم الله عليك منى ولم يكن لى عليك قوة فوكلتك الى الله ثم الى أمير المؤمنين فحفظ من حقى ما لم تحفظ فوالله لو أن النصارى على كفرهم رأوا رجلا خدم عيسى بن مريم يوما واحدا لعرفوا من حقه ما لم تعرف أنت من حقى وقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وبعد فان رأينا خيرا حمدنا الله عليه وأثنينا وان رأينا غير ذلك صبرنا والله المستعان ورد عليه الحجاج ما كان أخذ منه

(ذكر شبير زنجى والزنج معه)

اجتمع الزنج بفرات البصرة فى آخر أيام مصعب بن الزبير ولم يكونوا بالكثير فافسدوا وتناولوا الثمار وولى خالد بن عبد الله بن خالد البصرة وقد كثروا فشكا الناس اليه ما نالهم منهم فجمع لهم جيشا فلما بلغهم ذلك تفرقوا وأخذ بعضهم فقتلهم وصلبهم فلما كان من أمر ابن الجارود ما ذكرنا خرج الزنج ايضا فاجتمع منهم خلق كثير بالفرات وجعلوا عليهم رجلا اسمه رباح ويلقب شبير زنجى يعنى أسد الزنج فافسدوا فلما فرغ الحجاج من ابن الجارود أمر زياد بن عمرو وهو على شرطة البصرة أن يرسل اليهم جيشا يقاتلهم ففعل وسير اليهم جيشا عليه ابنه حفص بن زياد فقاتلهم فقتلوه وهزموا أصحابه ثم ارسل اليهم جيشا آخر فهزم الزنج وقتلهم واستقامت البصرة

(ذكر اجلاء الخوارج عن رامهرمز وقتل ابن مخنف)

لما أتى كتاب الحجاج الى المهلب وابن مخنف يأمرهما بمناهضة الخوارج زحفوا اليهم وقاتلوهم شيأ من قتال فانهزمت الخوارج كأنهم على حامية ولم يكن منهم قتال وسار الخوارج حتى نزلوا كازرون وسار المهلب وابن مخنف حتى نزلوا بهم وخندق المهلب على نفسه وقال لابن مخنف ان رأيت أن تخندق عليك فافعل فقال أصحابه نحن خندقنا سيوفنا فاتى الخوارج

على الفقراء حقوقهم من الاغنياء فكانوا يدخلون على الرجل فيقاسمونه على أمواله ونسائه فوثب رجل من الاشراف يعرف بابن ساجور فى جماعة من أصحابه على مزدق فقتله ولم يبق ناحية الا خرج منها خارج فخلعوا قباد وولوا مكانه أخاه (جاماسب بن فيروز) ولحق قباد بالهياطلة فأنجدوه وانتصر على اخيه جاماسب وحبسه واستمر (قباد) فى الملك حتى قتل فى بلاد العرب بمدينة الرى وكان ملكه الى أن هلك ثلاثا وأربعين سنة ثم ملك بعده ابنه (أنوشروان العادل) ولما تولى الملك كان صغيرا فلما استقل بالملك وجلس على السرير قال لخواصه انى عاهدت الله تعالى ان صار الملك الى أن أعيد آل المنذر الى الحيرة ثانيا وأن اقتل طائفة المزدقية الذين أفسدوا فى اموال الناس ونسائهم وكان مزدق قائما الى جانب السرير فقال هل تقتل الناس جميعا هذا فساد فى الارض والله قد ولاك لتصلح لا لتفسد فقال له أنوشروان يا ابن الخبيثة أتذكر وقد سألت ابى قباد بان يأذن لك فى المبيت عند امى فامر لك فمضيت نحو

المهلب ليبيتوه فوجدوه قد تحرز فمالوا نحو ابن مخنف فوجدوه لم يخندق فقاتلوه فانهزم عنه أصحابه فنزل فقاتل فى أناس من اصحابه فقتل وقتلوا فقال شاعرهم

لمن العسكر المكلل بالصر * عى فهم بين ميت وقتيل
فتراهم تسفى الرياح عليهم * حاصب الرمل بعد جر الذيول

هذا قول اهل البصرة فاما أهل الكوفة فانهم ذكروا انه لما وصل كتاب الحجاج بمناهضة الخوارج ناهضهم المهلب وعبد الرحمن فاقتتلوا قتالا شديدا ومالت الخوارج الى المهلب فاضطروه الى عسكره فارسل الى عبد الرحمن يستمده فامده عبد الرحمن بالخيل والرجال وكان ذلك بعد الظهر لعشر بقين من رمضان فلما كان بعد العصر ورأت الخوارج ما يجيء من عسكر عبد الرحمن من الرجال ظنوا أنه قد خف اصحابه فجعلوا بازاء المهلب من يشغله وانصرفوا بجندهم الى عبد الرحمن فلما رآهم قد قصدوه نزل ونزل معه القراء منهم أبو الاحوص صاحب ابن مسعود وخزيمة بن نصر أبو نصر بن خزيمة العبسى الذى قتل مع زيد بن على وصلب معه بالكوفة ونزل معه من قومه أحد وسبعون رجلا وحملت عليهم الخوارج فقاتلهم قتالا شديدا وانكشف الناس عنه وبقى فى عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه الى المهلب فنادى فى الناس ليتبعوه الى أبيه فلم يتبعه الا ناس قليل فجاء حتى دنا من أبيه فحالت الخوارج بينهما فقاتل حتى جرح وقاتل عبد الرحمن ومن معه على تل مشرف حتى ذهب نحو من ثلثى الليل ثم قتل فى تلك العصابة فلما اصبحوا جاء المهلب فدفنه فصلى عليه وكتب بذلك الى الحجاج فكتب الحجاج الى عبد الملك بذلك فترحم عليه وذم أهل الكوفة وبعث الحجاج الى عسكر عبد الرحمن عتاب بن ورقاء وأمره ان يسمع للمهلب فساءه ذلك ولم يجد بدا من طاعته فجاء الى العسكر وقاتل الخوارج وأمره الى المهلب وهو يقضى أموره ولا يكاد يستشير المهلب فوضع عليه المهلب رجالا اصطنعهم وأغراهم به منهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة وجرى بين عتاب والمهلب ذات يوم كلام أغلظ كل منهما لصاحبه ورفع المهلب القضيب على عتاب فوثب اليه ابنه المغيرة بن المهلب فقبض القضيب وقال أصلح الله الامير شيخ من أشياخ العرب وشريف من أشرافهم ان سمعت بعض ما تكره فاحتمله له فانه لذلك أهل ففعل فافترقا فارسل عتاب الى الحجاج يشكو المهلب ويسأله أن يأمره بالعود اليه فوافق ذلك حاجة من الحجاج اليه فيما لقى أشراف الكوفة من شبيب فاستقدمه وامره أن يترك ذلك الجيش مع المهلب فجعل المهلب عليهم ابنه حبيبا وقال سراقة بن مرداس البارقى يرثى عبد الرحمن ابن مخنف

ثوى سيد الازد ابن أزد شنوءة * وازد عمان رهن رمس بكازر
وضارب حتى مات اكرم ميتة * بابيض صاف كالعقيقة باتر
وصرع عن تل وتحت لوائه * كرام المساعى من كرام المعاشر
قضى نحبه يوم اللقاء ابن مخنف * وادبر عنه كل ألوث غادر
أمد ولم يمدد فراح مشمرا * الى الله لم يذهب باثواب غادر

واقام المهلب بسابور يقاتلهم نحوا من سنة

(ذكر

نحرتها فلحقت بك وقبلت رجلك وما زال نفق جواربك فى انفى منذ ذلك اليوم الى الآن وسألتك حتى وهبتها لى ورجعت فقال نعم فامر بقتله فقتل بين يديه وأخرج واحرقت جثته وامر بقتل توابعه فقتل منهم خلقا كثيرا واثبت ملة المجوسية القديمة وكتب بذلك الى اصحاب الولايات وقوى جنده بالاسلحة والكراع وعمر البلاد وقسم أموال الزنادقة على الفقراء ورد الاموال التى لها اصحاب الى اصحابها واجرى الارزاق للضعفات اللاتى مات عنهن أزواجهن وامر أن يزوجن من مال كسرى وكذلك فعل بالبنات اللاتى لم يوجد لهن أب واما البنون الذين لم يوجد لهم أب فاضافهم الى مماليكه ورد المنذر الى الحيرة وطرد الحرث عنها وكان الحرث مزدقيا ثم سار الى الهياطلة مطالبا بدم فيروز فقتل ملكهم وخلقا كثيرا من اصحابه وتجاوز بلخ وما وراءها وأرسل جيشا الى اليمن فطردوا الحبشة عنها وغزا برجان واذعن له قيصر بالطاعة وهو الذى بنى سور باب الابواب وجعل مبدأ السور من جوف البحر مقدار ميل وبناه بلبن الحديد

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة تحرك صالح بن مسرح أحد بنى امرئ القيس بن زيد مناة من تميم وكان يرى رأى الصفرية وهو أول من خرج فيهم وحج هذه السنة ومعه شبيب بن يزيد وسويد والبطين وأشباههم وحج فى هذه السنة عبد الملك بن مروان فهم شبيب أن يفتك به فبلغه ذلك من خبرهم فكتب الى الحجاج بن يوسف بعد انصرافه يأمره بطلبهم وكان شخاصا لحا يأتى الكوفة فيقيم بها الشهر ونحوه فيلقى أصحابه ويعد ما يحتاج اليه فلما طلبه الحجاج نبت به الكوفة فتركها وفيها أغزا محمد بن مروان الصائفة عند خروج الروم الى الغنيق من ناحية مرعش وحج بالناس عبد الملك فخطب الناس بالمدينة فقال بعد حمد الله والثناء عليه أما بعد فانى لست بالخليفة المستضعف يعنى عثمان ولا بالخليفة المداهن يعنى معاوية ولا بالخليفة المأفون يعنى يزيد الا وانى لا أداوى هذه الامة الا بالسيف حتى تستقيم لى قناتكم وانكم تحفظون أعمال المهاجرين الاولين ولا تعملون مثل أعمالهم وانكم تأمروننا بتقوى الله وتنسون ذلك من أنفسكم والله لا يأمرنى أحد بتقوى الله بعد مقامى هذا الا ضربت عنقه ثم نزل وفى هذه السنة مات العرباض بن سارية السلمى وهو من أهل الصفة وقيل بل مات بالشام فى فتنة ابن الزبير وفيها توفى الاسود بن يزيد النخعى وهو ابن أخى علقمة بن قيس

(ثم دخلت سنة ست وسبعين)

(ذكر خروج صالح بن مسرح)

كان صالح بن مسرح التميمى رجلا ناسكا مصفر الوجه صاحب عبادة وكان بدارا وأرض الموصل والجزيرة وله أصحاب يقرأ لهم القرآن والفقه ويقص عليهم فدعاهم الى الخروج وانكار الظلم وجهاد المخالفين لهم فأجابوه وحثهم عليهم فراسل أصحابه بذلك وتلاقوا به فبيناهم فى ذلك اذ قدم عليه كتاب شبيب يقول له انك كنت تريد الخروج فان كان ذلك من شأنك اليوم فأنت شيخ المسلمين وان نعدل بك أحدا وان أردت تأخير ذلك أعلمنى فان الآجال غادية ورائحة ولا آمن أن تخترمنى المنية ولم أجاهد الظالمين فكتب اليه صالح انه لم يمنعنى من الخروج الا انتظارك فأقبل الينا فانك ممن لا يستغنى عن رأيه ولا تقضى دونه الامور فلما قرأ شبيب كتابه دعا نفرا من أصحابه منهم اخوه مصاد بن يزيد بن نعيم الشيبانى والمحلل بن وائل اليشكرى وغيرهما وخرج بهم حتى قدم على صالح بدارا فلما لقيه قال اخرج بنا رحمك الله فوالله ما تزداد الا دروسا ولا يزداد المجرمون الا طغيانا فبث صالح رسله وواعد أصحابه بالخروج الى ذلك هلال صفر سنة ست وسبعين فاجتمعوا عنده تلك الليلة فسأله بعضهم عن القتال قبل الدعاء أم بعده فقال بل ندعوهم فانه أقطع لحجتهم فقال له كيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به ما تقول فى دمائهم وأموالهم فقال لهم ان قتلنا وغنمنا فلنا وان عفونا فوسع علينا ثم وعظ أصحابه وأمرهم بأمره وقال لهم ان أكثركم رجالة وهذه دواب لمحمد بن مروان فابدؤا بها فاحملوا عليها رجالكم وتقووا بها على عدوكم فخرجوا تلك الليلة فأخذوا الدواب فاحملوا عليها وأقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة وتحصن منهم أهلها وأهل نصيبين وسنجار وكان خروجه وهو فى مائة وعشرين وقيل وعشرة وبلغ محمدا مخرجهم وهو أمير الجزيرة

والرصاص وفى البر على جبل الفتح نحو أربعين فرسخا حتى وصل الى بلاد طبرستان وجعل على ثلاثة أميال من هذا السور بابا من الحديد وأسكن من داخله أمة من الناس وذلك لدفع الامم المتصلة بذلك الجبل ولما بنى أنوشروان هذا السور هابته الملوك وهادته وكان فيمن ورد عليه رسول ملك الروم قيصر بهدايا وتحف فنظر الى ايوانه وحسن بنائه ورأى اعوجاجا فى ميزانه فسئل عن سبب ذلك قيل ان عجوزا لها منزل فى جانب الاعوجاج وان الملك رغبها فى الثمن فابت ولم يكرهها وبقى الاعوجاج من ذلك على ما ترى فقال الرومى هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء ولاربع وعشرين سنة خلت من ملكه ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك ولد النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة الثانية والاربعين من ملكه وكفى بعدله شهادة النبى صلى الله عليه وسلم فى حقه حيث قال ولدت فى زمن الملك العادل كسرى أنوشروان وكان ملكا عادلا عاقلا مهيبا محببا للرعية وله أفعال حسنة وآثار جميلة وكان يسمى كسرى الخير وكان وزيره

فأرسل عدى بن عدى الكندى اليهم فى الف فارس فسار من حران فنزل دوغان وكانوا أول جيش سار الى صالح وسار عدى وكأنه يساق الى الموت وأرسل الى صالح يسأله أن يخرج من هذه البلاد و يعلمه انه يكره قتاله وكان عدى ناسكا فاعاد صالح ان كنت ترى رأينا خرجنا عنك والا فنرى رأينا فارسل اليه عدى انى لا أرى رأيك ولكنى اكره قتالك وقتال غيرك فقال صالح لاصحابه اركبوا فركبوا وحبس الرسول عنده ومضى باصحابه فاتى عديا وهو يصلى الضحى فلم يشعر والا والخيل طالعة عليهم فلما رأوها تنادوا وجعل صالح شبيبا فى ميمنته وسويد بن سليم فى ميسرته و وقف فى القلب فاتاهم وهم على غير تعبية و بعضهم يجول فى بعض فحمل عليهم شبيب وسويد فانهزموا وأتى عدى بن عدى بدابته فركبها وانهزم وجاء صالح ونزل فى معسكره وأخذوا مافيه ودخل اصحاب عدى على محمد بن مروان فغضب على عدى ثم دعا خالد بن جزء السلمى فبعثه فى ألف وخمسمائة ودعا الحرث بن جعونة العامرى فبعثه فى ألف وخمسمائة وقال اخرجا الى هذه المارقة وأغذا السير فايكما سبق فهو الامير على صاحبه فخرجا متساندين يسئلان عن صالح فقيل لهما انه نحو آمد فقصداه فوجه صالح شبيبا فى شطر من أصحابه الى الحرث بن جعونة وتوجه هو نحو خالد فاقتتلوا من وقت العصر أشد قتال فلم تثبت خيل محمد لخيل صالح فلما رأى اميراهم ذلك ترجلا وترجل معهما اكثر أصحابهما فلم يقدر اصحاب صالح حينئذ عليهم وكانوا اذا حملوا استقبلتهم الرجالة بالرماح ورماهم الرماة بالنبل وطاردهم خيالتهم فقاتلوهم الى المساء فكثرت الجراح فى الفريقين وقتل من اصحاب صالح نحو ثلاثين رجلا ومن أصحاب محمد اكثر من سبعين فلما امسوا تراجعوا فاستشار صالح أصحابه فقال شبيب ان القوم قد اعتصموا بخندقهم فلا أرى ان نقيم عليهم فقال صالح وأنا ارى ذلك فخرجوا من ليلتهم سائرين فقطعوا أرض الجزيرة وارض الموصل وانتهوا الى الدسكرة فلما بلغ ذلك الحجاج سرح اليهم الحرث بن عميرة بن ذى العشار فى ثلاثة آلاف من أهل الكوفة فسار حتى دنا من الدسكرة وخرج صالح بن مسرح حتى أتى قرية يقال لها مدبج على تخوم ما بين الموصل و جوخى وصالح فى تسعين رجلا فلقيهم الحرث لثلاث عشرة بقين من جمادى فاقتتلوا فانهزم سويد بن سليم فى ميسرة صالح وثبت صالح فقتل وقاتل شبيب حتى صرع عن فرسه فحمل عليهم راجلا فانكشفوا عنه فجاء الى موقف صالح فاصابه قتيلا فنادى الى يامعشر المسلمين فلاذوا به فقال لاصحابه ليجعل كل واحد منكم ظهره الى ظهر صاحبه وليطاعن عدوه حتى يدخل هذا الحصن ونرى رأينا ففعلوا ذلك ودخلوا الحصن جميعهم وهم سبعون رجلا وأحاط بهم الحرث وأحرق عليهم الباب وقال انهم لا يقدرون على الخروج منه (مسرح بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد الراء وكسرها وبالحاء المهملة وجعونة بفتح الجيم وسكون العين المهملة وفتح الواو وآخره النون)

(ذكر بيعة شبيب الخارجى ومحاربة الحرث بن عميرة)

فلما احرق الحرث الباب على شبيب ومن معه وقال انهم لا يقدرون على الخروج منه ونصبحهم غدا فنقتلهم وانصرف الى عسكره قال شبيب لاصحابه ماتنتظرون فوالله لئن صبحكم هؤلاء غدوة انه لهلاككم فقالوا مرنا بامرك فقال بايعونى أو من شئتم من أصحابكم واخرجوا بنا حتى نشد عليهم فى عسكرهم فانهم آمنون فبايعوا شبيبا وهو شبيب بن يزيد بن نعيم الشيبانى

وأتوا

بزرجمهر الحكيم وفى المستطرف ان كسرى انوشروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه فى حال صباه حتى فاق فى العلوم فضربه المعلم يوما بغير ذنب فأوجعه فحقد أنوشروان عليه فلما ولى الملك قال للمعلم ما حملك على ضربى يوم كذا وكذا ظلما قال لما رأيتك ترغب فى العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فاحببت أن اذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال أنوشروان زه زه وكانت مدة ملكه ثمانيا وأربعين سنة ثم ملك بعده ابنه (هرمز بن أنوشروان) وكان عادلا يأخذ للدنىء من الشريف وبالغ فى ذلك حتى أبغضه خواصه وكان اصطنع صندوقا ليلقى المتظلم قصته فيه والصندوق مختوم بخاتمه لئلا يصل اليه أيدى بطانته ومرزبانيته ثم أمر باتخاذ سلسلة من الطريق نافذة الى مكانه وجعل فيها اجراسا وكان المتظلم يجىء فيحرك السلسلة فيعلم به ويتقدم باحضاره وازالة ظلامته وكان مهيبا سائسا جوادا مضى من ملكه عشر سنين ولم يحرك أحد بحركة لان أباه كان مهد الملك وسخر الرعية ثم خرج عليه عدة اعداء منهم صاحب الروم فى ثمانين ألف فارس

واتوا ابا اللبود فبدلوها وجعلوها على جر الباب وخرجوا فلم يشعر الحرث الا وشبيب واصحابه
يضاربونهم بالسيوف فى جوف العسكر فصرع الحرث فاحتمله اصحابه وانهزموا نحو المدائن
وحوى شبيب عسكرهم وكان ذلك الجيش اول جيش هزمه شبيب

* (ذكر الحرب بين اصحاب شبيب وغيره) *

ثم ان شبيبا لقى سلامة بن سنان التيمى تيم شيبان بارض الموصل فدعاه الى الخروج معه فشرط
عليه سلامة أن ينتخب ثلاثين فارسا ينطلق بهم نحو عنزة فيشفى نفسه منهم فانهم كانوا قتلوا اخاه
فضالة وذلك ان فضالة كان خرج فى ثمانية عشر رجلا حتى نزل ماء يقال له الشجرة عليه اثلة
عظيمة وعليه عنزة نازلون فلما رأوه قالوا نقتل هؤلاء ونغدو على أميرنا فيعطينا شيأ فقال أخواله
من بنى نصر لا نساعدكم على قتل ابن أختنا فنهضت عنزة فقتلوهم وأتوا برؤسهم عبد الملك بن
مروان فلذلك أنزلهم بانقيا وفرض لهم ولم يكن لهم قبل ذلك فرائض الا قليلة فقال سلامة
أخو فضالة يذكر قتل اخيه وخذلان أخواله اياه

وما خلت أخوال الفتى يسلمونه * لوقع السلاح قبل ما فعلت نصر

وكان خروج فضالة قبل خروج صالح فاجابه شبيب فخرج حتى انتهى الى عنزة فجعل يقتل محلة
بعد محلة حتى انتهى الى فريق منهم فيهم خالته قد اكبت على ابن لها وهو غلام حين احتلم
فاخرجت ثديها وقالت أنشدك الرحم هذا يا سلامة فقال والله ما رأيت فضالة مذ أناخ باصل
الشجرة يعنى أخاه لتقومن عنه أو لاجمعنكما بالرمح فقامت عنه فقتله

* (ذكر مسير شبيب الى بنى شيبان وايقاعه بهم) *

ثم أقبل شبيب فى خيله نحو راذان فهرب منه طائفة من بنى شيبان ومعهم ناس من غيرهم
قليل حتى نزلوا ديرا خرابا الى جنب حولايا وهم نحو ثلاثة آلاف وشبيب فى نحو سبعين رجلا
أو يزيدون قليلا فنزل بهم فتحصنوا منه ثم ان شبيبا سرى فى اثنى عشر رجلا الى أمه وكانت فى
سفح جبل ساتيدما فقال لآتين بها تكون فى عسكرى لا تفارقنى حتى تموت أو أموت فسار
بهم ساعة واذا هو بجماعة من بنى شيبان فى أموالهم مقيمين لا يرون ان شبيبا يمر بهم ولا يشعر
بهم فحمل عليهم فقتل ثلاثين شيخا فيهم حوثرة بن أسد ومضى شبيب الى أمه فحملها وأشرف
رجل من الدير على أصحاب شبيب وكان قد استخلف شبيب عليهم أخاه مصاد بن يزيد وهم قد
حصروا من فى الدير فقال يا قوم بيننا وبينكم القرآن قال الله تعالى وان أحد من المشركين
استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه فكفوا عنا حتى نخرج اليكم على أمان
وتعرضوا علينا أمركم فان قبلناه حرمت عليكم دماؤنا وأموالنا وان نحن لم نقبله رددتمونا الى
مأمننا ثم رأيتم رأيكم فاجابوهم فخرجوا اليهم فعرض عليهم أصحاب شبيب قولهم فقبلوه كله
ثم خالطوه ونزلوا اليهم وجاء شبيب فاخبر بذلك فقال أصبتم ووفقتم

* (ذكر الوقعة بين شبيب وسفيان الخثعمى) *

ثم ان شبيبا ارتحل فخرج معه طائفة وأقامت طائفة وسار شبيب فى أرض الموصل نحو
اذربيجان وكتب الحجاج الى سفيان بن أبى العالية الخثعمى يأمره بالقفول وكان معه ألف
فارس يريد أن يدخل بهم طبرستان فلما اتاه كتاب الحجاج صالح صاحب طبرستان ورجع فأمره

ومنهم ملك الخزر ومنهم ملك الترك فى جمع عظيم فارسل هرمز اليه رجلا من اهل الرى يقال له بهرام جوبين وكان بهرام من قواده وكان رجلا مبارزا شجاعا بطلا وكان وحيد دهره وكان رجلا طويلا أعجف كأنه الخشب اليابس ومن ثم لقب بجوبين فقاتل بهرام الترك وهزمهم ونهب أموالهم وطردهم واستولى على بلادهم ثم ارسل بها الى هرمز ثم بعد ذلك خاف هرمز على ملكه من بهرام جوبين وجرى بينهما قتال واكثر العسكر مع بهرام وكان ابرويز بن هرمز مطرودا عن أبيه مقيما باذربيجان فبلغه ضعف أمر ابيه وخشى من استيلاء بهرام جوبين على الملك فقصد ابرويز اباه وأمسكه وسمل عينيه ولبس التاج وجلس على سرير الملك فكان من أول ملك هرمز الى استقرار ابنه ابرويز فى الملك نحو ثلاث عشرة سنة ونصف سنة وخالفه بهرام جوبين وقصد أن ينتقم من ابرويز لما فعله فى ابيه هرمز من سمل عينيه وجرى بينهما مراسلات وآخر الحال ان بهرام جوبين تغلب وخشى ابرويز أن يقيم والده الاعمى صورة ويستولى على الملك فاتفق مع خواصه

الحجاج بنزول الدسكرة حتى يأتيه جيش الحرث بن عميرة الهمدانى وهو الذى قتل صالحا حتى تأتيه خيل المناظر ثم يسير الى شبيب فاقام بالدسكرة ونودى فى جيش الحرث الحرب بالكوفة والمدائن فخرجوا حتى أتوا سفيان وأتته خيل المناظر عليهم سورة بن الحر التميمى فكتب اليه سورة بالتوقف حتى يلحقه فعجل سفيان فى طلب شبيب فلحقه بخانقين وارتفع شبيب عنهم حتى كأنه يكره قتالهم وأكمن أخاه مصادا فى هرم من الارض فى خمسين رجلا فارسا ومضى فى سفح الجبل فقالوا هرب عدو الله فاتبعوه فقال لهم عدى بن عميرة الشيبانى لا تعجلوا حتى تبصر الارض لئلا يكون قد اكمن فيها كمينا فلم يلتفتوا فاتبعوه فلما جازوا الكمين رجع عليهم شبيب وخرج أخوه فى الكمين فانهزم الناس بغير قتال وثبت سفيان فى نحو من مائتى رجل فقاتلهم قتالا شديدا وحمل سويد بن سليم على سفيان فطاعنه ثم تضاربا بالسيوف واعتنق كل واحد منهما صاحبه فوقعا الى الارض ثم تحاجزا وحمل عليهم شبيب فانكشفوا وأتى سفيان غلام له فنزل عن دابته واركبه وقاتل دونه فقتل الغلام ونجا سفيان حتى انتهى الى بابل مهروذ وكتب الى الحجاج بالخبر ويعرفه وصول الجند الا سورة بن الحر فانه لم يشهد معى القتال فلما قرأ الحجاج الكتاب أثنى عليه

(ذكر الوقعة بين شبيب وسورة بن الحر)

فلما وصل كتاب سفيان الى الحجاج كتب الى سورة بن الحر يلومه ويتهدده ويأمره أن ينتخب من المدائن خمسمائة فارس ويسير بهم وبمن معه الى شبيب ففعل ذلك سورة وسار نحو شبيب وشبيب يجول فى جوخى وسورة فى طلبه حتى انتهى الى المدائن فتحصنوا منه وأخذ منها دواب وقتل من ظهر له فاتى فقيل له هذا سورة قد أقبل فخرج حتى أتى النهروان فصلوا وترحموا على اصحابهم الذين قتلهم على وتبرؤا من على واصحابه واخبرت سورة عيونه بمنزل شبيب فدعا اصحابه فقال ان شبيبا لا يزيد على مائة رجل وقد رأيت ان انتخبكم فاسير فى ثلثمائة رجل من شجعانكم فآتيه وهو آمن بياتكم فانى ارجو من الله أن يصرعهم فاجابوه الى ذلك فانتخب ثلثمائة وسار بهم نحو النهروان وبات شبيب وقد أذكى الحرس فلما دنا أصحاب سورة علموا بهم فاستووا على خيولهم وتعبوا تعبيتهم للحرب فلما انتهى اليهم سورة رآهم قد حذروا فحمل عليهم فثبتوا له وضاربوهم وصاح شبيب باصحابه فحملوا عليهم حتى تركوا العرصة وشبيب يقول

من ينك العير ينك نياكا * جندلتان اصطكتا اصطكاكا

فرجع سورة الى عسكره وقد هزم الفرسان واهل القوة فحمل بهم واقبل نحو المدائن واتبعه شبيب يرجو أن يدركه فيصيب عسكره فوصل اليهم وقد دخل الناس المدائن وخرج ابن أبى العصيفر أمير المدائن فى اهل المدائن فرموا اصحاب شبيب بالنبل والحجارة فارتفع شبيب عن المدائن فمر على كلواذى فاصاب بها دواب كثيرة للحجاج فاخذها ومضى الى تكريت وارجف الناس بالمدائن بوصول شبيب اليهم فهرب من بها من الجند نحو الكوفة وكان شبيب بتكريت ولام الحجاج سورة وحبسه ثم اطلقه

(ذكر الحرب بين شبيب والجزل بن سعيد وقتل سعيد بن مجالد)

على قتل ابيه هرمز بخنقه ولحق ابرويز بملك الروم مستنجدا به واقبل (بهرام جوبين) ولبس التاج وجلس على سرير الملك فوصل ابرويز الى ملك الروم موريقش وقدم اليه هدايا كثيرة فحمل اليه موريقش ملك الروم ألفى الف دينار وانجده بمائة ألف فارس والف ثوب من الديباج المنسوج بالذهب الاحمر وعشرين جارية من بنات ملوك برجان والجلالقة والصقالبة وغيرهم من الاجناس المختلفة على رؤسهن اكاليل الجوهر وزوجه بابنته مارية فسار اليه بمن كان معه من العساكر فالتقيا وجرى بينهما قتال كثير وولى بهرام جوبين هاربا الى خراسان ثم ملك (ابرويز خسرو بن هرمز) من بعد طرد بهرام جوبين وفرق فى عسكر الروم أموالا جليلة ثم أعادهم الى ملكهم وهو الذى أدرك النبى صلى الله عليه وسلم وأرسل اليه الكتاب مع دحية الكلبى يدعوه الى دين الاسلام فمزقه ابرويز فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم أن يمزق الله ملكه كل ممزق فارسل ابرويز يأمر باذان ملك اليمن بقتل النبى صلى الله عليه وسلم فعين باذان الى المدينة الشريفة قاصدا يتطرق

فلما قدم الفل الكوفة سير الحجاج الجزل بن سعيد بن شرحبيل الكندي واسمه عثمان نحو شبيب وأوصاه بالاحتياط وترك العجلة فقال له لا تبعث معي من الجند المهزوم أحدا فانهم قد دخلهم الرعب ولا ينتفع بهم المسلمون قال قد أحسنت فاخرج معه أربعة آلاف فساروا معه فقدم الجزل بين يديه عياض بن أبي لينة الكندي فساروا في طلب شبيب وجعل شبيب يريه الهيبة له فيخرج من رستاق الى رستاق ولا يقيم ارادة أن يفرق الجزل أصحابه فيلقاه وهو على غير تعبية فجعل الجزل لا يسير الا على تعبية ولا ينزل الا خندق على نفسه فلما طال ذلك على شبيب دعا أصحابه وكانوا مائة وستين رجلا ففرقهم أربع فرق على كل أربعين رجلا من أصحابه فجعل أخاه مصادا في أربعين وسويد بن سليم في اربعين والمحلل بن وائل في اربعين وبقي هو في اربعين وأتته عيونه فاخبروه ان الجزل بدير يزدجرد فأمر شبيب أصحابه فعلقوا على دوابهم ثم سار بهم وأمر كل رأس من أصحابه ان يأتي الجزل من جهة ذكرها له وقال اني أريد ان ابيته وأمرهم بالجد في القتال فسار أخوه فانتهى الى دير الخرارة فرأى للجزل مسلحة مع ابن أبي لينة فحمل عليهم مصاد في اربعين رجلا فقاتلوه ساعة ثم اندفعوا بين يديه وقد ادركهم شبيب فقال اركبوا اكتافهم لتدخلوا عليهم عسكرهم ان استطعتم واتبعوهم ملحين فانتهوا الى عسكرهم فمنعهم أصحابه من دخول خندقهم وكان للجزل مسالح أخرى فرجعت فمنعتهم من دخول الخندق وقال انضحوا عنكم بالنبل وجعل شبيب يحمل على المسالح حتى اضطرهم الى الخندق ورشقهم أهل العسكر بالنبل فلما رأى شبيب انه لا يصل اليه قال لاصحابه سيروا ودعوهم فمضى على الطريق ثم نزل هو وأصحابه فاستراحوا ثم أقبل بهم راجعا الى الجزل ايضا على التعبية الاولى وقال أطيفوا بعسكرهم فاقبلوا وقد ادخل أهل العسكر مسالحهم اليهم وقد أمنوا فما شعروا الا بوقع حوافر الخيل فانتهوا اليهم قبيل الصبح وأحاطوا بعسكرهم من جهاته الاربع فقاتلوهم ثم ان شبيبا أرسل الى اخيه مصاد وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أن اقبل الينا وخل لهم الطريق ففعل وقاتلوهم من الوجوه الثلاثة حتى اصبحوا فسار شبيب وتركهم ولم يظفر بهم فنزل على ميل ونصف ثم صلى الغداة ثم سار الى جرجرايا واقبل الجزل في طلبهم على تعبية ولا ينزل الا في خندق وسار شبيب في أرض جوخي وغيرها يكسر الخراج فطال ذلك على الحجاج فكتب الى الجزل ينكر عليه ابطاءه ويأمره بمناهضتهم فجد في طلبهم وبعث الحجاج سعيد بن مجالد على جيش الجزل وأمره بالجد في قتال شبيب وترك المطاولة فوصل سعيد الى الجزل وهو بالنهروان قد خندق عليه وقام في العسكر ووبخهم وعجزهم ثم خرج وأخرج معه الناس وضم اليه خيول أهل العسكر ليسير بهم جريدة الى شبيب ويترك الباقين مكانهم فقال له الجزل ما تريد أن تصنع قال أقدم على شبيب في هذه الخيل فقال له الجزل أقم انت في جماعة الناس فارسهم وراجلهم وابرز لهم فوالله ليقدمن عليك ولا تفرق اصحابك فقال قف أنت في الصف فقال الجزل يا سعيد ليس لي فيما صنعت رأي انا بريء منه ووقف الجزل فصف اهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق وتقدم سعيد بن مجالد ومعه الناس وقد أخذ شبيب الى قطيطيا فدخلها وأمر دهقانها أن يصلح لهم غداء ففعل وأغلق الباب فلم يفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد في ذلك العسكر فاقبل الدهقان فاعلم شبيبا بهم فقال لا بأس قرب الغداء فقربه فاكلوا وتوضا

قتل النبي صلى الله عليه وسلم حيلة فأوحى الله الى نبيه ما أضمر باذان وقاصده فاحضر القاصد وأخبره النبي صلى الله عليه وسلم ان كسرى ابرويز قتله أولاده اليوم فرجع خاسرا فلما صح ذلك اسلم باذان وحسن اسلامه وكان مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة (وفي أيامه) كانت حروب دقيانوس وجمع في أيامه من الاموال مالم يجمعه غيره من الملوك روي انه أصاب سفينة اتت بها الريح وقصته انه لما وقع بين كسرى وقيصر مخالفة وقصد كسرى ملكه وسار اليه فخاف قيصر وحمل خزائن آبائه وأجداده في السفن فأدتها الريح الى كسرى والفرس بالغوا في ملكه وسلطنته وروى حمزة الاصفهاني ان ابرويز كان له احد عشر الف جارية وستة آلاف خادم وفارس وثلاثة آلاف امرأة وعشرون الفا وخمسمائة فرس ويقال انه خرج في بعض أعياده وقد صفت له الجيوش وفيها صف ألف فيل وقد أحدقت به خمسون الف فارس دون الراجلة فلما رأته الفيلة سجدت ثم رفعت رؤسها حتى ضربت بالمحاجن وراطنها الفيالون بالهندية وفي عهده ولد

وصلى ركعتين وركب بغلاله وخرج عليه وسعيد على باب المدينة فحمل عليهم فقال لا حكم الا للحكم أنا ابو بدلة اثبتوا ان شئتم وجعل سعيد يقول هؤلاء اغماهما كلة رأس وجمل يجمع خيله ويرسلها في اثر شبيب فلما رأى شبيب تفرقهم جمع اصحابه وقال استعرضوهم فوالله لاقتلن أميرهم أو ليقتلني وحمل عليهم مستعرضا فهزمهم وثبت سعيد ونادى أصحابه فحمل عليه شبيب فضربه بالسيف فقتله وانهزم ذلك الجيش وقتلوا حتى انتهوا الى الجزل فناداهم أيها الناس الى الى وقاتل قتالا شديدا حتى حمل من بين القتلى جريحا وقدم المنهزمون الكوفة وكتب الجزل الى الحجاج بالخبر ويخبره بقتل سعيد وأقام بالمدائن وكتب اليه الحجاج يثنى عليه ويشكره وارسل اليه حيان بن أبجر ليداوى جراحته والفى درهم لينفقها وبعث اليه عبد الله بن عصيفر بألف درهم فكان يعوده ويتعاهده بالهدية وسار شبيب نحو المدائن فعلم انه لا سبيل الى أهلها مع المدافعة فاقبل حتى انتهى الى الكرخ فعبر دجلة اليها فارسل الى سوق بغداد فامنهم وكان يوم سوقهم وبلغه انهم يخافونه واشترى اصحابه دواب وأشياء يريدونها

(ذكر مسير شبيب الى الكوفة)

ثم سار شبيب الى الكوفة فنزل عند حمام عمير بن سعد فلما بلغ الحجاج مكانه بعث سويد بن عبد الرحمن السعدى في الفى رجل اليه وقال له الق شبيبا فان استطرد لك فلا تتبعه فخرج وعسكر بالسبخة فبلغه أن شبيبا قد أقبل فسار نحوه فكأنما يساقون الى الموت فامر الحجاج عثمان بن قطن فعسكر بالناس في السبخة وسار سويد الى زرارة فهو يعبي اصحابه اذ قيل قد اتاك شبيب فنزل ونزل معه جل اصحابه فاخبران شبيبا قد تركك وعبر الفرات وهو يريد الكوفة من وجه آخر فنادى في اصحابه فركبوا في آثارهم وبلغ من بالسبخة مع عثمان اقبال شبيب اليهم فصاح بعضهم ببعض وهموا أن يدخلوا الكوفة حتى قيل لهم ان سويدا في آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم وحمل شبيب على سويد ومن معه حملة منكرة فلم يقدر منهم على شئ وأخذ على بيوت الكوفة نحو الحيرة وذلك عند المساء وتبعه سويد الى الحيرة فرآه قد ترك الحيرة وذهب فتركه سويد واقام حتى اصبح وأرسل الى الحجاج يعلمه بمسير شبيب

(ذكر محاربة شبيب أهل البادية)

وكتب الحجاج الى سويد يأمره باتباعه فاتبعه ومضى شبيب حتى اغار اسفل الفرات على من وجد من قومه وارتفع في البر وراء خفان فاصاب رجالا من بنى الورثة فقتل منهم ثلاثة عشر رجلا منهم حنظلة بن مالك ومضى شبيب حتى أتى بنى امية على اللصف وعلى ذلك الماء الفزر بن الاسود وهو احد بنى الصلت وكان ينهى شبيبا عن رأيه وكان شبيب يقول لئن ملكت سبعة اعنة لاغزون الفزر فلما بلغهم خبر شبيب ركب الفزر فرسا وخرج من وراء البيوت وانهزم منه الرجال ورجع وقد أخاف اهل البادية فاخذ على القطقطانة ثم على قصر بنى مقاتل ثم على الحصاصة ثم على الانبار ومضى حتى دخل دقوقا ثم ارتفع الى ادانى اذربيجان فلما أبعد سار الحجاج الى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فما شعر الناس الا وقد أتاهم كتاب دهقان بابل مهروذ الى عروة يذكر له ان بعض جباة الخراج أخبره ان شبيبا قد نزل خانيجار وهو على قصد الكوفة فارسل عروة الكتاب الى الحجاج بالبصرة فاقبل مجدا

الفيل بخراسان ولم يعهد هنالك للفيل ولادة وكان حين يركب يمشى معه مائتا انسان معهم المجامر والمعاطر ليشم الرائحة الطيبة وكان له ألف انسان برسم رش الماء في الطريق لاطفاء الغبار وكان رجلا حسن الوجه حسن الشمائل شجاعا ذا قوة وكانت له قطعة ذهب لين كالشمع يصنع منها ما يريد من غير مساس النار وكانت له قصعة اذا شرب ماؤها تملئ بنفسها من غير أن يملأها احد وكان تزوج بشيرين المغنية معشوقة فرهاد ولهما أخبار وسير يطول شرحها وقد صنف في وقائعهما كتب بالفارسية والتركية وبنى لها قصرا بقرب حلوان ثم ان ابرويز طغى وبغى واحتقر الاكابر وظلم الرعية وكان في حبسه ستة وثلاثون ألف رجل وكان متولى الحبس رجلا يقال له زادان قد تغير على ابرويز فاتفق مع المحبوسين فأفرج عنهم وساروا وهجموا على كسرى ابرويز في داره

نحو الكوفة يسابق شبيبا اليها

(ذكر دخول شبيب الكوفة)

واقبل شبيب الى قرية اسمها حربى فقال حرب يصلى به عدوكم ثم سار فنزل عقرقوف فقال له سويد بن سليم يا امير المؤمنين أو تحولت من هذه القرية المشؤمة الاسم قال وقد تطيرت ايضا والله لا اسير الى عدوى الا منها انما شؤمها على عدونا والعقر لهم ان شاء الله ثم سار منها يبادر الحجاج الى الكوفة وكانت كتب عروة ترد عليه أعنى الحجاج يحثه على العجل اليهم فطوى الحجاج المنازل فنزلها الحجاج صلاة العصر ونزل شبيب بالسبخة صلاة المغرب فاكلوا شيأ ثم ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة وبلغوا السوق وضرب شبيب باب القصر بعموده فاثر فيه أثرا عظيما ثم وقف عند المصطبة وقال

عبد دعى من ثمود أصله * لا بل يقال أبو ابيهم يقدم

يعنى الحجاج فان بعض الناس يقول ان ثقيفا بقايا ثمود وبعضهم يقول هم من نسل يقدم الايادى ثم اقتحموا المسجد الاعظم وكان لا يزال فيه قوم يصلون فقتلوا عقيل بن مصعب الوادعى وعدى ابن عمرو الثقفى وابا ليث بن أبى سليم ومروا بدار حوشب وهو على الشرط فقالوا ان الامير يطلبه فاراد الركوب ثم انكرهم فلم يخرج اليهم فقتلوا غلامه ثم أتى الجحاف بن نبيط الشيبانى فقال له انزل لنقضيك ثمن البكرة التى اشتريت منك بالبادية فقال الجحاف ماذكرتك امانتك الا والليل اظلم وانت على فرسك يا سويد قبح الله دينا لا يصلح الا باراقة الدماء وقتل القرابة ثم مروا بمسجد ذهل فرأوا ذهل بن الحرث وكان يطيل الصلاة فيه فقتلوه ثم خرجوا من الكوفة فاستقبلهم النضر بن قعقاع بن شور الذهلى فقال له السلام عليك أيها الامير فقال له سويد أمير المؤمنين ويلك فقال أمير المؤمنين فقال له شبيب يا نضر لا حكم الا الله وأراد يلقنه فقال انا لله وانا اليه راجعون فشد أصحاب شبيب عليه فقتلوه وكان قد أقبل مع الحجاج من البصرة فتخلف عنه وكانت أم النضر ناجية بنت هانئ بن قبيصة الشيبانى فاحب شبيب نجاته ثم خرجوا نحو الردمة وأمر الحجاج مناديا فنادى يا خيل الله اركبى وهو فوق باب القصر وعنده مصباح فكان أول من أتاه عثمان بن قطن بن عبد الله بن الحصين ذى الغصة فقال اعلموا الامير بمكانى فقال له غلام للحجاج قف بمكانك وجاء الناس من كل جانب ثم ان الحجاج بعث بشر بن غالب الاسدى فى الفى رجل وزائدة بن قدامة الثقفى فى الفى رجل وابا الضريس مولى بنى تميم فى الفى رجل وعبد الاعلى ابن عبد الله بن عامر وزياد بن عمرو العتكى وكان عبد الملك بن مروان قد استعمل محمد بن موسى ابن طلحة بن عبيد الله على سجستان وكتب الى الحجاج ليجهزه ويسيره سريعا فى ألف رجل الى عمله فاقام يتجهز وحدث من أمر شبيب ما حدث فقال له الحجاج تلقى شبيبا وهذه الخارجة فتجاهدهم ويكون الظفر لك ويطير اسمك ثم تمضى الى عملك فسيره معهم وقال لهؤلاء الامراء ان كان حرب فاميركم زائدة بن قدامة فسار هؤلاء الامراء فنزلوا أسفل الفرات فترك شبيب الوجه الذى هم فيه وأخذ نحو القادسية

(ذكر محاربة شبيب زحر بن قيس)

ووجه الحجاج جريدة خيل نقاوة ألف وثمانمائة فارس مع زحر بن قيس وقال له اتبع شبيبا حتى

فهرب فوجدوه وقيدوه وحبسوه فى دار رجل ووكل به جماعة ومضى الى ابنه شيرويه وأجلسه مكان والده واطاعه الخاص والعام وجرى بين شيرويه وبين أبيه مراسلات وتقريع وآخر الامر قال شيرويه لابيه لا تعجب ان أنا قتلتك فانى أقتدى بك فارسل شيرويه بعض أولاد الاساورة الذين قتلهم ابرويز وأمرهم بقتله فقتلوه ومعنى أبرويز بالعربية المظفر وخلف أبرويز ثمانية عشر ولدا غير شيرويه فقتلهم شيرويه ولما قتل شيرويه أباه أبرويز راود زوجته شيرين على نفسها فامتنعت فضيق عليها ورماها بالزنا واراد قتلها ان لم تفعل فقالت افعل على ثلاث شرائط قال وما هى قالت تسلم لى قتلة زوجى أقتلهم وتصعد المنبر فتبرئنى مما قذفتنى به وتفتح لى ناووس أبيك فان له وديعة عندى عاهدنى ان تزوجت بعده رددتها اليه فدفع لها قتلة زوجها فقتلتهم وابرأها مما قال لها وفتح ناووس ابيه وبعث الخدم معها فجاءت الى أبرويز فعانقته ومصت فصا مسموما كان معها فماتت من

تواقعه ما اين أدركته الا ان يكون ذاهبا فاتركه مالم يعطف عليك أو يقيم فخرج زحر حتى انتهى
الى السيلحين وأقبل شبيب نحوه فالتقيا فجمع شبيب خيله ثم اعترض بهم الصف حتى انتهى الى
زحر فقاتل زحر حتى صرع وانهزم أصحابه وظنوا انهم قتلوه فلما كان السحر وأصابه البرد قام
يمشي حتى دخل قرية فبات بها وحمل منها الى الكوفة وبوجهه وبرأسه بضع عشرة جراحة
فمكث اياما ثم أتى الحجاج فاجلسه معه على السرير وقال لمن حوله من أراد ان ينظر الى رجل من
أهل الجنة يمشي بين الناس وهو شهيد فلينظر الى هذا

(ذكر محاربة الامراء المقدم ذكرهم وقتل محمد بن موسى بن طلحة)

فلما انهزم اصحاب زحر قال أصحاب شبيب لشبيب قد هزمنا لهم جندا فانصرف بنا الآن وافرين
فقال لهم هذه الهزيمة قد ارعبت هؤلاء الامراء والجنود الذين في طلبكم فاقصدوا بنا نحوهم
فوالله لئن قاتلناهم فادون الحجاج مانع ونأخذ الكوفة ان شاء الله تعالى فقالوا نحن لرأيك تبع
فسار وسأل عن الامراء فأخبر انهم بروذبار على أربعة وعشرين فرسخا من الكوفة فقصدهم
فارسل اليهم الحجاج يعلمهم بمسيره ويقول لهم ان أمير الجماعة زائدة بن قدامة وانتهى اليهم شبيب
وقد تعبوا للحرب فكان على ميمنة أهل الكوفة زياد بن عمرو العتكي وفي ميسرتهم بشر بن غالب
الاسدي وكل أمير واقف في أصحابه واقبل شبيب على فرس كميت اغر في ثلاث كتائب كتيبة
فيها سويد بن سليم فوقف بازاء الميمنة وكتيبة فيها مصاد أخو شبيب فوقف بازاء الميسرة ووقف
شبيب مقابل القلب فخرج زائدة بن قدامة يسير في الناس ويحثهم على الجهاد لعدوهم والقتال
ويطمعهم في عدوهم لقلته وباطله وكثرتهم وانهم على الحق ثم انصرف الى موقفه فحمل
سويد بن سليم على زياد بن عمرو فانكشفوا وثبت زياد في نحو من نصف أصحابه ثم ارتفع عنهم
سويد قليلا ثم حمل عليهم ثانية فتطاعنوا ساعة وصبر زياد ساعة وقاتل زياد قتالا شديدا وقاتل
سويد أيضا قتالا شديدا وانه لاشجع العرب ثم ارتفع سويد عنهم فاذا أصحاب زياد يتفرقون
فقال لسويد أصحابه الا تراهم يتفرقون احمل عليهم فقال لهم شبيب خلوهم حتى يخفوا فتركهم
قليلا ثم حمل الثالثة فانهزموا وأخذت زياد بن عمرو السيوف من كل جانب فما ضربه منها شئ
للبيضة التي عليه ثم انه انهزم وقد جرح جراحة يسيرة وذلك عند المساء ثم حملوا على عبد الاعلى بن
عبد الله بن عامر فهزموه ولم يقاتل كثيرا ولحق بزياد بن عمرو فمضيا منهزمين وحملت الخوارج حتى
انتهت الى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب فقاتلوه قتالا شديدا وصبر لهم ثم ان مصادا أخا شبيب
حمل على بشر بن غالب وهو في ميسرة أهل الكوفة فصبر بشر ونزل ونزل معه نحو خمسين رجلا
فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وانهزم اصحابه وحملت الخوارج على أبي الضريس مولى بني تميم
وهو يلي بشر بن غالب فهزموه حتى انتهى الى موقف أعين فهزموهما حتى انتهوا بهما الى زائدة
ابن قدامة فلما انتهوا اليه نادى يا أهل الاسلام الارض الارض لا يكونوا على كفرهم أصبر منكم
على ايمانكم فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر ثم ان شبيبا حمل عليه في جماعة من أصحابه فقتله
وقتل أصحابه وتركهم ربضة حوله ولما قتل زائدة دخل أبو الضريس وأعين جوسقا عظيما وقال
شبيب لاصحابه ارفعوا السيف وادعوهم الى البيعة فدعوهم الى البيعة عند الفجر فبايعوه وكان
فيمن بايعه أبو بردة بن أبي موسى فقال شبيب لاصحابه هذا ابن أحد الحكمين فارادوا قتله فقال

شبيب

وقتها وابطأت على الخدم
فصاحوا فلم تتكلم فدخلوا
فوجدوها معانقة لابرويز
ميتة وأم شيرويه مارية
بنت قيصر ملك الروم
وكان رديء المزاج كثير
الامراض صغير الخلق
وكانت اخوته كانهم عوالي
الرماح قد كملوا في الخلق
والخلق والادب ثم ندم على
قتل اخوته وجزع عليهم
جزعا شديدا وكان ابوه
أبرويز وضع في الخزائن
برانى سم وكتب عليها نافع
مجرب للجماع فلما ملك
شيرويه وصفا له الامر
دخل الخزينة فنظر الى
البرنية مكتوبا عليها وكان
مغرما بالجماع فلما ذاق منها
مات في الحال والفرس
تسميه الغشوم وكانت عدة
ملكه ثمانية أشهر وعمره
اثنتان وعشرون سنة ثم
ملك بعده (أردشير بن
شيرويه) وكان عمره سبع
سنين وحضنه رجل يقال له
بهادر حشيش فاحسن
سياسة الملك فسار به شهريار
الى انطاكية فقتله وقتل
بهادر حشيش معه وكانت
مدة ملكه سنة وستة أشهر
ثم ملك بعده (شهريار) وكان
من مقدمي الفرس وكانت
الشام اقطاعه فاستولى
على الملك ولبس التاج

شبيب ماذنب هذا وتركه وسلموا على شبيب بامرة المؤمنين وخلى سبيلهم فبقوا كذلك حتى انفجر الفجر فلما ظهر الفجر أمر محمد بن موسى مؤذنه فاذن وكان لم ينهزم فسمع شبيب الاذان فقال ماهذا قالوا محمد بن موسى بن طلحة لم يبرح فقال قد ظننت ان حمقه وخيلاءه يحمله على هذا ثم نزل شبيب فاذن هو وصلى باصحابه الصبح ثم ركبوا فحملوا على محمد وأصحابه فانهزمت طائفة منهم وثبتت معه طائفة فقاتل حتى قتل وأخذت الخوارج ما كان فى العسكر وانهزم الذين كانوا بايعوا شبيبا فلم يبق منهم أحد ثم أتى شبيب الجوسق الذى فيه أعين وأبو الضريس فتحصنوا منه فاقام عليهم ذلك اليوم وسار عنهم فقال أصحابه مادون الكوفة أحد يمنع فنظر فاذا أصحابه قد جرحوا فقال لهم ما عليكم أكثر مما فعلتم فخرج بهم على نفر ثم على الصراة فأتى خانيجار فاقام بها فبلغ الحجاج مسيره نحو نفر فظن انه يريد المدائن وهى باب الكوفة ومن أخذها كان فى يده من السواد أكثره فهال ذلك الحجاج فبعث عثمان بن قطن أميرا على المدائن وجوخى والانبار وعزل عنها عبد الله بن أبى عصيفر وكان بها الجزل يداوى جراحته فلم يتعهده عثمان كما كان ابن أبى عصيفر يفعل فقال الجزل اللهم زد ابن أبى عصيفر جودا وفضلا وزد عثمان بن قطن بخلا وشقاء وقد قيل فى مقتل محمد بن موسى غير هذا والذى ذكر من ذلك ان محمد بن موسى كان قد شهد مع عمر بن عبيد الله بن معمر قتال ابى فديك وكان شجاعا ذا بأس فزوجه عمر ابنته وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان فولاه سجستان فمر بالكوفة وفيها الحجاج فقيل له ان صار هذا بسجستان مع صهره لعبد الملك فجاء اليه احد ممن تطلب منعك منه فقال وما الحيلة قال تأتيه وتسلم عليه وتذكر نجدته وبأسه وان شبيبا فى طريقه وانه قد اعياك وترجو ان يريح الله منه على يده فيكون له ذكره وفخره ففعل الحجاج ذلك فاجابه محمد وعدل الى شبيب فارسل اليه شبيب انك مخدوع وان الحجاج قد اتقى بك وأنت جارك حق فانطلق لما أمرت به ولك الله لا أوذيك فابى الا محاربته فواقفه شبيب وأعاد اليه الرسول فابى وطلب البراز فبرز اليه البطين بن قعنب وسويد ابن سليم فابى الا شبيبا فقالوا ذلك لشبيب فبرز شبيب اليه وقال له انشدك الله فى دمك فان لك جوارا فابى فحمل شبيب عليه فضربه بعمود حديد وزنه اثنا عشر رطلا بالشامى فهشم البيضة ورأسه فسقط ميتا ثم كفنه ودفنه وابتاع ما غنموا من عسكره فبعثه الى أهله واعتذر الى أصحابه وقال هو جارى ولى ان اهب ما غنمت لاهل الردة

(ذكر محاربة شبيب عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وقتل عثمان بن قطن)

ثم ان الحجاج دعا عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وأمره ان ينتخب من الناس ستة آلاف فارس ويسير فى طلب شبيب أين كان ففعل ذلك وسار نحوه وكتب الحجاج اليه والى أصحابه يتهددهم بالقتل والتنكيل ان انهزموا فوصل عبد الرحمن الى المدائن فاتى الجزل يعوده من جراحته فأوصاه الجزل بالاحتياط وحذره من شبيب وأصحابه واعطاه فرسا كانت له تسمى الفسيفسا وكانت لا تجارى ثم ودعه عبد الرحمن وسار الى شبيب فسار شبيب الى دقوقا وشهرزور فخرج عبد الرحمن فى طلبه حتى اذا كان بالتخوم وقف وقال هذه أرض الموصل فليقاتلوا عنها فكتب اليه الحجاج اما بعد فاطلب شبيبا واسلك فى أثره أين سلك حتى تدركه فتقتله أو تنفيه فانما السلطان سلطان أمير المؤمنين والجند جنده والسلام فخرج عبد الرحمن فى اثر شبيب فكان شبيب يدعه

وجلس على سرير الملك ولم يكن من أهل بيت المملكة فوثب عليه جماعة من الحرس وهو سائر الى الصيد والقوه عن فرسه وقتلوا جماعة من أصحابه وشدوا فى رجل شهريار حبلا وجروه اقبالا وادبارا لكونه تعرض للملك وليس من أهله ثم ولوا المملكة (بوران بنت كسرى أبرويز) فاحسنت السيرة ودارت مع الروم وملكت سنة وأربعة أشهر ثم هلكت فملك (خشنشده) من بنى عم كسرى أبرويز ولما ملك لم يهتد الى تدبير المملكة فقتل فكانت مدة ملكه نحوا من شهر ثم ملكت (ازرميدخت بنت كسرى أبرويز) واظهرت العدل والاحسان وكان أعظم الفرس حينئذ فروخ هرمز والى خراسان وكانت ازرميدخت من أحسن النساء صورة فخطبها فروخ هرمز ليتزوجها فامتنعت من ذلك ثم أجابته بالاجتماع به فى الليل ليقضى وطره منها فلما حضر أمرت متولى حرسها فقتله وكان افروخ ابن يقال له رستم وقد ولاه على خراسان نيابة عنه حين توجه بسبب أزرميدخت فلما سمع بقتل

حتى يدنو منه فيبيته فيجده قد خندق على نفسه وحذر فيتركه ويسير فيتبعه عبد الرحمن فاذا بلغ شبيبا مسيره أتاهم وهم سائرون فيجدهم على تعبية فلا يصيب منه غرة ثم جعل اذا دنا منه عبد الرحمن يسير عشرين فرسخا ومايقاربها فينزل فى ارض خشنة غليظة ويتبعه عبد الرحمن فاذا دنا منه فعل مثل ذلك حتى عذب ذلك الجيش وشق عليه واحفى دوابهم ولقوا منه كل بلاء ولم يزل عبد الرحمن يتبعه حتى مر به على خانقين وجلولاء وسامرا ثم اقبل الى البت وهى من قرى الموصل ليس بينها وبين سواد الكوفة الانهر حولايا وهو فى راذان الاعلى من ارض جوخى ونزل عبد الرحمن فى عواقيل من النهر لانها مثل الخندق فارسل شبيب الى عبد الرحمن يقول ان هذه الايام عيد لنا ولكم يعنى عيد النحر فهل لك فى الموادعة حتى تمضى هذه الايام فاجابه الى ذلك وكان يحب المطاولة وكتب عثمان بن قطن الى الحجاج اما بعد فان عبد الرحمن قد حفر جوخى كلها خندقا واحدا وكسر خراجها وخلى شبيبا يأكل اهلها والسلام فكتب اليه الحجاج يأمره بالمسير الى الجيش وجعله اميرهم وعزل عنهم عبد الرحمن وبعث الحجاج الى المدائن مطرف ابن المغيرة بن شعبة وسار عثمان حتى قدم على عبد الرحمن وعسكر الكوفة فوصل عشية الثلاثاء يوم التروية فنادى الناس وهو على بلغة ايها الناس اخرجوا الى عدوكم فوثب اليه الناس وقالوا هذا المساء قد غشينا والناس لم يوطنوا أنفسهم على الحرب فبت الليلة ثم اخرج على تعبية وهو يقول لاناجزنهم فلتكونن الفرصة لى اولهم فاتاه عبد الرحمن فانزله وكان شبيب قد نزل بيعة البت فاتاه اهلها فقالوا له انت ترحم الضعفاء واهل الذمة ويكلمك من تلى عليه ويشكون اليك فتنظر اليهم وان هؤلاء جبابرة لا يكلمون ولا يقبلون العذر والله لئن بلغهم انك مقيم فى بيعتنا ليقتلننا اذا ارتحلت عنا فان رايت ان تنزل جانب القرية ولا تجعل علينا مقالا فافعل فخرج عن البيعة فنزل جانب القرية وبات عثمان ليلته كلها يحرض أصحابه فلما اصبح يوم الاربعاء خرج بالناس كلهم فاستقبلتهم ريح شديدة وغبرة شديدة فصاح الناس وقالوا له ننشدك الله ان لا تخرج بنا والريح علينا فاقام بهم ذلك اليوم ثم خرج بهم يوم الخميس وقد عبى الناس فجعل فى الميمنة خالد بن نهيك بن قيس وعلى الميسرة عقيل بن شداد السلولى ونزل هو فى الرجالة وعبر شبيب النهر اليهم وهو يومئذ فى مائة وأحد وثمانين رجلا فوقف هو فى الميمنة وجعل اخاه مصادا فى القلب وجعل سويد بن سليم فى الميسرة وزحف بعضهم الى بعض وقال شبيب لاصحابه انى حامل على ميسرتهم مما يلى النهر فاذا هزمتها فليحمل صاحب ميسرتى على ميمنتهم ولا يبرح صاحب القلب حتى يأتيه امرى وحمل على ميسرة عثمان فانهزموا ونزل عقيل بن شداد فقاتل حتى قتل وقتل ايضا مالك بن عبد الله الهمدانى عم عياش بن عبد الله المنتوف ودخل شبيب عسكرهم وحمل سويد على ميمنة عثمان فهزمها وعليها خالد بن نهيك فقاتله قتالا شديدا وحمل شبيب من ورائه فقتله وتقدم عثمان بن قطن وقد نزل معه العرفاء واشراف الناس والفرسان نحو القلب وفيه مصاد اخو شبيب فى نحو من ستين رجلا فلما دنا منهم عثمان شد عليهم فيمن معه فضاربوهم حتى فرقوا بينهم وحمل شبيب بالخيل من ورائهم فما شعر عثمان ومن معه الا والرماح فى اكتافهم تكبهم لوجوههم وعطف عليهم سويد بن سليم ايضا فى خيله ورجع مصاد واصحابه فاضطربوا ساعة وقاتل عثمان بن قطن احسن قتال ثم انهم احاطوا به وضربه مصاد اخو شبيب

ضربة

اليه جمع عسكرا وقصدها فقتلها آخذا بثار ابيه وكان ملكها ستة أشهر واختلف عظماء الفرس فيمن يولونه الملك فلم يجدوا غير رجل من عقب اردشير ابن بابك اسمه (كسرى) فملكوه ولم يلق به الملك فقتلوه بعد ايام فلم يجدوا من يملكونه من بيت الملك فوجدوا رجلا يقال له فيروز يزعم انه من نسل انوشروان فملكوا (فيروز) المذكور ووضعوا التاج على رأسه وكان رأسه ضخما فقال ما اضيق هذا التاج فتطير العظماء من افتتاح كلامه بالضيق وقالوا هذا لا يصلح للملك فقتلوه ثم ملكوا مكانه (فرخ زاد خسرو) من اولاد انوشروان ملك ثلاثة أشهر ثم ملك بعده (يزدجرد بن شهريار) الساسانى وكان مختفيا باصطخر لما قتل أبوه مع اخوته حسبما ذكرناه آنفا وكان ملك يزدجرد المذكور كالخيال بالنسبة الى ملك آبائه وكانت الوزراء تدبر ملكه وضعف ملك فارس واجترأ عليهم أعداؤهم وغزا المسلمون بلادهم وكان رستم الشديد الارمنى وزيره وقائد جيوشه فقال له خذ من الخزائن والسلاح والعساكر ما تريد

ضرب به بالسيف استدارلها وقال وكان امر الله مفعولا ثم ان الناس قتلوه ووقع عبد الرحمن فاتاه ابن أبي سبرة الجعفي وهو على بغله فعرفه فاركبه معه ونادى في الناس الحقوا بدير ابي مريم ثم انطلقوا ذاهبين ورأى واصل السكوني فرس عبد الرحمن التي اعطاها له الجزل يجول في العسكر فاخذها بعض اصحاب شبيب فظن انه قتل فطلبه في القتلى فلم يجده فسأل عنه فاعطى خبره فاتبعه واصل على برذونه ومعه غلامه على بغل فلما دنا منهم مانزل عبد الرحمن وابن أبي سبرة ليقاتلا فلما رآهما واصل عرفهما وقال انكما تركتما النزول في موضعه فلا تنزلا الآن وحسر عمامته عن وجهه فعرفاه وقال لابن الاشعث قد اتيتك بهذا البرذون لتركبه فركبه وسار حتى نزل دير البقار وأمر شبيب أصحابه فرفعوا السيف عن الناس ودعاهم الى البيعة فبايعوه وقتل من كندة يومئذ مائة وعشرون وقتل معظم العرفاء وبات عبد الرحمن بدير البقار فاتاه فارسان فصعدا اليه فخلا احدهما بعبد الرحمن طويلا ثم نزلا فتبين ان ذلك الرجل كان شبيبا وقد كان بينه وبين عبد الرحمن مكاتبة وسار عبد الرحمن حتى أتى دير ابي مريم فاجتمع الناس اليه وقالوا له ان سمع شبيب بمكانك اتاك فكنت له غنيمة فخرج الى الكوفة واختفى من الحجاج حتى اخذ له الامان منه

(ذكر ضرب الدراهم والدنانير الاسلامية)

وفي هذه السنة ضرب عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم وهو أول من أحدث ضربها في الاسلام فانتفع الناس بذلك وكان سبب ضربها انه كتب في صدور الكتب الى الروم قل هو الله احد وذكر النبي صلى الله عليه وسلم مع التاريخ فكتب اليه ملك الروم انكم قد أحدثتم كذا وكذا فاتركوه والا أتاكم في دنانيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون فعظم ذلك عليه فاحضر خالد بن يزيد بن معاوية فاستشاره فيه فقال حرم دنانيرهم واضرب للناس سكة فيها ذكر الله تعالى فضرب الدنانير والدراهم ثم ان الحجاج ضرب الدراهم ونقش فيها قل هو الله أحد فكره الناس ذلك لمكان القرآن لان الجنب والحائض يمسها ونهى ان يضرب أحد غيره فضرب سمير اليهودي فاخذه ليقتله فقال له عيار دراهمي أجود من دراهمك فلم تقتلني فلم يتركه فوضع للناس صنج الاوزان ليتركه فلم يفعل وكان الناس لا يعرفون الوزن انما يزنون بعضها ببعض فلما وضع لهم سمير الصنج كف بعضهم عن غبن بعض وأول من شدد في أمر الوزن وخلاص الفضة ابلغ من تخليص من قبله عمر بن هبيرة أيام يزيد بن عبد الملك وجود الدراهم وخلص العيار واشتد فيه ثم كان خالد بن عبد الله القسري ايام هشام بن عبد الملك فاشتد أكثر من ابن هبيرة ثم ولي يوسف بن عمر فافرط في الشدة فامتحن يوما العيار فوجد درهما ينقص حبة فضرب كل صانع ألف سوط وكانوا مائة صانع فضرب في حبة مائة ألف سوط وكانت الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بني أمية ولم يكن المنصور يقبل في الخراج غيرها فسميت الدراهم الاولى مكروهة وقيل ان المكروهة الدراهم التي ضربها الحجاج ونقش عليها قل هو الله أحد فكرهها العلماء لاجل مس الجنب والحائض وكانت دراهم الاعاجم مختلفة كبارا وصغارا وكانوا يضربون مثقالا وهو وزن عشرين قيراطا ومنها وزن اثني عشر قيراطا ومنها وزن عشرة قراريط وهي أصناف المثاقيل فلما ضرب الدراهم في الاسلام أخذوا عشرين قيراطا واثني عشر قيراطا وعشرة قراريط فوجدوا ذلك اثنين وأربعين قيراطا فضربوا على الثلث من ذلك وهو أربعة

واكفني أمر العرب النازلين بلادنا فذهب رستم في مائتي الف مقاتل مع خمسة آلاف أمير ندور عليهم رحا الحرب ونقضت دهاقنة العراق عهودهم مع المسلمين فوصل الخبر الى أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه فوجه العساكر المنصورة من المدينة المحمدية مستمدا من الحضرة النبوية صلوات الله عليه وسلامه وسعد بن أبي وقاص صاحب الجيش فلما اجتمع عساكر المسلمين مع عسكر رستم رأى رستم رؤيا هالته وكان منجما كأن هذا كأن يزدجرد يجمع السلاح من ممالك فارس ويعطيها النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعطيه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وهو يقسمها بين العساكر الاسلامية فازداد رستم غما لحين وكان يكره حرب العرب فلما التقى الفريقان وتزاحف الناس اقتتلوا اياما فهرب رستم ورمى نفسه في نهر العتيق فاقتحم هلال بن علقمة رضي الله عنه النهر فاخرجه منه الى البر فقتله ثم صعد الى السرير وصاح قتلت رستما ورب الكعبة وفي المستطرف ان عمرو بن معديكرب الزبيدي

عشر قيراطا فوزن الدرهم العربي أربعة عشر قيراطا فصار وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل
وقيل ان مصعب بن الزبير ضرب دراهم قليلة أيام أخيه عبد الله بن الزبير ثم كسرت بعد ذلك
أيام عبد الملك والاول أصح في ان عبد الملك أول من ضرب الدراهم والدنانير

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة وفد يحيى بن الحكم على عبد الملك وفيها ولى عبد الملك المدينة ابان بن عثمان وفيها
ولد مروان بن محمد بن مروان وأقام الحج للناس هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير المدينة
وكان على العراق الحجاج وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد وعلى قضاء الكوفة شريح
وعلى قضاء البصرة زرارة بن أوفى وفيها غزا محمد بن مروان الروم من ناحية ملطية وفيها
مات حبة بن جوين العرني صاحب علي (حبة بالحاء المهملة وبالباء الموحدة وهو منسوب الى
عرنة بالعين المهملة المضمومة والراء المهملة والنون)

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين)

(ذكر محاربة شبيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقتلهما)

وفي هذه السنة قتل شبيب عتاب بن ورقاء الرياحي وزهرة بن حوية وسبب ذلك ان شبيبا لما
هزم الجيش الذي كان وجهه الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وقتل عثمان بن قطن كان
ذلك في حر شديد وأتى شبيب ماه بهراذان فصيف بها ثلاثة أشهر وأتاه ناس كثير ممن يطلب
الدنيا وممن كان الحجاج يطلبهم بمال أو تبعات فلما ذهب الحر خرج شبيب في نحو ثمانمائة رجل
فاقبل نحو المدائن وعليها مطرف بن المغيرة بن شعبة فجاء حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان فكتب
عظيم بابل مهرون الى الحجاج بذلك فلما قرأ الكتاب قام في الناس فقال أيها الناس لتقاتلن عن
بلادكم وعن فيئكم أو لابعثن الى قوم هم اطوع واصبر على اللأواء والقيظ منكم فيقاتلون
عدوكم ويأكلون فيئكم فقام اليه الناس من كل جانب ومكان فقالوا نحن نقاتلهم ونعتب
الامير فلينتدبنا الامير اليهم وقام اليه زهرة بن حوية وهو شيخ كبير لا يستتم قائما حتى يؤخذ بيده
فقال أصلح الله الامير انما تبعث اليهم الناس متقطعين فاستنفر الناس اليهم كافة وابعث اليهم
رجلا شجاعا مجربا ممن يرى الفرار هضما وعارا والصبر مجدا وكرما فقال الحجاج فانت ذلك الرجل
فاخرج فقال زهرة أصلح الله الامير انما يصلح الرجل يحمل الدرع والرمح ويهز السيف
ويثبت على الفرس وانا لا اطيق من هذا شيأ وقد ضعف بصري ولكن أخرجني مع الامير
في الناس فاكون معه وأشير عليه برأيي فقال الحجاج جزاك الله خيرا عن الاسلام وأهله في أول
أمرك وآخره فقد نصحت ثم قال أيها الناس سيروا بأجمعكم كافة فانصرف الناس يتجهزون
ولا يدرون من أميرهم وكتب الحجاج الى عبد الملك يخبره ان شبيبا قد شارف المدائن وانه يريد
الكوفة وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة يقتل أمراءهم ويهزم جنودهم
ويطلب اليه ان يبعث اليه جندا من الشام يقاتلون الخوارج ويأكلون البلاد فلما أتى
الكتاب بعث اليه عبد الملك سفيان بن الابرد الكلبي في أربعة آلاف وحبيب بن عبد الرحمن
الحكمي في الفين فبعث الحجاج الى عتاب بن ورقاء الرياحي وهو مع المهلب يستدعيه وكان
عتاب قد كتب الى الحجاج يشكو من المهلب ويسأله ان يضمه اليه لان عتابا طلب من المهلب

ان

صاحب الصمصامة حمل
يوم القادسية على رستم
وكان رستم على فيل فضرب
عمرو الفيل فقطع عرقوبه
فسقط رستم وسقط الفيل
عليه مع خرج كان فيه
أربعون ألف دينار فقتل
رستم وانهزمت العجم وقد
بلغ ثمن تاجه مائة ألف دينار
فهزموهم وطاردوهم وفر
يزدجرد الى أرض الجبال
وبعث خزائنه الى الصين
ولم يجتمع شملهم فقتل منهم
ثلاثون ألفا وكان قتل رستم
سنة أربع عشرة من
الهجرة وغزا المسلمون
بلادهم في خلافة عثمان
رضي الله عنه وقتل يزدجرد
بعد ذلك بمدة وكان عمره الى
ان قتل عشرين سنة وهو
آخر من ملك من ملوك
الفرس وزال ملكهم
بالاسلام زوالا لا يرجى
له القيام وكانت عدة ملوك
الفرس من كيومرث الى
يزدجرد المذكور ثمانين
ملكا منهم ثلاث نسوة والله
أعلم بغيبه واحكم فسبحان
من لا يزول ملكه

*(الفصل الثاني في ذكر
ملوك الهند وأنسابها
وبدء ممالكها وآرائها)*

ذكر المسعودي في مروج
الذهب ان الهند كانت فيها
الصلاح والحكمة فانه

أن بن زق أهل الكوفة الذين معه من مال فارس فأبى عليه وجرت بينهم ما منافرة فكادت تؤدى الى الحرب فدخل المغيرة بن المهلب بينهما فاصلح الامر والزم أبا بن زق اهل الكوفة فاجابه الى ذلك وكتب يشكو منه فلما ورد كتابه سر الحجاج بذلك واستدعاه ثم جمع الحجاج اهل الكوفة واستشارهم فيمن يوليه امر الجيش فقالوا رأيك افضل فقال قد بعثت الى عتاب وهو قادم عليكم الليلة أو القابلة فقال زهرة أيها الامير ارميتهم بحجرهم والله لا نرجع اليك حتى تظفروا ونقتل وقال له قبيصة بن والق ان الناس قد تحدثوا ان جيشا قد وصل اليك من الشأم وان اهل الكوفة قد هزموا وهان عليهم الفرار فقلوبهم كانها ليست فيهم فان رأيت ان تبعث الى اهل الشام ليأخذوا حذرهم ولا يثبتوا الا وهم محناطون فانك تحارب حولا قلبا ظعانا رحالا وقد جهزت اليهم اهل الكوفة ولست واثقا بهم كل الثقة وان شبيبا بيناهو فى ارض اذا هو فى اخرى ولا آمن ان يأتى اهل الشام وهم آمنون فان يهلكوا نهلك ويهلك العراق فقال له لله ابوك ما احسن ما اشرت به وارسل الى اهل الشام يحذرهم ويأمرهم ان يأتوا على عين التمر ففعلوا وقدم عتاب بن ورقاء تلك الليلة فبعثه الحجاج على ذلك الجيش فعسكر بحمام أعين واقبل شبيب حتى انتهى الى كلواذى فقطع فيها دجلة ثم سار حتى نزل مدينة بهرشير الدنيا فصار بينه وبين مطرف دجلة وقطع مطرف الجسر وبعث الى شبيب أن ابعث الى رجالا من وجوه اصحابك ادارسهم القرآن وأنظر فيما يدعون اليه فبعث اليه قعنب بن سويد والمحلل وغيرهما وأخذ منه رهائن الى ان يعودوا فاقاموا عنده اربعة أيام ثم لم يتفقوا على شئ فلما لم يتبعه مطرف تهيأ للمسير الى عتاب وقال لاصحابه انى كنت عازما ان آتى أهل الشام جريدة واقاتلهم على غرة قبل ان يتصلوا بامير مثل الحجاج ومصر مثل الكوفة فثبطنى عنهم مطرف وقد جاءتنى عيونى فاخبرونى ان أوائلهم قد دخلوا عين التمر فهم الآن قد شارفوا الكوفة وقد أخبرونى ان عتابا ومن معه بالبصرة فما اقرب ما بيننا وبينه فتيسروا للمسير الى عتاب وخاف مطرف بن المغيرة ان يبلغ خبره مع شبيب الى الحجاج فخرج نحو الجبال فارسل شبيب اخاه مصادا الى المدائن وعقد الجسر واقبل عتاب اليه حتى نزل بسوق حكمة وقد خرج معه من المقاتلة أربعون الفا ومن الشباب والاتباع عشرة آلاف فكانوا خمسين ألفا وكان الحجاج قد قال لهم حين سار وان للسائر المجتهد الكرامة والاثرة وللهارب الهوان والجفوة والذى لا اله غيره لئن فعلتم فى هذه المواطن كفعلكم فى المواطن الاخر لاولينكم كنفا خشنا ولاعركنكم بكلكل ثقيل فلما بلغ عتاب سوق حكمة أتاه شبيب وكان أصحابه بالمدائن ألف رجل فحثهم على القتال وسار بهم فتخلف عنه بعضهم ثم صلى الظهر بساباط وصلى العصر وسار حتى اشرف على عتاب وعسكره فلما رآهم نزل فصلى المغرب وكان عتاب قد عبى اصحابه فجعل فى الميمنة محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وقال يا ابن أخى انك شريف صابر فقال والله لاصبرن ما ثبت معى انسان وقال لقبيصة بن والق الثعلبى اكفنى الميسرة فقال انا شيخ كبير لا استطيع القيام الا ان أقام فجعل عليها نعيم بن عليم وبعث حنظلة بن الحرث اليربوعى وهو ابن عمه وشيخ أهل بيته على الرجالة وصفهم ثلاث صفوف صف فيهم أصحاب السيوف وصف فيهم أصحاب الرماح وصف فيهم الرماة ثم سار فى الناس يحرضهم على القتال ويقص عليهم ثم قال أين القصاص فلم يجبه أحد ثم قال أين من يروى شعر

نخبات الاجمال وتحزبت الاحزاب فيهم فقال كبراؤهم نحن أهل البدء وفينا التناهى وفينا هبط آدم عليه السلام من الجنة ومنا سرى الى الارض فالرياسة لنا ونصبت لها ملكا وهو (البهرمن الاكبر) والملك الاعظم ظهرت فى ايامه الحكمة وتقدمت الاطباء والعلماء واستخرجوا الحديد من المعادن وضربت فى أيامه السيوف والخناجر وا كثر من أنواع المقاتلة وسبل الهياكلة ورصعها بالجواهر المنيرة وصور فيها الافلاك والبروج وكيفية العالم فكانت مدة ملكه الى ان هلك ثلثمائة سنة وستين سنة وولده يعرفون بالبراهمة والهند تعظمهم وهم اعلى اجناسهم واشرفهم ولا يأكلون شيأ من الحيوان ولما هلك أكبرهم جزعت عليه الهند جزعا شديدا وملك ابنه (الباهبوذ) فسار فيهم بسيرة أبيه وقدم الحكماء وزاد فى مراتبهم فكان مدة ملكه الى ان هلك مائة سنة وفى أيامه عمل النرد وأحدث اللعب بها وجعل ذلك مثالا للمكاسب وانها لا تنال بالحيل فى هذه الدنيا وان الرزق لا يتأتى فيها بالحذق

عنترة فلم يجبه أحد فقال انا لله كانى بكم قد فررتم عن عتاب بن ورقاء وتركتموه تسفى فى استه
الريح ثم أقبل حتى جلس فى القلب ومعه زهرة بن حوية جالس وعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث
وأبو بكر بن محمد بن أبى جهم العدوى وأقبل شبيب وهو فى ستمائة وقد تخلف عنه من أصحابه
أربعمائة فقال لقد تخلف عنا من لا أحب ان يرى فينا فجعل سويد بن سليم فى مائتين فى الميسرة
وجعل المحلل بن وائل فى مائتين فى القلب ومضى هو فى مائتين الى الميمنة بين المغرب والعشاء
الآخرة حين اضاء القمر فناداهم لمن هذه الرايات فقالوا رايات ربيعة قال طالما نصرت الحق
وطالما نصرت الباطل والله لاجاهدنكم محتسبا انا شبيب لا حكم الا لله للحكم اثبتوا ان شئتم ثم
حمل عليهم ففضهم فثبت اصحاب رايات قبيصة بن والق وعبيد بن الحليس ونعيم بن عليم فقتلوا
وانهزمت الميسرة كلها ونادى الناس من بنى تغلبة قتل قبيصة وقال شبيب قتلتموه ومثله كما قال
الله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ثم وقف عليه وقال ويحك لو ثبت على
اسلامك الاول سعدت وقال لاصحابه ان هذا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم ثم جاء
يقاتلكم مع الفسقة ثم ان شبيبا حمل من الميسرة على عتاب وحمل سويد بن سليم على الميمنة
وعليها محمد بن عبد الرحمن فقاتلهم فى رجال من تميم وهمدان فما زالوا كذلك حتى قيل لهم قتل
عتاب فانفضوا ولم يزل عتاب جالسا على طنفسة فى القلب ومعه زهرة بن حوية حتى غشيهم
شبيب فقال عتاب يا زهرة هذا يوم كثر فيه العدد وقل فيه الغناء والهفى على خمسمائة فارس
من تميم من جميع الناس ألا صابر لعدو ألا مواس بنفسه فانفضوا عنه وتركوه فقال زهرة
أحسنت يا عتاب فعلت فعلا لا يفعله مثلك أبشر فانى أرجو أن يكون الله جل ثناؤه قد أهدى
الينا الشهادة عند فناء اعمارنا فلما دنا منه شبيب وثب فى عصابة قليلة صبرت معه وقد ذهب
الناس فقيل له ان عبد الرحمن بن الاشعث قد هرب وتبعه ناس كثير فقال ما رأيت ذلك الفتى
يبالى ما صنع ثم قاتلهم ساعة فرآه رجل من اصحاب شبيب يقال له عامر بن عمرو التغلبى فحمل
عليه فطعنه ووطئت الخيل زهرة بن حوية فاخذ يذب بسيفه لا يستطيع ان يقوم فجاء الفضل
ابن عامر الشيبانى فقتله فانتهى اليه شبيب فرآه صريعا فعرفه فقال هذا زهرة بن حوية أما
والله لئن كنت قتلت على ضلالة لرب يوم من ايام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك وعظم فيه غناؤك
ولرب خيل للمشركين هزمتها وقرية من قراهم جم أهلها قد افتتحتها ثم كان فى علم الله انك تقتل
ناصرا للظالمين وتوجع له فقال له رجل من أصحابه انك لتتوجع لرجل كافر فقال انك لست
باعرف بضلالتهم منى ولكنى أعرف من قديم أمرهم ما لا تعرف ما لو ثبتوا عليه لكانوا اخواننا
فاستمكن شبيب من أهل العسكر والناس فقال ارفعوا السيف ودعاهم الى البيعة فبايعه
الناس وهربوا من تحت ليلتهم وحوى ما فى العسكر وبعث الى أخيه فاتاه من المدائن وأقام
شبيب بعد الوقعة ببيت قرة يومين ثم سار نحو الكوفة فنزل بسورا وقتل عاملها وكان سفيان بن
الابرد وعسكر الشام قد دخلوا الكوفة فشدوا ظهر الحجاج واستغنى به وبعسكره عن أهل
الكوفة فقام على المنبر فقال يا أهل الكوفة لا أعز الله من أراد بكم العز ولا نصر من أراد بكم
النصر اخرجوا عنا لا تشهدوا معنا قتال عدونا انزلوا بالحيرة مع اليهود والنصارى ولا يقاتل
معنا الا من لم يشهد قتال عتاب

ثم ملك مكانه (رامان) بعد
الباهبوذ فكان مدة ملكه
مائة سنة وخمسين سنة وله
سير واخبار وحروب مع
ملوك الفرس وملوك
الصين ثم ملك بعده (فور)
وهو الذى حارب الاسكندر
فقتله الاسكندر مبارزة
فكان ملك فور الى ان هلك
مائة وأربعين سنة ثم ملك
بعده (ديشليم) وهو الواضع
كتاب كليلة ودمنة الذى
ترجمه ابن المقفع بلسان
العربية من لسان الهند
وكان مدة ملكه مائة سنة
وعشرين سنة ثم ملك بعده
(بلهيث) ووضع فى ايامه
الشطرنج والواضع له صصه
ابن داهر الهندى فقضى
بلعبها على النرد وبين
الظفر الذى ينال الحازم
والنكبة التى تلحق الخامل
وكان مدة ملكه ثمانين
سنة ثم ملك بعده (كورش)
فاحدث للهند آراء فى
الديانات على حسب ما رأى
من صلاح الوقت وخرج
من مذاهب من سلف وعمل
له كتاب فى معرفة العلل
والعلاجات وشكلت
الحشائش وصورت وكان
مدة ملكه مائة وعشرين
سنة ولما هلك اختلفت
الهند فى آرائها وانفرد كل

(ذكر قدوم شبيب الكوفة أيضا وانهزامه عنها)

ثم سار شبيب من سورا فنزل حمام أعين فدعا الحجاج الحرث بن معاوية الثقفي فوجهه في ناس
من الشرط لم يشهدوا يوم عتاب وغيرهم فخرج في نحو الف فنزل زرارة فبلغ ذلك شبيبا فعجل الى
الحرث بن معاوية فلما انتهى اليه حمل عليه فقتله وانهزم اصحابه وجاء المنهزمون فدخلوا
الكوفة وجاء شبيب فعسكر بناحية الكوفة واقام ثلاثا فلم يكن في اليوم الاول غير قتل
الحرث فلما كان اليوم الثاني اخرج الحجاج مواليه فاخذوا بافواه السكك وجاء شبيب فنزل
السبخة وابتنى بها مسجدا فلما كان اليوم الثالث اخرج الحجاج أبا الورد مولاه عليه تجفاف
ومعه غلمان له وقالوا هذا الحجاج فحمل عليه شبيب فقتله وقال ان كان هذا الحجاج فقد ارحتكم
منه ثم اخرج الحجاج غلامه طهمان في مثل تلك العدة والحالة فقتله شبيب وقال ان كان هذا
الحجاج فقد ارحتكم منه ثم ان الحجاج خرج ارتفاع النهار من القصر فطلب بغلا يركبه الى
السبخة فأتى ببغل فركبه ومعه اهل الشام فخرج فلما راى الحجاج شبيبا واصحابه نزل وكان شبيب
في ستمائة فارس فاقبل نحو الحجاج وجعل الحجاج سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف على افواه السكك
في جماعة الناس ودعا الحجاج بكرسي فقعد عليه ثم نادى أهل الشام أنتم أهل السمع والطاعة
واليقين فلا يغلبن باطل هؤلاء الارجاس حقكم غضوا الابصار واجثوا على الركب
واستقبلوهم باطراف الاسنة ففعلوا واشرعوا الرماح وكانهم حرة سوداء واقبل شبيب في ثلاثة
كراديس كتيبة معه وكتيبة مع سويد بن سليم وكتيبة مع المحلل بن وائل وقال لسويد احمل
عليهم في خيلك فحمل عليهم فثبتوا له ووثبوا في وجهه باطراف الرماح فطعنوه حتى انصرف
هو وأصحابه وصاح الحجاج هكذا فافعلوا وأمر بكرسيه فقدم وأمر شبيب المحلل فحمل عليهم
ففعلوا به كذلك فناداهم الحجاج هكذا فافعلوا وأمر بكرسيه فقدم ثم ان شبيبا حمل عليهم في
كتيبته فثبتوا له وصنعوا به كذلك فقاتلهم طويلا ثم ان اهل الشام طاعنوه حتى الحقوه باصحابه
فلما رأى صبرهم نادى ياسويد احمل عليهم باصحابك على اهل هذه السكة لعلك تزيل اهلها وتأتي
الحجاج من ورائه ونحمل نحن عليه من امامه فحمل سويد فرمى من فوق البيوت وافواه السكك
فرجع وكان الحجاج قد جعل عروة بن المغيرة بن شعبة في ثلاثمائة رجل من اهل الشام ردأ له لئلا
يؤتوا من خلفهم فجمع شبيب أصحابه ليحمل بهم فقال الحجاج اصبروا لهذه الشدة الواحدة ثم هو
الفتح فجثوا على الركب وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه فوثبوا في وجهه ومازالوا يطاعنونه
ويضاربونه قدما ويدفعونه واصحابه حتى اجازوهم مكانهم وامر شبيب أصحابه بالنزول فنزل
نصفهم وجاء الحجاج حتى انتهى الى مسجد شبيب ثم قال يااهل الشام هذا اول الفتح وصعد المسجد
ومعه جماعة معهم النبل ليرموهم ان دنوا منه فاقتتلوا عامة النهار اشد قتال رآه الناس حتى أقر
كل واحد من الفريقين لصاحبه ثم ان خالد بن عتاب قال للحجاج ائذن لي في قتالهم فاني موتور
فاذن له فخرج ومعه جماعة من أهل الكوفة وقصد عسكرهم من ورائهم فقتل مصادا اخا شبيب
وقتل امرأته غزالة وحرق في عسكره واتى الخبر الحجاج وشبيبا فكبر الحجاج وأصحابه واما شبيب
فركب هو واصحابه وقال الحجاج لاهل الشام احملوا عليهم فانهم قد أتاهم ما أرعبهم فشدوا عليهم
فهزموهم وتخلف شبيب في حامية الناس فبعث الحجاج الى خيله ان دعوه فتركوه ورجعوا ودخل

رئيس بناحية خلك على ارض السند ملك وملك على ارض الفتوح ملك وملك على ارض قشمير ملك وثم ملك مدينة الماذكين وهي الحوزة الكبرى ملك يسمى (البلهرا) وهذا أول ملك سمي بهذا الاسم فصارت سمة ان ولي هذه الحوزة من الملوك والملك مقصور في اهل بيت لا ينتقل عنهم الى غيرهم كذلك بيت الوزارة ومن عادة ملوكهم وخاصتهم وعامتهم انهم لا يرون حبس الريح في اجوافهم وليس هو عندهم عيبا واقبح ما يكون عندهم السعال والجشوة لان الريح واحدة في الجوف وانما تختلف اسماؤها باختلاف مخارجها فما يذهب صاعدا اسمي جشاء وما يذهب سافلا سمي فسوا ولا فرق بينهما الا باعتبار المخارج واعظم ملوك الهند في وقتنا هذا (جلال الدين الاكبر) وغالب ملوك الهند تتوجه اليه وله جيوش وفيلة لا يدري كثرتها واكثر اهل الهند يحرقون امواتهم ويذرون رمادهم في الرياح لغرض يذكرونه في المستقبل وفي الهند نهر يسمى بالكنك وهو نهر حاد الانصباب سريع الجريان بحيث يخطف

الحجاج الكوفة فصعد المنبر ثم قال والله ماقوتل شبيب قبلها ولى والله هاربا وترك امرأته يكسر في استها القصب ثم دعا حبيب ابن عبد الرحمن الحكمي فبعثه في ثلاثة آلاف فارس من اهل الشام في اثر شبيب وقال له احذر بياته وحيث لقيته فانزله فان الله تعالى قد فل حده وقصم نابه فخرج في أثره حتى نزل الانبار وكان الحجاج قد نادى عند انهزامهم من جاء منكم فهو آمن فتفرق عن شبيب ناس كثير من اصحابه فلما نزل حبيب الانبار أتاهم شبيب فلما دنا منهم نزل فصلى المغرب وكان حبيب قد جعل أصحابه ارباعا وقال لكل ربع منهم ليمنع كل ربع منكم جانبه فان قاتل هذا الربع فلا يعنهم الربع الآخر فان الخوارج قريب منكم فوطنوا أنفسكم على انكم مبيتون ومقاتلون فاتاهم شبيب وهم على تعبية فحمل على ربع فقاتلهم طويلا فمازالت قدم انسان عن موضعها ثم تركهم واقبل الى ربع آخر فكانوا كذلك ثم أتى ربعا آخر فكانوا كذلك ثم الربع الرابع فما برح يقاتلهم حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل ثم نازلهم راجلا فسقطت منهم الايدي وكثرت القتلى وفقئت الاعين وقتل من أصحاب شبيب نحو ثلاثين رجلا ومن اهل الشام نحو مائة واستولى التعب والاعياء على الطائفتين حتى ان الرجل ليضرب بسيفه فلا يصنع شيأ وحتى ان الرجل ليقاتل جالسا فما يستطيع ان يقوم من التعب فلما يئس شبيب منهم تركهم وانصرف عنهم ثم قطع دجلة واخذ في ارض جوخى ثم قطع دجلة مرة أخرى عند واسط ثم اخذ نحو الاهواز ثم الى فارس ثم الى كرمان ليستريح هو ومن معه وقيل في هزيمته غير ذلك وهو ان الحجاج كان قد بعث الى شبيب اميرا فقتله ثم اميرا فقتله احدهما اعين صاحب حمام اعين ثم جاء شبيب حتى دخل الكوفة ومعه زوجته غزالة وكانت نذرت ان تصلي في جامع الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران واتخذ في عسكره اخصاصا فجمع الحجاج ليلا بعد ان لقي من شبيب الناس مالقوا فاستشارهم في امر شبيب فاطرقوا وفصل قتيبة من الصف فقال اتأذن لي في الكلام قال نعم قال ان الامير ماراقب الله ولا امير المؤمنين ولا نصح الرعية قال وكيف ذلك قال لانك تبعث الرجل الشريف وتبعث معه رعاعا فينهزمون ويستحيي ان ينهزم فيقتل قال فما الرأى قال الرأى ان تخرج اليه فتحاكمه قال فانظر لي معسكرا فخرج الناس يلعنون عنبسة بن سعيد لانه هو الذي كلم الحجاج فيه حتى جعله من صحابته وصلى الحجاج من الغد الصبح واجتمع الناس واقبل قتيبة وقد رأى معسكرا حسنا فدخل الى الحجاج ثم خرج ومعه لواء منشور وخرج الحجاج يتبعه حتى خرج الى السبخة وبها شبيب وذلك يوم الاربعاء فتواقفوا وقيل للحجاج لا تعرفه مكانك فاخفى مكانه وشبه له ابا الورد مولاه فنظر اليه شبيب فحمل عليه فضربه بعمود فقتله وحمل شبيب على خالد بن عتاب ومن معه وهو على ميسرة الحجاج فبلغ بهم الرحبة وحمل على مطر بن ناجية وهو على ميمنة الحجاج فكشفه فنزل عند ذلك الحجاج ونزل اصحابه وجلس على عباءة ومعه عنبسة بن سعيد فانهم على ذلك اذ تناول مصقلة بن مهلهل الضبي بلجام شبيب وقال ماتقول في صالح بن مصرح وبم تشهد عليه قال اعلى هذه الحال قال نعم قال فبرئ من صالح فقال له مصقلة برئ الله منك وفارقه الاربعين فارسا فقال الحجاج قد اختلفوا وارسل الى خالد بن عتاب فاتى بهم في عسكرهم فقاتلهم فقتلت غزالة ومر برأسها الى الحجاج مع فارس فعرفه شبيب فامر رجلا فحمل على الفارس فقتله وجاء بالرأس فامر به فغسل ثم دفنه ومضى القوم على حاميتهم

ورجع

البصر عليه وتعذب اكثر اهل الهند انفسها بالحديد وتفرقها زهدا في العالم ورغبة في النقل عنه وذلك انهم يقصدون موضعا في اعالي هذا النهر وهناك جبال عالية واشجار عادية على حافة هذا النهر ورجال عندهم جلوس وحدائد وسيوف منصوبة على تلك الشجرة وقطع من الخشب منجورة فتاتيهم اهل الهند من الممالك النائية والبلدان القاصية فيسمعون كلام أولئك الرجال المرتبين على هذا النهر ومايقولون من تزهيدهم في هذا العالم والترغيب فيما سواه فيطرحون انفسهم من اعالي تلك الجبال العالية على تلك الاشجار العادية والسيوف والحديد المنصوبة فيتقطعون قطعا ويصيرون الى هذا النهر اجزاء وماذكرناه مشهور عندهم واهل الهند تعذب نفسها بانواع العذاب وقد تيقنت لما ينالها من النعيم في المستقبل فيصير الواحد الى باب الملك فيستأذن في احراقه لنفسه فيدور في الاسواق وقد اججت له النار العظيمة وعليها من قد وكل بما يقدها ثم يسير في الاسواق وقدامه

ورجع خالد فاخبر الحجاج بانصرافهم فامره باتباعهم فاتبعهم يحمل عليهم فرجع اليه ثمانية نفر فقاتلوه حتى بلغوا به الرحبة واتى شبيب بخوط بن عمير السدوسى فقال يا خوط لا حكم الا لله فقال ان خوطا من اصحابكم ولكنه كان يخاف فاطلقه واتى بعمير بن القعقاع فقال يا عمير لا حكم الا لله فقال فى سبيل الله شبابى فرد عليه شبيب لا حكم الا لله فلم يفقه ما يريد فقتله وقتل مصاد أخو شبيب وجعل شبيب ينتظر الثمانية الذين اتبعوا خالدا فابطؤا ولم يقدم اصحاب الحجاج على شبيب هيبة له واتى الى شبيب أصحابه الثمانية فسار واتبعهم خالد وقد دخلوا الى دير بناحية المدائن فحصرهم فيه فخرجوا عليه فهزموه نحو فرسخين فالقوا أنفسهم فى دجلة منهزمين وألقى خالد نفسه فيها بفرسه ولواؤه بيده فقال شبيب قاتله الله هذا أشد الناس فقيل هو خالد بن عتاب فقال معرق فى الشجاعة ولو عرفته لاقتحمت خلفه ولو دخل النار ثم سار الى كرمان على ما تقدم ذكره وكتب الحجاج الى عبد الملك يستمده ويعرفه عجز أهل الكوفة عن قتال شبيب فسير سفيان ابن الابرد فى جيش اليه

(ذكر مهلك شبيب)

وفى هذه السنة هلك شبيب وكان سبب ذلك ان الحجاج انفق فى اصحاب سفيان بن الابرد مالا عظيما بعد ان عاد شبيب عن محاربتهم وقصد كرمان بشهرين وامر سفيان واصحابه بقصد شبيب فصار نحوه وكتب الحجاج الى الحكم بن ايوب زوج ابنته وهو عامله على البصرة يامره ان يرسل اربعة آلاف فارس من اهل البصرة الى سفيان فسيرهم مع زياد بن عمرو العتكى فلم يصل الى سفيان حتى التقى سفيان مع شبيب وكان شبيب قد اقام بكرمان فاستراح هو واصحابه ثم اقبل راجعا فالتقى مع سفيان بجسر دجيل الاهواز فعبر شبيب الجسر الى سفيان فوجد سفيان قد نزل فى الرجال وجعل مهاصر بن سيف على الخيل واقبل شبيب فى ثلاثة كراديس فاقتتلوا اشد قتال ورجع شبيب الى المكان الذى كان فيه ثم حمل عليهم هو واصحابه اكثر من ثلاثين حملة ولا يزول اهل الشام وقال لهم سفيان لا تتفرقوا وليزحف الرجال اليهم زحفا فما زالوا يضاربونهم ويطاعنونهم حتى اضطروهم الى الجسر فلما انتهى شبيب الى الجسر نزل ونزل معه نحو مائة فقاتلوهم حتى المساء واوقعوا باهل الشام من الضرب والطعن ما لم يروا مثله فلما رأى سفيان عجزه عنهم وخاف ان ينصروا عليه امر الرماة ان يرموهم وذلك عند المساء وكانوا ناحية فتقدموا ورموا شبيبا ساعة فحمل هو واصحابه على الرماة فقتلوا منهم أكثر من ثلاثين رجلا ثم عطف على سفيان ومن معه فقاتلهم حتى اختلط الظلام ثم انصرف فقال سفيان لاصحابه لا تتبعوهم فلما انتهى شبيب الى الجسر قال لاصحابه اعبروا واذا اصبحنا باكرناهم ان شاء الله فعبروا امامه وتخلف فى آخرهم وجاء ليعبر وهو على حصان وكانت بين يديه فرس انثى فنزا فرسه عليها وهو على الجسر فاضطربت الجر تحته ونزل حافر فرس شبيب على حرف السفينة فسقط فى الماء فلما سقط قال ليقضى الله امرا كان مفعولا وانغمس فى الماء ثم ارتفع وقال ذلك تقدير العزيز العليم وغرق وقيل فى قتله غير ذلك وهو انه كان مع جماعة من عشيرته ولم تكن لهم تلك البصيرة النافذة وكان قد قتل من عشائرهم رجالا فكان قد اوجع قلوبهم وكان منهم رجل اسمه مقاتل من بنى تيم ابن شيبان فلما قتل شبيب من بنى تيم أغار هو على بنى مرة بن همام رهط شبيب فقتل منهم فقال له

الطبول والصنوج وعلى بدنه انواع من خرق الحرير قد خرقها على نفسه وحوله أهله وقرابته وقد سلخ جلد رأسه ووضع عليه أكاليل من الريحان وقد جعل على بدنه الكبريت والسندروس وروائح دماغه تفوح وهو يمضغ ورق الفافل تجلدا فاذا أشرف على النار وقد صارت جمرا كالتل العظيم أخذ الخنجر فوضعه على فؤاده فشقه ثم ادخل يده الشمال فقبض على كبده فجذب منه قطعة وهو يتكلم فقطعها بالخنجر ودفعها الى بعض اخوانه تهاونا بالموت ولذة بالنقلة ثم هوى بنفسه فى النار واذا مات ملك من ملوكهم اوقتل نفسه احرق خلق كثير من الناس انفسهم لموته وللهند اخبار كثيرة عجيبة تجزع من سماعها النفوس

(الفصل الثالث فى ذكر ملوك الصين فى سالف الدهر والحين)

قد تنازع الناس فى انساب أهل الصين وبدئهم فذهب كثير منهم ان عامور بن شويل بن يافث بن نوح عليه السلام لما قسم الارض بين اولاده وانتشر واتى الارض

شبيب ما حملك على قتلهم بغير أمرى فقال له قتلت كفار قومى فقتلت كفارة ومن ديننا قتل
من كان على غير رأينا وما أصبت من رهطى أكثر مما أصبت من رهطك وما يحل لك يا امير
المؤمنين ان تجد على قتل الكافرين قال لا أجد وكان معه أيضا رجال كثير قد قتل من عشائرهم
فلما تخلف فى آخر الناس قال بعضهم لبعض هل لكم ان نقطع به الجسر فندرك ثارنا فقطعوا
الجسر فمالت به السفن فنفر به الفرس فوقع فى الماء فغرق والاول اصح واشهر وكان اهل الشام
يريدون الانصراف فاتاهم صاحب الجسر فقال لسفيان ان رجلا منهم وقع فى الماء فنادوا بينهم
غرق أمير المؤمنين ثم انهم انصرفوا راجعين وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد فكبر سفيان
وكبر أصحابه وأقبل حتى انتهى الى الجسر وبعث الى العسكر واذ ليس فيه أحد واذا هو أكثر
العساكر خيرا ثم استخرجوا شبيبا فشقوا جوفه واخرجوا قلبه وكان صلبا كانه صخرة فكان
يضرب به الصخرة فيثب عنها قامة الانسان قيل وكان شبيب ينعى الى امه فيقال قتل فلا تقبل
ذلك فلما قيل لها غرق صدقت ذلك وقالت انى رأيت حين ولدته انه خرج منى شهاب نار فعلمت انه
لا يطفئه الا الماء وكانت امه جارية رومية قد اشتراها ابوه فاولدها شبيبا منه سنة خمس وعشرين
يوم النحر وقالت انى رأيت فيما يرى النائم انه خرج من قلبى شهاب نار فذهب ساطعا فى السماء
وبلغ الآفاق كلها فبيناهو كذلك اذ وقع فى ماء كثير فخبا وقد ولدته فى يومكم هذا الذى تهريقون
فيه الدماء وقد اولت ذلك ان ولدى يكون صاحب دماء وان امره سيعلو فيه ظم سريعا وكان
ابوه يختلف به الى اللصف ارض قومه وهو من بنى شيبان

(ذكر خروج مطرف بن المغيرة بن شعبة)

قيل ان بنى المغيرة بن شعبة كانوا اصلحاء اشرافا بانفسهم مع شرف ابيهم ومنزلتهم من قومهم فلما
قدم الحجاج ورآهم علم انهم رجال قومهم فاستعمل عروة على الكوفة ومطرفا على المدائن وحمزة
على همذان وكانوا فى اعمالهم احسن الناس سيرة واشدهم على المريب وكان مطرف على المدائن
عند خروج شبيب وقربه منها كما سبق فكتب الى الحجاج يستمده فامده بسبرة بن عبد الرحمن بن
مخنف وغيره واقبل شبيب حتى نزل بهرسير وكان مطرف بالمدينة العتيقة وهى التى فيها ايوان
كسرى فقطع مطرف الجسر وبعث الى شبيب يطلب اليه ان يرسل بعض اصحابه لينظر فيما
يدعون فبعث اليه عدة منهم فسألهم مطرف عما يدعون اليه فقالوا ندعوا الى كتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم وان الذى نقمنا من قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود والتسلط
بالجبرية فقال لهم مطرف مادعوتم الا الى حق ومانقمتم الاجورا ظاهرا انا لكم متابع فبايعونى
على ما ادعوكم اليه ليجتمع امرى وامركم فقالوا اذكره فان يكن حقا نجبك اليه قال ادعوكم
الى ان نقاتل هؤلاء الظلمة على احداثهم وندعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه وان يكون هذا
الامر شورى بين المسلمين يؤمرون من يرتضون على مثل هذه الحال التى تركهم عليها عمر بن
الخطاب فان العرب اذا علمت انما يراد بالشورى الرضا من قريش رضوا وكثر تبعكم
وأعوانكم فقالوا هذا ما لا نجيبك اليه وقاموا من عنده وترددوا بينهم أربعة أيام فلم تجتمع
كلمتهم فساروا من عنده وأحضر مطرف نصحاءه وثقاته فذكر لهم ظلم الحجاج وعبد الملك وانه
مازال يؤثر مخالفتهم ومناهضتهم وانه يرى ذلك دينا لو وجد عليه أعوانا وذكر لهم ماجرى بينه

فصار واعدة ممالك فمنهم
الديلم والجيل والطيلسان
والبربر وفرغان واهل جبل
الفتح من انواع الامم فبنوا
المدن والضياع وكوروا
الكور ومصروا المدن
وكان اول من ملك عليهم
منهم (نسطرصاس) بن
عامور وكان دار ملكه مدينة
انهوا وهى مدينة عظيمة
وكان مدة ملكه ثلثمائة سنة
وفرق اهله فى تلك الديار
وشقق الانهار وقتل السباع
وغرس الاشجار واطعم الثمار
فلما هلك ملك ولده (غزوان)
فجعل جسد ابيه فى تمثال من
الذهب جزعا عليه وتعظيما
واجلسه على سرير من الذهب
مرصع بالياقوت والجوهر
واقبل يسجد لابيه وهو فى
جوف تلك الصورة هو
واهل مملكته فى طرفى النهار
اجلالا له وعاش مائتى سنة
وخمسين سنة فلما هلك ملك
ولده يقال له (غيزور)
فجعل جسد أبيه فى تمثال
من الذهب وجعله دون
مرتبته واجلسه على سرير
من الذهب فكان يبدأ
بالسجود للاول ثم لابيه مع
اهل مملكته فكان مدة
ملكه نحوا من مائتى سنة
ثم هلك فملك ولده (عينان)

وبين اصحاب شبيب وانهم لو تابعوه على رأيه بخلع عبد الملك والحجاج واستشارهم فيما يفعل
فقالوا له اخف هذا الكلام ولا تظهره لاحد فقال له يزيد بن ابى زياد مولى ابيه المغيرة بن شعبة
والله لا يخفى على الحجاج مما كان بينك وبينهم كلمة واحدة وليزادن على كل كلمة عشر امثالها
ولو كنت فى السحاب لالتمسك الحجاج حتى يهلكك فالنجاء النجاء فوافقه أصحابه على ذلك فسار
عن المدائن نحو الجبال فلقيه قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمى بدير يزدجرد فاحسن اليه واعطاه
نفقة وكسوة فصحبه ثم عاد عنه ثم ذكر مطرف لاصحابه بالدسكرة ما عزم عليه ودعاهم اليه وكان
رأيه خلع عبد الملك والحجاج والدعاء الى كتاب الله وسنة نبيه وان يكون الامر شورى بين المسلمين
يرضون لانفسهم من احبوه فبايعه البعض على ذلك ورجع عنه البعض وكان ممن رجع عنه
سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف فجاء الى الحجاج وقاتل شبيبا مع اهل الشام وسار مطرف نحو حلوان
وكان بها سويد بن عبد الرحمن السعدى من قبل الحجاج فاراد هو والاكراد منعه ليعذر عند
الحجاج فجازه مطرف بمواطأة منه واوقع مطرف بالاكراد فقتل منهم وسار فلما دنا من همذان
وبها اخوه حمزة بن المغيرة تركها ذات اليسار وقصد ماه دينار وارسل الى اخيه حمزة يستمده بالمال
والسلاح فارسل اليه سرا ما طلب وسار مطرف حتى بلغ قم وقاشان وبعث عماله على تلك
النواحى واتاه الناس وكان ممن اتاه سويد بن سرحان الثقفى وبكير بن هرون النخعى من الرى
فى نحو مائة رجل وكتب البراء بن قبيصة وهو عامل الحجاج على اصبهان اليه يعرفه حال مطرف
ويستمده فامده بالرجال بعد الرجال على دواب البريد وكتب الحجاج الى عدى بن زياد عامل الرى
يامره بقصد مطرف وان يجتمع هو والبراء على محاربته فسار عدى من الرى فاجتمع هو والبراء
ابن قبيصة وكان عدى هو الامير فاجتمعوا فى نحو ستة آلاف مقاتل وكان حمزة بن المغيرة قد ارسل
الى الحجاج يعتذر فاظهر قبول عذره وأراد عزله وخاف ان يمتنع عليه فكتب الى قيس بن سعد
العجلى وهو على شرطة حمزة بهمذان بعهده على همذان ويامره ان يقبض على حمزة بن المغيرة وكان
بهمذان من عجل وربيعة جمع كثير فسار قيس بن سعد الى حمزة فى جماعة من عشيرته فاقرأه العهد
بولاية همذان وكتاب الحجاج بالقبض عليه وقال سمعا وطاعة فقبض قيس على حمزة وجعله فى
السجن وتولى قيس همذان وتفرغ قلب الحجاج من هذه الناحية لقتال مطرف وكان يخاف
مكان حمزة بهمذان لئلا يمد اخاه بالمال والسلاح ولعله يمده بالرجال فلما قبض عليه سكن قلبه
وتفرغ باله ولما اجتمع عدى ابن زياد الايادى والبراء بن قبيصة ساروا نحو مطرف فخندق عليه
فلما دنوا منه اصطفوا للحرب واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم اصحاب مطرف وقتل مطرف وجماعة
كثيرة من اصحابه قتله عمير بن هبيرة الفزارى وحمل رأسه فتقدم بذلك عند بنى امية وقاتل ابن
هبيرة ذلك اليوم وابلى بلاء حسنا وقتل يزيد بن ابى زياد مولى المغيرة وكان صاحب راية مطرف
وقتل من أصحابه عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الازدى وكان ناسكا صالحا وبعث عدى بن
زياد الى الحجاج أهل البلاء فاكرمهم واحسن اليهم وامن عدى بكير بن هرون وسويد بن سرحان
وغيرهما وطلب منه الامان للحجاج ابن حارثة الخثعمى فبعث اليهم كتاب الحجاج يأمرهم بارساله
اليه ان كان حيا فاختفى ابن حارثة حتى عزل عدى ثم ظهر فى امارة خالد بن عتاب بن ورقاء وكان
الحجاج يقول ان مطرفا ليس بولد للمغيرة بن شعبة انما هو ولد مصقلة بن سبرة الشيبانى وكان مصقلة

فجعل أباه كما سبق من افعالهم
وطال ملكه واتصلت بلاده
ببلاد الترك فعاش اربعمائة
سنة ثم هلك فملك ولده
(بوبايان) فجعل جده أبيه
كما تقدم فاستقامت له
الامور وزعم ان الملك لا يثبت
الا بالعدل لان العدل ميزان
الرب وضم الناس الى ديانة
اخترعها برأيه وأمرهم ان
يعملوا بها فكانت مدة ملكه
نحوا من مائة وخمسين سنة
وجعلوا يوم وفاته عيدا
يجتمعون فيه عنده وصوروا
صورته على أبواب المدينة
وعلى الدنانير والفلوس
وجعلوا فى تمثال من الذهب
كما فعل بأبيه ولم يستقم لهم
حال حتى حدث فى الملك امر
زال به النظام وانتقضت به
الاحكام وهو ان نبغ خارجى
من غير بيت الملك يقال له
(بابشو) فاجتمع اليه ارباب
الشرور واستولى على الملك
الى ان استنجد ولد الملك
بخاقان ملك الترك فالتقى
الفريقان واستمر الحرب
نحوا من سنة حتى قتل
الخارجى وتولى الملك ولد
الملك اسمه (يعفور) وهو الذى
ذكره صاحب السكردان
انه راسل كسرى انوشروان
بكتاب مضمونه من يعفور

والمغيرة يدعيانه فالحق بالمغيرة وجلد مصقلة الحد فلما أظهر رأي الخوارج قال الحجاج ذلك لان
كثيرا من ربيعة كانوا من خوارج ولم يكن منهم أحد من قيس عيلان

(ذكر الاختلاف بين الازارقة)

قد ذكرنا مسير المهلب الى الازارقة ومحاربتهم الى ان فارقه عتاب بن ورقاء الرياحي ورجع الى
الحجاج وأقام المهلب بعد مسير عتاب عنه يقاتل الخوارج فقاتلهم على سابور نحو سنة قتالا
شديدا ثم انه زاحفهم يوم البستان فقاتلهم أشد قتال وكانت كرمان بيد الخوارج وفارس بيد
المهلب فضاق على الخوارج مكانهم لا يأتيهم من فارس مادة فخرجوا حتى اتوا كرمان وتبعهم
المهلب بالعساكر حتى نزل بجيرفت وهي مدينة كرمان فقاتلهم قتالا شديدا فلما صارت فارس
كلها في يد المهلب ارسل الحجاج العمال عليها فكتب اليه عبد الملك يأمره ان يترك بيد المهلب
فسا ودارابجرد وكورة اصطخر تكون له معونة على الحرب فتركها له وبعث الحجاج الى المهلب
البراء بن قبيصة يحثه على قتال الخوارج ويأمره بالجد وانه لا عذر له عنده فخرج المهلب
بالعساكر فقاتل الخوارج من صلاة الغداة الى الظهر ثم انصرفوا والبراء على مكان عال يراهم
فجاء الى المهلب فقال ما رأيت كتيبة ولا فرسانا اصبر ولا اشد من الفرسان الذين يقاتلونك ثم ان
المهلب رجع العصر فقاتلهم كقتالهم اول مرة لا يصد كتيبة عن كتيبة وخرجت كتيبة من كتائب
الخوارج لكتيبة من أصحاب المهلب فاشتد بينهم القتال الى ان حجز بينهم الليل فقالت
احداهما للاخرى من انتم فقال هؤلاء نحن من بني تميم وقال هؤلاء نحن من بني تميم وانصرفوا
عند المساء فقال المهلب للبراء بن قبيصة كيف رأيت قوما ما يعينك عليهم الا الله جل ثناؤه
فاحسن المهلب الى البراء وأمر له بعشرة آلاف درهم وانصرف البراء الى الحجاج وعرفه عذر
المهلب ثم ان المهلب قاتلهم ثمانية عشر شهرا لا يقدر منهم على شيء ثم ان عاملا لقطري على ناحية
كرمان يدعى المقعطر الضبي قتل رجلا منهم فوثبت الخوارج الى قطري وطلبوا منه ان يقيدهم
من المقعطر فلم يفعل وقال انه تأول فاخطأ التأويل ما أرى ان تقتلوه وهو من ذوي السابقة فيكم
فوقع بينهم الاختلاف وقيل كان سبب اختلافهم ان رجلا كان في عسكرهم يعمل النصول
المسمومة فيرمي بها أصحاب المهلب فشكا أصحابه منه فقال اكفيكموه فوجه رجلا من أصحابه
ومعه كتاب وأمره ان يلقيه في عسكر قطري ولا يراه أحد ففعل ذلك ووقع الكتاب الى قطري
فرأى فيه اما بعد فان نصالك وصلت وقد انفذت اليك ألف درهم فاحضر الصانع فسأله فجحد
فقتله قطري فانكر عليه عبد ربه الكبير قتله واختلفوا ثم وضع المهلب رجلا نصرانيا وامره ان
يقصد قطريا ويسجد له ففعل ذلك فقال له الخوارج ان هذا قد اتخذك الها ووثب بعضهم الى
النصراني فقتله فزاد اختلافهم وفارق بعضهم قطريا ثم ولوا عبد ربه الكبير وخلعوا قطريا وبقي
مع قطري منهم نحو من ربعهم أو خمسهم واقتتلوا فيما بينهم نحوا من اشهر وكتب المهلب الى
الحجاج بذلك فكتب اليه الحجاج يأمره ان يقاتلهم على حال اختلافهم قبل ان يجتمعوا فكتب
اليه المهلب اني لست ارى ان اقاتلهم ما دام يقتل بعضهم بعضا فان تموا على ذلك فهو الذي نريد
وفيه هلاكهم وان اجتمعوا لم يجتمعوا الا وقد رقق بعضهم بعضا فاناهضهم حينئذ وهم اهون
ما كانوا واضعفه شوكة ان شاء الله تعالى والسلام فسكت عنه الحجاج وتركهم المهلب يقتتلون

ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذي يجري في قصره نهران يسقيان العود والكافور الذي توجد رائحته على فرسخين والذي تخدمه بنات ألف ملك والذي في مربطه ألف فيل ابيض الى اخيه كسرى انوشروان واهدى اليه فرسا وفارسا من در منضد عينا الفرس والفارس من ياقوت أحمر وقائم سيفه منضد بالجوهر وثوب صيني فيه صورة الملك يتلون بالوان مختلفة في سفط من ذهب تحمله جارية تغيب في شعرها تتلألأ جمالا وغير ذلك مما تهديه الملوك الى امثالها (وفي كتاب الفرج) بعد الشدة ان الاسكندر لما انتهى في مسيره الى الصين وحاصرها اتاه حاجبه ذات ليلة وقد مضى من الليل شطره فقال له ان رسول ملك الصين يستأذن بالدخول عليك فقال ائذن له فلما دخل وقف بين يديه وقبل الارض ثم قال ان رأى الملك ان يخلي المجلس فليفعل فامر الملك من بحضرته بالانصراف فانصرفوا ولم يبق الا حاجبه فقال له الرسول ان الذي جئت له

شهر الايحركهم ثم ان قطريا خرج بمن اتبعه نحو طبرستان وبايع الباقون عبد ربه الكبير

(ذكر قتل عبد ربه الكبير)

لما سار قطرى الى طبرستان واقام عبد ربه الكبير بكرمان نهض اليهم المهلب فقاتلوه قتالا شديدا وحصرهم بجيرفت وكرر قتالهم وهو لا ينال منهم حاجته ثم ان الخوارج طال عليهم الحصار فخرجوا من جيرفت باموالهم وحرمهم فقاتلهم المهلب قتالا شديدا حتى عقرت الخيل وتكسرت السلاح وقتل الفرسان فتركهم فساروا ودخل المهلب جيرفت ثم سار يتبعهم الى ان لحقهم على اربعة فراسخ من جيرفت فقاتلهم من بكرة الى نصف النهار وكف عنهم واقام عليهم ثم ان عبد ربه جمع اصحابه وقال يامعشر المهاجرين ان قطريا ومن معه هربوا طلب البقاء ولا سبيل اليه فالقوا عدوكم وهبوا انفسكم لله ثم عاد للقتال فاقتتلوا قتالا شديدا انساهم ما قبله فبايع جماعة من اصحاب المهلب على الموت ثم ترجلت الخوارج وعقروا دوابهم واشتد القتال وعظم الخطب حتى قال المهلب مامر بى مثل هذا ثم ان الله تعالى انزل نصره على المهلب واصحابه وهزم الخوارج وكثر القتلى فيهم وكان فيمن قتل عبد ربه الكبير وكان عدد القتلى اربعة آلاف قتيل ولم ينج منهم الا قليل واخذ عسكرهم ومافيه وسبوا لانهم كانوا يسبون نساء المسلمين وقال الطفيل بن عامر ابن واثلة يذكر قتل عبد ربه الكبير وأصحابه

لقد مس منا عبد رب وجنده * عقاب فامسى سبيهم فى المقاسم
سما لهم بالجيش حتى أزاحهم * بكرمان عن مثوى من الارض ناعم
وما قطرى الكفر الا نعامة * طريد يدوى ليله غير نائم
اذا فر منا هاربا كان وجهه * طريقا سوى قصد الهدى والمعالم
فليس بمنجيه الفرار وان جرت * به الفلك فى لج من البحر دائم

وهى أكثر من هذا تركناها لشهرتها واحسن الحجاج الى اهل البلاء وزادهم وسير المهلب الى الحجاج مبشرا فلما دخل عليه أخبره عن الجيش وعن الخوارج وذكرحروبهم واخبره عن بنى المهلب فقال المغيرة فارسهم وسيدهم وكفى بيزيد فارسا شجاعا وجوادهم وسخيهم قبيصة ولا يستحى الشجاع ان يفر من مدركه وعبد الملك سم ناقع وحبيب موت زعاف ومحمد ليث غاب وكفاك بالمفضل نجدة قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفها فاستحسن قوله وكتب الى المهلب يشكره و يأمره ان يولى كرمان من يثق اليه ويجعل فيها من يحميها و يقدم اليه فاستعمل على كرمان يزيد ابنه وسار الى الحجاج فلما قدم عليه أكرمه واجلسه الى جانبه وقال يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب ثم قال له أنت كما قال لقيط بن يعمر الايادى فى صفة امراء الجيوش

وقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا مترفا ان رخاء العيش ساعده * ولا اذا عض مكروه به خشعا
مسهد النوم تعنيه ثغوركم * يروم منها الى الاعداء مطلعا
انفك يحلب هذا الدهر اشطره * يكون متبعا طورا ومتبعا
وليس يشغله مال يثمره * عنكم ولا ولد يبغى له الرفعا

لايحتمل ان يسمعه احد غيرك فامر الملك بتفتيشه ففتش فلم يوجد معه شئ من السلاح فوضع الاسكندر بين يديه سيفا مصلتا وقال له قف مكانك قل ماشئت وأمر حاجبه بالانصراف فلما خلى المكان تقدم الرسول وقال له اعلم انى أنا ملك الصين لا رسوله وقد حضرت بين يديك لاسألك عما تريد منى فان كان مما يمكن الانقياد له ولو على اصعب الوجوه اجبت اليه واستغنيت أنا واياك عن الحرب فقال له الاسكندر وما امنك منى قال لعلمى بانك رجل عاقل وانه ليس بيننا عداوة متقدمة ولعلمى انك تعلم ان اهل الصين متى قتلتنى لايسلمون اليك ملكهم ولم يمنعهم عدمهم اياى بان ينصبوا ملكا من اولادى ثم تنسب انت الى غير الجهل وضد الحزم فاطرق الاسكندر مفكرا فى مقالته ورفع رأسه اليه وقد تبين له صدق مقالته وعلم انه رجل عاقل فقال اريد منك ارتفاع ملكك ثلاث سنين عاجلا ونصف ارتفاعه فى كل سنة فقال ملك الصين هل غير هذا

حتى استمرت على شزر مريرته * مستحكم السن لاقحما ولا ضرعا

وهي قصيدة طويلة هذا هو الاجود منها

(ذكر قتل قطرى بن الفجاءة وعبيدة بن هلال)

قيل وفي هذه السنة كانت هلكة قطرى وعبيدة بن هلال ومن معهم من الازارقة وكان السبب في ذلك ان أمرهم لما تشتت بالاختلاف الذي ذكرنا وسار قطرى نحو طبرستان وبلغ خبره الحجاج سير اليه سفيان بن الابرد في جيش عظيم وسار سفيان واجتمع معه اسحق بن محمد بن الاشعث في جيش لاهل الكوفة بطبرستان فاقبلا في طلب قطرى فلحقوه في شعب من شعاب طبرستان فقاتلوه فتفرق عنه اصحابه ووقع عن دابته فتدهده الى اسفل الشعب واتاه علج من أهل البلد فقال له قطرى اسقني الماء فقال العلج اعطني شيأ فقال ما معي الا سلاحي وانا اعطيك اذا اتيتني بالماء فانطلق العلج حتى اشرف على قطرى ثم حدر عليه حجرا من فوقه فاصاب وركه فأوهنه فصاح بالناس فاقبلوا نحوه ولم يعرفه العلج غير انه يظن انه من اشرافهم لكمال سلاحه وحسن هيئته فجاء اليه نفر من أهل الكوفة فقتلوه منهم سورة بن الحر التميمي وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف والصباح بن محمد بن الاشعث وباذان مولاهم وعمر بن أبي الصلت وكل هؤلاء ادعى قتله فجاء اليهم أبو الجهم بن كنانة فقال لهم ادفعوا رأسه الي حتى تصطلحوا فدفعوه اليه فاقبل به الى اسحق بن محمد وهو على الكوفة فارسله معه الى سفيان فسير سفيان الرأس مع ابي الجهم الى الحجاج فسيره الحجاج الى عبد الملك فجعل عطاءه في الفين ثم ان سفيان سار اليهم فاحاط بهم ثم امر مناديه فنادى من قتل صاحبه وجاءنا فهو آمن فقال عبيدة بن هلال في ذلك

لعمري لقد قام الاصم بخطبة * لذي الشك منها في الصدور غليل

لعمري لئن اعطيت سفيان بيعتي * وفارقت ديني انني لجهول

الى الله اشكو ما ترى بجيادنا * تساوك هزلى مخهن قليل

تعاورها القذاف من كل جانب * بقومس حتى صعبهن ذلول

فان يك افناها الحصار فربما * تشحط فيما بينهن قتيل

وقد كن مما ان يقدن على الوجى * لهن بابواب القباب صهيل

وحصرهم سفيان حتى أكلوا دوابهم ثم خرجوا اليه فقاتلوه فقتلهم وبعث برؤسهم الى الحجاج ثم دخل سفيان دنباوند وطبرستان فكان هناك حتى عزله الحجاج قبل الجماجم وقال بعض العلماء انقرضت الازارقة بعد مقتل قطرى وعبيدة انما كانوا دفعة متصلة اهل عسكر واحد واول روسائهم نافع بن الازرق وآخرهم قطرى وعبيدة واتصل امرهم بضعا وعشرين سنة الا اني أشك في صبيح المزني التميمي مولى سوار بن الاشعر الخارج أيام هشام قيل هو من الازارقة أو الصفرية الا انه لم تطل أيامه بل قتل عقيب خروجه

(ذكر قتل بكير بن وساج)

في هذه السنة قتل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بكير بن وساج وكان سبب ذلك ان أمية بن عبد الله وهو عامل عبد الملك بن مروان على خراسان أمر بكيرا بالتجهيز لغزو ما وراء النهر وقد كان قبل ذلك ولاه طخارستان فتجهز له فوشى به بحير بن ورقاء الى امية فمنعه

قال لا قال قد اجبتك الى ذلك قال الاسكندر قنعت منك لاجل مجيئك على السدس فشكره وانصرف فلما اصبح الصباح وطلعت الشمس اقبل جيش الصين حتى طبق الارض كثرة واحاط بجيش الاسكندر حتى خافوا الهلاك فتواثبوا الى خيولهم فركبوها واستعدوا فبينما هم كذلك اذ ظهر ملك الصين على فيل عظيم وعلى رأسه التاج فلما وصل الى الاسكندر ترجل ومشى اليه وقبل الارض بين يديه فقال الاسكندر اغدرت فقال لا والله فقال ما هذا الجيش قال اردت ان اعلمك انى لم اطعك من قلة ولا ضعف ولا ذلة والذي غاب عنك من الجيش أكثر مما ترى لكني لما رأيت العالم الاكبر مقبلا عليك ممكنا لك ممن هو اقوى منك وأكثر عددا فعلمت ان من حارب الاله غلب وقهر فاردت طاعته بطاعتك والذلة لامره بالذلة لك فقال له الاسكندر ليس ينبغي ان يؤخذ من مثلك وما رأيت احدا يستحق التفضيل والوصف بالعقل غيرك وقد اعفيتك

عنها فلما أمره بغزو ما وراء النهر تجهز وانفق نفقة كثيرة وادان فيها فقال بحير لامية ان صار بينك وبينه النهر خلع الخليفة فارسل اليه امية ان اقم لعلى اغزو فتكون معى فغضب بكير وقال كانه يضارنى وكان عتاب اللقوة الغدانى استدان ليخرج مع بكير فاخذه غرماؤه فحبس حتى ادى عنه بكير ثم ان امية تجهز للغزو الى بخارا ثم يعود منها الى موسى بن عبد الله بن خازم بترمذ وتجهز الناس معه وفيهم بكير وساروا فلما بلغوا النهر وارادوا قطعه قال أمية لبكير انى قد استخلفت ابنى على خراسان واخاف انه لا يضبطها لانه غلام حدث فارجع الى مرو فاكفنيها فانى قد وليتكها فقم بامر ابنى فانتخب بكير فرسانا كان عرفهم ووثق بهم ورجع ومضى امية الى بخارا للغزاة فقال عتاب اللقوة لبكير انا طلبنا اميرا من قريش فجاءنا امير يلعب بنا ويحولنا من سجن الى سجن وانى ارى ان تحرق هذه السفن ونمضى الى مرو ونخلع أمية ونقيم بمرو ونأكلها الى يوم ما ووافقه الاحنف بن عبد الله العنبرى على هذا قال بكير أخاف ان يهلك هؤلاء الفرسان الذين معى قال ان هلك هؤلاء فانا آتيك من أهل مرو بما شئت قال يهلك المسلمون قال انما يكفيك ان ينادى مناد من أسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خمسون الفا اسمع من هؤلاء وأطوع قال فيهلك أمية ومن معه قال ولم يهلكون ولهم عدد وعدة ونجدة وسلاح ظاهر ليقاتلون عن انفسهم حتى يبلغوا الصين فحرق بكير السفن ورجع الى مرو فاخذ ابن أمية فحبسه وخلع امية وبلغ امية الخبر فصالح اهل بخارا على فدية قليلة ورجع وامر باتخاذ السفن وعبر وذكر للناس احسانه الى بكير مرة بعد اخرى وانه كافأه بالعصيان وسار الى مرو واتاه موسى بن عبد الله بن خازم وارسل امية شماس بن دثار فى ثمانمائة فسار اليه بكير وبيته فهزمه وامر اصحابه ان لا يقتلوا منهم احدا فكانوا يأخذون سلاحهم ويطلقونهم وقدم امية فتلقاه شماس فقدم امية ثابت بن قطبة فلقيه بكير فاسر ثابتا وفرق جمعه ثم أطلقه ليد كانت لثابت عنده واقبل امية وقاتله بكير فانكشف يوما اصحابه فحماهم بكير ثم التقوا يوما آخر فتقاتلوا قتالا شديدا ثم التقوا يوما آخر فضرب بكير ثابت بن قطبة على راسه فحمل حريث بن قطبة اخو ثابت على بكير فانحاز بكير وانكشف اصحابه واتبع حريث بكيرا حتى بلغ القنطرة وناداه الى اين يا بكير فرجع فضربه حريث على راسه فقطع المغفر وعض السيف رأسه فصرع واحتمله أصحابه فادخلوه المدينة وكانوا يقاتلونهم فكان اصحاب بكير يغدون فى الثياب المصبغة من احمر واصفر فيجلسون يتحدثون وينادى مناديهم من رمى بسهم رمينا اليه برأس رجل من ولده واهله فلا يرميهم احد وخاف بكير ان طال الحصار ان يخذله الناس فطلب الصلح واحب ذلك أيضا اصحاب امية فاصطلحوا على ان يقضى امية عنه اربعمائة الف ويصل اصحابه ويوليه اى كور خراسان شاء ولا يسمع قول بحير فيه وان رابه ريب فهو آمن اربعين يوما ودخل امية مدينة مرو ووفى لبكير وعاد الى ما كان من اكرامه واعطى امية عتابا عشرين الفا وقد قيل ان بكيرا لم يصحب امية الى النهر بل كان امية قد استخلفه على مرو فلما سار امية وعبر النهر خلعه فجرى الامر بينهما على ما ذكرناه وكان امية سهلا لينا سخيا وكان مع ذلك ثقيلا على اهل خراسان وكان فيه زهو شديد وكان يقول ما تكفينى خراسان لمطبخى وعزل امية بحيرا عن شرطته وولاها عطاء بن ابى السائب وطالب امية الناس بالخراج واشتد عليهم وكان يوما بكير فى المسجد وعنده الناس فذكر واشدة أمية وذموه وبحير وضرار بن حصين

عن جميع ما اردته منك وأنا منصرف عنك فقال له ملك الصين اما اذا فعلت فانك لا تخسر ثم قدم له ملك الصين من الهدايا والتحف اضعاف ما أمله ورحل الاسكندر عنه وفى ابتلاء الاخبار ان الاسكندر لما سار فى الارض سمعت به ملكة الصين الاقصى فاحضرت من ابصر صورة الاسكندر ممن يعرف التصوير وأمرتهم ان يصوروا صورته فصوروه فى البسط والاوانى والحيطان وصارت تنظر الى ذلك حتى اثبتت معرفته فلما قدم عليها الاسكندر ونازل بلادها قال الاسكندر للخضر يوما قد خطر لى شئ اقوله لك قال وما هو قال اريد ان ادخل هذا البلد متنكرا وانظر كيف يعمل فيها قال افعل ما بدا لك فلما دخلها الاسكندر نظرت اليه الملكة من حصنها فعرفته بالصورة التى عندها فامرت باحضاره فلما مثل بين يديها امرت به فوضع فى مطمورة لا يعرف الليل من النهار فبقى فيها ثلاثة ايام لا يأكل ولا يشرب حتى كادت قوته ان تسقط واختبط عسكره لاجل غيبته والخضر يسكنهم ويسليهم فلما كان فى اليوم

وعبد الله بن جارية بن قدامة فى المسجد فنقل بحير ذلك الى أمية فكذبه فادعى شهادة هؤلاء
فشهد منهم احم بن ابى الجشر السلمى انه كان يمزح فتركه أمية ثم ان بحيرا اتى امية وقال له والله ان
بكيرا قد دعانى الى خلعك وقال لولا مكانك لقتلت هذا القرشى وأكلت خراسان فلم يصدقه أمية
فاستشهد جماعة ذكر بكير انهم اعداؤه فقبض أمية على بكير وعلى بدل وشمردل ابنى اخيه ثم أمر
أمية بعض رؤساء من معه بقتل بكير فامتنعوا فامر بحيرا بقتله فقتله وقتل أمية ابنى أخى بكير

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عبر أمية نهر بلخ للغزو فحوصر حتى جهد هو واصحابه ثم نجوا بعد ما اشرفوا على
الهلاك ورجعوا الى مرو وحج هذه السنة بالناس ابان بن عثمان وهو امير المدينة وكان على
الكوفة والبصرة الحجاج وعلى خراسان امية وغزا هذه السنة الصائفة الوليد بن عبد الملك وفيها
مات جابر بن عبد الله بن عمرو الانصارى

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين)

(ذكر عزل امية بن عبد الله وولاية المهلب خراسان)

فى هذه السنة عزل عبد الملك بن مروان امية بن عبد الله بن خالد عن خراسان وسجستان وضمهما
الى اعمال الحجاج بن يوسف ففرق عماله فيهما فبعث المهلب بن ابى صفرة على خراسان وقد فرغ
من الازارقة ثم قدم على الحجاج وهو بالبصرة فاجلسه معه على السرير ودعا اصحاب البلاء من
اصحاب المهلب فاحسن اليهم وزادهم وبعث عبيد الله بن ابى بكرة على سجستان وكان الحجاج
قد استخلف على الكوفة عند مسيره الى البصرة المغيرة بن عبد الله بن ابى عقيل فلما استعمل
المهلب على خراسان سير ابنه حبيبا اليها فلما ودع الحجاج أعطاه بغلة خضراء فسار عليها واصحابه
على البريد فسار عشرين يوما حتى وصل خراسان فلما دخل باب مرو لقيه حمل حطب فنفرت
البغلة فعجبوا من نفارها بعد ذلك التعب وشدة السير فلما وصل خراسان لم يعرض لامية ولا لعماله
وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلب سنة تسع وسبعين

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة أبان بن عثمان وكان أمير المدينة وكان أمير الكوفة والبصرة وخراسان
وسجستان وكرمان الحجاج بن يوسف وكان نائبه بخراسان المهلب وبسجستان عبيد الله بن ابى
بكرة وكان على قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس فيما قيل * وفى هذه السنة
مات عبد الرحمن بن عبد الله القارى وله ثمان وسبعون سنة ومسح النبى صلى الله عليه وسلم برأسه
(القارى بالياء المشددة) وفيها مات زيد بن خالد الجهنى وقيل غير ذلك وتوفى عبد الرحمن بن غنم
الاشعرى ادرك الجاهلية وليست له صحبة

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين)

(ذكر غزو عبيد الله بن ابى بكرة رتبيل)

لما ولى الحجاج عبيد الله بن ابى بكرة سجستان وذلك سنة ثمان وسبعين مكث سنة لم يغز وكان
رتبيل مصالحا وكان يؤدى الخراج وربما امتنع منه فبعث الحجاج الى عبيد الله بن أبى بكرة
يامره بمناجزته وان لا يرجع حتى يستبيح بلاده ويهدم قلاعه ويقيد رجاله فسار عبيد الله فى اهل

الرابع مدت ملكة الصين
سماطا نحو مائة ذراع
ووضعت فيه اوانى الذهب
والفضة وانواع الجواهر
ومافى ذلك شئ يؤكل الا انه
مال لا يعلمه الا الله تعالى
وامرت فوضع فى اسفل
السماط صحن فيه رغيف
من خبز البر وشربة من الماء
وبقية اوانى السماط مملوأة
ذهبا وفضة وامرت باخراج
الاسكندر واجلسته على
رأس السماط فنظر اليه
فابهره ذلك وكان يبصر
الجواهر فى الاوانى ولم ير فيها
شيأ مأكولا ثم نظر فرأى
فى ادنى السماط اناء فيه
طعام فقام من مكانه ومشى
اليه وجلس عنده فأكل فلما
فرغ من اكله شرب من
الماء قدر كفايته ثم حمد الله
تعالى وقام فجلس مكانه اولا
فخرجت عليه الملكة وقالت
ياسلطان اما يصدعنك هذا
الذهب والفضة والجواهر
سلطان الجوع وقد اغناك
عن هذا كله ما قيمته درهم
واحد فمالك والتعرض الى
اموال الناس وانت بهذه
المثابة فقال لها الاسكندر
لك بلادك واموالك ولا
بأس عليك بعد اليوم فقالت
اما اذا فعلت هذا فانك
لا تخسر ثم قدمت له جميع

البصرة واهل الكوفة وكان على اهل الكوفة شريح بن هانئ وكان من اصحاب على ومضى عبيد الله حتى دخل بلاد رتبيل فاصاب من الغنائم ما شاء وهدم حصونا وغلب على ارض من اراضيهم واصحاب رتبيل من الترك يتركون لهم ارضا بعد ارض حتى امعنوا فى بلادهم ودنوا من مدينتهم وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخا فاخذوا على المسلمين العقاب والشعاب فسقط فى ايدى المسلمين فظنوا ان قد هلكوا فصالحهم عبيد الله على سبعمائة الف درهم يوصلها الى رتبيل ليمكن المسلمين من الخروج من ارضه فلقيه شريح فقال له انكم لا تصالحون على شئ الا حسبه السلطان من اعطياتكم وقد بلغت من العمر طويلا وقد كنت اطلب الشهادة منذ زمان وان فاتتنى اليوم الشهادة ما ادركها حتى اموت ثم قال شريح يا اهل الاسلام تعاونوا على عدوكم فقال له ابن ابى بكرة انك شيخ قد خرفت فقال له شريح انما حسبك ان يقال بستان عبيد الله وحمام عبيد الله يا أهل الاسلام من أراد منكم الشهادة فالىّ فاتبعه ناس من المتطوعة غير كثير وفرسان الناس وأهل الحفاظ فقاتلوا حتى أصيبوا الا قليلا وجعل شريح يرتجز ويقول

أصبحت ذا بث اقاسى الكبرا * قد عشت بين المشركين اعصرا
ثمة أدركنا النبى المنذرا * وبعده صديقه وعمرا
ويوم مهران ويوم تسترا * والجمع فى صفينهم والنهرا
وباجميرات مع المشقرا * هيهات ما أطول هذا عمرا

وقاتل حتى قتل فى ناس من أصحابه ونجا من نجا منهم فخرجوا من بلاد رتبيل فاستقبلهم الناس بالاطعمة فكان أحدهم اذا أكل وشبع مات فحذر الناس وجعلوا يطعمونهم السمن قليلا قليلا حتى استمرؤا وبلغ ذلك الحجاج فكتب الى عبد الملك يعرفه ذلك ويخبره انه قد جهز من أهل الكوفة واهل البصرة جيشا كثيفا ويستأذنه فى ارساله الى بلاد رتبيل

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة أصاب أهل الشام طاعون شديد حتى كادوا يفنون فلم يغز تلك السنة أحد فيما قيل وفيها أصاب أهل الروم أهل انطاكية وظفروا بهم وفيها استعفى شريح بن الحرث عن القضاء فاعفاه الحجاج واستعمل على القضاء ابا بردة بن أبى موسى وحج بالناس فى هذه السنة أبان ابن عثمان وكان على المدينة وكان على العراق والشرق كله الحجاج بن يوسف وكان على قضاء البصرة موسى بن انس وفيها مات محمود بن الربيع وكنيته ابو ابراهيم وولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود

(ثم دخلت سنة ثمانين)

فى هذه السنة اتى سيل بمكة فذهب بالحجاج وكان يحمل الابل عليها الاحمال والرجال ما لاحد فيه حيلة وغرقت بيوت مكة وبلغ السيل الركن فسمى ذلك العام الجحاف وفى هذه السنة وقع بالبصرة طاعون الجارف

(ذكر غزوة المهلب ماوراء النهر)

فى هذه السنة قطع المهلب نهر بلخ ونزل على كش وكان على مقدمته ابو الادهم الزمانى فى ثلاثة آلاف وهو فى خمسة آلاف وكان ابو الادهم يغنى غناء الفين فى البأس والتدبير والنصيحة فاتى

ما قد كانت احضرته وكان شيأ يحير الناظر ويسر الخاطر فنزل الى عسكره وقبل هديتها ورحل عنها وانه دعاها الى الله تعالى فآمنت وآمن اهلها

(الفصل الرابع فى ذكر ملوك السريانيين وما وقع لهم قبل هذا الحين)

ذكر أهل العناية باخبار ملوك العالم ان أول ملوك السريانيين بعد الطوفان وقد تنوزع فيهم وفى النبط فمن الناس من رأى ان السريانيين هم النبط ومنهم من رأى انهم اخوة ومنهم من رأى غير ذلك وكان أول من ملك رجل منهم يقال له (سوسان) وكان أول من وضع التاج على رأسه وانقادت له ملوك الارض وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة باغيا فى الارض مفسدا للبلاد سفاكا للدماء ثم ملك بعده ولده (بريد) وكانت مدة ملكه عشرين سنة ثم ملك بعده (سماسير) سبع سنين ثم ملك بعده (اهربوز) عشر سنين فخط الخطط وكور الكور وجد فى أمره واتقن ملكه وعمارة أرضه فلما استقامت له الامور وانقادله الجمهور وقع بينه وبين ملوك الهند

المهلب وهو نازل على كش ابن عم ملك الختل فدعاه الى غزو الختل فوجه معه ابنه يزيد وكان اسم ملك الختل السبل فنزل يزيد ونزل ابن عم الملك ناحية فبيته السبل وأخذه فقتله وحصر يزيد قلعة السبل فصالحوه على فدية حملت اليه ورجع يزيد عنهم ووجه المهلب ابنه حبيبا والى صاحب بخارا فى اربعين ألفا فنزل جماعة من العدو قرية فسار اليهم حبيب فى أربعة آلاف فقتلهم وأحرق القرية فسميت المحترقة ورجع حبيب الى أبيه وأقام المهلب بكش سنتين فقيل له لو تقدمت الى ما وراء ذلك فقال ليت حظى من هذه الغزاة سلامة هذا الجند وعودهم سالمين ولما كان المهلب بكش أتاهم قوم من مضر فحبسهم بها فلما رجع أطلقهم فكتب اليه الحجاج ان كنت أصبت بحبسهم فقد اخطأت باطلاقهم وان كنت أصبت باطلاقهم فقد ظلمتهم اذ حبستهم فكتب المهلب خفتهم فحبستهم فلما أمنتهم خليتهم وكان فيمن حبس عبد الملك بن أبى شيخ القشيرى وصالح المهلب أهل كش على فدية يأخذها منهم وأتاه كتاب ابن الاشعث بخلع الحجاج ويدعوه الى مساعدته فبعث بكتابه الى الحجاج وأقام بكش

*(ذكر تسيير الجنود الى رتبيل مع عبد الرحمن
ابن محمد بن الاشعث)*

قد ذكرنا حال المسلمين حين دخل بهم ابن ابى بكرة بلاد رتبيل واستأذن الحجاج عبد الملك فى تسيير الجنود نحو رتبيل فاذن له عبد الملك فى ذلك فاخذ الحجاج فى تجهيز الجيش فجعل على اهل الكوفة عشرين الفا وعلى اهل البصرة عشرين الفا وجد فى ذلك واعطى الناس اعطياتهم كملا وانفق فيهم الفى الف سوى اعطياتهم وانجدهم بالخيل الرائقة والسلاح الكامل واعطى كل رجل يوصف بشجاعة وغناء منهم عبيد بن ابى محجن الثقفى وغيره فلما فرغ من امر الجند بعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكان الحجاج يبغضه ويقول ما رأيته قط الا اردت قتله وسمع الشعبى ذلك من الحجاج ذات يوم فاخبر عبد الرحمن به فقال والله لاحاولن ان ازيل الحجاج عن سلطانه فلما اراد الحجاج ان يبعث عبد الرحمن على ذلك الجيش اتاه اسمعيل بن الاشعث فقال له لا تبعثه فوالله ما جاز جسر الفرات فرأى لوال عليه طاعة وانى اخاف خلافه فقال الحجاج هو اهيب لى من ان يخالف امرى وسيره على ذلك الجيش فسار بهم حتى قدم سجستان فجمع أهلها فخطبهم ثم قال ان الحجاج ولانى ثغركم وأمرنى بجهاد عدوكم الذى استباح بلادكم فاياكم ان يتخلف منكم أحد فتمسه العقوبة فعسكروا مع الناس وتجهزوا وساروا باجمعهم وبلغ الخبر رتبيل فارسل يعتذر ويبذل الخراج فلم يقبل منه وسار اليه ودخل بلاده وترك له رتبيل أرضا أرضا ورستاقا رستاقا وحصنا حصنا وعبد الرحمن يحوى ذلك وكلما حوى بلدا بعث اليه عاملا وجعل معه أعوانا وجعل الارصاد على العقاب والشعاب ووضع المسالح بكل مكان مخوف حتى اذا جاز من أرض عظيمة وملأ الناس أيديهم من الغنائم العظيمة منع الناس من الوغول فى ارض رتبيل وقال نكتفى بما قد أصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ويجترئ المسلمون على طرقها وفى العام المقبل نأخذ ما وراءها ان شاء الله تعالى حتى نقاتلهم فى آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم واقصى بلادهم حتى يهلكهم الله تعالى ثم كتب الى الحجاج بما فتح الله عليه وبما يريد أن يعمل وقد قيل فى ارسال عبد الرحمن غير ما ذكرنا وهو ان الحجاج كان قد ترك

ملك السريانيين واحتوى ملك الهند على الصقع وملك جميع ما فيه فسار اليه بعض ملوك الغرب وملك العراق ورد الملك للسريانيين فملكوا عليهم رجلا منهم يقال له (سرا) وكان ولد الملك المقتول فكان مدة ملكه الى ان هلك ثمانى سنين ثم ملك بعده (اهريون) وكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة وملك بعده ابنه يقال له (هوريا) فزاد فى العمارة وأحسن فى الرعية وغرس الاشجار فكانت مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة ثم ملك بعده (ماروث) واستولى على الملك فكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة ثم ملك بعده (ازود)(وجلجاس) ويقال انهما كانا اخوين فاحسنا السيرة وتعاضدا على الملك ولم يتم لهما الامر

(الفصل الخامس فى ذكر ملوك بابل وهم النبط الاوائل)

ذكر المسعودى فى مروج الذهب ان ملوك بابل هم اول ملوك العالم وهم الذين شيدوا البنيان ومدنوا المدن وكوروا الكور وحفروا الانهار وغرسوا الاشجار ونصبوا قوانين الحرب واما الفرس الاولى فانما

بكرمان هميان بن عدى السدوسى يكون بها مسلحة ان احتاج اليه عامل سجستان والسند فعصى هميان فبعث اليه الحجاج عبد الرحمن بن محمد فحاربه فانهزم هميان واقام عبد الرحمن بموضعه ثم ان عبيد الله بن ابى بكرة مات وكان عاملا على سجستان فكتب الحجاج لعبد الرحمن عهده عليها وجهز اليه هذا الجيش فكان يسمى جيش الطواويس لحسنه

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة أبان بن عثمان وكان امير المدينة وكان على العراق والمشرق الحجاج وكان على خرسان المهلب من قبل الحجاج وكان على قضاء البصرة موسى بن انس وعلى قضاء الكوفة ابو بردة * وفى هذه السنة مات اسلم مولى عمر بن الخطاب وفيها توفى ابو ادريس الخولانى وفيها مات عبد الله بن جعفر بن ابى طالب وقيل سنة اربع وقيل سنة خمس وقيل سنة ست وثمانين وقيل سنة تسعين وفيها قتل معبد بن عبد الله بن عليم الجهنى الذى يروى حديث الدباغ وهو اول من قال بالقدر فى البصرة قتله الحجاج وقيل قتله عبد الملك بن مروان بدمشق وفيها توفى محمد بن على بن ابى طالب وهو ابن الحنفية وفيها توفى جنادة بن ابى امية وله صحبة وكان على غزو البحر ايام معاوية كلها وفيها مات السائب بن يزيد ابن اخت النمر وقيل سنة ست وثمانين ولد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وفيها توفى سويد بن غفلة (بفتح الغين المعجمة والفاء) وفيها توفى عبد الله بن ابى أوفى وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة وجبير بن نفير بن مالك الحضرمى ادرك الجاهلية وليس له صحبة

(ثم دخلت سنة احدى وثمانين)

فى هذه السنة سير عبد الملك بن مروان ابنه عبيد الله ففتح قاليقلا

(ذكر مقتل بحير بن ورقاء)

وفى هذه السنة قتل بحير بن ورقاء الصريمى وكان سبب قتله انه لما قتل بكير بن وساج وكلاهما تميميان بأمر امية بن عبد الله بن خالد اياه بذلك كما تقدم ذكره قال عثمان بن رجاء بن جابر أحد بنى عوف بن سعد من الابناء يحرض بعض آل بكير من الابناء والابناء عدة بطون من تميم سموا بذلك

لعمرى لقد اغضيت عينا على القذى * وبت بطينا من رحيق مروق
وخليت ثارا طل واخترت نومة * ومن يشرب الصهباء بالوتر يسبق
فلو كنت من عوف بن سعد ذؤابة * تركت بحيرا فى دم مترقرق
فقل لبحير نم ولا تخش ثائرا * ببكر فعوف اهل شاة حبلق
دعوا الضان يوما قد سبقتم بوتركم * وصرتم حديثا بين غرب ومشرق
وهبوا فلو امسى بكير كعهده * لغادا هم زحفا بجأواء فيلق

وقال أيضا

فلو كان بكر بارزا فى اداته * وذى العرش لم يقدم عليه بحير
ففى الدهر ان ابقانى الدهر مطلب * وفى الله طلاب بذاك جدير

فبلغ بحيرا ان رهط بكير من الابناء يتوعدونه فقال

توعدنى الابناء جهلا كانما * يرون فنائى مقفرا من بنى كعب

اخذت الملك من هؤلاء فكان منهم نمروذ الجبار فكانت مدة ملكه نحو ثمانمائة سنة منها أربعمائة كان صحيحا واربعمائة كان سقيما وهو الذى احتفر انهارا بالعراق أخذها من الفرات فيقال ان من ذلك نهر كوثى من طريق الكوفة وعاش نمروذ بعد القاء ابراهيم عليه السلام فى النار أربعمائة سنة لا يزداد الا عتوا فبعث الله اليه ملكا فدعاه للاسلام فلم يؤمن فقال نمروذ للملك ألربك جنود قال نعم قال فليقاتلنى قال اجمع جنودك الى ثلاثة ايام فجمع جنوده وحشد فامر الله خزنة البعوض ان يفتحوا منها بابا ففتحوا فلما كان فى اليوم الثالث احاطت بهم البعوض فاكلت منهم اللحوم وشربت الدماء فلم يبق من جنوده ودوابهم الا العظام ونمروذ على حاله لم يصبه شئ وهو ينظر فقال له الملك اتؤمن بالله فقال لا فامر الله بعوضة فدخلت منخره ووصلت الى دماغه فاكلت منه حتى صارت كالفارة فاقام اربعمائة سنة فلا يستريح حتى يضرب رأسه بالمطارق حتى هلك

رفعت له كفى بسيف مهند * حسام كلون الملح ذى رونق عضب

فتعاقد سبعة عشر رجلا من بنى عوف على الطلب بدم بكير فخرج فتى منهم يقال له شمردل من البادية حتى قدم خراسان فرأى بحيرا واقفا فحمل عليه فطعنه فصرعه وظن انه قد قتله فقال الناس خارجى وراكضهم فعثر به فرسه فسقط عنه فقتل وخرج صعصعة بن حرب العوفى من البادية وقد باع غنيمات له ومضى الى سجستان فجاور قرابة لبحير مدة وادعى الى بنى حنيفة من اليمامة وأطال مجالستهم حتى أنسوا به ثم قال لهم ان لى بخراسان ميراثا فاكتبوا الى بحير كتابا يعيننى على حقى فكتبوا له وسار فقدم على بحير وهو مع المهلب فى غزوته فلقى قوما من بنى عوف فاخبرهم أمره ولقى بحيرا فاخبره انه من بنى حنيفة من أصحاب ابن أبى بكرة وان له مالا بسجستان وميراثا بمرو وقدم ليبيعه ويعود الى اليمامة فانزله بحير وأمر له بنفقة ووعده فقال صعصعة أقيم عندك حتى يرجع الناس فاقام شهرا يحضر معه باب المهلب وكان بحير قد حذر فلما أتاه صعصعة بكتاب أصحابه وذكر انه من حنيفة أمنه فجاء يوما صعصعة وبحير عند المهلب عليه قميص ورداء فقعد خلفه ودنا منه كانه يكلمه فوجأه بخنجر معه فى خاصرته فغيبه فى جوفه ونادى يا لثارات بكير فأخذ وأتى به المهلب فقال له بؤسا لك ما ادركت بثارك وقتلت نفسك وما على بحير بأس فقال لقد طعنته طعنة لو قسمت بين الناس لماتوا ولقد وجدت ريح بطنه فى يدى فحبسه فدخل عليه قوم من الابناء فقبلوا رأسه ومات بحير من الغد فقال صعصعة لما مات بحير اصنعوا الآن ما شئتم أليس قد حلت نذور نساء بنى عوف وأدركت بثارى والله لقد امكننى منه خاليا غير مرة فكرهت ان اقتله سرا فقال المهلب ما رأيت رجلا اسخى نفسا بالموت من هذا وأمر بقتله فقتل وقيل ان المهلب بعثه الى بحير قبل ان يموت فقتله ومات بحير بعده وعظم موته على المهلب وغضبت عوف والابناء وقالوا علام قتل صاحبنا وانما أخذ بثاره فنازعهم مقاعس والبطون وكلهم بطون من تميم حتى خاف الناس ان يعظم الأمر فقال اهل الحجى احملوا دم صعصعة واجعلوا دم بحير ببكير فودوا صعصعة فقال رجل من الابناء يمدح صعصعة

لله در فتى تجاوز همه * دون العراق مفاوزا وبحورا

مازال يدئب نفسه وركابه * حتى تناول فى الحروب بحيرا

(ذكر دخول الديلم قزوين وما كان منهم)

كانت قزوين ثغر المسلمين من ناحية ديلم فكانت العساكر لا تبرح مرابطة بها يتحارسون ليلا ونهارا فلما كان هذه السنة كان فى جماعة من رابط بها محمد بن أبى سبرة الجعفى وكان فارسا شجاعا عظيم الغناء فى حروبه فلما قدم قزوين رأى الناس يتحارسون فلا ينامون الليل فقال لهم اتخافون ان يدخل عليكم العدو مدينتكم قالوا نعم قال لقد انصفوكم ان فعلوا افتحوا الابواب ولا بأس عليكم ففتحوها وبلغ ذلك الديلم فساروا اليهم وبيتوهم وهجموا الى البلد وتصايح الناس فقال ابن أبى سبرة اغلقوا ابواب المدينة علينا وعليهم فقد انصفونا وقاتلوهم فاغلقوا الابواب وقاتلوهم وابلى ابن أبى سبرة بلاء عظيما وظفر بهم المسلمون فلم يفلت من الديلم أحد واشتهر اسمه بذلك ولم يعد الديلم بعدها يقدمون على مفارقة أرضهم فصار محمد فارس ذلك الثغر المشار اليه وكان يدمن شرب الخمر وبقى كذلك الى ايام عمر بن عبد العزيز فامر بتسييره الى زرارة وهى

(الفصل السادس فى ذكر ملوك اليونانيين ولمع من اخبارهم وما قالته الناس فى بدو شأنهم)

ذكر المسعودى فى مروج الذهب ان الناس تنازعوا فى نسبهم فذهبت طائفة الى انهم ينتمون الى الروم ويضافون الى عيص بن اسحق وقالت طائفة ان يونان من ولد يافث بن نوح عليه السلام وذهب قوم الى انهم جيل متقدم فى الزمان الاول ينتمون الى جدهم ابراهيم عليه السلام لان الديار كانت مشتركة والمواطن كانت متساوية وكان القوم قد شاركوا القوم فى السحنة والمذهب فلذلك غلط من غلط فى النسبة وجعل الآباء واحدة وكانت اليونان من اعقل الناس وجميع العلوم العقلية مأخوذة عنهم مثل العلوم المنطقية والطبيعية والالهية والرياضية وكانت خزائن ملوكهم وكتب علومهم بقبرس فحملت الى المأمون فأمر بنقلها الى العربية فهذه التى فى ايدى الناس اليوم من العلوم المذكورة منها وكان العالم بهذه العلوم

دار الفساق بالكوفة فسيرا اليها فاغارت الديلم ونالت من المسلمين وظهر الخلل بعده فكتبوا الى عبد الحميد بن عبد الرحمن أمير الكوفة يسألونه ان يرد عليهم ابن ابي سبرة فكتب بذلك الى عمر فاذن له في عوده الى الثغر فعاد اليه وحماه ولمحمد أخ يقال له خيثمة بن عبد الرحمن وهو ابن ابي سبرة وكان من الفقهاء

(ذكر خلاف عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث على الحجاج)

وفي هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ومن معه من جند العراق على الحجاج واقبلوا اليه لحربه وقيل كان ذلك سنة اثنتين وثمانين وكان سبب ذلك ان الحجاج لما بعث عبد الرحمن بن محمد على الجيش الى بلاد رتبيل فدخلها واخذ منها الغنائم والحصون وكتب الى الحجاج يعرفه ذلك وان رأيه ان يتركوا التوغل في بلاد رتبيل حتى يعرفوا طريقها ويجبوا خراجها على ما سبق ذكره فلما أتى كتابه الى الحجاج كتب جوابه ان كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ويستريح الى الموادعة قد صانع عدوا قليلا ذليلا قد اصابوا من المسلمين جندا كان بلاؤهم حسنا وغناؤهم عظيما وانك حيث تكف عن ذلك العدو بجندي وحدي لسخي النفس عن أصيب من المسلمين فامض لما امرتك به من الوغول في ارضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم ثم اردفه كتابا آخر بنحو ذلك وفيه اما بعد فمر من قبلك من المسلمين فليحرثوا وليقيموا بها فانها دارهم حتى يفتحها الله عليهم ثم كتب اليه ثالثا بذلك ويقول له ان مضيت لما امرتك والا فاخوك اسحق بن محمد امير الناس فدعا عبد الرحمن الناس وقال لهم أيها الناس اني لكم ناصح ولصلاحكم محب ولكم في كل ما يحيط به نفعكم ناظر وقد كان رأيي فيما بيني وبين عدوي ما رضيه ذوو أحلامكم وأولوا التجربة منكم وكتبت بذلك الى اميركم الحجاج فاتاني كتابه يعجزني ويضعفني ويأمرني بتعجيل الوغول بكم في ارض العدو وهي البلاد التي هلك فيها اخوانكم بالامس وانما انا رجل منكم امضي اذ مضيتم وآبى اذا أبيتم فثار اليه الناس وقالوا بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع فكان اول من تكلم ابو الطفيل عامر بن واثلة الكناني وله صحبة فقال بعد حمد الله اما بعد فان الحجاج يرى بكم ما رأى القائل الاول احمل عبدك على الفرس فان هلك هلك وان نجا فلك ان الحجاج ما يبالي ان يخاطر بكم فيقحمكم بلايا كثيرة ويغشى اللهوب واللصوب فان ظفرتم وغنمتم اكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة في سلطانه وان ظفر عدوكم كنتم انتم الاعداء البغضاء الذين لا يبالي عنتهم ولا يبقى عليهم اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا الامير عبد الرحمن فاني اشهدكم اني اول خالع فنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا قد خلعنا عدو الله وقام عبد المؤمن بن شبث بن ربعي فقال عباد الله انكم ان اطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم وجمركم تجمير فرعون الجنود فانه بلغني انه اول من جمر البعوث ولن تعاينوا الاحبة او يموت اكثركم فيما ارى فبايعوا اميركم وانصرفوا الى عدوكم الحجاج فانفوه عن بلادكم فوثب الناس الى عبد الرحمن فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه من أرض العراق وعلى النصرة له ولم يذكر عبد الملك وجعل عبد الرحمن على بست عياض ابن هميان الشيباني وعلى زرنج عبد الله بن عامر التميمي وصالح رتبيل على ان ابن الاشعث ان ظهر فلا خراج عليه ابدا ما بقي وان هزم فأراد منعه ثم رجع الى العراق فسار بين يديه اعشى

يسمى فيلسوفا وتفسيره محب الحكمة وكانت ملوكهم من اعظم الملوك ودولتهم من افخر الدول ولم يزالوا كذلك حتى غلبت عليهم الروم وفي كتاب أبي سعيد المغربي ان بلاد اليونان كانت على الخليج القسطنطيني من شرقيه وغربيه الى البحر المحيط وهذا هو الخليج الذي ينصب من بحر القلزم الذي يسمى في القديم بحر نيطس والآن البحر الاسود الى بحر الروم وذكر المسعودي ان يونان أخو قحطان وانه ولد عابر ابن شالخ بن ارفخشذ وانه انفصل عن ديار أخيه في جماعة من ولده واهله فخرج من أرض اليمن حتى وافى ديار العرب فاقام هنالك ونسله في تلك الاماكن واستعجم لسانه فزالت نسبته وصار منسيا غير معروف وكان يونان جبارا عظيما وسيما جسيما وكان جزيل الرأي كبير الهمة وذكر بطليموس في كتابه ان اول من اشتهر منهم الملك (فيلقوس بن مضير) ابن هرمز بن هروس بن منصور بن رومي بن نبط بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام ومعنى فيلقوس

همدان وهو يقول

شطت نوى من داره بالايوان * ايوان كسرى ذى القرى والريحان
من عاشق امسى بزابلستان * ان ثقيفا منهم الكذابان
كذابها الماضى وكذاب ثان * امكن ربى من ثقيف همدان
يوما الى الليل يسلى ما كان * انا سمونا للكفور الفتان
حين طغى فى الكفر بعد الايمان * بالسيد الغطريف عبد الرحمن
سار بجمع كالدبى من قحطان * ومن معد قد أتى من عدنان
بجحفل جم شديد الاركان * فقل لحجاج ولى الشيطان
يثبت لجمع مذحج وهمدان * فانهم ساقوه كاس الذيفان

وملحقوه بقرى ابن مروان

وجعل عبد الرحمن على مقدمته عطية بن عمرو العنبرى وجعل على كرمان حريثة بن عمرو التميمى فلما بلغ فارس اجتمع الناس بعضهم الى بعض وقالوا اذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك فاجتمعوا الى عبد الرحمن فكان اول الناس خلع عبد الملك تيحان بن أبجر من تيم الله ابن ثعلبة قام فقال أيها الناس انى خلعت أباذبان كخلع قميصى فخلعه الناس الا قليلا منهم وبايعوا عبد الرحمن وكانت بيعته تبايعوا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم وجهاد المحلين فلما بلغ الحجاج خلعه كتب الى عبد الملك بخبر عبد الرحمن ويسأله ان يعجل بعثة الجنود اليه وسار الحجاج حتى نزل البصرة ولما بلغ المهلب خبر عبد الرحمن كتب الى الحجاج من خراسان اما بعد فان أهل العراق قد اقبلوا اليك وهم مثل السيل ليس يردهم شئ حتى ينتهى الى قراره وان لاهل العراق شدة فى أول مخرجهم وصبابة الى ابنائهم ونسائهم فاتركهم حتى يسقطوا الى اهاليهم ويشموا أولادهم ثم واقعهم عندها فان الله ناصرك عليهم فلما قرأ كتابه سبه وقال ما الى نظر وانما النظر لابن عمه يعنى عبد الرحمن ولما وصل كتاب الحجاج الى عبد الملك هاله ودعا خالد بن يزيد فاقرأه الكتاب فقال يا أمير المؤمنين ان كان الحدث من سجستان فلا تخفه فان كان من خراسان فانى اتخوفه فجهز عبد الملك الجند الى الحجاج فكانوا يصلون الى الحجاج على البريد من مائة ومن خمسين واقل واكثر وكتب الحجاج تتصل بعبد الملك كل يوم بخبر عبد الرحمن فسار الحجاج من البصرة ليلقى عبد الرحمن فنزل تستر وقدم بين يديه مقدمة الى دجيل فلقوا عنده خيلا لعبد الرحمن فانهزم اصحاب الحجاج بعد قتال شديد وكان ذلك يوم الاضحى سنة احدى وثمانين وقتل منهم جمع كثير فلما اتى خبر الهزيمة الى الحجاج رجع الى البصرة وتبعه اصحاب عبد الرحمن فقتلوا منهم واصابوا بعض اثقالهم واقبل الحجاج حتى نزل الزاوية وجمع عنده الطعام وترك البصرة لاهل العراق ولما رجع نظر فى كتاب المهلب فقال لله دره أى صاحب حرب هو وفرق فى الناس مائة وخمسين ألف ألف درهم فاقبل عبد الرحمن حتى دخل البصرة فبايعه جميع أهلها قراؤها وكهولها مستبصرين فى قتال الحجاج ومن معه من أهل الشام وكان السبب فى سرعة اجابتهم الى بيعته ان عمال الحجاج كتبوا اليه ان الخراج قد انكسر وان أهل الذمة قد اسلموا ولحقوا بالامصار فكتب الى البصرة وغيرها ان من كان له

صاحب الفرس وكان مقر ملكه مدينة مقدونية وهى مدينة حكماء اليونانيين وهى مدينة على جانب الخليج القسطنطينى من شرقيه وكانت مدة ملك فيلقوس سبع سنين فلما مات ملك بعده ابنه (الاسكندر) وقد تنازع الناس فيه فمنهم من رأى انه ذو القرنين صاحب الخضر وابن خالته وهو المذكور فى القرآن ومنهم من رأى انهما اثنان أحدهما الاسكندر المذكور والآخر فى الفترة وقد ذكرنا تفصيل ذلك فى ذكر اقيال اليمن وكان ملوك اليونانيين يؤدون الطاعة ويحملون الخراج الى فارس وكان خراجهم فى كل سنة بيضا من ذهب عددا معلوما ووزنا مفهوما فلما ملك الاسكندر بعث اليه دارا بن نوش ملك الفرس يطالبه بما جرى من الرسوم وهو دارا بن دارا فبعث اليه الاسكندر انى قد ذبحت تلك الدجاجة التى كانت تبيض هذا البيض واكلتها فكان من حروبهم ما دعا الاسكندر الى الخروج الى ارض الشام وقتل

أصل من قرية فليخرج اليها فاخرج الناس لتؤخذ منهم الجزية فجعلوا يبكون وينادون يا محمداه يا محمداه ولا يدرون أين يذهبون وجعل قراء البصرة يبكون لما يرون فلما قدم ابن الاشعث عقيب ذلك بايعوه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك وخندق الحجاج على نفسه وخندق عبد الرحمن على البصرة وكان دخول عبد الرحمن البصرة فى آخر ذى الحجة

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة سليمان بن عبد الملك وكان ممن حج ام الدرداء الصغرى وفيها اولاد ابن ابى ذئب وكان العامل على المدينة ابان بن عثمان وعلى العراق والمشرق كله الحجاج وعلى خراسان المهلب وعلى قضاء الكوفة ابو بردة وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن اذينة وكان سجستان وكرمان وفارس والبصرة بيد عبد الرحمن

(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين)

(ذكر الحرب بين الحجاج وابن الاشعث)

قيل فى المحرم من هذه السنة اقتتل عسكر الحجاج وعسكر عبد الرحمن بن الاشعث قتالا شديدا فتزاحفوا فى المحرم عدة دفعات فلما كان ذات يوم فى آخر المحرم اشتد قتالهم فانهزم اصحاب الحجاج حتى انتهوا اليه وقاتلوا على خنادقهم ثم انهم تزاحفوا آخر يوم من المحرم فجال اصحاب الحجاج وتقوض صفهم فجثى الحجاج على ركبتيه وقال لله در مصعب ما كان اكرمه حين نزل به ما نزل وعزم على انه لا يفر فحمل سفيان بن الابرد الكلبى على الميمنة التى لعبد الرحمن فهزمها وانهزم اهل العراق واقبلوا نحو الكوفة مع عبد الرحمن وقتل منهم خلق كثير منهم عقبة بن عبد الغافر الازدى وجماعة من القراء قتلوا ربضة واحدة معه ولما بلغ عبد الرحمن الكوفة تبعه اهل القوة واصحاب الخيل من اهل البصرة واجتمع من بقى فى البصرة مع عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب فبايعوه فقاتل بهم الحجاج خمس ليال اشد قتال رآه الناس ثم انصرف فلحق بابن الاشعث وتبعه طائفة من اهل البصرة وقتل منهم طفيل بن عامر بن واثلة فقال ابوه يرثيه وهو من الصحابة

خلى طفيل على الهم فانشعبا * وهد ذلك ركنى هدة عجبا
مهما نسيت فلا انساه اذ حدقت * به الاسنة مقتولا ومنسلبا
واخطأتنى المنايا لا تطالعنى * حتى كبرت وهم يتركن لى نسبا
وكنت بعد طفيل كالذى نضبت * عنه السيول وغاض الماء وانصبا

وهى ابيات عدة وهذه الوقعة تسمى يوم الزاوية فاقام الحجاج اول صفر واستعمل على البصرة الحكم بن ايوب الثقفى وسار عبد الرحمن الى الكوفة وقد كان الحجاج استعمل عليها عند مسيره الى البصرة عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمى حليف بنى امية فقصده مطر ابن ناجية اليربوعى فتحصن منه ابن الحضرمى فى القصر ووثب اهل الكوفة مع مطر فاخرج ابن الحضرمى ومن معه من اهل الشام وكانوا أربعة آلاف واستولى مطر على القصر واجتمع الناس وفرق فيهم مائتى درهم مائتى درهم فلما وصل ابن الاشعث الى الكوفة كان مطر بالقصر فخرج اهل الكوفة يستقبلونه ودخل الكوفة وقد سبق اليه همدان فكانوا حوله فاتى القصر

دارا كامر وسار الاسكندر بعد ما ملك بلاد فارس واحتوى على ملوكها وتزوج بابنة ملكها متوجها نحو السند والهند فوطئ ملوكها فذلت له جميع الملوك وحملت اليه الهدايا وكان معلمه ارسطاليس حكيم اليونانيين ولما اجتمع مع الفيلسوف فى الهند امر له عند الوداع بجوائز كثيرة فلم يقبل فسأله عن عدم قبوله الهدية فقال له الفيلسوف لو احب المال ما أردت العلم فلست ادخل على علمى ما يضاده وينافيه واعلم أيها الملك ان العطية توجب الخدمة وليس بحر عاقل من خدم غيرذاته والذى يصلح النفس الناطقة العلم وهو صفاؤها وغذاؤها وتناول اللذات الحيوانية وغيرها من الموجودات ضرر لها والحكمة سبيل الى العلم وسلم اليه ومن عدم ذلك عدم القربة من بارئه وللاسكندر مع هذا الفيلسوف مناظرات كثيرة من انواع العلوم ولما توفى الاسكندر عرض الملك على ابنه فابى واختار النسك فانقسمت ممالك الاسكندر بين ملوك الطوائف وبين ملوك اليونان

فمنعه مطر بن ناجية ومعه جماعة من بني تميم فاصعد عبد الرحمن الناس في السلاليم الى القصر
فاخذوه فأتي عبد الرحمن بمطر بن ناجية فحبسه ثم اطلقه وصار معه فلما استقر عبد الرحمن
بالكوفة اجتمع اليه الناس وقصده اهل البصرة منهم عبد الرحمن بن العباس ابن ربيعة
الهاشمي بعد قتاله الحجاج بالبصرة وقتل الحجاج يوم الزاوية بعد الهزيمة احد عشر الفا خدعهم
بالامان وامر مناديا فنادى لا امان لفلان بن فلان فسمى رجالا فقال العامة قد أمن الناس
فحضروا عنده فامر بهم فقتلوا

(ذكر وقعة دير الجماجم)

وكانت وقعة دير الجماجم في شعبان من هذه السنة وقيل كانت سنة ثلاث وثمانين وكان سببها ان
الحجاج سار من البصرة الى الكوفة لقتال عبد الرحمن بن محمد فنزل دير قرة وخرج عبد الرحمن
من الكوفة فنزل دير الجماجم فقال الحجاج ان عبد الرحمن نزل دير الجماجم ونزلت دير القرة اما
تزجر الطير واجتمع الى عبد الرحمن اهل الكوفه واهل البصرة والقراء واهل الثغور والمسالح
بدير الجماجم فاجتمعوا على حرب الحجاج لبغضه وكانوا مائة الف ممن ياخذ العطاء ومعهم مثلهم
وجاءت الحجاج ايضا امداد من الشام قبل نزوله بدير قرة وخندق كل منهما على نفسه فكان
الناس يقتتلون كل يوم ولا يزال احدهما يدني خندقه من الآخر ثم ان عبد الملك واهل الشام
قالوا ان كان يرضى اهل العراق بنزع الحجاج عنهم نزعناه فان عزله ايسر من حربهم ونحقن بذلك
الدماء فبعث عبد الملك ابنه عبد الله واخاه محمد بن مروان وكان محمد بارض الموصل الى الحجاج
في جند كثيف وامرهما ان يعرضا على اهل العراق عزل الحجاج وان يجريا عليهم اعطياتهم كما
يجرى على اهل الشام وان ينزل عبد الرحمن بن محمد اي بلد شاء من بلد العراق فاذا نزله كان
واليا عليه مادام حيا وعبد الملك خليفة فان اجاب اهل العراق الى ذلك عزلا الحجاج عنها وصار
محمد بن مروان امير العراق وان ابى أهل العراق قبول ذلك فالحجاج امير الجماعة ووالى القتال
ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته فلم يات الحجاج امر قط كان اشد عليه
ولا اوجع لقلبه من ذلك فخاف ان يقبل اهل العراق عزله فيعزل عنهم فكتب الى عبد الملك والله
لو أعطيت اهل العراق نزعي لم يلبثوا الا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا اليك ولا يزيدهم ذلك
الا جراءة عليك الم تر ويبلغك وثوب اهل العراق مع الاشتر على ابن عفان وسؤالهم نزع سعيد بن
العاص فلما نزعه لم تتم لهم السنة حتى ساروا الى عثمان فقتلوه وان الحديد بالحديد يفلح فابى
عبد الملك الا عرض عزله على اهل العراق فلما اجتمع عبد الله ومحمد مع الحجاج خرج عبد الله بن
عبد الملك وقال يا اهل العراق انا ابن امير المؤمنين وهو يعطيكم كذا وكذا وخرج محمد بن
مروان وقال انا رسول امير المؤمنين وهو يعرض عليكم كذا وكذا فذكر هذه الخصال فقالوا
نرجع العشية فرجعوا واجتمع اهل العراق عند ابن الاشعث فقال لهم قد اعطيتم امرا انتهازكم
اليوم اياه فرصة وانكم اليوم على النصف فان كانوا اعتدوا عليكم بيوم الزاوية فانتم تعتدون
عليهم بيوم تستر فاقبلوا ما عرضوا عليكم وانتم اعزاء اقوياء والقوم لكم هائبون وانتم لهم
منتقصون فوالله لا زلتم عليهم جرآء وعندهم اعزاء ابدا ما بقيتم ان انتم قبلتم فوثب الناس من كل
جانب فقالوا ان الله قد اهلكهم فاصبحوا في الضنك والمجاعة والقلة والذلة ونحن ذوو العدد
الكثير

ومالك مصر والشام والمغرب
البطالسة وهم ملوك اليونان
وكان يسمى كل واحد منهم
بطليموس وهي لفظة مشتقة
من الحرب ومعناها اسد
الحرب وكان عدة البطالسة
الذين ملكوا بعد الاسكندر
ثلاثة عشر ملكا واول
البطالسة بطليموس (شوش
ابن لاغوش) كان يلقب
بالمنطقي وملك المذكور
عشرين سنة ثم ملك بعده
بطليموس الثاني واسمه
(فيلودلفوس) ومعناه محب
اخيه وهو الذي نقلت له
التوراة من العبرانية الى
اليونانية وهو الذي اعتق
اليهود الذين وجدهم اسرى
لما ملك وكانت مدة ملكه
ثمانيا وثلاثين سنة ثم ملك
بعده بطليموس الثالث واسمه
(أوراخطيس) ملك خمسا
وعشرين سنة وكان ملك
الشام يومئذ ابطيحش وهو
الذي بنى مدينة انطاكية
وكانت دار ملكه وجعل
بناء سورها احد عجائب
العالم في البناء على السهل
والجبل ومسافة السور
اثنا عشر ميلا وجعل عدد
الابراج فيها مائة وستة
وثلاثين برجا وجعل عدد
شرافاتها اربعا وعشرين
الف شرافة وجعل كل برج
من الابراج بسكنه بطريق

الكثير والسعر الرخيص والمائدة القريبة لا والله لا نقبل واعادوا خلعه ثانية وكان اول من قام بخلعه بدير الجماجم عبد الله بن ذؤاب السلمى وعمير بن تيجان وكان اجتماعهم على خلعه بالجماجم اجمع من خلعهم اياه بفارس فقال عبد الله بن عبد الملك ومحمد بن مروان للحجاج شأنك بعسكرك وجندك واعمل برأيك فانا قد أمرنا ان نسمع لك ونطيع فقال قد قلت انه لا يراد بهذا الامر غيركم فكانا يسلمان عليه بالامرة ويسلم عليهما بالامرة فلما اجتمع اهل العراق بالجماجم على خلع عبد الملك قال عبد الرحمن الا ان بنى مروان يعيرون بالزرقاء والله مالهم نسب اصح منه الا ان بنى العاص اعلاج من اهل صفورية فان يكن هذا الامر من قريش ففى تقويت بيضة قريش وان يك فى العرب فانا ابن الاشعث ومد بها صوته يسمع الناس وبرزوا للقتال فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكلبى وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمى وعلى خيله سفيان بن الابرد الكلبى وعلى رجاله عبد الله بن خبيب الحكمى وجعل عبد الرحمن بن محمد على ميمنته الحجاج بن حارثة الخثعمى وعلى ميسرته الابرد بن قرة التميمى وعلى خيله عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة الهاشمى وعلى رجاله محمد بن سعد بن ابى وقاص وعلى مجنبته عبد الله بن رزام الحارثى وجعل على القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفى وفيهم سعيد بن جبير وعامر الشعبى وابو البخترى الطائى وعبد الرحمن بن ابى ليلى ثم اخذوا يتزاحفون كل يوم ويقتتلون واهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة وسوادها وهم فى خصب واهل الشام فى ضنك شديد قد غلت عليهم الاسعار وفقد عندهم اللحم كانهم فى حصار وهم على ذلك يغادون القتال ويراوحون فلما كان اليوم الذى قتل فيه جبلة بن زحر بن قيس وكانت كتيبة تدعى القراء تحمل عليهم فلا يبرحون وكانوا قد عرفوا بذلك وكان فيهم كميل بن زياد وكان رجلا ركينا فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون وعبى الحجاج صفوفه وعبى عبد الرحمن اصحابه وعبى الحجاج لكتيبة القراء ثلاث كتائب وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحكمى فاقبلوا نحوهم فحملوا على القراء ثلاث حملات كل كتيبة تحمل حملة فلم يبرحوا وصبروا

(ذكر وفاة المغيرة بن المهلب)

وفى هذه مات المغيرة بن المهلب بخراسان وكان قد استخلفه ابوه المهلب على عمله بخراسان فمات فى رجب سنة اثنتين وثمانين فاتى الخبر يزيد بن المهلب واهل العسكر فلم يخبروا المهلب فامر يزيد النساء فصرخن فقال المهلب ما هذا فقيل مات المغيرة فاسترجع وجزع حتى ظهر جزعه فلامه بعض خاصته ثم دعا يزيد ووجهه الى مرو ووصاه بما يعمل وان دموعه تنحدر على لحيته فكان المهلب مقيما بكش بما وراء النهر يحارب اهلها فسار يزيد فى ستين فارسا ويقال سبعين فلقيهم خمسمائة من الترك فى مفازة بست فقالوا ما أنتم قالوا تجار قالوا فاعطونا شيأ فابى يزيد فاعطاهم مجاعة ابن عبد الرحمن العتكى ثوبا وكرابيس وقوسا فانصرفوا ثم غدروا وعادوا اليهم فقاتلوهم فاشتد القتال ومع يزيد رجل من الخوارج كان قد اخذه فقال استبقنى فاستبقاه فحمل الخارجى عليهم حتى خالطهم وصار من ورائهم وقتل رجلا ثم كر حتى خالطهم وقتل رجلا ورجع الى يزيد وقتل يزيد عظيما من عظمائهم ورمى يزيد فى ساقه فاشتدت شوكتهم وصبر يزيد حتى جازوهم فقالوا قد غدرنا ولا ننصرف حتى نموت او تموتوا او تعطونا شيأ فلم يعطهم يزيد شيأ

من البطارقة برجاله وخيله ثم ملك بعده بطليوس الرابع واسمه (فيلو نطول) ومعناه محب ابيه وملك سبع عشرة سنة ثم ملك بعده بطليوس الخامس واسمه (افيفتوس) اربعا وعشرين سنة وهو صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطى وكان نقش خاتمه من صان لسانه كثرت اخوانه وكان حسن النطق كثير التزهد والصيام نظيف الثياب مات وعمره سبع وستون سنة ثم ملك بعده بطليوس السادس واسمه (فيلومطول) ومعناه محب امه وملك خمسا وثلاثين سنة ثم ملك بعده بطليوس السابع واسمه (اوراخطيس) ملك تسعا وعشرين سنة ثم ملك بعده بطليوس الثامن واسمه (سوطيرا) ملك ست عشرة سنة ثم ملك بعده بطليوس التاسع واسمه (سيدير نطيس) ملك تسع سنين ثم ملك بعده بطليوس العاشر واسمه (اسكندروس) ثلاث سنين ويقال لهذا بطليوس الحديث ثم ملك بعده بطليوس الحادى عشر واسمه (فيلودقوس) ثمانى سنين ثم ملك بعده بطليوس الثانى عشر واسمه (سوسيفوس) تسعا

فقال مجاعة اذكرك الله قد هلك المغيرة فانشدك الله ان تهلك فتجتمع على المهلب المصيبة فقال ان المغيرة لم يعد اجله واست اعد واجلى فرمى اليهم مجاعة بعمامة صفراء فاخذوها فانصرفوا

(ذكر صلح المهلب اهل كش)

وفى هذه صالح المهلب اهل كش وكان سبب ذلك انه اتهم قوما من مضر فحبسهم وصالح وقفل وخلف حريث بن قطبة مولى خزاعة وقال اذا استوفيت الفدية فرد عليهم الرهن وسار المهلب فلما صار ببلخ كتب الى حريث انى لست آمن ان رددت عليهم الرهن ان يغيروا عليك فاذا قبضت الفدية فلا تخل الرهن حتى تقدم ارض بلخ فقال حريث لملك كش ان المهلب كتب الى كذا وكذا فان عجلت الفدية سلمت اليك الرهن وسرت واخبرته ان كتابه ورد وقد استوفيتها منكم ورددت عليكم الرهن فعجل ملك كش الفدية واخذ الرهن ورجع حريث فعرض لهم الترك فقالوا له افد نفسك ومن معك فقد لقينا يزيد بن المهلب ففدى نفسه فقال حريث ولدتنى اذا أم يزيد وقاتلهم فقتلهم واسر منهم اسرى ففدوهم فاطلقهم ورد عليهم الفداء وبلغ المهلب قوله فقال يانف العبد ان تلده ام يزيد فغضب فلما قدم عليه بلخ قال اين الرهن قال خليتهم قبل وصول كتابك وقد كفيت ما خفت قال كذبت ولكنك تقربت اليهم وامر بتجريده فجزع من ذلك حتى ظن المهلب ان به مرضا فجرده وضربه ثلاثين سوطا فقال حريث وددت انه ضربنى ثلثمائة ولم يجردنى انفة وحياء وحلف ليقتلن المهلب فركب يوما مع المهلب فامر غلامين له ان يضربا المهلب فلم يفعلا وقالا انخاف عليك ان تقتل وترك حريث اتيان المهلب فارسل اليه اخاه ثابت ابن قطبة ليأتيه به وقال له انك كبعض ولدى ادبه كبعضهم فاتى ثابت أخاه وسأله ان يركب الى المهلب فلم يفعل وحلف ليقتلنه فقال ثابت ان كان هذا رأيك فاخرج بنا الى موسى بن عبد الله ابن خازم وخاف ثابت أن يقتل حريث المهلب فيقتلون جميعا فخرجا فى ثلثمائة من أصحابهما المنقطعين اليهما

(ذكر وفاة المهلب بن ابى صفرة وولاية ابنه يزيد خراسان)

لما صالح المهلب اهل كش رجع يريد مرو فلما كان بمرو الروذ اخذته الشوصة وقيل الشوكة فمات منها واوصى الى ابنه حبيب فصلى عليه وقال لهم قد استخلفت عليكم يزيد فلا تخالفوه فقال له ابنه المفضل لو لم تقدمه لقدمناه واحضر ولده فوصاهم واحضر سهاما فحزمت فقال اتكسرونها مجتمعة قالوا لا قال افتكسرونها متفرقة قالوا نعم قال فهكذا الجماعة ثم قال اوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم فانها تنسئ فى الاجل وتثرى المال وتكثر العدد وانهاكم عن القطيعة فانها تعقب النار والقلة والذلة وعليكم بالطاعة والجماعة وليكن فعالكم أفضل من مقالكم واتقوا الجواب وزلة اللسان فان الرجل تزل قدمه فينتعش منها وتزل لسانه فيهلك اعرفوا لمن يغشاكم حقه فكفى بغدو الرجل ورواحه اليكم تذكرة له وآثروا الجود على البخل واحبوا العرف واصنعوا المعروف فان الرجل من العرب تعده العدة فيموت دونك فكيف بالصنيعة عنده عليكم فى الحرب بالتؤدة والمكيدة فانها انفع من الشجاعة واذا كان اللقاء نزل القضاء فان أخذ الرجل بالحزم فظفر قيل اتى الامر من وجهه فظفر فحمد وان لم يظفر قيل ما فرط ولا ضيع

واكن

وعشرين سنة ثم ملكت بعده (قيلونطورا) وهى الثالثة عشر من ملوك اليونان وهى آخرهم فملكت اثنتين وعشرين سنة وكانت حكيمة متفلسفة مقربة للعلماء معظمة للحكماء ولها كتب مصنفة فى الطب والرقية وكان لها زوج يقال له انطونيوس مشاركا لها فى ملك مصر فلما اراد الله ذهاب ملك اليونان سلط عليهم ملوك الروم وقيلونطورا المذكورة هى آخر ملوك اليونانيين الى ان انقضى ملكهم ودرست رسومهم وزالت علومهم الا ما بقى فى ايدى الناس وكان لهذه الملكة خبر عجيب فى موتها وقتلها لنفسها اعرضنا عن ذكره واتفق أهل المعرفة باخبارهم أن جميع عدد ملوك اليونانيين أربعة عشر ملكا وان عدد جميع سنى ملكهم ومدة ايامهم وامتداد سلطانهم ثلثمائة سنة وسنة واحدة والله اعلم بغيبه واحكم

(الفصل السابع فى ذكر ملوك الروم وهم بنو الاصفر وكل ملك منهم يسمى قيصر)

تنازع الناس فى الروم ولاية علة سموا بهذا الاسم قال المسعودى فى مروج الذهب

ولكن القضاء غالب وعليكم بقراءة القرآن وتعليم السنن وادب الصالحين واياكم وكثرة الكلام في مجالسكم ثم مات رحمه الله فقال نهار بن توسعة التيمي يرثيه

الا ذهب المعروف والعز والغنى * ومات الندى والجود بعد المهلب
اقام بمرو الروذ رهن ضريحه * وقد غاب عنه كل شرق ومغرب
اذا قيل أي الناس أولى بنعمة * على الناس قلناه ولم نتهيب

فلما توفي كتب ابنه يزيد الى الحجاج يعلمه بوفاته فاقر يزيد على خراسان

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة عزل عبد الملك أبان بن عثمان من المدينة في جمادى الآخرة واستعمل عليها هشام ابن اسمعيل المخزومي فعزل هشام نوفل بن مساحق عن قضاء المدينة وولى على القضاء عمرو ابن خالد الزرقي وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية فهزمهم ثم سألوه الصلح فصالحهم وولى عليهم أبا شيخ بن عبد الله فغدر وا به فقتلوه وقيل بل قتلوه سنة ثلاث وثمانين وفيها قتل عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي بدجيل وفيها مات أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربعي وعطاء بن عبد الله السلمي العابد (السلمي بفتح السين المهملة وكسر اللام) وفيها مات زاذان وأبو وائل وعمر بن عبيد الله ابن معمر التيمي وعمره ستون سنة وفيها مات ابو امامة الباهلي وقيل سنة احدى وتسعين

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين)

(ذكر بقية الوقعة بدير الجماجم)

فلما حملت كتائب الحجاج الثلاث على القراء من أصحاب عبد الرحمن وعليهم جبلة بن زحر نادى جبلة يا عبد الرحمن بن ابي ليلى يا معشر القراء ان الفرار ليس أحد باقبح به منكم اني سمعت علي بن أبي طالب رفع الله درجته في الصالحين وآتاه ثواب الصادقين والشهداء يقول يوم لقينا أهل الشام أيها المؤمنون انه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه فانكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي اصاب سبيل الهدى ونور قلبه باليقين فقاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المبتدعين الذين جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه وقال أبو البختري ايها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم فقال الشعبي أيها الناس قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم والله ما أعلم على بسيط الارض أعمل بظلم ولا أجور في حكم منهم وقال سعيد بن جبير نحو ذلك وقال جبلة احملوا عليهم حملة صادقة ولا تردوا وجوهكم عنهم حتى تواقعوا صفهم فحملوا عليهم حملة صادقة فضربوا الكتائب حتى أزالوها وفرقوها وتقدموا حتى واقعوا صفهم فازالوه عن مكانه ثم رجعوا فوجدوا جبلة بن زحر قتيلا لا يدرون كيف قتل وكان سبب قتله ان اصحابه لما حملوا على أهل الشام ففرقوهم فوقف لاصحابه ليرجعوا اليه فافترقت فرقة من أهل الشام فوقفت ناحية فلما رأوا أصحاب جبلة قد تقدموا قال بعضهم لبعض هذا جبلة احملوا عليه ما دام أصحابه مشاغيل بالقتال فحملوا عليه فلم يول لكنه حمل عليهم فقتلوه وكان الذي قتله الوليد بن نحيت الكلبي وجيء برأسه الى الحجاج فبشر اصحابه بذلك فلما رجع أصحاب جبلة ورأوه قتيلا سقط في أيديهم وتناعوه بينهم فقال لهم أبو البختري

سمو ار وما لاضافتهم الى مدينة رومية واسمها روماس بالرومية فعرب هذا الاسم فسمى من كان بها روما (وفي كتاب البيان في تاريخ بني الزمان) ان الروم ينسبون لروم بن عيص ابن اسحق عليه السلام وكان أول ظهورهم سنة ست وسبعين وثلثمائة من وفاة موسى عليه السلام وذكر أبو سعيد المغربي في كتابه ان الروم يعرفون ببني الاصفر وكانوا يدينون بدين الصابئة ويعبدون اصناما على أعداد اسماء الكواكب السبعة وقد ملك رومية عدة ملوك منهم من لم يشتهر ولا وقعت الينا اخبارهم وكان أول من اشتهر من ملوكهم وملك الروم بعد اليونانيين برومية (بولوس) سبع سنين ونصفا وقد كانت مدينة رومية بنيت قبل الروم باربعمائة سنة ثم ملك بعده (أغسطس قيصر) ستا وخمسين سنة وهذا الملك أول من سمى من ملوك الروم قيصر وهو الثاني من ملوكهم وتفسير قيصر فتق عنه وذلك ان أمه ماتت وهي حاملة به فشق بطنها عنه فكان هذا الملك يفتخر في وقته ان النساء لم تلده وكذلك

لا يظهرن عليكم قتل جبلة انما كان كرجل منكم أتته منيته فلم يكن ليتقدم ولا يتأخر وظهر
الفشل فى القراء وناداهم أهل الشام يا أعداء الله قد هلكتم وقد قتل طاغيتكم وقدم عليهم
بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيبانى ففرحوا به وقالوا تقدم مقام جبلة وكان قد ومعه من الرى فلما
أتى عبد الرحمن جعله على ربيعة وكان شجاعا فقاتل يوما فدخل عسكر الحجاج فاخذ أصحابه ثلاثين
امرأة فاطلقهن فقال الحجاج منعوا نساءهم لو لم يردوهن لسبيت نساءهم اذا ظهرت عليهم وخرج
عبد الرحمن بن عوف الرواسى أبو حميد فدعا الى المبارزة فخرج اليه رجل من أهل الشام فتضاربا
فقال كل واحد منهما انا الغلام الكلابى فقال كل واحد منهما لصاحبه من أنت واذا هما
ابنا عم فتحاجزا وخرج عبد الله بن رزام الحارثى فطلب المبارزة فخرج اليه رجل من عسكر
الحجاج فقتله ثم فعل ذلك ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع خرج فقالوا جاء لا جاء الله به فطلب
المبارزة فقال الحجاج للجراح اخرج اليه فخرج اليه فقال له عبد الله وكان له صديقا ويحك
يا جراح ما أخرجك قال ابتليت بك قال فهل لك فى خير قال الجراح ما هو قال عبد الله أنهزم لك
وترجع الى الحجاج وقد احسنت عنده وحمدك وأما انا فاحتمل مقالة الناس فى انهزامى حسبا
لسلامتك فانى لا احب قتل مثلك من قومى قال افعل فحمل الجراح على عبد الله فاستطرد له
عبد الله وحمل عليه الجراح بجد يريد قتله فصاح لعبد الله غلامه وكان ناحية معه ماء ليشربه
وقال له ياسيدى ان الرجل يريد قتلك فعطف عبد الله على الجراح فضربه بعمود على رأسه
فصرعه وقال له يا جراح بئسما جزيتنى اردت بك العافية وأردت قتلى انطلق فقد تركتك للقرابة
والعشيرة وكان سعيد بن جبير وأبو البخترى الطائى يحملان على أهل الشام بعد قتل جبلة بن زحر
حتى يخالطوهم وكانت مدة الحرب مائة يوم وثلاثة أيام لانه كان نزولهم بالجماجم لثلاثة مضت
من ربيع الاول وكانت الهزيمة لاربع عشرة مضين من جمادى الآخرة فلما كان يوم الهزيمة
اقتتلوا اشد قتال واستظهر اصحاب عبد الرحمن على اصحاب الحجاج واستعلوا عليهم وهم آمنون
ان يهزموا فبينا هم كذلك اذ حمل سفيان بن الابرد وهو فى ميمنة الحجاج على الابرد بن قرة التميمى
وهو على ميسرة عبد الرحمن فانهزم الابرد بن قرة من غير قتال يذكر فظن الناس انه قد كان صولح
على ان ينهزم بالناس فلما انهزم تقوضت الصفوف من نحوه وركب الناس بعضهم بعضا وصعد
عبد الرحمن المنبر ينادى الناس الى عباد الله فاجتمع اليه جماعة فثبت حتى دنا منه أهل الشام
فقاتل من معه ودخل أهل الشام العسكر فاتاه عبد الله بن يزيد بن المفضل الازدى فقال له انزل
فانى أخاف عليك ان تؤسر ولعلك ان انصرفت ان تجمع لهم جمعا يهلكهم الله به فنزل هو ومن
معه لا يلوون على شئ ثم رجع الحجاج الى الكوفة وعاد محمد بن مروان الى الموصل وعبد الله بن
عبد الملك الى الشام واخذ الحجاج يبايع الناس وكان لا يبايع احدا الا قال له اشهد انك كفرت
فان قال نعم بايعه والا قتله فاتاه رجل من خثعم كان معتزلا للناس جميعا فسأله عن حاله فاخبره
باعتزاله فقال له أنت متربص أتشهد انك كافر قال بئس الرجل انا اعبد الله ثمانين سنة ثم أشهد
على نفسى بالكفر قال اذا أقتلك قال وان قتلتنى فقتله ولم يبق أحد من أهل الشام والعراق
الا رحمه ثم دعا بكميل بن زياد فقال له أنت المقتص من أمير المؤمنين عثمان قد كنت أحب الى من
ان أجد عليك سبيلا قال على أينا انت أشد غضبا عليه حين اقاد من نفسه ام على حين عفوت

عنه

يفتخر من كان من ولده
واحتوى هذا الملك على
خزائن ملوك الاسكندرية
ومقدونية ونقلها الى
رومية وخرج اغسطس
المذكور فى السنة
الثانية عشر من ملكه من
رومية بعساكر عظيمة فى
البر والبحر وسار الى الديار
المصرية واستولى على ملك
اليونان وكانت قيلوبطورا
هى ملكة اليونان وكان
مقامها فى الاسكندرية ولما
ملك اغسطس ديار مصر
والشام دخلت بنو اسرائيل
تحت طاعته كما كانوا تحت
طاعة البطالسة فولى بيت
المقدس لهردوس اليهودى
وفى أيام اغسطس المذكور
ولد المسيح عليه السلام
وكانت مدة ملكه ثلاثا
وأربعين سنة ثم ملك بعده
(طيباريوس) اثنتين
وعشرين سنة وهو الذى
بنى طبرية بالشام ولهذا
اشتق اسمها من اسمه ثم ملك
بعده (غالبوس) أربع
سنين ولمضى السنة الاولى
من ملكه رفع المسيح عليه
السلام ولما ملك هذا الملك
اختلفت الروم فاقاموا
على اختلاف الكلمة
والتنازع فى الملك مائتى سنة
وثمانيا وتسعين سنة لا انتظام
لهم ولا ملك يجمعهم فلما

عنه ثم قال أيها الرجل من ثقيف لا تصرف على بنانك ولا تكثر على كالذئب والله ما بقي من عمري الا ظمء الحمار اقض ما أنت قاض فان الموعد الله وبعد القتل الحساب قال الحجاج فان الحجة عليك قال ذلك اذا كان القضاء اليك فامر به فقتل وكان خصما بأمير المؤمنين وأتي بآخر من بعده فقال له الحجاج أرى رجلا ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر فقال له الرجل اتخادعني عن نفسي انا أكفر أهل الارض وأكفر من فرعون فضحك منه وخلى سبيله وأقام بالكوفة شهرا وأنزل أهل الشام بيوت أهل الكوفة أنزلهم الحجاج فيها مع أهلها وهو أول من أنزل الجند في بيوت غيرهم وهو الى الآن لا سيما في بلاد العجم ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة

(ذكر الوقعة بمسكن)

ولما انهزم عبد الرحمن الى البصرة واجتمع اليه من المنهزمين جمع كثير وكان فيهم عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن جندب بن عبد شمس القرشي وكان بالمدائن محمد بن سعد بن ابي وقاص فسار اليه الحجاج فلحق ابن سعد بعبد الرحمن وسار عبد الرحمن نحو الحجاج ومعه جمع كثير فيهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني وقد بايعه خلق كثير على الموت فاجتمعوا بمسكن وخندق عبد الرحمن على أصحابه وجعل القتال من وجه واحد وقدم عليه خالد بن جرير بن عبد الله من خراسان في ناس من بعث الكوفة فاقتتلوا خمسة عشر يوما من شعبان أشد قتال فقتل زياد بن غنم القيني وكان على مسالح الحجاج فهدّه ذلك وهدّ أصحابه وبات الحجاج يحرض اصحابه ولما أصبحوا باكروا القتال فاقتتلوا أشد قتال كان بينهم فانكشفت خيل سفيان بن الابرد فامر الحجاج عبد الملك بن المهلب فحمل على أصحاب عبد الرحمن وحمل اصحاب الحجاج من كل جانب فانهزم عبد الرحمن واصحابه وقتل عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه وأبو البختري الطائي ومشى بسطام بن مصقلة بن هبيرة في أربعة آلاف فارس من شجعان أهل الكوفة والبصرة فكسروا جفون سيوفهم وحث أصحابه على القتال فحملوا على أهل الشام فكشفوهم مرارا فدعا الحجاج الرماة فرموهم واحاط بهم الناس فقتلوا الا قليلا ومضى ابن الاشعث نحو سجستان وقد قيل في هزيمة عبد الرحمن بمسكن غير هذا والذي قيل انه اجتمع هو والحجاج بمسكن وكان عسكر ابن الاشعث والحجاج بين دجلة والسيب والكرخ فاقتتلوا شهرا ودونه فأتى شيخ فدل الحجاج على طريق من وراء الكرخ في أجمة وضحضاح من الماء فارسل معه أربعة آلاف وقال لقائدهم ان صدق فاعطه ألف درهم فان كذب فاقتله فسار بهم ثم ان الحجاج قاتل اصحاب عبد الرحمن فانهزم الحجاج فعبر السيب ورجع ابن الاشعث الى عسكره آمنا ونهب عسكر الحجاج فامنوا والقوا السلاح فلم يشعروا انصف الليل الا والسيف يأخذهم من تلك السرية فغرق من أصحاب عبد الرحمن أكثر ممن قتل ورجع الحجاج في عسكره على الصوت فقتلوا من وجدوا فكان عدة من قتل اربعة آلاف منهم عبد الله بن شداد بن الهاد وبسطام بن مصقلة وعمرو بن ضبيعة الرقاشي وبشر بن المنذر بن الجارود وغيرهم

(ذكر مسير عبد الرحمن الى رتبيل وما جرى له ولاصحابه)

ولما انهزم عبد الرحمن من مسكن سار الى سجستان فاتبعه الحجاج ابنه محمدا وعمارة بن تميم اللخمي

انقضت المدة المذكورة ملكوا عليهم (طيارميس) ثم ملك بعده (قلورنوس) أربع عشر سنة وهو الذي قتل في آخر ملكه بطرس وبواس برومية وصلبهما منكوسين وهما المذكوران في سورة يس ثم ملك بعده (ساسالوس) عشر سنين ثم ملك بعده (طيطوس) سبع سنين وهو الذي غزا اليهود وأسرهم وباعهم وأخرب بيت المقدس واحرق الهيكل ثم ملك بعده (ذومطينوس) خمس عشرة سنة وتتبع النصارى واليهود وأمر بقتلهم وكان دينه ودين غيره من الروم عبادة الاصنام ثم ملك بعده (باروس) سنة واحدة ثم ملك بعده (ازديانوس) احدى وعشرين سنة ففي أول سنة من ملكه أطلق للناس الخراج والاتاوى الديوانية وقضى ديونهم وفي زمانه اشتهر جالينوس في الطب ووضع كتبا كثيرة نحو مائة كتاب وكان شيخه في الطب طبيبا اسمه اليانوس وكان وفاة جالينوس بجزيرة صقلية وقد بلغ من العمر ثمانيا وثمانين سنة وتجذم بعد ان مضى من ملكه ثماني عشرة سنة فسار الى مصر يطلب الشفاء فلم

وعمارة على الجيش فادركه عمارة بالسوس فقاتله ساعة فانهزم عبد الرحمن ومن معه وساروا حتى أتوا سابور واجتمع اليه الاكراد فقاتلهم عمارة قتالا شديدا على العقبة فجرح عمارة وكثير من أصحابه وانهزم عمارة وتركوا لهم العقبة وسار عبد الرحمن حتى أتى كرمان وعمارة يتبع اثرهم فدخل بعض أهل الشام قصرا فى مفازة كرمان فاذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر ابن حلزة اليشكرى وهى طويلة

أيا لهفا ويا حربا جميعا * ويا حر الفؤاد لما لقينا
تركنا الدين والدنيا جميعا * واسلمنا الحلائل والبنينا
فما كنا بناس أهل دين * فنصبر فى البلاء اذا ابتلينا
وما كنا بناس أهل دنيا * فنمنعها ولو لم نرج دينا
تركنا دورنا لطغام عك * وانباط القرى والاشعرينا

فلما وصل عبد الرحمن كرمان أتاه عامله وقد هيأ له نزلا فنزل ثم رحل الى سجستان فأتى زرنج وفيها عامله فاغلق بابها ومنع عبد الرحمن من دخولها فاقام عليها اياما ليفتحها فلم يصل اليها فسار الى بست وكان قد استعمل عليها عياض بن هميان بن هشام السدوسى الشيبانى فاستقبله وانزله فلما غفل اصحابه قبض عليه عياض واوثقه وأراد ان يأمن به عند الحجاج وقد كان رتبيل ملك الترك سمع بقدوم عبد الرحمن فسار اليه ليستقبله فلما قبضه عياض نزل رتبيل على بست وبعث الى عياض يقول والله لئن آذيته بما يقذى عينه او ضررته ببعض الضرر او أخذت منه ولو حبلا من شعر لا أبرح حتى استنزلك واقتلك وجميع من معك واسبى ذراريكم وأغنم أموالكم فاستأمنه عياض فاطلق عبد الرحمن فأراد قتل عياض فمنعه رتبيل ثم سار عبد الرحمن مع رتبيل الى بلاده فانزله واكرمه وعظمه وكان ناس كثير من المنهزمين من اصحاب عبد الرحمن من الرؤس والقادة الذين لم يقبلوا امان الحجاج ونصبوا له العداوة فى كل موطن قد تبعوا عبد الرحمن فبلغوا سجستان فى نحو ستين ألفا ونزلوا على زرنج يحاصرون من بها وكتبوا الى عبد الرحمن يستدعونه ويخبرونه انهم على قصد خراسان ليقووا بمن بها من عشائرهم فاتاهم وكان يصلى بهم عبد الرحمن ابن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب الى ان قدم عبد الرحمن فلما أتت كتبهم عبد الرحمن سار اليهم ففتحوا زرنج وسار نحوهم عمارة بن تميم فى أهل الشام فقال لعبد الرحمن اصحابه اخرج بنا عن سجستان الى خراسان فقال ان بها يزيد بن المهلب وهو رجل شجاع ولا يترك لكم سلطانه ولو دخلناها لقاتلنا وتبعنا أهل الشام فيجتمع علينا أهل خراسان وأهل الشام فقالوا لو دخلنا خراسان لكان من يتبعنا أكثر ممن يقاتلنا فسار معهم حتى بلغوا هراة فهرب من أصحابه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة القرشى فى ألفين فقال لهم عبد الرحمن انى كنت فى مأمن وملجا فجاءتنى كتبكم ان اقبل فان امرنا واحد فلعلنا نقاتل عدونا فاتيتكم فرأيتم ان أمضى الى خراسان وزعمتم انكم تجتمعون الى وانكم لا تتفرقون وهذا عبيد الله قد صنع ما رأيتم فاصنعوا ما بدا لكم اما انا فمنصرف الى صاحبى الذى اتيت من عنده فتفرق منهم طائفة وبقى معه طائفة وبقى أعظم العسكر مع عبد الرحمن بن العباس فبايعوه ومضى عبد الرحمن بن الاشعث الى رتبيل وسار عبد الرحمن بن العباس الى هراة فلقوا بها الرقاد الازدى فقتلوه فسار اليهم

بعده ومات ثم ملك بعده (مارانوس) ثلاثا وعشرين سنة وكان أخذ ارصاد بطليموس صاحب المجسطى فى السنة الثالثة من ملكه ثم ملك بعده (مرقوس) تسع عشرة سنة ثم ملك بعده (فرمودوس) ثلاث عشرة سنة وفى آخر ايامه خنق نفسه وقيل كان جالينوس فى زمانه ثم ملك بعده (قوطخوس) ستة أشهر وقتل غيلة فى مجلسه ثم ملك بعده (سوريانوس) ثمانى عشرة سنة فلما هلك ملك بعده (انطونياوس) سبع سنين وقتل بين حران والرها ثم ملك بعده (مقدانوس) سنة واحدة وفى زمانه وقع حريق عظيم برومية ووثب عليه عمانه فقتلوه ثم ملك بعده (أنطونياوس) الثانى أربع سنين ثم ملك بعده (الاسكندروس) ثلاث عشر سنة ثم ملك بعده (مكسليلوس) ثلاث سنين وشدد فى قتل النصارى ثم ملك بعده (عوردبانوس) ست سنين وقتل فى حدود فارس ثم ملك بعده (فيلبوس) سبع سنين واحسن الى النصارى وادام الاجتماع بهم فلما هلك ملك بعده (دقيانوس) سنة واحدة فاعاد عبادة الاصنام ودين الصابئين ومنه هرب الفتية

يزيد بن المهلب وقيل ان عبد الرحمن بن الاشعث لما انهزم من مسكن اتى عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة هراة وأتى عبد الرحمن بن العباس سجستان فاجتمع فل ابن الاشعث فسار الى خراسان فى عشرين ألفا فنزل هراة ولقوا الرقاد فقتلوه فارسل اليه يزيد بن المهلب قد كان لك فى البلاد متسع ومن هو أهون منى شوكة فارتحل الى بلد ليس لى فيه سلطان فانى أكره قتالك وان أردت مالا ارسلت اليك فاعاد الجواب انا ما نزلنا لمحاربة ولا لمقام ولكنا اردنا ان نريح ثم نرحل عنك وليست بنا الى المال حاجة وأقبل عبد الرحمن بن العباس على الجباية وبلغ ذلك يزيد فقال من أراد ان يريح ثم يرتحل لم يجب الخراج فسار يزيد نحوه وأعاد اليه انك قد ارحت وسمنت وجبيت الخراج فلك ما جبيت وزيادة فاخرج عنى فانى أكره قتالك فأبى الا القتال وكاتب جند يزيد يستميلهم ويدعوهم الى نفسه فعلم يزيد فقال جل الامر عن العتاب ثم تقدم اليه فقاتله فلم يكن بينهم كثير قتال حتى تفرق أصحاب عبد الرحمن عنه وصبر وصبرت معه طائفة ثم انهزموا وأمر يزيد أصحابه بالكف عن اتباعهم وأخذوا ما كان فى عسكرهم وأسروا منهم اسرى وكان منهم محمد بن سعد بن أبى وقاص وعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وعباس بن الاسود بن عوف الزهرى والهلقام بن نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة وفيروز بن حصين وأبو الفلج مولى عبيد الله بن معمر وسوار بن مروان وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى وعبد الله بن فضالة الزهرانى الازدى ولحق عبد الرحمن بن العباس بالسند وأتى ابن سمرة مرو وانصرف يزيد الى مرو وبعث الاسرى الى الحجاج مع سبرة ونجدة فلما أراد تسييرهم قال له اخوه حبيب باى وجه تنظر الى اليمانية وقد بعثت عبد الرحمن بن طلحة فقال يزيد انه الحجاج ولا يتعرض له قال وطن نفسك على العزل ولا ترسل به فان له عندنا يدا قال وما هى قال ألزم المهلب فى مسجد الجماعة بمائتى ألف فاداها طلحة عنه فاطلقه يزيد ولم يرسل يزيد أيضا عبد الله بن فضالة لانه من الازد وارسل الباقين فلما قدموا على الحجاج قال لحاجبه اذا دعوتك بسيدهم فاتنى بفيروز وكان بواسط قبل ان تبنى مدينة فقال لحاجبه ائتنى بسيدهم فقال لفيروز قم فقام فاحضره عنده فقال له الحجاج ابا عثمان ما اخرجك مع هؤلاء فوالله ما لحمك من لحومهم ولا دمك من دمائهم قال فتنة عمت الناس قال اكتب الى أموالك قال اكتب يا غلام ألف ألف وألفى ألف فذكر مالا كثيرا فقال الحجاج أين هذه الاموال قال عندى قال فادها قال وانا آمن على دمى قال والله لتؤدينها ثم لاقتلنك قال والله لا يجمع بين دمى ومالى فامر به فنحى ثم احضر محمد بن سعد بن أبى وقاص فقال له يا ظل الشيطان اعظم الناس تيها وكبرا تأبى بيعة يزيد بن معاوية وتتشبه بالحسين وبابن عمر ثم صرت مؤذنا وجعل يضرب رأسه بعود فى يده حتى ادماه ثم أمر به فقتل ثم دعا بعمر بن موسى فقال يا عبد المرأة يقوم بالعمود على رأس ابن الحائك يعنى ابن الاشعث وتشرب معه فى الحمام فقال اصلح الله الامير كانت فتنة شملت البر والفاجر فدخلنا فيها فقد امكنك الله منا فان عفوت فبحلمك وبفضلك وان عاقبت ظلمت مذنبين فقال الحجاج اما انها شملت البر فكذبت ولكنها شملت الفاجر وعوفى منها الابرار واما اعترافك فعسى ان ينفعك ورجا له الناس السلامة ثم أمر به فقتل ثم دعا بالهلقام بن نعيم فقال احببت ان ابن الاشعث طلب ما طلب ما الذى املت أنت معه قال املت ان يملك فيولينى كما ولاك عبد الملك فامر به

وكانوا سبعة وهم من اشراف الروم مؤمنين وقصتهم مشهورة وفى الكتب مسطورة وسيأتى شئ من أخبارهم وذكر آثارهم فى ذكر مدينة افسوس ثم ملك بعده (غالينوس) ثلاث سنين ثم ملك بعده (عليانوس) وولده (اوريانوس) ملكا بالاشتراك ثم ان اوريانوس انفرد بالملك بعد سنتين ثم غزاه سابور بن اردشير فانتصر عليه واسره فى المعركة وأرسله الى بابل وسجنه هناك ثم ملك مكانه ابنه (غالينوس) الثانى ست سنين ثم ملك بعده (قاودنوس) سنة واحدة وفى أول السنة من ملكه ظهر فى السماء اكليل من نار ثم ملك بعده (ارد فلينوس) وقيل اودليانوس ملك ست سنين ومات بصاعقة أصابته ثم ملك بعده (طيطينوس) ستة أشهر ثم ملك بعده (فيلورياس) شهرين وقتل بمدينة طرسوس ثم ملك بعده (قروبوس) سبع سنين ثم هلك فى الحرب بمدينة سرمس وملك بعده (قاروس) مع شريك له ملك سنتين ومات وقتل شريكه فى بعض الحروب

فقتل ثم دعا عبد الله بن عامر فلما أتاه قال له الحجاج لارات عينك الجنة ان افلت فقال جزى الله
ابن المهلب خيرا بما صنع قال وما صنع قال

لانه كاس فى اطلاق اسرته * وقاد نحوك فى اغلالها مضرا
وقى بقومك ورد الموت اسرته * وكان قومك ادنى عنده خطرا

فاطرق الحجاج و وقرت فى قلبه وقال وما انت وذاك وأمر به فقتل ولم تزل كلمته فى نفس الحجاج
حتى عزل يزيد عن خراسان وحبسه ثم أمر بفيروز فعذب وكان يشد عليه القصب الفارسى
المشقوق و يجر عليه حتى يجرح به ثم ينضح عليه الخل فلما أحس بالموت قال لصاحب العذاب
ان الناس لا يشكون ان قد قتلت ولى ودائع وأموال عند الناس لا تؤدى اليكم أبدا فاظهرنى
للناس ليعلموا انى حى فيؤدوا المال فاعلم الحجاج فقال اظهروه فأخرج الى باب المدينة فصاح فى
الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فانا فيروز بن حصين ان لى عند اقوام مالا فمن كان لى
عنده شئ فهو له وهو منه فى حل فلا يؤد أحد منهم درهما ليبلغ الشاهد الغائب فامر به الحجاج
فقتل وأمر بقتل عمر بن أبى قرة الكندى وكان شريفا وأمر باحضار اعشى همدان فقال ايه
عدو الله انشدنى قولك بين الاشج وبين قيس قال بل انشدك ما قلت لك قال بل انشدنى هذه فانشده

أبى الله الا ان يتمم نوره * ويطفئ نار الفاسقين فتخمدا
ويظهر أهل الحق فى كل موطن * ويعدل وقع السيف من كان أصيدا
وينزل ذلا بالعراق وأهله * كما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما احدثوا من بدعة وعظيمة * من القول لم يصعد الى الله مصعدا
وما نكثوا من بيعة بعد بيعة * اذا ضمنوها اليوم خاسوا بها غدا
وجبنا حشاه ربهم فى قلوبهم * فما يقربون الناس الا تهددا
فلا صدق فى قول ولا صبر عندهم * ولكن فخرا فيهم وتزيدا
فكيف رأيت الله فرق جمعهم * ومزقهم عرض البلاد وشردا
فقتلاهم قتلى ضلال وفتنة * وجيشهم امسى ذليلا مطردا
ولما زحفنا لابن يوسف غدوة * وأبرق منه العارضان وأرعدا
قطعنا اليه الخندقين وانما * قطعنا وافضينا الى الموت مرصدا
فكافحنا الحجاج دون صفوفنا * كفاحا ولم يضرب لذلك موعدا
بصف كان الموت فى حجزاتهم * اذا ما تجلى بيضه وتوقدا
دلفنا اليه فى صفوف كانها * جبال شرورى أو نعاف فنهمدا
فما لبث الحجاج ان سل سيفه * علينا فولى جمعنا وتبددا
وما زاحف الحجاج الا رأيته * معانا وملقى للفتوح معودا
وان ابن عباس لفى مرجحنة * اشبهها قطعا من الليل أسودا
فما شرعوا رمحا ولا جردوا ظبا * الا انما لاقى الجبان مجردا
وكرت علينا خيل سفيان كرة * بفرسانها والسمهرى مقصدا
وسفيان يهديها كان لواءها * من الطعن سنبات بالصبغ مجسدا

كهول

وملك بعده (قلطيانوس) احدى وعشرين سنة وفى السنة التاسعة أمر بهدم كنائس النصارى فهدمت كلها وأحرق كتبهم وقتل منهم خلقا كثيرا وفى هذه السنة وقع غلاء عظيم لم يسمع بمثله حتى بلغ غرارة الشامى من الحنطة الفين وخمسمائة درهم ثم انه اعتزل من الملك الى ان مات وذكر صاحب المختصر فى اخبار البشر ان قلطيانوس المذكور آخر من عبد الاصنام من ملوك الروم فانهم تنصروا بعده وفى بعض الكتب المعتبرة ان ملك الروم انتهى الى رجلين منهم على سبيل الاشتراك وكان احدهما يسمى مقسيميانوس والآخر يسمى زرفلطيانوس وكان تحت ملكهما رومية الكبرى وكان للاول بنت اسمها ماروبه زوجها لرجل اسمه مقسليوس وللثانى بنت اسمها والرويه زوجها لرجل اسمه قسطنطينة من نسل الملك قلورنوس ثم ان مقسيميانوس وزرفلطيانوس تركا الملك وأعطى كل منهما حصته من ذلك لختنه فكان للاول ولاية اناطولى وما والاها وللثانى بلاد الروم وما وراءها من الممالك الى

كهول ومرد من قضاعة حوله * مساعيد أبطال اذا النكس عردا
اذا قال شدوا شدة حملوا معا * فانهل فرضان الرماح واوردا
جنود أمير المؤمنين وخيله * وسلطانه أمسى عزيزا مويدا
ليهن أمير المؤمنين ظهوره * على أمة كانوا سعاة وحسدا
نزوا يشتكون البغي من أمرائهم * وكانوا هم ابغى البغاة واعتدا
وجدنا بني مروان خير ائمة * وافضل هذا الناس حلما وسوددا
وخير قريش في قريش أرومة * واكرمهم الا النبي محمدا
اذا ما تدبرنا عواقب أمره * وجدنا أمير المؤمنين مسددا
سيغلب قوما حاربوا الله جهرة * وان كايدوه كان أقوى وأكيدا
كذاك يضل الله من كان قلبه * مريضا ومن والى النفاق وحشدا
وقد تركوا الاهلين والمال خلفهم * وبيضا عليهن الجلابيب جردا
ينادينهم مستعبرات اليهم * ويذرين دمعا في الخدود واثمدا
انكثا وعصيانا وغدرا وذلة * أهان الاله من أهان وابعدا
لقد شأم المصرين فرخ محمد * بحق وما لاقى من الطير اسعدا
كما شأم الله النجير وأهله * بجده قد كان اشقى وانجدا

فقال أهل الشام احسن اصلح الله الامير فقال الحجاج لا لم يحسن انكم لا تدرون ما أراد بها ثم قال يا عدو الله والله لا نحمدك انما قلت يا اسفي ان لا يكون ظهر وظفر وتحريضا لاصحابك علينا وليس عن هذا سألناك انشدنا قولك بين الاشج وبين قيس باذخ فانشده فلما قال بخ بخ اى للوالدة وللمولود قال الحجاج والله لا تبخبخ بعدها ابدا فضربت عنقه قوله فى هذه الابيات ابن عباس هو عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وقد تقدم ذكره وقوله سفيان هو ابن الابرد الكلبى من قواد العساكر الشامية وقوله فرخ محمد هو عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وقوله الاشج هو محمد بن الاشعث وقوله بين قيس هو معقل بن قيس الرياحى وهو جد عبد الرحمن ابن محمد لامه وقوله كما شأم الله النجير وأهله بجده يعنى لما ارتد الاشعث بن قيس جد عبد الرحمن بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وتبعه كندة فلما حاربهم المسلمون وحصروهم بالنجير أخذوهم وقتلوهم وقد تقدم ذكر ذلك فى قتال أهل الردة قيل وأتى الحجاج باسيرين فامر بقتلهما فقال أحدهما ان لى عندك يدا قال وما هى قال ذكر عبد الرحمن يوما امك بسوء فنهيته قال ومن يعلم ذلك قال هذا الاسير الآخر فسأله الحجاج فصدقه فقال له الحجاج فلم تفعل كما فعل قال وينفعنى الصدق عندك قال نعم قال منعنى البغض لك ولقومك قال خلوا عن هذا لفعله وعن هذا لصدقه قيل جاء رجل من الانصار الى عمر بن عبد العزيز فقال أنا فلان بن فلان قتل جدى يوم بدر وقتل جدى فلان يوم أحد وجعل يذكر مناقب سلفه فنظر عمر الى عنبسة بن سعيد بن العاص فقال هذه المناقب والله لا يوم مسكن ويوم الجماجم ويوم راهط وانشد

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

(ذكر ما جرى للشعبى مع الحجاج)

افريقية ودبار المغرب وافريقية وهو الذى بنى قسطينة بالغرب وسماها باسمه وكان لقسيانوس ابن اسمه مقنديوس فسلطنوه فى مدينة رومية وتغلب عليها وعلى ما يقاربها من ناحية موليا وغيرها ثم ان قسطنطينه حكم احدى عشرة سنة وتوفى فقام بالملك بعده ابنه قسطنطين وذكر المسعودى ان عدة ملوك الروم الذين ملكوا مدينة رومية تسعة واربعون ملكا وجميع عدد سنيهم أربعمائة وسبع وثمانون سنة وتسعة أشهر وستة ايام واختلف أصحاب التاريخ فى اسماء ملوكهم لانها بالرومية ولهذه الملوك سير وأخبار هى موجودة فى كتب النصارى الملكية اعرضنا عن ذكرها لعدم نفعها والله الموفق للصواب

(الفصل الثامن) فى ذكر ملوك القسطنطينية الكبرى والمدينة العظمى)

* وكان أول من انتقل من ملوك الروم عن مدينة رومية الى بوزنطا وهى القسطنطينية بناها وسماها باسمه (قسطنطين) ابن قسطينه وهو أول من تنصر من ملوك الروم ثم تبعه من تبعه على الخصوص

لما انهزم أصحاب عبد الرحمن بالجماجم نادى منادى الحجاج من لحق بقتيبة بن مسلم فهو آمن وكان قد ولاه الرى وسار اليه فلحق به ناس كثير وكان منهم الشعبى فذكره الحجاج يوما فسأل عنه فقال له يزيد بن أبى مسلم انه لحق بقتيبة بالرى فكتب الحجاج الى قتيبة يأمره بارسال الشعبى فارسله قال الشعبى فلما قدمت على الحجاج لقيت ابن أبى مسلم وكان صديقا لى فاستشرته فقال اعتذر مهما استطعت واشار بمثل ذلك اخوانى ونصحائى فلما دخلت على الحجاج رأيت غير ما ذكروا لى فسلمت عليه بالامرة وقلت أيها الامير ان الناس قد أمرونى ان اعتذر بغير ما يعلم الله انه الحق وايم الله لا أقول فى هذا المقام الا الحق قد والله مردنا عليك وحرضنا وجهدنا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا بالاتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا واظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وما جرت اليه أيدينا وان عفوت عنا فبحلمك وبعد فالحجة لك علينا فقال الحجاج أنت والله أحب الى قولا ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول ما فعلت ولا شهدت وقد امنت يا شعبى كيف وجدت الناس بعدنا فقلت أصلح الله الامير اكتحلت بعدك السهر واستوعرت الجناب واستحلست الخوف وفقدت صالح الاخوان ولم أجد من الامير خلفا قال انصرف يا شعبى فانصرفت

(ذكر خلع عمر بن أبى الصلت بالرى وما كان منه)

لما ظفر الحجاج بابن الاشعث لحق خلق كثير من المنهزمين بعمر بن أبى الصلت وكان قد غلب على الرى فى تلك الفتنة فلما اجتمعوا بالرى أرادوا ان يحظوا عند الحجاج بامر يمحون عن أنفسهم عثرة الجماجم فاشاروا على عمر بخلع الحجاج وقتيبة فامتنع فوضعوا عليه اباه ابا الصلت وكان به بارا فاشار عليه بذلك والزمه به وقال له يا بنى اذا سار هؤلاء تحت لوائك لا ابالى ان تقتل غدا ففعل فلما قارب قتيبة الرى بلغه الخبر فاستعد لقتاله فالتقوا واقتتلوا فغدر أصحاب عمر به واكثرهم من تميم فانهزم ولحق بطبرستان فآواه الاصبهبد وأكرمه واحسن اليه فقال عمر لابيه انك امرتنى بخلع الحجاج وقتيبة فاطعتك وكان خلاف رأيى فلم احمد رأيك وقد نزلنا بهذا العلج الاصبهبد فدعنى حتى اثب عليه فاقتله واجلس على مملكته فقد علمت الاعاجم انى أشرف منه فقال أبوه ما كنت لافعل هذا الرجل آوانا ونحن خائفون واكرمنا وانزلنا فقال عمر انت أعلم وسترى ودخل قتيبة الرى وكتب الى الحجاج بخبر عمر وانهزامه الى طبرستان فكتب الحجاج الى اصبهبد أن ابعث بهما أو برؤسهما والا فقد برئت منك الذمة فصنع لهم الاصبهبد طعاما واحضرهما فقتل عمر وبعث اباه أسيرا وقيل بل قتلهما وبعث برؤسهما

(ذكر بناء مدينة واسط)

وفى هذه السنة بنى الحجاج واسطا وكان سبب ذلك ان الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة الى خراسان وعسكر بحمام عمر وكان فتى من أهل الكوفة حديث عهد بعرس فانصرف من العسكر الى ابنة عمه ليلا فطرق الباب طارق ودقه دقا شديدا فاذا سكران من أهل الشام فقالت للرجل ابنة عمه لقد لقينا من هذا الشامى شرا يفعل بنا كل ليلة ما ترى يريد المكروه وقد شكوته الى مشيخة أصحابه فقال لها زوجها ائذنى له فأذنت له فقتله زوجها فلما اذن الفجر خرج الى العسكر وقال لابنة عمه اذا صليت الفجر فابعثى الى الشاميين ليأخذوا صاحبهم فاذا أحضروك عند الحجاج فاصدقيه الخبر على وجهه ففعلت فأحضرت عند الحجاج فاخبرته فقال صدقتنى وقال

والعموم وكان على دين الصابئة يعبدون اصناما على اسماء الكواكب السبعة وفى احدى عشرة سنة خلت من ملكه خرجت امه هيلانى الى أرض الشام فبنت الكنائس وصارت الى بيت المقدس وطلبت الخشبة التى صلب عليها المسيح عندهم فحلتها بالذهب والفضة واتخذت لذلك عيدا وهو عيد الصليب ثم انه أشار قسطنطين فى المنام ان يعمر حصنا فى غاية الحصانة والاحكام فشاور اكابر خواصه فوقع اختيارهم على موضع يقابل استنبول ويسمى بقاضى كوى يروى انهم لما شرعوا فى البناء فى هذا المكان المذكور جاءت حيوانات على صور شتى كالطيور والوحوش وما شاكلها وجعلت تخطف آلات البنائين ومكاتل الفعلة ومعاول الحفارين ودخلوا بها فى البحر فاجتازوا الى الجهة الغربية من البحر ليكشفوا أمر تلك الحيوانات فرأوا مكان قسطنطينية الآن وهى فى غاية اللطافة وكان اذ ذاك جزيرة خالية مثلثة الشكل معروفة عند الامم القديمة هفت جبل لسبعة جبال كانت بها يروى فى بعض

للشاميين خذوا سلاحكم لا قود له ولا عقل فانه قتيل الله الى النار ثم نادى منادلا ينزلن أحد
على أحد وكان الحجاج قد انزل أهل الشام على أهل الكوفة فخرج أهل الشام فعسكروا
وبعث روادا يرتادون له منزلا واقبل حتى نزل موضع واسط فاذا راهب قد أقبل على حمار له
فلما كان بموضع واسط بال الحمار فنزل الراهب فاحتفر ذلك البول واحتمله ورماه فى دجلة
والحجاج يراه فقال على به فأتى به فقال ما حملك على ما صنعته قال نجد فى الكتب انه يبنى فى هذا
الموضع مسجد يعبد الله فيه ما دام فى الارض أحد يوحده فاختط الحجاج مدينة واسط وبنى
المسجد فى ذلك الموضع

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عزل عبد الملك أبان بن عثمان من المدينة فى قول بعضهم واستعمل عليها هشام بن
اسمعيل وكان العمال هذه السنة سوى المدينة الذين تقدم ذكرهم فى السنة قبلها قيل وكان
الحجاج قد سير نساءه واهله الى الشام خوفا من عبد الرحمن بن الاشعث وفيهن أخته زينب التى
ذكرها النميرى فى شعره فلما هزم ابن الاشعث أرسل البشير الى عبد الملك بذلك وكتب كتابا الى أخته
زينب فأخذت الكتاب وهى راكبة فنفرت البغلة من قعقعة الكتاب فسقطت زينب فماتت
وفى هذه السنة توفى واثلة بن الاسقع وهو ابن خمس ومائة سنة وقيل مات سنة خمس وثمانين وهو
ابن ثمان وتسعين سنة وفيها مات زر بن حبيش وعمره مائة واثنتان وعشرون سنة وابو وائل
شقيق بن سلمة الاسدى الكوفى وكان مولده سنة احدى من الهجرة

(ثم دخلت سنة أربع وثمانين)

(ذكر قتل ابن القرية)

وفيها قتل الحجاج أيوب بن القرية وكان مع ابن الاشعث بدير الجماجم فلما هزم ابن الاشعث التحق
ايوب بحوشب بن يزيد عامل الحجاج على الكوفة فاستحضره الحجاج فقال له اقلنى عثرتى واسقنى
ريقى فانه ليس جواد الا له كبوة ولا شجاع الا له هبوة ولا صارم الا له نبوة فقال الحجاج كلا والله
لازيرنك جهنم قال فارحنى فانى اجد حرها فامر به فضربت عنقه فلما رآه قتيلا قال لو تركناه حتى
نسمع من كلامه

(ذكر فتح قلعة نيزك بباذغيس)

فى هذه السنة فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك وكان يزيد قد وضع على نيزك العيون فلما بلغه خروج
نيزك عنها سار اليها فحاصرها فملكها وما فيها من الاموال والذخائر وكانت من احصن القلاع
وأمنعها وكان نيزك اذا رآها سجد لها تعظيما لها وقال كعب بن معدان الاشقرى يذكرها

وباذغيس التى من حل ذروتها * عز الملوك فان شا جار أو ظلما
منيعة لم يكدها قبله ملك * الا اذا واجهت جيشا له وجما
تخال نيرانها من بعد منظرها * بعض النجوم اذا ما ليلها عتما

وهى أبيات عدة وقال أيضا يذكر يزيد وفتحها

نفى نيزكا عن باذغيس ونيزك * بمنزلة أعيى الملوك اغتصابها
محلقة دون السماء كأنها * غمامة صيف زال عنها سحابها

الاخبار ان سليمان عليه
السلام لما غزا كفار البحر
وكان مقر سلطنتهم مدينة
دشقارا اجتاز فى بعض الايام
متصيدا فرأى مكان
قسطنطينية وقد أحاط به
البحر وكان ذلك وقت
الربيع وظهور أنواع
النبت فأمر ببناء عريش
لطيف لاجل الاستظلال
بين المشرق والشمال وهو
الآن موضع دار السعادة
العامرة فاستطاب ذلك
المنزل وكان يتصيد ويعود
اليه ليلا وكان وزيره آصف
اختار مكان اياصوفيا مع
توابعه وباقى العسكر فى
المكان المعروف الآن بآت
ميدانى (وذكر) فى تاريخ
البلدان ان عيسى عليه
السلام دخل قسطنطينية
فى سياحته ودعا لها بالبركة
ولدخوله أخبار يطول
شرحها وأول ما شرعوا فى
عمارة الغلطة فهى على هذا
أقدم من مدينة قسطنطينية
ويقال ان البحر من الجهة
الغربية كان متصلا من
عند قبر أبى أيوب الانصارى
رضى الله عنه الى البحر
الجنوبية وكان موضع
البلد جزيرة مستقلة تدور
المراكب حولها
فاستصوب بعض الملوك ردم
الجانب الغربى ليسهل اليها

ولا تبلغ الاروى شماريخها العلى * ولا الطير الا نسرها وعقابها
وما خوفت بالذئب ولدان اهلها * ولا نبحت الا النجوم كلابها

في أبيات غيرها فلما فتحها كتب الى الحجاج بالفتح وكان يكتب له يحيى بن يعمر العدواني حليف هذيل انا لحقنا العدو فمنحنا الله اكتافهم فقتلنا طائفة واسرنا طائفة ولحقت طائفة برؤس الجبال وعراعر الاودية واهضام الغيطان واثناء الانهار فقال الحجاج من يكتب ليزيد فقيل يحيى ابن يعمر فكتب اليه يحمله على البريد فقدم اليه أفصح الناس فقال أين ولدت قال بالاهواز قال فهذه الفصاحة من أين قال حفظت من كلام أبي وكان فصيحا قال اخبرني هل يلحن عنبسة بن سعيد قال نعم كثيرا قال ففلان قال نعم قال فاخبرني هل ألحن قال نعم تلحن لحنا خفيا تزيد حرفا وتنقص حرفا وتجعل ان في موضع انّ وانّ في موضع ان قال قد اجلتك ثلاثا فان وجدتك بارض العراق قتلتك فرجع الى خراسان

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة غزا عبد الله بن عبد الملك الروم ففتح المصيصة وبنى حصنها ووضع بها ثلثمائة مقاتل من ذوي البأس ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك وبنى مسجدها وحج بالناس هذه السنة هشام ابن اسمعيل وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية وفيها مات عبد الله ابن الحرث بن نوفل الملقب ببة بعمان وكان يسكن البصرة وكان مولده على عهد رسول الله

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين)

(ذكر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث)

لما انصرف عبد الرحمن الى رتبيل من هراة قال له علقمة بن عمرو الاودي ما أريد ان ادخل معك لاني نتخوف عليك وعلى من معك لكأني بكتاب الحجاج وقد كتب الى رتبيل يرغبه ويرهبه فاذا هو قد بعث بك سلما أو قتلكم ولكن معي خمسمائة قد تبايعنا على ان ندخل مدينة نتحصن بها حتى نعطى الامان أو نموت كراما ولم ندخل الى بلاد رتبيل معه وخرج هؤلاء الخمسمائة وجعلوا عليهم مودود البصري وقدم عليهم عمارة بن تميم اللخمي فحاصرهم فامتنعوا حتى أمنهم فخرجوا اليه فوفى لهم وتتابعت كتب الحجاج الى رتبيل في عبد الرحمن أن ابعث به الي والا والذي لا اله غيره لاوطئن ارضك ألف ألف مقاتل وكان مع عبد الرحمن رجل من تميم يقال له عبيد بن سبيع التميمي وكان رسوله الى رتبيل فخص برتبيل وخف عليه فقال القاسم بن محمد بن الاشعث لاخيه عبد الرحمن اني لا آمن غدر هذا التميمي فاقتله فخافه عبيد ووشى به الى رتبيل وخوفه الحجاج ودعاه الى الغدر بابن الاشعث وقال له أنا آخذ لك من الحجاج عهدا ليكفن عن أرضك سبع سنين على ان تدفع اليه عبد الرحمن فأجابه الى ذلك فخرج عبيد الى عمارة سرا فذكر له ما استقر مع رتبيل وما بذل له وكتب عمارة الى الحجاج بذلك وأجابه اليه أيضا وبعث رتبيل برأس عبد الرحمن الى الحجاج وقيل ان عبد الرحمن كان قد أصابه السل فمات فأرسل رتبيل اليه فقطع رأسه قبل ان يدفن وارسله الى الحجاج وقد قيل ان رتبيل لما صالح عمارة بن تميم اللخمي على ابن الاشعث كتب عمارة الى الحجاج بذلك فاطلق له خراج بلاده عشر سنين فأرسل رتبيل الى عبد الرحمن وثلاثين من أهل بيته فحضروا فقيدهم وارسلهم الى عمارة فالقى عبد الرحمن نفسه من سطح قصر فمات

السلوك فردم وقيل كان دار ملكهم اذذاك بالمكان المعروف الآن بيدي قلة وهي أول ما بقي من المدينة ويقال ان هذه البلدة عمرت ثلاث مرات قبل هذه وهي رابعة في المدة الاولى خربت بالزلزلة أولا وآخرا ولم يسلم من أهلها الا من كان خارجا عنها وبقيت زمانا طويلا وموضعها موحش ثم انهم عمروها ثانيا بالاستحكام وجعلوا اهلها اقبية تحت الارض خوفا من الزلزلة وبعضها باق الى هذه الايام ثم حدث بها وباء عظيم في عام لم يفلت منه الا القليل ثم ان بعض الملوك حشد الناس اليها من الاطراف ورفع عنهم الخراج وعاملهم بالعدل والانصاف فعمرت ثالثا واجتمع فيها طوائف كثيرة من الناس واشتهرت ثم ظهر بها نوع من الحيات والثعابين فاهلكت أكثر الناس والمواشي وهرب من سلم من الباقين وبقيت خالية برهة من الدهر لا يأتيها أحد من البر ولا من البحر ثم ان بعض السلاطين وهو يانقو بن مازيانى أحد اجداد قسطنطين اصطنع طلسما لدفع تلك الآفات ولعله الموجود

فاحتز رأسه وسيره الى الحجاج فسيره الحجاج الى عبد الملك وسيره عبد الملك الى أخيه عبد العزيز فقال بعض الشعراء

هيهات موضع جثة من رأسها * رأس بمصر وجثة بالرخج

وقيل ان هلاك عبد الرحمن كان سنة أربع وثمانين

(ذكر عزل يزيد بن المهلب عن خراسان وولاية أخيه المفضل)

وفى هذه السنة عزل الحجاج يزيد بن المهلب عن خراسان وكان سبب عزله اياه ان الحجاج وفد الى عبد الملك فمر فى طريقه براهب فقيل له ان عنده علما فدعا به وسأله هل تجدون فى كتبكم ما أنتم فيه ونحن قال نعم قال مسمى ام موصوف فقال كل ذلك نجده موصوفا بغير اسم ومسمى بغير صفة قال فما تجدون صفة أمير المؤمنين قال نجده فى زماننا الملك اقرع من يقم لسبيله يصرع قال ثم من قال اسم رجل يقال له الوليد ثم رجل اسمه اسم نبى يفتح به على الناس قال أفتعلم من يلى بعدى قال نعم رجل يقال له يزيد قال افتعرف صفته قال يغدر غدرة لا اعرف غير هذا فوقع فى نفسه انه يزيد بن المهلب ثم سار وهو وجل من قول الراهب ثم عاد وكتب الى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب ويخبره انهم زبيرية فكتب اليه عبد الملك انى لا ارى طاعتهم لآل الزبير نقصا بآل المهلب ووفاؤهم لهم يدعوهم الى الوفاء لى فكتب اليه الحجاج يخوفه غدره وبما قال الراهب فكتب عبد الملك اليه انك قد أكثرت فى يزيد وآل المهلب فسم لى رجلا يصلح لخراسان فسمى قتيبة بن مسلم فكتب اليه أن وله وبلغ يزيد ان الحجاج عزله فقال لاهل بيته من ترون الحجاج يولى خراسان قالوا رجلا من ثقيف قال كلا ولكنه يكتب الى رجل منكم بعهده فاذا قدمت عليه عزله وولى رجلا من قيس وأخلق بقتيبة بن مسلم فلما أذن عبد الملك فى عزل يزيد كره ان يكتب اليه بعزله فكتب اليه يأمره ان يستخلف اخاه المفضل ويقبل اليه واستشار يزيد حضين بن المنذر الرقاشى فقال له اقم واعتل واكتب الى أمير المؤمنين ليقرك فانه حسن الحال والرأى فيك قال يزيد نحن أهل بيت قد بورك لنا فى الطاعة وانا أكره الخلاف فاخذ يتجهز فابطأ فكتب الحجاج الى المفضل انى قد وليتك خراسان فجعل المفضل يستحث يزيد فقال له يزيد ان الحجاج لا يقرك بعدى وانما دعاه الى ما صنع مخافة ان امتنع عليه وستعلم وخرج يزيد فى ربيع الآخر سنة خمس وثمانين واقر الحجاج أخاه المفضل تسعة اشهر ثم عزله وقد قيل ان سبب عزله ان الحجاج لما فرغ من عبد الرحمن بن الاشعث لم يكن له هم الا يزيد بن المهلب وأهل بيته وقد كان اذل أهل العراق كلهم الا آل المهلب ومن معهم بخراسان ويخوفه على العراق وكان يبعث اليه ليأتيه فيعتل عليه بالعدو والحروب فكتب الحجاج الى عبد الملك يشير عليه بعزل يزيد ويخبره بطاعتهم لآل الزبير فكتب اليه عبد الملك بنحو ما تقدم وساق باقى الخبر كما تقدم وقال حضين ليزيد

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى * فاصبحت مسلوب الامارة نادما

فما أنا بالباكى عليك صبابة * وما أنا بالداعى لترجع سالما

قال فلما قدم قتيبة خراسان قال لحضين ما قلت ليزيد قال قلت

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى * فنفسك اول اللوم ان كنت لائما

فان يبلغ الحجاج ان قد عصيته * فانك تلقى امره متفاقما

الآن من النحاس على شكل ثلاث حيات بالمكان المعروف بآت ميدانى فارتفعت بعون الله تعالى وما بقى منها صار ضعيفا كالدود بلا ضرر وهو الذى ابتدأ عمارة أياصوفيا فى المرة الثالثة ولما شرع فى البناء أرسل الى ملوك الاطراف يجمع ما يحتاج اليه البناء وطلب العواميد وكان بحران وهى قرية من اعمال دمشق كنيسة عظيمة القدر جليلة الشان كان يتعبد فيها ابراهيم الخليل عليه السلام فيما قيل فهدموها وأرسلوا منها عشرة اعمدة من السماق قيل ان مقطعه بجبل سرنديب وانقطع من الارض بعد الطوفان لان الحجارة كانت كالطين قبله فقطع ما قطع منها ثم يبست وازدادت صلابة وبقية الاعمدة جىء بها من رومية وبلاد الحبشة فلما كملت سقط نحو ثلثها وكان سقوطها ليلة ولادة النبى صلى الله عليه وسلم وذلك من جهة المحراب وكان الفراغ من بنائها على ما ذكر من تواريخ الروم فى اليوم الحادى عشر من شهر مايس الرومى وهو ايار لمضى خمسة آلاف وثمانمائة من

قال فماذا أمرته به قال أمرته ان لايدع صفراء ولا بيضاء الا حملها الى الامير قال بعضهم فوجده قتيبة فارحا وقيل كتب الحجاج الى يزيد اغز خوارزم فكتب انها قليلة السلب شديدة الكلب فكتب اليه الحجاج استخلف واقدم فكتب انى اريد ان اغزو خوارزم فكتب الحجاج لا تغزها فانها كما ذكرت فغزا ولم يطعه فصالحه أهلها وأصاب سبيا وقفل فى الشتاء واصاب الناس برد فاخذوا ثياب الاسرى فمات ذلك السبى فكتب اليه الحجاج ان اقدم فسار اليه فكان لايمر ببلد الا فرش أهلها الرياحين (حضين بن المنذر بالحاء المهملة المضمومة والضاد المعجمة المفتوحة وآخره نون)

(ذكر غزو المفضل باذغيس وآخرون)

لما ولى المفضل خراسان غزا باذغيس ففتحها وأصاب مغنما فقسمه فأصاب كل رجل ثمانمائة ثم غزا آخرون وشومان فغنم وقسم ما أصاب ولم يكن للمفضل بيت مال كان يعطى الناس كلما جاء شئ وان غنم شيأ قسمه بينهم

(ذكر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم)

فى هذه السنة قتل موسى بن عبد الله بن خازم بترمذ وكان سبب مصيره الى ترمذ ان أباه لما قتل من قتل من بنى تميم وقد تقدم ذكر ذلك تفرق عنه أكثر من كان معه منهم فخرج الى نيسابور وخاف بنى تميم على ثقله بمرو فقال لابنه موسى خذ ثقلى واقطع نهر بلخ حتى تلتجئ الى بعض الملوك والى حصن تقوم فيه فرحل موسى عن مرو فى عشرين ومائتى فارس واجتمع اليه تتمة أربعمائة وانضم اليه قوم من بنى سليم فأتى زم فقاتله أهلها فظفر بهم فأصاب مالا وقطع النهر وأتى بخارا فسأل صاحبها ان يلجأ اليه فأبى وخافه وقال رجل فاتك وأصحابه مثله فلا آمنه ووصله وسار فلم يأت ملكا يلجأ اليه الا كره مقامه عنده فأتى سمرقند فأقام بها وأكرمه ملكها طرخون وأذن له فى المقام وأقام ماشاء الله ولاهل الصغد مائدة يوضع عليها لحم وخل وخبز وابريق شراب وذلك كل عام يوما يجعلون ذلك لفارس الصغد فلا يقربه غيره فان أكل منه أحد بارزه فايهما قتل صاحبه فالمائدة له فقال رجل من أصحاب موسى ماهذه المائدة فأخبر فجلس فأكل ماعليها وقيل لصاحب المائدة فجاء مغضبا وقال ياعربى بارزنى فبارزه فقتله صاحب موسى فقال ملك الصغد انزلتكم وأكرمتكم فقتلتم فارسى لولا انى امنتك وأصحابك لقتلتكم اخرجوا عن بلادى فخرجوا فاتى كش فضعف صاحبها عنه فاستنصر طرخون فأتاه فخرج موسى اليه وقد اجتمع معه سبعمائة فارس فقاتلهم حتى امسوا وتحاجزوا وباصحاب موسى جراح كثيرة فقال لزرعة بن علقمة احتل لنا على طرخون فأتاه فقال أيها الملك ماحاجتك الى ان تقتل موسى وتقتل من معه فانك لاتصل اليه حتى تقتلوا عدتهم ولو قتلته واياهم جميعا فانه خطأ لان له قدرا فى العرب فلا يأتى أحد خراسان الا طالبك بدمه فقال ليس لى الى ترك كش فى يده سبيل قال فكف عنه حتى يرتحل فكف وسار موسى فأتى ترمذ وبها حصن يشرف على جانب النهر فنزل موسى خارج الحصن وسأل ترمذشاه ان يدخله حصنه فأبى فاهدى له موسى ولاطفه حتى حصل بينهما مودة وخرج فتصيد معه فصنع صاحب ترمذ طعاما وأحضر موسى ليأكل معه ولا يحضر الا فى مائة من أصحابه فاختار موسى مائة من أصحابه فدخلوا الحصن وأكلوا فلما فرغوا قال له اخرج

قال

هبوط آدم عليه السلام الى الارض ثم بنى قسطنطين بعده مدينة بعلبك وكان أهلها كفارا يتشاركون فى النساء ولم يخلص لاحد منهم نسب وبنى بانطاكية هكذا فلنرجع الان الى ما كنا بصدده من بيان أخبار ملوك الروم ولما مات قسطنطين انقسمت مملكته بين بنيه الثلاثة وكان الحاكم عليهم (قسطاس) وهو ابن الملك الماضى فكان ملكه أربعا وعشرين سنة وبنى كنائس وشيد دين النصرانية ثم خرج الملك عن أولاد قسطنطين ثم ملك بعده ابن عمه (اليانس) فرفض دين النصرانية ورجع الى عبادة الاوثان وغزا العراق فى ملك سابور بن اردشير بن بابك فى جنود لا تحصى فقهره ثم قتل فى أرض فارس بسهم أصابه من سهام العرب فكان ملكه الى ان هلك سنتين ثم ملك بعده (يونيالوس) فشيد دين النصرانية وردها الى ما كانت عليه ومنع من عبادة الاوثان والتماثيل فكان ملكه سنة واحدة ثم ملك بعده (أواليس) وكان على دين النصرانية ثم رجع عنها وهلك فى بعض حروبه

قال لا اخرج حتى يكون الحصن بيتي أو قبري وقاتلهم فقتل منهم عدة وهرب الباقون واستولى
موسى عليها وأخرج ترمذشاه منها ولم يعرض له ولا الى أصحابه فأتوا الترك يستنصرونهم على
موسى فلم ينصروهم وقالوا الا نقاتل هؤلاء وأقام موسى بترمذ فأتاه جمع من أصحاب أبيه فقوى
بهم فكان يخرج فيغير على ما حوله ثم ولى بكير بن وساج خراسان فلم يعرض له ثم قدم امية فسار
بنفسه يريد مخالفة بكير فرجع على ما تقدم ذكره ثم ان أمية وجه الى موسى بعد صلح بكير رجلا
من خزاعة في جمع كثير وعاد أهل ترمذ الى الترك فاستنصروهم وأعلموهم انه قد غزاهم قوم من
العرب وحصروه فسارت الترك في جمع كثير الى الخزاعي فاطاف بموسى الترك والخزاعي
فكان يقاتل الخزاعي أول النهار والترك آخر النهار فقاتلهم شهرين أو ثلاثة ثم انه أراد أن
يبيت الخزاعي وعسكره فقال له عمرو بن خالد بن حصين الكلابي ليكن البيات بالعجم فان العرب
أشد حذرا وأجرأ على الليل فاذا فرغنا من العجم تفرغنا للعرب فاقام حتى ذهب ثلث الليل
وخرج موسى في أربعمائة وقال لعمرو بن خالد اخرج بعدنا فكن أنت ومن معك قريبا
فاذا سمعتم تكبيرنا فكبروا وانم سار حتى ارتفع فوق عسكر الترك ورجع اليهم وجعل اصحابه ارباعا
وأقبل اليهم فلما رآهم أصحاب الارصاد قالوا من أنتم قالوا عابر سبيل فلما جاوزوا الرصد حملوا
على الترك وكبروا فلم يشعر الترك الا بوقع السيوف فيهم فساروا يقتل بعضهم بعضا وولوا
فأصيب من المسلمين ستة عشر رجلا وحووا عسكرهم وأصابوا سلاحا كثيرا ومالا واصبح
الخزاعي واصحابه وقد كسرهم ذلك فخافوا مثلها فقال عمرو بن خالد لموسى انا لا نظفر الا بمكيدة
ولهم امداد وهم كثيرون فدعني آته لعلي أصيب فرصة فاضربني وخلني فقال له موسى
تتعجل الضرب وتتعرض للقتل قال أما التعرض للقتل فانا كل يوم متعرض له واما الضرب فما
أيسره في جنب ما أريد فضربه موسى خمسين سوطا فخرج من عسكر موسى واتى عسكر
الخزاعي مستأمنا وقال انا رجل من أهل اليمن كنت مع عبد الله بن خازم فلما قتل أتيت ابنه فكنت
معه وانه اتهمني وقال قد تعصبت لعدونا وانت عين له فضربني ولم آمن القتل فهربت منه فأمنه
الخزاعي واقام معه فدخل يوما وهو خال ولم ير عنده سلاحا فقال كانه ينصح له اصلح الله الامير ان
مثلك في مثل هذه الحال لا ينبغي ان يكون بغير سلاح قال ان معي سلاحا فرفع طرف فراشه فاذا
سيف منتضى فاخذه عمرو فضربه حتى قتله وخرج فركب فرسه وأتى موسى وتفرق ذلك
الجيش واتى بعضهم موسى مستأمنا فأمنه ولم يوجه اليه امية احدا وعزل امية وقدم المهلب
اميرا فلم يتعرض لموسى وقال لبنيه اياكم وموسى فانكم لا تزالون ولاة خراسان ما دام هذا
الثبط بمكانه فان قتل فاول طالع عليكم امير على خراسان من قيس فلما مات المهلب وولى يزيد
لم يتعرض أيضا لموسى وكان المهلب قد ضرب حريث بن قطبة الخزاعي فخرج هو واخوه ثابت
الى موسى فلما ولي يزيد بن المهلب اخذ أموالهما وحرمهما وقتل اخاهما لامهما الحرث بن
منقذ فخرج ثابت الى طرخون فشكا اليه ما صنع به وكان ثابت محببا الى الترك بعيد الصوت
فيهم فغضب له طرخون وجمع له نيزك والسبل وأهل بخارا والصغانيان فقدموا مع ثابت الى
موسى وقد اجتمع الى موسى فل عبد الرحمن بن العباس من هراة وفل ابن الاشعث من العراق
ومن ناحية كابل فاجتمع معه ثمانية آلاف فقال له ثابت وحريث سر حتى تقطع النهر وتخرج

وكان ملكه اليوان هلك
أربع عشرة سنة وقيل ان
في ايامه استيقظ اصحاب
الكهف من رقدتهم حسب
ما أخبر الله عز وجل عنهم
انهم بعثوا أحدهم بورقهم
الى المدينة وهي مدينة
افسس من أرض الروم
وللناس ممن عنى بعلم الفلك
وازورار الشمس عن كهفهم
في حال طلوعها وغروبها
اوضعهم من الشمال كلام
كثير ثم ملك بعده
(أونيانوس) ثلاث سنين
ثم ملك بعده (خوطيانوس)
ثلاث سنين أيضا ثم ملك
بعده (تاودوسيوس)
تسعا وأربعين سنة ثم ملك
بعده (ارقاديوس)
بقسطنطينية وشريكه
(أونوريوس) برومية
ثلاث عشرة سنة ثم ملك
بعدهما (تاودوسيوس)
الثاني عشرين سنة وفي
ايامه غزا فارس الروم ثم
ملك بعده (مرقيانوس)
سبع سنين وهو الذي بنى
دير مران بحمص ثم ملك
بعده (والبنطيس) سنة
واحدة ثم ملك بعده (اليون)
ثماني عشرة سنة ثم ملك
بعده (لاون) الكبير سبع
عشرة سنة وفي ايامه كثر
الخسف في انطاكية بالزلازل
ثم ملك بعده (اليونان) ثماني

يزيد عن خراسان ونوليك منهم ان تفعل فقال له أصحابه ان أخرجت يزيد عن خراسان تولى ثابت وأخوه خراسان وغلباك عليها فلم يسر وقال لثابت وحريث ان أخرجنا يزيد قدم عامل لعبد الملك ولكنا نخرج عمال يزيد عما وراء النهر ويكون لنا فأخرجوا عمال يزيد عما وراء النهر وجبوا الاموال فقوى أمرهم وانصرف طرخون ومن معه واستبد ثابت وحريث بتدبير الامر والامير موسى ليس له غير الاسم فقيل لموسى ليس لك من الامور شئ والامور الى ثابت وحريث فاقتلهما وتول الامر فأبى فالحوا عليه حتى أفسدوا قلبه عليهما وهم بقتلهما فانهم لفي ذلك اذ خرج عليهم الهياطلة والتبت والترك فى سبعين ألفا لا يعدون الحاسر ولا صاحب البيضة الجماء ولا يعدون الا صاحب بيضة ذات قونس فخرج ابن خازم وقاتلهم فيمن معه ووقف ملك الترك على تل فى عشرة آلاف فى أكمل عدة والقتال أشد ما كان فقال موسى ان أزلتم هؤلاء فليس الباقون بشئ فقصدهم حريث بن قطبة فقاتلهم وألح عليهم حتى أزالهم عن التل ورمى حريث بنشابة فى جبهته وتحاجز بينهم موسى وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتى وصل الى شمعة ملكهم فوجأ رجلا منهم بقبيعة سيفه فطعن فرسه فاحتمله الفرس فألقاه فى نهر بلخ فغرق وقتل من الترك خلق كثير ونجا من نجا منهم بشر ومات حريث بعد يومين ورجع موسى وحمل معه الرؤس فبنى منها جوسقين وقال اصحاب موسى قد كفينا أمر حريث فاكفنا أمر ثابت فأبى وبلغ ثابتا بعض ما يخوضون فيه فدس محمد بن عبد الله الخزاعى عم نصر بن عبد الحميد عامل أبى مسلم على الرى على موسى وقال اياك ان تتكلم بالعربية وان سألوك فقل انا من سبى الباميان ففعل ذلك واتصل بموسى وكان يخدمه وينقل الى ثابت خبرهم فحذر ثابت وألح القوم على موسى فقال لهم ليلة لقد اكثرتم على وفيما تريدون هلاككم فعلى أى وجه تقتلونه ولا أغدر به قال له أخوه نوح اذا أتاك غدا عدلنا به الى بعض الدور فضربنا عنقه فيها قبل ان يصل اليك فقال والله انه هلاككم وانتم اعلم فخرج الغلام فأتى ثابتا فأخبره فخرج من ليلته فى عشرين فارسا ومضى واصبحوا فلم يروه ولم يروا الغلام فعلموا انه كان عينا له ونزل ثابت بحوشرا واجتمع اليه خلق كثير من العرب والعجم فاقبل موسى اليه وقاتله وتحصن ثابت بالمدينة وأتاه طرخون معينا له فرجع موسى الى ترمذ وأقبل ثابت وطرخون ومعهما أهل بخارا ونسف وكش فاجتمعوا فى ثمانين ألفا فحصروا موسى حتى جهد هو واصحابه فلما اشتد عليهم قال يزيد بن هذيل والله لاقتلن ثابتا أولاموتن فخرج الى ثابت فاستأمنه فقال له ظهير أنا اعرف بهذا منك ما أتاك الا بغدره فاحذره فأخذ ابنيه قدامة والضحاك رهنا فكانا فى يد ظهير وأقام يزيد يلتمس غرة ثابت فلم يقدر على ما يريد حتى مات ابن لزياد القصير الخزاعى فخرج ثابت اليه ليعزيه وهو بغير سلاح وقد غابت الشمس فدنا يزيد من ثابت فضربه على رأسه فوصل الى الدماغ وهرب فسلم وأخذ طرخون قدامة والضحاك ابنى يزيد فقتلهما وعاش ثابت سبعة ايام ومات وقام بأمر العجم بعد موت ثابت طرخون وقام ظهير بأمر اصحاب ثابت فقاما قياما ضعيفا وانتشر أمرهم واجمع موسى على بياتهم فأخبر طرخون بذلك فضحك وقال موسى يعجز أن يدخل متوضأه فكيف يبيتنا لا يحرس الليلة أحد فخرج موسى فى ثمانمائة وجعلهم ارباعا وبيتهم وكان لا يمر بشئ الا ضربوه من رجل ودابة وغير ذلك فلبس نيزك سلاحه ووقف

عشرة سنة ثم ملك بعده (استطينوس) سبعا وعشرين سنة وهو الذى بنى اسوار مدينة حماه وفرغ من عمارتها فى سنتين وفى زمانه أصاب الناس جوع شديد من الجراد ثم ملك بعده (نونسطينوس) تسع سنين ثم ملك بعده (نونسطينوس) الثانى ثمانيا وثلاثين سنة وكثرت الحروب فى أيامه بين الفرس والروم ثم ملك بعده (مورنقيس) عشرين سنة وهو الذى نصر كسرى ابرويز على بهرام وأحرق مدينة افامية ثم ملك بعده (طيريوس) ثلاث سنين ثم ملك بعده (ماريقوس) ثمانى سنين ثم ملك بعده (برقوس) اثنتى عشرة سنة ثم ملك بعده (قوقاس) ثمانى سنين ثم ملك بعده (هرقل) واسمه بالرومى ارقليس وكانت الهجرة النبوية فى السنة الثالثة عشرة من ملكه وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة وهو الذى ضرب الدنانير والدراهم الهرقلية وكان مقر سلطنته مدينة انطاكية

* (الفصل التاسع فى ذكر ملوك الروم بعد ظهور الاسلام وقبل استيلاء الاروام) *

وارسل طرخون الى موسى أن كف أصحابك فانا نرحل اذا أصبحنا فرجع موسى وارتحل
طرخون والعجم جميعا فكان أهل خراسان يقولون ما رأينا مثل موسى ولا سمعنا به قاتل مع ابيه
سنتين ثم خرج يسير في بلاد خراسان فاتى ملكا فغلب على مدينته وأخرجه منها وسارت الجنود من
العرب والترك اليه وكان يقاتل العرب اول النهار والترك آخر النهار وأقام موسى في الحصن
خمس عشرة سنة وصار ماوراء النهر لموسى لا ينازعه فيه احد فلما عزل يزيد بن المهلب وولي
المفضل أراد أن يحظى عند الحجاج بقتال موسى بن عبد الله فسير عثمان بن مسعود اليه في جيش
وكتب الى مدرك بن المهلب وهو ببلخ يأمره بالمسير معه فعبر النهر في خمسة عشر ألفا فكتب الى
السبل والى طرخون فقدموا عليه فحصروا موسى وضيقوا عليه وعلى اصحابه فمكث شهرين
في ضيق وقد خندق عثمان عليه وحذر البيات فقال موسى لاصحابه اخرجوا بنا حتى متى نصبر
فاجعلوا يومكم معهم اما ظفرتم واما قتلتم واقصدوا الترك فخرجوا وخلف النضر بن سليمان
ابن عبد الله بن خازم في المدينة وقال له ان قتلت فلا تدفعن المدينة الى عثمان وادفعها الى مدرك
ابن المهلب وخرج وجعل ثلث اصحابه بازاء عثمان وقال لا تقاتلوه الا ان يقاتلكم وقصد طرخون
واصحابه فصدقوهم القتال فانهزم طرخون وأخذوا عسكرهم وزحفت الترك والصغد فحالوا
بين موسى والحصن فقاتلهم فعقروا فرسه فسقط فقال لمولى له احملني فقال الموت كريه ولكن
ارتدف فان نجونا نجونا جميعا وان هلكنا هلكنا جميعا قال فارتدف فلما نظر اليه عثمان حين وثب
قال وثبة موسى ورب الكعبة وقصد الى موسى وعقرت دابة موسى فسقط هو ومولاه فقتلوه
ونادى منادى عثمان من لقيتموه فخذوه أسيرا ولا تقتلوا أحدا فقتل ذلك اليوم من الاسرى
خلقا كثيرا من العرب خاصة فكان يقتل العربي ويضرب المولى ويطلقه وكان فظا غليظا وكان
الذي أجهز على موسى واصل بن طيسلة العنبري وبقيت المدينة بيد النضر بن سليمان فلم يدفعها
الى عثمان وسلمها الى مدرك بن المهلب وأمنه فسلمها مدرك الى عثمان وكتب المفضل الى الحجاج
بقتل موسى فقال العجب منه أكتب اليه بقتل ابن سبرة فيكتب الى انه لما به ويكتب الى انه قد
قتل موسى بن عبد الله بن خازم ولم يسره قتل موسى لانه من قيس وقتل موسى سنة خمس وثمانين
وضرب رجل من الجند ساق موسى فلما ولي قتيبة قال ما دعاك الى ما صنعت بفتى العرب بعد
موته قال كان قتل أخي فامر به فقتل

(ذكر موت عبد العزيز بن مروان والبيعة للوليد بولاية العهد)

كان عبد الملك بن مروان أراد أن يخلع أخاه عبد العزيز من ولاية العهد ويبايع لابنه الوليد
ابن عبد الملك فنهاه عن ذلك قبيصة بن ذؤيب وقال لا تفعل فانك تبعث على نفسك صوت عار
ولعل الموت يأتيه فكف عنه ونفسه تنازعه الى خلعه فدخل عليه روح بن زنباع وكان اجل
الناس عند عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين لو خلعته ما انتطح فيه عنزان وانا أول من يجيبك الى
ذلك قال نصبح ان شاء الله ونام روح عند عبد الملك فدخل عليهما قبيصة بن ذؤيب وهما نائمان
وكان عبد الملك قد تقدم الى حجابه ان لا يحجبوا قبيصة عنه وكان اليه الخاتم والسكة تأتيه
الاخبار قبل عبد الملك والكتب فلما دخل سلم عليه قال آجرك الله في عبد العزيز أخيك قال
هل توفي قال نعم فاسترجع ثم اقبل على روح وقال كفانا الله ما كنا نريد وكان ذلك مخالفا لك

وقد وقع التنازع في مولد
النبي صلى الله عليه وسلم
في عصر من كان من ملوك
الروم فالذي ذكره اصحاب
الزيجات في كتبهم ومن
اعتنى بتاريخ الروم ممن
سلف وخلف ان ملك
الروم كان في وقت ظهور
الاسلام وايام أبي بكر وعمر
رضي الله عنهما هرقل
وفي كتب السير أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما
هاجر كان الملك قيصر بن
نون و يؤيد ذلك ما ذكره
الشيخ الاكبر في مسامراته
بسند متصل الى محمد بن
كعب القرظي قال بعث
رسول الله صلى الله عليه
وسلم دحية الكلبي الى قيصر
وكتب معه اليه كتابا يدعوه
الى الاسلام فلقيه دحية
بحمص وقيصر ماش من
قسطنطينية فلما لقيه
أعطاه الكتاب ففتحه فاذا
فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى
قيصر صاحب الروم
السلام على من اتبع
الهدى أما بعد يا أهل
الكتاب تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم ألا نعبد
الا الله ولا نشرك به شيأ
ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا
من دون الله فان تولوا
فقولوا اشهدوا بانا مسلمون

يا قبيصة فقال قبيصة يا أمير المؤمنين ان الرأى كله فى الاناة فقال عبد الملك وربما كان فى العجلة خير كثير رأيت أمر عمرو بن سعيد ألم تكن العجلة فيه خيرا من الاناة وكانت وفاة عبد العزيز فى جمادى الاولى فى مصر فضم عبد الملك عمله الى ابنه عبد الله بن عبد الملك وولاه مصر وقيل ان الحجاج كتب الى عبد الملك يزين له بيعة الوليد وأوفد فى ذلك وفدا فلما أراد عبد الملك خلع عبد العزيز والبيعة للوليد كتب الى عبد العزيز انى رأيت ان يصير هذا الامر لابن أخيك فأبى فكتب اليه ليجعل الامر له ويجعله له أيضا من بعده فكتب اليه عبد العزيز انى أرى فى ابنى أبى بكر ما ترى فى الوليد فكتب اليه عبد الملك ليحمل خراج مصر فأجابه عبد العزيز انى واياك يا أمير المؤمنين قد بلغنا سنا لم يبلغها أحد من أهل بيتك الا كان بقاؤه قليلا وانا لا ندرى أينا يأتيه الموت أولا فان رأيت ان لا تفسد على بقية عمرى فافعل فرق له عبد الملك وتركه وقال للوليد وسليمان ان يرد الله ان يعطيكما الخلافة لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك فقال عبد الملك حيث رده عبد العزيز اللهم انه قطعنى فاقطعه فلما مات عبد العزيز قال أهل الشام رد على أمير المؤمنين أمره فلما أتى خبر موته الى عبد الملك أمر الناس بالبيعة لابنيه الوليد وسليمان فبايعوا وكتب بالبيعة لهما الى البلدان وكان على المدينة هشام بن اسمعيل فدعا الناس الى البيعة فأجابوا الا سعيد بن المسيب فانه أبى وقال لا أبايع وعبد الملك حى فضربه هشام ضربا مبرحا وطاف به وهو فى تبان شعر حتى بلغ رأس الثنية التى يقتلون ويصلبون عندها ثم ردوه وحبسوه فقال سعيد لو ظننت انهم لا يصلبونى ما لبست ثياب مسوح ولكنى قلت يصلبونى فيسترنى فبلغ عبد الملك الخبر فقال قبح الله هشاما انما كان ينبغى ان يدعوه الى البيعة فان أبى ان يبايع يضرب عنقه أو يكف عنه وكتب اليه يلومه ويقول له ان سعيدا ليس عنده شقاق ولا خلاف وقد كان سعيد امتنع من بيعة ابن الزبير وقال لا أبايع حتى يجتمع الناس فضربه جابر بن الاسود عامل ابن الزبير ستين سوطا فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب الى جابر يلومه وقال ما لنا ولسعيد دعه لا تعرض له وقيل ان بيعة الوليد وسليمان كانت سنة أربع وثمانين والاول أصح قيل قدوم عبد العزيز على أخيه عبد الملك من مصر فلما فارقه وصاه عبد الملك فقال ابسط بشرك وألن كنفك وآثر الرفق فى الامور فهو أبلغ بك وانظر حاجبك وليكن من خير أهلك فانه وجهك ولسانك ولا يقفن أحد ببابك الا أعلمك مكانه لتكن أنت الذى تأذن له أو ترده فاذا خرجت الى مجلسك فابدأ جلساءك بالكلام يأنسوا بك وتثبت فى قلوبهم محبتك واذا انتهى اليك مشكل فاستظهر عليه بالمشاورة فانها تفتح مغاليق الامور المبهمة واعلم ان لك نصف الرأى ولأخيك نصفه ولن يهلك امرؤ عن مشورة واذا سخطت على أحد فأخر عقوبته فانك على العقوبة بعد التوقف عنها أقدر منك على ردها بعد امضائها والسلام

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة هشام بن اسمعيل المخزومى وكان العامل على العراق والمشرق الحجاج ابن يوسف وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية فصاف فيها وشتى وفى هذه السنة مات عمرو بن حريث المخزومى وفيها مات عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدى وقيل سنة سبع وقيل سنة ثمان وثمانين وفيها مات عبد الله بن عامر بن ربيعة حليف بنى عدى وكان له لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم

وفيه آيات من كتاب الله يدعوه الى الله تعالى ويزهده فى ملكه ويرغبه فى الآخرة ويحذره بطش الله وبأسه فقرأ قيصر الكتاب فقال يا معشر الروم انى لاظن ان هذا هو الذى بشر به عيسى بن مريم عليهما السلام ولو أعلم انه هو لمشيت اليه حتى أخدمه بنفسى لا يسقط ماء وضوئه الا على يدى قالوا ما كان الله ليجعل ذلك فى الاعراب الاميين ويدعنا ونحن أهل الكتاب فأرسل يبتغى قوما من أهل الحجاز يسألهم فوجدوا قوما كثيرا بالشام فأحضر بين يديه أبو سفيان وأصحابه كلهم لله ولرسوله عدو فقال أخبرنى يا أبا سفيان عن حال هذا الرجل الذى بعث فيكم قال أيها الملك لا يكبر عليك شأنه انا نقول هو ساحر ونقول هو شاعر ونقول هو كاهن قال قيصر كذلك والذى نفسى بيده كان يقال للانبياء قبله فما زال يسألهم وهم يجيبونه حتى قال لهم ما تريدونى عليه الا بصيرة والذى نفسى بيده لوشكن ان يغلب على ما تحت قدمى قال يا معشر الروم هلم الى أن نجيب هذا الرجل الى ما دعا

وسلم أربع سنين

(ثم دخلت سنة ست وثمانين)

(ذكر وفاة عبد الملك)

في هذه السنة توفي عبد الملك بن مروان منتصف شوال وكان يقول أخاف الموت في شهر رمضان فيه ولدت وفيه فطمت وفيه جمعت القرآن وفيه بايع لي الناس فمات للنصف من شوال حين أمن الموت في نفسه وكان عمره ستين سنة وقيل ثلاثا وستين سنة وكانت خلافته من لدن قتل ابن الزبير ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر الا سبع ليال وقيل وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوما ولما اشتد مرضه قال بعض الاطباء ان شرب الماء مات فاشتد عطشه فقال يا وليد اسقني ماء قال لا اعين عليك فقال لابنته فاطمة اسقيني ماء فمنعها الوليد فقال لتدعنها أو لأخلعنك فقال لم يبق بعد هذا شيء فسقته فمات ودخل الوليد عليه وابنته فاطمة عند رأسه تبكي فقال كيف أمير المؤمنين قال هو أصلح فلما خرج قال عبد الملك

ومستخبر عنا يريد لنا الردى * ومستخبرات والدموع سواجم

وأوصى بنيه فقال أوصيكم بتقوى الله فانها أزين حلية وأحصن كهف ليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير وانظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فانه نابكم الذي عنه تفترون ومجنكم الذي عنه ترمون واكرموا الحجاج فانه الذي وطأ لكم المنابر ودوخ لكم البلاد وأذل الاعداء وكونوا بني أم بررة لا تدب بينكم العقارب وكونوا في الحرب احرارا فان القتال لا يقرب منية وكونوا للمعروف منارا فان المعروف يبقى أجره وذكره وضعوا معروفكم عند ذوي الاحساب فانهم أصون له واشكر لما يؤتى اليهم منه وتعهدوا ذنوب أهل الذنوب فان استقالوا فاقيلوا وان عادوا فانتقموا ولما مات دفن خارج باب الجابية وصلى عليه الوليد فتمثل هشام

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

فقال الوليد اسكت فانك تتكلم بلسان شيطان الاقلات كما قال أوس بن حجر

اذا مقرم منا ذرى حد نابه * تخمط منا ناب آخر مقرم

وقيل ان سليمان تمثل بالبيت الاول وهو الصحيح لان هشاما كان صغيرا له أربع عشرة سنة وقد رثى الشعراء عبد الملك كثير عزة وغيره فما قيل فيه

سقاك ابن مروان من الغيث مسبل * أجش سماكي يجود ويهطل

فما في حياة بعد موتك رغبة * لحر وان كان الوليد نؤمل

(ذكر نسبه وأولاده وأزواجه)

أما نسبه فهو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف وامه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن امية واما اولاده وازواجه فمنهم الوليد وسليمان ومروان الاكبر درج وعائشة امهم ولادة بنت العباس بن جزء ابن الحرث ابن زهير بن خزيمة العبسية ومنهم يزيد ومروان ومعاوية درج وام كلثوم وامهم عاتكة ابنة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ومنهم هشام وامه ام هشام بنت اسمعيل بن هشام بن الوليد

اليه ونسأله الشام ان لا يطأها قال كيف تسأله مكان الذي تحت رجليك وهو هنالك لا يملك من ذلك شيأ فمن أضعف منك فقال للروم أليس تعلمون ان بين عيسى وبين الساعة نبيا بشركم به عيسى عليه السلام كنتم ترجون ان يجعله الله منكم فجعله في غيركم وهي رحمة الله يضعها حيث شاء فلما رأى مما نعتهم واباءهم خاف على ذهاب ملكه منهم وصمت عنهم ثم قال يا معشر الروم دعاكم ملككم لينظر كيف صلابتكم في دينكم فدعوا له وخروا له سجدا رجعنا الى ما نحن بصدده فلما هلك قيصر ملك بعده ابنه (قيصر) وذلك في ايام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم ملك بعده (هرقل ابن قيصر) في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وهو الذي حاربه امراء الاسلام حين قصدوا بلاد الشام فقتل ابي عبيدة وخالد ابن الوليد وغيرهم حتى أخرجوهم وكان الملك على الروم (موزق بن هرقل) في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وفي خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وايام معاوية بن

ابن المغيرة المخزومية واسمها عائشة ومنهم أبو بكر وهو بكار امه عائشة بنت موسى بن طلحة ابن عبيد الله ومنهم الحكم درج امه أم ايوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان ومنهم فاطمة بنت عبد الملك امها ام المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة ومنهم عبد الله ومسلمة والمنذر وعنبسة ومحمد وسعيد الخير والحجاج لامهات الاولاد وكان له من النساء شقراء بنت مسلم بن حليس الطائى وام أبيها ابنة عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وقيل كان عنده ابنة لعلى ابن أبى طالب ولا يصح

(ذكر بعض اخباره)

كان عبد الملك عاقلا حازما أديبا لبيبا عالما قال أبو الزناد كان فقهاء المدينة اربعة سعيد ابن المسيب وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب وعبد الملك بن مروان وقال الشعبى ماذا كرت أحدا الا وجدت لى الفضل عليه الا عبد الملك فانى ماذا كرته حديثا الا زادنى فيه ولا شعرا الا زادنى فيه وقال جعفر بن عقبة الخطابى قيل لعبد الملك أسرع اليك الشيب فقال شيبنى ارتقاء المنابر وخوف اللحن وقال عبد الملك ما اعلم أحدا أقوى على هذا الامر منى ان ابن الزبير اطويل الصلاة كثير الصيام ولكن لبخله لا يصلح ان يكون سائسا قال أبو مسهر قيل لعبد الملك فى مرضه كيف تجدك قال أجدنى كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الآية وقال المفضل بن فضالة عن أبيه استأذن قوم على عبد الملك بن مروان وهو شديد المرض فدخلوا عليه وقد أسند ظهره الى صدره فقال لهم انكم دخلتم على عند اقبال آخرتى وادبار دنياى وانى تذكرت أرجى عمل لى فوجدتها غزوة غزوتها فى سبيل الله وانا خلو من هذه الاشياء فاياكم واياى أبواب هذه الخبيثة ان تطفوا بها وقال سعيد ابن عبد العزيز التنوخى لما نزل بعبد الملك بن مروان الموت أمر بفتح باب قصره فاذا قصار يقصر ثوبا فقال ياليتنى كنت قصارا ياليتنى كنت قصارا مرتين فقال سعيد بن عبد العزيز الحمد لله الذى جعلهم يفزعون الينا ولا ننزع اليهم وقال سعيد بن بشير ان عبد الملك حين ثقل جعل يلوم نفسه ويضرب بيده على رأسه وقال وددت انى كنت أكتسب يوما بيوم ما يقوتنى واشتغل بطاعة الله فذكر ذلك لابن حازم فقال الحمد لله الذى جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه وقال مسعود بن خلف قال عبد الملك بن مروان فى مرضه والله وددت انى عبد لرجل من تهامة أرعى غنما فى جبالها وانى لم ألِ شيأ وقال عمران بن موسى المؤدب يروى ان عبد الملك ابن مروان لما اشتد مرضه قال ارفعونى على شرف ففعل ذلك فتنسم الروح ثم قال يادنيا ما أطيبك ان طويلك لقصير وان كبيرك لحقير وان كنا منك لفى غرور وتمثل بهذين البيتين

ان تناقش يكن نقاشك يارب عذابا لا طوق لى بالعذاب
أو تجاوز فأنت رب صفوح * عن مسىء ذنوبه كالتراب

ويروى ان هذه الابيات تمثل بها معاوية ويحق لعبد الملك ان يحذر هذا الحذر ويخاف فان من يكن الحجاج بعض سيئاته يعلم على أى شئ يقدم عليه قال عبد الملك لسعيد بن المسيب يا ابا محمد صرت أعمل الخير فلا أسر به وأصنع الشر فلا أساء به فقال الآن تكامل فيك موت القلب وكان عبد الملك اول من غدر فى الاسلام وقد تقدم فعله بعمرو بن سعيد وكان اول من نقل الديوان

أبى سفيان ثم ملك بعده (قليط بن مورق) بقية ايام معاوية رضى الله عنه واستمر ايام يزيد بن معاوية وايام معاوية بن يزيد وايام مروان بن الحكم ومدة من ايام عبد الملك بن مروان ثم ملك (اليون) فى بقية ايام عبد الملك وايام الوليد بن عبد الملك وايام سليمان بن عبد الملك وخلافة عمر بن عبد العزيز وكان اضطراب اليون المذكور من أمر مسلمة ابن عبد الملك وغزو المسلمين اياهم برا وبحرا وقصته على ما ذكره الشيخ الاكبر محيى الدين قدس سره فى مسامرة الاخبار ان عبد الملك بن مروان لما جهز ابنه مسلمة الى القسطنطينية لغزو عدو الله اليون ملك الروم انتخب من المسلمين ثمانين ألف رجل من أهل البأس والنجدة وأمره عليهم فتوجهوا نحو بلاد الروم وهم يغزون الكفار فى طريقهم ويقسمون الغنائم حتى وصلوا الى شاطئ بحر القسطنطينية وهو بحر نيطش فأقاموا هناك ثمانية أشهر حتى هيئوا لهم سفنا فركبوا فيها وقاتلهم أهل المدينة فى البحر ثلاثة أيام حتى

الديوان من الفارسية الى العربية وأول من نهى عن الكلام فى حضرة الخلفاء وكان الناس قبله يراجعونهم واول خليفة بخل وكان يقال له رشح الحجارة لبخله واول من نهى عن الامر بالمعروف فانه قال فى خطبته بعد قتل ابن الزبير ولا يأمرنى احد بتقوى الله بعد مقامى هذا الا ضربت عنقه

(ذكر خلافة الوليد بن عبد الملك) *

فلما دفن عبد الملك بن مروان انصرف الوليد عن قبره فدخل المسجد وصعد المنبر واجتمع اليه الناس فخطبهم وقال انا لله وانا اليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة قوموا فبايعوا وكان اول من عزى نفسه وهنأها وكان أول من قام لبيعته عبد الله بن همام السلولى وهو يقول

الله اعطاك التى لا فوقها * وقد اراد الملحدون عوقها
عنك ويأبى الله الا سوقها * اليك حتى قلدوك طوقها

فبايعه ثم قام الناس لبيعته وقد قيل ان الوليد لما صعد المنبر حمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس لا مقدم لما أخر الله ولا مؤخر لما قدم وهذا كان من قضاء الله وسابق علمه وما كتب على انبيائه وحملة عرشه وهو الموت وقد صار الى منازل الابرار ولى هذه الامة بالذى يحق الله عليه فى الشدة على المريب واللين لاهل الحق والفضل واقامة ما أقام الله من منار الاسلام واعلامه من حج البيت وغزو الثغور وشن الغارة على اعداء الله فلم يكن عاجزا ولا مفرطا أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فان الشيطان مع الفرد أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه ومن سكت مات بدائه ثم نزل وكان جبارا عنيدا

*(ذكر ولاية قتيبة خراسان وما كان منه هذه السنة) *

وفى هذه السنة قدم قتيبة خراسان أميرا عليها للحجاج فقدمها والمفضل يعرض الجند للغزاة فخطب قتيبة الناس وحثهم على الجهاد ثم عرضهم وسار وجعل بمرو وعلى حربها اياس بن عبد الله ابن عمرو وعلى الخراج عثمان السعدى فلما كان بالطالقان أتاه دهاقين بلخ وساروا معه فقطع النهر فتلقاه ملك الصغانيان بهدايا ومفاتيح من ذهب ودعاه الى بلاده فمضى معه فسلمها اليه لان ملك آخرون وشومان كان يسئ جواره ثم سار قتيبة منها الى آخرون وشومان وهما من طخارستان فصالحه ملكهما على فدية أداها اليه فقبلها قتيبة ثم انصرف الى مرو واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم ففتح صالح بعد رجوع قتيبة كاشان وأورشت وهى من فرغانة وفتح اخشيكت وهى مدينة فرغانة القديمة وكان معه نصر بن سيار فابلى يومئذ بلاء حسنا وقيل ان قتيبة قدم خراسان سنة خمس وثمانين فعرض الجند فغزا آخرون وشومان ثم رجع الى مرو وقيل انه أقام السنة ولم يقطع النهر بسبب بلخ فان بعضها كان منتقضا عليه فحاربهم وكان ممن سبى امرأة برمك أبى خالد بن برمك وكان برمك على النوبهار فصارت لعبد الله بن مسلم أخى قتيبة فوقع عليها ثم ان أهل بلخ صالحوه وأمر قتيبة برد السبى فقالت امرأة برمك لعبد الله انى قد علقت منك وحضرت عبد الله بن مسلم الوفاة فاوصى ان يلحق به ما فى بطنها وردت الى برمك فذكر ان ولد عبد الله بن مسلم جاؤا ايام المهدى حين قدم الرى الى خالد فادعوه فقال لهم

وصلوا الى الجزيرة التى فيها القسطنطينية فاقام مسلمة بتلك الجزيرة وبعث الى أهل عمله من بلاد الروم التى افتتحها فى طريقه وأمرهم ان يبنوا له مدينة على فرسخين فى فرسخين ففعلوا فيها وصارت بلاد الروم كلها فى يد مسلمة ما بين الشام الى جزيرة القسطنطينية وجبى اليه الخراج واقاموا يحاصرونها سبع سنين وسمى المدينة التى بناها مدينة القهر لانه قهرهم عليها وهى مدينة غلطه ولقد غرسوا فيها أنواع الفواكه فاثمر فاقاموا اقامة قوم لا يرجعون الى بلادهم وكانوا مع هذا يغزونهم كل يوم وكان البطال معه يقتل من الكفار ما بين الخمسين الى المائة حتى قتل منهم فى تلك الايام نحو ستمائة رجل فلما اشتد الحصار بهم كتب ملك الروم الى مسلمة يطلب منه الصلح وان يعطيه كل سنة عشرة آلاف أوقية فضة وستة آلاف أوقية ذهبا وخمسة آلاف رملة فلم يرض مسلمة واستمروا واقفين على باب المدينة سبعة أيام لا يفتر أحد منهم ولا يرجع الى مدينتهم وهم يومئذ ستون ألف

مسلم بن قتيبة انه لابد لكم ان استلحقتموه فعل ان تزوجوه فتركوه وكان برمك طبيبا

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم وفيها حبس الحجاج يزيد بن المهلب وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان وعبد الملك عن شرطته وحج بالناس هشام بن اسمعيل المخزومي وكان الامير على العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وفي ايام عبد الملك مات أسيد بن ظهير الانصاري (أسيد بضم الهمزة وظهير بضم الظاء المعجمة) وفيها مات عمر بن أبي سلمة وهو ابن أم سلمة وفي أيامه مات علقمة بن وقاص الليثي وله صحبة وفي هذه السنة مات قبيصة بن ذؤيب الخزاعي وولد أول سنة من الهجرة وحنكه النبي صلى الله عليه وسلم وكان على خاتم عبد الملك ابن مروان وكان فقيها وفي أيامه مات سعد بن زيد الانصاري وولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي ايامه مات سلمة ابن أم سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذه السنة مات عبد الله بن أبي أوفى الاسلمي وقيل سنة سبع وثمانين شهد الحديبية وخيبر وفي اخر ايامه مات الوليد بن عبادة ابن الصامت الانصاري وولد في آخر زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذه السنة توفي لاحق ابن حميد أبو مجاز السدوسي

(ثم دخلت سنة سبع وثمانين)

(ذكر امارة عمر بن عبد العزيز بالمدينة)

وفي هذه السنة عزل الوليد هشام بن اسمعيل عن المدينة لسبع ليال خلون من ربيع الاول وكانت امارته عليها أربع سنين غير شهر اونحوه وولى عمر بن عبد العزيز المدينة فقدمها واليا في ربيع الاول وثقله على ثلاثين بعيرا فنزل دار مروان وجعل يدخل عليه الناس فسلموا فلما صلى الظهر دعا عشرة من الفقهاء الذين في المدينة عروة بن الزبير وابا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحرث وسليمان ابن يسار والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عبيد الله بن عمر وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد فدخلوا عليه فقال لهم اني ادعوكم لامر تؤجرون عليه وتكونون فيه اعوانا على الحق لا أريد ان أقطع امرا الا برأيكم أو برأي من حضر منكم فان رأيتم أحدا يتعدى أو بلغكم عن عامل لي ظلامة فاحرج الله على من بلغه ذلك الا بلغني فخرجوا يجزونه خيرا وافترقوا وكتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز يأمره ان يقف هشام بن اسمعيل للناس وكان سيئ الرأي فيه وكان هشام بن اسمعيل يسيء جوار علي بن الحسين فخافه هشام فتقدم علي بن الحسين الى خاصته ان لا يعرض له أحد بكلمة ومر به علي وقد وقف للناس ولم يعرض له فناداه هشام الله أعلم حيث يجعل رسالاته

(ذكر صلح قتيبة ونيزك)

ولما صالح قتيبة ملك شومان كتب الى نيزك طرخان صاحب باذغيس في اطلاق من عنده من أسرى المسلمين وكتب اليه يتهدده فخافه نيزك فاطلق الاسرى وبعثهم اليه وكتب اليه قتيبة مع سليم الناصح مولى عبيد الله بن أبي بكرة يدعوه الى الصلح والى ان يؤمنه وكتب اليه يحلف بالله لئن لم يقدم عليه ليغزونه ثم ليطلبنه حيث كان حتى يظفر به أو يموت دونه فقدم سليم بالكتاب

فقال

مقاتل فلما نظر اليون الى ذلك هاله فقال لمسلمة ما الذي تريد فقال له مسلمة عزمت ان لا أرجع حتى أدخل مدينتك قال له اليون أدخل وحدك ولك الامان فقال له مسلمة نعم على ان آمر البطال وأصحابه ان يقفوا على باب المدينة ولا يغلقون الباب فقال له لك ذلك ففتح الباب ولم يفتح قبل ذلك سبع سنين الا للقتال فوقف البطال داخل عتبة الباب ثابتا لا يزول ولا يتحرك قال مسلمة اني داخل فانظروني على الباب فان صليتم العصر ولم أخرج فاقحموا بخيلكم على المدينة فاقتلوا من أصبتم والامير بعدي محمد بن مروان فركب على فرسه الاشهب وعليه ثياب بيض وعمامة متقلدا بسيفين وبيده الرمح فصف له ملك الروم عسكره بالخيل يمينا وشمالا من باب ادرنه الى باب اياصوفيا وهي كنيستهم العظمى كلما مر بقوم ماروا خلفه وقد رمقوه بابصارهم وهم متعجبون من شجاعته وشدة جراءته فلم يزل يتقدم حتى وصل الى باب الكنيسة فخرج اليه ملك الروم اليون وقبل يده ودخل الكنيسة وهو

فقال له نيزك وكان يستنصحه يا سليم ما أظن عند صاحبك خيرا كتب الى كتابا لا يكتب الى مثلى فقال له سليم انه رجل شديد فى سلطانه سهل اذا سوهل صعب اذا عوسر فلا يمنعك منه غلظة كتابه اليك فاحسن حالك عنده فقام نيزك مع سليم فصالحه لاهل باذغيس على ان لا يدخلها قتيبة

(ذكر غزو الروم)

قيل وفى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم فقتل منهم عددا كثيرا بسوسنة من ناحية المصيصة وفتح حصونا وقيل ان الذى غزا فى هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح حصن بولق وحصن الاخرم وحصن بولس وقمقم وقتل من المستعربة نحوا من ألف مقاتل وسبى ذريتهم ونساءهم

(ذكر غزو قتيبة بيكند)

ولما صالح قتيبة نيزك أقام الى وقت الغزو فغزا بيكند سنة سبع وثمانين وهى ادنى مدائن بخارا الى النهر فلما نزل بهم استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم فأتوهم فى جمع كثير وأخذوا الطرق على قتيبة فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل اليه خبر شهرين وأبطأ خبره على الحجاج فاشفق على الجند فأمر الناس بالدعاء لهم فى المساجد وهم يقتتلون كل يوم وكان لقتيبة عين من العجم يقال له تندر فاعطاه أهل بخارا مالا ليرد عنهم قتيبة فأتاه فقال له سرا من الناس ان الحجاج قد عزل وقد أتى عامل الى خراسان فلو رجعت بالناس كان اصلح فأمر به فقتل خوفا من أن يظهر الخبر فيهلك الناس ثم أمر أصحابه بالجد فى القتال فقاتلهم قتالا شديدا فانهزم الكفار يريدون المدينة وتبعهم المسلمون قتلا واسرا كيف شاؤا وتحصن من دخل المدينة بها فوضع قتيبة الفعلة ليهدم سورها فسألوه الصلح فصالحهم واستعمل عليهم عاملا وارتحل عنهم يريد الرجوع فلما سار خمسة فراسخ نقضوا الصلح وقتلوا العامل ومن معه فرجع قتيبة فنقب سورهم فسقط فسألوه الصلح فلم يقبل ودخلها عنوة وقتل من كان بها من المقاتلة وكان فيمن أخذوا من المدينة رجل اعور هو الذى استجاش الترك على المسلمين فقال لقتيبة أنا أفدى نفسى بخمسة آلاف حريرة قيمتها ألف ألف فاستشار قتيبة الناس فقالوا هذه زيادة فى الغنائم وما عسى ان يبلغ كيد هذا قال لا والله لا يروع بك مسلم أبدا فأمر به فقتل وأصابوا فيها من الغنائم والسلاح وآنية الذهب والفضة ما لا يحصى ولا أصابوا بخراسان مثله فقوى المسلمون وولى قسم الغنائم عبد الله بن والان العدوى أحد بنى ملكان وكان قتيبة يسميه الامين ابن الامين فانه كان أمينا وكان من حديث امانة أبيه ان مسلما الباهلى أبا قتيبة قال لوالان ان عندى مالا أحب ان استودعكه ولا يعلم به أحد قال والان ابعث به مع رجل تثق اليه الى موضع كذا وكذا ومره اذا رأى فى ذلك الموضع رجلا ان يضع المال وينصرف فجعل مسلم المال فى خرج وحمله على بغل وقال لمولى له انطلق بهذا المال الى موضع كذا وكذا فاذا رأيت رجلا جالسا فخل البغل وانصرف ففعل المولى ما أمره وأتى المكان وكان والان قد سبقه اليه وانتظر وابطأ عليه رسول مسلم فظن انه قد بدا له فانصرف وجاء رجل من بنى تغلب فجلس فى ذلك المكان وجاء مولى مسلم فرآه فسلم اليه البغل ورجع فاخذ التغلبى البغل والمال ورجع الى منزله وظن مسلم ان المال قد أخذه والان فلم يسأله حتى احتاج اليه فلقيه فقال مالى فقال ما قبضت شيأ ولا لك عندى مال فكان مسلم يشكوه الى الناس فشكاه يوما والتغلبى جالس فخلا به التغلبى وسأله عن المال فاخبره فانطلق به الى منزله

راكب على فرسه فجزعت الروم من ذلك جزعا شديدا فلما دخل الكنيسة نظر الى صليبهم الاعظم وهو موضوع على كرسى من ذهب وعيناه ياقوتتان حمراوتان وانفه زبرجدة خضراء فلما نظر مسلمة الى الصليب أخذه فوضعه على قربوس سرجه فقال الرهبان لاليون لا تدعه فقال له اليون ان الروم لا ترضى بهذا فحلف ان لا يخرج حتى يأخذه معه فقال أليون للروم دعوه يخرج به والكم على مثله والا دخل عليكم البطال ان استبطأه فاخذه وخرج وهو راكب وأليون ماش فى خدمته فخرج والصليب على رأس رمحه بعد العصر وكان القوم قد هموا بالدخول فلما نظروا اليه كبروا تكبيرة واحدة كادت الارض تمور بهم وسروا بخروج مسلمة سرورا عظيما فارسل أليون له المال الذى عهد به ومعه تاج مرصع فباعوا التاج من بعض بطارقة الروم بمائة الف دينار ثم عرض الناس فكانوا يومئذ اربعة وأربعين الف رجل قد اصابهم الجهد فقسم المال بينهم ثم قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم صلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال

وسلم المال اليه وأخبره الخبر فكان مسلم يأتي الناس والقبائل فيذكر لهم عذره والان ويخبرهم
الخبر قال فلما فرغ قتيبة من فتح بيكند رجع الى مرو

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو امير المدينة وكان على قضاء المدينة ابو بكر بن عمرو
ابن حزم وكان على العراق وخراسان الحجاج وكان خليفته على البصرة هذه السنة الجراح بن
عبد الله الحكمي وعلى قضائها عبد الله بن اذينة وكان على قضاء الكوفة أبو بكر بن موسى
الاشعري وفيها مات عبيد الله بن عباس بالمدينة وقيل باليمن وكان اصغر من عبد الله بسنة وفيها
مات مطرف بن عبد الله بن الشخير في طاعون الجارف بالبصرة وفيها مات المقدام بن معديكرب
الكندي له صحبة وقيل مات سنة احدى وتسعين وفيها مات امية بن عبد الله بن أسيد (بفتح
الهمزة الشخير بكسر الشين والخاء المعجمتين وتشديد الخاء وبعدها ياء)

(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين)

(ذكر فتح طوانة من بلاد الروم)

في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك بلد الروم وكان الوليد قد
كتب الى صاحب ارمينية يامره ان يكتب الى ملك الروم يعرفه ان الخزر وغيرهم من ملوك
جبال ارمينية قد اجمعوا على قصد بلاده ففعل ذلك وقطع الوليد البعث على اهل الشام الى
ارمينية واكثروا اعظم جهازه وساروا نحو الجزيرة ثم عطفوا منها الى بلاد الروم فاقتتلوا هم
والروم فانهزم الروم ثم رجعوا فانهزم المسلمون فبقي العباس في نفر منهم ابن محيريز الجمحي فقال
له العباس اين اهل القرآن الذين يريدون الجنة فقال ابن محيريز نادهم ياتوك فنادى العباس
يا اهل القرآن فاقبلوا جميعا فهزم الله الروم حتى دخلوا طوانة وحصرهم المسلمون وفتحوها
في جمادى الاولى قيل وفيها ولد الوليد بن يزيد بن عبد الملك

(ذكر عمارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم)

قيل وفي هذه السنة كتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز في ربيع الاول يأمره بادخال حجر أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يشتري ما في نواحيه حتى
يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ويقول له قدم القبلة ان قدرت وأنت تقدر لمكان اخوالك
وانهم لا يخالفونك فمن أبى منهم فقوموا ملكه قيمة عدل واهدم عليهم وادفع الاثمان اليهم فان
لك في عمر وعثمان اسوة فأحضرهم عمر واقرأهم الكتاب فاجابوه الى الثمن فاعطاهم اياه وأخذوا
في هدم بيوت ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنى المسجد وقدم عليهم الفعلة من الشام
ارسلهم الوليد وبعث الوليد الى ملك الروم يعلمه انه قد هدم مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
ليعمره فبعث اليه ملك الروم مائة ألف مثقال ذهب ومائة عامل وبعث اليه من الفسيفساء
باربعين حملا فبعث الوليد بذلك الى عمر بن عبد العزيز وحضر عمر ومعه الناس فوضعوا
اساسه وابتدؤا بعمارته قيل وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم أيضا ففتح ثلاثة
حصون أحدها حصن قسطنطين وغزالة وحصن الاخرم وقتل من المستعربة نحوا من الف
وأخذ الاموال

ذكر

ايها الناس اني في غمرات
الموت منذ سبع سنين لم اخب
اخبركم وكرهت ان افشلكم
عن قتال عدوكم وقد توفي
خليفتكم عبد الملك وولي
ابنه الوليد فمات وقد ولي
اخوه سليمان بن عبد الملك
فبايعوا له فاقاموا بعد ذلك
ثلاثة اشهر بالجزيرة حتى
اصلحوا سفنهم ثم امر أبا محمد
البطال ان يحمل المسلمين
في السفن فلم يزل ذلك دأبه
حتى عدى الناس كلهم
وبقي مسلمة في الجزيرة مع
مائة فارس فمضى الى باب
القسطنطينية فخرج اليه
أليون فسلم عليه فلم يصافحه
مسلمة فقبل أليون رجله
وودعه فعبر السفينة هو
والمائة فارس ولم يتخلف
بالجزيرة منهم احد وتوجهوا
نحو بلادهم ففي اثناء
الطريق اتاه كتاب عمر بن
عبد العزيز بموت سليمان بن
عبد الملك وبخلافته وان
يقدم بمن معه جميعا فقدموا
دمشق في ثلاثين الفا رجعنا
الى ما نحن بصدده ثم اضطرب
ملك الروم بعد أليون فملكوا
عليهم رجلا من اهل بيت
الملك من اهل مرعش يقال
له (برجين) وكان ملكه
تسع عشرة سنة ثم ملك بعده
(قسطنطين) بن أليون وذلك
في خلافة السفاح وابي

(ذكر غزو نومشكث ورامثنة)

قيل وفي هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم نومشكث واستخلف على مرو أخاه يسار بن مسلم فتلقاه أهلها فصالحهم ثم سار الى رامثنة فصالحه أهلها وانصرف عنهم وزحف اليه الترك ومعهم الصغد وأهل فرغانة في مائتي ألف وملكهم كورنغابون ابن اخت ملك الصين فاعترضوا المسلمين فلحقوا عبد الرحمن بن مسلم أخا قتيبة وهو على الساقة وبينه وبين قتيبة واوائل العسكر ميل فلما قربوا منه أرسل الى قتيبة بخبره وأدركه الترك فقاتلوه ورجع قتيبة فانتهى الى عبد الرحمن وهو يقاتل الترك وقد كان الترك يظهرون فلما رأى المسلمون قتيبة طابت نفوسهم وقاتلوا الى الظهر وابلى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة فانهزم الترك ورجع قتيبة فقطع النهر عند ترمذ واتى مرو

(ذكر ما عمل الوليد من المعروف)

وفي هذه السنة كتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز في تسهيل الثنايا وحفر الآبار وامره ان يعمل الفوارة بالمدينة فعملها واجرى ماءها فلما حج الوليد ورآها اعجبته فامر لها بقوام يقومون عليها وامر اهل المسجد ان يستقوا منها وكتب الى البلدان جميعها باصلاح الطرق وعمل الآبار ومنع المجذمين من الخروج على الناس واجرى لهم الارزاق

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز ووصل جماعة من قريش وساق معه بدنا واحرم من ذي الحليفة فلما كان بالتنعيم اخبر أن مكة قليلة الماء وانهم يخافون على الحاج العطش فقال عمر تعالوا ندع الله تعالى فدعا ودعا معه الناس فما وصلوا البيت الا مع المطر وسال الوادي فخاف اهل مكة من شدته ومطرت عرفة ومكة وكثر الخصب وقيل انما حج هذه السنة عمر بن الوليد بن عبد الملك وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها مات سهل بن سعد الساعدي وقيل بل سنة احدى وتسعين وله مائة سنة وعبد الله بن بسر المازني من مازن بن منصور وكان ممن صلى الى القبلتين وهو آخر من مات بالشام من الصحابة (بسر بضم الباء الموحدة وبالسين المهملة)

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين)

(ذكر غزو الروم)

قيل في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك الروم فافتتح مسلمة حصن عمورية وفتح العباس اذرولية ولقي من الروم جمعا فهزمهم وقيل ان مسلمة قصد عمورية فلقي بها جمعا من الروم كثيرا فهزمهم وافتتح هرقلة وقمونية وغزا العباس الصائفة من ناحية البذندون

(ذكر غزو قتيبة بخارا)

في هذه السنة اتى قتيبة كتاب الحجاج يامره بقصد وردان خذاه فعبر النهر من زم فلقي الصغد وأهل كش ونسف في طريق المفازة فقاتلوه فظفر بهم ومضى الى بخارا فنزل خرقانة السفلى عن يمين وردان فلقوه في جمع كثير فقاتلهم يومين وليلتين فظفر بهم وغزا وردان خذاه ملك بخارا فلم يظفر بشيء فرجع الى مرو وكتب الى الحجاج بخبره فكتب اليه الحجاج ان صورها فبعث اليه بصورتها فكتب اليه الحجاج أن تب الى الله جل ثناؤه مما كان منك وائتها من مكان كذا وكذا

جعفر المنصور ثم ملك بعده (أليون بن قسطنطين) وكانت امه ارش شريكة معه في الملك لصغر سنه الى ايام هرون الرشيد فمات وسملت عينا أمه ارش بعد ذلك لاخبار يطول شرحها ثم ملك على الروم بعده (يعفور) بن استبراق وكانت بينه وبين الرشيد مراسلات فاعطى القود من نفسه ثم غدر ونقض ما كان أعطاه من الانقياد فغزاه الرشيد فنزل على هرقلة وذلك في سنة تسعين ومائة والرشيد في محاصرة حصن هرقلة ومراسلات يعفور المذكور اخبار كثيرة ثم ملك بعد يعفور المذكور ولده استبراق في ايام محمد الامين فلم يزل ملكا حتى غلب على الملك (قسطنطين) بن فلقط وكان في خلافة المأمون ثم ملك بعده (نوفيل) وذلك في خلافة المعتصم وغزاه في فتح عمورية كما مر ثم ملك بعده (ميخاييل) بن نوفيل وذلك في خلافة الواثق والمتوكل والمستعين ثم كان بين الروم تنازع في الملك فملكوا عليهم (نوفيل) بن ميخاييل ثم غلب على الملك (شبيل الصقلي) ولم يكن من اهل بيت الملك فكان ملكه أيام المعتز والمهتدي ثم ملك بعده (أليون) بن شبيل بقية

وكتب اليه ان حكمى بكش وانسف نسف وردوردان وايالك والتعويط ودعنى من ثنيات الطريق وقيل انما كان فتح بخارا سنة تسعين على ما نذكره

(ذكر ولاية خالد بن عبد الله القسرى مكة)

قيل وفى هذه السنة ولى خالد بن عبد الله القسرى مكة فخطب اهلها فقال ايها الناس ايهما اعظم خليفة الرجل على اهله أو رسوله اليهم والله لم تعلموا فضل الخليفة الا ان ابراهيم خليل الرحمن استسقاه فسقاه ملحا اجاجا واستسقى الخليفة فسقاه عذبا فراتا يعنى بالملح زمزم وبالماء الفرات بئرا حفرها الوليد بثنية طوى فى ثنية الحجون وكان ماؤها عذبا وكان ينقل ماءها ويضعه فى حوض الى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم فغارت البئر وذهب ماؤها فلا يدرى اين هو اليوم وقيل وليها سنة احدى وتسعين وقيل سنة اربع وتسعين وقد ذكرناه هنالك

(ذكر قتل ذاهر ملك السند)

فى هذه السنة قتل محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن ابى عقيل الثقفى يجتمع هو والحجاج فى الحكم ذاهر بن صعصعة ملك السند وملك بلاده وكان الحجاج بن يوسف استعمله على ذلك الثغر وسير معه ستة آلاف مقاتل وجهزه بكل ما يحتاج اليه حتى المسال والابر والخيوط فسار محمد الى مكران فاقام بها اياما ثم أتى قنزبور ففتحها ثم سار الى ارمائيل ففتحها ثم سار الى الديبل فقدمها يوم جمعة ووافته سفن كان حمل فيها الرجال والسلاح والاداة فخندق حين نزل الديبل وأنزل الناس منازلهم ونصب منجنيقا يقال له العروس كان يمد به خمسمائة رجل وكان بالديبل بد عظيم عليه دقل عظيم وعلى الدقل راية حمراء اذا هبت الريح أطافت بالمدينة وكانت تدور والبد صنم فى بناء عظيم تحت منارة عظيمة مرتفعة وفى رأس المنارة هذا الدقل وكل ما يعبد فهو عندهم بد فحصرها وطال حصارها فرمى الدقل بحجر العروس فكسره فتطير الكفار بذلك ثم ان محمدا أتى وناهضهم وقد خرجوا اليه فهزمهم حتى ردهم الى البلد وامر بالسلاليم فنصبت وصعد عليها الرجال وكان اولهم صعودا رجل من مراد من اهل الكوفة ففتحت عنوة وقتل فيها ثلاثة ايام وهرب عامل ذاهر عنها وانزلها محمد اربعة آلاف من المسلمين وبنى جامعها وسار عنها الى البيرون وكان اهلها بعثوا الى الحجاج فصالحوه فلقوا محمدا بالميرة وأدخلوه مدينتهم وسار عنها وجعل لا يمر بمدينة الا فتحها حتى عبر نهرا دون مهران فاتاه أهل سربيدس فصالحوه ووظف عليهم الخراج وسار عنهم الى سهبان ففتحها ثم سار الى نهر مهران فنزل فى وسطه وبلغ خبره ذاهر فاستعد لمحاربته وبعث جيشا الى سدوستان فطلب أهلها الامان والصلح فأمنهم ووظف عليهم الخراج ثم عبر محمد مهران مما يلى بلاد راسل الملك على جسر عقده وذاهر مستخف به فلقيه محمد والمسلمون وهو على فيل وحوله الفيلة ومعه التكاكرة فاقتتلوا اقتتالا شديدا لم يسمع بمثله وترجل ذاهر فقتل عند المساء ثم انهزم الكفار وقتلهم المسلمون كيف شاؤا وقال قاتله

الخيل تشهد يوم ذاهر والقنا * ومحمد بن القاسم بن محمد

انى فرجت الجمع غير معرد * حتى علوت عظيمهم بمهند

فتركته تحت العجاج مجدلا * متعفر الخدين غير موسد

فلما قتل ذاهر غلب محمد على بلاد السند وفتح مدينة راور عنوة وكان بها امرأة لذاهر فخافت ان

ايام المعتز ومدة من خلافة المعتضد ثم هلك فملكهم ابن له يقال له (الاسكندروس) فلم يحمدوا امره فخلعوه وملكوا عليهم اخاه لاوى ابن أليون بن شبيل الصقلى فكان ملكه بقية ايام المعتضد والمكتفى ومدة من ايام المقتدر ثم هلك وخلف ولدا صغيرا يقال له قسطنطين فملك وغلب على مشاركته فى الملك وذلك فى بقية ايام المقتدر وايام القاهر والراضى والمتقى فهذا ما وصل الينا من اخبارهم

(الفصل العاشر فى ذكر ملوك مصر قبل الطوفان وما لهم من الآثار والبنيان)

ذكر اهل التاريخ ان بنى آدم عليه السلام لما بغى بعضهم على بعض وتحاسدوا وتغلب عليهم بنو قابيل تحول (نقراوش الجبار) بن مصرايم بن مرص كابيل بن زر وابيل بن عرياب بن آدم عليه السلام فى نيف وسبعين رجلا جبابرة يطلبون موضعا ينقطعون فيه عن بنى آدم عليه السلام فلما نزلوا على النيل ورأوا وسعة البلد وحسنه وحسن مائه اقاموا فيه وعمر مدينة مصر وسماها باسم ابيه مصرايم وكان نقراوش ملكا جبارا عنيدا عالما بالكهانة والطلسمات وبنى مدينة

تؤخذ فاحرقت نفسها وجواريها وجميع مالها ثم سار الى برهمناباذ العتيقة وهي على فرسخين من المنصورة ولم تكن المنصورة يومئذ كان موضعها غيضة وكان المنهزمون من الكفار بها فقاتلوه ففتحها محمد عنوة وقتل بها بشرا كثيرا وخربت وسار يريد الرور وبغرور فلقيه اهل ساوندرى فطلبوا الامان فاعطاهم اياه واشترط عليهم ضيافة المسلمين ثم اسلم اهلها بعد ذلك ثم تقدم الى بسمد وصالح اهلها ووصل الى الرور وهي من مدائن السند على جبل فحصرهم شهورا فصالحوه وسار الى السكة ففتحها ثم قطع نهر بياس الى الملتان فقاتله اهلها وانهزموا فحصرهم محمد فجاءه انسان ودله على قطع الماء الذي يدخل المدينة فقطعه فعطشوا فالقوا بايديهم ونزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبى الذرية وسدنة البد وهم ستة آلاف واصابوا ذهبا كثيرا فجمع في بيت طوله عشرة اذرع وعرضه ثمانية اذرع يلقى اليه من كوة في وسطه فسميت الملتان فرج بيت الذهب والفرج الثغر وكان بد الملتان تهدى اليه الاموال ويحج من البلاد ويحلقون رؤسهم ولحاهم عنده ويزعمون ان صنمه هو ايوب النبي صلى الله عليه وسلم وعظمت فتوحه ونظر الحجاج في النفقة على ذلك الثغر فكانت ستين الف الف درهم ونظر في الذي حمل فكان مائة الف الف وعشرين الف الف فقال ربحنا ستين الفا وادركنا ثارنا وراس ذاهر ثم مات الحجاج ونذكر امر محمد عند موت الحجاج ان شاء الله تعالى

(ذكر استعمال موسى بن نصير على افريقية)

في هذه السنة استعمل الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير على افريقية وكان نصير والده على حرس معاوية فلما سار معاوية الى صفين لم يسر معه فقال له ما يمنعك من المسير معي الى قتال علي ويدي عندك معروفة فقال لا اشركك بكفر من هو اولى بالشكر منك وهو الله عز وجل فسكت عنه معاوية فوصل موسى الى افريقية وبها صالح الذي استخلفه حسان على افريقية وكان البربر قد طمعوا في البلاد بعد مسير حسان فلما وصل موسى عزل صالحا وبلغه ان باطراف البلاد قوما خارجين عن الطاعة فوجه اليهم ابنه عبد الله فقاتلهم فظفر بهم وسبى منهم ألف رأس وسيره في البحر الى جزيرة ميورقة فنهبها وغنم منها ما لا يحصى وعاد سالما ووجه ابنه هرون الى طائفة اخرى فظفر بهم وسبى منهم نحو ذلك وتوجه هو بنفسه الى طائفة اخرى فغنم نحو ذلك فبلغ الخمس ستين الف رأس من السبي ولم يذكر احد انه سمع بسبي اعظم من هذا ثم ان افريقية قحطت واشتد بها الغلاء فاستسقى بالناس وخطبهم ولم يذكر الوليد وقيل له في ذلك فقال هذا مقام لا يدعى فيه لاحد ولا يذكر الا الله عز وجل فسقي الناس ورخصت الاسعار ثم خرج غازيا الى طنجة يريد من بقي من البربر وقد هربوا خوفا منه فتبعهم وقتلهم قتلا ذريعا حتى بلغ السوس الادنى لا يدافعه أحد فاستأمن البربر اليه وأطاعوه واستعمل على طنجة مولاه طارق ابن زياد ويقال انه صدفي وجعل معه جيشا كثيفا اجلهم البربر وجعل معهم من يعلمهم القرآن والفرائض وعاد الى افريقية فمر بقلعة مجانة فتحصن أهلها منه وترك عليها من يحاصرها مع بشر بن فلان ففتحها فسميت قلعة بشر الى الآن وحينئذ لم يبق له في افريقية من ينازعه وقيل كانت ولاية موسى سنة ثمان وسبعين استعمله عليها عبد العزيز بن مروان وهو حينئذ على مصر لاخيه عبد الملك

أسوس وبنى بها عجائب كثيرة منها انه عمل صنمين من حجر أسود في وسط المدينة اذا قدمها سارق لم يقدر ان يزول عنهما حتى يسلك بينهما فاذا دخل بينهما اطبقا عليه فيؤخذ فهو وبنوه الجبابرة الذين بنوا الاعلام وأقاموا الاساطين العظام ووضعوا الطلسمات واستخرجوا المعادن وقهروا من ناواهم من ملوك الارض وهم الذين حفروا النيل حتى أجروا ماءه اليهم ولم يكن محفورا وانما كان ينبطح وينفرش على وجه الارض فلما مات لطخوا جسده بالادوية الممسكة وجعلوه في تابوت من ذهب ودفنوا معه كنوزه من أنواع الجواهر وزبروا عليها تاريخ الوقت فلما مات ملك بعده ابنه (نقاوش) وتجبر وعلا امره وكان كابيه في علم الكهانة والطلسمات وبنى مدينة بمصر وسماها حلجمه وعمل فيها جنة صفح حيطانها بصفائح الذهب وغرس فيها انواع الفواكه وكان معه شيطان يعمل التماثيل العجيبة وهو اول من عمل بمصر هيكلا وبنى في صحراء الغرب وراء الواحات ثلاث مدن وبنى مدائن ذات عجائب تكل العقول

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية اذربيجان ففتح حصونا ومدائن هنالك وحج بالناس عمر بن عبد العزيز وكان العمال من تقدم ذكرهم وفى هذه السنة مات عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذرى حليف بنى زهرة وكان مولده قبل الهجرة باربع سنين وقيل ولد سنة ست من الهجرة (صعير بضم الصاد وفتح العين المهملتين) وفيها مات ظليم مولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح بافريقية (ظليم بفتح الظاء المعجمة وكسر اللام)

(ثم دخلت سنة تسعين)

(ذكر فتح بخارا)

قد ذكرنا ورود كتاب الحجاج الى قتيبة يامره بالتوبة عن انصرافه عن وردان خداه ملك بخارا ويعرفه الموضع الذى يأتى بلده منه فلما ورد الكتاب على قتيبة خرج غازيا الى بخارا سنة تسعين فاستجاش وردان خداه بالصغد والترك من حوله فاتوه وقد سبق اليها قتيبة فحصرها فلما جاءتهم امدادهم خرجوا الى المسلمين يقاتلونهم فقالت الازد اجعلونا ناحية وخلوا بيننا وبين قتالهم فقال قتيبة تقدموا فتقدموا وقاتلوهم قتالا شديدا ثم ان الازد انهزموا حتى دخلوا العسكر وركبهم المشركون فحطموهم حتى ادخلوهم عسكرهم وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكين فكروا راجعين فانطوت مجنبتا المسلمين على الترك فقاتلوهم حتى ردوهم الى مواقفهم فوقف الترك على نشز فقال قتيبة من يزيلهم عن هذا الموضع فلم يقدم عليهم أحد من العرب فاتى بنى تميم فقال لهم يوما كايامكم فاخذ وكيع اللواء وقال يا بنى تميم اتسلمونى اليوم قالوا لا يا أبا مطرف وكان هريم بن أبى طحمة على خيل تميم ووكيع رأسهم فقال وكيع يا هريم قدم خيلك ودفع اليه الراية فتقدم هريم وتقدم وكيع فى الرجالة فانتهى هريم الى نهر بينهم وبين الترك فوقف فقال وكيع تقدم يا هريم فنظر هريم نظر الجمل الهائج الصائل وقال أأقحم الخيل هذا النهر فان انكشفت كان هلاكها يا أحمق فقال وكيع يا ابن اللخناء اترد امرى فحذفه بعمود كان معه فعبر هريم فى الخيل وانتهى وكيع الى النهر فعمل عليه جسرا من خشب وقال لاصحابه من وطن نفسه على الموت فليعبروا الا فليثبت مكانه فما عبر معه الا ثمانمائة رجل فلما عبر بهم ودنا من العدو قال لهريم انى مطاعنهم فاشغلهم عنا بالخيل فحمل عليهم حتى خالطهم وحمل هريم فى الخيل فطاعنوهم ولم يزالوا يقاتلونهم حتى حدروهم من التل ونادى قتيبة ماترون العدو منهزمين فلم يعبر احد النهر حتى انهزموا وعبر الناس ونادى قتيبة من اتى برأس فله مائة فاتى برؤس كثيرة فجاء يومئذ احد عشر رجلا من بنى قريع كل رجل برأس فيقال له من انت فيقول قريعى فجاء رجل من الازد برأس فقيل له من أنت فقال قريعى فعرفه جهم بن زحر فقال كذب والله انه ازدى فقال له قتيبة ما دعاك الى هذا فقال رأيت كل من جاء يقول قريعى فظننت انه ينبغى لكل من جاء برأس ان يقوله فضحك قتيبة وجرح خاقان وابنه وفتح الله عليهم وكتب بالفتح الى الحجاج

(ذكر صلح قتيبة مع الصغد)

لما وقع قتيبة باهل بخارا هابه الصغد فرجع طرخون ملكهم ومعه فارسان فدنا من عسكر قتيبة فطلب رجلا يكلمه فارسل اليه قتيبة حيان النبطى فطلب الصلح على فدية يؤديها اليهم فاجابه

قتيبة

عن دركها وقد ازال الطوفان جميعها وركب هذه الارض الرمال فازال طلسماتها وملك نقاوش مائة وتسع سنين ثم هلك فعمل له ناووس وجعل معه من الاشياء العجيبة ما يطول الامر بذكره وتملك بعده أخوه (مصرام) بن نقراوش وكان حكيما فى الكهانة والطلسمات فعمل اعمالا عظيمة منها انه ذلل الاسد وركبها ويقال انه ركب عرشه وحملته الشياطين حتى انتهى الى وسط البحر المحيط وجعل فيه قلعة بيضاء وجعل عليها صنما للشمس وزبر عليها اسمه وصفة ملكه وعمل صنما من نحاس وزبر عليه أنا مصرام الجبار وكاشف الاسرار والغالب القهار وضعت الطلسمات الصادقة وأقمت الصور الناطقة ونصبت الاعلام الهائلة على البحار السائلة ليعلم من بعدى انه لا يملك أحد ملكى وكان قد عمل فى جنته شجرة مولدة يؤكل منها جميع الفواكه واحتجب عن الناس والقى على وجهه من سحره نورا شديدا لا يقدر أحد ان يتمكن من النظر اليه فادعى انه اله وغاب عن

قتيبة الى ماطلب وصالح ورجع طرخون الى بلاده ورجع قتيبة ومعه نيزك (حيان بالحاء المهملة والياء المشددة تحتها نقطتان وآخره نون)

(ذكر غدر نيزك وفتح الطالقان)

قيل لما رجع قتيبة من بخارا ومعه نيزك وقد خاف لما يرى من الفتوح فقال لاصحابه انا مع هذا ولست آمنه فلو استأذنته ورجعت كان الرأى قالوا افعل فاستأذن قتيبة فاذن له وهو بآمل فرجع يريد طخارستان وأسرع السير حتى أتى النوبهار فنزل يصلى فيه ويتبرك به وقال لاصحابه لا اشك ان قتيبة قد ندم على اذنه لى وسيبعث الى المغيرة بن عبد الله يامره بحبسى وندم قتيبة على اذنه له فارسل الى المغيرة يامره بحبس نيزك وسار نيزك وتبعه المغيرة فوجده قد دخل شعب خلم فرجع المغيرة وأظهر نيزك الخلع وكتب الى أصبهبذ بلخ والى باذان ملك مرو الروذ والى ملك الطالقان والى ملك الفرياب والى ملك الجوزجان يدعوهم الى خلع قتيبة فاجابوه فواعدهم الربيع ان يجتمعوا ويغزوا قتيبة وكتب الى كابل شاه يستظهر به وبعث اليه بثقله وماله وسأله ان ياذن له ان اضطر اليه ان يأتيه فاجابه الى ذلك وكان جبغويه ملك طخارستان ضعيفا فاخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب لئلا يخالف عليه وكان جبغويه هو الملك ونيزك عبده فاستوثق منه واخرج عامل قتيبة من بلاد جبغويه وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء وقد تفرق الجند فبعث اخاه عبد الرحمن بن مسلم فى اثنى عشر الفا الى البروقان وقال اقم بها ولا تحدث شيأ فاذا انقضى الشتاء سر نحو طخارستان واعلم انى قريب منك فسار فلما كان آخر الشتاء كتب قتيبة الى نيسابور وغيرها من البلاد ليقدم عليه الجنود فقدموا قبل اوانهم فسار نحو الطالقان وكان ملكها قد خلع وطابق نيزك على الخلع فاتاه قتيبة فاوقع باهل الطالقان فقتل من اهلها مقتلة عظيمة وصلب منهم سماطين اربعة فراسخ فى نظام واحد ثم انقضت السنة قبل محاربة نيزك وسنذكر تمام خبره سنة احدى وتسعين ان شاء الله

(ذكر هرب يزيد بن المهلب واخوته من سجن الحجاج)

قيل وفى هذه السنة هرب يزيد بن المهلب واخوته الذين كانوا معه فى سجن الحجاج وكان الحجاج قد خرج الى رستقاباذ للبعث لان الاكراد كانوا قد غلبوا على فارس وخرج معه يزيد بن المهلب واخوته عبد الملك والمفضل فى عسكره وجعل عليهم كهيئة الخندق وجعلهم فى فسطاط قريب منه وجعل عليهم الحرس من اهل الشام وطلب منهم ستة آلاف الف واخذ يعذبهم فكان يزيد يصبر صبرا حسنا وكان ذلك مما يغيظ الحجاج منه فقيل للحجاج انه رمى فى ساقه بنشابة فثبت نصلها فيه فهو لا يمسها الا صاح فامر ان يعذب فى ساقه فلما فعلوا به ذلك صاح واخته هند بنت المهلب عند الحجاج فلما سمعت صوته صاحت وناحت فطلقها الحجاج ثم انه كف عنهم وأقبل يستأديهم وهم يعملون فى التخلص فبعثوا الى أخيهم مروان وكان بالبصرة ان يضمر لهم خيلا ويرى الناس انه يريد بيعها لتكون عدة ففعل ذلك وكان أخوه حبيب يعذب بالبصرة أيضا فصنع يزيد للحرس طعاما كثيرا وأمر لهم بشراب فسقوا واشتغلوا به ولبس يزيد ثياب طباخه وخرج وقد جعل له لحية بيضاء فرآه بعض الحرس فقال كأن هذه مشية يزيد فجاء اليه فرأى لحيته بيضاء فى الليل فتركه وعاد فخرج المفضل ولم يفطن له فجاؤا الى سفن معدة فركبها يزيد والمفضل

الناس ثلاثين سنة واستخلف عليهم رجلا من ولد عرياب يقال له عيقام ثم برز لاهل مصر حين احبوا ان ينظروه فعرض نفسه فى صورة هالتهم وملأت قلوبهم رعبا فخروا على وجوههم ثم غاب عنهم ولم يروه بعد ذلك ثم ملك مكانه خليفته عيقام المذكور فعدل فيهم وعمل مدينة عظيمة عجيبة قريب العريش جعلها لهم حرسا وقيل ان ادريس عليه السلام رفع فى زمانه ولم يطل ملكه ثم ملك بعده ابنه عرياق فتجبر واقبل على صيد السباع والوحوش ومن عجائبه انه عمل شجرة من نحاس ذات اغصان والطخها بدواء مدبر فكل وحش يصل اليها لم يستطع الحركة حتى يؤخذ فشبعت الناس فى ايامه من لحوم الصيد والوحش وقيل ان هاروت وماروت كانا فى ايامه وكان فاسقا يجلب النساء بسحره ويغتصبهن فاحتالت عليه امرأة فسمته ثم ملك بعده (لوجيم بن نقاوش) فلما جلس على سرير الملك ولبس تاج ابيه سار فى الناس بالعدل والاحسان ووفور الشفقة للرعية وفى زمانه كثرت الغربان

وعبد الملك وسار والبلتهم حتى اصبحوا فلما اصبحوا علم بهم الحرس فرفعوا خبرهم الى الحجاج ففزع وظن انهم يقصدون خراسان ليفتنوا بها فبعث البريد الى قتيبة يخبرهم ويامره بالحذر ولما دنا يزيد من البطائح استقبلته الخيل فخرجوا عليها ومعهم دليل من كلب فاخذوا طريق الشام على طريق السماوة واتى الحجاج بعد يومين فقيل له انهم اخذوا طريق الشام فبعث الى الوليد بن عبد الملك يعلمه ثم سار يزيد فقدم فلسطين فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الازدى وكان كريما على سليمان بن عبد الملك فجاء وهيب الى سليمان فاعلمه بحال يزيد واخوته وانهم قد استعاذوا به من الحجاج قال فاتنى بهم فهم آمنون لا يتوصل اليهم ابدا وانا حى فجاءهم اليه وكانوا فى مكان آمن وكتب الحجاج الى الوليد ان آل المهلب خانوا أمان الله وهربوا منى ولحقوا بسليمان وكان الوليد قد حذرهم وظن انهم ياتون خراسان للفتنة بها فلما علم انهم عند اخيه سليمان سكن بعض ما به وطار غضبا للمال الذى ذهب به فكتب سليمان الى الوليد ان يزيد عندى وقد آمنته وانما عليه ثلاثة آلاف الف لان الحجاج أغرمه ستة آلاف ألف فادى ثلاثة آلاف الف والذى بقى عليه انا أؤديه فكتب الوليد والله لا أؤمنه حتى تبعث به الى فكتب لئن انا بعثت به اليك لاجيئن معه فكتب الوليد والله لئن جئتنى لا أؤمنه فقال يزيد ارسلنى اليه فوالله ما احب ان اوقع بينه وبينك عداوة ولا ان يتشاءم الناس بى لكما واكتب معى بالطف ما قدرت عليه فارسله وارسل معه ابنه ايوب وكان الوليد قد امره ان يبعث به مقيدا فقال سليمان لابنه اذا دخلت على امير المؤمنين فادخل انت ويزيد فى سلسلة ففعل ذلك فلما رأى الوليد ابن اخيه فى سلسلة قال لقد بلغنا من سليمان ودفع ايوب كتاب ابيه الى عمه وقال له يا أمير المؤمنين نفسى فداؤك ولا تخفر ذمة أبى وانت احق من منعها ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة فى جوارنا لمكاننا منك ولا تذل من رجا العز فى الانقطاع الينا للعز بك فقرأ الوليد كتاب سليمان فاذا هو يستعطفه ويشفع اليه ويضمن ايصال المال فلما قرأ الكتاب قال لقد شققنا على سليمان وتكلم يزيد واعتذر فامنه الوليد فرجع الى سليمان وكتب الوليد الى الحجاج انى لم اصل الى يزيد واهله مع سليمان فاكفف عنهم فكف عنهم وكان ابو عيينة بن المهلب عند الحجاج عليه الف الف فتركها وكف عن حبيب ابن المهلب واقام يزيد بن المهلب عند سليمان يهدى اليه الهدايا ويصنع له الاطعمة وكان لا ياتى يزيد هدية الا بعث بها الى سليمان ولا ياتى سليمان هدية الا بعث بنصفها الى يزيد وكان لا تعجبه جارية الا بعث بها الى يزيد

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك ارض الروم ففتح الحصون الخمس التى بسورية وغزا عباس بن الوليد حتى بلغ ارزن وبلغ سورية وفيها استعمل الوليد بن عبد الملك قرة بن شريك على مصر وعزل اخاه عبد الله بن عبد الملك وفيها اسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر فاهداه ملكهم الى الوليد وحج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز وكان اميرا على مكة والمدينة والطائف وكان على العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وعامله على البصرة الجراح بن عبد الله الحكمى وعلى قضائها عبد الرحمن بن اذينة وعلى خراسان قتيبة بن مسلم وعلى مصر قرة بن شريك وفيها مات أنس بن مالك الانصارى وقيل سنة اثنتين وتسعين وقيل ثلاث وتسعين وكان

عمره

والغرانيق فاهلكت الزرع فعمل اربع منارات من نحاس فى اربع جوانب بلدة اسوس وجعل على كل منارة صورة غراب فى فمه حية قد التوت عليه فلم يقربهن شئ من الطيور فلم يزل ذلك الى ان كان الطوفان فازال تلك المنارات ثم ملك بعده خصليم الملك وهو اول من عمل مقياسا لزيادة النيل وعمر بيتا من رخام على حافة النيل وجعل فى وسطه بركة من نحاس صغيرة فيها ماء موزون على حافة البركة عقابان من نحاس ذكر وانثى فاذا كان أول الشهر الذى يزيد فيه النيل فتح البيت وجمع الكهنة فيه بين يديه وتكلم رؤساء الكهان بكلامهم حتى يصفر احد العقابين فان صفر الذكر كان الماء تاما وان صفرت الانثى كان الماء ناقصا فيعتدون لذلك وهو الذى بنى القنطرة التى ببلاد النوبة على النيل ثم ملك بعده (هوصال) الملك فبنى مدينتين مدينة بالمشرق وهى ذات عجائب كثيرة وعمل فى وسطها صنما للشمس يدور بدورانها ويبيت مغربا ويصبح مشرقا ومدينة بالمغرب وهى على صفة او يقال ان نوحا عليه

عمره ستا وتسعين سنة وقيل مائة وست سنين وقيل وسبع وقيل وثلاث وفيها مات ابو العالية الرياحى فى شوال وفيها توفى نصر بن عاصم الليثى النحوى اخذ النحو عن ابى الاسود الدؤلى وقيل مات سنة تسعين

(ثم دخلت سنة احدى وتسعين)

(ذكر تتمة خبر قتيبة مع نيزك)

قد ذكرنا مسير قتيبة الى نيزك وما جرى له بالطالقان وقتل من قتل بها فلما فتح الطالقان استعمل اخاه عمرو بن مسلم وقيل ان ملكها لم يحارب قتيبة فكف عنه وكان بها لصوص فقتلهم قتيبة وصلبهم ثم سار قتيبة الى الفارياب فخرج اليه ملكها مقرا مذعنا فقبل منه ولم يقتل بها احدا واستعمل عليها رجلا من أهله وبلغ ملك الجوزجان خبرهم فهرب الى الجبال وسار قتيبة الى الجوزجان فلقيه اهلها سامعين مطيعين فقبل منهم ولم يقتل بها احدا واستعمل عليها عامر بن مالك الحمانى ثم أتى بلخ فلقيه أهلها فلم يقم بها الا يوما واحدا وسار يتبع اخاه عبد الرحمن الى شعب خلم ومضى نيزك الى بغلان وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضائقه ليمنعوه ووضع مقاتلته فى قلعة حصينة من وراء الشعب فاقام قتيبة اياما يقاتلهم على مضيق الشعب لا يقدر على دخوله ولا يعرف طريقا يسلكه الى نيزك الا الشعب او مفازة لا تحتملها العساكر فبقى متحيرا فقدم انسان فاستأمنه على ان يدله على مدخل القلعة التى من وراء الشعب فامنه قتيبة وبعث معه رجالا فانتهى بهم الى القلعة من وراء شعب خلم فطرقوهم وهم آمنون فقتلوهم وهرب من بقى منهم ومن كان فى الشعب فدخل قتيبة الشعب فاتى القلعة ومضى الى سمنجان فاقام بها اياما ثم سار الى نيزك وقدم اخاه عبد الرحمن فارتحل نيزك من منزله فقطع وادى فرغانة ووجه ثقله وامواله الى كابل شاه ومضى حتى نزل الكرز وعبد الرحمن يتبعه فنزل عبد الرحمن حذاء الكرز ونزل قتيبة بمنزل بينه وبين عبد الرحمن فرسخان فتحصن نيزك فى الكرز وليس اليه مسلك الا من وجه واحد وهو صعب لا تطيقه الدواب فحصره قتيبة شهرين حتى قل ما فى يد نيزك من الطعام واصابهم الجدرى وجدر جبغويه وخاف قتيبة الشتاء فدعا سليما الناصح فقال انطلق الى نيزك واحتل لتأتينى به بغير امان فان احتال وابى فامنه واعلم انى ان عاينتك وليس هو معك صلبتك قال فاكتب الى عبد الرحمن لا يخالفنى فكتب اليه فقدم عليه فقال له ابعث رجالا ليكونوا على فم الشعب فاذا خرجت انا ونيزك فليعطفوا من ورائنا فيحولوا بيننا وبين الشعب فبعث عبد الرحمن خيلا فكانت هناك وحمل سليم معه اطعمة واخبصة اوقارا واتى نيزك فقال له انك اسأت الى قتيبة وغدرت قال نيزك فما الرأى قال أرى ان تأتيه فانه ليس ببارح وقد عزم على ان يشتو مكانه هلك أو سلم قال نيزك فكيف آتيه على غير امان قال ما اظنه يؤمنك لما فى نفسه عليك لانك قد ملأته غيظا ولكنى ارى ان لا يعلم حتى تضع يدك فى يده فانى ارجو ان يستحى ويعفو قال انى ارى نفسى تأبى هذا وهو ان رآنى قتلنى فقال سليم ما اتيتك الا لاشير عليك بهذا ولو فعلت لرجوت أن تسلم وتعود حالك عنده فاذا ابيت فانى منصرف وقدم سليم الطعام الذى معه ولا عهد لهم بمثله فانتهبه اصحاب نيزك فساءه ذلك فقال له سليم انى لك من الناصحين ارى اصحابك قد جهدوا وان طال بهم الحصار لم آمنهم ان يستأمنوا بك فائت قتيبة فقال لا آمنه على

السلام وولد فى زمانه وولد له عشرون ولدا وجعل مع كل ولد منهم ناظرا وهو رأس الكهنة وكان يعبد الكواكب فاختفى عن عيون الناس ثم قام بنوه على حالهم كل واحد منهم فى قسمته التى اقطعه اياها حتى مضت عليه سبع سنين ثم وقع بينهم تشاجر وتخالف فاجتمع رؤس الكهنة على ان يجعلوا احدهم ملكا ويقيم كل واحد منهم فى قسمته فاجمع امرهم على اكبر اولاده فولوه وهو (تدرسان) فسار بسيرة ابيه وحمد الناس امره فعمل قصرا من خشب ونقشه باحسن النقوش وصور فيه صور الكواكب وحمله على الماء وكان يتنزه عليه فبينما هو يتنزه يوما اذ زاد النيل زيادة عظيمة وهبت ريح عاصفة فوقع القصر وهلك الملك وكانت له امرأة ساحرة من بنات عمه فكتمت عن الناس موت الملك وكان يخرج امرها ونهيها الى الوزراء عنه فاقام الناس تحت طاعتها تسع سنين لا يعلمون بامر الملك فلما رأى اخوته طول غيبته جمعوا عليها جموعا كثيرة وقدموا على

نفسى ولا آتيه الا بامان وان ظنى أن يقتلنى وان امننى ولكن الامان اعذر الى فقال سليم قد
آمنك افتتهمنى قال لا وقال له اصحابه اقبل قول سليم فلا يقول الاحقا فخرج معه ومع جبغويه
وصول طرخان خليفة جبغويه وحبس طرخان صاحب شرطته وشقران ابن اخى نيزك فلما
خرجوا من الشعب عطف الخيل التى خلفها سليم فحالوا بين الاتراك اصحاب نيزك والخروج فقال
نيزك هذا اول الغدر قال سليم تخلف هؤلاء عنك خير لك واقبل سليم ونيزك ومن معه حتى دخلوا
الى قتيبة فحبسهم وكتب الى الحجاج يستأذنه فى قتل نيزك واستخرج قتيبة ما كان فى الكرز من
متاع ومن كان فيه فقدم به على قتيبة فانتظرهم كتاب الحجاج فاتاه كتاب الحجاج بعد اربعين يوما
يأمره بقتل نيزك فدعا قتيبة الناس واستشارهم فى قتله واختلفوا فقال ضرار بن حصين انى
سمعتك تقول اعطيت الله عهدا ان امكنك منه ان تقتله فان لم تفعل فلا ينصرك الله عليه
ابدا فدعا نيزك فضرب رقبته بيده وامر بقتل صول وابن اخى نيزك وقتل من اصحابه سبعمائة
وقيل اثنى عشر الفا وصلب نيزك وابن اخيه وبعث برأسه الى الحجاج وقال نهار بن توسعة فى
قتل نيزك

لعمرى لنعمت غزوة الجند غزوة * قضت نحبها من نيزك وتعلت

واخذ الزبير مولى عباس الباهلى حقا لنيزك فيه جوهر وكان اكثر من فى بلاده مالا وعقارا من
ذلك الجوهر واطلق قتيبة جبغويه ومن عليه وبعث به الى الوليد فلم يزل بالشام حتى مات الوليد
كان الناس يقولون غدر قتيبة بنيزك فقال بعضهم

فلا تحسبن الغدر حزما فربما * ترقت به الاقدام يوما فزلت

فلما قتل قتيبة نيزك رجع الى مرو وارسل ملك الجوزجان يطلب الامان فامنه على ان يأتيه
فطلب رهنا ويعطى رهائن فاعطاه قتيبة حبيب بن عبد الله بن حبيب الباهلى واعطى ملك
الجوزجان رهائن من اهل بيته وقدم على قتيبة ثم رجع فمات بطالقان فقال اهل الجوزجان انهم
سموه فقتلوا حبيبا وقتل قتيبة الرهائن الذين كانوا عنده

* (ذكر غزو شومان وكش ونسف) *

وفى هذه السنة سار قتيبة الى شومان فحصرها وكان سبب ذلك ان ملكها طرد عامل قتيبة من
عنده فارسل اليه قتيبة رسولين احدهما من العرب اسمه عياش والآخر من اهل خراسان
يدعوان ملك شومان ان يؤدى ما كان صالح عليه فقدما شومان فخرج اهلها اليهما فرموهما
فانصرف الخراسانى وقاتلهم عياش فقتلوه ووجدوا به ستين جراحة وبلغ قتله قتيبة فسار اليهم
بنفسه فلما اتاها ارسل صالح بن مسلم اخا قتيبة الى ملكها وكان صديقا له يأمره بالطاعة ويضمن
له رضا قتيبة ان رجع الى الصلح فابى وقال لرسول صالح اتخوفنى من قتيبة وانا امنع الملوك
حصنا فأتاه قتيبة وقد تحصن ببلده فوضع عليه المجانيق ورمى الحصن فهشمه وقتل رجلا فى
مجلس الملك بحجر فلما خاف ان يظهر عليه قتيبة جمع ما كان بالحصن من مال وجوهر ورمى به
فى بئر بالقلعة لا يدرك قعرها ثم فتح القلعة وخرج اليهم فقاتلهم حتى قتل واخذ قتيبة القلعة عنوة
فقتل المقاتلة وسبى الذرية ثم سار الى كش ونسف ففتحهما وامتنعت عليه فارياب فاحرقها
فسميت المحترقة وسير من كش ونسف اخاه عبد الرحمن الى الصغد وملكها طرخون فقبض

انفسهم احدهم وهو شمرود
الجبار وساروا الى مدينة
اسوس وتحاربوا معها
وغلبوا عليها واقتنوا بها لملك
الملك وجلس على سرير الملك
(شمرود) المذكور فسر
الناس به ووعدهم بحسن
السيرة فيهم وطلب امرأة
اخيه الساحرة وابنها
ليقتلهما وهربت هى
وابنها الى مدينة الصعيد
وكان اهلها كلهم كهانا
وسحرة فامتنعت بهم ثم
ادعت السلطنة لابنها
ودعت الناس الى حرب
شمرود وزحف اليه ابن
الساحرة وقد عمل له السحرة
اصنافا من التخاييل الهائلة
والنيران المحرقة فاقامت
الحرب بينهم اياما فانهزم
شمرود واخوته وتحصنوا
ببعض الجبال ونزل ابن
الساحرة بدار الملك وجلس
على سريره ولبس تاج ابيه
وكان اسمه (توميدون)
فملكهم وهو حديث السن
وكانت امه تدبر امره ثم
خرج ابنها كاهنا منجما
حتى عملت له الشياطين
قبة من زجاج دائرة على
دوران الفلك وصور عليها
صورا لكواكب فكانوا
يعرفون الطالع منها وما
يحدث بعد طلوعه وبعد

عبد

عبد الرحمن من طرخون ما كان صالحه عليه قتيبة ودفع اليه رهنا كان معه ورجع الى قتيبة بخارا وكان قد سار اليها من كش ونسف فرجعوا الى مرو ولما كان قتيبة بخارا ملك بخارا خذاه وكان غلاما حدثا وقتل من يخاف ان يضاده وقيل ان قتيبة سار بنفسه الى الصغد فلما رجع عنهم قالت الصغد لطرخون انك قد رضيت بالذل واستطبت الجزية وانت شيخ كبير فلا حاجة لنا فيك فحبسوه وولوا غوزك فقتل طرخون نفسه

(ذكر عدة حوادث)

قيل في هذه السنة استعمل الوليد خالد بن عبد الله القسري على مكة فلم يزل واليا عليها حتى مات الوليد وكان قد تقدم سنة تسع وثمانين ذكره ايضا فلما ولي مكة خطبهم وعظم امر الخلافة وحثهم على الطاعة فقال لو اني اعلم ان هذه الوحش التي تأمن في الحرم لو نطقت لم تقر بالطاعة لاخرجتها منه فعليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فاني والله لا أوتى باحد يطعن على امامه الا صلبته في الحرم اني لا ارى فيما كتب به الخليفة اوراه الا امضاءه واشتد عليهم وحج بالناس هذه السنة الوليد بن عبد الملك فلما دخل المدينة غدا الى المسجد ينظر الى بنائه وأخرج الناس منه ولم يبق غير سعيد ابن المسيب لم يجرأ احد من الحرس يخرجه فقيل له لو قمت قال لا اقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت أقوم فيه فقيل لو سلمت على امير المؤمنين قال لا والله لا أقوم اليه قال عمر بن عبد العزيز فجعلت اعدل بالوليد في ناحية المسجد لئلا يراه فالتفت الوليد الى القبلة فقال من ذلك الشيخ اهو سعيد قال عمر نعم ومن حاله كذا وكذا ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك وهو ضعيف البصر قال الوليد قد علمت حاله ونحن نأتيه فدار في المسجد حتى اتاه فقال كيف انت ايها الشيخ فوالله ما تحرك سعيد بل قال بخير والحمد لله فكيف امير المؤمنين وكيف حاله فانصرف وهو يقول امر هذا بقية الناس وقسم بالمدينة دقيقا كثيرا وآنية من ذهب وفضة واموالا وصلى بالمدينة الجمعة فخطب الناس الاولى جالسا ثم قام فخطب الخطبة الثانية قائما قال اسحق بن يحيى فقلت لرجاء بن حيوة وهو معه أهكذا تصنعون قال نعم مكررا وهكذا اصنع معاوية وهلم جرا قال فقلت له هلا تكلمه قال اخبرني قبيصة بن ذؤيب انه كلم عبد الملك ولم يترك القعود وقال هكذا خطب عثمان قال فقلت والله ما خطب الا قائما قال رجاء روي لهم شيء فاقتدوا به قال اسحق ولم نر منهم اشد تجبرا منه وكان العمال على البلاد من تقدم ذكرهم غير مكة فان خالدا كان عاملها وقيل ان عاملها هذه السنة كان عمر بن عبد العزيز بن مروان وفي هذه السنة غزا عبد العزيز بن الوليد الصائفة وكان على ذلك الجيش مسلمة بن عبد الملك وفيها عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وارمينية واستعمل عليها اخاه مسلمة بن عبد الملك فغزا مسلمة الترك من ناحية اذربيجان حتى بلغ الباب وفتح مدائن وحصونا ونصب عليها المجانيق

(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين)

في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ففتح حصونا ثلاثة وجلا أهل سوسنة الى بلاد الروم

(ذكر فتح الاندلس)

وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الاندلس في اثني عشر ألفا فلقي ملك الاندلس واسمه

سنين من ملكه ماتت امه الساحرة واوصت ان يجعل جسدها اذا ماتت تحت صنم القمر فانها تخبرهم بالعجائب وبكل ما يسألون عنه ففعلوا ذلك وكانت تتصور لهم في صور كثيرة وملكهم توميدون مائة وستين سنة ولما حضرته الوفاة امرهم ان يجعلوا له صنما من زجاج على شقين ويطلي جسده بالادوية الممسكة ويجعل في ذلك الصنم ويلحم ويقام في هيكل الاصنام ويجعل له كل سنة عيد ويقرب له قربان وأن تدفن كتب علومه وكنوزه تحته ففعل ذلك كله وملك بعده ابنه (شرياق) فعمل بسيرة ابيه وجده وقد جعل الكهنة بين يديه نارا عظيمة لا يصل اليها الا من خاضها ولا تضر الا من اضمر للملك غائلة وكانت اطماع الملوك منقطعة من الوصول الى مصر لا سيما في زمن شرياق المذكور وقد احدث في زمانه عجائب كثيرة منها انه عمل على كل باب مدينة بطة من نحاس قائمة على اسطوانة فاذا دخل الغريب من باب المدينة صفقت بجناحيها وصرخت فيؤخذ الداخل ويكشف

اذرينوق وكان من أهل اصبهان وهم ملوك عجم الاندلس فزحف له طارق بجميع من معه وزحف
الاذرينوق وعليه تاجه وجميع الحلية التي كان يلبسها الملوك فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل
الاذرينوق وفتح الاندلس سنة اثنتين وتسعين هذا جميعه ذكره أبو جعفر في فتح الاندلس وبمثل
ذلك الاقليم العظيم والفتح المبين لا يقتصر فيه على هذا القدر وانا اذكر قصها على وجه اتم من هذا
ان شاء الله تعالى من تصانيف اهلها اذهم اعلم ببلادهم قالوا أول من سكنها قوم يعرفون بالاندلش
(بشين معجمة) فسمي البلد بهم ثم عرب بعد ذلك بسين مهملة والنصارى يسمون الاندلس
اشبانية باسم رجل صلب فيها يقال له اشبانس وقيل باسم ملك كان بها في الزمان الاول اسمه
اشبان بن طيطس وهذا هو اسمها عند بطليموس وقيل سميت باندلس بن يافث بن نوح وهو أول
من عمرها قيل اول من سكن الاندلس بعد الطوفان قوم يعرفون بالاندلس فعمروها وتداولوا
ملكها دهرا طويلا وكانوا مجوسا ثم حبس الله عنهم المطر وتوالى عليهم القحط فهلك اكثرهم
وفر منها من اطاق الفرار فخلت الاندلس مائة سنة ثم ابتعث الله لعمارتها الافارقة فدخل اليها
قوم منهم اجلاهم ملك افريقية تخففا منهم لقحط توالى على بلاده حتى كاد يفني اهله فحملهم
في السفن مع امير من عنده فارسوا بجزيرة قادس ورأوا الاندلس قد أخصبت بلادها وجرت
انهارها فسكنوها وعمروها ونصبوا لهم ملوكا يضبطون امرهم وهم على دين من قبلهم
وكانت دار مملكتهم طالقة الخراب من ارض اشبيلية بنوها وسكنوها واقاموا مدة تزيد على
مائة وخمسين سنة ملك منهم فيها احد عشر ملكا ثم ارسل الله عليهم عجم رومة وملكهم اشبان
ابن طيطس فغزاهم ومزقهم وقتل فيهم وحاصرهم بطالقة وقد تحصنوا فيها فابتنى عليهم اشبانية
وهي اشبيلية واتخذها دار مملكته وكثرت جموعه وعتا وتجبر وغزا بيت المقدس فغنم ما فيه وقتل
فيه مائة الف ونقل المرمر منه الى اشبيلية وغيرها وغنم ايضا مائدة سليمان بن داود عليه السلام
وهي التي غنمها طارق من طليطلة لما افتتحها وغنم ايضا قليلة الذهب والحجر الذي لقي بماردة وكان
هذا اشبان قد وقف عليه الخضر وهو يحرث الارض فقال له يا اشبان سوف تحظى وتملك وتعلو
فاذا ملكت ايلياء فارفق بذرية الانبياء فقال اتسخر مني كيف ينال مثلي الملك فقال قد جعله
فيك من جعل عصاك هذه كما ترى فنظر اليها فاذا هي قد اورقت فارتاع وذهب عنه الخضر وقد
وثق اشبان بقوله فداخل الناس فارتقى حتى ملك ملكا عظيما وكان ملكه عشرين سنة ودام
ملك الاشبانيين بعده الى ان ملك منهم خمسة وخمسون ملكا ثم دخل عليهم من عجم رومة امة
يدعون البشنوليات وملكهم طويش بن نيطة وذلك حين بعث الله المسيح فغلبوا عليها واستولوا
على ملكها وكانت مدينة ماردة دار مملكتهم وملك منهم سبعة وعشرون ملكا ثم دخلت عليهم
امة القوط مع ملك لهم فغلبوا على الاندلس فاقتطعوها من يومئذ عن صاحب رومة وكان ابتداء
ظهورهم من ناحية ايطالية شرق الاندلس فاغارت على بلاد مجدونية من تلك الناحية
وذلك في ايام قلوذيوس قيصر ثالث القياصرة فخرج اليهم وهزمهم وقتل فيهم ولم يظهروا بعدها
الى ايام قسطنطين الاكبر واعادوا الغارة فسير اليهم جيشا فلم يثبتوا له وانقطع خبرهم الى دولة
ثالث قيصر فانهم قدموا على انفسهم اميرا اسمه لذريق وكان يعبد الاوثان فسار الى رومة
ليحمل النصارى على السجود لاوثانه فظهر منه سوء سيرته فتخاذل اصحابه عنه ومالوا الى اخيه

وحاربوه

من أمره وساق الى مدائن
الغرب نهرا من النيل
وبنى على حافته منازل
وغرس اشجارا يتنزه عليها
وكان اذا خرج اليها سار في
عمارة متصلة وملكهم مائة
وثلاثين سنة ثم تولى مكانه
ابنه (شهلوق) وكان عالما
كاهنا منجما قد افاض العدل
والاحسان على رعيته
وقسم ماء النيل قسما موزونا
صرف الى كل ناحية قسطه
وعمل شهلوق المذكور
القبة المركبة على سبعة
اركان وجعل لها سبعة
ابواب وبنى على كل باب
صورة معمولة فاذا تقدم
الخصمان الى تلك الصورة
التصقت بالظالم وشدت
عليه شدا عنيفا وان دعا
المظلوم الظالم الى تلك
الصورة ولم يأتها أقعد
الظالم من رجليه وخرس
لسانه ولم يتحرك ولم يزل اهلها
على حتى ازالها الطوفان
فلما هلك تولى مكانه ابنه
(سوريد) وهو الذي بنى
الاهرامات واقتفى سيرة
ابيه في العمارة والعدل
والانصاف وبنى بالصعيد
ثلاث مدائن وعمل فيها
عجائب كثيرة وهو أول من
جبى الخراج بمصر وألزم
اهل الصناعات على اقدارهم
واول من امر بالانفاق

وحاربوه فاستعان بصاحب رومة فبعث اليه جيشا فهزم اخاه ودان بدين النصارى وكانت ولايته
ثلاث عشرة سنة ثم ولى بعده اقريط وبعده املريق وبعده وغديش وكانوا قد عادوا الى عبادة
الاوثان فجمع من اصحابه مائة الف وسار الى رومة فسير اليه ملك الروم جيشا فهزموه وقتلوه
ثم بعده الريق وكان زنديقا شجاعا فسارا ليأخذ بثار وغديش ومن قتل معه ونازل رومية
وحاصرها وضيق على اهلها ودخلها عنوة وغنم اموالهم ثم جمع اصطول البحر وسار الى
صقلية ليفتحها ويغنم ما فيها فغرق اكثر اصحابه فى البحر وهو فيمن غرق ثم ملك بعده اطلوف
ست سنين وخرج عن بلاد ايطالية واقام ببلاد غاليس مجاور اقصى الاندلس ثم انتقل منها الى
برشلونة ثم بعده اخوه ثلاث سنين ثم بعده واليا ثم بو ردزاريش ثلاثا وثلاثين سنة ثم ابنه طرشمند
ثم بعده اخوه لذريق ثلاث عشرة سنة ثم بعده اوريق سبع عشرة سنة ثم بعده الريق بطلوشة
ثلاثا وعشرين سنة ثم عشليق ثم امليق سنتين ثم توذيوش سبع عشرة سنة وخمسة اشهر ثم بعده
طودتقليس سنة وثلاثة اشهر ثم بعده أثله خمس سنين ثم بعده اطنجه خمس عشرة سنة ثم بعده
ليوبا ثلاث سنين ثم بعده أخوه لويلد وهو أول من أتخذ طليطلة دار ملك ونزلها ليكون متوسطا
الملكه ليحارب من خرج عن طاعته عن قريب فلم يزل يحارب من خرج عن طاعته حتى احتوى
على جميع الاندلس وبنى مدينة رقويل وأتقنها وأكثر بساتينها وهو على القرب من طليطلة
وسماها باسم ولده وغزا بلاد البشقنس حتى اذلهم وخطب الى ملك الفرنج ابنته لولده ارمنجلد
فزوجه واسكنه اشبيلية فحسنت له عصيان والده ففعل فسار اليه أبوه وحصرهما وضيق
عليه وطال مقامه الى ان أخذه عنوة وسجنه الى ان مات ثم ملك بعد لويلد ابنه ركردو كان حسن
السيرة فجمع الاساقفة وغير سيرة أبيه وسلم البلاد اليهم وكانوا نحو ثمانين اسقفا وكان تقيا
عفيفا قد لبس ثياب الرهبان وهو الذى بنى الكنيسة المعروفة بالوزقة بازاء مدينة وادى اش
ثم بعده ابنه ليوبا فسار كسيرة أبيه فاغتاله رجل من القوط يقال له بتريق فقتله وملك بعده
بتريق هذا بغير رضا أهل الاندلس وكان مجرما طاغيا فاسقا فثار عليه رجل من خاصته فقتله
ثم ملك من بعده غندمار سنتين ثم ملك بعده سيسفوط وكانت ولايته تسع سنين وكان حسن
السيرة ثم بعده ابنه ركريد وكان صغيرا عمره ثلاثة اشهر ومات ثم ملك شنتله وكان ملكه عند
البعث وكان مشكورا ثم بعده سشنند خمس سنين ثم بعده خنتلة ستة أعوام ثم بعده خندس
أربعة اعوام ثم بعده بنبان ثمانية اعوام ثم بعده أروى سبع سنين وكان فى دولته قحط شديد
حتى كادت بلاد الاندلس تخرب لشدة الجوع ثم بعده ابنه خمس عشرة سنة وكان جائرا مذموما
ثم ملك بعده ابنه غيطشه وكانت ولايته سنة سبع وسبعين للهجرة وكان حسن السيرة لين
العريكة وأطلق كل محبوس كان فى سجن أبيه وادى الاموال الى أربابها ثم توفى وخلف ولدين
فلم يرض بهما أهل الاندلس وتراضوا برجل يقال له رذريق وكان شجاعا وليس من بيت الملك
وكانت عادة ملوك الاندلس أنهم يبعثون أولادهم الذكور والاناث الى مدينة طليطلة يكونون
فى خدمة الملك لا يخدمه غيرهم يتأدبون بذلك فاذا بلغوا الحكم انكح بعضهم بعضا وتولى
تجهيزهم فلما ولى رذريق أرسل اليه يوليان وهو صاحب الجزيرة الخضراء وسبتة وغيرهما ابنة
له فاستحسنها رذريق وافتضها فكتبت الى أبيها فاغضبه ذلك فكتب الى موسى بن نصير عامل

على الزمنى والمرضى من خزائنه وعمل مرآة من اخلاط كان يرى فيها جميع الاقاليم وما اخصب وما اجدب منها وما حدث فيها وركبها على منارة من نحاس وسط امسوس وعمل فى المدينة صورة امرأة جالسة فى حجرها صبى كانها ترضعه وايما امرأة اصابتها علة فى عضو فمسحت ذلك العضو بعضو منها مقابلها برئت وايما صبى اصيب عضوه يمسح ذلك العضو بعضو ذلك الصبى برئ ومن اعماله بناء الهرمين الكبيرين وسبب بنائهما انه رأى رؤيا كان الارض انقلبت باهلها وكان الناس يهوون على رؤسهم وكان الكواكب تتساقط عليهم ويصدم بعضها بعضا باصوات مختلفة هائلة فغمه ذلك ثم رأى بعد ذلك كان الكواكب الثابتة فى صفة طيور بيض وكانها تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين وكان الجبلين انطبقا عليهم وكان النيرة مظلمة فانتبه مذعورا وعلم انه سيحدث فى العالم أمر عظيم فجمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر وكانوا مائة وثلاثين كاهنا وكبيرهم

الوليد بن عبد الملك على افريقية بالطاعة واستدعاه اليه فسار اليه فادخله يوليان مدائنه
واخذ عليه العهود له ولاصحابه بما يرضى به ثم وصف له الاندلس ودعاه اليها وذلك آخر سنة
تسعين فكتب موسى الى الوليد بما فتح الله عليه ومادعاه اليه يوليان فكتب اليه الوليد خضها
بالسرايا ولا تغرر بالمسلمين فى بحر شديد الاهوال فكتب اليه موسى انه ليس ببحر متسع وانما هو
خليج يبين ما وراءه فكتب اليه الوليد أن اختبرها بالسرايا وان كان الامر على ما حكيت فبعث
رجلا من مواليه يقال له طريف فى اربعمائة رجل ومعهم مائة فرس فسار فى أربع سفائن
فخرج فى جزيرة بالاندلس فسميت جزيرة طريف لنزوله فيها ثم اغار على الجزيرة الخضراء فاصاب
غنيمة كثيرة ورجع سالما فى رمضان سنة احدى وتسعين فلما رأى الناس ذلك تسرعوا الى
الغزو ثم ان موسى دعا مولى له كان على مقدمات جيوشه يقال له طارق بن زياد فبعثه
فى سبعة آلاف من المسلمين أكثرهم البربر والموالى وأقلهم العرب فساروا فى البحر وقصد الى
جبل منيف وهو متصل بالبر فنزله فسمى الجبل جبل طارق الى اليوم ولما ملك عبد المؤمن البلاد
أمر ببناء مدينة على هذا الجبل وسماه جبل الفتح فلم يثبت له هذا الاسم وجرت الالسنة على
الاول وكان حلول طارق فيه فى رجب سنة اثنتين وتسعين من الهجرة ولما ركب طارق البحر
غلبته عينه فرأى النبى ومعه المهاجرين والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسى فقال له
النبى صلى الله عليه وسلم يا طارق تقدم لشأنك وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد فنظر طارق
فرأى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد دخلوا الاندلس امامه فاستيقظ من نومه مستبشرا
وبشر أصحابه وقويت نفسه ولم يشك فى الظفر فلما تكامل أصحاب طارق بالجبل نزل الى الصحراء
وفتح الجزيرة الخضراء فاصاب بها عجوزا فقالت له انى كان لى زوج وكان عالما بالحوادث وكان
يحدثهم عن أمير يدخل بلدهم فيغلب عليه ووصف من نعته انه ضخم الهامة وان فى كتفه
الايسر شامة عليها شعر فكشف طارق ثوبه فاذا الشامة كما ذكرت فاستبشر طارق أيضا هو ومن
معه ونزل من الجبل الى الصحراء وافتتح الجزيرة الخضراء وغيرها وفارق الحصن الذى فى الجبل
ولما بلغ رذريق غزو طارق بلاده عظم ذلك عليه وكان غائبا فى غزاته فرجع منها وطارق قد دخل
بلاده فجمع له جمعا يقال بلغ مائة ألف فلما بلغ طارقا الخبر كتب الى موسى يستمده ويخبره بما فتح
وانه زحف اليه ملك الاندلس بما لا طاقة له به فبعث اليه بخمسة آلاف فتكامل المسلمون
اثنى عشر ألفا ومعهم يوليان يدلهم على عورة البلاد ويتجسس لهم الاخبار فاتاهم رذريق فى
جنده فالتقوا على نهر لكة من أعمال شذونة لليلتين بقيتا من رمضان سنة اثنتين وتسعين
واتصلت الحرب ثمانية أيام وكان على ميمنته وميسرته ولدا الملك الذى كان قبله وغيرهما من
ابناء الملوك واتفقوا على الهزيمة بغضا لرذريق وقالوا ان المسلمين اذا امتلأت أيديهم من الغنيمة
عادوا الى بلادهم وبقى الملك لنا فانهزموا وهزم الله رذريق ومن معه وغرق رذريق فى النهر
وسار طارق الى مدينة استجة متبعا لهم فلقيه أهلها ومعهم من المنهزمين خلق كثير فقاتلوه قتالا
شديدا ثم انهزم أهل الاندلس ولم يلق المسلمون بعدها حربا مثلها ونزل طارق على عين بينها وبين
مدينة استجة أربعة أميال فسميت عين طارق الى الآن ولما سمعت القوط بهاتين الهزيمتين
قذف الله فى قلوبهم الرعب وكانوا يظنون انه يفعل فعل طريف فهربوا الى طليطلة وكان

يقال له اقليمون فقص عليهم
ذلك وكان اقليمون رأى
رؤيا مثل ذلك فاخذوا
ارتفاع الكواكب
فاخبروا بامر الطوفان
قال سوريد ويلحق بلادنا
قالوا نعم وتخرب وتبقى سنين
خرابا فامر بعمل الاهرام
لتكون قبورا لهم وله ولاهل
بيته تحفظ اجسادهم
وكتبهم وكنوزهم وأمر بان
يعمل لها مشارف يدخل
منها النيل الى مكان
ويخرج الى المواضع من
أرض الغرب والصعيد
وملأها طلسمات وعجائب
وخزائن وغير ذلك وزبر فى
سقوفها واسطواناتها
ماقالته الحكماء من العلوم
الغامضة واسرار العقاقير
ومنافعها ومضارها وعمل
الطلسمات والحساب
والهندسة والطب وغير
ذلك كل ذلك معلوم لمن
يعرف كتابتهم ولغاتهم وليس
على وجه الارض بناء أرفع
وأعظم منها وكان ابتداء
بنائهما فى طالع سعيد قرر
عليهما وبناء هذين الهرمين
والنسر الواقع فى السرطان
فلما فرغ من بنائهما كساهما
ديباجا ملونا وعمل لهما عيدا
حضر اليه أهل مملكته
وكتب عليهما انى بنيتهما
فى ستين سنة فمن ادعى قوة

طريف قد أوهمهم انه يأكلهم هو ومن معه فلما دخلوا طليطلة وأخلوا مدائن الاندلس قال له يوليان قد فرغت من الاندلس ففرق جيوشك وسر أنت الى طليطلة ففرق جيوشه من مدينة استجة وبعث جيشا الى قرطبة وجيشا الى غرناطة وجيشا الى مالقة وجيشا الى تدمير وسار هو ومعظم الجيش الى جيان يريد طليطلة فلما بلغ طليطلة وجدها خالية وقد لحق من كان بها بمدينة خلف الجبل يقال لها مايه فاما الجيش الذى سار الى قرطبة فانهم دلهم راع على ثغرة فى سورها فدخلوا منها البلد وملكوه وأما الذين قصدوا تدمير فلقيهم صاحبها واسمه تدمير وبه سميت وكان اسمها اريولة وكان معه جيش كثيف فقاتلهم قتالا شديدا ثم انهزم فقتل من أصحابه خلق كثير فأمر تدمير النساء فلبسن السلاح ثم صالح المسلمين عليها وفتح سائر الجيوش ما قصدوا اليه من البلاد وأما طارق فلما راى طليطلة فارغة ضم اليها اليهود وترك معهم رجالا من أصحابه وسار هو الى وادى الحجارة فقطع الجبل من فج فيه فسمى بفج طارق الى اليوم وانتهى الى مدينة خلف الجبل تسمى مدينة المائدة وفيها وجد مائدة سليمان بن داود عليه السلام وهى من زبرجد أخضر حافاتها وأرجلها منها مكللة باللؤلؤ والمرجان والياقوت وغير ذلك وكان لها ثلثمائة وستون رجلا ثم مضى الى مدينة مايه فغنم منها ورجع الى طليطلة فى سنة ثلاث وتسعين وقيل اقتحم ارض جليقية فخرقها حتى انتهى الى مدينة استرقة وانصرف الى طليطلة ووافته جيوشه التى وجهها من استجة بعد فراغهم من فتح تلك المدن التى سيرهم اليها ودخل موسى بن نصير الاندلس فى رمضان سنة ثلاث وتسعين فى جمع كثير وكان قد بلغه ما صنع طارق فحسده فلما عبر الى الاندلس ونزل الجزيرة الخضراء قيل له تسلك طريق طارق فأبى فقال له الادلاء نحن ندلك على طريق اشرف من طريقه ومدائن لم تفتح بعد ووعده يوليان بفتح عظيم فسر بذلك وكان قد غمه فساروا به الى مدينة ابن السليم فافتتحها عنوة ثم سار الى مدينة قرمونة وهى أحصن مدن الاندلس فقدم اليها يوليان وخاصته فاتوهم على حال المنهزمين معهم السلاح فادخلوهم مدينتهم فارسل موسى اليهم الخيل ففتحوها لهم ليلا فدخلها المسلمون وملكوها ثم سار موسى الى اشبيلية وهى من أعظم مدائن الاندلس بنيانا واعزها آثارا فحصرها أشهرا وفتحها وهرب من بها فانزلها موسى اليهود وسار الى مدينة ماردة فحصرها وقد كان أهلها خرجوا اليه فقاتلوه قتالا شديدا فكمن لهم موسى ليلا فى مقاطع الصخر فلم يرهم الكفار فلما اصبحوا زحف اليهم فخرجوا الى المسلمين على عادتهم فخرجوا عليهم من الكمين واحدقوا بهم وحالوا بينهم وبين البلد وقتلوهم قتلا ذريعا ونجا من نجا منهم فدخل المدينة وكانت حصينة فحصرهم بها أشهرا وقاتلهم وزحف اليهم بدبابة عملها ونقبوا سورها فخرج أهلها على المسلمين فقتلوهم عند البرج فسمى برج الشهداء الى اليوم ثم افتتحها آخر رمضان سنة أربع وتسعين يوم الفطر صلحا على ان جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين الى جليقية واموال الكنائس وحليها للمسلمين ثم ان أهل اشبيلية اجتمعوا وقصدوها فقتلوا من بها من المسلمين فسير موسى اليها ابنه عبد العزيز بجيش فحصرها وملكها عنوة وقتل من بها من أهلها وسار عنها الى لبلة وباجة فملكهما وعاد الى اشبيلية وسار أبو موسى من مدينة ماردة فى شوال يريد طليطلة فخرج طارق اليه فلقيه فلما ابصره نزل اليه فضربه موسى بالسوط على رأسه ووبخه على ما كان من خلافه ثم سار به الى

فليهدمهما فى ستمائة سنة فان الهدم اهون من البناء وانى كسوتهما حريرا فليكسهما من بعدى حصيرا وعددها ثمانية عشر هرما ثلاثة منها بالجيزة مقابل الفسطاط وعند مدينة فرعون يوسف عليه السلام هرم دوره ثلاثة آلاف ذراع وعلوه أربعمائة ذراع وعند مدينة فرعون موسى اهرام اخر وآخرها يعرف بهرم ميدوم كأنه جبل فالهرم الشرقى فيه سوريد الملك وفى الهرم الغربى اخوه هرجيب وفى الهرم الملون افريبون بن هرجيب والصابئة تزعم ان أحدها قبر شيث عليه السلام والآخر قبر هرمس والملون قبر صابى بن هرمس اليه تنسب الصابئة وجعل لكل هرم منها خازنا من الروحانيين فالموكل بالهرم البحرى فى صفة امرأة عريانة مكشوفة الفرج ولها ذوائب الى الارض وقد رآها جماعة تدور حول الهرم وقت القائلة والموكل بالهرم الذى الى جانبه فى صورة غلام أمرد عريان وقد رؤى بعد المغرب يدور حول الهرم والموكل بالثالث فى صفة شيخ فى يده مجمرة وعليه ثياب الرهبان

مدينة طليطلة فطلب منه ما غنم والمائدة ايضا فأتاه بها وقد انتزع رجلا من ارجلها فسأله عنها فقال لاعلم لى كذلك وجدتها فعمل عوضها من ذهب وسار موسى الى سرقسطة ومدائنها فافتتحها واوغل فى بلاد الفرنج فانتهى الى مفازة كبيرة وارض سهلة ذات آثار فاصاب فيها صنما قائما فيه مكتوب بالنقر يابنى اسمعيل الى ههنا منتهاكم فارجعوا وان سألتم الى ماذا ترجعون اخبرتكم انكم ترجعون الى الاختلاف فيما بينكم حتى يضرب بعضكم اعناق بعض وقد فعلتم فرجع ووافاه رسول الوليد فى اثناء ذلك يأمره بالخروج عن الاندلس والقفول اليه فساءه ذلك ومطل الرسول وهو يقصد بلاد العدو فى غير ناحية الصنم يقتل ويسبى ويهدم الكنائس ويكسر النواقيس حتى بلغ صخرة بلاى على البحر الاخضر وهو فى قوة وظهور فقدم عليه رسول آخر للوليد يستحثه واخذ بعنان بغلته واخرجه وكان موافاة الرسول بمدينة لك بجليقية وخرج على الفج المعروف بفج موسى ووافاه طارق من الثغر الاعلى فاقفله معه ومضيا جميعا واستخلف موسى على الاندلس ابنه عبد العزيز بن موسى فلما عبر البحر الى سبتة استخلف عليها وعلى طنجة وما والاهما ابنه عبد الملك واستخلف على افريقية واعمالها ابنه الكبير عبد الله وسار الى الشام وحمل الاموال التى غنمت من الاندلس والذخائر والمائدة ومعه ثلاثون ألف بكر من بنات ملوك القوط واعيانهم ومن نفيس الجوهر والامتعة مالا يحصى فورد الشام وقد مات الوليد بن عبد الملك واستخلف سليمان بن عبد الملك وكان منحرفا عن موسى بن نصير فعزله عن جميع اعماله وأقصاه وحبسه واغرمه حتى احتاج ان يسأل العرب فى معونته وقيل انه قدم الشام والوليد حى وكان قد كتب اليه وادعى انه هو الذى فتح الاندلس وأخبره خبر المائدة فلما حضر عنده عرض عليه ما معه وعرض المائدة ومعه طارق فقال طارق انا غنمتها فكذبه موسى فقال طارق للوليد سله عن رجلها المعدومة فسأله عنها فلم يكن عنده منها علم فاظهرها طارق وذكر انه اخفاها لهذا السبب فعلم الوليد صدق طارق وانما فعل هذا لانه كان حبسه وضربه حتى أرسل الوليد فاخرجه وقيل لم يحبسه قالوا ولما دخلت الروم بلاد الاندلس كان فى مملكتهم بيت اذا ولى ملك منهم أقفل عليه قفلا فلما ملكت القوط فعلوا كفعلهم فلما ملك رذريق اراد فتح الاقفال فنهاه أكابر أهل البلاد عن ذلك فلم يقبل منهم وفتح الاقفال فرأى فى البيت صور العرب وعليهم العمائم الحمر على خيول شهب وفيه كتاب اذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء القوم هذا البلد ففتحت الاندلس تلك السنة فهذا القدر كاف فى فتح الاندلس ونذكر باقى اخبار الاندلس عند اوقات حدوثها على ما شرطنا ان شاء الله تعالى

(ذكر غزوة جزيرة سردانية)

هذه الجزيرة فى بحر الروم وهى من أكبر الجزائر ماعدا جزيرة صقلية واقريطش وهى كثيرة الفواكه ولما افتتح موسى بلاد الاندلس سير طائفة من عسكره فى البحر الى هذه الجزيرة سنة اثنتين وتسعين فدخلوها وعمد النصارى الى مالهم من آنية ذهب وفضة فالقوا الجميع فى الميناء الذى لهم وجعلوا أموالهم فى سقف بنوه للبيعة العظمى التى لهم تحت السقف الاول وغنم المسلمون فيها مالا يحد ولا يوصف وأكثروا الغلول فاتفق ان رجلا من المسلمين اغتسل فى الميناء فعلقت رجله فى شئ فاخرجه فاذا صحفة من فضة وأخذ المسلمون جميع ما فيه ثم دخل رجل من المسلمين

الى

وقد رؤى يدور ويبخر ليلا وكل بسائرها امثال ذلك من الروحانية وقيل ان ادريس عليه السلام حين استدل من أحوال الكواكب على وقوع الطوفان امر ببناء الاهرام وأودعها الاموال وصحائف العلوم وما يخاف عليه من الذهاب والدثور وقيل بناها شداد ابن عاد وكانوا يعتقدون بالرجوع فكان أحدهم اذا مات دفن معه ماله وان كان صانعا دفن معه آلات صنعته وأحوال هذه الاهرامات عجيبة وحكاياتها غريبة وكل شئ يخشى عليه من الدهر الا الهرمين فانه يخشى على الدهر منهما وفى ذلك يقول الشاعر

حسرت عقول أولى النهى الاهرام
واستصغرت لعظيمها الاجرام
ملس موثقة البناء شواهق
قصرت لعال دونهن سهام
لم ادر حين كبا التفكر دونها
واستوهمت لعجيبها الاوهام
اقبور املاك الاعاجم هن ام
طلسم رمل كن أم اعلام

(قال المتنبى)

اين الذى الهرمان من بنيانه
من قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن سكانها
حينا ويدركها الفناء فتتبع

الى تلك الكنيسة فنظر الى حمام فرماه بسهم فاخطأه ووقع فى السقف وانكسر لوح فنزل منه شئ من الدنانير واخذوا الجميع وازداد المسلمون غلولا فكان بعضهم يذبح الهرة ويرمى ما فى جوفها فيملؤه دنانير ويخيط عليها ويلقيها فى الطريق فاذا خرج اخذها وكان يضع قائم سيفه على الجفن ويملؤه ذهبا فلما ركبوا فى البحر سمعوا هاتفا يقول اللهم غرقهم فغرقوا عن آخرهم فوجدوا اكثر الغرقى والدنانير على أوساطهم وفى سنة خمس وثلاثين ومائة غزاها عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة الفهرى فقتل من بها قتلا ذريعا ثم صالحوه على الجزية فأخذت منهم وبقيت ولم يغزها بعده أحد فعمرها الروم فلما كانت سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة اخرج اليها المنصور بن القائم العلوى صاحب افريقية اسطولا من المهدية فروا بجنوة فقصدوا المدينة وأوقعوا باهل سردانية وسبوا فيها وأحرقوا مراكب كثيرة وأخربوا جنوة وغنموا اموالها وفى سنة ست وأربعمائة غزاها مجاهد العامرى من دانية وكان صاحبها فى البحر فى مائة وعشرين مركبا ففتحها وقتل فأكثر وسبى النساء والذرية فسمع بذلك ملوك الروم فجمعوا اليه وساروا اليه من البر الكبير فى جمع عظيم فاقتتلوا وانهزم المسلمون واخرجوا من جزيرة سردانية وأخذت بعض مراكبهم وأسر أخو مجاهد وابنه على بن مجاهد ورجع بمن بقى الى دانية ولم تغز بعد ذلك وانما ذكرنا جميع اخبارها ههنا لقلتها واذا تفرقت لم تعرف كما يجب

*(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ففتح حصونا ثلاثة وجلا أهل سوسنة الى بلاد الروم وفى هذه السنة غزا قتيبة سجستان فى قول بعضهم وأراد قصد رتبيل الاعظم فلما نزل قتيبة سجستان أرسل رتبيل اليه رسلا بالصلح فقبل ذلك وانصرف واستعمل عليهم عبد ربه بن عبد الله الليثى وحج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم وفيها مات مالك بن أوس بن الحدثان البصرى من ولد نصر بن معاوية بالمدينة وله أربع وتسعون سنة

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين)

(ذكر صلح خوارزمشاه وفتح خام جرد)

وفى هذه السنة صالح قتيبة خوارزمشاه وكان سبب ذلك ان ملك خوارزم كان ضعيفا فغلبه أخوه خرزاد على أمره وكان أصغر منه وكان اذا بلغه ان عند أحد ممن هو منقطع الى الملك جارية أو مالا أو دابة أو بنتا او اختا أو امرأة جميلة أرسل اليه وأخذه منه وكان لا يمتنع عليه أحد ولا الملك فاذا قيل للملك قال لا أقوى به وهو مغتاظ عليه فلما طال ذلك عليه كتب الى قتيبة يدعوه الى أرضه ليسلمها اليه واشترط عليه ان يدفع اليه أخاه وكل من يضاده ليحكم فيهم بما يرى ولم يطلع أحد من مرازبته على ذلك فأجابه قتيبة الى ماطلب وتجهز للغزو واظهر قتيبة انه يريد الصغد وسار من مرو وجمع خوارزمشاه اجناده ودهاقنته وقال ان قتيبة يريد الصغد وليس بغازيكم فهلموا نتنعم فى ربيعنا هذا فاقبلوا على الشرب والتنعم فلم يشعروا حتى نزل قتيبة فى هزارسب فقال خوارزمشاه لاصحابه ماترون قالوا نرى ان نقاتله قال لكنى لا أرى ذلك لانه قد عجز عنه من هو أقوى منا واشد شوكة ولكن اصرفه بشئ أؤديه اليه فاجابوه الى ذلك فسار

ثم ان سوريد لما ملك مائة وسبعا وستين سنة وكان منجموه عرّفوه الوقت الذى يموت فيه واليوم والساعة أوصى بالملك لولده وعرفه جميع ما يحتاج اليه وأمره بان يدخل جسده الى الهرم الذى أعده لنفسه فامتثل ولده جميع ما أمره به فلما مات تولى الملك بعده (هرجيب) وسار سيرة أبيه بالعدل والعمارة والرأفة بالناس فاحبوه وأطاعوه فبنى هرما ونقل اليه كثيرا من المال والجواهر وكانت له بنت

خوارزمشاه فنزل بمدينة الفيل من وراء النهر وهي أحصن بلاده وقتيبة لم يعبر النهر فارسل اليه خوارزمشاه فصالحه على عشرة آلاف رأس وعين ومتاع وعلى ان يعينه على خام جرد فقبل قتيبة ذلك وقيل صالحه على مائة ألف رأس ثم بعث قتيبة أخاه عبد الرحمن الى خام جرد وكان يغازي خوارزمشاه فقاتله فقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه وقدم منهم باربعة آلاف أسير فقتلهم قتيبة وسلم قتيبة الى خوارزمشاه أخاه ومن كان يخالفه فقتلهم ودفع أموالهم الى قتيبة

(ذكر فتح سمرقند)

فلما قبض قتيبة صلح خوارزمشاه قام اليه المجشر بن مزاحم السلمي فقال له سرا ان أردت الصغد يوما من الدهر فالآن فانهم آمنون من أن يأتيهم عامل هذا وانما بينك وبينهم عشرة أيام فقال أشار عليك بهذا أحد قال لا قال فسمعه منك أحد قال لا قال والله ائن تكلم به أحد لاضربن عنقك فلما كان الغد أمر أخاه عبد الرحمن فسار في الفرسان والرماة وقدم الاثقال الى مرو فسار يومه فلما امسى كتب اليه قتيبة اذا اصبحت فوجه الاثقال الى مرو وسر بالفرسان والرماة نحو الصغد واكتم الاخبار فاني في الاثر ففعل عبد الرحمن ما أمره وخطب قتيبة الناس وقال لهم ان الصغد شاغرة برجلها وقد نقضوا العهد الذي بيننا وصنعوا ما بلغكم واني ارجوان يكون خوارزم والصغد كقريظة والنضير ثم سار فاتى الصغد فبلغها بعد عبد الرحمن بثلاث أو أربع وقدم معه أهل خوارزم وبخارا فقاتلوه شهرا من وجه واحد وهم محصورون وخاف أهل الصغد طول الحصار فكتبوا الى ملك الشاش وخاقان واخشاد فرغانة ان العرب ظفروا بنا أتوكم بمثل ما أتونا به فانظروا لانفسكم ومهما كان عندكم من قوة فابذلوها فنظروا وقالوا انما نؤتى من سفلتنا فانهم لا يجدون كوجدنا فانتخبوا من أولاد الملوك وأهل النجدة من ابناء المرازبة والاساورة والابطال وأمروهم ان يأتوا عسكر قتيبة فيبيتوه فانه مشغول عنه بحصار سمرقند وولوا عليهم ابنا لخاقان فساروا وبلغ قتيبة الخبر فانتخب من عسكره أربعمائة وقيل ستمائة من أهل النجدة والشجاعة واعلمهم الخبر وأمرهم بالمسير الى عدوهم فساروا وعليهم صالح بن مسلم فنزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم فجعل صالح له كمينين فلما مضى نصف الليل جاءهم عدوهم فلما رأوا صالحا حملوا عليه فلما اقتتلوا شد الكمينان عن يمين وشمال فلم ير قوم كانوا أشد من أولئك قال بعضهم انا لنقاتلهم اذ رأيت تحت الليل قتيبة وقد جاء سرا فضربت ضربة اعجبتني فقلت كيف ترى بامي وأبي قال اسكت فض الله فاك قال فقتلناهم فلم يفلت منهم الا الشريد وحوينا اسلابهم وسلاحهم واحتززنا رؤسهم وأسرنا منهم اسرى فسألناهم عمن قتلنا فقالوا ما قتلتم الا ابن ملك أو عظيما أو بطلا كان الرجل يعد مائة رجل وكتبنا اسماءهم على آذانهم ثم دخلنا العسكر حين أصبحنا فلم يأت أحد بمثل ما جئنا به من القتلى والاسرى والخيل ومناطق الذهب والسلاح قال واكرمني قتيبة وأكرم معي جماعة وظننت انه رأى منهم مثل الذي رأى مني ولما رأى الصغد ذلك انكسروا ونصب قتيبة عليهم المجانيق فرماهم وثلم ثلمة فقام عليها رجل فشتم قتيبة فرماه بعض الرماة فقتله فاعطاه قتيبة عشرة آلاف وسمع بعض المسلمين قتيبة وهو يقول كانما يناجي نفسه حتى متى يا سمرقند يعشش فيك الشيطان اما والله لان أصبحت لاحاولن من أهلك اقصى غاية فانصرف ذلك الرجل فقال لاصحابه كم من نفس تموت

افسدت مع بعض خدامه فنفاها الى ناحية المغرب وأمر بان يبنى لها مدينة هنالك واسكن معها كل امرأة مسنة من أهل بيته ثم مات وكانت مدة ملكه نيفا وسبعين سنة وملك بعده ابنه (مناوس) كان جبارا أثيما شيطانا رجيما آذى الناس وسفك الدماء واغتصب النساء وكان يفتض ختامهن قبل أزواجهن واستخرج كنوز آبائه وبنى قصورا من ذهب وفضة وبحجر فيها الانهار وجعل حصباءها

غدا واخبر الخبر فلما أصبح قتيبة أمر الناس بالجد فى القتال فقاتلوهم واشتد القتال وأمرهم قتيبة ان يبلغوا ثلمة المدينة فجعلوا الترسة على وجوههم وحملوا فبلغوها ووقفوا عليها ورماهم الصغد بالنشاب فلم يبرحوا فارسل الصغد الى قتيبة فقالوا له انصرف عنا اليوم حتى نصالحك غدا فقال قتيبة لا نصالحهم الا ورجالنا على الثلمة وقيل بل قال قتيبة جزع العبيد انصرفوا على ظفركم فانصرفوا فصالحهم من الغد على الفى الف ومائتى ألف مثقال فى كل عام وان يعطوه ثلاث السنة ثلاثين ألف فارس وان يخلوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم فيها مقاتل فيبنى فيها مسجدا ويدخل ويصلى ويخطب ويتغدى ويخرج فلما تم الصلح واخلوا المدينة وبنوا المسجد دخلها قتيبة فى أربعة آلاف انتخبهم فدخل المسجد فصلى فيه وخطب وأكل طعاما ثم أرسل الى الصغد من أراد منكم ان يأخذ متاعه فليأخذ فانى لست خارجا منها ولست آخذ منكم الا ما صالحتكم عليه غير ان الجند يقيمون فيها وقيل انه شرط عليهم فى الصلح مائة ألف فارس وبيوت النيران وحلية الاصنام فقبض ذلك وأتى بالاصنام فكانت كالقصر العظيم وأخذ ما عليها وأمر بها فأحرقت فجاءه غوزك فقال ان شكرك على واجب لا تتعرض لهذه الاصنام فان منها أصناما من احرقها هلك فقال قتيبة انا أحرقها بيدى فدعا بالنار فكبر ثم اشعلها فاحترقت فوجدوا من بقايا مسامير الذهب خمسين ألف مثقال وأصاب بالصغد جارية من ولد يزدجرد فارسلها الى الحجاج فارسلها الحجاج الى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد وأمر غوزك بالانتقال عنها فانتقل وقيل ان أهل سمرقند خرجوا على المسلمين وهم يقاتلونهم يوم فتحها وقد أمر قتيبة يومئذ بسرير فأبرز وقعد عليه فطاعنوهم حتى جاز واقتيبة وانه لمحتب بسيفه ما حل حبوته وانطوت مجنبتا المسلمين على الذين هزموا القلب فهزموهم حتى ردوهم الى عسكرهم وقتل من المشركين عدد كثير ودخلوا المدينة فصالحوهم وصنع غوزك طعاما ودعا قتيبة فأتاه فى عدة من أصحابه فلما تغدى استوهب منه سمرقند وقال للملك انتقل عنها فلم يجد بدا من طاعته وتلا قتيبة قوله تعالى وأنه أهلك عادا الاولى وثمود فما أبقى وحكى عن الذى أرسله قتيبة الى الحجاج بفتح سمرقند قال فارسلنى الحجاج الى الوليد فقدمت دمشق قبل طلوع الفجر فدخلت المسجد فاذا الى جنبى رجل ضرير فسألنى من أين أنت فقلت من خراسان وأخبرته خبر سمرقند فقال والذى بعث محمدا بالحق ما افتتحتموها الا غدرا وانكم يا أهل خراسان الذين تسلبون بنى أمية ملكهم ثم تنقضون دمشق حجرا حجرا فلما فتح قتيبة سمرقند قيل ان هذا الاعدى العيرين لانه فتح سمرقند وخوارزم فى عام واحد وذلك ان الفارس اذا صرع فى طلق واحد عيرين قيل عادى عيرين فلما قصها قتيبة دعا نهار بن توسعة فقال يا نهار أين قولك

الا ذهب الغزو المقرب للغنى * ومات الندى والجود بعد المهلب

أقاما بمرو الروذ رهن ضريحه * فقد غيبا عن كل شرق ومغرب

افغزو هذا قال لا هذا أحسن وانا الذى أقول

وما كان مذ كنا ولا كان قبله * ولا هو فيما بعدنا كابن مسلم

اعم لاهل الشرك قتلا بسيفه * وأكثر فينا مقسما بعد مقسم

قال وقال الشعراء فى ذلك فقال الكميت من قصيدة

من صنوف الجواهر واستغرق فى اللذات والشهوات وغفل عما يتعلق بالعمارات ومصالح العباد فابغضه الناس وكل من امتنع من أمره احرقه بالنار وأقام ملكا ثلاثا وسبعين سنة ومات فوضع فى الهرم مع اجداده وجعل معه كنوزه ثم ملك بعده ابنه (أفروش) وكان كاهنا ماهرا خالف اباه فى افعاله وعدل فى الناس وعمل فوارة قطرها مائة ذراع وطولها خمسون ذراعا وركب فى جوانبها

كانت سمرقند احقابا يمانية * فاليوم تنسبها قيسية مضر

وقال كعب الاشقرى وقيل رجل من جعفى

كل يوم يحوى قتيبة نهبا * ويزيد الاموال مالا جديدا
باهلى قد ألبس التاج حتى * شاب منه مفارق كن سودا
دوخ الصغد بالكتائب حتى * ترك الصغد بالعراء قعودا
فوليد يبكى لفقد أبيه * وأب موجع يبكى الوليدا

ثم رجع قتيبة الى مرو وكان أهل خراسان يقولون ان قتيبة غدر بأهل سمرقند فملكها غدرا وكان عامله على خوارزم اياس بن عبد الله على حربها وكان ضعيفا وكان على خراجها عبيد الله ابن أبى عبيد الله مولى مسلم فاستضعف أهل خوارزم اياسا فجمعوا له فكتب عبيد الله الى قتيبة فبعث قتيبة أخاه عبد الله عاملا وأمره ان يضرب اياسا وحيان النبطى مائة مائة ويحلقهما فلما قرب عبد الله من خوارزم أرسل الى اياس فانذره فتنحى وقدم عبد الله وأخذ حيان فضربه وحلقه ثم وجه قتيبة الجنود الى خوارزم مع المغيرة بن عبد الله فبلغهم ذلك فلما قدم المغيرة اعتزل ابناء الذين قتلهم خوارزمشاه وقالوا لا يغنيك فهرب الى بلاد الترك وقدم المغيرة فقتل وسبى فصالحه الباقون على الجزية وقدم على قتيبة فاستعمله على نيسابور

(ذكر فتح طليطلة من الاندلس)

قال أبو جعفر وفى هذه السنة غضب موسى بن نصير على مولاه طارق فسار اليه فى رجب منها واستخلف على افريقية ابنه عبد الله بن موسى وعبر موسى الى طارق فى عشرة آلاف فتلقاه وترضاه فرضى عنه وقبل عذره وسيره الى طليطلة وهى من عظام بلاد الاندلس وهى من قرطبة على عشرين يوما ففتحها وأصاب فيها مائدة سليمان بن داود عليه السلام وما فيها من الذهب والجوهر والله أعلم به قلت لم يزد على هذا وقد ذكرت فى سنة اثنتين وتسعين من فتح الاندلس ودخول موسى بن نصير الى طارق ما فيه كفاية فلا حاجة الى اعادته الا ان أبا جعفر قد ذكر ان موسى هو الذى سير طارقا وهو بالاندلس ففتح مدينة طليطلة والذى ذكره أهل الاندلس فى تواريخهم ما تقدم ذكره

(ذكر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز)

قيل وفى هذه السنة عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن الحجاز والمدينة وكان سبب ذلك ان عمر كتب الى الوليد يخبره بعسف الحجاج أهل العراق واعتدائه عليهم وظلمه لهم بغير حق فبلغ ذلك الحجاج فكتب الى الوليد ان من عندى من المراق واهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ومكة وان ذلك وهن فكتب اليه الوليد يستشيره فيمن يوليه المدينة ومكة فاشار عليه بخالد بن عبد الله وعثمان بن حيان فولى خالدا مكة وعثمان المدينة وعزل عمر عنهما فلما خرج عمر من المدينة قال انى أخاف ان أكون ممن نفته المدينة يعنى بذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفى خبثها وكان عزله عنها فى شعبان ولما قدم خالد مكة أخرج من بها من أهل العراق كرها وتهدد من أنزل عراقيا أو آجره دارا واشتد على أهل المدينة فعسفهم وجار فيهم ومنعهم من انزال عراقى وكانوا أيام عمر بن عبد العزيز كل من خاف الحجاج لجأ الى مكة والمدينة وقيل انما استعمل على

المدينة

اطيار اتصفر بأصناف اللغات المطربة لا تفتر وعمل فى وسط المدينة منارا عاليا من صفر عليه صورة انسان من صفر كلما مضت ساعة صاح ذلك صياحا عاليا فيعلم به دخول الساعات فى الليل والنهار وعمل منارا آخر وجعل على رأسه قبة من صفر مذهب ولطخها بلطوخات فاذا غربت الشمس اشتعلت تلك القبة نارا تضىء انها اكرا المدينة ولا تطفيها الامطار ولا الرياح فاذا كان النهار قل ضوءها الضوء

المدينة عثمان بن حيان وقد تقدم سنة احدى وتسعين ولاية خالد مكة فى قول بعضهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح سبسطية والمرزبانين وطرسوس وفيها غزا مروان ابن الوليد فبلغ خنجرة وفيها غزا مسلمة الروم أيضا ففتح ماسية وحصن الحديد وغزالة من ناحية ملطية وفيها أجدب اهل افريقية فاستسقى موسى بن نصير فسقوا وفيها كتب الوليد بن عبد الملك الى عمر بن عبد العزيز قبل ان يعزله يأمره بضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير ويصب على رأسه ماء باردا فضربه خمسين سوطا وصب عليه ماء باردا فى يوم شات ووقفه على باب المسجد فمات من يومه (خبيب بضم الخاء المعجمة وباءين موحدتين بينهما ياء تحتها اثنتان) وحج بالناس هذه السنة عبد العزيز بن الوليد وكان على الامصار من تقدم ذكرهم الا المدينة فان عاملها عثمان ابن حيان قدمها فى شوال لليلتين بقيتا منه وقد تقدم ذكر ولاية خالد بن عبد الله مكة فى سنة تسع وثمانين وفى سنة احدى وتسعين وقد ذكرنا انه وليها هذه السنة وفيها مات أبو الشعثاء جابر بن زيد وأبو العالية البراء واسمه زياد بن فيروز وكان مولى لاعرابية من بنى رياح وليس بابى العالية الرياحى ذاك كان موته سنة تسعين وفيها مات بلال بن أبى الدرداء الانصارى قاضى دمشق

(ثم دخلت سنة أربع وتسعين)

(ذكر قتل سعيد بن جبير)

قيل وفى هذه السنة قتل سعيد بن جبير وكان سبب قتله خروجه مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكان الحجاج قد جعله على عطاء الجند حين وجه عبد الرحمن الى رتبيل لقتاله فلما خلع عبد الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلع فلما هزم عبد الرحمن ودخل بلاد رتبيل هرب سعيد الى أصبهان فكتب الحجاج الى عاملها بأخذ سعيد فخرج العامل من ذلك فارسل الى سعيد يعرفه ذلك ويأمره بمفارقته فسار عنه فاتى اذربيجان فطال عليه القيام فاغتم بها فخرج الى مكة فكان بها هو واناس امثاله يستخفون فلا يخبرون أحدا أسماءهم فلما ولى خالد بن عبد الله مكة قيل لسعيد انه رجل سوء فلو سرت عن مكة فقال والله لقد فررت حتى استحييت من الله وسيجيئنى ما كتب الله لى فلما قدم خالد مكة كتب اليه الوليد بحمل أهل العراق الى الحجاج فأخذ سعيد بن جبير ومجاهدا وطلق بن حبيب فارسلهم اليه فمات طلق بالطريق وحبس مجاهد حتى مات الحجاج وكان مسيرهم مع حرسيين فانطلق أحدهما لحاجة وبقى الآخر فقال لسعيد وقد استيقظ من نومه ليلا ياسعيد انى ابرأ الى الله من دمك انى رأيت فى منامى فقيل لى ويلك تبرأ من دم سعيد بن جبير فاذهب حيث شئت فانى لا اطلبك فأبى سعيد فرأى ذلك الحرسى مثل تلك الرؤيا ثلاثا ويأذن لسعيد فى الذهاب وهو لا يفعل فقدموا به الكوفة فأنزل فى داره وأتاه قراء الكوفة فجعل يحدثهم وهو يضحك وبنية له فى حجره فلما نظرت الى القيد فى رجله بكت ثم ادخلوه على الحجاج فلما أتى به قال لعن الله ابن النصرانية يعنى خالدا وكان هو ارسله اما كنت اعرف مكانه بلى والله والبيت الذى هو فيه بمكة ثم أقبل عليه فقال ياسعيد ألم اشركك فى امامتى ألم أفعل ألم استعملك قال بلى قال فما أخرجك على قال انما أنا امرؤ من المسلمين يخطئ مرة ويصيب مرة فطابت نفس الحجاج ثم عاوده فى شئ فقال انما كانت بيعة فى عنقى فغضب الحجاج وانتفخ وقال ياسعيد ألم أقدم

الشمس وحمل امثال ذلك من الغرائب التى يطول ذكرها ويقال انه نكح ثلثمائة امرأة يبتغى منهن اولادا فلم يكن ذلك فى عصره لان الارحام عقمت بامر الله تعالى لقرب زمان الطوفان وهلاك العالم وكثرت فى زمانه الاسود حتى كانت تدخل البيوت وانقطعت الامطار وقل الماء فى النيل وهلكت الزروع من الريح الحارة وكانت مدة ملكه اربعا وستين سنة وليس له ولد ولا

مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لامير المؤمنين عبد الملك قال بلى قال ثم قدمت الكوفة واليا فجددت البيعة فأخذت بيعتك لامير المؤمنين ثانية قال بلى قال فنكثت بيعتين لامير المؤمنين وتوفى بواحدة للحائك بن الحائك والله لاقتلنك قال انى اذا السعيد كما سمتنى أمى فامر به فضربت رقبته فبدر رأسه عليه كمة بيضاء لاطية فلما سقط رأسه هلل ثلاثا أفصح بمرة ولم يفصح بمرتين فلما قتل التبس عقل الحجاج فجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوا انه يريد القيود فقطعوا رجلى سعيد من انصاف ساقيه وأخذوا القيود وكان الحجاج اذا نام يراه فى منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول ياعدو الله فيما قتلتنى فيقول مالى ولسعيد بن جبير مالى ولسعيد بن جبير

(ذكر غزوة الشاش وفرغانة)

فى هذه السنة قطع قتيبة النهر وفرض على أهل بخارا وكش ونسف وخوارزم عشرين ألف مقاتل فساروا معه فوجههم الى الشاش وتوجه هو الى فرغانة فأتى خجندة فجمع له أهلها فلقوه فاقتتلوا مرارا كل ذلك يكون الظفر للمسلمين ثم ان قتيبة اتى كاشان مدينة فرغانة وأتاه الجنود الذين وجههم الى الشاش وقد فتحوها واحرقوا أكثرها وانصرف الى مرو وقال سحبان يذكر قتالهم بخجندة

فسل الفوارس فى خجندة تحت مرهفة العوالى *
هل كنت أجمعهم اذا * هزموا واقدم فى القتال
أم كنت اضرب هامة الشعانى واصبر للعوالى
هذا وأنت قريع قيس كلها ضخم النوال
وفضلت قيسا فى الندى * وأبوك فى الحجج الخوالى
ولقد تبين عدل حكمك فيهم فى كل حال
تمت مروأتكم ونا * مى عزكم غلب الجبال

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة غزا العباس بن الوليد أرض الروم ففتح انطاكية وفيها غزا عبد العزيز بن الوليد فبلغ غزالة وبلغ الوليد بن هشام المعيطى برج الحمام ويزيد بن أبى كبشة أرض سورية وفيها كانت الزلازل بالشام ودامت أربعين يوما فخربت البلاد وكان عظم ذلك فى انطاكية وفيها افتتح القاسم بن محمد الثقفى أرض الهند وتوفى فى هذه السنة على بن الحسين فى أولها ثم عروة بن الزبير ثم سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام واستقضى الوليد على الشام سليمان بن حبيب وحج بالناس مسلمة بن عبد الملك وقيل عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وكان العامل بمكة خالد بن عبد الله وبالمدينة عثمان بن حيان وبمصر قرة بن شريك وبخراسان قتيبة من قبل الحجاج

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين)

(ذكر غزوة الشاش)

قيل وفى هذه السنة بعث الحجاج جيشا من العراق الى قتيبة فغزا بهم فلما كان بالشاش او بكشماهان أتاه موت الحجاج فى شوال منها نغمه ذلك وتمثل يقول

اخ ودفن فى الهرم وجعلت معه خزائنه فلكوا رجلا من اهل بيت الملك يقال له (ارمالينوس) فلما ملك سار بسيرة سلفه وكان له ابن عم يقال فرعان جد الجبابرة الذين لايطاقون وهو اول فرعون سمى بهذا الاسم وسمى باسمه تشبيها به فعشقته بعض نساء الملك وراسلته بامرأة فامتنع فلم تزل به المراة حتى ارضته ثم سمت الملك فى شرابه فقتلته وجلس (فرعان) على سرير الملك فلم ينازعه احد وكان

لعمري لنعم المرء من آل جعفر * بحوران امسى اعلقته الحبائل
فان تحي لى املك حياتى وان تمت * فمافى حياة بعد موتك طائل

ورجع الى مرو وتفرق الناس فأتاه كتاب الوليد قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك واجتهادك في جهاد اعداء المسلمين وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذى يجب لك فاتم مغازيك وانتظر ثواب ربك ولا تغب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأنى انظر الى بلائك والثغر الذى أنت فيه

*(ذكر وفاة الحجاج بن يوسف)

قيل ان عمر بن عبد العزيز ذكر عنده ظلم الحجاج وغيره من ولاة الامصار ايام الوليد بن عبد الملك فقال الحجاج بالعراق والوليد بالشام وقرة بمصر وعثمان بالمدينة وخالد بمكة اللهم قد امتلأت الدنيا ظلما وجورا فارح الناس فلم يمض غير قليل حتى توفى الحجاج وقرة بن شريك فى شهر واحد ثم تبعهم الوليد وعزل عثمان وخالد واستجاب الله لعمر وما أشبه هذه القصة بقصة ابن عمر مع زياد بن ابيه حيث كتب الى معاوية يقول له قد ضبطت العراق بشمالى ويمينى فارغة يعرض بامارة الحجاز فقال ابن عمر لما بلغه ذلك اللهم ارحنا من يمين زياد وارح اهل العراق من شماله فكان اول خبر جاءه موت زياد وكانت وفاة الحجاج فى شوال سنة خمس وتسعين وقيل كانت وفاته لخمس بقين من شهر رمضان وله من العمر أربع وخمسون سنة وقيل ثلاث وخمسون سنة وكانت ولايته العراق عشرين سنة ولما حضرته الوفاة استخلف على الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج واستخلف على حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبى كبشة وعلى خراجهما يزيد بن أبى مسلم فاقرهما الوليد بعد موته ولم يغير أحدا من عمال الحجاج

(ذكر نسبه وشىء من سيرته)*

هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل بن عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف أبو محمد الثقفى قال قتيبة بن مسلم خطبنا الحجاج فذكر القبر فما زال يقول انه بيت الوحدة انه بيت الغربة و بيت كذا وكذا حتى بكى وأبكى ثم قال سمعت أمير المؤمنين عبد الملك يقول سمعت مروان يقول فى خطبته خطبنا عثمان فقال فى خطبته ما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قبر أو ذكره الا بكى وقد روى أحاديث غير هذا عن ابن عباس وأنس وقال ابن عوف كنت اذا سمعت الحجاج يقرأ عرفت انه طالما درس القرآن وقال أبو عمرو ابن العلاء ما رأيت أفصح من الحجاج ومن الحسن وكان الحسن افصح وقال عبد الملك بن عمير قال الحجاج يوما من كان له بلاء فليقم فلنعطه على بلائه فقام رجل فقال اعطنى على بلائى قال وما بلاؤك قال قتلت الحسين قال فكيف قتلته قال دسرته بالرمح دسرا وهبرته بالسيف هبرا وما اشركت معى فى قتله أحدا قال فانك لا تجتمع أنت وهو فى مكان واحد ثم قال اخرج ولم يعطه شيأ قيل وكتب عبد الملك الى الحجاج يأمره بقتل اسلم بن عبد البكرى بشىء بلغه عنه فاحضره الحجاج فقال أمير المؤمنين غائب وأنت حاضر والله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا الآية والذى بلغه عنى باطل فاكتب الى أمير المؤمنين انى أعول أربعا وعشرين امرأة وهن بالباب فاحضرهن فهذه أمه وهذه عمته وزوجته وابنته وكان فى آخرهن جارية قاربت عشر سنين فقال لها من أنت منه قالت ابنته أصلح الله الامير ثم انشأت تقول

الطوفان وقع فى زمانه وكان علا فى الارض وتجبر وغصب الناس اموالهم وانفسهم ونساءهم وعمل ما لم يعمله احد من الملوك قبله واسرف فى القتل وهابته الملوك واقروا له بالطاعة وهو الذى كتب الى الدرشيل ملك بابل يشيراليه بقتل نوح عليه السلام فنعه الله منه وكان عند اهل مصر علم بالطوفان فاتخذوا السراديب تحت الارض وصفحوها بالزجاج واتخذ الملك عدة منها له ولاهل بيته وكان رئيس

أحجاج لم تشهد مقام بناته * وعماته يندبنه الليل اجمعا
أحجاج لم تقتل به ان قتلته * ثمانا وعشرا واثنتين وأربعا
أحجاج من هذا يقوم مقامه * علينا فمهلا ان تزدنا تضعضعا
أحجاج اما ان تجود بنعمة * علينا واما ان تقتلنا معا

فبكى الحجاج وقال والله لا اعنت الدهر عليكن ولا زدتكن تضعضعا وكتب الى عبد الملك بخبر الرجل والجارية فكتب اليه عبد الملك ان كان الامر كما ذكرت فاحسن صلته وتفقد الجارية ففعل وقال عاصم بن بهدلة سمعت الحجاج يقول اتقوا الله ما استطعتم هذا والله مثنوية واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ليس فيه مثنوية والله لو أمرتكم ان تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا لحلت لى دماؤكم ولا أجد أحدا يقرأ على قرأة بن ام عبد يعنى ابن مسعود الا ضربت عنقه ولاحكنها من المصحف ولو بضلع خنزير وقد ذكر ذلك عند الاعمش فقال وانا سمعته يقول فقلت فى نفسى لاقرأنها على رغم انفك قال الاوزاعى قال عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم قال منصور سألنا ابراهيم الشعبى عن الحجاج فقال ألم يقل الله الا لعنة الله على الظالمين قال الشافعى بلغنى ان عبد الملك بن مروان قال للحجاج مامن أحد الا وهو عارف بعيوب نفسه فعب نفسك ولا تخبأ منها شيأ قال يا أمير المؤمنين انا لجوج حقود فقال له عبد الملك اذا بينك وبين ابليس نسب فقال ان الشيطان اذا رآنى سالمنى قال الحسن سمعت عليا على المنبر يقول اللهم ائتمنتهم فخانونى ونصحتهم فغشونى اللهم فسلط عليهم غلام ثقيف يحكم فى دمائهم وأموالهم بحكم الجاهلية فوصفه وهو يقول الزيال مفجر الانهار يأكل خضرتها ويلبس فروتها قال الحسن هذه والله صفة الحجاج قال حبيب بن ابى ثابت قال على لرجل لا تموت حتى تدرك فتى ثقيف قيل له يا أمير المؤمنين مافتى ثقيف قال ليقالن له يوم القيامة اكفنا زاوية من زوايا جهنم رجل يملك عشرين أو بضعا وعشرين سنة لايدع لله معصية الا ارتكبها حتى لو لم تبق الا معصية واحدة وبينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها يقتل بمن أطاعه من عصاه وقيل احصى من قتله الحجاج صبرا فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا وقيل ان الحجاج مر بخالد بن يزيد بن معاوية وهو يخطر فى مشيته فقال رجل لخالد من هذا قال خالد بخ بخ هذا عمرو بن العاص فسمعها الحجاج فرجع وقال والله مايسرنى ان العاص ولدنى ولكنى ابن الاشياخ من ثقيف والعقائل من قريش وانا الذى ضربت بسيفى هذا مائة ألف كلهم يشهد ان أباك كان يشرب الخمر ويضمر الكفر ثم ولى وهو يقول بخ بخ عمرو بن العاص فهو قد اعترف فى بعض أيامه بمائة ألف قتيل على ذنب واحد

* (ذكر مافعله محمد بن القاسم بعد موت الحجاج وقتله) *

لما مات الحجاج بن يوسف كان محمد بن القاسم بالملتان فأتاه خبر وفاته فرجع الى الرور والبغرور وكان قد فتحهما فاعطى الناس ووجه الى البيلمان جيشا فلم يقاتلوا واعطوا الطاعة وسأله أهل سرشت وهى مغزى أهل البصرة وأهلها يقطعون فى البحر ثم أتى محمد الكيرج فخرج اليه دوهر فقاتله فانهزم دوهر وهرب وقيل بل قتل ونزل أهل المدينة على حكم محمد فقتل وسبى قال الشاعر

نحن قتلنا داهرا ودوهرا * والخيل تردى منسرا فمنسرا

الكهنة اقليمون راى رؤيا وامر فيها بالسوق الى صاحب السفينة واقام فرعان الملك منهمكا فى ضلاله وظلمه فاستأذن اقليمون الملك بالسير الى بابل حتى ينظر فى امر نوح عليه السلام ويتناظر معه ثم يأتيه بالخبر فأذن له الملك فى ذلك فسار بأهله وولده وتلاميذه حتى وصل الى نوح عليه السلام آمن به هو وجميع من معه ولم يزل هو ومن معه فى خدمة نوح عليه السلام الى ان ركبوا السفينة معه واقام فرعان منهمكا فى ضلاله

وما ت الوليد بن عبد الملك وولى سليمان بن عبد الملك فولى يزيد بن أبي كبشة السكسكي السند فاخذ محمدا وقيده وحمله الى العراق فقال محمد متمثلا

اضاعوني وأى فتى اضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فبكى أهل السند على محمد فلما وصل الى العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط فقال

فلئن ثويت بواسط وبارضها * رهن الحديد مكبلا مغلولا
فلرب قينة فارس قد رعتها * ولرب قرن قد تركت قتيلا

وقال

ولو كنت أجمعت الفرار لوطئت * اناث اعدت للوغى وذكور
وما دخلت خيل السكاسك أرضنا * ولا كان من عك على أمير
وما كنت للعبد المزونى تابعا * فيالك دهر بالكرام عثور

فعذبه صالح فى رجال من آل أبى عقيل حتى قتلهم وكان الحجاج قتل آدم اخا صالح وكان يرى رأى الخوارج وقال حمزة بن بيض الحنفى يرثى محمدا

ان المروأة والسماحة والندى * لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لسبع عشرة حجة * ياقرب ذلك سوددا من مولد

وقال آخر

ساس الرجال لسبع عشرة حجة * ولداته اذ ذاك فى اشغال

ومات يزيد بن أبي كبشة بعد قدومه أرض السند بثمانية عشر يوما واستعمل سليمان بن عبد الملك على السند حبيب بن المهلب فقدمها وقد رجع ملوك السند الى ممالكهم ورجع جيشبة ابن ذاهر الى برهمناباذ فنزل حبيب على شاطئ مهران فاعطاه أهل الرور الطاعة وحارب قوما فظفر بهم ثم مات سليمان واستخلف عمر بن عبد العزيز فكتب الى الملوك يدعوهم الى الاسلام والطاعة على ان يملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فاسلم جيشبة والملوك وتسموا باسماء العرب وكان عمرو بن مسلم الباهلى عامل عمر على ذلك الثغر فغزا بعض الهند فظفر ثم ان الجنيد ابن عبد الرحمن ولى السند أيام هشام بن عبد الملك فأتى الجنيد شط مهران فمنعه جيشبة بن ذاهر العبور وأرسل اليه انى قد اسلمت وولانى الرجل الصالح بلادى ولست آمنك فاعطاه رهنا وأخذ منه رهنا على خراج بلاده ثم ترادا وكفر جيشبة وحارب وقيل انه لم يحارب ولكن الجنيد تجنى عليه فأتى الهند فجمع جموعا واعد السفن واستعد للحرب فسار اليه الجنيد بالسفن فالتقوا فى بطيحة فاخذ جيشبة اسيرا وقد جنحت سفينته فقتله الجنيد وهرب صصة بن ذاهر وهو يريد ان يمضى الى العراق فيشكو غدر الجنيد فلم يزل الجنيد يؤنسه حتى وضع يده فى يده فقتله وغزا الجنيد الكيرج وكانوا قد نقضوا فاتخذ كبشا وصك به سور المدينة فثلمه ودخلها فقتل وسبى ووجه العمال الى المرمذ والمندل ودهنج وبروج وكان الجنيد يقول القتل فى الجزع أكبر منه فى الصبر ووجه جيشا الى أزين فاغار واعليها وحرقوا ربضها وفتح البيلمان وحصل عنده سوى ما حمل أربعين ألف ألف وحمل مثلها وولى الجنيد تميم بن زيد القينى فضعف ووهن ومات قريبا من الديبل وفى ايامه خرج المسلمون عن بلاد الهند ورفضوا مراكزهم ثم ولى الحكم بن عوانة الكلبى وقد كفر أهل الهند الا أهل قصة فبنى مدينة سماها المحفوظة وجعلها مأوى للمسلمين وكان معه عمرو بن محمد بن القاسم وكان يفوض اليه عظيم الامور

وظلمه مقبلا على لهوه وقد ضاقت الدنيا باهلها وكثر الهرج والقتل وفسدت الزروع واجدبت البلاد وظلم من العباد بعضهم بعضا وجاء الطوفان واقبل المطر عليهم يوم الاحد الرابع والعشرين من شهر آذار عاشر رجب وكان الملك سكران فلم يتحرك من مكانه حتى جرى الماء عليه فوثب مبادرا يريد الهرم الذى بناه فتلجلجت الارض وطلب الاسراب فخانته رجلاه وسقط على وجهه وجعل

فاغزاه من المحفوظة فلما قدم عليه وقد ظفر أمره فبنى مدينة وسماها المنصورة فهي التي ينزلها الامراء واستخلص ما كان قد غلب عليه العدو ورضي الناس بولايته وكان خالد القسري يقول واعجبا وليت فتى العرب يعني تميما فرفض وترك ووليت ابخل العرب فرضي به ثم قتل الحكم وكان العمال يقاتلون العدو فكانوا يفتحون ناحية ويأخذون ما تيسر لهم لضعف الدولة الاموية بعد ذلك الى ان جاءت الدولة المباركة العباسية ونحن نذكر ان شاء الله أيام المامون بقية أخبار السند

يغور كما يغور النور الى ان اهلكه الطوفان ومن دخل الاسراب منهم هلك بغمها ويلحق الماء من اعلى الاهرام الى اخر التربيع وهو ظاهر عليها الى الآن وليس بين اهل التاريخ اختلاف في عموم الطوفان جميع الارض

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح هرقلة وغيرها وفيها افتتح آخر الهند الا الكيرج والمندل وفي هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين وفيها قتل الوضاحي بارض الروم ونحو ألف رجل معه وفيها ولد المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وحج بالناس هذه السنة كثير بن الوليد بن عبد الملك وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم وفيها مات أبو عثمان النهدي اسمه عبد الرحمن بن مل وكان عمره مائة وثلاثين سنة وقيل في موته غير ذلك وفيها مات سعد بن اياس أبو عمرو الشيباني وله مائة وعشرون سنة وفي امارة الحجاج مات سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي هذه السنة مات سالم بن أبي الجعد وفيها مات جعفر بن عمرو بن امية الضمري وهو أخو عبد الله بن مروان من الرضاعة وفي امارة الحجاج قتل أبو الاحوص عوف ابن مالك بن نضلة الجشمي الكوفي قتله الخوارج

تم

(تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس واوله)
(ثم دخلت سنة ست وتسعين)